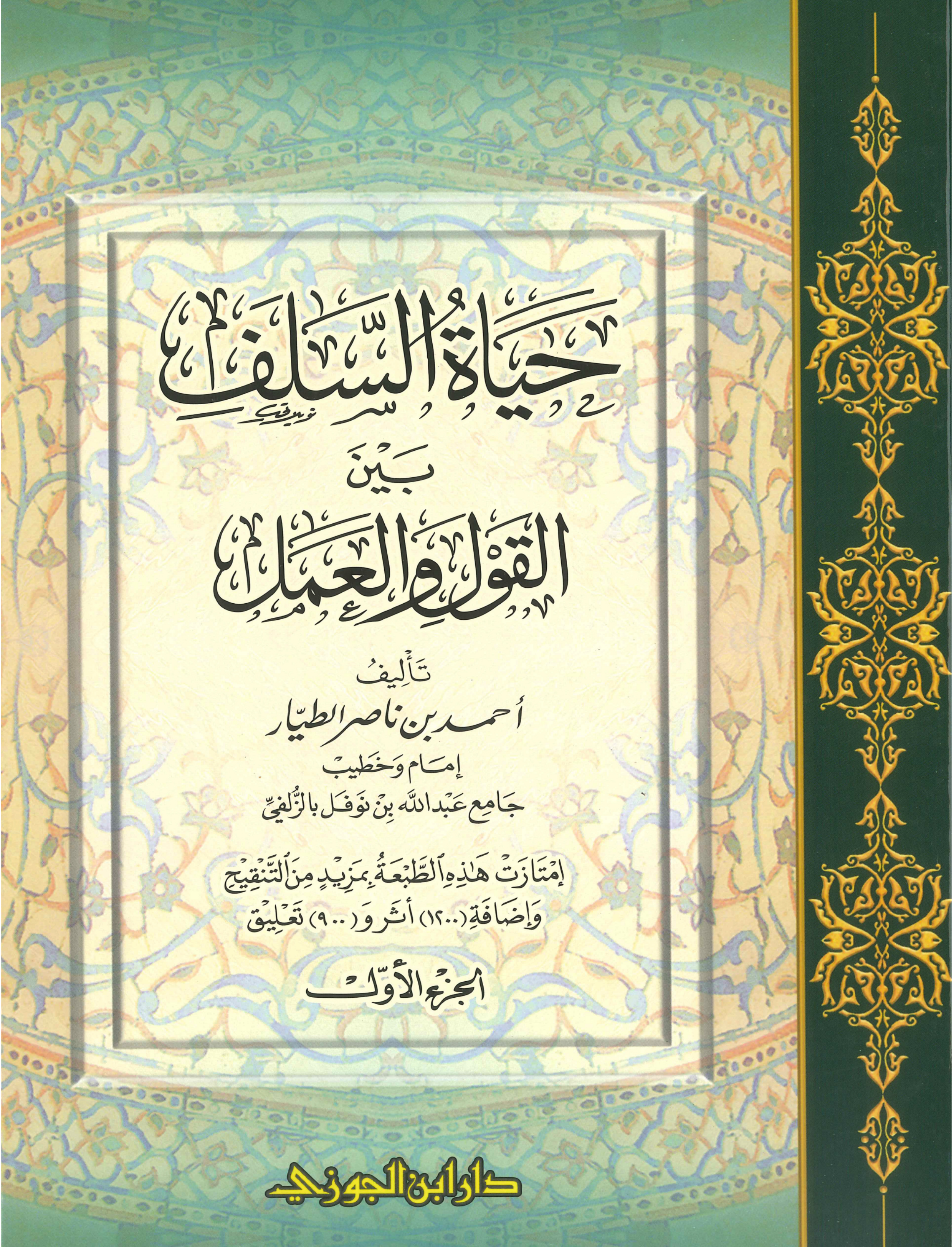
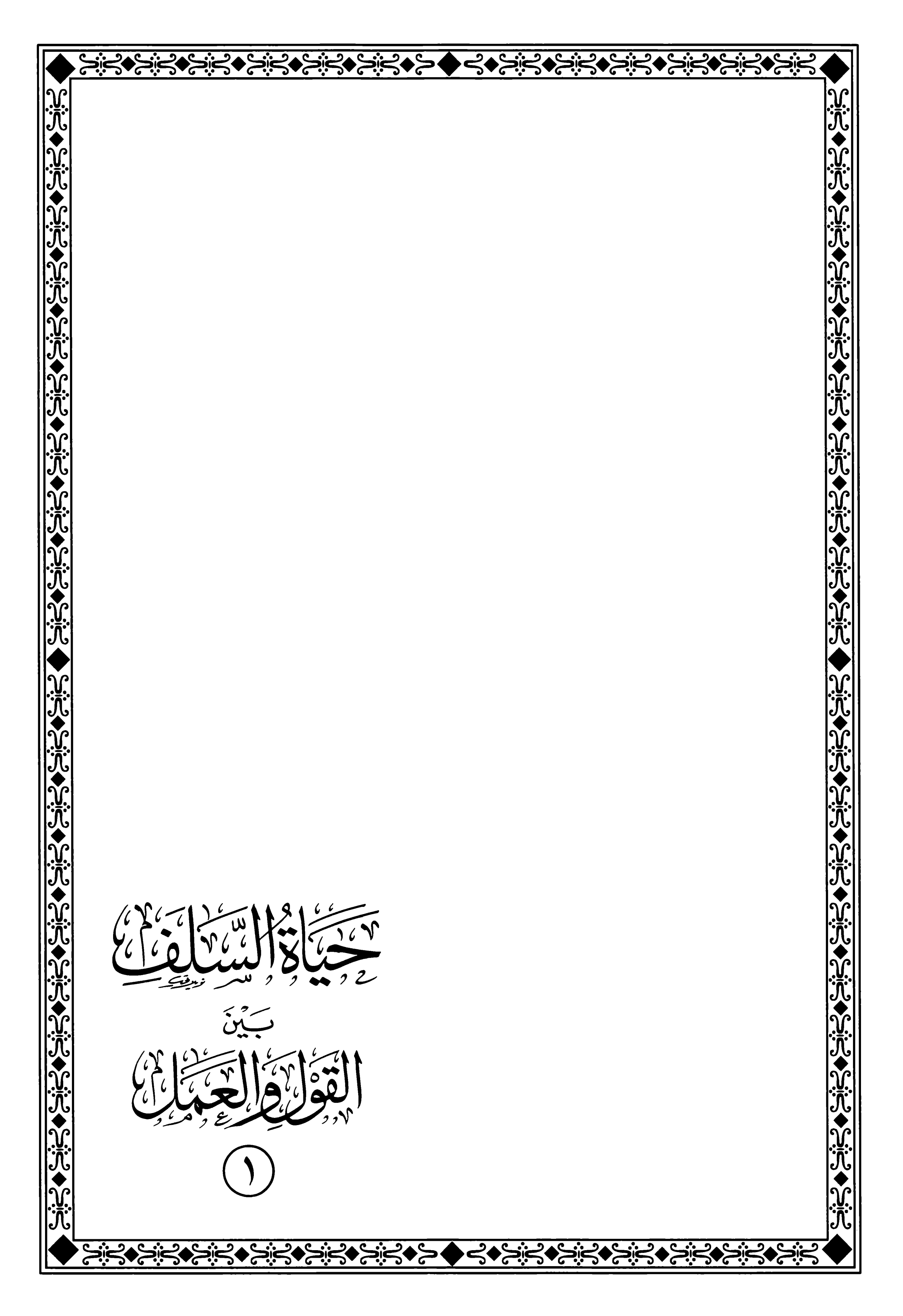
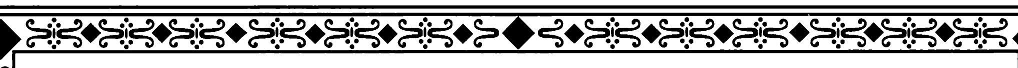


حياة السلف
بين
القول والعمل
تأليف
أحمد بن ناصر الطيار
إمام وخطيب
جامع عبد الله بن نوفل بالزلفي
امتازت هذه الطبعة بمزيد من التنقيح
وإضافة (١٢٠٠) أثر و (٩٠٠) تعليق
الجزء الأول
دار ابن الجوزي


حياة السلف
بين
القول والعمل
١



ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطيار، أحمد ناصر

حياة السلف بين القول والعمل./أحمد بن ناصر الطيار.- الدمام، ١٤٤٠هـ.

٦٨٨ص؛ ١٧×٢٤سم (ج١)

ردمك: ١ ـ ٧٨ ـ ٨٢٤٥ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ ـ الصحابة والتابعون أ. العنوان

ديوي ٢٣٩,٩ ١٤٤٠/٤٦٨٦



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:

الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان

ت: ٠١٣٨٤٢٨١٤٦ - ٠١٣٨٤٦٧٥٩٣

٠١٣٨٤١٢١٠٠

ص ب. واصل: ٨١١٤

الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦

الرقم الإضافي: ٤٩٧٣

الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥

جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨

الأحساء - ت: ٠١٣٥٨٨٣١٢٢

جدة - ت: ٠١٢٦٠١٠٠٦٣

جوّال: ٠٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:

بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠

فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:

القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠

جوّال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

aljawzi@hotmail.com

+966503897671

aljawzi

eljawzi

ibnaljawzi.com

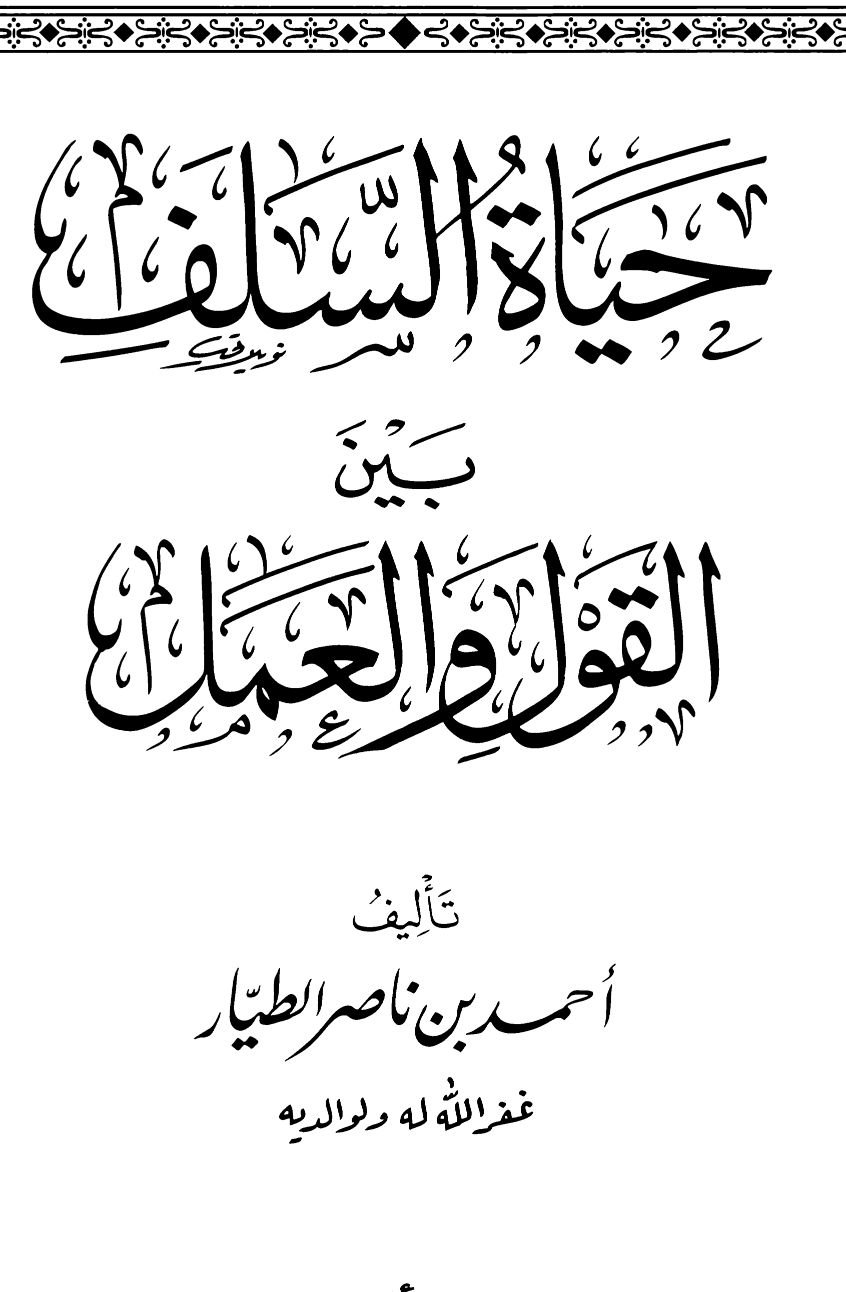
الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ

١٤٤٤هـ

امْتَازَتْ هَذِهِ الطَّبْعَةُ بِمَزِيدٍ مِنَ التَّنْقِيحِ

وَإِضَافَةِ (١٢٠٠) أَثَرٍ وَ(٩٠٠) تَعْلِيقٍ

الباركود الدولي: 9786038245781



حياة السلف

بين

القول والعمل

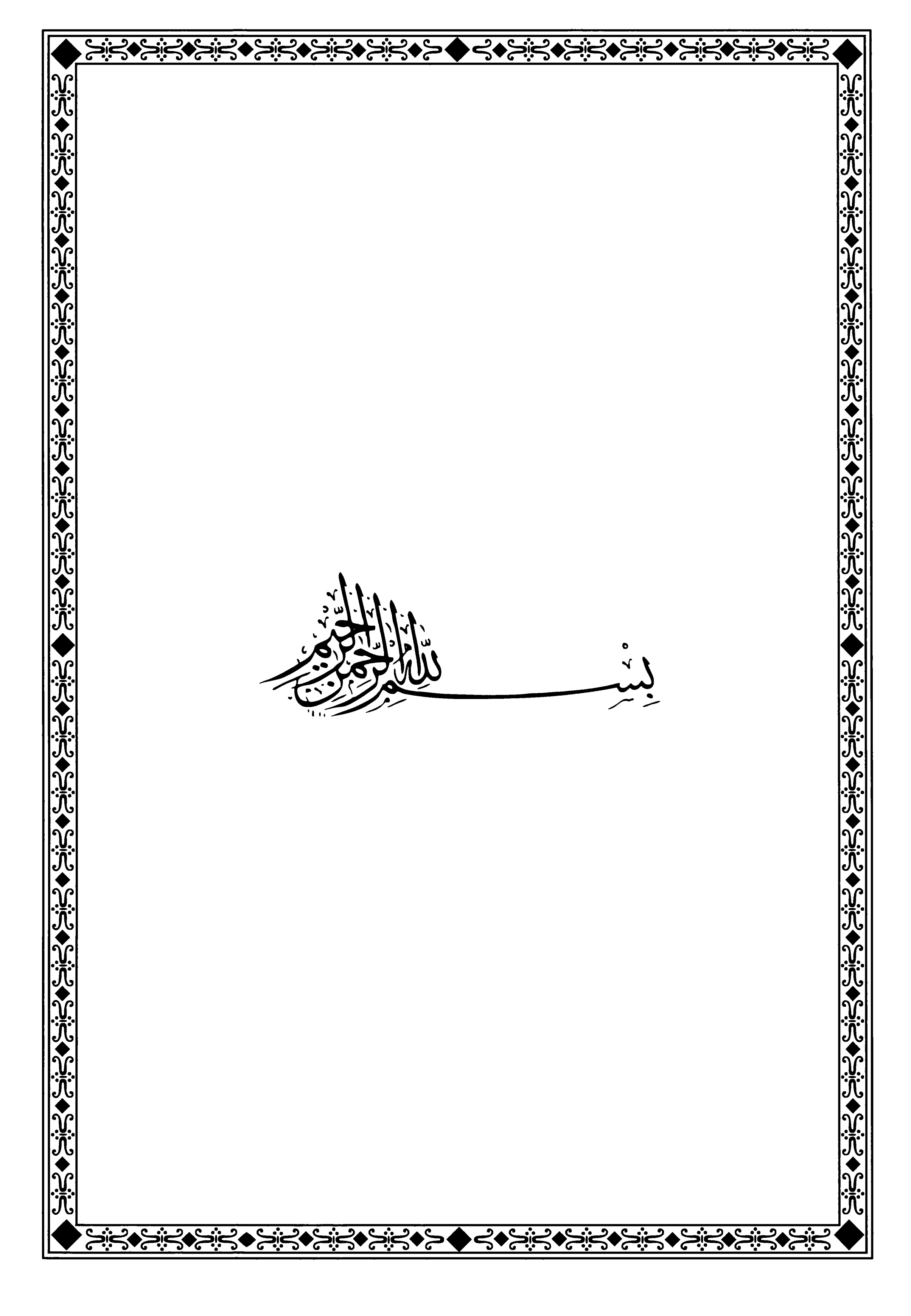
تأليف

أحمد بن ناصر الطيار

غفر الله له ولوالديه

الجزء الأول

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

عند ذكر الصالحين تَنزِل الرحمة.

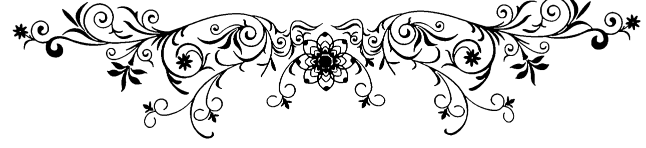
وقال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليَّ مِن الفِقه، لأنها آداب القوم.

وقال بعض المشايخ:

الحكايات جند من جنود الله؛ يثبت بها قلوب أوليائه، قال: وشاهده قوله تعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾ [هود:١٢٠]

ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٣٤)





المُقدِّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فضَّلنا وجعلنا خيرَ الأمم، وأرسل إلينا رسولًا زكَّاه بأحسن الأخلاق وأعظمِ القِيَم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، منَّ على هذه الأمَّةِ بأوفر العطايا وأجمل النِّعم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، من سار على هديه أوصله إلى أعالي القِمم، ومن حاد عن طريقه تجرَّع الذل والصغار والندم، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه سادات العُرْب والعجم، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلقَدْ تركَ لنا علماؤنَا الأجلاءُ علُومًا كثيرةً في شتَّى الفنون، حتَّى كتَبوا في السُّلوك والأخلاق والسِّياسة والمنْطق والطِّب وغيرِها مِن أنواعِ العلُوم المفيدة، والفضل لله ثم لهم في تقييد هذه العلوم والآثار عمن سبقهم، «ولولا ما عقَدَتْه الكتبُ من تجارب الأولين لانْحَلَّ مع النسيان عقودُ الآخرين».[1]

وَمِمَّا كَتَبُوا فِي ذَلِكَ وَصَنَّفُوا:

الكتب التي **تجمع أقوال وأحوال السلف الصَّالح** مِن الصَّحابة والتَّابعينَ وتابعيهِم، ولا شكَّ أنَّ كلامَ علماءِ السَّلف أعظمُ تأثيرًا وفائدةً مِن كلام مَن جاءَ

(١) أدب الدين للماوردي (١٠٥).

بعْدَهم؛ فإنَّهم مِن القُرُون المـُفضَّلة التي شَهِدَ لهُم النَّبيُّ ﷺ بالخيريَّة، حيث قال: (خير الناس: قَرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[١].

فإذا أكثَر المسلمُ **مطالعة كتبهم وأدام النظر في كلامهم وأحوالهم؛ استفاد فائدةً عظيمة، يظهر أثرها عليه في أخلاقه وسلوكه**، وسيعظُم قدْرُه وقَبولُه عِنْد النَّاس.

وحاجة الناس للقدوات ماسّةً جدا خاصة في هذ الزمن الذي كثرت فيه الفتن والشهوات والشبهات، وانتشرت فيه القيم الغربية والشرقية المنحرفة عن الفطرةِ السويّة، ومهما اجتهد المسلم في إصلاح نفسه وأخلاقه وقلبه سيجد صعوبة ومشقة.

وأعظم قدوة لنا في ديننا وأخلاقنا وصلاح ظاهرنا وباطننا -بعد الأنبياء وخاصة نبيّنا صلى الله وسلم عليهم أجمعين-: الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان خاصة في القرون المفضلّة.

وإذا لم نتمكّن من رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم فقد تمكّنا -بحمد الله- من الاطلاع على كمٍّ كثيرٍ من أخبارهم وسيرهم حتى كأننا نعيش معهم ونجالسهم، مما له الأثر الكبير على صلاحنا وتأثرنا بهم.

«فمُنتهى عِلْم عالِمِنا في هذا الزمان أن يأخذ من عِلْمهم، وغايةُ إحسان مُحْسِنِنا أنْ يقْتديَ بسِيرتهم.

وأحسنُ ما يصيب من الحديث محدِّثُنا أن ينظر في كتبهم، فيكون كأنه إياهم يحاور، ومنهم يَسْتمع.

غير أنَّ الذي نجد في كتبهم هو الْمُنْتَخل[٢] من آرائهم، والمنتقى من أحاديثهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢٩)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) أي: المنتقى والمختار.

ولم نجدهم غادروا[١] شيئًا يجد واصفٌ بليغٌ في صفةٍ له مقالًا لم يسبقوه إليه: لا في تعظيم لله عَزَّوَجَلَّ، وترغيبٍ فيما عنده، ولا في تصغيرٍ للدنيا، وتزهيدٍ فيها، ولا في تحريرِ صنوف العلم، ولا في وجهٍ من وجوه الأدب، وضروبِ[٢] الأخلاق.

فلم يبقَ في جليلِ الأمر ولا صغيرِه لقائلٍ بعدهم مَقالٌ». [٣]

وَللغزاليِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٠٥)، فِي هَذَا المَعْنَى كَلامٌ جَمِيلٌ حَيْثُ قَال:**

«ولقد كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠)، أشبَه النَّاسِ كلامًا بكلامِ الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وأقربهم هديًا مِن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ اتَّفقتْ الكلمةُ في حقِّه علَى ذلك، وكان أكثرُ كلامِه في خواطرِ القلُوب، وفسادِ الأعمال، ووساوسِ النُّفوس، والصَّفاتِ الخفيَّة الغامضة مِن شهواتِ النَّفْس، وقد قِيلَ له: يَا أبَا سَعِيد، إنَّك تتكلَّمُ بكلامٍ لا يُسْمَعُ مِن غيْرِك، فمن أينَ أخذتَه؟ قال: من حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا (ت: ٣٦)، وقيل لحذيفة بن اليمان: نراكَ تتكلَّم بكلامٍ لا يُسْمَعُ مِن غيْرِك مِن الصَّحابة، فمن أين أخذتَه؟ قال: **(كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ أَقَعَ فِيه)**[٤]». ا.هـ[٥].

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ-(ت: ٧٢٨): «كُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ إِلَى السَّلَفِ وَالأئمَّةِ أَقْرَبَ كَانَ قَوْلُهُ أَعْلَى وَأَفْضَلَ». ا.هـ[٦].

وفي ذكر تراجم الْعلمَاء وسيرهم وحَياتهم عدّة فَوَائِد نفيسة:

---

(١) أي: تركوا وأخلّوا.

(٢) أي: أنواع.

(٣) الأدب الصغير لابن المُقَفَّع رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٦-٥٧).

(٤) رواه البخاري: (٣٦٠٦)، ومسلم: (١٨٤٧) بلفظ: «مخافة أن يدركني».

(٥) تهذيب إحياء علوم الدين ص: ٧٦.

(٦) «التدمرية» ص: ١٩٢، تحقيق: د. محمد السعوي.

مِنْهَا: التأدب بآدابهم واقتباس محَاسِن آثَارهم.

ومنها: أَنّ أَئِمَّتنَا وأسلافنا كالوالدين لنا، فهم أعلمُ منّا بمصَالح آخرتنا الَّتِي هي دَار قرارنا، وأنصح لنا فِيمَا هُوَ أَنفع لنا فِي ديننا ودنيانا.

فيقبح بنا أَن نجهلهم وَنُهْمِل معرفتهم، ونزهد في نصائحهم وتوجيهاتهم وأقوالهم وأعمالهم.

وقد عزّ عليّ أنْ أرى كتابًا حوى سيرهم مرتبة وواضحة وجامعًا لكل ما جاء عنهم فيما يتعلّق بصلاح العقيدة والدين والأخلاق، وسالمًا مما أدخله الكذابون وغيرهم وألصقوا عليهم أقوالا وقصصا لا تصح عنهم.

فعزمت -بتوفيق من الله- على جمع وتدوين ما أقدر عليه من آثارهم وأخبارهم لنفسي، لأعيش حياتهم وكأنني معهم، ودوّنت طرفًا من كلام أهل العلم، فوجدت لذلك أثرًا علِيّ وتغيُّرًا كبيرًا في حياتي، ثم رأيت أنّ من نشرِ العلم طباعتَه ونشره.

ومن توفيق الله لي أن هداني وأعانني على إبراز وعرض حياة السلف الصالح وسَبر أقوالهم وأحوالهم الموافِقة للوحيين المنثورة في كتب السير والتراجم؛ للتأسِّي بهم، والاقتداء بآثارهم، ولبثِّ روح التنافس على الخير والطاعة، ولتقريبِ الفجوة الكبيرة بيننا وبينهم خُلُقًا وعبادةً وسلوكًا.

وَلَا شَكَّ أَنَّ كَلامَ السَّلَفِ وَمَا نُقِلَ عَنْهُمْ مِنْ سِيَرِهِمْ -خاصة أهل القرون المفضّلة- لا يمكن حصرُه واستيعابُه، ولو جُمع كل ما نُقِلَ عَنْهم لبلغ ذلك عشرات الكراريس والمجلدات الضخمة، ولربّما حوى ما لا يَنْبغي ذكْرُه مِن البدعِ والخُرافات والـمُبالغات التي نجزم يقينًا أنَّها لَمْ تَقع منْهم، فقد كُذِبَ علَيهم كما كُذِبَ علَى النَّبيِّ ﷺ، ولا ندّعي العصمةَ لهم، ولكن نُحسن الظنّ بهم.

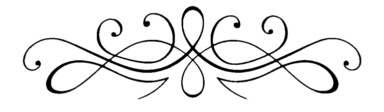
وأمَّا مَن وقع منه شيءٌ من ذلك فنعتذرُ له ولا نقتدي به.

وهذه الأخطاء -إن وُجدت- مَغْمورةٌ في بحر حسناتِهم رضي الله عنهم ورحمهم.

وَغَرَضِي مِنْ هَذَا الكِتَابِ:

عرض وإبراز ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم في سِيَرهم وحياتهم؛ ليعيشَ المسلمُ حياةَ سلفه الصالح، ويقف على حسُنِ أخلاقِهم، وجميلِ تعاملاتِهم، وعظيمِ عباداتِهم، وصلاحِ سرائرِهم، وسلامةِ صدورِهم، وصفاءِ عقائدهم، وغيرَ ذلك مِمَّا يزيدُ مِن همَّته، ويحثُه على الاقتداءِ بِهم، وَالتَّمَسُّكِ بآثارِهم؛ فعِنْد ذلك سيلاحظ مع الأيامِ تغيُّرًا ظاهرًا في حالِه وقلبِه، وفي تعاملِه وأخلاقِه.

واعتنيْت بتنقِيةِ وتصفيةِ كلّ ما أُلصق بهم كذبًا وبهتانًا، أو ما صَدَر عن بعضهم من الأخطاء التي فعلها باجتهادٍ منه وحُسنَ نيَّة.





الملحوظات عَلى كُتُبِ السير والطبقات

وَمِمَّا يُلْحَظُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الكُتُبِ الَّتِي كَتَبَت فِي هَذَا المُوضُوعِ:

١- احتواؤها على الغثّ والسَّمِيْن، والطَّيب والرديء، التي تحتاج إلى تنقيح وتحقيق وتهذيب.

٢- خلوّها من الترتيب والتَنْسيق؛ مما جعل كثيرًا من القرّاء تتقاصر هممهم عن قراءتها.

٣-ضَخامتها وطولها، حتَّى وصل بعْضُها إلى ثلاثين مجلدًا، فلا يستفيد مِنْها إلا القليلُ مِن النَّاس.

٤- خلّوها من التَّنْبيه والتعليق على ما ورد فيها عن بعضهم مِن أخطاء عقدية أو سلوكية أو علميّة أو أخلاقيّة.

٥- صعوبة الإلمام بالموضوع الواحد، فإذا أراد القارئُ أو الباحثُ موضوعًا ما فإنَّه لابد أن يقرأ جميعَ ما في هذه الكتب حتى يُلملم شتات هذا الموضوع؛ لأنَّ طريقةَ العلماءِ في هذا المجال هي أنَّهم يذكرونَ سيرةَ الشَّخص، وأقوالَه، وما قِيلَ عنه، ولم يسلكوا طريقةَ الترتيب بالموضوعات، التي يُذكر تحتها الآثارُ التي تخص كلّ موضوع.

نَعَمْ: قد أَلَّفوا في الفِقْه علَى هذه الطَّريقة كما فعل ذلك: ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(ت: ٢٣٥)، ولكنَّ الفِقه ليس موضوع بحثي، وألفوا في العقيدة كما فعل: الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٤٩) -والعقيدة جزء من كتابي هذا- وألفوا في السلوك والأخلاق كما فعل: الغَزَالِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٠٥)، ولكن كلام السلف وأحوالهم لم يكن موضوع كتابه وإنما هو ضمن كلامه وبحثه، مع ما حواه كتابه من الآثار التي لا تصح نسبتها عن سلفنا الصالح.

وَمِنْ خِلالِ قِرَاءَتِي لِبَعْضِ كُتُبِ هَؤلاءِ العُلَمَاءِ- عَلَيهِم رَحْمَةُ الله:

وجدْتُ فيها فوائِدَ ودُررًا لا تُوجد في غيرِها، جَمَعَتْ للمسلم ما يحتاجُه في دينِه ودنياه، مِن كلامِ سلَفِه الصَّالح وتوجيهاتِهم وأحوالِهم.

فحاولتُ -حسب قُدْرتي وجُهدي- استيعابَ أكبرَ قدْر ممكن مما نُقِلَ عَنْهم مِن خلالِ ما قرأتُه مِن الكتبِ التي ذكرتُها في المراجع.

ولكن هذه الكتب لا تخلو من الملحوظات التي ذكرت، ولقد تقاصرتْ هممُ أكثرِ النَّاس عن هممِ هؤلاءِ العلماء، فصعب على كثير منهم قراءتُها والاطّلاعُ عليها، مع ما فيها من الفوائِدِ العظيمة، والعلوم الكثيرة.

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨)، في آخر كتابِه: «**المُنْتَقى**» الذي اختصر فيه كتابَ شيْخِ الإسْلام ابنِ تَيْمِيَّة: «**منهاج السنة**»: «**وَهَذَا «المُنْتَقى» فِيهِ كِفَايَةٌ بِحَسَبِ هِمَمِ النَّاسِ، وَالأَصْلُ فَبِحَسَبِ هِمَّةِ الشَّيْخِ -أيْ: شَيْخ الإسْلام-**». ا.هـ[1].

فَإِذَا كَانَ هَذَا كَلامُ الذَّهَبِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَكَيْفَ بِنَا، وَنَحْنُ فِي هَذَا العَصْرِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ المُلْهِيَاتُ وَالأَشْغَالُ وَالفِتَنُ؟ نَسْأَلُ اللهَ أنْ يَرْحَمَنَا بِرَحْمَتِهِ.

ومن فضل الله تعالى وكرمه، وإحسانه وجوده، أنْ جعل لهذا الكتاب -بعد

---

(١) «المنتقى»: ص: ٥٩٤.

صدور الطبعة الأولى- قبولًا واسعًا، وإقبالًا مُفرحًا، من مشايخ وطلاب علم ومن عامة الناس، من مختلف البلدان، ونال ثناءَ وإعجابَ الكثير منهم، وكَثُر مَن اسْتفاد وانتفع منه، وهذا من فضل الله أولًا، ثم من كرمهم وحسن خُلُقهم.

وبعد الطبعة الثانيةِ قرأت الكتاب مرة أخرى وعلّقت على الكثير من الآثار.

واستفدت من ملحوظات المحبين والناصحين، وتدارسْتُه مع بعض إخواني طلاب العلم؛ فأصلحتُ العديد من عباراته، وصحَّحت أخطاءه اللغوية، وعلقت عليه التعليقات المفيدة، مع إضافة **الكثير من الآثار** المهمة التي مرّت عليّ خلال قراءتي لبعض كتب السنة والآثار وغيرِها.

ثم قرأت كتب طبقات العلماء الأعلام، من المحدثين والقُرَّاء والمفسِّرين في المذاهب الأربعة، **فوجدتُ في هذه الكتب الكثير من اللَّطائف والقَصص والحِكَم ما لا يُوجد في غيرها،** وإنما غُفل عن أكثرها لكونها في كتب التراجم المطوّلة، ولا يُحتاج إليها إلا على جهة النُّدرة، مِن مُختصٍّ يقصدها لحاجةٍ في فنّه، فربما لم تستوقفه هذه اللطائف لانشغاله بما قَصَدَه وطَلَبَه.

وقرأت كثيرًا من كتب الصحاح والسنن والآثار المتقدّمة المسندة، كصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والدارمي، وكتب الزهد للإمام أحمد وأبي داود وابن المبارك وغيرهم.

فجعلتُ أُقلِّبها ورقةً ورقةً، وأقرؤها بتأملٍ وعِناية، وأُكرِّرُ وأُعيدُ النظر في كثيرٍ مما فيها، وأنتقي أطايبها، وأختار دُرَرها، ووجدت في بعضها آثارا صحيحة كثيرةً نفيسة لا تُوجد في غيرها من الكتب.

فاجتمع عندي كثيرٌ منها، فرتبتها وبوَّبتُها وعلّقت عليها.

وعزوت الآثار المرويّة في الكتب المتأخّرة التي أوردتها في كتابي إلى مصادرها

الأصْلية بقدر الإمكان، مع بيان صحة كثير منها، وقد اتضح لي أنّ كثيرا من الآثار التي جاءت في المصادر المتأخرة فيها زيادات أو تحريفٌ على ما في المصادر المتقدّمة المسندة؛ فأثبتُّ الآثار الصحيحة، وحذفت الآثار الضعيفة، والتي فيها عدم دقّةٍ في نسبتها إلى أصْحبها، أو فيها زيادة أو نقص عما في المصادر المتقدّمة المسندة الصحيحة.

وأضرب مثالا على ذلك:

جاء هذا الأثر في الطبعات السابقة:

* وعن ابن أبي ليلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أدركت عشرين ومئة من **أصحاب رسول الله** ﷺ من الأنصار، إذا سُئِلَ أحدُهم عن شيءٍ، ودَّ أن أخاه كفاه. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٩٤ .

وفي الطبعة الرابعة:

* وعن ابن أبي ليلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أدركت عشرين ومائة من **أصحاب النبي** ﷺ، فما كان منهم محدّث إلا ودّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مُفْتٍ إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا. الزهد لابن المبارك (٥١).

فنقلت الأثر عن مصدره الأصلي المسند الصحيح، مع ما فيه من زيادة جاءت بفائدة.

مثال آخر:

جاء هذا الأثر في الطبعات السابقة:

* وقال **سفيان بن زبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يسرني أن يكون لي في كل شيء نيّة حتى في الأكل والنوم. صفة الصفوة ٢/ ٥٧.

وفي الطبعة الرابعة:

وعن **زُبَيد بن الحارث اليامي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «يسرني أن يكون لي في كل شيء نية حتى في الأكل والنوم. الزهد لابن المبارك (٦٤)

فقد تبيّن وهْم ابن الجوزي -أو خطأ الناسخ أو غيره- في نسبة القول لسفيان بن زبيد، مع زيادة فائدة وهي صحة الأثر.

وهكذا الحال في مئات الآثار والحمد لله رب العالمين.

وقد حذفت بعض الآثار التي تبيّن عدم صحة نسبتها إلى أصحابها، وفيما صحّ غُنيةٌ عنها.

مثال ذلك: نقلت في الطبعات السابقة ما جاء في الحِلْية (١/ ٢٢٣) عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: إنّ من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالمًا لا ينتفع بعلمه.

فتبيّن أنه ضعيف جدا كما قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مشكاة المصابيح» (١/ ٨٩).

وقرأت بعض كتب الأدب والشعر، فوجدت فيها العديد من كنوز الأدباء والشعراء، وحِكم البلغاء والحكماء، السابقين واللاحقين.

وبهذا أكون قد أتيتُ على حياةِ السَّلف والخَلَف، وأحطتُ بقدرٍ كثيرٍ ثمينٍ من سِيَرهم وأخبارهم، وقصصهم وحكاياتهم، وأحوالهم ومآثرهم، وأقوالهم وحِكَمهم، انتقيتها من أكثر من ستين مصدرا، وغالب هذه المصادر تحوي أكثر من مجلد، أخذت منها صفوها وأعرضت عن كدرها -إن وُجد-.

وقد أغنيتك -أخي القارئ- عن الرجوع إلى جلّ هذه المصادر -خاصة

كتب الزهد والطبقات-، لا تزهيدًا فيها، وإنما تيسيرًا لك؛ لأني فتشتها ودققت وتأملت فيها وجردتها، فاستخرجت أحسن وأنفع ما فيها -وفق منهجي في كتابي-، وتركت ما سوى ذلك.

ولما كان الخاطر حاضرًا حين القراءة: دوّنت وعلَّقتُ بما جاد به، دون تكلُّفٍ واستدعاءٍ لِما أكتب، بل **كنتُ أمْلي ما يجول في خاطري من تأملاتٍ ووقَفات**، فدوَّنتُها ابتداءً لنفسي، ثم رأيتُ بعد أن تأمّلت أن يَعُم نفعها وتُطبع ضمن كتابي هذا.

وقد أكرمني كثير من الإخوة بإعارتي كثيرًا من هذه الكتب، وساعدني آخرون في مراجعة الكتاب وتصحيحه، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

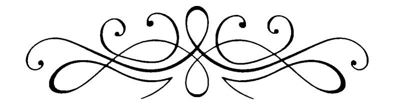
فها هي **الطبعة الرابعة** -ولله الحمد- **تخرج بمزيد عناية ووافر إفادة**، بعد أنْ أمضيتُ في إعداد الكتاب منذ بدأتُ به إلى وقتي هذا قرابةَ **عشرين عامًا**، أقرأ وأجمع فيه ما تناثر من دُرر أقوال وأحوال السَّلف رحمة الله عليهم، فأنتقل من كتاب إلى كتاب، ومن فنٍّ إلى فنٍّ، وأتنزّه في الرياض النضرة، وأسبح في الأنهار الجارية العذبة؛ في كتب التفسير؛ كتفسير القرطبي والسعدي والمنار، وكتب الحديث وشروحها؛ كفتح الباري والمفهم، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن رجب وابن الجوزي، وكتب الآثار؛ كالزهد للإمام أحمد وأبي داود وابن المبارك وغيرهم، وكلّما وقعت عيني على زهرة جميلة قطفتها، وعلى لؤْلؤَةٍ ثمينة أخذتها، فملأت الكتاب بأبهى الزهور وأغلى اللآلئ.

فلا غرو أن كان كتابي هذا هو مشروعَ حياتي؛ والحبيب إلى قلبي، الذي بذلتُ فيه قصارى طاقتي ووسعي.

وهو الكتاب الوحيد الذي أعيد فيه وأكرر ولا أملّ، وأزيد فيه وأصوّب.

أسأل الله العلي العظيم **أن يرزقنا الإخلاص والقبول**، في القول والعمل، **وأن يجعل هذا الكتاب مقبولًا باقيًا بين الناس**، داخلًا في العِلم النافع، دائمَ الأجر والثواب، كما قال رسولنا الكريم ﷺ: «إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو **علمٍ يُنتفَعُ به**، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»[١].

وأسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن **تخرج هذه الطبعة بأبهى حُلَّة، وأحسن صُورة، تنقيحًا وتعليقًا وإضافة**، راجيًا المولى عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بها، كما نفع بما قبلها وأعظم، وأن يجزي خيرًا من أسدى لي نصيحة، أو أهدى إليّ ملحوظة، أو تكرَّم وتلطَّف بشكرٍ وثناء، وتشجيعٍ ودعاء. والحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).



مَنْهَجِي فِي اخْتِيَارِ مَادَّةِ هَذَا الكِتَابِ

١- ذكرت كلَّ ما يتعلَّق بحياةِ السَّلف مِن الصَّحابة والتَّابعيْنَ ومن تبعهم بإحسان، مِمَّا يُفيد المسلمَ في أمْرِ دينِه ودُنياه، وما يعينه على إصلاحِ حالِه وقلبِه، وإصلاحِ خُلُقِه وسلوكِه.

وأما ما سِوى ذلك فلم أذكره لقلة الفائدةِ مِن ذكره.

وَمِنْ ذَلِكَ:

أ- المصطلحات والتعريفات التي لا معنى لها أو يصعب فهمها، **مِثْل قَوْلِ بَعْضِهِمْ**: قلب المحب يهيم بالطيران، وتكلمه لدغات الشوق والخفقان.

وَقُولُ بَعْضِهِمْ: الإخلاص: ارتفاع رؤيتك عن فعلك.

والتوكل: إسقاط رؤية الوسائط والتعلق بأعلى الوثائق.

قَالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١): في معرض رده على أمثال هذه المصطلحات - كالفَناء والاتصال وجمع الشواهد وجمع الوجود وجمع العين:

«ولم يأتِ له ذكْرٌ في القرآن، ولا في السُّنَّة، ولا يعرفُه إلا النَّادر مِن النَّاس، ولا يتصورُه أكثرُهم إلَّا بصعوبة ومشقة، ولو سَمِعه أكثرُ الخلْق لما فَهِموه ولا عرفوا المرادَ مِنْه إلا بترجمة، فأين في كتابِ الله أو سنَّة رسولِه أو كلام الصَّحابة الذين نسبة معارف مَن بعدهم إلى معارفهم كنسبة فضلِهم ودينِهم وجهادِهم إليهم ما يدل على ذلك أو يشير إليه، فصارَ المتأخرون أربابَ هذه الاصطلاحات الحادثةِ

بالألفاظ المجملة والمعاني المتشابهة أعرف بمقامات السَّالكينَ ومنازل السائرينَ وغاياتها مِن أعلم الخلْق بالله بعد رسلِه؟ هذا مِن أعظم الباطل...

فلا تجد هذا التكلُّفَ الشديد والتَّعْقيدَ في الألفاظ والمعاني عند الصَّحابة أصلا، وإنَّما يُوجد عند مَن عَدَلَ عن طريقِهم». ا.هـ بتصرف[1].

ب- ما قِيلَ في مَدْح أعيانِ بعضِ النَّاس والثناء عليهم؛ ككثرة حفظِه، أو حسُنِ صوتِه في تلاوةِ القرآن، أو ما لَه مِن مَنْزلة ومكانة عند العلماء والكبراء، وغيْرِ ذلك، إلا ما كان في ذكره فائدة ظاهرة.

ج- المسائِل الفقهية، والفتاوى، والتَّفاسير التي نُقلتْ عن السَّلف، فلها كتبها الخاصة المفردة بها.

د- ما لا فائدةَ مِن ذكرِه، أو فائدتُه قليلة مِن القَصَص والخُطَب وغيرِها.

هـ- الإسرائيليات التي لا نعلم صحَّتَها، وربَّما ذكرتُ بعضها -للاستئناس- إن كان في ذكرها فائدة.

٢- علّقت على كثير من الآثار بما تيسّر، ونقلت كثيرا من أقوال العلماء وتعقيباتهم وتعليقاتهم وجعلتها في الحاشية، وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن رجب وابن الجوزي وغيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

وإذا كان التعليق أو والتعقيب في أصل الكتاب الذي انتقيت منه جعلته في المتن عقيب الأثر مباشرة إلا ما ندر.

ولأهل العلم تعليقات واستدراكات نفيسة جدا، ولا يُمكن الاستفادةُ من أكثرها أو كثيرٍ منها إلا بصعوبة بالغة؛ لأنها في غير مظانّها.

فدوّنتها وسهّلت على القارئ الحصول عليها والاستفادة منها بفضل الله ومنّته وتوفيقه.

---

(١) «مدارج السالكين»: ٤/ ٤١٨-٤١٩.

٣- مهَّدتُ بمدخلٍ للتعريف الموجز بالسلف الصالح، وخصائصهم، وواجبنا تجاههم، وسمات منهجهم في العقيدة.

٤- جعلت جلّ اهتمامي التأكد من صحة وصواب ما نُقل عن السلف، وأما الأسانيد فقد استبعدت ما ظهر لي شدّة ضعفها أو وقفت على عالم ضعّفها.

وانتقيت من كتب الزهد -وهي الزهد للإمام أحمد، وأبي داود، والمعافى الموصلي، وأسد بن موسى، وابن المبارك، وهناد بن السري، ووكيع-، ومسند الدارمي: ما صحّ عند محققيها؛ حيث قام من حققها بتمييز الآثار الصحيحة والحسنة من الضعيفة.

فإذا عزوت الأثر لأحد هذه المصادر فهو أثرٌ صحيح عند من حققها، وأعني بالصحيح الذي هو ضد الضعيف، فيشمل الحسن.

وما سوى ذلك فاكتفيت بصحة وصواب المنقول.

٥- أضفْتُ إلى كُتُب السِّيَر والتَّراجم والتَّواريخ نوعين مِن الكتُب:

* كتب العقيدة.

* كتب الأدب.

حيثُ لم تستوعب كتب التراجم ما نُقل عن السلف في هذين النوعين.

٦- أدخلْتُ في هذا الكتابِ بعْضَ المواضيع التي لا يشملُها عِنوان الكتابِ مِثْل: أحوال المنتكسين؛ للحذر والاعتبار والاتعاظ، وأكون بهذا قد حويت أكبر قدر مِن نقولِهم وأحوالِهم في شتى المواضيع.

٧- تجنَّبْتُ الآثارَ المنقولةَ عن بعْضِ السَّلف، المخالفةَ للكتاب والسنة، **ومِن ذلك:**

أ- ما يقدَحُ في العَقِيدة أو يُضادُّها، مما يُحكى عن بعض العلماء أو الزهاد أو

الوعاظ، فالكثير مما نُقل عنهم لا يثبت، وكثير منه صدر عن اجتهادٍ يُعذر صاحبه، ولا يجوز لمن عَلِمَه أن يقلده ويقتدي به.

وهي وإن كانَتْ قليلةً ونادرةً فقد وُجد شيء من ذلك: كالتَّوسل بالموتى، والاستغاثة بهم، وغير ذلك.

ب- ما يخالفُ الكتابَ والسُّنَّة، والأمثلة على ذلك كثيرة، **سأكتفي ببعضها:**

١- **ما يُذكر عن بعْضِهم:** أنه لا يسأل اللهَ الجنَّة؛ لشدةِ خوفِه وحيائِه مِنْه، وكذلك **ما يُذكر عن بعْضِهم:** أنَّه يصومُ الدهرَ ولا يتزوجُ النِّساء، وغير ذلك.

٢- ما ذكره القاضي عِياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بعضهم أنه أقام فوق أربعين سنة إذا دخل شهر رمضان لم يكلم أحدًا من الناس، لا أهلًا ولا ولدًا، فإذا أراد حاجة كتب بها!.

ولا يخفى أن نبينا وقدوتنا ﷺ قد اعتكف في رمضان في مسجده فجاءت إليه صفية زوجه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تزوره، ثم قامت فقام معها، فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال النبي ﷺ: على رسلكما إنها صفية بنت حيي[1].

٣- ما نَقله كذلك عن بعضهم قوله: إنما تركت العلم لله؛ لأن أهله أدخلوا فيه ما ليس فيه!.

وهذا حُمق؛ **لأن العلم الشرعيّ لا يُترك لأجل ما أُدخل فيه من الخطأ والبدع، بل الواجب التحري والاجتهاد.**

٤- ما نَقله عن بعضهم أنه قال: كان الرزق أبطأ علي مرة، فقالت لي نفسي: تعرّض للرزق، فخرجت، فسمعت معلمًا يقرئ صبيانًا هذه الآية: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ [المؤمنون:١٧] فانتبهت من ذلك ورجعت إلى بيتي، فجلست!.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨١).

وهذا مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح ومَن بَعدهم، فقد أمر الله تعالى بالسَّعي في مناكب الأرض، والنبي ﷺ قد قال: «**جعل رزقي تحت ظل رمحي**»[١].

ومازال الناس سلفًا وخلفًا يخرجون يطلبون الرزق، ولم يجلسوا في بيوتهم حتى يأتيهم.

٥- ما نَقله عن آخر أنه لا يأكل إلا ما عَلم طيبه، وطيب أصله، وتصرفَ المواريث فيه، وانتقال أملاكه على ما يجب، وأن أهله كانوا يزكونه!.

وهذا تنطُّعٌ مُبالغ فيه، مخالف لما جاء عن نبينا ﷺ، قال البخاري في صحيحه: (باب من لم ير الوساوس ونحوها من الشبهات)، ثم ذكر بسنده عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن قوما قالوا: يا رسول الله إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أَذَكروا اسم الله عليه أم لا؟!، فقال رسول الله ﷺ: «**سموا الله عليه وكلوه**».

قال الحافظ ابن حجر: هذه الترجمة معقودة لبيان ما يُكره من التنطع في الورع.

وغرض المصنف هنا بيان ورع الموسوسين، كمن يمتنع من أكل الصيد خشية أن يكون الصيد كان لإنسانٍ ثم أَفلت منه، وكمن يترك شراء ما يَحتاج إليه من مجهول لا يدري أماله حلال أم حرام، وليست هناك علامة تدل على الثاني. ا.هـ[٢].

ومثل هذه الحكايات تؤثر في قلوب الضعفاء والجهلاء، وتُفسد أديانهم ودنياهم، فربما عملوا بها فضلُّوا وأضلّوا.

وكثيرًا ما أقفُ على قصص وأحوال بعض العُبَّاد والزهاد وغيرهم، ممن آثر التَّقشُّف وتَرَك الطيِّب من الطعام والشراب والمتاع، حتى أضَرّوا بأنفسهم، بدعوى تهذيبها وإصلاحها، فإذا قارنتَ حياة نبينا ﷺ وحياة جمهور أصحابه

---

(١) أخرجه البخاري معلّقًا قبل حديث (٢٩١٤)، وأخرجه الإمام أحمد (٥٦٦٧).

(٢) فتح الباري، بتعليق ابن باز (٤/ ٢٩٥).

رأيتَ الفارق بينهم، حيث يأكلون الطَّيِّب إذا تيسَّر لهم، ولا يتقصَّدون ردّه إلا نادرًا في حالاتٍ معينة، ويلبسون الثياب الحَسَنة، ويتزوجون ما يشتهون من النساء، ويشترون ويبيعون، ويمزحون ويضحكون، ولا يتكلَّفون.

وإذا تأمَّلتَ القرآن وجدتَه يدعو إلى **الاستمتاع بما أحل الله من الطيبات**، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧]، قال الطبري: يعني بـ«الطيبات»: اللذيذات التي تشتهيها النفوس، وتميل إليها القلوب، فتمنعوها إيّاها، كالذي فعله القسِّيسون والرُّهبان، فحرَّموا على أنفسِهم النساءَ والمطاعمَ الطيِّبة، والمشاربَ اللذيذة، وحَبس في الصَّوامع بعضُهم أنفسَهم، وساحَ في الأرض بعضهم.

يقول تعالى ذكره: فلا تفعلوا أيُّها المؤمنون، كما فعل أولئك، ولا تعتدُوا حدَّ الله الذي حدَّ لكم فيما أحلَّ لكم، وفيما حرم عليكم، فتُجاوزوا حدَّه الذي حدَّه، فتُخالفوا بذلك طاعته، فإن الله لا يحبُّ من اعتدى حدَّه الذي حدّه لخلقه، فيما أحل لهم وحرَّم عليهم. ا.هـ[١].

فأيقنت أن طريقة هؤلاء الزهاد المتأخرين على خطأ، وأنهم جَنَوا بذلك على أنفسهم وعلى الدِّين، بزعمهم أن الله تعالى يُحب ذلك!، ولو لم يعتقدوا ذلك ما فعلوه رغم صعوبته وشِدَّته.

ج- ما يدعو إلى تبجيل الشيوخ، **وعدم الاعتراض عليهم ولو أخطَؤوا**، حيث رووا رواياتٍ تُحرِّم على الطالب الاعتراض على شيخه وأستاذه!، بل ومجرد السؤال عن الحجة فيما يقولون أو يفعلون!، وأكثر من يَروي هذه الصوفية والرافضة؛ لكي يبث شيوخهم ضلالاتهم وسمومهم على الناس، ويضْمَنون عدم الاعتراض عليهم.

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٥١٣).

فمن هذه الروايات: ما حُكي عن الشيخ أبي عبدالرحمن السُّلَميّ أنه قال: قلتُ يومًا للأستاذ أبي سهل في كلام يجري بيننا: لم! فقال لي: أما علِمتَ أن من قال لأستاذه: لم! لا يفلح أبدًا.

ورُوي عن أبي سهل كذلك أنه قال: عقوق الوالدين يمحوها الاستغفار، وعقوق الأستاذين لا يمحوها شيء!!.

وهناك مخالفاتٌ في باب العقائد، كالتبرك بالأموات، وغير ذلك، فأعرضتُ عن هذه القَصص والحكايات والأقوال؛ لأنها إما مكذوبة عليهم، وإما أخطاء وقعوا فيها، ولا يجوز لنا أن نقع فيما وقعوا، فالمؤمن يَتبَع الحق لا الرجال، (فاعرف الحق تعرف أهله)[1].

د- التواريخ والمعارك والأحداث، فهذه لها كتبها الخاصة.

هـ- ما يخالِفُ العَقْلَ والواقع، **كما يُذكر عن بعْضِهم**: أنه لا يأكل في الشَّهر إلا وجبتين فقط، وبعْضهم احْتَبس بولَه أربعةَ عشر يومًا، **وما يُذكر عن بعْضِهم**: أنه يمشي على الماء، فقد **رُوي عن بعْضِهم**: أنه جاء إلى أحد هؤلاء وهو قائم يصلي على الماء، قال: فلما أحس بي: أوجزَ في صلاتِه، ثم أخذ بيدي، فوقفني على البحر، وحرَّك شفتيه، فقلتُ في نفْسِي: إنْ مَشَى على الماءِ مشيتُ معَه، فما لَبِثَ إلا يسيرًا، فإذا الحيتانُ قد برزت مدَّ البحر، وقد أقبلَتْ إلينا رافعةً رؤوسها مِن الماء، فاتحةً أفواهها، فقلْتُ في نَفْسي: أين ابن بشر الصياد؟ فلمَّا ذكرتُه في نَفْسي تفرَّقت؟!!!... **صفة الصفوة»**: (٢ / ٦٦١).

و- المبالغاتُ والتُّرهات التي لا تليق بكرامةِ الإنسان، فضلًا عن المسلم، فضلًا عن أهْلِ العِلْم والفضل.

---

(١) مقولة مشتهرة عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر تفسير أبو المظفر السمعاني (٤٢٦ - ٤٨٩هـ) عند تفسير سورة البقرة آية ٤٢.

مِن ذلك: ما يُذكر عن **الحَسَنِ الفَلاسِ** أنَّه يلبس ما في المزابل!.

ومثل ذلك: قول **سَرِيٍّ السَّقَطِيِّ**: تُعجبني طريقةُ **الحَسَنِ**، وكان **الحَسَنُ** لا يأكل إلا القمامة!.

ز- الأحكام التي تقال في التَّزهيد من الدنيا، ورغد العيش التي لا دليل عليها، **مِثَالُ ذَلِكَ**: ما رُوي عن **إبْرَاهِيم التَّيمِي** أنه قال: ما أكل آكل أكلةً تسره ولا شرب شربه تسره إلا نقص بها من حظه من الآخرة، ومثل هذا الكلام يحتاج إلى توقيف ولا مجال فيه للاجتهاد.

ي- ما قيل في المبالغة في الخوف والبكاء إلى حد لا يتصوره عقل ولا يُقره نقل، **مثل ما يُذكر**: عن **سُفْيَان** أنه قال: كان **سَعيدُ بنُ السَّائِب** لا تكاد تجف له دمعة: إن صلى فهو يبكي، وإن طاف فهو يبكي، وإن جلس يقرأ القرآن فهو يبكي، وإن لقيته في الطريق فهو يبكي!.

ومثل ما يُذكر أن بعْضِهم: لم يرفع رأسه إلى السماء ولم يضحك أربعين سنة!.

ومثل ما يُرْوَى أَنَّ أَبَا سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! أَخَذَ قَدَحَ الْمَاءِ لِيَتَوَضَّأَ لِصَلَاةِ اللَّيْلِ وَعِنْدَهُ ضَيْفٌ، فَرَآهُ لَمَّا أَدْخَلَ أُصْبُعَهُ فِي الْقَدَحِ أَقَامَ لِذَلِكَ مُتَفَكِّرًا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا يَا أَبَا سُلَيْمَانَ؟ قَالَ: إِنِّي لَمَّا طَرَحْتُ أُصْبُعِي فِي الْقَدَحِ تَفَكَّرْتُ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [غافر: ٧١]، تَفَكَّرْتُ فِي حَالِي وَكَيْفَ أَتَلَقَّى الْغُلَّ إِنْ طُرِحَ فِي عُنُقِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَا زِلْتُ فِي ذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحْتُ.

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٤١)، **مُعَلِّقًا عَلَى هَذِهِ القِصَّة:**

«فَهَذَا نِهَايَةُ الْخَوْفِ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا، وَلَيْسَ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ الَّذِينَ هُمُ الْحُجَّةُ عَلَى هَذَا الْمِنْهَاجِ، وَقِرَاءَةُ عِلْمِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَمَعَانِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

لِمَنْ يَفْهَمُ وَيُرْجَى نَفْعُهُ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا». ا.هـ[1].

عِلْمًا بأنَّ ما ذُكر مِن أخطاءٍ وزلات لم توجدْ في عهد الصَّحابة والتابعيْنَ غالبًا، بل **حَدَثَت بعدهم**، وفي كثير مِنْها لم تصح، ولم يثبُتْ سندُها كما تقدَّم بيانُه.

٨- اكتفيت من المصادر بمصدَرٍ أو مصدَريْنَ لكلِّ نقل؛ فإنَّ أكثرَ العلماء في هذا الباب يَنْقل بعْضُهم عن بعْضٍ، ولو تتبعتُ هذه المصادر لزاد حجم الكتاب بلا فائدة تُذكر.

٩- اخترت من الأبيات الشّعريّة، والحِكم البليغة، القديمة والحديثة، ما تحمل في طياتِها المعاني الجميلة، والعبارات الهادفة الواضحة، التي تزيد الكتابَ حلاوةً وجمالًا.

١٠- اجتهدت في تدوين وفيات الأعيان، وقد واجهت في ذلك صعوبة بالغة، وخاصة في الأعيان غير المشهورين، والأسماء المتشابهة؛ مثل: سفيان، إبراهيم، فهل سفيان هو الثوري أم ابن عيينة، وهل إبراهيم هو النخعي أم التيميّ، والأسماء التي شحّت كتب التراجم بترجمتها، والأسماء التي اختُلف في سنة وفاة أصحابها.

والأعيان غير المشهورين الذين لم أهتد لتاريخ وفاتهم ولم يكن في ذكرهم أهميّة: حذفتهم وقلت: قال بعض السلف، فالعبرة بأقوالهم وأفعالهم لا بأعيانهم.

وقد سلك هذا ابن تيمية وابن القيم وابن رجب رَحِمَهُمُ اللَّهُ وغيرهم.

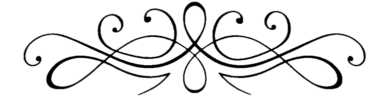
١١- صححت الأخطاء المطبعيّة، وهذا تطلّب مني الرجوع إلى العديد من المصادر للتأكد والتحقق.

١٢- شرحت معاني الألفاظ؛ واعتمدت في ذلك على كتب اللغة، وفي كثير من الأحيان لا أشير إلى المصدر.

---

(١) «تفسير ابن عطية» المعروف بـ«المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»: (١/ ٥٥٥).

١٣- شرحت الْعبارات الغامضة؛ واعتمدت في ذلك على كتب أهل العلم، وإذا لم أقف على من شرحها اسْتعنت بالله فشرحتُها بما فتح الله علي.





مَنْهَجِي فِي تَرْتِيبِ مَادَّةِ هَذَا الكِتَابِ

١- قسَّمْتُ الكتابَ إلى مواضيعَ وعناوين، وربَّما جعلْتُ عناصرَ تحتَ أحدِ العناوين لكثرةِ فروعِه.

٢- اعتنيتُ بشموليةِ العناوين، فكلُّ ما يشمله العنوانُ أو يدورُ حولَه جعلْتُه ضمن هذا العنوان، **فَمَثَلًا**: أدخلْتُ تحتَ موضوعِ: «**الرَّجَاءِ، وحُسْنِ الظَّنِّ باللهِ**» كلَّ ما يتعلَّق بالرَّجَاءِ، فذكرْتُ أقوالَ السَّلف في فضْلِ الرَّجَاءِ، وحُسْنِ الظَّنِّ بالله، والقَصص في ذلك، **وَمَا قِيلَ**: عن رحمةِ الله وعفوه وتجاوزِه، والقَصص في ذلك.

٣- رتبْتُ النُّقول عن السَّلف على حسبِ القُرون، فأبدأ أولًا بقَرْن الصَّحابة، ثم قَرْن التَّابعيْنَ، ثم تابعيهِم، وهكذا بقدْرِ الإمكان.

٤- إذا وجدْتُ كلامًا لأحدِ السَّلف يحتوي على عِدَّة مواضيع، فربَّما جزَّأْتُ كلامه، ووضعته تحتَ ما يناسبُه مِن العناوين.

وَأضْرِبُ لَذَلِكَ مَثَلًا:

* **عَنْ سَعِيدِ بْنُ جُبَيْرٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ **قَالَ:**

«**إِنَّ الخَشْيَةَ أَنْ تَخْشَى اللهَ حَتَّى تَحُوْلَ خَشْيَتُكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، فَتِلْكَ الخَشْيَةُ، وَالذِّكْرُ طَاعَةُ اللهِ، فَمَنْ أَطَاعَ اللهَ، فَقَدْ ذَكَرَهُ، وَمَنْ لَمْ يُطِعْهُ، فَلَيْسَ بِذَاكِرٍ، وَإِنْ أَكْثَرَ التَّسْبِيْحَ وَتِلَاوَةَ القُرْآنِ**». تهذيب الحلية: ١٠٤/ ٢، السِّير «: ٤/ ٣٢٦.

فَقُمْتُ بِهَذَا التَّرْتِيبِ:

* عَنْ سَعِيدِ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ:

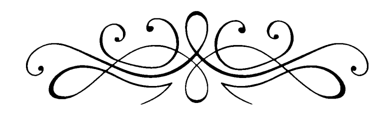
«إِنَّ الخَشْيَةَ أَنْ تَخْشَى اللهَ حَتَّى تَحُوْلَ خَشْيَتُكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، فَتِلْكَ الخَشْيَةُ». تهذيب الحلية: ٢/١٠٤، السِّيَر: ٤/ ٣٢٦.

* عَنْ سَعِيدِ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قَالَ:

«الذِّكْرُ طَاعَةُ اللهِ، فَمَنْ أَطَاعَ اللهَ، فَقَدْ ذَكَرَهُ، وَمَنْ لَمْ يُطِعْهُ، فَلَيْسَ بِذَاكِرٍ، وَإِنْ أَكْثَرَ التَّسْبِيْحَ وَتِلاَوَةَ القُرْآنِ». تهذيب الحلية: ٢/١٠٤، السِّيَر: ٤/ ٣٢٦.

فكتبتُ الجزءَ الأوَّل تحتَ موضوع: **الخَوْف وَالخَشْيَة.**

والجزءَ الثَّاني تحتَ موضوع: **الذِّكر.**





أربعة تنبيهات مهمة

التنبيه الأول: جَرَتْ عَادَةُ أَهْلِ العِلْمِ:

أَنَّهم ينقلونَ الكلامَ الحسَنَ مِمَّن كانتْ عِنْده بعض الأخطاء والزلات، إذا كان الغالبُ عليه استقامةَ الحال، ولو تركنا النَّقل والاستفادة مِمَّن عنده مثل هذه الأخطاء لخسرنا آلاف الآثار النَّافعة، والعلوم الصالحة، والنَّصائح المفيدة، والمواعظ المؤثرة، والحكمة ضالَّةُ المؤمن.

وَمَا زَالَ أهْلُ العِلْمِ: -كَابْنِ الجَوْزِيِّ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ القَيِّمِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، وَالذَّهَبِيِّ، وَابْنِ رَجَب- وغيْرِهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ ينقلون عن هؤلاء وأمثالهم ما يُفيد، ويتركون ما صدر عنهم مِن أخطاء، وإنْ ذكروها تعقبوها، دُونَ القدْحِ بأعيانِهم واتِّهام نواياهم.

وَقَدْ ذَكَرَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٧٤):

«عن **إِسْمَاعِيل بْن إِسْحَاقَ السَّرَّاجُ**: أَنَّه قَالَ: قَالَ لِي **أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ**: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِي **الْحَارِثَ الْمُحَاسِبِيَّ** إِذَا جَاءَ مَنْزِلَكَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ! وَفَرِحْتُ بِذَلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى **الْحَارِثِ** فَقُلْتُ له: إِنِّي أُحِبُ أَنْ تَحْضَرَ اللَّيلَةَ عِنْدِي أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ.

فلمَّا كَانَ بَيْنَ العشَاءيْنِ جَاؤوا، وَكَانَ **الإِمَامُ أَحْمَدُ** قَدْ سَبقَهُمْ فَجَلَسَ فِي غُرْفَةٍ بِحَيْثُ يَرَاهُمْ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ، فَلَمَّا صَلُّوا العَشَاءَ الآخِرَةَ، سَأَلَه رَجُلٌ مَسْأَلَة، فشَرَعَ **الحَارِثُ** يَتكَلَّمُ عَلَيهَا، وَعَلَى مَا يتعَلَّقُ بِهَا مِن الزُّهْدِ وَالوَرَعِ

وَالْوَعْظِ، فَجَعَلَ هَذَا يَبْكِي، وَهَذَا يَئِنُّ، وَهَذَا يَزْعَقُ، قَالَ: فَصَعِدْتُ إلى **الإمَامِ أحْمَدَ** إلى الغُرْفَةَ فإذَا هو يَبْكِي، حَتَّى كَادَ يُغْشَى عَلَيْهِ.

فَلَمَّا أَرَادُوا الِانْصِرَافَ قُلْتُ: كَيْفَ رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ **يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ**؟ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فِي الزُّهْدِ مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ، وَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ، وَمَعَ هَذَا فَلَا أَرَى لَكَ أَنْ تَجْتَمِعَ بِهِمْ..

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إِنَّمَا كَرِهَ ذلك؛ لأنَّ في كلامِهم مِن التَّقشفِ وشدةِ السُّلوكِ التي لم يردْ بها الشَّرعُ، والتدقيق والمحاسبة الدقيقة البليغة ما لم يأت بها أَمْرٌ، **وَلِهَذَا لَمَّا وَقَفَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيّ عَلَى كِتَابِ الحَارِثِ الْمُسَمَّى: بِـ«الرِّعَايَةِ»، قَالَ: هَذَا بِدْعَةٌ.**

ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ بِالكِتَابِ: عَلَيْكَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ مَالِكٌ وَالثَّوْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَاللَّيْثِ، وَدَعْ عَنْكَ هَذَا، فَإِنَّهُ بِدْعَةٌ». ا.هـ.

مَعَ أنَّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١):

يرى في سلوكِ هذه الطَّريقة أنَّها بدعةٌ إلَّا أنَّه تأثر مِن كلامِهم، وبكى ورقّ قلبُه، ولم يحذِّرْ مِن هؤلاء، بل حذَّرَ مِن طريقتِهم المخالفة لطريقةِ أهل السُّنَّة والجماعة مِن الصَّحابة والتَّابعيْنَ وتابعيهِم.

وَهَذَا هُوَ المَنْهَجُ الصَّحِيحُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ مَنْ عِنْدَهُ بَعْضُ الأخْطَاءِ فِي السُّلُوكِ أو المَنْهَجِ، مَعَ تَمَسُّكِهِ بِمَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الجُمْلَةِ، وَهُوَ أَنْ نُبَيِّنَ الخَطَأَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ، مَعَ عَدَمِ الامْتِنَاعِ مِن الاسْتِفَادَةِ مِنَ الجَوَانِبِ النَّافِعَةِ وَالصَّحِيحَةِ فِيهِ، وَعَدَمِ التَّحْذِيرِ مِنْهُ جُمْلَةً؛ لِتَلَبُّسِهِ بِبَعْضِ الأخْطَاءِ الَّتِي لا تُخْرِجُهُ عَنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

التنبيه الثاني: أنّ الأصل في الأخبار التي ثبتت عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن لها

حكم الرفع، أي: أنّ النبي ﷺ هو القائل، لأنها لا تُقال بالرأي، ولا يُظنّ بهم وهم أورع الناس وأخوفهم من الله أن يقولوا عن الله وعن شرعه بالرأي.

وكذلك جل ما ثبتت عن التابعين وتابعي التابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

وعدم نسبة الصحابي قوله للنبي ﷺ، وعدم نسبة التابعي قوله للصحابي، وعدم نسبة تابع التابعي قوله للتابعي: لها أسباب كثيرة.

إلا من عُرف عنه الرواية عن بني إسرائيل؛ مثل كعب الأحبار، ووهب بن منبّه رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

وأضرب لذلك مثلا:

جاء في الصحيحين: أن ربيع بن خثيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (من قال عشرا كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل).

فقال له تلميذه الشعبي: ممن سمعته؟ فقال: من عمرو بن ميمون.

فأتيت عمرو بن ميمون فقلت: ممن سمعته؟ فقال: من ابن أبي ليلى.

فأتيت ابن أبي ليلى فقلت: ممن سمعته؟ فقال: من أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠)، يحدثه عن النبي ﷺ.

فقد قال الربيع هذا الخبر ولم ينسبه لأحد، ولا يشك من سمعه منه أنه ليس من قوله؛ لأنّ هذا لا يُقال بالرأي، فلما طلب الشعبي منه أن يخبره عمن سمعه: تبيّن أنه من قول النبي ﷺ.

مثال آخر:

روى البخاري في الأدب المفرد (١٨٤) عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أبي أسماء قال: «من عاد أخاه كان في خرفة الجنة»، قيل لأبي قلابة: عن من حدثه أبو أسماء؟ قال: عن ثوبان، عن رسول الله ﷺ.

ورواه ابن المبارك في الزهد (٧٣٢) بنفس الإسناد عن ثوبان موقوفا عليه.

فهذا الخبر حدّث به مرة أبو أسماء -وهو تابعي- دون أن ينسبه لغيره، ومرة حدّث به ثوبان -وهو صحابي- دون أن ينسبه للنبي ﷺ.

وهكذا حال جلّ الأخبار الثابتة عن الصحابة والتابعين وتابعيهم.

التنبيه الثالث: أنّ الأصل فيمن نقل إلينا هذه الأخبار والقصص الصدق والأمانة.

مثال يشهد على ذلك:

قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مسعر -ولم أسمعه منه- عن سعد بن إبراهيم..

تأمل كيف روى عن مسعر -وهو شيخه وسمع منه وروى عنه- ثم قال ولم أسمعه منه، حتى لا يُوهم أنه سمع الخبر الذي رواه عنه..

فهذا دليل على تحريه للصدق والأمانة، وهذا حال جل العلماء من التابعين وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان.

وقد وقع في التدليس بعض الرواة وهم قلّة، ومعنى التدليس: أن يروي عن آخرَ لم يسمعْه منه أو لم يُدْرِكْه.

وقد تتبع العلماء هؤلاء المدلسين، وضعفوا رواياتهم إلا إذا صرحوا بالتحديث؛ كأن يقولوا: أخبرنا فلان، ولهم تفصيل ليس هذا موضعه.

التنبيه الرابع: أنّ أهل العلم لا يشدّدون في صحة الآثار المنقولة عن السلف الصالح المتعلقة بالرقائق والأخلاق والآداب والحِكَم، إذا صحّ المعنى وسلم من الخطأ.

وأهل العلم يتساهلون في رواية مرويات المغازي والسِّيَر، والأخلاق والسلوك وأحوال العُبّاد والصالحين، إلا ما كان فيه مخالفةٌ في التشريع والعبادة أو العقيدة.

وإذا كان النبي ﷺ رفع الحرج عن رواية الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل ما لم تُخالف ما جاء في شريعتنا: فمن باب أولى رفع الحرج عن رواية الأخبار المنقولة عن أمّته، التي هي أصدق الأمم وأعلمها.

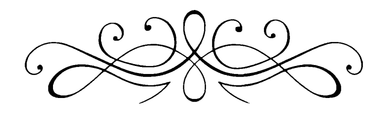
والغاية منها صلاح الدنيا والدين، فلا ينبغي التشدد في صحة الأسانيد إلا ما تعلّق بالحلال والحرام، أو الأمور الغيبية ونحوها.

وقد حدث أحد السلف مرة بحديث فقال له رجل: عمّن هذا الحديث؟.

فقال له: ما تصنع بعمّن؟.

أما أنت فقد نالتك عِظَته، وقامت عليك حجته. أدب الدين للماوردي (١٠٤).

وإنما أردت بهذه التنبيهات أن يطمئن قلبك لهذه الآثار، وأن يكون لها وقع على نفسك، وأن تكون محل اهتمام وعناية لديك.





ثلاثة أمور لاحظتُها خلال قراءتي في سِيَر وطبقات العلماء

الأمر الأول: أنني لم أجد في القرون الثلاثة المفضلة ما يُخالف الكتاب والسنة في العقيدة والأخلاق والتعامل إلا النَّزر اليسير، ولم أجد فيهم التعصُّب للآراء والمذاهب والرجال، وما نُقل عنهم مِن كراماتٍ فهو قليل جدًّا، بخلاف القُرون التي جاءت بعدها، فقد وجدت الكثير من الأخطاء والبدع والتعصُّب، والحكايات عن الكرامات، **فكلَّما بَعُدَ الزمان عن القرون المفضلة ازداد ذلك**، حتى إنه لا يكادُ يصفو لي من صوابٍ ما نُقل عن القرون المتأخرة إلا القليل.

الأمر الثاني: أن علماء المذهب الحنبلي أكثر عِنايةً بالتوحيد والعقيدة، وأكثر زُهدًا وبُعدًا عن تقلُّد المناصب والقَضاء والجاه، ويأتي من بعدهم علماء المذهب المالكي، ثم علماء المذهب الشافعي، ثم علماء المذهب الحنفي، حيث رأيتُ عند علماء الحنفيَّة كثرة العناية بالكلام والاشتغال بالجِدال، ورأيتُ كثرةَ التَّصوّف والاعتِزال فيهم، وتقلّد المناصب كالقضاء وغيره، وتأليف المصنفات وشرح الكتب.

فكانت أكثر المذاهب التي وجدتُ فيها بُغيتي وحصَّلتُ فيها ضالتي **هي كتب الحنابلة والمالكية** [1]، وكنتُ أَغرِفُ منها العديد من القَصص والعِبَر، واللَّطائف

(١) من الشخصيات التي تأثرتُ بها كثيرًا، والتي ما كنت أظن بأصحابها أنهم بهذه المكانة **من العلم والعبادة والورع والزهد والصدع بالحق:**

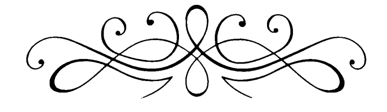
١- عبدالسلام (سحنون) بن سعيد التنوخي (١٦٠-٢٤٠ هـ). =

والدُّرَر، ثم كتب الشافعية، وأما كتب الحنفية فلم أجد فيها إلا النَّزر اليسير.

الأمر الثالث: كثرة المصنفات، التي تتجاوز الآلاف، وأكثرها قد فُقد، أو هُجر وتُرك، ولم يبقَ إلا القليل، حتى إني كثيرًا ما أجدُ لبعض العلماء أكثر من مائة مُصنَّف، ولا يكاد الكثير من العلماء وطلاب العلم يعرف واحدًا منها.

وفي هذا الزمان كثُرت المؤلفات، وهي أكثر مِن أيِّ زمانٍ مَضى، وإن سعى أصحابها ودور النشر إلى إشهارها؛ فستندثر كما اندثر كثيرٌ من الكتب السابقة، **ولن يبقَى إلا ما كَتَبَ الله لها البقاء والقبول.**

قال صاحب كتاب الفوائد البهية في تراجم الحنفية (٤٣-٤٤): «الحق أن قبول تصنيفٍ في أعين المستفيدين، واعتماده في أبصار الفاضلين: ليس مداره على مقدار فضل المؤلفين، **وإنما هو فضلُ ربِّ العالمين، ومَداره على النيَّة،** فإنما الأعمال بالنيات».ا.هـ.



= ٢- الحافظ عَبْدالغني بن عبد الواحد المقدسي (٥٤١-٦٠٠ هـ).

٣- عماد الدين إِبْرَاهِيم بْن عَبْد الْوَاحِد المقدسي الدمشقي، أَخُو الحافظ عَبْدالغني (٥٤٣-٦١٤ هـ).

٤- شمس الدين أبو الفرج عَبْد الرَّحْمَنِ بْن أَبِي عُمَر مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن قدامة المقدسي (٥٩٧-٦٨٢ هـ).

رحمهم الله جميعًا.



مَدخل

التعريف بالسَّلف الصالح، وخصائصهم، وواجبنا تجاههم، وسمات منهجهم:

تَعْرِيفُ السَّلَفِ.

السَّلَفُ: هُمْ صدْرُ هذه الأُمَّة مِن الصَّحابة والتَّابعينَ وأئمةِ الهُدى في القرونِ الثَّلاثة المـُفَضَّلة.

وَيُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى: مَن اهتدى بهدْيهم، وسارَ علَى نهْجِهم، ولو جاءَ بعْدَهم بقرونٍ طَويلَة.

فَيُقَالُ لَه: سَلَفِيٌّ، نسْبَةً إليهِمْ.

وَهَذَا الاسْمُ: قد اسْتُعمل في القُرون الثَّلاثة المـُفَضَّلة، لكنْ لـَمْ يَكنْ مَشْهورًا ومُتداولًا، خِلافًا لـمَنْ نفى ذلك، وزعم أنَّه لـَمْ يُوجدْ إِلَّا بعْدهم.

فَقَدْ قَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): **«مَا عَلَى الرَّجُلِ إِذَا كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: إِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ هَوًى، وَلَا يَشْتُمُ السَّلَفَ، وَلا يُخَالِطُ السُّلْطَانَ»**.[١].

وَعَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥)، **قَالَ: «سُئِلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا (ت: ٧٣): **«هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الخَوْفِ؟ قَالَتْ: لاَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَبْكُونَ»**.[٢].

وقِيلَ لِحَمْدُونَ الْقَصَّارِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧١): **«مَا بَالُ كَلَامِ السَّلَفِ أَنْفَعُ مِنْ**

---

(١) الحِلْية ٨/ ١٠٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٨/ ٣٧٦، الزهد للإمام أحمد (٩٨٤).

كَلَامِنَا؟»، قَالَ: «لِأَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا لِعِزِّ الْإِسْلَامِ، وَنَجَاةِ النُّفُوسِ، وَرِضَا الرَّحْمَنِ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ لِعِزَّةِ النَّفْسِ، وَطَلَبِ الدُّنْيَا، وَقَبُولِ الْخَلْقِ»(١).

وَعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٧)، قَالَ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا أُنْشِرَ فِيكُمْ مِنَ السَّلَفِ مَا عَرَفَ غَيْرَ هَذِهِ الْقِبْلَةِ»(٢).

وَقَدِ اسْتُعْمِلَ هَذَا اللَّفْظُ مِن غَيْرِ «ال» التَّعْرِيفِ: اسْتعمالا كثيرا في وقتِهم، فَمِنْ ذلك: قَوْلُ الْأَوْزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧): «اُسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ»(٣).

ومِن ذلك مقولتُه المَشْهورة: «عَلَيْك بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بِالقَوْلِ، فَإِنَّ الأَمْرَ يَنجَلِي، وَأَنْتَ عَلَى طَرِيْقٍ مُسْتَقِيْم»(٤).

وَلَفْظَةُ «السَّلَفِ» لَهَا اعْتِبَارَانِ: اعْتِبَارُ زَمَانٍ، وَاعْتِبَارُ مُعْتَقَدٍ:

فَأَمَّا السَّلَفُ بِاعْتِبَارِ الزَّمَانِ: فهم القُرون الثَّلاثة المـُفضلة فقط، الذين شَهِدَ لهم النَّبيُّ ﷺ بالخيريَّة، كما في حَديثِ: عِمْرَانَ بْن حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»(٥).

وَالحُكْمُ بِالخَيريَّةِ فِي هَذِهِ القُرُونِ حُكْمٌ مُخْتَلِفٌ: فالخيرية في قَرْنِ النَّبيِّ ﷺ، والصَّحابةِ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيهِم-، هو باعتبار الأعيان، فأعيانُهم خيرٌ ممَّنْ يأتي بعْدَهم، إذ لا يأتي بعْدَ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَن هو خيرٌ مِنْهم؛ لأنَّ لهم شرفَ الصُّحبة للنَّبيِّ ﷺ، وهذه منزلةٌ وفضيلةٌ لا تكونُ لغيرِهم.

(١) الحِلْية (١٠: ٢٣١)، شعب الإيمان (١٧٠١).

(٢) البدع والنهي عنها لمحمد بن وضاح القرطبي (ت: ٢٨٧ هـ): رقم: (١٧٩).

(٣) الحِلْية ٨/ ٢٥٥.

(٤) «الشريعة»، لأبي بكر الآجري، (ت: ٣٦٠ هـ): تحقيق: د. عبد الله الدميجي: ١/ ٤٤٥، رقم: (١٢٧)، «السِّيَر» للذهبي، (ت: ٧٤٨ هـ): ٧/ ١٢٠.

(٥) «متفق عليه»، البخاري، واللفظ له: (٣٦٥٠)، ومسلم: (٢٥٣٥).

وَأَمَّا الخَيرِيَّةُ فِي القَرْنَينِ الآخرَينِ: فهو باعتبار العموم والأغلب، فالأغلبُ أنَّ القَرْن الثاني خيرٌ مِن الثَّالث، والثَّالثَ خيرٌ مِن الرَّابع في الجملة، بغض النَّظر عن الأفراد، فقد يأتي مِن الأفراد في القُرون المُتأخرة، مَن هو خير وأفضل مِمَّن قبلَه، عدا قَرْن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهكذا.

وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلاَّ الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ**»(١).

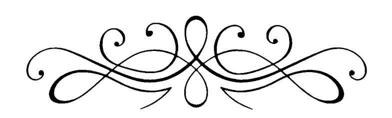
وهذا الحُكْمُ في الغالب لا الأعيان.

فَالسَّلَفُ: هُم أَهْلُ القُرُونِ الثَّلاثَةِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ خَلَفٌ.

وَأَمَّا السَّلَفُ بِالاعْتِبَارِ الثَّانِي: فيَدْخُل فِيهم كلُّ مَن سارَ على نَهْجِهم في العَقيدة والعَمَل إلى قيام الساعة.

وَمِنْ أسْمَائِهِمْ أيضًا:

«**أَهْلُ الأَثَرِ**»، و «**أَهْلُ الحَدِيثِ**»، وغيرُها مِن الأسماءِ العظيمة، التي تدل على سلامة هذا المنْهجِ العظيم.



(١) «البخاري»: (٧٠٦٨): عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الْحَجَّاجِ فَقَالَ اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ «لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلاَّ الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ: مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ.



سَلَفُنَا الصَّالِحُ -عَلَيهِمْ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى-: لهم فضائلُ فُضِّلوا بها، ومزايا تميَّزوا بها، **ومِن أعظم مزاياهم وفضائلِهم التي انفردوا بها عن غيرهم:**

أوَّلًا: أنَّهُمْ مِنَ القُرُونِ المُفَضَّلَة:

التي قال عَنْهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[١].

فهم خيرُ الأُمم على الإطلاق، بدلالة الكتابِ والسُّنَّة والاِتِّفَاقِ، وهُم أزكى وأطهرُ البشر، وأبعدُ النَّاس عن الشوائب والكَدَر، وأصفاهم عقيدة، وأطهرهم سريرة، بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وَالخَيْرِيَّةُ حَاصِلَةٌ: في أعمالِهم وأخلاقِهم، وإخلاصِهم وعقيدتِهم، ولا يُمكن لِمَنْ أتى بعْدَهم أن يبْلغَ مَبلغهم.

قَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٠): «لا يُمْكن أن يبلُغ المتأخرون أبدًا مبالغ المتقدمين، فخيرُ القرون الذين رأوا رسولَ الله ﷺ، وآمنوا به، ثم الذين يَلُونهم، وهكذا يكون الأمر أبدًا إلى قيام الساعة، فأقوى ما كان أهلُ الإسلام في دينِهم وأعمالِهم، ويقينِهم وأحوالِهم في أوَّل الإسلام، ثم لا زال ينقصُ شيئًا فشيئًا إلى آخر الدُّنيا، لكن لا يذهب الحقُّ جملة، بل لا بُدَّ مِن طائفةٍ تقومُ به وتعتقدُه، وتعملُ

(١) رواه البخاري واللفظ له: (٣٦٥٠)، ومسلم: (٢٥٣٥).

بمقتضاه على حسبهم في إيمانهم، لا ما كان عليه الأولون مِن كلِّ وجهٍ؛ لأنّه لو أنفقَ أحدٌ مِن المتأخرين وزنَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أحدٍ مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ وَلاَ نَصِيفَهُ، وإذا كان ذلك في المال، فكذلك في سائِر شُعَب الإيمان، بشهادة التَّجربة العادية». ا.هـ[١].

وَقَالَ ابنُ رَجَب الحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٥): «إنَّ هذه الأمَّة قد أجارَها اللهُ أن يَظْهر أهلُ باطلِها على أهل حقِّها، فما ظهَر العملُ به في القرونِ الثَّلاثة المـُفضلة فهو الحقُّ، وما عدَاه فهو باطلٌ». ا.هـ[٢].

ثَانِيًا: قُرْبُهُمْ مِنَ العَهْدِ النَّبَوِيِّ، وَالوَحِي الرَّبَّانِيِّ:

فهُم أعلمُ النَّاس بسيِّد الأنبياء، وأشدُّهم تمسكًا بخير الأصفياء، ولا شكَّ أن مَن كان مِن النَّبيِّ ﷺ أقرب، فهو أقرب إلى السُّنَّة، وأبعد مِن البدعة.

ثَالثًا: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أوْصَى النَّاسَ وَالأمَّةَ بِهَذِهِ القُرُونِ المُفَضَّلَةِ:

فقد روى **التِّرْمِذِيُّ** في: «**سُنَنِه**»[٣]، **وَالحَاكِمُ** في: «**مُسْتَدْرَكِه**»[٤]: عَن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٢٣): قال: **قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

قولُه ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»: أي: التَّابعيْنَ، «**ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»: أي: أتباعَ التَّابعيْنَ.

فالنَّبِيُّ ﷺ إنَّما أوصانا بهذه القُرون المـُفَضَّلَةِ، لنلتزمَ بمنْهَجِهم، ونسيرَ على خُطاهُم، ونقتديَ بآثارِهم، ولا نحيدَ عنْهم أبدا.

(١) «الاعتصام»، للشاطبي: (٢١٠)، طباعة دار المعرفة.

(٢) «جامع العلوم والحكم»: ١/ ٢٨٣.

(٣) (٢١٦٥)، وصححه. وكذا الألباني في صحيح الترمذي.

(٤) (٣٨٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وقال الذهبيُّ:(هذا حديثٌ صحيحٌ)، «السِّير» (٧/ ١٠٣).

رَابِعًا: أَنَّهُمْ تَوَارَثُوا العِلْمَ وَالشَّرْعَ وَالدِّينَ عَنْ قُرْبٍ:

فالصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أخذوه مِن النَّبِيِّ ﷺ مباشرةً بِلا واسطة، والتَّابعونَ أخذوه مِن الصَّحابة الكرام غضًّا طريًّا، وتابعو التَّابعيْنَ أخذوه مِن التَّابعيْنَ عَذْبًا نديًّا، فَمَا أعْظَمَ هؤلاءِ الأجيال، وَمَا أَبْعَدَهُمْ مِن البدعِ والفسادِ والسَّفال، لم تتكدر قلوبُهم بالبدع والمـُحدَثات، ولم تتلوث معتقداتُهم بالانحرافات والـخُـزَعْبَلَاتِ.

ولَـمْ يتلوثْ جيلُهم بضلالات المبتدعة، وتُرَّهات المـُتصوِّفة، بل كانت قلوبُهم صافية، وأهدافُهم سامية، وهِمَمُهم عالية، كيف لا، **وَأَشْياخُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ:** إمَّا التَّابعون الفضلاء، وإمَّا الصَّحابةُ العظماء، وإمَّا سيدُ الأنبياء، وأشرفُ البشر والأولياء، محمدٌ رسول الله ﷺ.

فَمَا أعْظَمَ هذهِ القُرون، وهنيئًا لِـمَن جعلَهم قُدوةً له في أخلاقِه، وأُسوةً له في سلوكِه واعتقادِه.

وَهَذِهِ الخَصَائِصُ: لهذا الجيل الفريد، وهذه المزايا لهذهِ القُرون الـمُباركة، جَعَلَتْ جيلَهم ومجتمَعهم أعظَمَ وأفضلَ وأطهرَ مجتمع على وجه الأرض، لِهَدْي نبيهم يطبقون، وبشرع ربهم يعملون، وفيما بينهم متآلفون مُتحابون، ومن البدع والأهواء سالمون.

فَلِهَذَا كَانَ لِزَامًا عَلَينَا:

أن نعرف قدْرَهم، ونهتدي بهدْيهم، ونسيرَ على نهْجِهم، ونعرفَ أحوالَهم وعبادتَهم وأخلاقَهم، فلَنْ تستقيمَ أحوالُـنا، ولَنْ تصلُحَ أُمَّتُنَا إلا بالسير على خُطاهم.

قَال الإمامُ مالِكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): «**لا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا**»(١).

---

(١) «مسند الموطأ» للحسن بن علي الجوهري، (ت: ٣٨١ هـ): ١/ ٥٨٥، «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، (ت: ٥٤٤ ه): ٢/ ٨٨.

فَالَّذِي صَلُحَ بِهِ الصَّحَابَةُ وَالسَّلَفُ الصَّالِحُ:

هو الذي يصلُح به مَن بعْدَهم، ولا طريقَ ولا سبيلَ للآخرين أن يَصلحوا، إلَّا بالطريقة التي صلُح بها سلفُهم الصَّالح، **وَذَلِكَ: بِالإِخْلَاصِ وَالمُتَابَعَةِ**، الإخلاص لله وحدَه؛ فتكون العبادةُ خالصةً لوجْهِ الله لَا شِرْكَ لغيره فيها، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، والمتابعة للرَّسول ﷺ.

وَقَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيْضًا: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ شَيْئًا لَـمْ يَكُنْ عَلَيهِ سَلَفُهَا، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لأَنَّ اللهَ يَقُولُ:** ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، **فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئذٍ دِينًا فَلا يَكُونُ اليَوْمَ دِينًا**»[(١)].

وَقَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٠): «لا يأتي آخرُ هذه الأمة بأهدى مِمَّا كان عليه أَوَّلُهَا، ولا هُمْ أعرف بالشريعة منهم».ا.هـ[(٢)].

وَالمُبْتَدِعُ كَأَنَّهُ يَقُولُ: هناك حقٌّ أو عملٌ صالحٌ، غابَ عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والسَّلف الصَّالِح، فنحن عرفناه وعلمناه، فنعمل به ونسير عليه.

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨): في قولِه تَعالَى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٣].

«فَمَنْ اتَّبعَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ كَانَ مِنْهُمْ، وَهُمْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَأُولَئِكَ خَيْرُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ...

---

(١) «الاعتصام»، للشاطبي، تحقيق: مشهور آل سلمان: (١/ ٦٢، ٢/ ٣٦٨)، وذكره بسنده الإمام ابن حزم الأندلسي، (ت: ٤٥٦ هـ)، في كتابه: «الإحكام في أصول الأحكام»: عن عبد الملك بن حبيب أخبرني ابن الماجشون أنه قال: قال مالك بن أنس: (٦/ ٢٢٥).

(٢) «الموافقات»: (٣/ ٤٠٢).

وَلِهَذَا كَانَ مَعْرِفَةُ أَقْوَالِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَأَعْمَالِهِمْ خَيْرًا وَأَنْفَعَ مِنْ مَعْرِفَةِ أَقْوَالِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَأَعْمَالِهِمْ فِي جَمِيعِ عُلُومِ الدِّينِ وَأَعْمَالِهِ، **كَالتَّفْسِيرِ، وَأُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَالزُّهْدِ، وَالْعِبَادَةِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَالْجِهَادِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ**؛ فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ خَيْرٌ مِنَ الِاقْتِدَاءِ بِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَمَعْرِفَةُ إجْمَاعِهِمْ وَنِزَاعِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ خَيْرٌ وَأَنْفَعُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا يُذْكَرُ مِنْ إجْمَاعِ غَيْرِهِمْ وَنِزَاعِهِمْ.

وَذَلِكَ أَنَّ إجْمَاعَهُمْ لَا يَكُونُ إلَّا مَعْصُومًا، وَإِذَا تَنَازَعُوا فَالْحَقُّ لَا يَخْرُجُ عَنْهُمْ، فَيُمْكِنُ طَلَبُ الْحَقِّ فِي بَعْضِ أَقَاوِيلِهِمْ، وَلَا يُحْكَمُ بِخَطَأِ قَوْلٍ مِنْ أَقْوَالِهِمْ حَتَّى يُعْرَفَ دَلَالَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى خِلَافِهِ». ا.هـ[1].

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ:

«لَمْ يَبْقَ مَسْأَلَةٌ فِي الدِّينِ إلَّا وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهَا السَّلَفُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ قَوْلٌ يُخَالِفُ ذَلِكَ الْقَوْلَ أَوْ يُوَافِقُهُ، وَقَدْ بَسَطْنَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ: أَنَّ الصَّوَابَ فِي أَقْوَالِهِمْ أَكْثَرُ وَأَحْسَنُ، وَأَنَّ خَطَأَهُمْ أَخَفُّ مِنْ خَطَأِ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَأَنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ أَكْثَرُ خَطَأً وَأَفْحَشُ، وَهَذَا فِي جَمِيعِ عُلُومِ الدِّينِ». ا.هـ[2].

فَحُقَّ لِمَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ وَالرِّضْوَانَ، وَالْفَوْزَ بِالجِنَانِ: أن يسيرَ على هدي الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وتابعيهم بإحسان، وأن يتمسَّك بهديهم، ويأخذَ عقيدتَه وهَدْيَه مِنْهم.

وَهَذَا مَا دَفَعَنِي: إلى جمع سِيَرهم وسَبْر وأحوالهم، وترتيبها وتهذيبها، لتكون نبراسًا لنا، ونورًا يستضيء به مَن بعدنا.

قَالَ ابنُ رَجَب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٩٥): «**وَفِي زَمَانِنَا يَتَعَيَّنُ كِتَابَةُ كَلامِ أَئِمَّةِ السَّلَفِ المُقْتَدَى بِهِمْ إِلَى زَمَنِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَأَبِي عُبَيْدٍ:** ولْيكن الإنسان

---

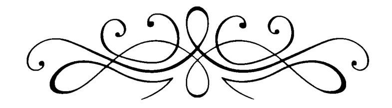
(١) مجموع الفتاوى: ١٣/ ٢٣-٢٤.

(٢) المصدر السابق: ١٣/ ٢٧.

على حذر مِمَّا حدَث بعْدَهم؛ فإنَّه حدَث بعْدَهم حوادثُ كثيرةٌ، وحدَث مَن انتسبَ إلى متابعة السُّنَّة والحديث مِن الظَّاهرية ونحوِهم، وهو أشدُّ مخالفة لها لشذوذه عن الأئمة، وانفراده عنهم بفَهْم يفْهَمُه، أو يأخذ ما لم يأخذ به الأئمة من قبله». ا.هـ [1].

فَإِذَا كَانَ فِي زَمَانِ ابن رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ يَتَعَيَّنُ كِتَابَةُ كَلامِ أئمَّةِ السَّلَفِ المُـقْتَدَى بِهِمْ!.

فَكَيْفَ بِزَمَانِنَا وَعَصْرِنَا؟!.



(١) «فضل علم السلف على علم الخلف»: ص: ٦٩.



واجبنا تجاه السلف الصالح

يَتَأَكَّدُ عَلَينَا العِنَايَةُ بِكَلامِ وَحَيَاةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَأَهْلِ العِلْمِ الرَّاسِخِيْنَ وَإِبْرَازُهُ؛ لِمَا يَلِي:

أوَّلا: الوَفَاءُ لَهُمْ، وَالقِيَامُ بِحَقِّهِمْ عَلَينَا: حيثُ استفدْنا مِنْهم، وصلُح حالُنا -بعْدَ اللهِ تعَالى- بسببِهم، فَمِنْ حقِّهم علينا أن نُظهر وننشر علومَهم ومآثرَهم، ونَسأَلُ اللهَ تعالى أن يجمعَنا بهم في الجنَّة.

ثَانيًا: أنَّ العِنَايَةَ بِكَلامِهِمْ وَسِيرِهِمْ وَالتَّعَلُّقِ بِهِمْ وَحُبِّهِمْ: تُقَرِّب المؤمن بهم، وتجعله يتشبه بهم، وبقدر القُرب مِن السَّلف الصَّالح يصلُح المؤمن، ويستقيم على السُّنَّة، ويَنْفِر ويبتعد عن الهوى والبدعة، ويكون قليلَ الخطأ والزَّلل.

وما انحرفَ مَن انحرفَ، وكثُرت أخطاءُ بعْضِ النَّاس إلا بسببِ بُعْدِهِمْ عن هدي سلفِهم، وَقِلَّةِ عِنَايتِهم بِسِيرِهِمْ.

فَإِنْ شِئْتَ وَصْلَ القَوْمِ فَاسْلُكْ سَبِيلَهُمُ ... فَقَدْ وَضَحَتْ لِلسَّالِكِينَ عِيَانًا

«فلا بُدَّ أن يكونَ سلوك هذا الطريق خلْفَ أئمَّة أهلِه المجمعِ على هدايتِهم ودرايتِهم؛ **كَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَأَبِي عُبَيْدٍ وَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ**، فإنَّ مَن ادَّعى سلوكَ هذا الطريق على غير طريقِهم وقعَ في مفاوزَ ومهالك، وأخذ بما لا يجوزُ الأخذُ به، وتركَ ما يجبُ العملُ به»[1].

(١) «جامع العلوم والحكم»: (١/ ٢٥٠).

ثَالِثًا: أنَّ إبْرَازَ كَلامِهِمْ، وَإحيَاءَ آثَارِهِمْ: يدفعُ اللهُ به الكثيرَ مِن البدع والانحرافات، والشُّبهاتِ والشَّهوات، فليس هناك إلَّا حقٌّ أو باطل، فإذا ضَعُفَ الحقُّ قَوِيَ الباطلُ، والحقُّ لا يقوى إلا بقوَّة أهلِه، وأهْلُ الحقِّ هم السَّلف الصَّالح مِن الصَّحابة والتَّابعين ومَن تَبِعَهم بإحسان، المتمسكون بالكتاب والسُّنة، فإبرازُ آثارِهم وأخلاقِهم وعقائدِهم ومناهجِهم يدعُو إلى الأخذِ بما هُم عليهم، وَيُصحِّحُ مسارَ المنتسبين للإسلام، وَيُكَثِّرُ سوادَهم، ويؤدي ذلك -ولابد- إلى قوَّتـهم، وضعْفِ مَن خالَفَهم.

قَالَ ابنُ رَجَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٥): «ما دامَ العِلْمُ باقيًا في الأرض فالنَّاسُ في هدى، وبقاءُ العلم بقاءُ حملتِه، فإذا ذهب حملتُه ومَن يقومُ به وقعَ النَّاسُ في الضلال».ا.ه[1].

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ الأَنْدَلُسِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٦): «لولا العلماءُ الذين ينقلونَ العلمَ ويعلِّمونَه النَّاسَ جيلًا بعْدَ جيلٍ لهلَكَ الإسلامُ جُملةً؛ ولذلك سُمُّوا ورثةَ الأنبياء».ا.هـ[2].

رابعًا: أنَّ إبْرَازَ كَلامِهِمْ، وَإحيَاءَ آثَارِهِمْ: يجعلُ المسلمَ يُمَيِّزُ المصيب مِن المخطئ مـمَّن ينتسبُ للعلم والدَّعوة، فمن رآه يُخالفُ هديَ سلَفِنا الصَّالح في السلوك أو الأخلاق أو العقائد أو المنهج عَرَفَ خطَأَه أو ضلالَه، فحينئذٍ يكون المسلم على بصيرةٍ وهدى، ويسلم من الضلال والزيغ والانخداعِ بمن حادَ عن جادّة الحق مهما عظُمت شهرته، وحسُن أُسلوبه، وبلَغَ تأثيرُه.

خَامِسًا: أنْ يُجْعَلَ هَدْيُ السَّلَفِ الصَّالِحِ وفهمُهم للمسائلِ وتفسيرهم للنصوص الشرعية هُوَ الحَكَم عِنْدَ الاختِلافِ، وَالفَيصَل عِنْدَ النِّزَاعِ: فحينما يختلفُ النَّاسُ

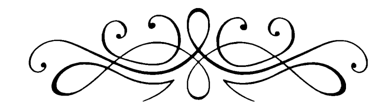
---

(١) «جامع العلوم والحكم»: (٢/ ٢٩٨)

(٢) . «رسائل ابن حزم»: (٣/ ١٥٣).

وخاصَّة المنتسبين إلى العلم والدَّعوة والخير في مسائل تتعلَّق بالعقيدة والمنهج والسُّلوك والأخلاق، فإنّ هديَ سلَفِنا هو الحَكَمُ الذي لا يأنف من التَّحاكم إليه إلا زائغٌ ضال.

فَرُبَّمَا اسْتَدَلَّ كُلُّ وَاحِدٍ بَآيَةٍ أو حَدِيثٍ، وَالآخَرُ يُعَارِضُ بِآيَةٍ أو حَدِيثٍ، فَنَقُول لَهُمْ: لِنَنْظُرَ إلى فَهْم الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم الذين ثبتَتْ لهم الخيريَّة بالنَّصِّ القَاطِع، ونأنس بفَهْم مَن تبعهم مِن العلماء الرَّاسخين، الذين لهم لسانُ صِدْق في الأمَّة، فلا يمكن أن تكونَ أفْهامُنا أحسنَ مِنْهم، ولا عقولُنا أفضلَ مِنْهم، وعلومُنا أرسخَ منهم، فإذا اتَّفقوا على أمر وَجَبَ علينا التَّسليمُ لهم، فالأمَّة لا تجتمعُ على ضلال.





مَنْهَجُ وَاعْتِقَادُ السَّلَفِ الصَّالِحِ

وَأَمَّا أَبْرَزُ سِمَاتِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَاعْتِقَادِهِمْ وَمَنْهَجِهِمْ:

١- مَصْدَرُ العَقِيدَةِ عِنْدَهُمْ: هُوَ كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ الصَّحِيحَة، وَإِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتابعيهم وتابعيهم وتابِعي تابعيهم، والعلماء المعتبرين، رَحِمَهُمُ اللَّهُ أجمعين.

فسلَفُنا الصَّالح -رحمهم الله تعالى-، لا يقدِّمون شيئا مهما كان على كتاب الله تعالى، وسُنَّة نبيِّه ﷺ، ويأخذون بالإجماع المُنعقد، **وَقَدْ اسْتَمَدُّوا ذَلِكَ**: مِن قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

قَالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١): «أي: لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تُفْتُوا حتى يفتي، ولا تقطعوا أمرًا حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويُمْضِيه».ا.هـ[1].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨): **قَوْلَهُ**: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: **يَقُولُ: «لاَ تَقُولُوا خِلاَفَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»، وَقَالَ مُجَاهِدٌ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤): **«لاَ تَفْتَاتُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشَيْءٍ حَتَّى يَقْضِيَهُ اللهُ عَلَى لِسَانِهِ».**

---

(١) «إعلام الموقعين»: (٢/ ٩٤).

وقال الضَّحَّاكُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥): «**يَعْنِي بِذَلِكَ فِي الْقِتَالِ، وَمَا كَانَ مِنْ أُمُورِهِمْ لاَ يَصْلُحُ أَنْ يُقْضَى إِلاَّ بِأَمْرِهِ مَا كَانَ مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِمْ**»[١].

وَالقَوْلُ الجَامِعُ فِي مَعْنَى الآيَة: «لا تَعْجلُوا بقولٍ ولا فِعْلٍ، قبْلَ أنْ يقولَ رسُولُ اللهِ ﷺ، أو يَفْعل»[٢].

وَالسَّلَفُ الصَّالِحُ: لا يقولونَ كتابُ اللهِ ثم سُنَّةُ رسولِهِ ﷺ بلْ (كتابُ اللهِ وسنَّةُ رسُولِهِ) معًا؛ لأنَّ السُّنَّة مقرونةٌ مع كتابِ الله، ولأنَّ الله فرضَ طاعةَ رسولِه ﷺ، وسنَّتُهُ ﷺ مُبيِّنَةٌ للمعنى الذي أَرادَه اللهُ.

وَلِذَا انْقَادُوا للهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ بتسليمٍ وقَبولٍ ظاهرًا وباطنًا، فلا يُعارضونَ شيئًا مِن الكتابِ أو السُّنَّة الصحيحة بقياسٍ، ولا ذوْقٍ، ولا كشْفٍ، ولا قولِ شيْخٍ، ولا إمام ونحو ذلك.

قَالَ شَيْخُ الإسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨):

«**فَكَانَ مِنْ الْأُصُولِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ:** أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ قَطُّ أَنْ يُعَارِضَ الْقُرْآنَ لَا بِرَأْيِهِ، وَلَا ذَوْقِهِ، وَلَا مَعْقُولِهِ، وَلَا قِيَاسِهِ، وَلَا وَجْدِهِ؛ فَإِنَّهُمْ ثَبَتَ عَنْهُمْ بِالْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّاتِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ أَنَّ الرَّسُولَ جَاءَ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»[٣].

وَقَالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١): وهو في صدد ذكره للأصول التي بُنِيَتْ عليها فتاوى **الإمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١):

«**أَحَدُهَا: النُّصُوص**، فإذا وُجد النَّص أفتى بموجَبه، ولم يلتفت إلى ما خالفه،

---

(١) هذه الآثار الثلاثة في: «تفسير الطبري»: ٢١/ ٣٣٥- ٣٣٧، «تفسير ابن كثير»: ٥/ ٦٤٣، نشر دار الكتاب العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

(٢) «إعلام الموقعين»: (٢/ ٩٤).

(٣) «مجموع الفتاوى»: ١٣/ ٢٩.

ولا مَنْ خالَفه -كائنًا مَن كان-، ولهذا لم يلتفتْ إلى خلافِ عُمَرَ في المَبْتُوتَة لحديثِ فَاطِمَة بِنْتِ قَيْس.

ولا إلى خلافه في التَّيمم للجُنُب لحديث عَمَّار بنِ يَاسِر، ولا إلى خلافه في استدامة المحرِم الطيبَ الذي تطيب به قبل إحرامه لصحة حديث عَائِشَة في ذلك..

وَلَمْ يَكُنْ يُقَدِّمُ عَلَى الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عملًا ولا قولًا ولا رأيا ولا قياسًا، ولا قولَ صاحب، ولا عدمَ علمه بالمخالف الذي يُسمِّيه كثير من الناس إجماعًا، ويقدمونه على الحديث الصحيح، وقد كَذَّبَ أَحْمَدُ مَن ادَّعى هذا الإجماع، ولم يُسْغِ تقديمَه على الحديث الثابت، وكذلك **الشَّافِعِي** - أيضا- نصَّ في:

«**رِسَالَتِهِ الجَدِيدَةِ**» على أن ما لا يُعْلَم فيه بخلاف لا يُقال له إجماع، **وَلَفْظُهُ:** ما لا يُعلم فيه خلاف فليس إجماعًا».ا.هـ[1].

هَكَذَا كَانَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِن الأَئمَّةِ وَالعُلَمَاءِ؛ لِشِدَّةِ تَعْظِيمِهِمْ لِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ لا يُقَدِّمُونَ عَلَيهَا أَيَّ قَوْلٍ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

وَلْنَأخُذْ مِثَالًا عَمَلِيًّا مِنْ وَاقِعِهِمْ:

رَوَى الإِمَامُ البُخَارِيُّ فِي: «صَحِيحِه»[2]: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا(ت: ٧٣): **قَالَ: كَانَتْ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **تَشْهَدُ صَلَاةَ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهَا: لِمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ؟ قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي؟ قَالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ».**

الله أكبر! فعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع غيرته الشديدة، وعدم رغبته أن تخرج زوجتُه من بيتها، إلَّا أنَّه لَـمْ يمنعْها، ولم يُشعرها بعدم رضاه، لِمَ؟ لأنَّه سَمِعَ خليلَه وحبيبَه

---

(١) «إعلام الموقعين»: (٢/ ٥٠-٥٣).

(٢) (٩٠٠).

ﷺ يقول: «**لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ**»، فانتهى الأمر، وطُرحت الغيرة، ونبذ رأيه ورغبته؛ لأنه لا يُقدِّم على قول النَّبِيِّ ﷺ شيئا أبدا.

وَخُذْ مِثَالًا آخَرَ لابْنِه عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فقد روى مسلم فِي: «صَحِيحِه»[(١)]: عن سَالِم ابْن عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦): **أَنَّ عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣)، **قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا»، فَقَالَ بِلالُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ.**

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَقُولُ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ؟.

فَتَأَمَّلْ:

كيف غضب ابنُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا غضبًا شديدًا على ابنِه بلال؛ لأنَّه قدَّم غيرته ورأيه على قولِ رسولِ اللهِ ﷺ، مع أنَّ بلالًا لم يكنْ يقصدُ مخالفةَ الحديثِ وردَّه، حاشاه من ذلك، ولكنَّه لغيرتِه على نسائِه، وخوفِه عليهنَّ أراد منعهُنَّ مِن ذلك، ومع ذلك أنكر عليه أبوه إنكارًا شديدًا.

نَعَمْ: هَكَذَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، **إِذَا جَاءَهُمْ الدَّلِيلُ الصَّحِيحُ عَمِلُوا بِهِ مُبَاشَرَةً وَدُونَ تَرَدُّدٍ.**

قَالَ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١): «**وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الطَّيِّبُ**: يَشْتَدُّ نكيرُهُمْ وَغَضَبُهُمْ عَلَى مَنْ عَارَضَ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِرَأْيٍ، أَوْ قِيَاسٍ، أَوْ اسْتِحْسَانٍ، أَوْ قَوْلِ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ -كَائِنًا مَنْ كَانَ- وَيَهْجُرُونَ فَاعِلَ ذَلِكَ، وَيُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يَضْرِبُ لَهُ الْأَمْثَالَ، وَلَا يُسَوِّغُونَ غَيْرَ الِانْقِيَادِ لَهُ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّلَقِّي بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، **وَلَا يَخْطُرُ بِقُلُوبِهِمْ التَّوَقُّفُ فِي قَبُولِهِ حَتَّى يَشْهَدَ لَهُ**: عَمَلٌ، أَوْ قِيَاسٌ، أَوْ

---

(١) (١٠١٧).

يُوَافِقَ قَوْلَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، بَلْ كَانُوا عَامِلِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ...﴾ [الأحزاب:٣٦].

فَدُفِعْنَا إِلَى زَمَانٍ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ:

«ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كَذَا وَكَذَا» يَقُولُ: مَنْ قَالَ بِهَذَا؟ وَيَجْعَلُ هَذَا دَفْعًا فِي صَدْرِ الْحَدِيثِ...

وَلَا يُعْرَفُ إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ أَلْبَتَّةَ قَالَ: لَا نَعْمَلُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَعْرِفَ مَنْ عَمِلَ بِهِ، فَإِنْ جَهِلَ مَنْ بَلَغَهُ الْحَدِيثُ مَنْ عَمِلَ بِهِ لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ كَمَا يَقُولُ هَذَا الْقَائِلُ»[١].

وَصَدَقَ القَائِلُ[٢]:

العِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ ذَوُو العِرْفَانِ

مَا العِلْمُ نَصْبَكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً ... بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلَانِ

٢- يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ كُلَّ مَا صَحَّ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَجِبُ قَبُولُهُ وَالعَمَلُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ آحَادًا فِي العَقَائِدِ وَغَيْرِهَا.

وهم بذلك يطبِّقون قولَه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قال الإمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

«أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ مَنْ اسْتَبَانَتْ لَهُ سُنَّةٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَدَعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ»[٣]. وتواتر عنه أنَّه قال: **«إِذَا صَحَّ الحَدِيثُ فَاضْرِبُوا**

---

(١) «إعلام الموقعين»: (٦/ ١٧٩).

(٢) «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، طبعة: دار عالم الفوائد، المشهورة بـ«نونية ابن القيم»: ص: ١٩٤، رقم البيتين: (٣٥٩٤-٣٥٩٥).

(٣) «الرسالة» (٤٢٥).

بِقَوْلِي الحَائِطَ»[١]. وصح عنه أنَّه قال: «**إِذَا رَوَيْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَدِيثًا وَلَمْ آخُذْ بِهِ، فَاعْلَمُوا أَنَّ عَقْلِي قَدْ ذَهَبَ»**[٢]. وصح عنه أنَّه قال: «**لا قَوْلَ لأَحَدٍ مَعَ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»[٣]، **فَهَذَا قَوْلُهُ وَاعْتِقَادُهُ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئمَّةِ الدِّيْنِ، وَعُلَمَاءِ المُسْلِمِيْنَ**»[٤].

٣- يَعْتَقِدُوْنَ أَنَّ المَرْجِعَ فِي فَهْمِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: هُوَ النُّصُوصُ المُبيِّنة لَهَا، وَفَهْمُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ، وَمَنْ سَارَ عَلَى مَنْهَجِهِمْ مِنَ الأَئمَّةِ.

فَالسَّلَفُ الصَّالِحُ: لا يضربون القُرآن والسنةَ بعضَها ببعض، بل يَعْتقدونَ أنَّ كُلًا مِنْهما مكمِّلٌ للآخر، وإذا رأوا مَن سَبَقَهم مِن الأئمَّة المتقدمينَ، قد فَهِمُوا أو فَسَّروا آيةً أو حديثًا، فإنَّهم يتَمسكونَ بهذا التَّفْسير أو الفَهْم.

قَالَ ابْنُ قَيِّم الْجَوزِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان -أي: الإمام أحمد- شديدَ الكراهة والمنع للإفتاء بمسألةٍ ليس فيها أثر عن السَّلف، كما قال لبعْضِ أصحابِه: «إِيَّاكَ أَنْ تتَكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةٍ لَيْسَ لَكَ فِيهَا إِمَامٌ»»[٥].

وَالسَّلَفُ الصَّالِحُ يَعْرِفُونَ لِلْصَّحَابَةِ فَضْلَهُمْ، وَيَسْلُكُونَ سَبِيْلَهُمْ وَهَدْيَهُمْ.

قَالَ ابْنُ قَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّحِيحِ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْت فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[٦].

---

(١) «آداب الشافعي»: (٦٧ - ٦٨، ٩٣) لابن أبي حاتم، «الحلية»: (٩/ ١٠٦ - ١٠٧).

(٢) «آداب الشافعي»: (٦٧، ٩٣)، «الحلية»: (٩/ ١٠٦).

(٣) «المدخل» (٢٤)، و«مناقب الشافعي»: (١/ ٤٧٣)، «الحلية»: (٩/ ١٧٠). «إعلام الموقعين»: (٤/ ٤٠)، ط/ مشهور آل سلمان.

(٤) «إعلام الموقعين»: (٤/ ٤٠)، ط/ مشهور آل سلمان.

(٥) «إعلام الموقعين»: (٢/ ٦٠)، وقول الإمام أحمد أسندها عنه ابن الجوزي في: «مناقب الإمام أحمد»: (١٧٨)، ونقلها ابن تيمية في: «مجموع الفتاوى»: (٢١/ ٢٩١).

(٦) قال الشيخ العلامة المحدث الفقيه الألباني، (ت: ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م): «وبهذه المناسبة لا بد لي من وقفة أو جملة معترضة قصيرة، وهي: أن الشائع اليوم على ألسنة المحاضرين، =

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ قَرْنُهُ مُطْلَقًا، وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَقْدِيمَهُمْ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، وإِلَّا لَوْ كَانُوا خَيْرًا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، فَلَا يَكُونُون خَيْرَ الْقُرُونِ مُطْلَقًا، فَلَوْ جَازَ أَنْ يُخْطِئَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ فِي حُكْمٍ وَسَائِرُهُمْ لَمْ يُفْتُوا بِالصَّوَابِ-، وَإِنَّمَا ظَفَرَ بِالصَّوَابِ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَخْطَأُوا هُمْ- لَزِمَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْقَرْنُ خَيْرًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ؛ لِأَنَّ الْقَرْنَ الْمُشْتَمِلَ عَلَى الصَّوَابِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرْنِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْخَطَأِ فِي ذَلِكَ الْفَنِّ.

فَيَا سُبْحَانَ اللهِ! أَيُّ وَصْمَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ الصِّدِّيقُ، أَوْ الْفَارُوقُ، أَوْ عُثْمَانُ، أَوْ عَلِيٌّ، أَوْ ابْنُ مَسْعُودٍ، أَوْ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، أَوْ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَأَضْرَابُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ حُكْمِ اللهِ أَنَّهُ كَيْتَ وَكَيْتَ فِي مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ- وَأَخْطَأَ فِي ذَلِكَ، وَلَمْ يَشْتَمِلْ قَرْنُهُمْ عَلَى نَاطِقٍ بِالصَّوَابِ فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ حَتَّى تبعَ[1] مَنْ بَعْدَهُمْ فعَرَفُوا حُكْمَ اللهِ الَّذِي جَهِلَهُ أُولَئِكَ السَّادَةُ، وَأَصَابُوا الْحَقَّ الَّذِي أَخْطَأَهُ أُولَئِكَ الْأَئِمَّةُ؟.

سُبْحَانَك هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ». ا.هـ[2].

٤- يَعْتَقِدُوْنَ أَنَّ أُصُولَ الدِّينِ كُلَّهَا، قَدْ بَيَّنَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَلَيْسَ لأحَدٍ أَنْ يُحْدِثَ شَيْئًا زَاعِمًا أَنَّه مِنَ الدِّيْنِ.

فالسَّلَفُ الصَّالِحُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: كانوا أشدَّ نفرةً من البدع، وأشدَّ كراهةً لها؛ وذلك

= والمرشدين، والواعظين، رواية الحديث بلفظ: «خير القرون قرني»، وهذا اللفظ: لا نعرف له أصلا في كتب السنة، مع أن هذا الحديث دخل في زمرة الاحاديث المتواترة لكثرتها، وإنما اللفظ الصحيح الذي جاء في الصحيحين وغيرهما، إنما هو بلفظ: «خير الناس قرني»، وليس: «خير القرون قرني»، إنما هو: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم،...»، «سلسلة الهدى والنور»: شريط: (٣٩٦). نشرتها شبكة سحاب السلفية.

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: نَبَغ.

(٢) «إعلام الموقعين»: (٥/ ٥٧٤).

لأنَّهم فهموا قول ربِّهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

فَالدِّيْنُ كَامِلٌ تَامٌّ، لا يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَزِيدُ وَيُعَدِّلُ عَلَيهِ.

وَهُمْ بَذَلِكَ يَعْمَلُونَ: بقولِهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»[(١)].

٥- يَرَوْنَ أَنَّ العَقْلَ الصَّرِيحَ، مُوَافِقٌ لِلنَّقْلِ الصَّحِيحِ، وَلا يَتَعَارَضُ قَطْعِيَانِ مِنْهُمَا أَبَدًا، وَعِنْدَ تَوَهُّمِ التَّعَارُضِ يُقَدِّمُونَ النَّقْلَ.

فَلا يُقَدِّمُونَ عُقُولَهُمْ: على شريعة ربِّهم، وسنَّةِ نبيِّهم ﷺ، لِيقينهم بأنَّ الوحيَ لا يعتريهِ الخللُ والنُّقصان، بخلاف العقْل، الذي يعتريه التوهُّم والخللُ والضَّلالُ والنِّسْيَان.

فَكَانَ السَّلَفُ يَقَدِّمُونَ الشَّرْعَ عَلَى العَقْلِ، ويرون أنَّ العقلَ يوافقُ الشَّرع والنَّقل، ولا يخالفه ولا يُضادُّه، وأنَّ الشَّرع لا يأتي بما يحال في العقل، ولكن قد يأتي بما يحار فيه العقل، وأنَّه لا تعارضَ بيْنَ نقْلٍ صحيح ونظرٍ عقلي سليم، والنَّقل الصحيح حجة، والنَّظر العقلي تابعٌ للدَّليل السَّمعي ولا يتعارضُ معه أبدًا.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨): «**وَلِهَذَا لا يُوجَدُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ:** أَنَّهُ عَارَضَ الْقُرْآنَ بِعَقْلٍ وَرَأْيٍ وَقِيَاسٍ، وَلَا بِذَوْقٍ وَوَجْدٍ وَمُكَاشَفَةٍ، **وَلَا قَالَ قَطُّ:** قَدْ تَعَارَضَ فِي هَذَا الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ، **فَضْلًا عَنْ أَنْ يَقُولَ:** فَيَجِبُ تَقْدِيمُ الْعَقْلِ، **وَالنَّقْلُ:** - يَعْنِي: **الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ وَأَقْوَالَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ**»[(٢)].

٦- يَرَوْنَ أَنَّ العِصْمَةَ ثَابِتَةٌ لِلْرَّسُولِ ﷺ، وَالأُمَّةُ فِي مَجْمُوعِهَا مَعْصُومَةٌ مِنَ الاجْتِمَاعِ عَلَى ضَلالَةٍ:

---

(١) «متفق عليه»: من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، البخاري: (٢٦٩٧)، ومسلم: (٤٥٨٩).

(٢) «مجموع الفتاوى»: ١٣/٢٨-٢٩.

وَأَمَّا آحَادُهَا: فلا عِصْمةَ لأحدٍ مِنْهم، وما اختلفَ فيه الأئمَّةُ وغيرُهم، فمرجعه إلى الكتابِ والسُّنَّة، فما قامَ عليه الدليلُ قُبل، مع الاعتذارِ للمُخْطئ مِن مجتهدي الأمَّة.

وَهُمْ بِذَلِكَ يَأْخُذُونَ بقولِه تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٤): «قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: ومَن سلكَ غيرَ طريقِ الشَّريعة التي جاء بها الرَّسولُ ﷺ، فصارَ في شِقٍّ، والشَّرع في شِقٍّ، وذلك عن عمد منه بعْدَ ما ظهَر له الحقُّ وتبيَّنَ له واتَّضَح له.

وقوله: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصِّفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنَّصِّ الشَّارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمَّةُ المحمديَّة فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم، ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾، أي: إذا سلكَ هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجًا له». ا.هـ[1].

٧- السَّلَفُ الصَّالِحُ يَرَوْنَ أَنَّ الرُّؤيَا الصَّالِحَةَ حَقٌّ، بِشَرْطِ مُوافَقَتِهَا لِلْشَّرْعِ، وَلَيْسَتْ مَصْدَرًا لِلْعَقِيدَةِ وَلا لِلْتَّشْرِيعِ.

فالمبتدعةُ يرون أن المنام والرؤى مصدرٌ للتشريع، وعند السلف الصالح أنها من المُبشرات لا المـُشرِّعات.

٨- السَّلَفُ الصَّالِحُ يَذُمُّونَ المِرَاءَ فِي الدِّينِ، وَيَرَوْنَ المُجَادَلَةَ بِالحُسْنَى،

(١) «تفسير ابن كثير» ٢/ ٣٧٦.

اقْتِدَاءً بقولِه تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت:٤٦]، وقولِه تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

٩- يَعْتَقِدُ السَّلَفُ الصَّالِحُ: أَنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ فِي الدِّينِ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ. [1].

وَهُمْ بِذَلِكَ يَأْخُذُونَ بقول النَّبيِّ ﷺ: **«فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»**.[2].

وَقَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): **«مَنْ أَحْدَثَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ عَلَيهِ سَلَفُهَا، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لأَنَّ اللهَ يَقُولُ:** ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، **فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا فَلا يَكُونُ اليَوْمَ دِينًا»**.[3].

١٠- السَّلَفُ الصَّالِحُ يَقرِنُونَ العِلْمَ بِالعَمَلِ، فَإِذَا عَلِمُوا خَيْرًا عَمِلُوه، وَإِذَا سَمِعُوا حَقًّا طَبَّقُوه، وَإِذَا نَطَقُوا بِقَوْلٍ نَفَّذُوه.

عَمَلًا بقولِه تعالى: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢،٣].

---

(١) يُنظَر: كتاب «مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة»، للشيخ الدكتور: ناصر بن عبد الكريم العقل -حفظه الله-: ١.

(٢) رواه مسلم: (٢٠٤٢).

(٣) «الاعتصام»، للشاطبي، تحقيق: مشهور آل سلمان: ١/ ٦٢، ٢/ ٣٦٨، وذكره بسنده الإمام ابن حزم الأندلسي، (ت: ٤٥٦ هـ)، في كتابه: «الإحكام في أصول الأحكام»: عن عبد الملك بن حبيب أخبرني ابن الماجشون أنه قال: قال مالك بن أنس: ٦/ ٢٢٥.

وَخُذْ مِثَالًا مِنْ وَاقِعِهِمْ -عَلَيهِمْ رَحْمَةُ اللهُ تَعَالَى-:

يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤): «حَدَّثَنَا: مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ».[1].

هَذَا هُوَ المَنْهَجُ الَّذِي سَارَ عَلَيهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، يَرَوْنَ بِأَنَّ العِلْمَ وَالعَمَلَ أَخَوَان، وَأَمْرَانِ مُتَلازِمَانِ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): «تَعَلَّمُوا العِلْمَ، فَإِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا»[2]، وَهَذَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١)، يَقُولُ: «مَا بَلَغَنِي عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ حَدِيْثٌ قَطُّ، إِلاَّ عَمِلْتُ بِهِ وَلَوْ مَرَّةً».[3].

فلهذا كلِّه: عَمَرُوا حياتَهم بِأحسنِ الأقوال، وأجملِ الأعمَال، فحُقَّ لنا أن نعرفَ أحوالَهم وسيرَهُم، فنقتديَ ونهتديَ بها، فلذا جاءَ عنوانُ هذا الكتاب:

«حَيَاةُ السَّلَفِ بَيْنَ القَوْلِ وَالعَمَلِ».

أحمد بن ناصر الطيار
خطيب جامع عبد الله بن نوفل بالزلفي
والداعي إلى الله بوزارة الشؤون الإسلامية
البريد الإلكتروني:
ahmed0411@gmail.com
رقم الجوال: ٠٥٠٣٤٢١٨٦٦
شعبان، عام ١٤٤٣ هـ

---

(١) رواه الإمام أحمد(٢٣٤٨٢)، وحسن إسناده: الأرنؤوط.

(٢) «تهذيب الحلْية»: ١١٩/١.

(٣) «السِّير»: ٧/ ٢٤٢.



العلم والعلماء[1]

أ- توقير العلم والاحتفاء بأهله:

* رأى **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) رجلًا قد أسبل، فقال: ارفع إزارك، فقال: وأَنت يابن مسعود فارفع إزارك، قال: إنّ بساقيَّ حُمُوشَةً وأنا أَؤمُّ الناس، فبلغ ذلك **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجعل يضرب الرجل، ويقول: أتردُّ على ابن مسعود؟. تهذيب السِّيَر ١/ ١٩٦.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبّوا أهله، فإن لم تحبّوهم، فلا تبغضوهم. صفة الصفوة ١/ ٢٩٨.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب فقال: تنحّ يابن عم رسول الله ﷺ، فقال: هكذا نفعل بعلمائنا، وكبرائنا. صفة الصفوة ١/ ٣٤٣.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وجد أكثر حديث رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار.

---

(١) لا يزال الله تعالى يؤيِّد هذا الدين إلى يوم القيامة بعلماء صادقين مخلصين، يميزون بين الصحيح والسقيم، ولا يزال دينه وشرعُه ظاهرا بالحجة والبيان والسيف والسنان، فلا يقدر مبتدع ولا زنديق ولا منافق ولا كافر أن يزيد فيه ولا أن ينقص منه.
وحفظ الله لهذه الأمة كتابها «القرآن» أن يبدَّل ويغيَّر، بل هو محفوظ، وكذلك الحكمة التي أنزلها الله على رسوله ﷺ، قد أقام الله لها من هذه الأمة طائفةً بعد طائفة يحفظونها وينقلونها، فلو أراد مبتدع أو غيره أن يزيد فيها حرفا أو ينقص حرفا لأقام الله له من يكشف أسراره ويهتك أستاره، وينادي عليه ويفضحه، ويصدع بالحق ويجهر به.
يُنظر: مجموع ورسائل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ص: ٤٣.

والله إن كنت لآتي الرجل منهم فيقال: هو نائم، فلو شئت أن يوقَظ لي، فأدعه حتى يخرج لأستطيب بذلك حديثه. مسند الدارمي (٥٧٦).

* وقال **أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): لو رفقت بابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأصبت منه علما كثيرا. مسند الدارمي (٥٧٧).

* وقال الزُّهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **أبو سلمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا ما يخالف ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فحُرِم لذلك منه علمًا كثيرًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٤٩٩.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت آتي باب **عروة بن الزبير** (ت: ١٠٠) فأجلس بالباب، ولو شئت أن أدخل لدخلت، ولكن إجلالا له. مسند الدارمي (٥٧٨).

* وعن **عكرمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) قال: إن أزهد الناس في عالم أهله. مسند الدارمي: (٦١٥).

* وقال **الأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): كان أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) يمر بي في طرفَي النهار فأقول: لا أسمع منك حديثًا، خدمت رسول الله ﷺ، ثم جئت إلى الحجاج حتى ولاك، قال: ثم ندمت فصرت أروي عن رجل عنه[1]. تهذيب الحِلْية ٢/ ١٤٠.

* وكان **ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) إذا جاء قال أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا جميلة ناوليني طيبًا أمس به يدي، فإن ابن أم ثابت لا يرضى حتى يقبل يدي، ويقول: قد مست يد رسول الله ﷺ. تهذيب الحِلْية ١/ ٤٠٦.

* وقال نافع بن جبير **لعلي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): غفر الله لك! أنت

---

(١) يحتمل أن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ امتنع من تحديثه عقابا له وعلى سوء أدبه معه؛ فاضطر الأعمش بعد أن ندم وعرف أنه قد أخطأ في حقه: أن يروي الحديث عنه؛ لكن بواسطة من يحدثه، ففاته علو السند. ويحتمل أنه ندم بعد أن مات أنس بن مالك، فصار يروي عمن سمع منه. وهذا يدل على أنه ينبغي لطالب العلم إذا رأى من شيخه أو مِمَّن مَن هو أعلم منه ما يريبه وما ينكره: أن يتهم نفسه ورأيه، ويلتمس العذر لهذا الشيخ.

سيد الناس وأفضلهم، تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه -يعني زيد بن أسلم- فقال: إنه ينبغي للعلم أن يُتَّبع حيث ما كان. تهذيب الحِلْية ٤٨٦/ ١.

* وسئل **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) بحضور سفيان بن عيينة عن مسألة، فقال: إنَّا نهينا أن نتكلم عند أكابرنا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٢.

* وكان **عطاء بن أبي رباح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) عبدًا لامرأة من أهل مكة، وكان أنفه كأنه باقلاه، وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حوّل قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قُوما فقاما فقال: يا ابنيّ لا تَنِيا في طلب العلم، فإني لا أنسى ذلّنا بين يدي هذا العبد الأسود. صفة الصفوة ٢/ ٥٢٥.

* وذَكر رجلٌ عند بعض السلف عالمًا بشيء فقال: مه لا تذكر العلماء بشيء، فيميت الله قلبك.[1] ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٥.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) قال: يستحب أن لا تقرأ أحاديث رسول الله ﷺ إلا على طهارة. تهذيب الحِلْية ٤٠٨/ ١.

* وكان **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) يتمثل الشعر، ويذكر الشيء ويضحك، حتى إذا جاء الحديث من السنة كلح وانضم بعضه إلى بعض. تهذيب الحِلْية ٣٩٠/ ١.

* وقال **الزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤): إن كنت لآتي باب عروة، فأجلس ثم

---

(١) قال الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناصحًا لإخوانه المسلمين، ومحذرًا من الطعن والتشكيك في العلماء العاملين، والأئمة المهتدين: اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

أنصرف ولا أدخل، ولو أشاء أن أدخل لدخلت إعظامًا له. تهذيب الحِلْية ٢٣/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خدمت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حتى إنَّ خادمه ليخرج فيقول: من بالباب؟ فتقول الجارية: غلامك الأعيمش -فتظن أني غلامه- وإن كنت لأخدمه حتى لأستقي له وضوءه. تهذيب الحِلْية ٢٣/ ٢.

* وجاء رجلٌ إلى **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) وهو مريض، فسأله عن حديث، وهو مضطجع، فجلس فحدثه، فقال له ذلك الرجل: وددت أنك لم تتعنّ، فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع. صفة الصفوة ٢/ ٤٣٧.

* وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا ندخلُ على **أيُّوب السَّخْتِيَاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١)، فإذا ذكرنا له حديثَ رسول الله ﷺ بكى حتى نَرْحَمه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٢٦.

* وكان **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) إذا أراد أن يحدِّث توضأ وجلس على صدر فراشه، وسرّح لحيته، وتمكن من الجلوس بوقار وهيبة، ثم حدّث، فقيل له في ذلك، فقال: أحبّ أن أعظّم حديثَ النبي ﷺ ولا أحدّث به إلا على طهارة متمكنًا، وكان يكره أن يحدّث في الطريق وهو قائم أو مستعجِل، فقال: أحب أن يُفهَم ما أحدّث به عن رسول الله ﷺ. صفة الصفوة ٢/ ٥٠٤، ترتيب المدارك (١/ ١٤٥).

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا رفع أحدٌ صوته عنده قال: اغضض من صوتك، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢] فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ. صفة الصفوة ٢/ ٥٠٤.

* وكان يقود نافعًا مولى ابن عمر من منزله إلى المسجد، وكان قد كفّ بصره، فيسأله فيحدثه، وكان منزل نافع بناحية البقيع. ترتيب المدارك: ١/ ١٣٢.

* وحكى الطحاوي أن أبا محمد عبدالله بن فروخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٥) قدم المدينة فلبس ثيابه، وأتى قبر النبي ﷺ، ثم أتى **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلما رآه مالك تلقاه بالسلام، وقام إليه، وكان لا يكاد يفعل ذلك بكثير من الناس، وكان للإمام مالك موضع من مجلسه يقعد فيه، فأقعده فيه، وسأله عن أحواله ومتى كان قدومه، فأعلمه أنه في الوقت الذي أتى إليه، فقال له مالك: صدقت لو تقدَّم قدومك لعلمت به ولأتيتك، وجعل مالك لا تَرِد عليه مسألة وعبدالله حاضر إلا قال: أجب يا أبا محمد، فيجيب، ثم يقول مالك: هو كما قال.

ثم التفت مالك إلى أصحابه، فقال: هذا فقيه المغرب.[1] ترتيب المدارك (١/ ٣٧٦).

* وقال عبدالله بن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧): قال لي **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما خلفك عنا منذ ليال؟.

قلت: كنت أرمد.

قال مالك: أَحْسِبُ مِن كَتْب الليل.

قلت: أجل.

فصاح مالك بالجارية: هاتي من ذلك الكحل لصديقي المصري ابن وهب.

قال إسماعيل بن قعنب: كنت مع ابن وهب عند مالك، فكانت الهدية تأتي إلى مالك بالنهار، ويهديها إلى ابن وهب باللّيل.[2] ترتيب المدارك (١/ ٤٦٢).

* ولما قدم هارون الرشيد المدينة دعا الإمام **مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال مالك: منكم

(١) تأمل إلى هذا الأدب الرفيع، والكرم والتواضع، لمن يصغره بأكثر من عشرين عاما، بل ويُحيل الفتوى إليه، ويثني عليه أمام طلابه، فما أجمل أن يقتدي طلاب العلم بهذا الإمام الكبير.

(٢) انظر إلى تفقد الإمام مالك لتلاميذه، وسؤاله عنهم، وإكرامه لهم، وتأمل كيف قال عنه: صديقي، ولم يقل تلميذي، مع أنه أكبر منه بقرابة ثلاثين عاما، فما أجمل أن يُعامل الشيخ طلابه معاملة الصديق لصديقه، لا معاملة المعلّم لتلميذه.

خرج هذا العلم، وأولى الناس بإعظامه، ومن إعظامكم له ألا تَدْعُوا حَمَلَتَه إلى أبوابكم.

قال: قد فعلتُ يا أبا عبدالله.

وقال بعضهم: حج المهدي فدخل المدينة، فسار إليه[١] مالك، وأظهر من برِّه وإعظامه، وأمر ابنيه موسى وهارون أن يسمعنا منه كتبه.

فبعثوا إليه، فلم يصل إليهم، وأعلموا المهدي.

فبعث إليه لِمَ لَمْ تأتهم؟.

فقال: يا أمير المؤمنين العلم أهلٌ لأن يوَقَّر ويُؤْتَى.

قال: صدق، سيروا إليه.

فلما حضروه قالوا له: اقرأ علينا، قال: إن هذا البلد إنما يُقْرأ فيه على العالم كما يَقرأ الغلام على المعلم، فإذا أخطأ أفتاه، فانصرفوا عنه، وأعلموا المهدي.

فبعث إليه.

فقال: امتنعتَ أن تصير إليهم فصاروا إليك، فامتنعتَ أن تقرأ عليهم!.

قال: يا أمير المؤمنين سمعتُ ابن شهاب[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: جمعنا هذا العلم من رجال في الروضة، وهم سعيد بن المسيب، وأبو سلمة، وعروة، والقاسم، وسالم، وخارجة، وسليمان، ونافع، رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ثم نقل عنهم: ابنُ هرمز، وأبو الزناد، وربيعة، والأنصار، وبحر العلم ابن شهاب، رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وكل هؤلاء يُقْرَأ عليهم ولا يَقْرَؤون.

قال المهدي: اذهبوا فاقرؤوا، ففي هؤلاء قُدوة.

فكان مؤدِّبُهم يَقرأ عليهم.[٣] ترتيب المدارك (١/ ١٤٨-١٤٩).

---

(١) لعله: إلى.

(٢) الزهري.

(٣) كان أهل العلم لا يُحابون في العلم أحدًا، ويُجلّونه ويعظمونه، ولذلك رفعهم الله وأعزهم، وأبقى ذكرهم الحسن.

* وقال الفروي: كان **مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا جلس معنا كأنه واحد منَّا، ينبسط معنا في الحديث، وهو أشد تواضعًا منا له، فإذا أخذ في الحديث تهيبنا كلامه، كأنه ما عَرَفنا ولا عرفناه. ترتيب المدارك (١/ ١٥٢).

* وعن أبي معاوية الضرير قال: أكلت مع **الرشيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ طعامًا يومًا من الأيام فصب على يدي رجل لا أعرفه، فقال هارون: يا أبا معاوية تدري مَنْ يصب عليك؟ قلت: لا، قال: أنا، قلت: أنت يا أمير المؤمنين، قال: نعم إجلالًا للعلم. المنتظم ٣٢٢- ٣٢٣/ ٨.

* وقال الأستاذ ابن العميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما كنت أظنُّ أن في الدنيا حلاوةً ألذّ من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها، حتى شاهدت مذاكرة **أبي القاسم الطَّبراني** (ت: ٣٦٠) وأبي بكر الجِعابي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ بحضرتي، فكان الطَّبراني يغلب أبا بكر بكثرة حفظه، وكان أبو بكر يغلب بفطنته وذكائه حتى ارتفعت أصواتُهما، ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه، فقال الجعابي: عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي فقال: هات، فقال: حدثنا أبو خليفة الجُمَحي، حدثنا سُليمان بنُ أيوب وحَدَّث بحديث، فقال الطَّبراني: أنا[1] سليمان بن أيوب ومني سمعه أبو خليفة، فاسمع مني حتى يَعْلُو فيه إسنادُك، فخجل الجعابي، فوددت لو أن الوزارة لم تكن وكنتُ أنا الطبراني، وفرحت كفرحه، أو كما قال. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٢٧٣.

* وعن أبي إسحاق الحربي أنه قال: كان **هشيم بن بشير** (ت: ١٩٠) رجلًا كان أبوه صاحب صحناة[2] وكواميخ[3]، فطلب ابنه هشيم الحديث واشتهاه،

---

(١) في الأصل: أخبرنا، وفي بقية المصادر «أنا» ولعله أصح، وهو الذي ذكره المصنف في تاريخه.

(٢) الصّحْنا والصّحناة: إدام يُتخذ من السمك الصغار، مصلحٌ للمعدة. القاموس المحيط، مادة صَحَنة.

(٣) الكامَخ: نوع من الإدام، وهو معرَّب. ولم يذكر صاحب القاموس واللسان غير هذا.

وكان أبوه يمنعه، فكتب الحديث حتى جالس أبا شيبة القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان يناظر أبا شيبة في الفقه، فمرض هشيم، فقال أبو شيبة: ما فعل ذلك الفتى الذي كان يجيء إلينا؟ قالوا: عليل، فقال: قوموا بنا حتى نعوده، فقام أهل المجلس جميعًا يعودونه حتى جاؤوا إلى منزل بشير، فدخلوا إلى هشيم، فجاء رجل إلى بشير فقال: الحق ابنك، قد جاء القاضي إليه يعوده، فجاء بشير والقاضي في داره فلما خرج قال لابنه: يا بني قد كنت أمنعك من طلب الحديث، فأما اليوم فلا، صار القاضي يجيء إلى بابي، متى أَمَّلْت أنا هذا؟ المنتظم ٨٩-٩٠/ ٩.

* وَعَنِ **الْأَعْمَشِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨) قَالَ: كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ مِنَ الْفَقِيهِ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى لِبَاسَهُ وَنَعْلَيْهِ.

* وَقِيلَ **لِابْنِ الْمُبَارَكِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: إِلَى الْبَصْرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: مَنْ بَقِيَ؟ فَقَالَ: **ابْنُ عَوْنٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) آخُذُ مِنْ أَخْلَاقِهِ، آخُذُ مِنْ آدَابِهِ.

وَقَالَ **عبدالرحمن بن مَهْدِيٍّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): كُنَّا نَأْتِي الرَّجُلَ مَا نُرِيدُ عِلْمَهُ لَيْسَ إِلَّا أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ هَدْيِهِ وَسَمْتِهِ وَدَلِّهِ. الآداب الشرعية ٢/ ١٠٥.

* وكان **يحيى بن يحيى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٤) جمع مسائل، سأل عنها أشهب وابن نافع وغيرهما من أصحاب مالك رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وكتبها عنهم، فعرضها على ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليرى فيها مذهبه، فجعل ابن القاسم ينتقص عليهم، فلما رأى يحيى ذلك طوى كتابه، وادخله في كمه، فقال له ابن القاسم: ما بالك؟ فقال: إن هؤلاء لهم عليّ حقٌّ كحقك، وقد كتبتُ عنهم ولم أُرِدْ أن أعرّض بهم للوقوع فيهم، فإذا كان هذا فلا حاجة لي بذلك.[1] ترتيب المدارك (٢/ ٣٤).

---

(١) فأين مَن يقصد مجالس من يقع في أعراض العلماء والفضلاء ويجرّحهم ويطعن فيهم، أو يستمع لهم عبر مواقع التواصل والشبكة العنكبوتية وغيرها؟
كيف يُفلح ويُوفق ويُبارك له؟

* وقال **أبو عُبَيْدٍ القاسِم بن سَلَّام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤): إنّ من شكر العلم أنْ تقعد مع قوم فيذكرون شيئا ولا تحسنه فتتعلّمه منهم، ثم تقعد بعد ذلك في موضع آخر فيذكرون ذلك الشيء الذي تعلمته فتقول: والله ما كان عندي في هذا شيء حتى سمعت فلانا يقول: كذا وكذا فتعلمتُه، فإذا فعلت ذلك فقد شكرت العلم، ولا تُوهمهم أنك قلت هذا من نفسك. المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٧٠٥)، الآداب الشرعية ٢/ ١١٨.

* وجاء يحيى بن معين يومًا **لأحمد بن حنبل** (ت: ٢٤١) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فبينما هو عنده إذ مر الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على بغلته، فوثب أحمد فسلَّم عليه وتبعه فأبطأ، ويحيى جالس، فلما جاء قال يحيى: يا أبا عبدالله لم هذا؟ فقال أحمد: دع هذا عنك، إن أردت الفقه فالزم ذَنَب البغلة.

قال **ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٤): الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَرَفَ قَدرَ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لما عنده من الفقه، ويحيى بن معين لم يكن عنده من ذلك كما عند الإمام أحمد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.[1] طبقات الشافعيين (١/ ٢٨).

* وقَالَ **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وذُكِر عنده إبراهيم بن طهمان- وكان متكئًا من علّة فاستوى جالسًا وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فنتكئ. الآداب الشرعية ٢/ ١٩.

* وقال أَبُو بَكْرِ بْنُ جَابِرٍ خادم **أبي دَاوُد السّجستاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٥): كنت مع أبي دَاوُد ببغداد، فصلينا المغرب، إذ قرع الباب ففتحته، فإذا خادم يقول: هذا الأمير أَبُو أَحْمَد الموفق يستأذن، فدخلت إلى أبي داود فأخبرته بمكانه، فأذن له فدخل وقَعَد، ثم أقبل عليه أَبُودَاوُد فقال: ما جاء بالأمير فِي مثل هذا الوقت؟

---

(١) ومن أراد العلم فلا بد أن يتواضع لأهله، ويحترمهم ويجلّهم.

فقال: خِلالٌ ثلاث، فقال: وما هي؟ قَالَ: تنتقل إلى البَصرة فتتخذها وطنًا، ليرحل إليك طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بك، فإنها قد خَرِبت وانقطع عنها الناس، لما جرى من محنة الزِّنج، فقال: هذه واحدة، هات الثانية، قَالَ: وتروي لأولادي كتاب السُّنَن، فقال: نعم، هات الثالثة، قَالَ: وتُفرد لهم مجلسا للرواية؛ فإن أولاد الخلفاء لا يَقعدون مع العامة، فقال: **أما هذه فلا سبيل إليها؛ لأن الناس شريفهم ووضيعهم فِي العلم سواء**. طبقات الحنابلة (١/ ٤٣٣-٤٣٤).

* وصنَّفَ **الوزيرُ ابن هبيرة أَبُو المظفَّر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٦٠) كتابَ (الإفصاح عن معاني الصحاح) في عِدَّة مجلَّدات، وهو شرح صحيحي البخاري ومسلم، ولما بلغ فيه إلى حديث «من يرد الله به خيرًا يُفقِّهه في الدين» شَرَح الحديث، وتكلَّم على معنى الفقه، وآل به الكلام إلى ذِكر مسائل الفِقه المتفق عليها، والمختلف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين.

وقد أفرده الناس من الكتاب، وجعلوه مجلدة مفردة، وسموه بكتاب «الإفصاح»، وهو قطعة منه، وهذا الكتاب صنَّفه في ولايته الوزارة، واعتنى به وجمع عليه أئمة المذاهب، وأوفدهم من البلدان إليه لأجله، بحيث إنه أنفق على ذلك مائة ألف دينار، وثلاثة عشر ألف دينار، وحدَّث به، واجتمع الخلق العظيم لسماعه عليه.

كتب به نسخة لخزانة المستنجد، وبعث ملوكُ الأطراف ووزراؤها وعلماؤها، واستنسخوا لهم به نسخًا، ونقلوها إليهم، حتى السلطان نور الدين الشهيد، واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم، يدرسون منه في المدارس والمساجد، ويعيده المعيدون، ويحفظ منه الفقهاء[1].

(١) انظر إلى هذه الهمة العظيمة، والجهد الكبير، الذي بذل فيه الكثير من ماله ووقته، واعتنى به=

ولما وُلِّيَ الوزير أَبُو المظفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوزارة بالغ في تقريب خيار الناس من الفُقهاء والمحدِّثين والصالحين، واجتهد في إكرامهم وإيصال النفع إليهم، وارتفع أهل السُّنّة به غاية الارتفاع. ذيل الطبقات (٢/ ١١٣ - ١٦٩).

* وقال بعضهم: حضرت مجلس **أبي جعفر الطحاوي** (ت: ٣٢١)، وعنده أبو عثمان بن حماد (ت: ٣٢٩) وهو يومئذ قاضي مصر، فدخل إليه رجل، فسأل أبا جعفر عن مسألة، فقال له أبو جعفر: مذهب القاضي أيده الله كذا وكذا، فقال له السائل: ما جئت إلى القاضي، إنما جئت إليك، فقال: يا هذا، مذهب القاضي ما قلت لك، فقال له السائل مثل ما قال له أولًا، فقال أبو عثمان: أفته أيدك الله، فقال أبو جعفر: إذا أذن القاضي أيده الله أفتيه، ثم أفتاه بعد ذلك.[1] ترتيب المدارك (٣/ ٢٣٣).

* وقال أحمد أخو **ربيع القطان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٤)[2]: كنا إذا جلسنا مع

= الأئمة قراءةً وتدريسًا واختصارًا، ومع ذلك لم يَسلم من الطعن والقدح، فمن ذلك ما قاله أبو جعفر المعروف بابن رئيس الرؤساء، يذم الكتاب وصاحبه:

ألا قل ليحيى وزير الزمـان ... محوت الشريعة محو السطور
كسرت الصحاح بتفسيرها ... وأصبحتَ تضربها في الكسـور
أكنـت دليــلا عليهــا لنا ... وهـل كـان أعمى دليـل البصير
ومـا كنت تقصد تهذيبهـا ... ولكـن لتهـذي بهـا في الصـدور

والعاقل إذا اجتهد في عملِ شيءٍ؛ لا يَلتفِت إلى المخذِّلين والقادِحين، فلن يخلو زمان ومكان منهم.

(١) انظر إلى أدب وتواضع الإمام أبي جعفر الطحاوي، مع أنه أكبر من القاضي بأكثر من خمس وثلاثين سنة، فما أجمل أن يتحلى طالب العلم بمثل هذا الأدب مع شيوخه وأقرانه، بل ومع مَن يصغُره سنًّا، إذا كانوا من أهل العلم والفضل، ولن يُنقص ذلك من قدره، ويحط من مكانته. فالتواضع والأدب دليل على التوفيق والصدق وسلامة الصدر.

(٢) من الفقهاء المعدودين والعبّاد المجتهدين، والنساك أهل الورع والدين، كان عالمًا بالقرآن وقراءته، وتفسير معانيه، حافظًا للحديث، عالمًا بمعانيه، وعلله ورجاله، وغريبه، معتنيًا بالمسائل والفقه.

والدي[1]، وخَطَر في بالِه شيءٌ من العلم قام من مكانه يبحث بين يدي ربيع ابنه، فيقوم ربيع إليه ويقول: لم فعلت هذا؟ فيقول: أردت أن أسألك عن شيء من العلم، فيقول: وهلَّا وأنت في مكانك؟ فيقول: أردت أن أُعْطي العلم حقَّه. ترتيب المدارك (٣/ ٢٨٢).

* وكان الشيخ محمد بن صالح المطوع رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩٩) يَلْهَج بذِكْر مشايخه ويدعو لهم، ويخُصُّ الشيخ **عمر بن سِلِيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حتى إنَّ مَن حوله في المسجد لَيَسمع دعاءه لشيخه الشيخ عمر في كلِّ يوم صباحًا ومساءً، وكان يقول: (إنَّ للشيخ عمر عليَّ فضلًا كبيرًا، فبسببه وصلتُ إلى ما وصلتُ إلي).

وله في هذا قصة نسوقها مختَصَرة، وهي أنَّ والده صالح المطوَّع كان من تُجَّار الإبل، ولم يكن له معرفة بالعلم وأهله ولا يُقدِّر ذلك، وكان قد طلَّق والدة الشيخ محمد وبقي الشيخ محمد عند والدته، فلم يلتفت إليه بشيء، ووالده من تُجَّار الإبل الذين يسافرون بالإبل إلى الشام ومصر، وذات يوم بعد أن كبر الشيخ محمد استدعاه أبوه، وأمره بأن يسافر معه للشام ومصر مع الإبل، فما استطاع الولد الامتناع، وذهب مع والده مُرغَمًا على ذلك وسافر، فلمَّا انقطع عن الدرس -ولم يكن ذلك من عادته- استغرب الشيخ عمر عدم حضوره للدرس، فسأل عنه، فقيل: استصحبه والده للشام، فقام الشيخ عمر على الفور إلى الأمير عبدالله بن جلوي أمير القصيم آنذاك فأخبره بالأمر وطلب منه إعادته، وقال للأمير: إنَّ والده قد تركه كلَّ هذه المدة بدون نَفَقةٍ أو رعاية، ولمَّا اتَّجه إلى العلم أراد أن يستفيد منه في تجارته ويضيِّع مستقبله في العلم؟!.

فما كان من الأمير عبدالله بن جلوي إلا أنَّ لبَّىَ طلب الشيخ وبعث إليه فارسًا لَحِق به بعدما تجاوز الطرفية -أي مسافة خمسين كيلًا تقريبًا- فأعاده إلى شيخه

(١) وهو من أهل العبادة.

وأُمِّه، واستمر على ذلك، فكان في ذلك تخليصٌ له من الضياع، ولذلك كان كلما ذَكَر هذه القصة دعا لشيخه وكان يقول: (أنقذني الله بالشيخ عمر من الجهل)، فرحمهما الله تعالى وعفا عنهما. علماء نجد (٦/ ١٥-١٦).

ب- تعريف العلم[١]، وكيفية أخذه، وبيان فضله:

* عن كميل بن زياد قال: أخذ **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) بيدي

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **العلم ثلاثة أقسام:**

علم بالله وأسمائه وصفاته: وما يتبع ذلك، وفي مثله أنزل الله سورة الإخلاص، وآية الكرسي، ونحوهما.

والقسم الثاني: العلم بما أخبر الله به، مما كان من الأمور الماضية، وما يكون من الأمور المستقبلة، وما هو كائن من الأمور الحاضرة، وفي مثل هذا أنزل الله آيات القصص، والوعد، والوعيد وصفة الجنة والنار، ونحو ذلك.

والقسم الثالث: العلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله من معارف القلوب وأحوالها وأقوال الجوارح وأعمالها، و هذا العلم يندرج فيه العلم بأصول الإيمان وقواعد الإسلام ويندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الظاهرة، وهذا العلم يندرج فيه ما وجد في كتب الفقهاء من العلم بأحكام الأفعال الظاهرة، فإن ذلك جزء من جزء من جزء من علم الدين، كما أن المكاشفات التي تكون لأهل الصفا جزء من جزء من جزء من علم الأمور الكونية.

والناس إنما يغلطون في هذه المسائل، لأنهم يفهمون مسميات الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، ولا يعرفون حقائق الأمور الموجودة، فرب رجل يحفظ حروف العلم التي أعظمها حفظ حروف القرآن ولا يكون له من الفهم، بل ولا من الإيمان ما يتميز به على من أوتي القرآن ولم يؤت حفظ حروف العلم، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها).

فقد يكون الرجل حافظًا لحروف القرآن وسوره، ولا يكون مؤمنا بل يكون منافقًا. فالمؤمن الذي لا يحفظ حروفه وسوره خير منه. وإن كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما ينتفع بالريحان. وأما الذي أوتي العلم والإيمان فهو مؤمن عليم، فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم مثل اشتراكهما في الإيمان، فهذا أصل تجب معرفته. مجموع الفتاوى١١/ ١٨٤

ومن أفضل الكتب التي تُبيّن فضل الْعلم وشرفه، وَعُمُوم الْحَاجة إليه، وَتوقف كَمَال الْعَبْد ونجاته فِي معاشه ومعاده عَلَيْهِ: مفتاح دار السعادة لابن القيم، فقد ذكر أكثر من مائة وعشرين وجهًا في تفضيلِ العلم وأهلِه.

فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد، القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة؛ فعالم رباني؛ ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

العلم خير من المال، العلم يحرسك وأن تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة، ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته، وصنيعة المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.[1] تهذيب الحِلْية ١/٨٦.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية. الحِلْية ١/ ١٣١.

* وعن **معاذ بن جبل** (ت: ١٨) قال: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ؛ فَإِنَّ تَعْلِيمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةً، وَطَلَبَهُ عِبَادَةً، وَمُذَاكَرَتَهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ[2]، وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلَهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ، يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً وَأَئِمَّةً يُقْتَصُّ آثَارُهُمْ، وَيُقْتَدَى بِأَفْعَالِهِمْ وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ.[3] جامع بيان العلم وفضله: (٢٦٨).

* وقال **ابن عباس** (ت: ٦٨) في قول الله تعالى ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ

---

(١) شرح العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الكلام الثمين في كتابه: مفتاح دار السعادة شرحًا وافيًا. [١/ ٤٠٣-٤٢٢].

(٢) فطالب العلم في جهاد وهو في مكتبته يبحث ويحفظ ويقرأ، إذا أخلص لله تعالى وصدق في الطلب.

قال شيخ الإسلام: فجعل البحث عن العلم من الجهاد في سبيل الله. ا.ه مجموع الفتاوى: ١٠/ ٣٩.

(٣) قال شيخ الإسلام في الفتاوى ٤/ ١٠٩: وَهُوَ مَحْفُوظٌ عَنْ مُعَاذٍ.

وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجادلة:١١]: يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا بدرجات.[١] مسند الدارمي (٣٦٥).

* وعن **أبي الدرداء** (ت: ٣٢) أنه قال: الناس ثلاثة: عالم، ومتعلم، ولا خير فيما بعد ذلك. مسند الدارمي (٢٥٢).

* وقَالَ **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): العلم علمان: فعلم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم.[٢] مسند الدارمي (٣٧٦).

* وقال **الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز** (ت: ١٠١) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: من عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح. الزهد لأحمد: ٤٨٦، ٥٠٦.

* **وَعَنِ الزُّهْرِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) قَالَ: «كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: الْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ الْعِلْمِ[٣] ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ». الزهد لابن المبارك (٧٦٦)، مسند الدارمي (٩٧) واللفظ له.

* وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما عُبد الله بشيء أفضل من العلم.[٤] تهذيب الحِلْية ٢/ ٢٥.

---

(١) قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الآية: يقول تعالى ذكره: يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم بطاعتهم ربهم، ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين، الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به. تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤٦).

(٢) ونسب البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شعب الإيمان: (١٦٨٦) هذا الأثر للْفُضَيْل بْن عِيَاضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) نَعْشُ الْعِلْم: معناه رفع العلم وإقامته، وتداركه من الهلكة والضياع.

(٤) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لأن العلم هو السبيل الوحيد لصلاح الأعمال والأقوال، قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلِهَذَا كَانَ الْجِهَاد نَوْعَيْنِ: جِهَاد بِالْيَدِ والسنان، وَهَذَا المشارك فِيهِ كثير، وَالثَّانِي: الْجِهَاد بِالْحجَّةِ وَالْبَيَان، وَهَذَا جِهَاد الْخَاصَّة من أَتبَاع الرُّسُل، وَهُوَ جِهَاد الأئمة، وَهُوَ أفضل الجهادين؛ لعظم منفعَته، وَشدَّة مُؤْنَته، وَكَثْرَة أعدائه، قَالَ تَعَالَى فِي سُورَة الْفرْقَان وَهِي مَكِّيَّة: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥١-٥٢]، فَهَذَا جِهَادٌ لَهُم بِالْقُرْآنِ، وَهُوَ أكبر الجهادين، وَهُوَ جِهَاد الْمُنَافِقين أيضا، فَإِن الْمُنَافِقين لم =

وقال **بعض البلغاء**: تعلم العلم فإنه يقومك ويسددك صغيرا، ويقدّمك ويسوِّدك كبيرا، ويصلح زيغك وفاسدك، ويرغم عدوك وحاسدك، ويقوّم عوجك وميلك، ويصحح همتك وأملك.

وقد قال **ابن المعتز** في منثور الحكم: العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلا، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالما. أدب الدين (٧٢).

* وسأل رجل **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن شيء فقال: إن الفقهاء يقولون كذا وكذا!.

فقال: إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بأمر دينه، المداوم على عبادة ربه عَزَّوَجَلَّ. مسند الدارمي (٣٠٢).

* وقال رجل **للشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣): أيها العالم، فقال: العالم من يخاف الله!. مسند الدارمي (٢٦٤)، تهذيب الحِلْية ١١١/ ٢.

* وعن **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩) قال: العالم من يخشى الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ٤٥٤/ ١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ميراث العلم خيرٌ من ميراث الذهب والفضة، والنفس الصالحة خيرٌ من اللؤلؤ. جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٨٤).

* وقال **الأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): إذا رأيتُ الشيخ لم يطلب الفقهَ أحببتُ أن أَصْفَعَه. عيون الأخبار ٥٣٦ / ٢.

=يَكُونُوا يُقَاتلُون الْمُسلمين، بل كانوا معهم فِي الظَّاهِر، وَرُبمَا كَانُوا يُقَاتلُون عدوهم مَعَهم، وَمَعَ هَذَا فقد قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة:٧٣] وَمَعْلُوم أَنَّ جِهَاد الْمُنَافِقين بِالْحجَّةِ وَالْقُرْآن. مفتاح دار السعادة ١/ ٢٧١.

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا انقطعت الأعمال بالموت، وطويت صحيفة العبد، فأهل العلم حسناتهم تتزايد كلما انْتُفِع بإرشادهم، واهْتُدِيَ بأقوالهم وأفعالهم، فحقيق بالعاقل الموفق أن ينفق فيه نفائس أوقاته، وجواهر عمره، وأن يعده ليوم فقره وفَاقَتِهِ. الفتاوى السعدية. ١/ ١١٣.

* وقال أيضًا: لولا تَعَلُّم هذه الأحاديث كنتُ كبعض بَقَّالي الكُوفة. عيون الأخبار ٥٣٦ / ٢.

* وعن **معاوية بن قرة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: لو أن أدنى هذه الأمة علما أخذتْ أمةٌ من الأمم بعلمه لرشدت تلك الأمة. مسند الدارمي (٣٩٦).

* وقال رجل **لأبي مجلز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٠) وهم يتذاكرون الفقه والسنة: لو قرأتم سورةً.

فقال: ما أرى أنّ قراءة سورة أفضل مما نحن فيه. تهذيب الحِلْية ٤٧١/ ١.

* وقال **قتادة** رَحِمَهُ اللَّهُ (١١٨): باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس أفضل من عبادة حول كامل. المنتظم ١٨٤/ ٧.

* وعن **مسروقٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٣) قال: كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله تعالى، وكفى بالمرء جهلًا أن يُعجَب بعلمه. مسند الدارمي (٣٢٢).

* وعن **مكحول** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٢) قال: من ذهب إلى علم يتعلمه، فهو في طريق الجنة حتى يرجع. تهذيب الحِلْية ١٨١/ ٢.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): ليس طلب العلم فلان عن فلان، إنما طلب العلم الخشية لله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ٣٦٥/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز واللحم. تهذيب الحِلْية ٤٠٤/ ٢.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أعلم عملا أفضل من طلب العلم وحفظه لمن أراد الله تعالى به خيرا. مسند الدارمي (٣٣٥).

* وعَنْه قال رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: إِنَّمَا فُضِّلَ الْعَالِمُ عَلَى غَيْرِهِ لِأَنَّهُ يَتَّقِي رَبَّهُ.[1] الآداب

---

(١) فالعلم لا يُحمد لذاته، بل لأثره على المتعلّم في إيمانه وأخلاقه وتقواه وعبادته وورعه وزهده وخوفه ورجائه وخشيته، فمن تعلّم ولم يُكسِبه العلم هذه الأمور كان العلم نقصًا في حقّه، وحجة عليه عند ربّه.

الشرعية ٢/ ٢٩.

* وعن محمد بن يوسف الفريابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما من عمل أفضل من طلب الحديث، إذا صحت النية فيه.

قيل **للفريابي**: وأي شيء النية؟ قال: تريد به وجه الله والدار الآخرة. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣٦٤.

* وقال **الشاعر**:

والعلم فيهِ حياة للقلوب كما   تحيا البلاد إذا ما مسها المطر

وقال **الآخر**:

العلم زين وخير الناس يطلب   والجاهلون لأهل العلم أعداء

فعِشْ بعلمٍ ولا تبغِ بهِ بدلًا   الناسُ موتى وأهلُ العلمِ أحياءُ

وقال **آخر**:

فكابد إلى أن تبلغ النفس عذرها   وكن في اقتباس العلم طلاع انجد

وقال **آخر**:

اصبر على مرِّ الجفا من معلّمٍ   فإن رسوخ العلم في نفَراتِهِ

فمَن لم يذق مر التعلم ساعة   تجرع كأس الجهلِ طولَ حياتِه

ومن فاته التعليم وقت شبابِهِ   فكَبِّر عليه أربعًا لوفاتِهِ

حياةُ الفتى والله بالعلم والتقى   إذا لم يكونا لاعتبار لذاتِهِ

وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) - في ديوانه (١٠٦):

تَعلّم فليسَ المرءُ يولدُ عالمًا   وليسَ أخو عِلمٍ كمنْ هو جاهِلُ

وإنّ كبيرَ القومِ لا عِلْمَ عنده   صغيرٌ إذا ردّتْ إليه المسائلُ

وإنّ صغيرَ القومِ إذ كان عالمًا   كبير إذا التفّتْ عليهِ المَحافِلُ

وقال **أبو الأسود الدؤلي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٩):

العلم زين وتشريف لصاحبه ... فاطلب هُديت فنون العلم والأدبا

العلم كنز وذخر لا نفادَ له ... نعم القرين إذا ما صاحب صحبا

يا جامع العلم نِعم الذُّخر تجمعه ... لا تعدلنّ به درًّا ولا ذهبا

قد يجمع المرءُ مالا ثم يُسْلبه ... عما قليل فيلقى الذل والحَربا

وجامع العلم مغبوطٌ به أبدا ... ولا يُحاذِرُ منه الفوت والسَّلبا

تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥/ ٢٠٩).

* وقال **مطر الوراق** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠) في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]: هل من طالب علم فيُعان عليه؟ مسند الدارمي (٣٥٩)، صحيح البخاري بصيغة الجزم.

* وعن **مطرف بن عبد الله بن الشخير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥) أنه قال لابنه -وكان قد تعبّد-: يا بني، العلم أفضل من العمل.[1] مسند الدارمي (٣٦٢).

* وعنه قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة، وخيرُ دينكم الورع.

قال البَيهقيُّ: وهو صحيح من قول مطرف.[2] [المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٤٥٥)].

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: ليس العالم الذي يعرف الخير من الشر، إنما العالم الذي يعرف الخير فيتبعه ويعرف الشر فيجتنبه. الزهد لأحمد: ٣٠٨.

---

(١) أي: العلم بالله تعالى وبشرعه أفضل من نوافل العبادات، هذا عند التزاحم، وأما مع السعة فالجمع بينهما هو الأفضل، ويكون نصيب العلم أوفر وأكثر؛ لما فيه من النفع المتعدي.

(٢) المقصود بالعلم ما قاله الإمام أحمد: الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ صاحبه فِي أَمْرِ دِينِهِ ويعبُد ويتّقي به ربّه سبحانه، كالصَّلَاة وَالصَّوْم وَالْحَجّ وَالطَّلَاق وَنَحْوُ هَذَا، وليس فضول العلم ومُلَحِه.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يراد للعلم: الحفظ، والعمل، والاستماع، والإنصات، والنشر. مسند الدارمي (٣٤١).

* وقال **شقيق البلخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): الدخول في العمل بالعلم، والثبات فيه بالصبر، والتسليم إليه بالإخلاص، فمن لم يدخل فيه بعلم فهو جاهل. تهذيب الحِلْية ٢/ ٥٠٢.

* وقال بعضهم: -البداية والنهاية ١٢/ ٣٨-.

ربَّ ميْت قد صار بالعلم حيًّا ومبقًّى قد مات جهلًا وغيًّا

فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودًا لا تعُدُّوا الحياة في الجهل شيًّا

* وقال **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نور يضعه الله في القلب. صفة الصفوة ٢/ ٥٠٤.

* وقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينكُمْ، لَقَدْ أَدْرَكْنَا فِي هَذَا الْمَسْجِدِ سَبْعِينَ مِمَّنْ يَقُولُ: قَالَ فُلَانٌ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَو ائْتُمِنَ عَلَى بَيْتِ مَالٍ لَكَانَ أَمِينًا عَلَيْهِ، فَمَا أَخَذْت مِنْهُمْ شَيْئًا، لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ، وَيَقْدَمُ عَلَيْنَا مُحَمَّدُ بن مُسْلِمِ بن شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ وَهُوَ شَابٌّ فَنَزْدَحِمُ عَلَى بَابِهِ. الآداب الشرعية ٢/ ١٠٤.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): العلم ما نفعَ، ليس العلم ما حُفِظ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٥٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه، ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل شيئًا أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه. تهذيب الحِلْية ٣/١٣٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما طلب أحد العلم بالتعمق وعزّ النفس فأفلح، ولكن

من طلبه بضيق اليد، وذلة النفس وخدمة العالم أفلح. تهذيب الحِلْية ١٢٦/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الطبع أرض، والعلم بذر، ولا يكون العلم إلا بالطلب، فإذا كان الطبع قابلًا زكا مَرْبَع العلم[1]، وتفرعت معانيه.[2] ترتيب المدارك (١/ ٤٣٢).

* وقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن أتكلم في العلم فأُخطِئ فيُقال لي: أخطأتَ، خير من أن أتكلم في الكلام فأُخطئ فيقال لي: كفرت. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٧٥).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم. طبقات الشافعيين (١/ ٦٧).

* وقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يطلب هذا العلم أحدٌ بالْمُلك وعزة النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس، وضيق العيش وخدمة العلم، وتواضعِ النفس أفلح. [المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٥١٣).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما تقرب إلى الله بعد الفرائض أفضل من طلب العلم، وقال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة. طبقات الشافعيين (١/ ٦٤).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أفلح في العلم إلا من طلبه في القلّة. طبقات الشافعيين (١/ ٦٤).

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتلهَّف على ما ضيَّع المسلمون مِن الطِّب، ويقول: ضيَّعوا ثلث العلم، ووكلوه إلى اليهود والنصارى. طبقات الشافعيين (١/ ٦٧).

* **وقال محمد بن عبدالله بن عبد الحكم** (ت: ٢٦٨): إني ذاكرت **الشافعي** يومًا بحديث، وأنا غلام، فقال: من حدثك؟ قلت: أنت، فقال: في أي كتاب؟ قلت:

---

(١) أي: موضع وأرض العلم.

(٢) فبقدر قبول طبع طالب العلم للعلم، وحرصه في طلبه، وجودة العلم الذي يتلقاه، وكيفية أخذه: ينبغ ويُعان ويُوفّق ويبرز، ولو كان غيره وأقرانه وشيوخه قد سبقوه، فهذا من أعظم أسرار نبوغ الكثير من العلماء.

في كتاب كذا، فقال: ما حدثتك به من شيء فهو كما حدثتك، وإياك والرواية عن الأحياء. ترتيب المدارك (٢/ ١٧٥).

* وعن الربيع قال: سمعت **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: وذكر من يحمل العلم جزافًا، قال: هذا مثل حاطب، أقبل يقطع حزمة حطب فيحملها، ولعل فيها أفعى فتلدغه وهو لا يدري، قال الربيع: يعني الذي لا يسألون عن الحجة من أين؟ يكتب العلم وهو لا يدري على غير فهم، فيكتب عن الكذاب وعن الصدوق، وعن المبتدع وغيره، فيحمل عن الكذاب والمبتدع الأباطيل، فيصير ذلك نقصًا لإيمانه وهو لا يدري. تهذيب الحِلْية ٣/ ١٢٩.

* وقَالَ **ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْريّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤): الْعِلْمُ أَفْضَلُ مِن الْعَمَلِ لِمَنْ جَهِلَ، وَالْعَمَلُ أَفْضَلُ مِن الْعِلْمِ لِمَنْ عَلِمَ.[1] الآداب الشرعية ٢/ ٣٣.

* وقال **الأصمعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٣): من لم يحتمل ذُلَّ التعليم ساعة؛ بقي في ذُلِّ الجهل أبدا. طبقات الشافعيين (١/ ١٤٩).

* وقال عبدالله بْن أَحْمَد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما قدم **أَبُو زُرعة الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٤) نزل عند أبي، فكان كثير المذاكرة له، سمعتُ أبي يومًا يقول: ما صليت غير الفرض، استأثرتُ بمذاكرة أبي زرعة عَلَى نوافلي. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٥).

* وقالَ **الْإِمَامُ أَحْمَدُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): إِنَّمَا يَحْيَا النَّاسُ بِالْمَشَايِخِ، فَإِذَا ذَهَبَ الْمَشَايِخُ فَمَاذَا بَقِيَ؟.

وَقَالَ: إِنَّمَا النَّاسُ بِشُيُوخِهِمْ فَإِذَا ذَهَبَ الشُّيُوخُ فَمَعَ مَنْ الْعَيْشُ؟ الآداب الشرعية ٢/ ١٠٣.

---

(١) فالعلم أفضل للجاهل من العمل؛ لأنّ العمل لا يصح بلا علم، والعمل أفضل للمعلّم من العلم؛ لأنّ المقصود من العلم العمل به.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما العلم مواهب، يؤتيه الله من أحبَّ مِن خلقه، وليس يناله أحد بالحَسَب، ولو كان لعلة الحسب لكان أولى الناس به أهلُ بيت النَّبِيّ ﷺ. طبقات الحنابلة (١/ ١٧٩).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: الناس يحتاجون إلى العلم مثل الخبز والماء؛ لأن العلم[١] يُحتاج إليه فِي كل ساعة، والخبز والماء فِي كل يوم مرة أو مرتين. طبقات الحنابلة (١/ ٣٩٠).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: العلم كثير، وهو أمرٌ إن لم تقطعه لم ينقطع، وله مسائل كثيرة.[٢] طبقات الحنابلة (٢/ ٩٨).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: علامة المريد قطيعة كلّ خليط، لا يريد ما تريد. طبقات الحنابلة (١/ ٤٧٧).

* وسُئل رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه الكتابة إلى متى العمل به؟ قَالَ: أخذُه العمل به.

وقال: كتبتُ في كتاب الحيض تسع سنين حتى فهمته. ذيل الطبقات (١/ ٣٠٤-٣٠٦).

---

(١) يعني به:

١- العلم بالله تعالى وأسْمائِه وصِفاته.

٢- والعلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب من الإيمان بالله من معارف القلوب وأحوالها، كالخوف والرجاء والخشية والحبّ، وهذا العلم يندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الباطنة.

٣- العلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالجوارح، وهذا العلم يندرج فيه ما وجد في كتب الفقهاء من العلم بأحكام الأفعال الظاهرة.

والأول والثاني لو خلا القلب منه لحظة لفسد، فحاجته صاحبه إليه أشد من حاجته للطعام والشراب.

(٢) فمن انشغل في تحصيل العلم فسينقضي عمره، ويُفني زمانه ولم يدرك منه إلا القليل، ولكن ينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل مهمات العلوم، ويُكثر من العمل به وتعليمه.

* وقال مهنا: قلت **لأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أفضل الأعمال؟ قَالَ: طلب العلم لمن صحت نيته، قلت: وأي شيء تصحيح النية؟ قَالَ: **ينوي يتواضع فيه وينفي عنه الجهل**. طبقات الحنابلة (٢/ ٤٧٧).

* وقال يَعْقُوب بن إِسْحَاقَ: سألت **أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ مسألة فقال: يُقال: إن العلم خزائن، والمسألة تَفْتَحه، دعني حتى أنظر فيها. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٥٦).

* وقَالَ أبو جعفر شامط القطيعي: دخلت عَلَى أبي عبدالله -الإمام **أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فقلت: أتوضأ بماء النُّورة؟[1] فقال: ما أحب ذلك، قلت: أتوضأ بماء الباقلاء؟ قَالَ: ما أحب ذلك، قلت: أتوضأ بماء الورد؟ قَالَ: ما أحب ذلك، قَالَ: فقمت، فتعلق بثوبي ثم قَالَ: إيش تقول إذا دخلت المسجد؟ فسكت، فقال: وإيش تقول إذا خرجت من المسجد؟ فسكت، فقال: **اذهب فتعلَّم هذا**.[2] طبقات الحنابلة (١/ ٨٧).

* وقال القاضي **أَبُو بَكْرِ بن أبي طاهر** (ت: ٥٤٨): مَن خَدَمَ المحابر خدمتهُ المنابر. ذيل الطبقات (١/ ٤٣٩).

* وقال **عثمان بن سعيد الدارمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠): قال لي رجل ممن يحسِدُني: ماذا كنت لولا العلم؟ فقلت: أردتَ شينًا فصار زينًا، سمعت نعيم ابن حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: سمعت أبا معاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: سمعت الأعمش رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لولا العلم لكنت بقَّالًا، وأنا لولا العلم لكنتُ بزازًا من بزازي سجستان.[3] طبقات الشافعيين (١/ ١٧٣).

---

(١) النُّورَة: حجر يُحرَق ويصبح شبيها بالجص، تُطلى به البيوت، ويُستخدم لإزالة الشعر.

(٢) من الخلل عند بعض طلاب العلم حرصهم على تتبع المسائل الدقيقة، وإهمالهم تعلّم وفهم الكتاب والسنة والفقه واللغة وغيرها من العلوم الضرورية لطالب العلم، والإمام أحمد نبّه هذا الطالب على هذا الخلل، وأرشده إلى الصواب، وهذا يدل على نصحه وشفقته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) لو قارنت -يا طالب العلم- بين حالك قبل طلب العلم وبين حالك الآن: لعلمتَ نعمة الله عليك بالعلم، وماذا سيكون حالك لو لم يمنّ عليك بالعِلم؟
فاحمدِ الله وانسب الفضل له، لا لاجتهادك وذكائك.

* وسُئِلَ **مُحمَّد بن خُزيمةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٣): من أين أوتيتَ العلم؟ فقال: قال رسول الله، ﷺ: «ماء زمزم لما شُرِبَ له»، وإني لمّا شربت ماء زمزم سألتُ الله علمًا نافعًا. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٧).

* وقَالَ **عبدالله بن الْمُعْتَزِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠): الْمُتَوَاضِعُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا، كَمَا أَنَّ الْمَكَانَ الْمُنْخَفِضَ أَكْثَرُ الْبِقَاعِ مَاءً.

وَقَدْ نَظَمَ هَذَا **أَبُو عَامِرٍ النَّسَوِيُّ** فَقَالَ:

الْعِلْمُ يَأْتِي كُلَّ ذِي خَفْضٍ وَيَأْبَى كُلَّ آبِي

كَالْمَاءِ يَنْزِلُ فِي الْوِهَادِ وَلَيْسَ يَصْعَدُ فِي الرَّوَابِي

الآداب الشرعية ٢/ ٢٠.

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): **يحصل العلم بثلاثة أشياء:**

أحدها: العمل به، فإن من كلف نفسه التكلم بالعربية، دعاه ذلك إلى حفظ النحو، ومن سأل عن المشكلات ليعمل فيها بمقتضى الشرع تعلم.

والثاني: التعليم، فإنه إذا علم الناس كان أدعى إلى تعليمه.

الثالث: التصنيف، فإنه يخرجه إلى البحث، ولا يتمكن من التصنيف من لم يدرك غور ذلك العلم الذي صنف فيه. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٧).

ج- ما قيل في العلم والعلماء:

* قالَ **عُمرُ بنُ الْخطَّابِ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) لرجل: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال منافق بالكتاب، وحُكم الأئمة المضلين. أخبار الشيوخ (٣٤٥) واللفظ له، الزهد لابن المبارك (١١٣٧).

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: هل تدرون ما ذهاب العلم؟ قالوا: لا، قال: ذهاب العلماء. مسند الدارمي (٢٤٩).

* وقيل **لسَعِيد بن جُبَيْر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): ما علامةُ هلاك الناس؟ قال: إذا هلك علماؤهم. مسند الدارمي (٢٤٧).

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كانوا يقولون: موت العالم ثلمة في الإسلام، لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار. مسند الدارمي (٣٣٣).

* وقال **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): الفقيه يدخل بين الله وبين عباده فلينظر كيف يدخل؟ تهذيب الحِلْية ١/٤٩٦.

* وقال **أبو جعفر محمد بن علي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨): والله لموتُ عالمٍ أحبُّ إلى إبليس من موت سبعين عابدًا. صفة الصفوة ٢/٤٥٨.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد. تهذيب الحِلْية ١/٥٠٧.

* وقال **ابن محيريز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): كنا نرى أن العمل أفضل من العلم، ونحن اليوم إلى العلم أحوج منّا إلى العمل. تهذيب الحِلْية ٢/١٦٩.

* وقال **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): إنَّ هذا العلم دِينٌ فانظروا عمَّن تأخذون دينكم. صحيح مسلم في المقدمة.

* وعن **مكحول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) قال: من لم ينفعه علمه ضره جهله. تهذيب الحِلْية ٢/١٨٠.

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: العلم إن لم ينفعك ضرّك. صفة الصفوة ٢/٥٤١.

* وقال **أبو مسلم الخولاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢): «**العلماء ثلاثة:**

١- رجل عاش في علمه، وعاش معه الناس فيه.

٢- ورجل عاش في علمه، ولم يعش معه فيه أحد.

٣- ورجل عاش الناس في علمه، وكان وبالا عليه.[١].

مسند الدارمي (٣٧٣).

* وقال **عبد الأعلى التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠): إن من أوتي من العلم ما لا يُبكيه لخليق أن لا يكون أوتي علمًا ينفعه؛ لأن الله تعالى نعت العلماء ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩]. الزهد لأحمد: ٣٠٧، مسند الدارمي (٢٩٩) واللفظ له.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: **العلماء ثلاثة:**

١- عالم بالله يخشى الله ليس بعالم بأمر الله.

٢- وعالم بالله عالم بأمر الله يخشى الله، فذاك العالم الكامل.

٣- وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله لا يخشى الله، فذلك العالم الفاجر.

مسند الدارمي (٣٧٥).

* وعنه قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأعمال السيئة داء، والعلماء دواء، فإذا فسد العلماء فمن يشفي الداء؟! تهذيب الحِلْية ٣٦٢/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العالم طبيب الدين، والدرهم[٢] داء الدين، فإذا جذب الطبيب الداء إلى نفسه فمتى يداوي غيره؟ شعب الإيمان (١٧٤٧).

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما يطلب العلم ليُتَّقى الله به، فمن ثم فضل، فلولا ذلك

---

(١) **الأول:** عاش بعلمه فعمل به، وعاش معه الناس فيه، فنشره بينهم وعلّمهم.

والثاني: عاش بعلمه فعمل به، لكنه حبسه لنفسه، وحرم الناس من الانتفاع به.

والثالث: عاش معه الناس فيه، فنشره بينهم وعلّمهم، لكنه لم يعمل به.

فالأول: مثاب، **والثاني:** محروم، **والثالث:** معاقب.

(٢) الدرهم هنا: كناية عن طلبه والسعي في البحث عنه ولو بالحرام والشُّبَه، وأن يكون المال هو المقصد الأعظم له، وأما مَن طلب المال ليُعف نفسه وأهله فهو مباح باتفاق العلماء.

لكان كسائر الأشياء. تهذيب الحِلْية ٣٦٢/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أول العلم الصمت، والثاني الاستماع له وحفظه، والثالث العمل به، والرابع نشره وتعليمه. تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحديث أكثر من الذهب والفضة وليس يدرك، وفتنة الحديث أشد من فتنة الذهب والفضة. تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هذا الحديث عز، من أراد به الدنيا فدنيا، ومن أراد به الآخرة فآخرة. تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ٢.

* وعن **مسعر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٢) قال: من طلب العلم لنفسه فقد اكتفى، وإن طلبت للناس فأنت في شغل شاغل.[١] تهذيب الحِلْية ٤٢٢/ ٢.

* وقال ابن السماك: قال **مسعر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أراد الحديث للناس فليجتهد فإن بلاءهم شديد، ومن أراد لنفسه فقد اكتفى.

قال: قال شعبة: لو كان هذا حديثًا كان ينبغي أن يكتب. تهذيب الحِلْية ٤٢٢/ ٢.

وقال **الشاعر**:

رأيت رفيع الناس من كان عالما ... وإن لم يكن في قومه بحسيب

إذا حلّ أرضا عاش فيها بعلمه ... وما عالمٌ في بلدة بغريب

المجالسة وجواهر العلم (٥٥).

* وصحَّ عن **ربيعة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) قال: العلم وسيلة إلى كُلِّ فضيلة.[٢]

---

(١) أي: من طلب العلم لإصلاح نفسه والعمل بالعلم: فقليل من العلم يكفي في إصلاح أخلاقه واستقامته وتقوية إيمانه، وإن طلبه بقصد رياء الناس أو التكاثر به ونحو ذلك: فهو في شغل شاغل بالعلم الذي لا ساحل له، وشغل شاغل بالناس الذين ينتظر مدحهم، وإعجابهم بعلمه وسعة اطلاعه.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولو صور العلم صورة لكانت أجمل من صورة الشمس والقمر، ولكن عشق هذه الصفات إنما يناسب الأنفس الشريفة الزكية. =

تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٣٥.

* وعن **أبي حازم سلمة بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: إن العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم منهم من هو فوقه في العلم كان يومَ غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يزْه عليه. تهذيب الحِلْية ١/ ٥٢٧.

* وقال **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧): العلماء هم ضالتي في كل بلدة وهم بغيتي، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء. تهذيب الحِلْية ٥٤/ ٢.

* وقام رجل إلى **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) فقال: يا أبا عبد الرحمن في أي شيء أجعل فضل يومي، في تعلم القرآن أو في طلب العلم؟ فقال: هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك؟ قال: نعم! قال: فاجعله في طلب العلم الذي تَعْرف به القرآن. تهذيب الحِلْية ٣٧/ ٣.

* وعن **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) قال: إن للعلم طغيانًا كطغيان المال.[1] تهذيب الحِلْية ٤٩/ ٢.

* وعن **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: كان يقال: ليس شيء أشد على إبليس من العالم الحليم، إن تكلم تكلم بعلم، وإن سكت سكت بحلم. تهذيب الحِلْية ٤٨٨/ ٢.

* وقال **عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): فتنة الحديث أشد من فتنة

= وأما عشاق العلم فأعظم شغفا به وعشقا له من كل عاشق بمعشوقه، وكثير منهم لا يشغله عنه أجمل صورة من البشر. روضة المحبين/ ٢١٣

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لأنّ شرف العلم أعظم من شرف المال ولا مقارنة، فمن لم يحذر من طغيان العلم، ويعمل على إصلاح قلبِه: وإلا هلك وتكبر وازدرى غيره من طلاب العلم والعامة، بل وكثيرًا من العلماء من الخلف والسلف والعياذ بالله.

المال، وفتنة الولد تشبه فتنته، كم من رجل يُظن به الخير قد حمله فتنة الحديث على الكذب. تهذيب الحِلْية ٣/١١٣.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤): طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.[١] صفة الصفوة ٢/ ٥٥٣.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن لم يكن الفقهاءُ العاملون أولياء الله فما لله وليٌّ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٥٠.

* وقيل للإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: من نسأل بعدك؟ قال: **عبد الوهاب الوراق** (ت: ٢٥١)، قيل له: إنه ليس له اتساع في العلم، قال: إنه رجل صالح مثله يوفق لإصابة الحق.

* وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن **معروف الكرخي** (ت: ٢١٠) فقال: كان معه أصل العلم خشية الله. جامع العلوم والحكم / ١٢٥.

* وسئل **أبو بكر بن طاهر** رَحِمَهُ اللَّهُ: (ت: ٥٨٠) ما بال الإنسان يحتمل من معلمه ما لا يحتمله من أبويه؟ فقال: لأن أبويه سبب حياته الفانية، ومعلمه سبب حياته الباقية.[٢] المنتظم ١٦-١٧/ ١٤.

---

(١) أي: طلب العلم النفل، أفضل من صلاة النافلة عند التزاحم، ولكن لا يعني أن يزهد طالب العلم بالنوافل وينشغل بطلب العلم، ومن فعل ذلك فهو مخذول.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الشيخ والمعلم والمؤدب: أبو الروح، والوالد: أبو الجسم. ومعلوم أن الإنسان يجب عليه أن يطيع معلمه الذي يدعوه إلى الخير ويأمره الله، ولا يجوز له أن يطيع أباه في مخالفة هذا الداعي؛ لأنه يدله على ما ينفعه ويقربه إلى ربه، ويحصل له باتباعه السعادة الأبدية.

فظهر فضل الأب الروحاني على الأب الجثماني، فهذا أبوه في الدين، وذاك أبوه في الطين، وأين هذا من هذا؟! ا.هـ مختصر الفتاوى/ ١٧٦

قلت: فشرف المعلم والشيخ المخلص الناصح عظيم وكبير، فالواجب معرفة مكانته، والقيام بحقه، والدعاء له.

* ويقال: غَرِيزة العقل أُنْثى، وما يُستفاد من العلم ذَكَرٌ، ولن يصلُحَا إلاّ معًا. عيون الأخبار ٥٢٦ / ٢.

* وصد القائل:

مـا وهـب الله لامـرئٍ هبـةً ... أحسنُ من علمِه ومِن أدبِه

همـا جمـالُ الفتـى فـإنْ فُقِدا ... فَفَقْـدُه للحيـاةِ أجمـلُ بـه

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان مجلس **الحسن بن علي بن العباس الملقب نظام الملك** (ت: ٤٨٥): عامرًا بالفقهاء وأئمة المسلمين وأهل التدين حتى كانوا يشغلونه عن مهمات الدولة، فقال له بعض كتابه: هذه الطائفة من العلماء قد بسطتهم في مجلسك حتى شغلوك عن مصالح الرعية ليلًا ونهارًا، فإن تقدمت أن لا يوصل أحد منهم إلا بإذن، وإذا وصل جلس بحيث لا يضيق عليك مجلسك، فقال: هذه الطائفة أركان الإسلام، وهم جمال الدنيا والآخرة، ولو أجلست كلًا منهم على رأسي لاستقللت لهم ذلك. المنتظم ٣٠٣/ ١٦.

د- نصائح وتوجيهات للعالم وطالب العلم:

* عن **عمر بن الخطاب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٢٣) قال: تعلّموا العلم وعلِّموه الناس، تعلَّموا الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلَّمتم منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء. المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٦٢٩) وصححه.

* وقال **علي** رضوان الله عليه (ت: ٤٠): تعلموا العلم فإذا علمتموه فاكْظموا عليه، ولا تشوبوه بضحك ولا بلعب فتمجّه القلوب.[١] مسند الدارمي (٦٠٢).

* وقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: تذاكروا هذا الحديث، وتزاوروا، فإنكم إن لا تفعلوا، يدرس. مسند الدارمي: (٦٥٠).

---

(١) ورواه أبو نعيم في الحلية عن سفيان الثوري رَحِمَهُٱللَّهُ.

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: لا يكون الرجل من العلم بمكان حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يبتغي بالعلم ثمنًا.[١] تهذيب الحِلْية ٢١٨/ ١.

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة. صحيح مسلم في المقدمة.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن لكل شيء آفة، وآفة العلم النسيان. مسند الدارمي: (٦٤٧).

* وصحِب **سلمانَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) رجلٌ من بني عبس، فشرب شربة من دجلة، فقال له سلمان: عُد فاشرب، قال: قد روِيْت، قال: أترى شربتك هذه نقَّصَت من ماء دجلةَ شيئًا؟ قال: وما تُنقص شربةٌ شربتها؟ قال: كذلك العلم لا يفنى، فابتغ من العلم ما ينفعك. الزهد لابن المبارك (٧٧١).

* وقال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ **ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨): ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران:٧٩] حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ: «الرَّبَّانِيُّ: الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ».[٢] فتح الباري: ١/ ٢١١.

---

(١) وكذا قال أبو حازم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٣٦

(٢) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره ما دق منها. فتح الباري «طباعة دار السلام» ١/ ٢١٣

قال ابن خلدون رَحِمَهُ اللَّهُ: شاهدنا كثيرًا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفادته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانًا على التعليم وصوابًا فيه ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله فيخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل أن يستعد لفهمها فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجًا. ويكون المتعلم أول الأمر عاجزًا عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال وبالأمثال الحسية. ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلًا قليلًا بمخالطة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب=

* وقالَ الشَّاعِرُ:

تَـرقَّ إلى صَغِيرِ الأمْرِ حتَّى	يُرَقِّيـك الصَّغِيـرُ إلـى الْكبيـرِ
فتعْـرِفَ بالتَّفَكُّـرِ فِـي صغِيـرٍ	كبيـرًا بعـد مَعرفَـةِ الصَّغيـرِ

أدب الدين (٩٢).

* وقال **الزهري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٤): إن هذا العلم إن أخذته بالمكاثرة غلبك ولم تظفر منه بشيء، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذًا رفيقًا تظفر به. تهذيب الحِلْية ٢٤/ ٢.

* وعن **وكيع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٧) قال: لا يكمُلُ الرجلُ حتى يكتبَ عمَّن هو فوقَه وعمَّن هو مِثْلَه، وعمن هو دونَه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨١٢.

* وقال **ابن عُيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨): يُستَحَبّ للعالم إذا عَلَّم ألاّ يُعَنِّف، وإذا عُلِّم ألاّ يَأْنَف. عيون الأخبار ٥٢٠ / ٢.

* وعن **علقمة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:٦٢) قال: تذاكروا الحديث، فإن ذكره حياته. مسند الدارمي: (٦٢٧).

* وقال **بعض العلماء**: من أكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم.

وقال **الشاعر**:

إذا لم يذاكر ذُو العلوم بعلمه	ولم يستفد علمًا نسيْ ما تعلمّا

= الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن. وإذا ألقيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له كَلَّ ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم. مقدمة ابن خلدون تحقيق / د: محمد الإسكندراني. (طبعة دار الكتاب العربي). ص٤٩٠

فكم جامعٍ للكتب في كلِّ مذهب يزيد مع الأيام في جمعه عمَى

أدب الدين (٩٥).

* وعن ربيعة قال: قال لي ابن **خلدة الزرقي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إني أرى الناس قد ملكوك أمر أنفسهم، فإذا سُئلت عن المسألة فاطلب الخلاص منها لنفسك، ثم للذي سألك. تهذيب الحِلْية ١/٥٣٤.

* وقال **أبو عاصم الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:٢٢٠): مَن طلب الحديثَ، فقد طلب أعلى الأمور، فيجبُ أن يكون خيرَ الناس. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٥٠.

* وعن **حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: إن من السنة إذا حدث الرجل القوم أن يقبل عليهم جميعًا، ولا يخص أحدًا دون أحد. تهذيب الحِلْية ٢/١٤٢.

* وعن **حبيب بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: تعلّموا العلم وانتفعوا به، ولا تعلّموه لتتجمّلوا به، فإنه يوشك إن طال بكم عمر أن يتَجمَّل ذو العلم بعلمه، كما يتَجمَّل ذو البزّة ببزته.[1] مسند الدارمي (٣٨١)، الزهد لابن المبارك (١٠٥٦).

* وقال **عطاء بن يسار** (ت: ١٠٣) **وسليمان بن موسى** (ت: ١١٥) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: ما جُمع شيء إلى شيء أزين من علم إلى حلم. مسند الدارمي (٥٩٦)، الزهد لأحمد: ٣٧٧.

* وكتب **رجل** إلى أخ له: إنَّ الحلم لِبَاسُ العلم فلا تعريَنَّ منه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٩-٦٠.

* وعن **عامر الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: زين العلم حلمُ أهله.[2] مسند

---

(١) وقد حصل هذا في هذا الزمان، حيث تَجمَّل بعضٌ من ذوي العلم بعلمهم في وسائل التواصل، وزخرفوا أقوالهم، ليكثر متابعوهم، وتزداد شهرتهم، ويعظم الثناء عليهم، وهم أقل الناس بركة ونفعا وتوفيقا.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعظم الناس انتفاعًا ونفعًا بعلمه: الحليم. =

الدارمي (٥٩٧).

* وقال بعضهم:

الحِلْـمُ والعِلْـمُ خَلَّتـا كَـرمٍ   للمـرءِ زَيْـنٌ إذا همـا اجتمعـا

عيون الأخبار ٥١٩/٢.

* وقال **عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): كان يقال: إذا لقي الرجل الرجل فوقه في العلم كان يوم غنمية، وإذا لقي من هو مثله دارسه وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه تواضع له وعلمه، ولا يكون إمامًا في العلم من يحدث بكل ما سمع، ولا يكون إمامًا في العلم من يحدث عن كل أحد، ولا يكون إمامًا في العلم من يحدث بالشاذ من العلم، والحفظ: الإتقان. تهذيب الحِلْية ٣/١١١.

* وقال **بعض السلف**: من خرج إلى العلم يريد العلم لم ينفعه العلم، ومن خرج إلى العلم يريد العمل بالعلم نفعه قليل العلم.

والعلم موقوف على العمل به، والعمل موقوف على الإخلاص، والإخلاص لله يورث الفهم عن الله عَزَّوَجَلَّ. الزهد للخطيب (٧١).

* وعن **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) قال: حَقٌّ على من طلب العلم أن يكون له وقَارٌ وسكينةٌ وخشية، والعلم حسنٌ لمن رُزق خيره، وهو قَسْم مِن الله تعالى، فلا تمكن الناس من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يُوفَّقَ للخير، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يُخطئ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٣٥.

= وأقلّ الناس نفعًا وانتفاعًا بعلمه من لا حلم له؛ فإن الطّيش والحدّة والعنف هي أضداد الحلم، وهي آفة العلم المانعة من الانتفاع به، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وهذا غاية الحلم: أن يعفو عن جانِيهم على حقّه، ويستغفر لمسيئِهم فيما بينه وبين الله، ويتألف قلوبهم بالمشاورة، ولا يفعل هذا إلا أحكم الناس وأرحمهم. مجموع رسائل ومسائل ابن القيم ص: ١٠٠.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

اصبرْ على مُرِّ الجفا من معلمٍ	فإِن رسوبَ العلمِ في نَفَراتِهِ
ومن لم يذقْ مُرَّ التعلم ساعةً	تجرَّعَ ذلَّ الجهلِ طولَ حياتِهِ

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلم صيد والكتابة قيْدُه	قيّد صيودك بالحبال الواثقهْ
فمن الحماقة أن تصيد غزالة	وتتركها بين الخلائق طالقه

ديوان الشافعي (٥٦، ١٢٥).

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): لا تطلب العلم رياء، ولا تتركه حياء. تهذيب الحِلْية ٢٥٩/ ٣.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت: ١١٠): من طلب شيئا من هذا العلم فأراد به ما عند الله يدْركْ إن شاء الله، ومن أراد به الدنيا فذاك والله حظّه منه. مسند الدارمي (٢٦٠).

* وقال **الجنيد بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧): متى أردت أن تشرّف بالعلم، وتُنسب إليه، وتكون من أهله، قبل أن تُعطي العلم ماله عليك: احتجب عنك نوره، وبقي عليك وسمه وظهوره. ذلك العلم عليك لا لك، وذلك أن العلم يشير إلى استعماله وإذا لم يستعمل العلم في مراتبه رحلت بركاته. تهذيب الحِلْية ٣٨١/ ٣.

* وكثيرًا ما كان **سفيان بن عُيَينةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) يقول: توفيقٌ قليلٌ خيْر من علمٍ كثير.[١] شعب الإيمان (١٧٣٨).

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلا تظنّ أنّ الوصول إلى الله ومرضاته ونفع عباده بكثرة العلم وقوة الحفظ ودقة الفهم.

لا والله.

بل بتوفيق الله لك وبركته عليك. =

* وذكروا الكُتَّاب ودِقّة ذهنهم عند **الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) فقال: إنما هو **التوفيق**. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٧٦).

* وسئل **عبادة بن نُسَيّ الكِندي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) عن امرأة ماتت مع قوم ليس لها وليّ، فقال: أدركت أقواما ما كانوا يشددون تشديدكم، ولا يسألون مسائلكم.[1] مسند الدارمي (١٢٩).

* وقال **القاسم بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): إنكم لتسألونا عن أشياء ما كنا نسأل عنها، وتنقِّرون عن أشياء ما كنا نُنَقِّر عنها، وتسألون عن أشياء ما أدري ما هي، ولو علمناها ما حلّ لنا أن نكتمكموها.[2] مسند الدارمي (١٢٠).

* وقال الخرشي: **وللأعمش** سليمان بن مهران رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨) مُلَحٌ ونوادر، وإساءة خُلُق على المحدِّثين، وهم مع ذلك يحتملون أخلاقه.[3] معرفة القراء (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

* وقال **بعض الشعراء**:

إنّ المعلم والطبيب كلاهما ... لا ينصحان إذا هما لم يُكرما

= فما أكثر مَن عنده سعة في العلم.
وما أقل من وُفِّق.

(١) لأنهم منشغلون بالعمل، فلا يسألون إلا عن المسائل التي ينبني عليها العمل، أو التي فيها صلاح قلوبهم وزيادة إيمانهم.

(٢) إذا كانت همّة طالب العلم في العمل: حرص على تعلّم العلم النافع الواضح في الكتاب والسنة، وانشغل بفهم نصوص الكتاب والسنة والعمل بها، وانصرف عن دقائق المسائل والبحث عن الغرائب والنوادر.
بخلاف من كان همّه جمع العلم: فإنه يُصرف عن فهم الكتاب والسنة والعلم النافع؛ لانشغاله بدقائق المسائل والبحث عن الغرائب والنوادر، ومن ضيّع الأصول حُرم الوصول.

(٣) ما كلّ عالم يُوفق لحسن الأخلاق، والواجب على طالب العلم الصادق أن يَحتمل ما يبدر من شيخه من سوءِ خُلُق وشِدة، ويصبر على ذلك، لأجل تحصيلِ العلم الذي عنده.

فاصبر لدائك إنْ أهنت طبيبه ... واصبر لجهلك إنْ جفوت معلّما

أدب الدين (١١٩).

* وقال **أبو بكر بن عياش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) للحسن بن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمدينة: ما أبقت الفتنة مِنك؟ فقال: وأيُّ فتنة رأيتني فيها؟ قال: رأيتُهم يُقبِّلون يَدك ولا تَمنعُهم. معرفة القراء (١/ ٢٨٤).

* وقال **الكسائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٦)، قال: كنت أقرأ على حمزة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٦)، فجاء سليم بن عيسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٨) فتلكأت، فقال لي حمزة: تهاب سليمًا ولا تهابني! فقال لي: يا أستاذ أنت إن أخطأتُ قوّمتني، وهذا إن أخطأتُ عيَّرني. معرفة القراء (١/ ٣٠٧).

* واجتمع **الكسائي** واليزيدي عند الرشيد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فحضرت صلاة، فقدَّموا الكسائي يُصلي، فارتجّ عليه قراءة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١]، فقال اليزيدي: قراءة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ ترتجُّ على قارئ الكوفة؟!.

قال: فحضرت صلاة، فقدموا اليزيدي فارتجَّ عليه في الحَمد، فلما سلَّم قال:

احفظ لسانك لا تقول فتُبتلى ... إنَّ البلاء موكل بالمنطِق

معرفة القراء (١/ ٣٠١).

* وقَالَ **الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): شِرَارُ عِبَادِ اللهِ يَنْتَقُونَ شِرَارَ الْمَسَائِلِ يُعْمُونَ بِهَا عِبَادَ اللهِ. الآداب الشرعية ٢/ ٥٦.

* وسُئِل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَا عُقُوبَةُ الْعَالِمِ؟ قَالَ: مَوْتُ الْقَلْبِ، قيل: وَمَا مَوْتُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: طَلَبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ. الآداب الشرعية ٢/ ٣٥.

* وقال **الشاعر**:

ومَا مِنْ كاتِبٍ إلَّا سَتبْقَى ... كِتَابَتُهُ وإنْ بَلِيَتْ يَدَاهُ

فَلَا تَنْسَخْ بِخَطِّكَ غَيْرَ عِلْمٍ يَسُرُّكَ فِي الْعوَاقِبِ أنْ تَرَاهُ

المجالسة وجواهر العلم (٣٢٢).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): حبِّب إلى نفسك العلم حتى تلزمه وتألفه، ويكون هو هواك، ولذتك، وسلْوتك، وبلغتك.[١] الأدب الكبير (١٠٤).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعرف الأصول ثم اطْلب الفصول[٢]، فإن كثيرًا من الناس يطلبون الفصول مع إضاعة الأصول، فلا يكون دَرَكُهم[٣] دَركًا.

ومن أحرز الأصول اكتفى بها عن الفصول، وإن أصاب الفصل بعد إحراز الأصل فهو أفضل. الأدب الصغير (٥٨).

* وصدق **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

فإنّ الجُرْحَ يَنْفِرُ بَعدَ حينٍ إذا كانَ البِناءُ على فَسادِ[٤]

ديوان المتنبي (٦٣).

* وصدق **الشاعر**:

إِذا مَا أتيتَ الْأَمر من غير بَابه ضللتَ وَأَن تدخل من الْبَاب تهتدي

* وقال ابن أخي ابن وهب: سمعت **القاضي ابن المنكدر** (ت: ٢١٤) يصيح **بالشافعي** (ت: ٢٠٤) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: يا كذا يا كذا، دخلت هذه البلدة وأمرنا ورأينا واحد، ففرّقت بيننا، ودعا عليه.[٥] ترتيب المدارك (٢/ ٧٤).

---

(١) البلغة: ما يكتَفى به من العيش.

(٢) الأصول: القواعد والأدلة العامة التي يُبنى عليها العلم، والفصول: فروع العلم.

(٣) الدرك: اللحاق والوصول إلى الشيء.

(٤) نفر الجرح: إذا تورم وظهر من أسفله فساد.

فإذا كان البناء على غير قواعد كان الفساد أقرب إليه من الصلاح.

(٥) ظنا منه أن الاختلاف في مسائل الاجتهاد يفرق بين الناس، وهذا خطأ، فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جرى بيهم اختلاف كثير حتى في مسائل في العقائد، ولم يؤد اختلافهم في مسائل الاجتهاد إلى اختلاف=

* وقَالَ **الشَّعْبِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣): إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِمَنْ فِيهِ عَقْلٌ وَنُسُكٌ، فَالْيَوْمَ يَطْلُبُهُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا نُسُكَ فِيهِ.(١) الآداب الشرعية ٢/ ٣٢.

* وقيل **لمالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): عند ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحاديث ليس عندك.

فقال: إذا أُحَدِّثُ الناس بكل ما سمعت إني إذًا أحمق.

ولقد خرَجَت مني أحاديث لوددت أني ضُربت بكل حديث منها سوطًا ولم أحدث بها.(٢) ترتيب المدارك (١/ ١٤١).

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ فلانًا يحدثنا بغرائب.

فقال: من الغريب نَفِر.(٣).

وقال: شر العلم الغريب، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس. ترتيب المدارك (١/ ١٤٢، ١٧٧).

= قلوبهم، وتقاطعهم وافتراقهم، **وإنما سبب التفرق والتقاطع:**

١- اتباع الهوى، وذلك بتعصب الناس لآرائهم أو آراء غيرهم.

٢- أو بعدم سلامة القلوب من الغل أو الحسد أو الكبر، والصحابة قد سلّمهم الله من ذلك، فكانوا أبعد الناس عن اتباع الهوى، وأطهر الناس قلوبا، فلذلك كانوا متآلفين متحابين رغم كثرة اختلافهم، وتباين آرائهم.

(١) **الجهل يُحمد ويُفضَّل على العلم لرجلين:**

الأول: أحمق ضعيف العقل، جعل العلم سلّمًا للتكبر على الناس والشهرة.

الثاني: صاحب هوى، جعل العلم سلّما لنيل شهواته وحظوظه الدنيئة وترويج آرائه السقيمة وأفكاره المنحرفة.

فالجهل في حق هؤلاء أسلم لهم وللناس، وأستر لحمق الأحمق، وضلال صاحب الهوى.

(٢) إذا كان الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتحرّج من التحديث بأحاديث رُويت عن النبي ﷺ رأى أن المصلحة ألا يُحدِّث بها، فيكف بمن ينثر خواطره وآراءه وقصصه على الناس، وينشرها بلا تروٍّ ونظر وتحقق من صحتها ونفعها؟!

(٣) وأين مَن يتتبع غرائب الأخبار والأحاديث؟!

* وقيل له: إنَّ قريشًا تقول: إنك لا تذكر في مجلسك آباءها وفضائلها.

فقال مالك: إنما نتكلم فيما نرجو بركته.[1] ترتيب المدارك (١/ ١٤٣).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تسأل عما لا تريد فتنسى ما تريد، فإنه من اشترى ما لا يحتاج إليه باع ما يحتاج إليه. ترتيب المدارك (١/ ١٧٨).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب. ترتيب المدارك (١/ ١٧٧).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ المسألة إذا سُئل فيها الرجل ولم يُجِب واندفعَتْ عنه، فإنما هي بليَّةٌ صَرَفها الله عنه.[2] ترتيب المدارك (١/ ١٧٨).

* وقيل له: العالم يخطئ؟.

فقال: الذي دل عليه من الخير أكثر، ومن ذا الذي ليس فيه شيء؟ ولو لم يأمر بالمعروف إلا لمن ليس فيه شيء ما أمر أحدٌ بمعروف. ترتيب المدارك (١/ ١٧٨).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تعلموا الحلم قبل العلم. ترتيب المدارك (١/ ١٧٩).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يستكمل الرجل الإيمان حتى يَخْزُنَ لسانه[3] ترتيب المدارك (١/ ١٧٩).

---

(١) ينبغي أن يتخذ هذا المنهج كلّ من تكلم وكتب، ومن فعل ذلك وُفق وبُورك له وسُدّد.

(٢) الإمام مالك وغيره من أهل العلم يعظمون أمر الفتوى، ويتهيّبون منها، ويتدافعونها، ويرونها بليّة يطلبون خلاص أنفسهم من تبعاتها، قبل خلاص السائل، ولم يكونوا يُبرزون أنفسهم للفتوى، ويجلسون لها، بل كانوا يُفتون على وجه الندرة والتبع، فأين من يرغب في أن يُستفتى، ويفرح إذا سُئل، أو يتباها بذلك، ويسعى في الظهور في الإعلام للفتوى وهو ليس أهلًا لها؟

(٣) أي: يصونه ويحفظه.

ومن لم يَقدر على حفظ لسانه لم يَقدر على حفظ غيره، كما قال الشاعر:

إذا المرء لم يَخْزُنْ عليه لسانه ... فليس على شيء سواه بخزّان

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ لابْنَي أخيه: إن أحببتما أن ينفعكما الله بهذا الأمر؛ فأقِلَّا منه وتفهَّما فيه[١].

وقال: ما أكثَرَ أحدٌ قط فأفلح. ترتيب المدارك (١/ ١٨٠).

* وقال له أبو جعفر المنصور رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: إني عزمتُ أن أكتب كتبك هذه نسخًا، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة آمرهم بأن يعملوا بما فيها ولا يتعدّوها إلى غيرها من هذا العلم المحدث؛ فإنني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعَمَلهم.

فقال له: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث وروايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به، ودانوا له من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وإنَّ ردهم عما اعتقدوا شديد، فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم.

فقال: لو طاوعتني على ذلك لأمرتُ به. ترتيب المدارك (١/ ١٨٨).

* وعن **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) أنه قال: العالم يُسأل عما يعلم وما لا يعلم، فيستثبت ما يعلم، ويتعلّم ما لا يعلم، والجاهل يغضب من التعليم، ويأنف من التعلُّم. طبقات الشافعيين (١/ ٦٧).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقدر الفقهاء على المناظرة: من عوَّد لسانه على الركض في ميدان الألفاظ، ولم يتلعثم إذا رَمَقته العيون بالْألْحَاظ.[٢] طبقات الشافعيين (١/ ٦٧).

---

(١) نصيحة عظيمة، فمن أراد أن ينفعه الله بالعلم؛ فعليه بإتقان وضبط وتأمل ما يقرأ ويسمع، وليكرر محفوظاته، وليراجع ما قرأ، ولا يكن همّه كثرة القراءة والتوسع فيها.

(٢) أي: أقدر الناس على المناظرة والجدال من كانت فيه خصلتان:

الأولى: تعود على الحديث والخطابة، واكتسب اللغة وأجراها على لسانه بكثرة الاستعمال.

الثانية: رباطة الجأش، وذلك بعدم الخوف والاضطراب عندما تحدق به العيون، ويستطيع اكتساب هذه الخصلة بكثرة ارتجال الكلام والحديث أمام الآخرين.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ضياع الجاهل قلة عقله، وضياع العالم قلة إخوانه[١]، وأضيع منهما مَن آخى من لا عقل له. طبقات الشافعيين (١/ ٦٧).

* وقال **الأصمعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٣): إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو، أن يدخل في جملة قول النبي ﷺ: «**مَن كَذَب علي فليتبوّأ مقعده من النار**»؛ لأنه ﷺ لم يكن يَلحن، فمهما رويتَ عنه ولحنتَ فيه كذبت عليه.[٢] طبقات الشافعيين (١/ ١٤٩).

* وقال **الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): إن الدنيا داء، والسلطان داء، والعالِمُ طبيب، فإذا رأيت الطبيب يجرّ الداء إلى نفسه فاحذره. طبقات الحنابلة (١/ ٤٤٧).

* وسُئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ رجل يقيم ببلده وينزل فِي الحديث درجة[٣]، قَالَ: ليس يُطْلب العلم هكذا، لو طلب العلم هكذا مات العلم، إنما يؤخذ العلم عَنِ الأكابر. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٠).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي للعَدْلِ أن يكون فيه سِتّ خصال: فقيهًا، عالمًا، زاهدًا، وَرِعًا، عفيفًا، بصيرًا بما يأتي، بصيرًا بما يَذر. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٧٤).

* وقال مُحَمَّد بن الحجاج: كتب عني[٤] **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا، قَالَ:

---

(١) من الأصدقاء والطلاب، ولذلك ضاع علم كثير من أقران وشيوخ الشافعي، لقلة إخوانهم ومَن يحمل عنهم العلم، كالليث بن سعد وسفيان الثوري، فحاجة العالِم لطلابه أكثر من حاجتهم له، لأنه لن يبث علمه إلا إذا وجد طلابًا يحضرون عنده، ولن يحمل عنه العلم إلا طلابه، وأما هم فسيجدون غيره من أهل العلم الذين عندهم ما عنده.

(٢) تعلم النحو من ضروريات طالب العلم، ومن الخلل الواضح، والنقص الفاضح أن يقصر فيه مع إمكانية ضبطه ويسر ذلك.

(٣) أي: يأخذ عن صِغار المحدّثين الذين في بلده، ولا يرحل إلى كبار المحدّثين الأعلى إسنادًا، وأكثر علمًا وفهمًا وضبطًا.

(٤) لعل الصواب: كتبتُ عن أحمد.. وقد جزم بنسبة هذا الكلام للإمام أحمد ابن بطة وابن القيم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، قال ابن القيم بعد أن ذكر كلامه: (هذا مما يدل على جلالة أحمد ومحله من العلم=

لا ينبغي للرجل أن يُنَصِّب نفسه للفتوى حتى يكون فِيهِ **خمس خصال:**

أولاها: فأن تكون لَهُ نِيَّة، فإنه إن لم تكن لَهُ نِية؛ لم يكن عَلَيْهِ نور ولا عَلَى كلامه نور.

وأما الثانية: فيكون عَلَيْهِ حلم ووَقار وسكينة.

= والمعرفة؛ فإن هذه الخمسة هي دعائم الفتوى، وأي شيء نقص منها ظهر الخلل في المفتي بحسبه.

فأما النية: فهي رأس الأمر وعموده وأساسه وأصله الذي عليه يُبنى؛ فإنها روح العمل وقائده وسائقه، والعمل تابع لها يبنى عليها، يصح بصحتها ويفسد بفسادها وبها يستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة.

وأما قوله: «أن يكون له حلم ووقار وسكينة» فليس صاحب العلم والفتيا إلى شيء أحوج منه إلى الحلم والسكينة والوقار؛ فإنها كسوة علمه وجماله، وإذا فقدها كان علمه كالبدن العاري من اللباس.

فالسكينة فعيلة من السكون، وهو طمأنينة القلب واستقراره، وأصلها في القلب، ويظهر أثرها على الجوارح، وهي عامة وخاصة.

وأما قوله «أن يكون قويا على ما هو فيه، وعلى معرفته» أي مستظهرا مضطلعا بالعلم متمكنا منه، غير ضعيف فيه؛ فإنه إذا كان ضعيفا قليل البضاعة غير مضطلع به أحجم عن الحق في موضع ينبغي فيه الإقدام لقلة علمه بمواضع الإقدام والإحجام، فهو يقدم في غير موضعه، ويحجم في غير موضعه، ولا بصيرة له بالحق، ولا قوة له على تنفيذه؛ فالمفتي محتاج إلى قوة في العلم وقوة في التنفيذ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له.

وأما قوله «الرابعة الكفاية وإلا مضغه الناس» فإنه إذا لم يكن له كفاية احتاج إلى الناس وإلى الأخذ مما في أيديهم، فلا يأكل منهم شيئا إلا أكلوا من لحمه وعرضه أضعافه.

وأما قوله «الخامسة معرفة الناس» فهذا أصل عظيم يحتاج إليه المفتي والحاكم، فإن لم يكن فقيها فيه فقيها في الأمر والنهي ثم يطبق أحدهما على الآخر، وإلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فإنه إذا لم يكن فقيها في الأمر له معرفة بالناس تصور له الظالم بصورة المظلوم وعكسه، والمحق بصورة المبطل وعكسه، وراج عليه المكر والخداع والاحتيال، وتصور له الزنديق في صورة الصديق، والكاذب في صورة الصادق، ولبس كل مبطل ثوب زور تحتها الإثم والكذب والفجور، وهو لجهله بالناس وأحوالهم وعوائدهم وعرفياتهم لا يميز هذا من هذا، بل ينبغي له أن يكون فقيها في معرفة مكر الناس وخداعهم واحتيالهم وعوائدهم وعرفياتهم، فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال، وذلك كله من دين الله). [إعلام الموقعين ٤/ ١٥٢ - ١٥٧].

وأما الثالثة: فيكون قويًّا عَلَى ما هُوَ فِيهِ، وعلى معرفته.

وأما الرابعة: فالكفاية، وإلا مَضَغَه الناس.

والخامسة: معرفة الناس. طبقات الحنابلة (٣/ ١٠٨).

* وسُئِلَ **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي اللِّعَانِ فَقَالَ: سَلْ رَحِمَكَ اللهُ عَمَّا ابْتُلِيتَ بِهِ.

وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ لَهُ: دَعْنَا مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْمُحْدَثَةِ.

قَالَ أَبُو دَاوُد: وَسَأَلْتُهُ عَنْ أُخْرَى فَغَضِبَ وَقَالَ: خُذْ وَيْحَكَ فِيمَا تَنْتَفِعُ بِهِ، وَإِيَّاكَ وَهَذِهِ الْمُحْدَثَةَ، وَخُذْ فِي شَيْءٍ فِيهِ حَدِيثٌ.

وَقَالَ الْأَثْرَمُ: سَمِعْتُ الإمام أَحْمَدَ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فقَالَ: دَعْنَا. لَيْتَ أَنَّا نُحْسِنُ مَا جَاءَ فِيهِ الْأَثَرُ.

وَقَالَ مُهَنَّا: سَأَلْتُ الإمام أَحْمَدَ عَنْ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ مِنْ رَجُلٍ دَارَه سَنَةً بِعَبْدٍ فَلَمْ يَسْكُن الدَّارَ وَأَبَقَ الْعَبْدُ، فَقَالَ لِي: اعْفِنَا مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ.

وَسَأَلْتُ أَحْمَدَ عَن الْمَرِيضِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ يَضْعُفُ عَن الصَّوْمِ قَالَ: يُفْطِرُ، قُلْتُ: يَأْكُلُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَيُجَامِعُ امْرَأَتَهُ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ فَحَوَّلَ وَجْهَهُ عَنِّي. الآداب الشرعية ٢/ ٥٢.

* وقال الإمام **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شر الحديث الغرائب التي لا يُعمل بها ولا يعتمد عليها. طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٠).

* كان إِسْحَاق بْن بهلول قد سمى كتابه «كتاب الاختلاف»، فقال له **الإمام أَحْمَد:** سمّه كتاب «السَّعة». طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٧).

* وقَالَ **الأثرم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٠) فِي أثناء كتاب إلى الثغر: إن فِي كثير من الكلام فتنةً، وبحسب الرجل ما بلغ به من الكلام حاجته؛ فإن فِي السكوت لسعة،

وربما كان من الأمور ما يطيق عنه السكوت، وذلك لما أوجب الله من النصيحة، وندب العلماء من القيام بها للخاصة والعامة، ولولا ذلك كان ما دعا إليه من الخمول أصوب فِي دهرٍ قل فيه من يُستراح إليه، ونشأ فيه من يُرغب عنه، ونحن فِي موضع انقطاع عَنِ الأمصار، فربما انتهى إلينا الخبر الذي يزعجنا، فنحرص عَلَى الصبر، فنخاف وجوب الحجة من العلم.

ولقد تبيَّن عند أهل العلم عظم المصيبة بما فقدنا من شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبي عبدالله **أحمد بن محمد بْنِ حنبل**، إمامنا ومعلمنا، ومعلم مَن كان قبلنا منذ أكثر من ستين سنة.

وموتُ العالم مصيبة لا تجبر، وثلمة لا تسد، وما عالِمٌ كعَالِمٍ، إنهم يتفاضلون ويتباينون بونا بعيدًا، فقد ظننت أن عدو الله وعدو المسلمين إبليس وجنوده قد أعدوا من الفتن أسبابًا، انتظروا بها فقده؛ لأنه كان يقمع باطلهم، ويزهق أحزابهم.

وقد رأيت قومًا فِي حياة **أبي عبدالله** كانوا لزموا البيت عَلَى أسباب من النسك، وقلةٍ من العلم، فأكرمهم الناس ببعض ما ظهر لهم من حبهم للخير، فدخلهم العجب مع قلة العلم، فكان لا يزال أحدهم يتكلم بالأمر العجيب، فيدفع الله ذلك بقول الشيخ -جزاه الله أفضل ما جزى مَن تعلمنا منه-، ولا يكون مِن أحد منهم من ذلك شيء إلا كان سبب فضيحته، وهتك ما مضى من ستره.

وإنما هذا من مكايد إبليس مع جنوده، يقول لأحدهم: أنت أنت، ومن مثلك، فقل، قد قَالَ غيرك، ثم يلقي في قلبه الشيء ليس هناك سعة فِي علم، فيزيّن عنده أن يبتدئه ليشمَت به، وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فِي النار.

وقد ظننتُ أن آخرين[1] يلتمسون الشهرة ويحبون أن يُذْكَروا، وقد ذُكِر قبلهم

(١) ممن يتكلم بالأمر العجيب، وليس عنده سعةٌ في العلم. =

قوم بألوان من البدع فافتضحوا، ولأن يكون الرجل تابعًا فِي الخير، خيرٌ من أن يكون رأسًا فِي الشر، وقد قَالَ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم، كلّ بدعة ضلالة»، وقال: «أيها الناس إنكم ستُحْدِثون ويُحْدَث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالأمر الأول»، وقَالَ: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عَنْ أكابرهم»، وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة». طبقات الحنابلة (١/ ١٦٦-١٦٨).

* وقَالَ الْمَرُّوذِيُّ: قُلْتُ لأَبِي عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ: قِيلَ **لابْنِ الْمُبَارَكِ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١): كَيْفَ تَعْرِفُ الْعَالِمَ الصَّادِقَ؟ فَقَالَ: الَّذِي يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَيُقْبِلُ عَلَى أَمْرِ آخِرَتِهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، هكذا يريد[1] أن يكون. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٦٨).

* وقال **أحمد بن أبي سليمان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٦): يا طالب العلم، إذا طلبت العلم فاتخذ له قبل طلبه أدبًا تستعين به على حمله. ترتيب المدارك (٢/ ٣٥٤).

* وقال **يحيى بن يحيى** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٤): أدْخل الحِشمة بينك وبين الناس؛ فإنه أوقر لحرمتك. ترتيب المدارك (٢/ ٣٥).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: من أراد أن يعمل بما يقول اقتصد، ومن لم يرد ذلك لم يُبال ما يقول.[2] ترتيب المدارك (٢/ ٣٥).

* وكتب **أبو زيد ابن أبي الغمر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٤) إلى أبي سنان القيرواني:

= وهذا واقع بعض الناس في هذا الزمان، حيث يتكلمون بالعجائب والغرائب، وليسوا من أهل العلم، وربما كان الدافع لذلك حبّ الشهرة.

(١) لعله: يجب، أو ينبغي.

(٢) المعنى: من أراد أن يعمل بما يقول اقتصد في كلامه، ولم يُكثر؛ حتى يتمكّن من العمل بما يقول، ومن لم يرد ذلك لم يُبال ما يقول، وأكثر الهذر ولو كان الغالب على كلامه الحق.
ولذلك أوصى السلف الصالح بالاقتصاد في الكلام؛ لأنهم يعلمون أن كلامهم من عملهم، وسيُسألون عنه.

عليك يا أخي بنفسك، فلها فاعمل، وعلى حظها فاحرص، وعلى دوام بقائها في النّعيم المقيم فقم لها بذلك.

واعلم أنك لن تقوى على ذلك حتى تترك ما تحب إلى ما تكره، فعند ذلك تقوى على ما تريد، ويهون عليك طلب ذلك، وتقدر عليه إن شاء الله.

وأبعدُ ما تكون منه حين تعطي لنفسك مناها وتدرأ عنها ما تكره.

واعلم أن ذلك بالله ومنه، فعليك بالاستكانة إليه في ذلك، فلعلك تُعْطَاه إنْ حَسُنَتْ فيه نيّتك.[1] ترتيب المدارك (٢/ ٥٨).

* وقال **عنبسة بن خارجة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٠): ثلاثة من أعلام الإحسان: كظم الغيظ، وحفظ الغيب، وستر العيب.

وثلاثة من أعلام المعرفة: الإقبال على الله، والانقطاع إلى الله، والافتخار بالله.

وثلاثة من أعلام الفِكْرة: سرعة الادّكار، وإدمان الاعتبار، وكثرة الاستغفار. ترتيب المدارك (١/ ٥١٧).

* وذُكر أنَّ **أبا بكر الأبهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧٥) قال يومًا لأصحابه: إن الله رضيكم لولاية يجمع لكم بها شرف الدنيا والآخرة، لا يعزلكم عنها أحدٌ ما طلبتم هذا العلم، ونَفَرتم به عن السلطان، فإذا كنتم كذلك تمت لكم الولاية في الدنيا والآخرة، ونلتم بها سُرورَهما، وإن لُذتم بالسلطان، وأصبتم به الدنيا، عزلكم عن ولايته، وصغَّركم في الدنيا والآخرة. ترتيب المدارك (٤/ ١٤).

* وقال **ابن أبي يعلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦١٦): سمعت أبا الحسن النهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: كنت فِي بعض الأيام أمشي مَعَ **القاضي والدك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨)، فالتفت فَقَالَ لي: لا تلتفت إِذَا مشيت، فإنه يُنْسب فاعل ذَلِكَ إلى الحُمق. طبقات الحنابلة (٣/ ٤١١) وذيله (١/ ٢٠١-٢٠٢).

---

(١) وصية جليلة القدر، عظيمة المنفعة.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ النهري: وَقَالَ لي **والدك** يوما آخر وأنا أمشي معه: إِذَا مشيت مَعَ من تعظمه، أينَ تمشي مِنْهُ؟ فقلت: لا أدري، فَقَالَ: عن يمينه تقيمه مقام الإمام فِي الصلاة، وتُخلي لَهُ الجانب الأيسر إِذَا أراد أن يستنثر أو يزيل أذى جعله فِي الجانب الأيسر. طبقات الحنابلة (٣/ ٤١١).

* وقَالَ النهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٤٥): لما قدم الوزير ابن دراست عَبَرتُ أبصره، ففاتني درس ذَلِكَ اليوم، فلما حضرتُ[1] قُلْتُ: يا سيدنا تتفضل وتعيد لي الدرس؟ فَقَالَ: أين كنتَ فِي أمسنا؟ فقلت: مضيتُ أبصرتُ ابن دارست، فأنكر علي ذَلِكَ إنكارًا شديدًا، وَقَالَ: ويحك، تمضي وتنظر إلى الظَّلَمَة؟ وعنَّفني عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ: وَكَانَ ينهانا دائمًا عن مخالطة أبناء الدنيا، والنظر إليهم، والاجتماع بهم، ويأمرنا بالاشتغال بالعلم ومخالطة الصالحين. طبقات الحنابلة (٣/ ٤١١).

* وقَالَ **أبو إسماعيل الأنصاري الهروي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١): المحدِّث يجب[2] أن يكون سريعَ المشي، سريع الكتابة، سريعَ القراءة. ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

* وقال **الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٥) عن أحد الفقهاء: صاحب كتاب «نهاية المطلب في علم المذهب» وهو كتابٌ كبير جدًّا، وعبارته جَزلة، حذا فيه حذو «نهاية المطلب» لإمام الحرمين الجويني الشافعي، وكثر استمداده من كلام ابن عقيل في الفصول ومن المجرد، وفيه تهافتٌ كثير، حتى في كتاب الطهارة، وباب المياه، حتى إنه ذكر في فروع الآجر المجبول بالنجاسة كلامًا ساقطًا يدل على أنه لم يتصوّر هذه الفروع، ولم يفهمها بالكُلية.

---

(١) أي: درس القاضي أبي يعلى.

(٢) هكذا في الشاملة، وفي المطبوع: يحب، والمثبت أقرب للصواب.

قال: وأظن هذا الرجل كان استمداده من مجرد المطالعة، ولا يرجع إلى تحقيق[١].

وقد ذكر في كتابه: أنه قرأ بنفسه على ابن كليب الحراني، ولم أعلم له ترجمة، ولا وجدته مذكورا في تاريخ.[٢] ذيل الطبقات (٣/ ٢٤٨).

* وقال **الخطيب البغدادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٣) في ترجمة أحد العلماء: كتبت عنه أحاديث عن الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ خاصة، وكان يتمنَّعُ من التَّحديث ويأباه، وألححتُ عليه حتى حدثني، ولا أحسبُ سمع منه غيري. [تاريخ بغداد (١١/ ٣٣٢).

* وقال **السِّلَفي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٧٦) في ترجمة أحد المقرئين: كان من مشاهير الزهاد وأعيان العُبَّاد، فقد كان من أهل العلم ملازمًا للثغر، غير متصرف في أمور الدنيا طول زمنه، وقد كان يَمْتَنِعُ من الرواية، ولم يقرأ أحد عليه قط شيئًا من الحديث غيري، بعد امتناع زائد، وخَطْب طويل جرى بيني وبينه.[٣] [معجم السفر (٢٣٥)].

* وذكر الحافظ **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨) أحد العلماء أنه لو رأى ما رأى قال: هذا سماعي، أو لي من هذا الشيخ إجازة.

ويقول: جمعت كتابا في القراءات، فيه أربعة آلاف رواية، ولم يكن أهل بلده يثنون عليه، وكان فاضلا مقرئًا كيس الأخلاق، مكرما لأهل العلم.

(١) وقد وقع بعض طلاب العلم في مثل هذا، حيث يستمد عمله وكتاباته من الكتب، وجمع المتفرق، دون أن يكون له شيوخ يستعين بهم -بعد الله- على الفهم والتحقيق، ودون أن يحقق بنفسه ويبحث ويُديم النظر.

(٢) فلابد من أخذ العلم عمن عرف عنه العلم والفهم والرسوخ.

(٣) أيُّ حرمان أعظم من حرمان العالم من نشره لعلمه، ومنعه لطالبه، قد حرم نفسه أجر التعليم، وزكاة العلم وبركته، وحرم غيره خيرًا عظيما، والله المستعان.

قال الذهبي: هذا رجل قليل الحياء، مكابر للحس، فأين السبعة آلاف رواية؟.

فالقُرّاء الذين كلهم في التواريخ، ما أظنهم يبلغون سبعة آلاف رجل، فالله يسامحه المسكين.

والشّره يسدّ باب الصواب، وله أنواعٌ من التراكيب.[1] معرفة القراء (٣/ ١٢٠٨-١٢٠٩).

* وكان **أبو علي الراشدي** المقرئ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٨٥) بصيرا بالقراءات وعِلَلِها، عارفا بالعربية، صاحب عبادة وزهد وإخلاص، واشتغال بنفسه.

وقال الإمام أبو حيان: كان مشهورًا بالقراءات، عنده نزر يسير جدًّا من العربية، كألفية ابن معطي، ومقدمة ابن بابشاذ، يحل ذلك لمن يقرأ عليه.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بل كان قويَّ المعرفة بالعربية، ويكفيه أنه يشرح ألفية ابن معطي للناس، ولكنْ شيخنا أبو حيان لا يُثْبِت لأحدٍ شيئًا في العربية، وينظر إلى النُّحاة بعين النقص؛ لسِعة ما هو فيه من التَّبَحُّرِ في علم اللِّسان.[2] معرفة القراء (٣/ ١٣٩٤).

---

(١) كان هذا الرجل مُقرئًا وعلى طريقة مرضية، ولكن بدأ بالانحراف حينما أولع في طلب الكثرة والتباهي بكثرة الشيوخ.

فالواجب الحذر من داء الشَّرَه، وهو شدّة الحرص وَطَلب الْكَثِيرِ، ومن أمثلة الشّره المذموم: الشهرة، والتكثر في عدد المتابعين في مواقع التواصل، والتأليف، وجمع المال، والزواج، والمناصب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التكاثر في كل شيء من مال، أو جاه، أو رئاسة، أو نسوة، أو حديث، أو علم، ولا سيما إذا لم يُحْتج إليه، والتكاثر في الكتب، والتصانيف، وكثرة المسائل وتفريعها وتوليدها.

والتكاثر: أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره، وهذا مذموم إلا فيما يقرب إلى الله تعالى، فالتكاثر فيه منافسة في الخيرات ومسابقة إليها. [مجموع رسائل ومسائل للإمام ابن قيم الجوزية: ص ١٨].

(٢) وهكذا حال من تبحر في كل فنّ في كل زمان ومكان، فإنهم ينظرون إلى من دونهم بعين النقص -غالبا-، وليس ذلك -عند إحسان الظن بهم- من باب الازدراء، وهذا يؤدي إلى إعجاب=

* وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **أبو العباس الفَزاري المقرئ النحوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٠٥) يجلس لنا وقتًا قليلًا، فلا يتمكن الطالب من الأخذِ عنه، إلا بالملازمة مع الطول، فلهذا لم أقرأ عليه، كان مشغولًا بحضور الوظائف.[(١)] معرفة القراء (٣/ ١٤٣٦).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أحد العلماء: العلامة، مفتي المسلمين، بقية السلف.. وكان من كبار أئمة العصر: قرأ بالروايات على السخاوي، ولو أراد لما عجز عن إقرائها، فإنه كان إمامًا في العربية، لكنه كان ضيّق الخُلق، فلم يُقْدَر على الأخذ عنه، مشتغلًا بنفسه.[(٢)] معرفة القراء (٣/ ١٤٤٨)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٦٦).

= بعض الناس وغلوهم بهم، وإلى إحباط وتثبيط آخرين، فعلوّ همة بعض أهل العلم وقوة حفظهم وحِدة ذكائهم قضت على همة من دونهم، حيث يرى من دونهم -حينما يُقارن نفسه بشيخه- أنه لم يحصّل شيئا، ولن يرسخ في العلم مهما اجتهد، ولن يُنتفع به ما دام شيخُه الذي هذا حاله وهذا علمه موجودا.

وإذا كان عند هؤلاء علوٌّ وكِبر طعنوا فيمن دونهم في العلم واحتقروهم، وعمِلوا على إسقاطهم من أعين الناس، وهذا داء خطير، ومرض عضال، نعوذ بالله منه.

ومن وهبه الله همّة عالية، وقوة في الحفظ، وحِدة في الذهن، فلا ينبغي أنْ يبيّن لطلابه وغيرهم ذلك، بسرد محفوظاته، وإظهار سعة اطلاعه، فإن ذلك من حظوظ النفس في الغالب، وقد يُثبّط همم طلابه، وربما حَسَده بعض الناس، إلا عند الحاجة التي تُقدّر بقدرها.

وهذا أبو عمرو بن العلاء إمام العربية قال عنه الأصمعي: كنت إذا سمعته يتكلم ظننت أنه لا يعرف شيئًا، كان يتكلم كلامًا سهلًا.

(١) فقد منع الحافظَ الذهبي من الاستفادة من شيخه والقراءة عليه: انشغالُه بالوظائف والمناصب، وكم حُرم كثير من أهل العلم نفع الناس وخدمة العلم بسبب انشغالهم بالوظائف الحكومية والمناصب.

(٢) **أمران حرما كثيرًا من أهل العلم الانتفاع بعلمهم:**

الأول:

الثاني: اشتغالهم بأنفسهم، بكثرة القراءة والمطالعة، أو بالأهل والأولاد، أو بأمور المعيشة ونحو ذلك. =

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما زال الأئمة يختلفون قديمًا وحديثًا، ولكنْ مِن ذميم أخلاقهم وقيعةُ بعضهم في بعض، وسدُّ باب الاعتذار، نسأل الله العفوَ وتركَ الهوى. معرفة القراء (٢/ ٨٣٢).

* ووصف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أحد العلماء** بالإمام العلامة ثم قال: كان صالحًا ساكنا وقورا، وذِهنُه جيّد من حيث الفهم، لا من حيث التحقيق.

مِن أغرب شيء حدثني به صاحبنا شهاب الدين النابلسي وأعجبه عنه أنه قال في قول الشاطبي «وفي الهمز أنحاء وعند نحاته» البيت، يحتمل قول الناظم في هذا البيت ستمائة ألف احتمال!.

فانظر إلى هذا **الهَوَس المفرط**.[1].

ثم نقلتُ من خطه بيت الشاطبي ما نصّه: هذا البيت يحتمل خمسمائة وجه وأزيد من ذلك إلى غير نهاية من الوجوه، وقد نظرت فيه وتأملته، فوجدته كذلك كما أخبرتك، وما أظن أحدا يهتدي إلى ذلك، إلا من هداه الله تعالى، ونوّر بصيرته. انتهى.

قال الذهبي: نعم هدانا الله وبصَّرنا، فدَع عنك الدَّعاوى والزَم الوَرَع. معرفة القراء (٣/ ١٤٨٣-١٤٨٤).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **لا أعرف عمن أخذ ابن مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧٢) القراءات والنحو.

= فما قيمة علمك إذا لم يستفد الناس منك؟

فليست البركة بكثرة العلم، ولكن بانتفاع طالب العلم بعلمه، ونشره للناس.

فمع كون هذا العالم موصوفًا بأنه علّامة وبقية السلف، ومفتي المسلمين، ومن كبار أئمة العصر، إلا أنه لم يُنتَفع بعلمه! لهذين الأمرين.

(١) وهذا الهوس موجود عند بعض الناس إلى وقتنا هذا، حيث يضعون الاحتمالات والتوقعات في جميع المجالات، في السياسة، وفي العلم وغير ذلك.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قرأ أبو بكر بن يوسف بن أبي بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٦) القراءات على الشيخ زين الدين الزواوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره، وتلا على الشيخ جمال الدين بن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ جميعا إلى سورة «الحج» فمات.

فسألته عمن قرأ الشيخ جمال الدين فلم يعرف.[1] معرفة القراء (٣/ ١٣٦٣، ١٤٩٣).

* ووصف ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٣٣) **أحد القرّاء** بقوله: العلامة الأوحد المقرئ الفقيه المفتي..

ثم قال: كان ضنينًا بعلمه[2]، وخلَّف جملة من الكتب والدنيا، وهَلكت بعده فلم يُنْتفع بها. [غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٥٩٧)].

* وقال الحافظ أبو سعد السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **الشيخ أبو إسحاق الشيرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٧٦) زاهدًا، ورعًا، متواضعًا، ظريفًا، كريمًا، جوادًا، سخيًّا، طلق الوجه، دائم البشر، حسن المجالسة، مليح المحاورة، وكان يحكي الحكايات الحَسَنة والأشعار المبتدعة المليحة، ويحفظ منها شيئًا كثيرًا، وكان يضرب به المثل في الفصاحة.[3] طبقات الشافعيين (٢/ ٣٥).

* وقال الفقيه **عبد اللطيف بن أبي العز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢٨): من لم يتحمل ألم التعليم لم يذق لذَّة العِلم، ومَن لم يَكدح لم يفلح.[4] طبقات الشافعيين (٢/ ٢٨٤).

---

(١) من الدلالة على إتقان العالِم أخذه عن أهل العلم المعروفين بالإتقان، ولكن قد لا يتيسر ذلك لبعض الناس، فيعكف على قراءة كتب أهل العلم، ويستفيد ممن سبقه في العلم، فيفلح ويُوفق، كما هو حال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من أهل العلم، كابن المنذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال أبو إسحاق الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ): ولا أعلم عن من أخذ ابن المنذر النيسابوري الفقه.

(٢) ضنينًا: أي الحريص البخيل بعلمه، فلا ينشره أو يعلمه لأحد.

(٣) ما أجمل أن يتحلى طالب العلم بهذه الصفات العظيمة، والأخلاق الكريمة.

(٤) صدق والله.

* وكَانَ الْعَالم الأديب أَبُو بكر النابلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٣): يخْطب خطبًا فصيحة بليغة لَكِن لم يكن عَلَيْهَا قبُول.[1] طبقات الشافعية (٢/ ٢٣٠).

* وقال القاضي ابن شهبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن **أحد العلماء**: الإِمَام الْعَالم الْحَافِظ.. أخذ عَن الْحَافِظ صَلَاح الدِّين العلائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَأَجَازَهُ بالفتوى والتدريس، وَقَالَ الْحَافِظ شهَاب الدَّين ابْن حجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: له محفوظات فِي الْفِقْه وَالْأُصُول والعربية، وَأَجَازَهُ بالفتيا ابْن كثير وَالْقَاضِي تَاج الدِّين السبكي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وَكَانَ ذكيًّا قَلِيل التَّحْصِيل. انتهى.

وَقد تغير بِآخِره تغيرًا كثيرًا، وَنسِيَ حَتَّى الْقُرْآن، وَكَانَ يُقَال: **إِن ذَلِك بوقيعته فِي النَّاس**.[2] طبقات الشافعية (٢/ ٢٤٦).

* وصنف الشَّيْخ الإِمَام الْعَالم الْعَلامَة **سراج الدِّين ابْن الملقِّن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠٤) التصانيف الْكَثِيرَة فِي أَنْوَاع الْعُلُوم، واشتهرت فِي حَيَاته، ونقلت إِلَى الْبِلَاد، ونفع الله تَعَالَى بهَا.

* قَالَ الْحَافِظ ابْن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٥٢): كانَ فِي أول أمره ذكيًّا فطِنا، رَأَيْت خطوط فضلاء ذَلِك الْعَصْر فِي طَبَقَات السماع بوصفه بِالْحِفْظِ، وَنَحْوه من الصِّفَات العليَّة، وَلَكن لما رَأَيْنَاهُ لم يكن فِي الاستحضار وَلَا فِي التَّصَرُّف بِذَاكَ، فَكَأَنَّهُ لما طَال عمره استروح، وغلبت عَلَيْهِ الْكِتَابَة، فَوقف ذهنه، واعتنى بالتصنيف، وَشرح البُخَارِيّ فِي عشْرين مجلدة، وَعَمله فِي نصفه الأول أقوى من عمله فِي نصف الآخر، وَقد ذكر أَن بَينهمَا مُدَّة عشْرين سنة.

---

(١) وهذا حال بعض الخطباء، يمتلكون فصاحة وبلاغة، ولكن لا يكون لخطبهم قبول وتأثير، لفقدانهم أمورًا مهمة في الخطابة، ومن أعظمها: الصدق مع الله تعالى في تبليغ دينه، ونشر شريعته، ونصح عباده، والعناية بالأسلوب في الإلقاء، والتفاعل وصدق اللهجة.

(٢) الوقيعة في الناس، وتتبع عثراتهم، والفرح بزلاتهم، والبحث عن سقطاتهم: من أعظم أسباب محق البركة، وزوال النعمة، وخاتمة السوء، نعوذ بالله من ذلك.

وَكَانَت كِتَابَته أَكثر من استحضاره، فَلَمَّا دخل الشَّام فاتحوه فِي كثير من مشكلات تصانيفه، فَلم يكن لَهُ بذلك شُعُور، وَلَا أجَاب عَن شَيْء مِنْهُ، فَقَالُوا فِي حَقه: نَاسخ كثير الْغَلَط.[1] طبقات الشافعية (٢/ ٢٨١-٢٨٢).

* وقَالَ الحافِظ ابْن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **أَبُو الْمَعَالِي الْمَنَاوِيّ** (ت: ٨٠٣) كثير التودُّد إِلَى النَّاس، مُهابا، شَهما، مُعظَّما عِنْد الخاص والعام، لَهُ صُورَة كَبِيرَة، وحشمة بَالِغَة، وَكلمَة نَافِذَة، ويسار ظَاهر، وَكَانَ مُنْذُ نَشأ يسْلك طَرِيق برهَان الدِّين ابْن جمَاعَة **فِي التَّعاظم**، ثمَّ أَلان جَانِبه بعد الِاسْتقلال.

وَكَانَ يهاب الملك الظَّاهِر، فَلَمَّا مَاتَ أَمِن على نَفسه، وَتحقّق أَنهم لَا يقدمُونَ على عَزله؛ لما تقرر لَهُ فِي الْقُلُوب من المهابة، فسافر مَعَ الْعَسْكَر إِلَى قتال تَنم فازدادت حرمته، وَعظم فَوق مَا فِي نَفسه، ثمَّ سَافر مَعَهم إِلَى قتال اللنك فانعكس الأَمر، وَأُسر وأهين جدا، وسافروا بِهِ وَهُوَ فِي قيد فغرق فِي نهر الفرات، فِي شَوَّال سنة ثَلَاث وَثَمَانمِائَة، بعد أَن قاسى أهوالا.[2].

---

(١) أي: أن الشيخ ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان أيام شبابه وكهولته ذكيًّا فطنا حافظا محققا، وتأليفه في تلك المدّة كان في غاية الحسن والتحقيق والإبداع، ولكنه تغيّر بعد ذلك، فقَلَّ حفظه واستحضاره، وكثر نسيانه، حتى اتُّهم أنّ الكتب المنسوبة له لم تكن من تحقيقه، بل كان ناسخا جمّاعًا!، حيث نسي ما كتبه وحقَّقه فيها، وذكر الحافظ أن من أسباب ذلك: أنه لمّا طال عمره طلب الراحة، وقلّت قراءته وحفظه وبحوثه، وانشغل بالأخف، وهو التأليف والكتابة، فكان ذلك من أسباب توقف ذهنه، لأن الذِّهن يتوقف بل يتراجع إذا لم يُشغَل بالحفظ والتحقيق والتأمل. وهذا مشاهدٌ لكثيرٍ من علماء هذا الزمان، حيث كانوا زمن الشباب والكهولة في غاية الفهم وقوة الحفظ والذكاء، ولكنهم بعد ذلك قلَّت مطالعاتهم وتحقيقاتهم، وانشغلوا بالتأليف، أو الدروس من غير تحضير وإعداد، فدب إليهم داء النّسيان، ولم يكونوا في الاستحضار ولا في التصرف بذاك.

(٢) التعاظم لا يسلم منه إلا من سلَّمه الله، وهو مرض يحل في نفوس كثير من الناس، حتى في نفوس بعض أهل العلم، والواجب على كل مسلم أن يحرص على سلامة قلبه من هذا الداء الخطير، ولا يظن طالب العلم أنه بمنأى عنه مادام يطلب العلم، ويجالس أهله.

وَمن الْعَجَائِب أَنه كَانَ يهاب ركُوب الْبَحْر، فَكَانَ لَا يتَوَجَّه إِلَى منزلهم بالروضة أَيَّام زِيَادَة النّيل خشيَة من ركُوب الْبَحْر، فاتفق أَنه لم يمت إِلَّا غريقا. طبقات الشافعية (٢/ ٢٨٥-٢٨٦).

* وحُبِّبَ إلى الشَّيْخ الإِمَام الْعَلامَة **مُحَمَّد بن أبي بكر ابن جمَاعَة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨١٩) الِاشْتِغَال، فأكب عَلَيْهِ، وَلم يلْتَفت إِلَى شَيْء من الْأَشْيَاء إِلَّا إِلَيْهِ، فمهر فِي النَّحْو، والمعاني، وَالبَيَان، والمنطق، وتوغل فِي الْكَلَام، والطب، والتشريح، وَكَانَ آيَة من الْآيَات فِي معرفَة الْعُلُوم الأدبية، والعقلية، والأصلين.

قَالَ لي الشَّيْخ جمال الدّين الطيماني: إِنَّه كَانَ يَقْرَأ عَلَيْهِ ويَسمع دروسه، وَكَانَ إِذْ ذَاك نَحْو خمسين درسا فِي الْيَوْم وَاللَّيْلَة فِي دقائق الْعُلُوم، قَالَ: وَكَانَ يستحضر الْكِفَايَة لِابْنِ الرِّفْعَة، وَمَعَ ذَلِك فَلَيْسَ هُوَ مِمَّن يشار إِلَيْهِ فِي علم الْفِقْه.

وَقَالَ الْحَافِظ ابْن حجر فِيمَا كتب بِهِ إِلَيّ: إِنَّه **فاق الأقران بذكائه وَقُوَّة حافظته**، وَحسن تَقْرِيره وتصدّى للإشغال، وَقد جمع تصانيفه فِي نَحْو من عشْرين فَنًّا، ورتبها وَهِي تزيد على مِائَتي مُصَنف، ضَاعَ أَكْثَرهَا بأيدي الطّلبَة، وَلم يكن يقرئ كتابا إِلَّا وَيكْتب عَلَيْهِ حَاشِيَة، وَقد صنَّف فِي العَروض، وفنون الْأَدَب، وَلم يكن لَهُ مَلَكة فِي النَّظم وَلَا فِي حسن الِاخْتِصَار.

وَكَانَ مِن علو همته: لَا ينظر شَيْئا إِلَّا وَأحب أَن يقف على أَصله ويشارك فِيهِ، حَتَّى أَن لَهُ تصنيفا فِي الرمل، وَفِي لعب الرمْح، والنشاب، وتركيب النقط.[1] طبقات الشافعية (٢/ ٢٨٦-٢٨٧).

---

(١) علوّ الهمة وحب العلم والقراءة أمر محمود، ولكن الولوع في تتبع العلوم والفنون قد لا يكون محمودًا، إذا ترتب عليه عدم الإتقان والضبط، أو أدى إلى الدخول في علوم غير نافعة.

فالذي ينبغي لطالب العلم أن يركز اهتمامه على أهم العلوم الشرعية، ويتقنها، ويحرص على ضبط أصولها وفروعها، ولا يكثر التنقل والقراءة والتوسع، بل يحرص على التكرار والضبط.

* وقال تقي الدين ابن قاضي شهبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٥١) عن أحد العلماء: كَانَ كثير التَّغَيُّر، لَا يثبت على حَال، وَلَا يبْقى على كلمة.[١] طبقات الشافعية (٢/ ٣٢٨).

* وقال ابن هشام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٦١):

ومن يصطبر للعلم يظفرْ بنيلِه ... ومن يخطب الحسناء يصبرْ على البذل

ومن لم يذلَّ النفس في طلب العلا ... يسيرا يعشْ دهرًا طويلا أخا ذلِّ

السحب الوابلة (٢/ ٦٦٥).

* وقال بعضهم:

ألا فاسألوا في الفضل من كان بارعا ... وفي العلم أفنى عمره باشتغاله

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٦٥).

* وقال بعضهم:

ما على العالم المهذَّب عار ... إنْ غدا خاملا وذو الجهل سامي

فاللُّباب الشّهيّ بالقشر خافٍ ... ومَصُونُ الثمار تحت الكُمَام

والمقادير لا تلام بحال ... والأماني حقيقة بالملام

وأخو الفهم من تزوّد للمو ... ت وخلَّى الدنيا لنهب الطغام

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٥٣).

* وقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) فِي الْفُنُونِ: لَا يَنْبَغِي الْخُرُوجُ مِنْ عَادَاتِ النَّاسِ إلَّا فِي الْحَرَامِ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ تَرَكَ الْكَعْبَةَ وَقَالَ: «لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ الْجَاهِلِيَّةَ».

---

(١) هذا التذبذب والتغيُّر يحصل لكثيرٍ من الناس وبعض طلبة العلم وممن ينتسب للدعوة والعلم، حيث يكثر أحدهم التنقل من علم إلى علم، ومن كتابٍ إلى كتاب، دون ضبطٍ وإتقان، وبعضهم يُكثر من تغيير فتاويه وآرائه لمصالح دنيوية، والله المستعان.

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْلَا أَنْ يُقَالَ عُمَرُ زَادَ فِي الْقُرْآنِ لَكَتَبْتُ آيَةَ الرَّجْمِ.

وَتَرَكَ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ المَغْرِبِ لِإِنْكَارِ النَّاسِ لَهَا.

وَذَكَرَ فِي الْفُصُولِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ المَغْرِبِ وَفَعَلَ ذَلِكَ إِمَامُنَا أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ ثُمَّ تَرَكَهُ بِأَنْ قَالَ: رَأَيْت النَّاسَ لَا يَعْرِفُونَهُ، وَكَرِهَ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَضَاءَ الْفَوَائِتِ فِي مُصَلَّى الْعِيدِ وَقَالَ: أَخَافُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ بَعْضُ مَنْ يَرَاهُ. الآداب الشرعية ٢/ ٣٤.

هـ- ذم العجلة في التصدر في المجالس والتعليم والفتوى[(١)]:

* قَالَ **عُمَرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا.[(٢)] صحيح البخاري معلّقًا بصيغة الجزم، الزهد لوكيع (١٠٢)، وصححه الحافظ في الفتح (١/ ١٦٥).

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠): كنا إذا رأينا الشابَّ يتكلم في المجلس أيسنا من خيره. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٣، البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٨.

---

(١) لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب ضخمٌ سماه: أعلام الموقعين عن رب العالمين، تكلم فيه عن خطر الفتوى وأحكامها ومسائلها، ومما قاله: ولما كان التبليغ عن الله -سبحانه- يعتمد: العلم بما يبلغ، والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق، فيكون عالمًا بما يبلغ، صادقًا فيه، ويكون مع ذلك: حسن الطريقة، مَرْضي السيرة، عدلًا في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا يُنكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟

فحقيق بمن أُقيم في هذا المنصب أن يُعدّ له عدته، وأن يتأهب له أُهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به، فإن الله ناصره وهاديه، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب، فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ [النساء:١٢٧] وكفَى بما تولاه الله تعالى بنفسه شرفا وجلالة إذ يقول في كتابه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء:١٧٦] وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه، وليوقن أنه مسؤول غدا وموقوف بين يدي الله. أعلام الموقعين ١/ ١٧.

وقد عقد رَحِمَهُ اللَّهُ فصلًا في المجلد الثاني من ص ٤٤٩ إلى ص٥٧٧، ذكر فيه سبعين فائدةً متعلِّقةً بالفتوى، تكلم فيها عن مسائل الفتوى وأحكامها.

(٢) أي: تصبحوا سادة ورؤساء؛ لأنهم ربما استنكفوا عن الفقه والعلم عندئذ.

* وقال **الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): من حدَّث قبل أن يحتاج إليه ذل.[(١)] تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ٢.

* وقال **سُحنون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠): ما وجدتُ من باع آخرتَه بدنيا غيره إلا المُفتي. تهذيب السِّيَر ٣/ ٩٨٣.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): إذا تصدر الحدث، فاته علم كثير. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٣.

* وقال **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): ما أفتيت حتى شهِد لي سبعون أني أهلٌ لذلك. صفة الصفوة ٢/ ٥٠٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني، هل يراني موضعًا لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك، قيل له: يا أبا عبد الله فلو نَهوْك؟ قال: كنتُ أنتهي، لا ينبغي للرجل أن يرى نفسه أهلًا لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه.[(٢)] صفة الصفوة ٢/ ٥٠٣.

---

(١) من المصائب على طالب العلم أن يشتهر قبل أن يتمكن، ويشتغل بالردود والدعوة قبل أن يرسخ.
ولو تمكن من العلم قبل أن يبرز ويشتهر: فهو خير له وللناس وأصلح وأنفع من أن يبرز ثم يبدأ بالتمكن والضبط.
فيا طالب العلم تدارك نفسك قبل أن تُشغلك الشهرةُ والمناصب عن تحصيلِ العلم.
قيل للمبرد: لِمَ صار أبو العباس -يعني ثعلبًا- أحفظَ منك للغريب والشعر؟ قال: لأني ترأستُ وأنا حدَثٌ، وترأَّس وهو شيخ.

(٢) قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العالم إذا لم يشهد له العلماء، فهو في الحكم باق على الأصل من عدم العلم، حتى يشهد فيه غيره، ويعلم هو من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو على يقين من عدم العلم، أو على شك، فاختيار الإقدام في هاتين الحالتين على الإحجام لا يكون إلا باتباع الهوى، إذ كان ينبغي له أن يستفتي في نفسه غيرَه ولم يفعل، وكان من حقه أن لا يقدم إلا أن يُقدِمه غيره ولم يفعل هذا. =

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هذا العلم دِين فانظروا عمن تأخذونه، لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين، وأشار إلى المسجد، فما أخذتُ عنهم شيئًا، وإن أحدهم لو ائتُمن على بيت مال لكان أمينًا، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن.

وقال: أدركت بهذه البلدة أقوامًا لو استُسْقي بهم القطر لسُقوا، قد سمعوا العلم والحديث كثيرًا، ما حدَّثت عن أحد منهم شيئًا؛ لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد، وهذا الشأن -يعني الحديث والفتيا- يحتاج إلى رجل معه تقى وورع وصيانة وإتقان وعلم وفهم، فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه غدًا، فأما رجل بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ولا هو حجة ولا يؤخذ عنهم.

وقال أحمد بن صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أعلم أحدًا أشدّ تنقّيًا للرجال والعلماء من مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ما أعلمه روى عن أحد فيه شيء، روى عن قوم ليس يُتْرك منهم أحد.[1] ترتيب المدارك (١/ ١١١-١١٣).

* وقال ابن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال لنا **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا: دعاني الأمير في الحداثة أن أحضر المجلس، فتأخرتُ حتى راح ربيعة بن عبدالرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأعلمته وقلت: لم أحضر حتى جئت أستشيرك، فقال ربيعة: نعم.

قال ابن وهب: فقلت: لو لم يقل لك احضر لم تحضر؟.

قال: لم أحضر.

= قال العقلاء: إن رأي المستشار أنفع؛ لأنه بريء من الهوى، بخلاف من لم يستشر فإنه غير بريء، ولا سيما في الدخول في المناصب العليَّة والرتب الشرعية كرتب العلم. الإعتصام: ٤٩٤.

(١) فكيف بحال بعض الناس في هذا الزمان، يأخذون العلم والفتيا من كل أحد، ولم يتحققوا علمه وورعه وتقواه وأمانته!

ثم قال: يا أبا محمد لا خير فيمن يرى نفسه في حالةٍ لا يراه الناسُ لها أهلًا. ترتيب المدارك (١/ ١١٥).

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس كلّ من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس حتى يشاوَرَ فيه أهلُ الصلاح والفضل وأهل الجهة من المسجد، فإن رأوه لذلك أهلًا جلس.

وما جلستُ حتى شهد لي سبعون شيخًا من أهل العلم إني موضعٌ لذلك. ترتيب المدارك (١/ ١١٥).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقبل عليّ ذات يوم ربيعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال لي: مَن السِّفلة يا مالك؟ قلت: الذي يأكل بدينه.

قال لي: فمن سِفْلة السفلة؟ قلت: الذي يأكل غيرُه بدينه. ترتيب المدارك (١/ ١١٨).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ربما وردت عليّ المسألةُ تمنعني من الطعام والشراب والنوم.

وقال: ربما وردت عليّ المسألة فأسهر فيها عامة ليلي.

قال ابن عبد الحكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا سئل عن المسألة قال للسائل: انصرف حتى أنظر فيها، فينصرف ويتردد فيها، فقلنا له في ذلك، فبكى وقال: إني أخاف أن يكون لي من المسائل يوم، وأيُّ يوم؟.

وقال بعضهم: لكأنما مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ -واللهِ- إذا سُئل عن مسألة ليَعرض نفسه قبل أن يجيب على الجنة والنار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة، ثم يجيب.

وقال: ما شيء أشد عليّ من أن أُسأل عن مسألة من الحلال والحرام؛ لأن هذا هو القطع في حكم الله، ولقد أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا وإن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه.

ورأيت أهل زماننا هذا يشتهون الكلام فيه والفتيا، ولو وقفوا على ما يصيرون إليه غدًا لقللوا من هذا، وإن عمر بن الخطاب وعليًّا وعثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ خيارَ الصحابة، كانت تتردد عليهم المسائل وهم خير القرون الذي بعث فيهم النبي ﷺ، وكانوا يَجْمعون أصحاب النبي ﷺ ويسألون، ثم حينئذ يفتون فيها، وأهل زماننا هذا قد صار فخرهم الفتيا، فبقدر ذلك يفتح لهم من العلم.

قال مروان بن محمد رَحِمَهُٱللَّهُ: كنت أرى مالكًا رَحِمَهُٱللَّهُ يقول لرجل يسأله: اذهب حتى أنظر في أمرك.

فقلت: إن الفقه مِن باله، وما رفعه الله إلا بالتقوى.

قال سحنون رَحِمَهُٱللَّهُ: قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُٱللَّهُ يومًا: اليوم لي عشرون سنة أتفكر في هذه المسألة.

قال ابن مهدي رَحِمَهُٱللَّهُ: سأل رجل مالكًا رَحِمَهُٱللَّهُ عن مسألة وذكر أنه أُرسل فيها من مسيرة ستة أشهر من المغرب.

فقال له: أخبر الذي أرسلك أنه لا علم لي بها.

قال: ومن يعلمها؟ قال: من علَّمه الله.

وسأله رجل عن مسألة استودعه إياها أهل المغرب فقال: ما أدري، ما ابتلينا بهذه المسألة في بلدنا، ولا سمعنا أحدًا من أشياخنا تكلم بها، ولكن تعود.

فلما كان من الغد جاءه وقد حمل ثقله على بغلة يقودها فقال: مسألتي؟ فقال: ما أدري ما هي.

فقال الرجل: يا أبا عبدالله تركت خلفي من يقول: ليس على وجه الأرض أعلم منك.

فقال مالك غير مستوحش: إذا رجعت فأخبرهم أني لا أحسن.

وسأله آخر فقال: يا أبا عبدالله أجبني، فقال: ويحك، أتريد أن تجعلني حجة بينك وبين الله؟ فأحتاج أنا أولًا أن أنظر كيف خلاصي، ثم أُخَلِّصك.

قال الهيثم ابن جبيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شهدت مالكًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنين وثلاثين: لا أدري.

وقال خالد بن خراش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قدمت من العراق على مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأربعين مسألة، فما أجابني منها إلا في خمس.

قال عمر بن يزيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقلت لمالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك، فقال: يرجع أهل الشام إلى شامهم، وأهل العراق إلى عراقهم، وأهل مصر إلى مصرهم، ثم لعلي أرجع عما أفتيتهم به.

قال: فأخبرت بذلك الليث بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فبكى، وقال: مالك والله أقوى من الليث أو نحو هذا.

قال أبو مصعب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال لنا المغيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تعالوا نجتمع ونستذكر كلما بقي علينا مما نريد أن نسأل عنه مالكًا.

فمكثنا نجمع ذلك وكتبناه في قنداق(١)، ووجّه به المغيرة إليه وسأله الجواب، فأجابه بعضه، وكتب في الكثير منه: لا أدي.

فقال المغيرة: يا قوم، لا والله ما رفع هذا الرجل إلا بالتقوى، من كان منكم يُسأل عن هذا فيرضى أن يقول لا أدري؟(٢).

وقال بعضهم: إذا قلتَ أنت يا أبا عبدالله لا أدري فمن يدري؟.

قال: ويحك ما عرفتني؟ وما أنا؟ وأيُّ شيء منزلتي حتى أدري ما لا تدرون؟(٣).

---

(١) أي: صحيفة الحساب.

(٢) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالإجابة بلا أدري في أكثر من مسألة أمر شاقّ على النفس.

(٣) ما أعظم تواضعه وهضمه لنفسه، وهكذا يجب أن يكون كل مسلم مهما علت منزلته، وكثر علمه.

ثم أخذ يحتج بحديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقال: هذا ابن عمر يقول: لا أدري، فمن أنا؟ وإنما أهلك الناسَ العُجبُ وطلبُ الرئاسة، وهذا يضمحل عن قليل.

وقال مصعب رَحِمَهُٱللَّهُ: سئل مالك رَحِمَهُٱللَّهُ عن مسألة فقال: لا أدري، فقال له السائل: إنها مسألة خفيفة سهلة، فغضب مالك وقال: مسألة خفيفة سهلة؟ ليس في العلم شيء خفيف، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:٥]، فالعلم كله ثقيل وبخاصة ما يُسأل عنه يوم القيامة. ترتيب المدارك (١/ ١٣٦-١٣٩).

* وكان ابن فروخ رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١١٥) كتب إلى **الإمام مالك** رَحِمَهُٱللَّهُ يخبره أنَّ بلدنا كثيرُ البدع، وأنه ألَّف لهم كتابًا في الرد عليهم، فكتب إليه مالك يقول له: إنْ ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل وتهلك، لا يَرُدُّ عليهم إلا من كان ضابطًا، عارفًا بما يقول لهم، لا يقدرون أن يُعَرِّجوا عليه، فهذا لا بأس به.

وأما غير ذلك فإنني أخاف أن يُكلِّمهم فيُخطئ، فيَمْضُون على خطئه، أو يظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تماديًا على ذلك.[1] ترتيب المدارك (١/ ٣٨٠).

* وسُئِلَ **الْخَلِيلُ بن أحمد** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٧٠) عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَبْطَأَ بِالْجَوَابِ فِيهَا، فَقيل له: مَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كُلُّ هَذَا النَّظَرِ!.

قَالَ: فَرَغْتُ مِنْ الْمَسْأَلَةِ وَجَوَابِهَا، وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجِيبَك جَوَابًا يَكُونُ أَسْرَعَ إلَى فَهْمِكَ.

قَالَ أَبُو قُدَامَةَ رَحِمَهُٱللَّهُ: فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عُبَيْدٍ رَحِمَهُٱللَّهُ فَسُرَّ بِهِ. الآداب الشرعية ٢/ ١٠٩.

* وقال **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٦٠): أجرأُ الناس على الفتيا أقلّهم علمًا، يكون عند الرجل بابٌ واحدٌ من العلم فيظن أنَّ الحق كله فيه.

---

(١) كلام الإمام مالك رَحِمَهُٱللَّهُ منهج مؤصّل في باب مناظرة أهل البدع.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إني لأُسأل عن المسألة فأعرف في أيِّ كتاب وورقة وصفحة وسطر، فما يمنعني عن الجواب فيها إلا كراهة الجرأة بعدي على الفتيا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأنا أحفظ مسائل، منها ما فيه ثمانية أقاويل من ثمانية أئمة، فكيف يسعني أنْ أَعْجَل بالجواب حتى أتخيّر؟ وهو الأمر في حبس الجواب.

وقيل له: تأتيك المسائل مشهورة مفهومة، فتأبى الجواب فيها! فقال: سرعة الجواب بالصواب أشدُّ فتنةً من فتنة المال.[1] ترتيب المدارك (٢/ ١٠٠-١٠١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تجد الرجل يصبر على[2] الصيام والصلاة، ويتورع عن الحاجات، فإذا جاءت الفتيا لم يصبر. ترتيب المدارك (٢/ ٢٠٧).

* وقال ابن أخي **عبدالله بن وهب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧): كنت معه بالإسكندرية مرابطًا، فاجتمع الناس عليه يسألونه نشر العلم، فقال لي: هذا بلد عبادة، وقلَّما أُمَهِّد لنفسي فيه مع شغل الناس.

فترك الجلوس لهم في الأوقات التي كان يجلس، وأقبل على العبادة والحراسة، فبعد يومين أتاه إنسان فأخبره أنه رأى نفسه في المسجد الحرام، والنبي ﷺ فيه، وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأنت بين يديه، وفي المسجد قناديل تزهر أحسن شيء وأشدها ضياء، إذ خَفَتَ منها قنديلٌ فانطفأ، فقال لك رسول الله ﷺ: قم يا عبدالله أوقده، فأوقدته، ثم آخر كذلك، ثم أقمتَ أيامًا فرأيت القناديل كلَّها همَّت أن تُطْفأ، فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله أما ترى هذه القناديل؟ فقال ﷺ: هذا عمل عبدالله يريد أن يطفئها.

فبكى ابن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال له الرجل: جئت لأبشرك، ولو علمت أنه يغمك لم آتك.

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحريّ بطالب العلم المخلص الصادق أن يحذر من فتنة الفتوى.

(٢) في الأصل: إلى، ولعل المثبت هو الصواب.

فقال: خير، هذه الرؤيا وعَظْتَ بها نفسي، ظننتُ أنَّ العبادة أفضل من نشر العلم، فَتَرَكَ كثيرًا من عمله للعلم، وحبس نفسه لهم يقرؤون عليه ويسألونه. ترتيب المدارك (١/ ٤٦١).

* وسئل **عبدالله بن عبد الحكم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢١٤) عن مسألة، فسكت ساعة، فقال له عبدالرحمن بن عيسى رَحِمَهُ اللَّهُ: ابن القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ يقول فيها كذا، وكذا.

فقال له ابن عبد الحكم: إنما يجب علينا أن نتعرَّف الحق. ترتيب المدارك (٢/ ٢٦٠).

* وقال **الصعلوكيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٣٧): مَنْ تَصَدَّرَ قبلَ أوانِهِ، فقد تصدّى لِهَوَانِهِ. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٣٣٧.

* وكان الشيخ **أبو إسحاق التونسي** رَحِمَهُ اللَّهُ [1] قد امتُحن مع فقهاء القيروان محنة عظيمة في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وذلك أنه استُفتي في مراجعةٍ عَقَدها وليّ من العبيديين، وذلك بعدما جرى عليهم ما جرى بالقيروان، وقيام المسلمين عند ولاية المعزّ بن باديس[2] صاحبها عليهم، وتقتيلهم كلّ مقتل، وانتصار المعزّ في ذلك.

فرد الفقيه أبو إسحاق في بعض جوابه: أنّ هذه الفرقة على ضربين: أحدهما كافر مباح الدم، والضرب والآخر الذين يقولون بتفضيل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على سائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا يلزمهم الكفر، ولا تبطل نكاحاتهم.

(١) كان جليلًا فاضلًا، إمامًا صالحًا، منقبضًا متبتلًا، وبه تفقّه جماعة من الإفريقيين. ترتيب المدارك (٤/ ٣٣٢)

(٢) سلطان إفريقية وما والاها من المغرب، وقد خلع طاعة الحاكم العبيدي الرافضي صاحب مصر، وخطب للإمام العباسي القائم بأمر الله أمير المؤمنين، ولم يُخطب لبني عُبيد بعد ذلك بإفريقيّة.

وشاعت فتواه فأنكرها فقهاء إفريقية بالقيروان وغيرها، وكانوا من التشدُّد على هذه الفئة المارقة وكل من يتعلق بهم حيث كانوا، والعامة أشد من ذلك، لاسيما بظهورهم عليهم، وبغضهم فيهم.

وأرسلوا إلى أبي إسحاق في معاودة النظر وأن يرجع، فأبى إباءً شديدًا، فخالف الجميع، واسْتحقر شأن مخالفته..

فأطلق الفقهاء الفتيا عليه بمقالته هذه بالتضليل والتبديع، وقال فيها الشعراء قصائد كثيرة، تضمنت إيذاء أبي إسحاق والتبري منه، وأنشدها الشعراء والطلبة عند الفقهاء غيره، في دورهم وجموعهم، وأطلقوا فيها عليه، وأمر السلطان بسجلٍّ سيءٍ في القصة من التبرؤ من قوله، ونِيل فيه منه ما يُعَظِّم الله به أجره، وأمر بقراءته يوم جمعة على المنبر قبل الصلاة، مستهل صفر عام ثمانية وثلاثين.

وحصلت على الشيخ من ذلك غضاضة، فخرج في صبيحةِ يومه متوجهًا إلى منستير للرباط؛ مستكنًا لقضيته، ومسببًا لها، فتغيب شخصه.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا امتراءَ عند منصف أنَّ الحق ما قاله أبو إسحاق، ولا امتراء أنَّ مخالفته أولًا لرأي أصحابه في حسمِ الباب لمصلحة العامة واللجاج خطأ، وأن رأي الجماعة كان أسدّ للحال، وأولى بعائدةِ الخير، وفتواه جَرى على العلم، وطريق الحكم.[1] ترتيب المدارك (٤/ ٣٣٢-٣٣٤).

و- قصص ووقائع لبعض العلماء:

* جاء رجل نبيل كبير اللحية إلى **الأعْمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨)، فسأله عن مسألة خفيفة في الصلاة فالتفت إلينا الأعمش فقال: انظروا إليه! لحيتُه تحتمل

---

(١) يُستفاد من هذا: أنه ليس من الحكمة الإفتاء بما يراه المفتي أنه الحق حتى يغلب على ظنه عدم ترتب مفاسد على فتواه، لاسيما إذا خالفه جمهور أهل العلم في زمانه، فلابد من التريّث واتهام الرأي، حتى لا يجرّ على نفسه ولا على الأمة مفاسد وأضرار» عظيمة.

حفظَ أربعة آلاف حديث، ومسألتُه مسألة صبيان الكُتاب. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٤٦.

* ومرَّ **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) بشابٍّ يُحدِّثُ امرأةً في الطريق، فقال: يا فتى ما هذا أجرُ نعمة الله عندك.

ورأى رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجلًا مع امرأة في خراب وهو يكلمها فقال: إن الله يراكما، سترنا الله وإياكما. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٠٦.

* وعن ثابت أن **صلة بن أشيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٠) وأصحابه أبصروا رجلا قد أسبل إزاره، فأراد أصحابه أن يأخذوه بألسنتهم فقال صلة: دعوني أكفيكموه، فقال: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة، قال: فما ذاك يا عمُّ؟ قال ترفع إزارك، قال: نعم، ونعمت عينٍ.

فقال لأصحابه: لو أخذتموه بشدة لقال: لا أفعلُ، وفعل. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٠٦-٢٠٧.

* ورأى **بعض السلف** رجلًا من آل علي يمشي يخطرُ، فأسرع إليه فأخذ بيده فقال: يا هذا! إن الذي أكرمك الله به لم تكن هذه مشيته قال: فتركها الرجل بعد. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٠٨.

* ودعا مالك بن المنذر **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) وكان على شرط البصرة، فقال: اجلس على القضاء، فأبى محمد، فعاوده فأبى، فقال: لتجلس أو لأجلدنك ثلاثمائة.

فقال له محمد: إن تفعل فأنت مُسَلَّط، وإنَّ ذليل الدنيا خيرٌ من ذليل الآخرة. تهذيب الحِلْية ١/ ٤١٤.

* ومر تاجر بعشارين فحبسوا عليه سفينته، فجاء إلى **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١)، فذكر ذلك له، فقام مالك فمشى معه إلى العشارين، فلما رأوه، قالوا:

يا أبا يحيى ألا بعثت إلينا؟ ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن تخلوا سفينة هذا الرجل قالوا: قد فعلنا، قال: وكان عندهم كوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم، فقالوا: ادع الله لنا يا أبا يحيى، قال: قولوا للكوز يدعو لكم! أدعو لكم وألف يدعو عليكم، أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف؟ تهذيب الحِلْية ١/٤٢٦.

* وجاءت امرأة إلى **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) فقالت: إن ابني ضيعني وترك عمله، فقال: في أيّ شيء أخذ ابنك؟ قالت: في الحديث، قال: احتسبيه. تهذيب الحِلْية ٣٩٩/ ٢.

* وقيل **لعمر بن عبد العزيز** (ت: ١٠١): لو جمعت الناس على شيء؟ فقال: ما يسرني أنهم لم يختلفوا، ثم كتب إلى الآفاق وإلى الأمصار: ليقض كل قوم بما اجْتمع عليه فقهاؤهم. مسند الدارمي (٦٥٢).

* وقال الإمام **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): شاورني هارون الرشيد في ثلاث؛ في أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه، وفي أن ينقض منبر النبي ﷺ ويجعله من جوهر وذهب وفضة، وفي أن يقدم نافع بن أبي نعيم إمامًا يصلي في مسجد رسول الله ﷺ. فقلت: يا أمير المؤمنين؛ أما تعليق الموطأ في الكعبة فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في الآفاق، وكل عند نفسه مصيب، وأما نقض منبر رسول الله ﷺ، واتخاذك إياه من جوهر وذهب وفضة، فلا أرى أن تحرم الناس أثر النبي ﷺ وأما تقدمتك نافعًا إمامًا يصلي بالناس في مسجد رسول الله ﷺ، فإن نافعًا إمام في القراءة، لا يؤمن أن تندر منه نادرة في المحراب فتحفظ عليه، قال: وفقك الله يا أبا عبد الله. تهذيب الحِلْية ٣٦٠/ ٢.

* وسأل المأمون **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل لك دار؟ فقال: لا، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال: اشتر لك بها دارًا.

ثم أراد المأمون الشخوص وقال لمالك: تعال معنا فإني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن، فقال له: مالكَ إلى ذلك سبيل، وذلك أن أصحاب النبي ﷺ افترقوا بعده في الأمصار، فحدثوا، فعند كل أهل مصر علم، ولا سبيل إلى الخروج معك، فإن النبي ﷺ قال: (والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) وقال: (المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد) وهذه دنانيركم فإن شئتم فخذوه، وإن شئتم فدعوه. تهذيب الحِلْية ٣٥٩/ ٢.

* وعن الربيع أنه قال: كان **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) عند مالك وعنده سفيان ابن عيينة والزنجي فأقبل رجلان، فقال أحدهما: أنا الربيع القماري وقد بعت هذا قمريًّا، وحلفت له بالطلاق أنه لا يهدأ من الصياح، فلما كان بعد ساعة أتاني فقال: قد سكت فردّ علي دراهمي، وقد حنثت، فقال مالك: بانت منك امرأتك. فمرّ الشافعي، فقال للبائع: أردت أنه لا يهدأ أبدًا أو أن كلامه أكثر من سكوته؟ فقال: قد علمت أنه ينام ويأكل ويشرب، وإنما أردت كلامه أكثر من سكوته، فقال: ردّ عليك امرأتك، فأخبر مالكًا، فقال للشافعي: من أين قلت؟ فقال: حديث فاطمة بنت قيس قالت لرسول الله ﷺ: إن معاوية وأبا جهم خطباني فقال: إن معاوية صعلوك، وإن أبا جهم لا يضع عصاه عن عاتقه. وقد كان ينام ويستريح، وإنما خرج كلامه على الأغلب، فعجب مالك فقال الزنجي: أفت فقد آن لك أن تفتي، وهو ابن خمس عشرة سنة. المنتظم ١٣٦/ ١٠.

* وكان **أبو يوسف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٠) مريضًا شديد المرض، فعاده **أبو حنيفة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٠) مرارًا، فصار إليه آخر مرة فرآه ثقيلًا فاسترجع وقال: كنت

أؤملك للمسلمين بعدي، ولئن أصيب الناس بك ليموتَنّ معك علم كثير، ثم رزق الله أبا يوسف العافية، وأُخبر بقول أبي حنيفة فيه، فارتفعت نفسه، وانصرفت وجوه الناس إليه، فعقد لنفسه مجلسًا في الفقه، وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة، فسأل عنه فأخبر أنه قد عقد لنفسه مجلسًا، وأنه بلغه كلامك فيه، فدعا رجلًا كان له عنده قدرٌ فقال: صر إلى مجلس يعقوب فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قصَّار[1] ثوبًا ليقصره بدرهم فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له القصَّار: مالك عندي شيء، وأنكره، ثم إن رب الثوب رجع إليه، فدفع له الثوب مقصورًا، أله أجرة؟.

فإن قال: له أجرة، فقل: أخطأت، وإن قال: لا أجرة له فقل: أخطأت، فصار إليه فسأله فقال له أبو يوسف: له الأجرة، فقال: أخطأت، فنظر ساعة ثم قال: لا أجرة له. فقال: أخطأت، فقام أبو يوسف من ساعته، فأتى أبا حنيفة فقال له: ما جاء بك إلا مسألة القصّار؟ قال: أجل، قال: سبحان الله، مَنْ قعد يفتي الناس وعقد مجلسًا يتكلم في دين الله وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإجارات!.

فقال: يا أبا حنيفة، علمني.

فقال: إن قصره بعد غصبه فلا أجرة له؛ لأنه قصره لنفسه، وإن كان قصره قبل أن يغصبه فله الأجرة لأنه قصره لصاحبه.

ثم قال: مَنْ ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه. المنتظم ٨/١٣٠.

* وعن **أبي يوسف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: توفي أبي وخلفني صغيرًا في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصّار أخدمه، فكنت أدع القصَّار وأمر إلى حلقة **أبي حنيفة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأجلس فأستمع، وكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي، وتذهب بي

(١) القصَّار: الخياط.

إلى القصَّار، وكان أبو حنيفة يعنى بي، لما يرى من حرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا كسب له، وأنا أطعمه من مغزلي، وآمل أنه يكسب دانقًا يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج[١] بدهن الفستق.

فانصرفت وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك.

ثم لزمته، فنفعني الله بالعلم، ورفعني حتى تقلَّدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد، وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قدَّم إليَّ هارون فالوذجة بدهن فقال لي هارون: يا يعقوب، كل منه، فليس كل يوم يعمل لنا مثله. فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوذجة بدهن الفستق، فضحكت. فقال لي: مم تضحك؟ فقلت: خيرًا، أبقى الله أمير المؤمنين. فقال: لتخبرني وألحَّ عليَّ، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فتعجب من ذلك، وقال: لعمري إن العلم يرفع وينفع دنيا وآخرة. وترحَّم على أبي حنيفة، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يرى بعين رأسه. المنتظم ٧٣/ ٩.

* وأُدخل **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) على الخليفة -وكانوا هوَّلوا عليه، وقد كان ضَرَب عنق رجلين- فنظر أحمد إلى أبي عبد الرحمن الشافعي فقال: أيُّ شيءٍ تحفظ عن الشافعي في المسح؟.

فقال ابن أبي دؤاد: انظروا رجلًا هو ذا يُقَدَّم لضرب عنقه، يناظر في الفقه! تهذيب الحِلْية ١٤٧/ ٣.

* وقال **حمزة الكناني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خرَّجت حديثًا واحدًا عن النبي ﷺ من نحو مئتي طريق، فداخلني لذلك من الفرح غيرُ قليل، وأعجبت بذلك، فرأيتُ **يَحيى**

---

(١) نوع من الحلوى، طيبة الطعم.

ابن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٣) في المنام، فقلت: يا أبا زكريا، خرَّجتُ حديثًا من مئتي طريق، فسكتَ عنِّي ساعة، ثم قال: أخشى أن تدخلَ هذه تحت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر:١]. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٢٨٠.

* وعن محمد بن سهل أنه قال: كنت بالمصيصة وبها **المأمون** (ت: ٢١٨) أمير المؤمنين، فأذن يومًا للناس فقام إليه شاب وبيده محبرة، فقال: يا أمير المؤمنين، صاحب حديث منقطع به، فقال له المأمون: أي شيء تحفظ من باب كذا؟ فلم يذكر الفتى شيئًا، فما زال المأمون يقول: حدّثنا هشيم، وحدثنا أبو الأحوص، وحدثنا وكيع، حتى ذكر الباب، ثم قال: وإيش تحفظ في باب كذا؟ فلم يذكر الفتى شيئًا، فما زال المأمون يقول: حدثنا حجاج بن محمد، وحدثنا فلان وفلان، حتى ذكر الباب، ثم التفت إلى الفضل، فقال: أحدهم يطلب الحديث ثلاثة أيام ثم يقول أنا من أصحاب الحديث، أعطوه ثلاثة آلاف درهم. المنتظم ٥٣-٥٤/ ١٠.

* وعن أبي القاسم علي بن الحسن بن أبي عثمان أنه قال: إن عضد الدولة كان قد بعث القاضي **أبا بكر الباقلاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٣) في رسالة إلى ملك الروم، فلما ورد مدينته عرف الملك خبره وبين له محله في العلم، فأفكر الملك في أمره وعلم أنه لا يفكر له إذا دخل عليه كما جرى رسم الرعية أن يقبل الأرض بين يدي الملوك، ثم نتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يُمَكِّن أحدًا أن يدخل منه إلا راكعًا ليدخل القاضي منه على تلك الحال عوضًا من تفكيره بين يديه، فلما وضع سريره في ذلك الموضع أمر بإدخال القاضي من الباب، فسار حتى وصل إلى المكان فلما رآه تفكر فيه ثم فطن بالقصة، فأدار ظهره وحنى رأسه ودخل من الباب، وهو يمشي إلى خلفه وقد استقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه ونصب ظهره وأدار وجهه حينئذ إلى الملك، فعجب من فطنته ووقعت له الهيبة في نفسه. المنتظم ٩٦/ ١٥.

* وقرأ الشيخ محمد بن حمد الهُدَيبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ القرآن ثم العلم على الشيخ **إبراهيم ابن حمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧٦)، ولازمه ملازمةً كلّيّة، وأحبّه الشيخُ محبّةً أكيدة، وأخبرني أنه قال: خطب إليّ شيخي بنتي فأجبته، فقال لي: لا، أخاف عليك من كلام الناس؛ لأنك قبيلِيّ وأنا لستُ بقبيلِيّ[١]، وهذا عند الناس مُسْتنكرًا.

فقلت: لا أسأل عن كلام الناس.

فقال: لا أرضى أن يتكلّم فيكَ أحد.

وقال: لَمَّا عزمتُ على الرحلة لسُكنى الحرمين الشريفين عذلني وقال لي: أين تفارق أصحابك! تستوحش لهم ويستوحشون لك؟ ولا تجد من يُذاكرك بالفقه، وكلامًا من هذا القبيل، فلم ألتفت، فلما رآني مصممًا بكى، وقال: يا ليتني شعرة في جسدك، فكاد ينخلع قلبي لفراقه، وكدت أرجعُ عن عزمي.[٢] السحب الوابلة (٢/ ٩١٠).

* وكان الإمام **مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) يلبس الثياب العدنية الجياد، والخراسانية والمصرية المرتفعة البيض، ويتطيب بطيب جيد، ويقول: ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا ويُرى أثر نعمته عليه، وخاصة أهل العلم، وكان يقول: أحب للقارئ أن يكون أبيض الثياب.

وكان يستعمل الطيب الجيد، المسكَ وغيره.

وكان **مالك** يجلس في منزله على نمارق[٣] مطروحة، يمنة ويسرة في سائر البيوت لمن يأتيه من قريش والأنصار ووجوه الناس.

---

(١) جاء في الهامش: القبيلِيّ عند أهل نجد: هو الذي ينتمي إلى أُرومة عربيّة، وغير القبِيلِيّ: هو الذي إما لا ينتمي إلى قبيلة عربية، وإما لم يُحفظ انتماؤه إليها.

(٢) هكذا ينبغي أن تكون علاقة الشيخ مع تلميذه، فيها المحبة الأكيدة، والتفقد له، والسؤال عن حاله، والإفصاح عن مشاعره تجاهه.

(٣) أي: وسائد.

وقيل له: ما شرابك يا أبا عبدالله؟ قال: في الصيف السكر وفي الشتاء العسل. ترتيب المدارك (١/ ١٠١-١٠٣).

* وكان رؤساء زمان **ابن الخشاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٦٥) وزراء وقته يودّون مُجالسته، ويتمنّون مُحاضرته فلا يَفعل.[1].

وكان إذا رفعها -أي العمامة- عن رأسه ثم أراد لبسها تركها على رأسه كيف اتفق، فتجيء عذبتها تارة من تلقاء وجهه، وتارة عن يمينه، وتارة عن شماله، فلا يغيرها.[2].

فإذا قيل له في ذلك، يقول: ما استوت العمة على رأس عاقل قط.[3].

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ظريفًا مَزّاحًا ذا نوادر:**

منها: أنه كان يومًا في داره في وقت القيلولة والحر الشديد وقد نام، إذ طُرق عليه الباب طرقًا مزعجًا، فانتبه فخرج مبادرًا، وإذا رجلان من العامَّة، قَالَ: ما خطبكما؟ فقالا: نحن شاعران، وقد قَالَ كل واحد منا قصيدة وزعم أنها أجود من قصيدة صاحبه، وقد رضينا بحكمك، فقال: ليبدأ أحدكما.

قال: فانشد أحدهما قصيدته وهو مصغٍ إليه، حتى فرغ منها، وهمَّ الآخر بالإنشاد، فقال له ابن الخشاب: على رسلك، فشعرك أجود، فقال: كيف خبرت شعري ولم تسمعه؟.

فقال: لأنه لا يكون شيء أبخس من شعر هذا.. ذيل الطبقات (٢/ ٢٥٣).

* وكان الذين يحضرون مجلس **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠) من

---

(١) رغبة في السلامة مِن تَبِعات الجلوس مع أهل الغنى والترف والسلطة، وهذا محمود لمن لم يثق بقوةِ إيمانه وعلمه وعزيمته وقناعته.

(٢) وهذا يحدث كثيرًا ممن يلبس الغُترة في هذا الزمان.

(٣) في هذا مواساة لمن قلّ اعتناؤه بترتيب لبس الغترة، فله سلف في ذلك.

العُبَّاد أكثر مِمَّن يحضره من طلبة العلم، كانوا يأتونه من أقطار الأرض.[١] ترتيب المدارك (٢/ ٩٩).

* وقال **يحيى بن عمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما قدمت إلى سحنون بن سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسألت عنه، فقيل لي: خرج إلى البادية، فجئته، فرأيت رجلًا أشعر، عليه جبة صوف ومنديل، وهو متولٍّ حرثه وشأنه، فاستصْغرته، وندمت على تركي من تركت بالمشرق ومجيئي إليه، وقلت: ما أراه يحفظ شيئًا من العلم، فرحَّب بي، فلما جالسته في العلم رأيت بحرًا لا تكدره الدلاء، والله العظيم ما رأيت مثله قط، كأنما جمع العلم عينيه في صدره.[٢] ترتيب المدارك (٢/ ١٠١).

* وقال ابن حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **ابن العطار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٩) متفننًا في علوم الإسلام، وثابتًا في الفقه، لا نظير له، حاذقًا بالشروط، وأملى فيها كتابًا عليه معول أهل زماننا.

وكان يَفْضُل فقهاء وقته بمعرفته بالنحو واللسان، فكان لا يزال يزري بأصحابه المفتين، ويعجب بما عنده، إلى أن تمالؤوا عليه بالعداوة، وحملوا قاضيهم ابن زَرْب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨١)[٣] على إسقاطه، وهو الذي رقَّاه إلى الشورى أول ولايته، فجرى له مع الفقهاء أخبار كثيرة.

وكان الذي يُهَيِّج أحقادهم عليه عجبٌ فيه، وشكاسةٌ في خلقه.

وكان السبب في مطالبة ابن زرب له ومساعدة أعدائه عليه: أنَّ ابن العطار سبق

---

(١) العالم إذا كان عابدا عظُم نفعه، وكثرت بركته، وبُورك في علمِه، ولذلك قال ابن عجلان الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سحنون بن سعيد العالم العابد الزاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما بورك لأحد بعد أصحاب رسول الله ﷺ ما بُورك لسحنون في أصحابه، إنهم في كلّ بلد أئمة.

(٢) إذا صدق طالب العلم ابتعد عن التكلف، ولم يتحرج من مباشرة شؤونه في البيت وخارجه، ولا ينبغي احتقار الناس لأجل مظاهرهم، فكم من رجل لا يُنبئ مظهرُه عن مخبره.

(٣) العلامة، شيخ المالكية في وقته.

بالفتح عليه يوم الجمعة في خطبته لتوقُّفٍ عراه، فقال ابن زرب: وكفوا ألسنتكم عن الرفث، فلم يكد يقف حتى قال ابن العطار قبيح القول، فنظره ابن زرب شزرًا ومضى في خطبته، وقد توقَّد عليه غضبًا شغله في الصلاة، فأسقط من القراءة، ففتح عليه ابن العطار أيضًا، فكانت سببَ تغيُّرِه عليه.

وكان ابن العطار قد ردّ على ابن أبي عامر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] قولًا قاله، وذلك أنه حكى حكاية قال فيها: فلفَعَه -بالفاء- بعينه أي أصابه ففطن ابن العطار لخطئه، ولم يكن يصبر عليها لشرهه[٢]، فاستطرد بذكر حكايةٍ من ذلك المعنى: فلقعه بعينه -على الصواب-.

ففطن ابن أبي عامر لمراده وقال: لو علمنا سقوط الهيبة لاشترطنا حسن المجالسة.[٣].

فإذا ابن صاعد قد مَثَل، فسأله، فقال: يقال بالقاف والفاء، والقاف أشهرهما، فأخذها ابن أبي عامر حُجَّة، وأَقْبَلَ على توبيخ ابن العطار وتبكيته، وأمر بإخراجه، ومكَّن منه أعداءه، فقاموا في ذلك، وحمل ابن زرب على كشف معايبه.

---

(١) الملك، المنصور، حاجب الممالك الأندلسية، أبو عامر محمد بن عبدالله بن أبي عامر محمد ابن وليد القحطاني، القرطبي، القائم بأعباء دولة الخليفة المرواني المؤيد بالله هشام بن الحكم أمير الأندلس، فإن هذا المؤيد استُخلف ابن تسع سنين، ورُدَّت مقاليد الأمور إلى الحاجب هذا.

وكان بطلا شجاعا، حازما سائسا، غزَّاء عالما، جمَّ المحاسن، كثير الفتوحات، عالي الهمة، عديم النظير.

دام في المملكة نيفا وعشرين سنة، ودانت له الجزيرة، وأمنت به. [السِّيَر (٣٣/ ٨)].

(٢) وعدمُ الصبر هو الذي أورد العقلاء والفضلاء المهالك، وما يُغني كمال عقل الإنسان، وسعة علمه إذا كان قليل الصبر؟

(٣) أي: لو علمنا أنّ أحدًا سيُسقط هيبتي، ويتجرأ عليّ: لاشترطت على من جالسني أن يتحلى بالأدب ومراعاة الجلوس عندي.

واستأذن للحج، فأُذن له فرحل وقضى فرضه، واجتمع في طريقه هذا بجماعة من علماء الأمصار فاعترفوا بفضله.

ثم انصرف إلى الأندلس، وقد كملت خصاله، ونقصت شكاسة خلقه، وكبر سنُّه، واعتدلت حاله، فلاطف ابن أبي عامر فانفسح له، ورحب به.[(١)] ترتيب المدارك (٤/ ٢٠١-٢٠٤).

* وقد سارت الركبان بقصيدةِ **القاسم بن فِيْرُّة الشاطبي** المقرئ الضرير (ت: ٥٩٠) «حرز الأماني» و«عقيلة أتراب القصائد» اللتين في القراءات والرسم، وحفظهما خلقٌ لا يُحصَون، وخضع لهما فحول الشعراء، وكبار البلغاء، وحذّاق القُراء، فلقد أبدع وأوجز، وسهَّل الصعب، وكان موصوفا أيضا بالزهد والعبادة والانقطاع، عاش الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اثنتين وخمسين سنة..

قال السخاوي: جرت بينه وبين الشيطان مخاطبة، فقال لي: [إنْ][(٢)] فعلت كذا فسأُهلِكك، فقلت له: والله ما أبالي بك.

وقال: كنتُ يومًا في طريق وتخلَّف عني من كان معي، وأنا على الدابة، وأقبل اثنان فسبَّني أحدهما سبًّا قبيحًا، وأقبلت على الاستعاذة، وبقي كذلك ما شاء الله، ثم قال له الآخر: دعه، وفي تلك الحال لحقني من كان معي فأخبرته بذلك، فطلب يمينًا وشمالًا فلم يجد أحدًا.

وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوّه، وإذا سُئِل عن حاله قال: العافية، لا يزيد على ذلك.

---

(١) انظر إلى العجلة وعدم الصبر كيف أدّت بابن العطار إلى عداوةِ أشراف الناس له، وتكالبهم عليه، وحينما كبر سنّه ونقصت شكاسة خلقه: هجر ما كان عليه من العجلة والمواجهة بعنف، فقلّ أعداؤه، وكثر أحبابه.

وقد صدق النبي ﷺ حين قال: إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

وكان مجتنبًا فضول الكلام، فلا يتكلم **إلا فيما تدعو إليه الضرورة**، ويمنع جُلَساءه من الخوض في شيء إلا في العلم والقرآن، ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة في هيئة حَسنة وخضوعٍ واستكانة. معرفة القراء (٣/ ١١١٠-١١١٥).

* وكان **والد أبي حامد الغزّالي** رَحِمَهُمَاٱللَّهُ يغزِل الصوف، ويبيعه في دكانه بطوس، فلما احتُضر أوصى بولديه محمد وأحمد إلى صديقٍ له صالح يعلِّمهما الخَط، وفَنِيَ ما خلَّف لهما أبوهما، وتعذَّر عليهما القوت، فقال: أرى لكما أن تلجآ إلى المدرسة كأنكما طالبا علم، قال **أبو حامد الغزالي** (ت: ٥٠٥): فصرنا إلى المدرسة نطلب الفِقه، ليس المراد إلا تحصيل القوت، **فأبى أن يكون إلا لله**. طبقات الشافعيين (٢/ ٩٧).

* الحافظ الكبير **أبو القاسم ابن عساكر** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٥٧١) فخر الشافعية، وإمام أهل الحديث في زمانه، وحامل لوائهم، صاحب تاريخ دمشق، وغير ذلك من المصنفات المفيدة المشهورة، سمِع من مشايخ كبار وصغار نحوًا من ألف وثلاث مائة شيخ، وثمانين امرأة.[1] طبقات الشافعيين (٢/ ١٥٧).

* واتصل القاضي **أَبُو المحاسِنِ ابنِ شداد** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٦٣٢) بخدمة صلاح الدين رَحِمَهُٱللَّهُ سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ثم ولّاه قضاء العَسكر والحكم بالقُدس الشريف..

وكانت حَلَب في ذلك الزمان قليلة المدارس، وليس بها من العلماء إلا نفرٌ يسير، فاعتنى أبو المحاسن المذكور بترتيب أمورها وجمع الفقهاء بها، وعُمرت

(١) كانت الأمة الإسلامية إلى وقت قريب تزخر بالعالِمات الصالحات، اللاتي حملن لواء سنة النبي ﷺ، فعملن بها، وبلَّغنها وحدّثن بها، وكان العلماء الكبار منذ زمن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ إلى وقتٍ قريب يستفيدون منهن، ويأخذون العلم منهن، فالإسلام كرَّم المرأة ورفع شأنها، وأعلى قدرها، وشرَّف منزلتها، ولم تكن يومًا مهمّشة حقيرة، بل عزيزة مصونة، تشارك الرجال في التعلُّم والتعليم والجهاد والدعوة إلى الله تعالى.

في أيامه المدارس الكثيرة. وكان الملك الظاهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد قرَّر له إقطاعًا جيدًا يحصل منه جملة مستكثرة، ولم يكن له خرجٌ كثير، فإنه لم يولد له ولا كان له أقارب، فتوفَّر له شيء كثير..

ولما صارت حَلَب على هذه الصورة قصدها الفُقهاء من البلاد، وحصل بها الاشتغال والاستفادة، وكثر الجمع بها..

كان القاضي أبو المحاسن المذكور بيده حلَّ الأمور وعَقدها، لم يكن لأحدٍ معه في الدولة كلام..

كان للفقهاء في أيامه حُرمة تامة ورعاية كبيرة، خصوصًا جماعة مدرسته، فإنهم كانوا يحضرون مجالس السلطان ويفطرون في شهر رمضان على سماطه، وكنا نُسمّع عليه الحديث، ونَتردد إليه في داره، فقد كانت له قبّة تختص به، وهي شتوية، لا يجلس في الصيف والشتاء إلا فيها، لأن الهَرَم[1] كان قد أثَّر فيه حتى صار كفرخِ الطائر من الضَّعف، لا يَقدر على الحركة للصلاة وغيرها إلا بمشقةٍ عظيمة؛ وكانت النَّزلات تعتريه في دماغه فلا يُفارق تلك القُبّة..

وكان لا يخرج لصلاة الجمعة إلا في شدة القَيظ[2]، وإذا قام إلى الصلاة بعد الجهد يكاد يسقط، ولقد كنتُ أنظر إلى ساقيه إذا وقف للصلاة وكأنهما عودان رقيقان لا لحم عليهما..

وكان كلَّما نظر إلى نفسه على تلك الحال مِن الضعف والعجز عن القيام والقعود والصلاة وسائر الحركات، ينشد:

مــن يتمــن العمــر فليــدَّرع ... صبــرًا علــى فقــد أحبائــه

---

(١) كبر السن.

(٢) الحر الشديد.

ومـن يعمّـر يسـر في نفسـه ... مـا يتمنـاه لأعدائـه

[وفيات الأعيان (٧/ ٨٤-٩٣)].

* وكان **أبو زكريا النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧٦) يُتَوسَّم فيه النجابة مِن صِغره، وقدِم دمشق في سنة تسع وأربعين، وقرأ التنبيه في أربعة أشهر ونصف، وحفِظ ربع المهذَّب في بقية السنة، ولزم شيخه الكمال إسحاق بن أحمد المغربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومكث قريبًا من سنتين لا يضع جنبه إلى الأرض، وإنما يتقوَّت بجراية الرواحية التي هو مقيمٌ بها.

وكان يقرأ في اليوم اثني عشر درسًا على المشايخ شرحًا وتصحيحًا.

قال: وعزمت مرةً على الاشتغال بالطِّب، فاشتريتُ القانون[1] لأقرأه فأُظلم على قلبي، وبقيت أيامًا لا أشتغل بشيء، ففكرتُ فإذا من القانون فبِعته في الحال، وأخذ العلم عن جماعة من الشيوخ، وبورك له في وقته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على جانبٍ كبير من العِلم والزُّهد والتقشُّف والاقتصاد في العيش والصبر على خُشونته، والورع الذي لم يبلغنا عن أحدٍ في زمانه، ولا قبله بدهرٍ طويل، فكان لا يدخل الحمّام[2]، ولا يأكل من فواكه دمشق لما في بساتينها من الشُّبَه في ضمانها والحيلة فيه، صرَّح بذلك، وكان لا يأكل إلا أكلةً واحدة في اليوم والليلة بعد عشاء الأخيرة، ولا يشرب إلا شربة واحدة عند السَّحر، ولا يشرب المبرد، ولم يتزوَّج قط[3]، وكان قليل النوم، كثير السهر في العبادة والتلاوة

---

(١) أي كتاب القانون في الطب لابن سينا.

(٢) وهو الحمام الذي يقصده الناس لأجل الترويح (مثل الحمامات التركية المعروفة الآن).

(٣) كونه لا يأكل إلا أكلةً واحدة في اليوم والليلة بعد عشاء الأخيرة، ولا يشرب إلا شربة واحدة عند السَّحر، ولا يشرب المبرد، ولم يتزوَّج قط: ليس من السنة، ولكنه رأى ذلك أصلح وأنسب له، وعدمُ زواجه قد يكون لعذر لا نعلمه.

والذِّكر والتَّصنيف، **وكان أمَّارًا بالمعروف نهَّاءً عن المنكر**، يواجه الأمراء والكبار والملوك بذلك ويصدع بالحق.

وقام على الملك الظاهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دار العدل في قضية الغوطة لما أرادوا وضع الأملاك على بستانها فردَّ عليهم ذلك، ووقى الله شرها بعد أن غضب السُّلطان، وأراد البطش به، ثم بعد ذلك أحبَّه وعظَّمه حتى كان يقول: أنا أفزعُ منه.

وقد ولي الشيخ محيي الدين مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد الشيخ شهاب الدين أبي شامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة خمس وستين إلى أن تُوفي، **ولم يتناول من مَعلومها فلسًا**، ولم يَقبل لأحدٍ هدية إلا نادرًا، وإنما كان يتقوَّت مما يأتيه مِن أبيه مِن نَوى كعكٍ وفطير، وكان لا يؤبَه له بين الناس، وعليه سكينة ووقار رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] طبقات الشافعيين (٢/ ٣٤٧-٣٤٩).

* وكَانَ **أَبُو مُحَمَّد السَّعْدِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٨٢): فَارغًا عَن طلب الرِّئَاسَة فِي الدُّنْيَا، لَيْسَ لَهُ شغل وَلَا لَذَّة إِلَّا فِي الِاشْتِغَال فِي الْعلم والمطالعة.

وَلَا يتَرَدَّد إِلَى أهل الدولة.

وَله أورادٌ لَا يخلّ بهَا من الصَّلاة وَالقِرَاءَة، والمواظبة على صَلَاة الْجُمُعَة بالجامع الْأَمَوِي -مَعَ بُعد دَاره عَنهُ- لَا يخل بذلك.

وَلَا يخرج من بَيته إِلَّا على طَهَارَة، وَيُحب التَّوسعَة على أَهله وَعِيَاله فِي النَّفَقَة.

وَلَا يحْسُد أحدًا، ويُجانِب الشَّرّ مَا اسْتَطَاعَ، وَكَانَ محبَّبًا إِلَى النَّاس.[2] طبقات الشافعية (٢/ ٢٢١).

---

(١) إنما رزق الله تعالى النووي القبول والمكانة والبركة بعد توفيق الله بسبب صدقه وإخلاصه وصبره في طلب العلم، وورعه وزهده عما في أيدي الناس، وقوَّته في الحق.

(٢) ما أعظم هذه الأخلاق، وما أجل هذا السجايا.

* وقال السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حفظ الشيخ جمال الدين ابن نصر الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٨٩) القُرآن، وعمدة الْأَحْكَام، والخرقي، وألفية النَّحْو، وَعرض على جمَاعَة كشيخنا[١]، وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَشْيَاء، وَكَذَا قَرَأَ على أَبِيه مُسْند إِمَامه[٢] وَغَيره، وَأخذ عَنهُ الْفِقْه غير مرّة، بل ومختصر الطوفي فِي الْأُصُول، والجرجانية فِي النَّحْو، وَعَن الْعِزّ عبد السَّلَام الْبَغْدَادِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي الصّرْف وَغَيره، وَعَن أبي الْجُود رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي الْفَرَائِض والحساب، وَسمع أَيْضا على الزين الزَّرْكَشِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صَحِيح مُسلم، وعَلى أبي عبدالله بن الْمصْرِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنَن ابْن ماجة..

وَأَجَازَ لَهُ خلق، بل أذن لَهُ وَالِده رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي التدريس والإفتاء، وَأذن لَهُ فِي الْعُقُود والفسوخ، بل وَالْقَضَاء، وَكَذَا أذن لَهُ شَيخنَا وَغَيره فِي الإقراء، وَاسْتقر بعد أَبِيه فِي تدريس الْفِقْه بالمنصورية والبرقوقية، وَحضر عِنْده فيهمَا الْقُضَاة والأعيان.

وَمَعَ ذَلِك فَاحْتَاجَ لقلة تدبيره وسوء تصرّفه إلى المباشرة بديوان الأمير لِيَرْتَفِق بمعلُومها، وأَكْثَرَ من التشكّي وامتهان نفسه، ومُخالطتِه قبل ذلك وبعده لذوي السّفه..

وَقد درس وَأفتى وَحدث باليسير، أَخذ عَنهُ بعض صغَار الطّلبَة، وَكَانَ يستحضر كثيرا من الْفُرُوع وَغَيرهَا، وَفِي تصَوُّره توقف.

ومع ذلك **فلو كان مُتصوّنا ما تقدّم عليه بعد العزّ غيرُه**.[٣] [الضوء اللامع

(١) أي: الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أي: الإمام أحمد بن حنبل.

(٣) العبرة من هذا: أن هذا العالم قد حصّل العلم وحفظ ودرس على كبار العلماء، وأجازوه في الإفتاء والتدريس، حتى حضر عِنْده الْقُضَاة والأعيان، لكنه لم يعتن بالمال، وضيّعه بما لا حاجة فيه، حتى احتاج، فاضطر إلى العمل وامتهان نفسه، وكَثُر انشغاله، وضاع كثير من علمه، فأثر ذلك على علوّ همّته، وجودة فهمه، وكثرة محفوظاته، وغزارة علمه. =

لأهل القرن التاسع (١٠/ ٣٠٠).

* وقال الشيخ راشد بن علي بن جريس رَحِمَهُ ٱللَّهُ للعلامة السيد **صدّيق بن حسن خان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠٧) في بهوبال من البلاد الهندية[1]: لي أصحاب ينيفون على خمس مئة ألف نفس من الرجال والنساء والأطفال، كلنا على معتقدكم الطاهر المطهر، ومؤلفات مشايخنا مطابقة لما أنتم عليه وما نحن عليه، فالحمد لله الذي نصر الحق بكم على حين فترة من أنصاره ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

وكنا قبل نحسب أن هذه الطريقة السلفية لنا، ليس لنا فيها مشارك في الدنيا حتى وقفتُ على بعض مؤلفاتكم الشريفة، فازددت بها فرحًا وسرورًا.[2] علماء نجد (٢/ ١٤٧).

* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٣): حدثني سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل شيخ قال: خرج الشيخ **سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣٣) مع بعض أصحابه إلى أحد بساتين الدرعية، فامتحنوه في تمييز شجرة البطيخ من شجرة الدُّباء فلم يميّز بينهما، وحدّث الثقات عنه أنه كان يقول: معرفتي برجال الحديث أكثر من معرفتي برجال الدرعية.

والقصد أنه لم يشغل نفسه بغير العلم تعلّما وبحثا ومراجعة. علماء نجد (٢/ ٢٨٢).

= فليتنبّه لذلك طالب العلم، وليحرص على جمع المال من حلّه، وعدم صرفه إلا عند الحاجة الملحة، ولا يكثر من شراء الكتب التي لا يحتاجها.

(١) جاءت رسالته في كتاب العلامة صدّيق: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (٥١٧)، وقد نقلت نصّه منها.

(٢) هذا يدل على أن كل من تأمل في الكتاب والسنة، وصدق في طلب الحق، وترك التقليد والجمود: فإنه سيهتدي إلى عقيدة السلف الصالح.

* ورحل الشيخ **سليمان بن عليّ بن مقبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠٤) إلى دمشق لطلب العلم، ثم عاد إلى قريته المنسَى التابعة لمدينة بريدة، ووالده يظن أنه سافر لكسب المال، فلما نزل عن راحلته المثقلة بحملها، ظنّ أبوه أنّ هذه هدايا وكسوة ونفقة، فلم يفجأ إلا بفك الحمل عن كتب علمية، فقال: يا بني، كنت أظن أن هذا مال، وإذا به هذه القراطيس!.

فقال الابن: يا أبي، في هذه القراطيس خير الدنيا والآخرة. علماء نجد (٢/ ٣٠٩).

* ويتناقل أهل العلم قصة تدل على عقلية الشيخ **عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٨٢) وبُعد نظره، ذلك أن الشيخ أبا بطين أقام في بريدة عام (١٢٦٩) فدخل شهر رمضان، فوافق إقامته دخول ليلة الثلاثين من شعبان، وكان هناك غيم في الأفق، فأمر قاضي البلد الشيخ سليمان بن عليّ بن مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠٤) بالصيام كما هو الواجب في المشهور من المذهب، فصام الناس وصام معهم الشيخ عبدالله أبا بطين ومن معه، فقال له بعض طلابه: كيف تصوم وأنت في تقريراتك وفتاويك تفتي بكراهة صيام مثل هذا اليوم؟.

فقال: ما دام قاضي البلد يرى هذا فنحن نتبعه، والخلاف شرّ.

مع أنّ هذا القاضي كان أحد تلاميذه! علماء نجد (٢/ ٣١٠-٣١١).

* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عاد **الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز آل سليم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠٢) من الكويت إلى عنيزة وعمره (١٤)، فاشتغل بالعلم من صباه، ولازم الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٦)، الذي كان لا يكبره إلا بثلاث سنوات، وأخبرني أنه أول ما قرأ عليه «ثلاثة الأصول»، وقرأ على غيره من علماء بلده، إلا أنّ الاستفادة والملازمة كانت على الشيخ عبدالرحمن

ابن سعدي.(١) علماء نجد (٣/ ٥٥).

* وقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الشيخ **عبدالرحمن بن عبدالعزيز آل سليم** وجيها في بلده، ووجيها في أسرته، وكان متحدثا لَبِقًا، لديه فطنة واستحضار وحسن إيراد، فكان طلبة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي دائرين عليه في مكتبة جامع عنيزة في الدرس، وكنت من جملة الحاضرين، فطار عصفور من فرجةٍ بالمكتبة إلى الفرجة الأخرى المقابلة، وكان في منقاره ثمرة فسقطت منه أثناء الطيران، فصار سقوطها في حجر الشيخ ابن سعدي فأخذها، وصار يقلّبها، فقال الشيخ عبدالرحمن: إنّ هذا العصفور لم يعرف آمَن منك على رزقه فاستودعك إياه، فكانت لطيفة، ثم أتْبعها بقصة تشابهها فقال:

ذكر ابن خلكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يدرّس الطلاب في جامع مرو، وكان في يوم شديد البرد، وإذا بحمامة يطاردها صقر في أورقة الجامع، فلما دنا منها وكاد يخطفها دخلت في جبّة الشيخ الرازي، وسلمت من الصقر الجارح، وكان من جملة طلبة الرازي الحاضرين الشاعر ابن عنين، فارتجل في الحال هذه الأبيات:

جاءت سليمانَ الزمانِ حمامةٌ ... والموت يلمع من جناحيْ خاطف

لجأت إليك وقد تدانى حتفها ... فرددته عنها بقلب واجف

مَن علّم الورقاء أنّ محلّكم ... حرمٌ وأنك ملجأٌ للخائف

فاستحسن الشيخ والحاضرون هذه البديهة وسرعة هذا الخاطر. علماء نجد (٣/ ٥٦).

---

(١) فالشيخ قد نبغ وبرز في العلم منذ صغره رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكنه حينها لم يكن وصل إلى درجة الاجتهاد وبلغ رتبة العلماء الكبار، ومع ذلك لم يمنعه ذلك من التدريس ونفع الناس، مع وجود من هو أعلم وأكبر منه في بلده.

* وشرب الشيخ **عبدالله الداود** من مشايخه عداوة الدعوة السلفية، وقد صنّف في الردّ عليها كتابا سماه: الصواعق والرعود في الرد على ابن سعود، إلا أن الله أبقى هذه الدعوة الطيبة في نموّ وتوسع في المشارق والمغارب، وذهبت رعوده وبروقه، فالحمد لله على المعتقد الحسن.[1] علماء نجد (٤/ ٨٨).

* وكان شخص يقرأ على الشيخ **محمد بن عبدالرحمن الأحسائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٦٤) مع رفقة له في «قواعد الإعراب»، فلما خرج قال لبعض الطلبة: لم يزدنا الشيخ على ما في الشرح!.

فنُقلت هذه الكلمة إلى الشيخ، فلما كان من الغد وحضر الطلبة قال الشيخ لذلك الشخص: اقرأ الدرس الماضي، فقرأه وشرع الشيخ في التقرير بأبلغ عبارة، وأوسع نقل إلى الضحوة، ثم قال لذلك التلميذ: ما فهمت من هذا؟ فقال: لم أفهم شيئا منه، فقال: لهذا لم أزدك على ما في الشرح. السحب الوابلة (٣/ ٩٢٨).

* وكان الشيخ **فوزان بن سابق بن فوزان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٣) من العلماء الأفاضل، ولقد كان مع طلبه العلم يشتغل بتجارة الخيل والمواشي حتى اختاره الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليكون سفيرًا له بدمشق، ثم نقله إلى القاهرة، وبقي سفيرًا في القاهرة إلى آخر أيام حياته.

وقد طلب من الملك عبدالعزيز عدَّة مرات أن يُعفِيَه من العمل، ولكن الملك عبدالعزيز لا يوافق على ذلك، حتى بلغ أكثر من تسعين عامًا، عندها أعفاه من العمل، وأبقى له شخصيته الاعتبارية هناك.

---

(١) حُوربت الدعوة السلفية منذ قيام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالدعوة إليها، ولم يدع إلى شيء مبتدع، بل دعا إلى الله وإلى التمسك بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، لا على فهم الخلف وأهل الأهواء والآراء الضالة، ولقد ذهبت جهود المحاربين للدعوة سدى بحمد الله، وبقي الحق كالشمس في وَضَح النهار.

وكان عميدًا للسِّلْك السياسي بمصر مدةً تزيد عن ثلاثين سنة، وله مكانة خاصة عند الملك عبدالعزيز، فهو لا يُعامِله كموظف، وإنَّما يعامله كشخصيةٍ لها مكانتُها في المجتمع.

والشيخ فوزان رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الذي عرَّف المصريين بمُعتَقَد أهل نجد، وأنهَّم على مذهب أهل السنة والجماعة في الأصول، وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وقد شرح هذا الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة للشيخ فوزان بعد وفاته، ذكر فيها فضائله وشيئًا من أعماله وصفاته، والشيخ حامد الفقي هو الذي غسَّل وكفَّن الشيخ فوزان بوصية من فوزان، وهذا دليل على تقدير العلماء للشيخ فوزان.

وكان إذا علم بين أحد من أهل نجد نزاعًا أو خلافًا حَلَّ مشكلتهم برأيه وماله، وله هَيبة عظيمة وتقدير في نفوس الرعايا السعوديين؛ إذ كان تجار الخيل والإبل يرتادون مصر بالألوف سنويًّا، ويُقيم بعضُهم هناك عدَّة شهور للتجارة بالخيل والإبل والأغنام.

وقد هرب من الشام إلى مصر وقتَ ولاية التُّرك على الشام، وهروبه مع إبل للبسام بهيئة بدوي، كما أفاد ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبعض أقاربنا، وهروبه من الحكومة التركية حينما كانت تقبض على رجال العرب الذين لهم نشاط سياسي.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من رجال الدِّين والدنيا، ومن أهل الفضل، فقد كان منزله بمصر أكثر من أربعين عامًا موْئلًا وملجأ لأهل نجد ورجال العرب الذين لهم نشاط سياسي، ولم يكن يجهل أحوال المقيمين هناك، بل كان يتفقَّد أحوالهم ويساعد المحتاجين منهم، وكان يخصِّص للفقراء والمحتاجين منهم مخصَّصات شهرية من ماله الخاص، وكان إذا علم عند أحد من الرعايا السعوديين ما يُوجِب نُصْحَه

استدعاه ونَصَحه، وربما أمره بمغادرة القاهرة. علماء نجد (٥/ ٣٠٦-٣٠٧).

* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني الأخ محمد بن يوسف النافع قال: إن **والدك** والشيخ **محمد بن سليمان البصري** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ خرجا من عندي في إحدى الليالي بعد صلاة العشاء الآخرة، وظلا واقفين يتناقشان حتى بَرَق الفجر. علماء نجد (١/ ٣٢٥-٣٢٦).

* وكان الشيخ **صالح بن عبدالعزيز ابن عثيمين** (ت: ١٤١٠) جادًّا في تحصيل العلم، وصادف مع ذلك سرعة في الحفظ وجودة في الفهم وبُطْأ في النسيان، فمن هذا صار من كبار العلماء، وصار متفننًا، فهو مفسِّر ومحدِّث، وله اطلاع في التوحيد وعقائد المخالفين، وهو فقيه أصولي، وله اطلاع واسع في النحو وعلوم اللغة العربية، وله اهتمام في حفظ النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

بعد هذا الإدراك عاد إلى وطنه مدينة بريدة، وهو يظن بسعة اطلاعه أنه سيتصدر بلاده في التعليم والتدريس، إلا أن بعض أهل العلم في ذلك الزمن عندهم انغلاق ووحشة من كل من يأخذ علومه من خارج البلاد النجدية، فصار بينه وبين قاضي بريدة في ذلك الزمن الشيخ عمر بن سليم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحشة وجفوة أدَّتْ إلى أن ترك الشيخ صالح بلده، وسافر إلى مكة المكرمة، فقدمها واتخذ مهنة إصلاح الساعات مهنته لإدرار رزقه ورزق أهله، وسكن حي شعب عامر الذي هو مقُّر النجديين.[1] علماء نجد (٢/ ٤٠٤).

---

(١) عدم العناية والتحفيز للمبدعين والنابهين يؤدي إلى قتل مواهبهم، والحط من هممهم، وفتور عزائمهم، وخاصة عندما يرحل هؤلاء إلى خارج بلدانهم، ويسعون في تحصيل العلوم أو الأعمال النافعة، ثم يرجعون إلى بلدانهم، فلا يجدون من يثني عليهم وعلى جهودهم، ولم يجدوا البيئة التي يستثمرون فيها مواهبهم، وينثرون في أهلها علومهم: فإنهم سينصدمون ويُحبطون، ولذلك نرى كثيرا من المبدعين والنابهين قد ماتت هممهم، وفترت عزائمهم لما رجعوا إلى أوطانهم، فبعض الأوطان مقبرةُ الأذكياء والعلماء.

ز- ما قيل في كتم بعض العلم للمصلحة، وعدم بثه لكل أحد[1]:

* قال **عمر بن الخطاب** (ت: ٢٣): بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع. صحيح مسلم في المقدمة.

* وعن **أبي هريرة** (ت: ٥٩) قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين: فأمَّا أحدهما، فبثثته في الناس، وأما الآخرُ، فلو بَثثْته، لقُطِعَ هذا البلعوم. صحيح البخاري: (١١٧).

* وكان يقول: رُبَّ كيسٍ عند أبي هريرة لم يَفتحه. يعني من العلم.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): هذا دالّ على جواز كتمان بعضِ الأحاديث التي تحرك فتنةً في الأصول، أو الفروع، أو المدح والذم.

أما حديثٌ يتعلق بحل أو حرام، فلا يحلُ كتمانهُ بوجه، فإنه من البينات والهدى، وفي صحيح البخاري: قول **عليٍّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حدِّثُوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما يُنكرون، أتُحبُّون أن يُكذب الله ورسوله! وكذا لو بثَّ أبو هريرة ذلك

---

(١) قال ابن العربي في قَوْله تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة:١٥٩] اسْتَدَلَّ بِهَا عُلَمَاؤُنَا عَلَى وُجُوبِ تَبْلِيغِ= =الْحَقِّ وَبيَانِ الْعِلْم عَلَى الْجُمْلَةِ. وَلِلْآيَةِ تَحْقِيقٌ هُوَ أَنَّ الْعَالِمَ إِذَا قَصَدَ الْكِتْمَانَ عَصَى، وَإِذَا لَمْ يَقْصِدْهُ لَمْ يَلْزَمْهُ التَّبْلِيغُ إِذَا عَرَفَ أَنَّ مَعَهُ غَيْرَهُ... وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لَا يُحَدِّثَانِ بِكُلِّ مَا سَمِعَا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ أَقَلَّهُمْ حَدِيثًا مَخَافَةَ أَنْ يُوَاقِعَ الْكَذِبَ - وَلَكِنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ الْعِلْمَ عَمَّ جَمِيعَهُمْ فَسَيُبَلِّغُ وَاحِدٌ إِنْ تَرَكَ آخَرُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَالتَّبْلِيغُ فَضِيلَةٌ أَوْ فَرْضٌ، فَإِنْ كَانَ فَرْضًا فَكَيْفَ قَصَّرَ فِيهِ هَؤُلَاءِ الْجِلَّةُ كَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَالزُّبَيْرِ، وَأَمْثَالِهِمْ، وَإِنْ كَانَ فَضِيلَةً فَلِمَ قَعَدُوا عَنْهَا؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ مَنْ سُئِلَ فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ التَّبْلِيغُ لِهَذِهِ الْآيَةِ - وَلِمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**» وَأَمَّا مَنْ لَمْ يُسْأَلْ فَلَا يَلْزَمُهُ التَّبْلِيغُ إِلَّا فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ.. فَالصَّحِيحُ عِنْدِي مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ أَنَّهُ إِنْ كَانَ هُنَاكَ مَنْ يُبَلِّغُ اُكْتُفِيَ بِهِ، وَإِنْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ لَزِمَهُ، وَسَكَتَ الْخُلَفَاءُ عَنْ الْإِشَارَةِ بِالتَّبْلِيغِ - لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْمَنْصِبِ مَنْ يَرُدُّ مَا يَسْمَعُ أَوْ يُمْضِيهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِعُمُومِ التَّبْلِيغِ فِيهِ. أحكام القرآن ١/ ٧٨، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

الوعاء، لأوذي، بل لقُتل، ولكن العالم قد يؤديه اجتهادُه إلى أن ينشُر الحديث الفلاني إحياءً للسنة، فله ما نوى وله أجر -وإن غلط- في اجتهاده. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٠٩.

* وقال **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣): لا تمنعوا العلم أهله فتأثموا، ولا تحدثوا به غير أهله فتأثموا. تهذيب الحِلْية ٢/ ١١٦.

* وعن **يزيد بن ميسرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: لا تبذل علمك لمن لا يسأله، ولا تنثر اللؤلؤ عند من لا يلتقطه، ولا تنشر بضاعتك عند من يكسدها عليك. تهذيب الحِلْية ٢/ ١٩٣.

* وعن **كثير بن مرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) قال: لا تحدث الباطل الحكماء فيمقتوك، ولا تحدث الحكمة للسفهاء، فيكذبوك، ولا تمنع العلم أهله، فتأثم، ولا تضعه في غير أهله فتجهل.

إن عليك في علمك حقا، كما أن عليك في مالك حق. مسند الدارمي (٣٩٠).

* وعن **مطرف بن الشخير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) قال: لا تطعم طعامك من لا يشتهيه. مسند الدارمي (٣٩٢).

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): يا هؤلاء إن الكلب إذا طرح إليه الذهب والفضة لم يعرفهما، وإذا طرح إليه العظم أكب عليه، كذلك سفهاؤكم لا يعرفون الحق. تهذيب الحِلْية ١/ ٤١٩.

* وعن **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) قال: ذلٌّ وإهانةٌ للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٣٥.

* وعن ابن وهب قال: قال لي **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع. ولا يكون إماما أبدا، وهو يحدث بكل ما سمع. صحيح مسلم في المقدمة.

* وقال **عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): لا يكون الرجل إماما يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع. صحيح مسلم في المقدمة.

* وقال الشيخُ علمُ الدِّينِ: وفي يومِ الخميسِ منتصف ربيعٍ الأوَّلِ اجتَمع قاضي القُضاةِ شمس الدِّين ابنُ مُسَلمٍ بالشيخِ الإمام العَّلامَةِ **تَقيِّ الدِّين ابنِ تَيْميَّة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨)، وأشار عليه بتَرْكِ الإفتاءِ في مسألةِ الحَلفِ بالطَّلاقِ، فقبِل الشيخُ نصيحتَه، وأجابَ إلى ما أشار به؛ رعايةً لخاطرِه وخواطرِ الجماعَةِ المُفتين، ثم ورَد البريدُ في مُستَهلِّ جُمادى الأُولَى بكتابٍ مِن السلطان فيه مَنْعُ الشيخِ تقيِّ الدَّينِ مِن الإفتاءِ في مسألةِ الحلفِ بالطلاقِ، وعُقِدَ في ذلك مجلسٌ، وانفَصَل الحالُ على ما رسَم به السلطانُ، ونودِيَ به في البلدِ، وكان قبلَ قُدُومِ المرسُوم قد اجتَمع بالقاضي ابنِ مُسَلَّمٍ الحَنْبَلِيِّ جماعةٌ مِن المفتِينَ الكبارِ، وقالوا له أن يَنصَح الشيخَ في تركِ الإفتاءِ في مسألةِ الطَّلاقِ، فعَلِمَ الشيخ نصيحتَه، وأنَّه إنَّما قصَد بذلك ترْكَ ثَورَانِ فتْنَةٍ وشرٍّ. البداية والنهاية ١٤ / ١٦٣.

م- ما نُقل عن العلماء من سعة العلم والحفظ وكثرةِ التصانيف:

* قال **الشَّعْبيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣): لو أن رجلًا حفِظ ما نَسِيتُ كان عالمًا. عيون الأخبار ٥٢٩ / ٢.

* وأملى علي **عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) عشرين ألف حديث حفظًا. تهذيب الحِلْية ١١٠/ ٣.

* وعن علي بن المديني قال: كان علم **عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث كالسحر، وقال نعيم بن حماد: قلت لابن مهدي: كيف تعرف صحيح الحديث من سقيمه؟ قال: كما يعرف الطبيب المجنون. تهذيب الحِلْية ١١٢/ ٣.

* وعن أبي أحمد بن عدي الحافظ قال: سمعت عدة مشايخ يحكون أن

محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٦) قدم إلى بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث قلبوا أسانيدها ومتونها وجعلوا متن هذا لإسناد آخر وإسناد هذا لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري، فحضروا فانتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال: لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. فما زال يلقي عليه واحدًا بعد واحد، حتى فرغ من العشرة، والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان بعض الفهماء يقول: الرجل فهم. وبعضهم يقضي عليه بالعجز. ثم انتدب رجل آخر فسأله عن حديث من الأحاديث وهو يقول في الحديث: لا أعرفه حتى فرغ من عشرته، ثم الثالث، ثم الرابع، إلى تمام العشرة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه، فلما فرغوا التفت البخاري إلى الأول وقال: أما حديثك الأول فهو كذا، والحديث الثاني كذا، والثالث كذا، حتى أتى على تمام العشرة، فردَّ كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك فأقر له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل. وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطَّاح! المنتظم ١١٧-١١٨/ ١٢.

* وعن **أبي زرعة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧٥) أنه قال: إن في بيتي ما كتبته منذ خمسين سنة، ولم أطالعه منذ كتبته، وإني أعلم في أي كتاب هو، وفي أي ورقة هو، في أي صفحة هو، في أي سطر هو، وما سمعت أذني شيئًا من العلم إلا وعاه قلبي، وإني أمشي في سوق بغداد فأسمع من الغرف صوت المغنيات فأضع إصبعي في أذني مخافة أن يعيه قلبي. المنتظم ١٩٤/ ١٢.

* وعن أبي العباس محمد بن جعفر الرازي أنه قال: سئل **أبو زرعة الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رجل حلف بالطلاق أن أبا زرعة يحفظ مائتي ألف حديث هل حنث؟

قال: لا، ثم قال أبو زرعة: أحفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] وفي المذاكرة ثلاثمائة ألف حديث. المنتظم ١٩٤/ ١٢.

* وعن أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال: خرج **أبو بكر بن أبي داود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٦) إلى سجستان في أيام عمرو بن الليث، فاجتمع إليه أصحاب الحديث، وسألوه أن يحدثهم فأبى، وقال: ليس معي كتاب، فقالوا له: ابن أبي داود وكتاب؟ قال: فأثاروني، فأمليت عليهم ثلاثين ألف حديث من حفظي، فلما قدمت بغداد قال البغداديون: مضى ابن أبي داود إلى سجستان، ولعب بالناس ثم فَيَّجُوا فيجًا اكتروه بستة دنانير إلى سجستان لأكتب لهم النسخة، فكتبت، وجيء بها إلى بغداد، وعرضت على الحفاظ، فخطئوني في ستة أحاديث منها ثلاثة أحاديث حدثت بها كما حدثت، وثلاثة أحاديث أخطأت فيها. المنتظم ٢٧٦/ ١٣.

* وقال أبو بَكْر بن شاذان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُخرج **أَبُو بكر بن أَبِي داود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى سجستان، فاجتمع إِلَيْهِ أصحاب الحديث وسألوه أن يُحدِّثَهم فأبى، وَقَالَ: ليس معي كتاب، فقالوا لَهُ: ابْن أَبِي داود وكتاب؟ قَالَ أَبُو بكر: فأثاروني فأمليتُ عليهم **ثلاثين ألف حديث مِن حِفظي**، فلمّا قَدِمت بغداد قَالَ البغداديون: مضى ابْن أَبِي داود إلى سجستان ولعب بالناس، ثُمَّ فيَّجوا فيجًا[1] اكتروه إلى سجستان ليكتب لهم النسخة، فكتبت وجيء بها إلى بغداد، وعُرضت عَلَى الحفاظ، فخطؤُوني فِي ستة أحاديث، منها ثلاثة حَدَّثت بها كما حُدِّثت، وثلاثة أحاديث أخطأتُ فِيهَا. طبقات الحنابلة (٣/ ٩٨-٩٩).

* وقال ابن طاهر الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت **شيخنا الأنصارِيَّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١) يقول: إذا ذكرتُ التفسيرَ فإنما أذكرهُ من مائةٍ وسبعة تفاسير.

---

(١) أي: أرسلوا رسولًا.

قَالَ: وجرى يومًا -وأنا بين يديه- كلامٌ، فقال: أنا أحفظ اثني عشر ألف حديث أسردها سردًا، قَالَ: وقطّ ما ذكر في مجلسه حديثًا إلا بإسناده، وكان يُشير إلى صحته وسقمه.

وقال ابن طاهر الحافظ: سمعتُ **أبا إسماعيل الأنصاري** يقول: كتابُ أبي عيسى الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندي أفْيَدُ من كتاب البخاري ومسلم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فقلتُ: لِمَ؟ قَالَ: لأن كتاب البخاري ومسلم لا يصل إلى الفائدة منهما إلا من يكون من أهل المعرفة التامة، وهذا كتاب قد شرح أحاديثه وبيّنها، **فَيَصِل إلى فائدته كلُّ أحدٍ من الناس** من الفقهَاء والمحدّثين وغيرهم. ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال لي شيخنا أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الشيخ جمال الدين بن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: أُلين للشيخ **المجد أبي البركات** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٥٢) الفقه، كما أُلين لداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الحديد.

قال الذهبي: وأُلين **لابن مالك** النحو كما أُلين لداود الحديد، وأُلين **لشيخنا أبي العباس** العلم كما أُلين لداود الحديد. معرفة القراء (٣/ ١٢٩٦).

* وأملى **أَبُو بكر السَّرخسِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٩٠) الْمَبْسُوط من خاطره، من غير مطالعة كتاب، نَحْو خمسة عشر مجلدا، وَهُوَ في السجْن مَحْبُوس، وَعَن أَسبَاب الْخَلَاص في الدُّنْيَا مأيوس، بِسَبَب كلمة كَانَ فِيهَا من الناصحين، سالكا فِيهَا طَرِيق الراسخين، ليَكُون لَهُ ذخيرة إِلَى يَوْم الدّين، وَإِنَّمَا يتَقَبَّل الله من الْمُتَّقِين، وَهُوَ يتَوَلَّى الصَّالِحين. طبقات الحنفية (١٩٩).

* وقال ابن حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان في أول حالِ **أبي عمر أحمد بن عبد الملك الإشبيلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠١) لم يأخذ نفسه بتثقيف علم اللسان، فذاعت[1] في

(١) في الأصل: فزاعت، ولعل المثبت هو الصواب.

فتاويه غرائب من لحنه، نفاها عليه أصحابه، ثم فطن لنفسه، فأشاع ذكرَ مرضٍ حبس نفسه فيه شهرًا عاكفًا على كتاب سيبويه، فخرج مكتفيًا من علم النحو؛ لقوة حفظه، وتقرُّب فهمه، فصلحت حالاته. ترتيب المدارك (٤/ ١٩٠).

* وقال محمد بن طولون الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَقْبل **ابن الْمَبْرِد يوسفُ بن عبد الهادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠٩) على التصنيف في عدّة فنون، حتى بلغت أسماؤها مُجلّدا، رتبها على حروف المعجم!.

وأَكْثَرَ من تخريج الأربعينيات حتى قال لي: إنها بلغت أربعمائة![1].

* وكان **جمال الدين يوسف بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٦) يذكر أن تصانيفه بلغت مائة وزادت، في بضعةٍ وعشرين علما. السحب الوابلة (٣/ ١١٦٨، ١١٨١).

* وبلغ مجموع ما حفظ الشيخ **سعد بن محمد بن سعدان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٦) من الأحاديث سبعة آلاف وخمس مئة.

وكان ابنه عبدالله يمسك بالكتاب والشيخ يراجع محفوظاته غيبا، وقد كان يحفظ الأحاديث بأرقام الصفحات.

وكان لا يحضر جمعة أو جماعة إلا وعظهم وذَكَّرهم وأرشدهم ونصحهم نصيحة، وكان يبدؤها بقوله: هذه كلمات يسيرة، أرجو أن تُصغوا إليها وتعوها، وألا تأخذ من وقتكم الكثير، فخير الكلام ما قلّ ودلّ، ولم يَطُلْ فيُمَلّ.

---

(١) خلال قراءتي لسير العلماء وتاريخهم وطبقاتهم لاحظت أنّ لجلهم مصنفات، قد تربوا لأحدهم على خمسمائة، وهذا المبرد بلغت أسماء مصنفاته مجلدا!، وبلغت تصانيف جمال الدين يوسف بن محمد أكثر من مائة.

لكن الذي كان لها القبول والنفع والبركة لا يبلغ عشر عشرها، كحال البحوث العلمية في الجامعات، التي لا يكاد يُستفاد منها إلا القلة القليلة.

فليست العبرة بكثرة التأليف، بل العبرة بالغاية منه، والصدق والإخلاص لله في نفع المصنف نفسه بمؤلَّفه، ثم بنفع غيره، والعبرة كذلك بجودة التصنيف ومدى حاجة الناس له.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عابدا زاهدا، يُخفي عبادته ولا يُظهرها، وكان كثير الصيام، فيصوم الاثنين والخميس، وأيام البيض، وكان كثير القراءة للقرآن الكريم، فقد كان يختم كلّ ثلاثة أيام. علماء نجد (٢/ ٢٠٠-٢٠٣).

* وقال الشيخ يوسف ياسين عن معاصره الشيخ **عبدالله بن أحمد العجيري** (ت: ١٣٥٢) ومرافقه في أسفار الملك عبدالعزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان آية في الرواية، ومن أعجب ما رويناه أنه رافق الملك في رحلته الأولى يوم فتح الحجاز، وكان الملك يسير على الإبل، وكان يتلو عليه كل ليلة ونحن على ظهور المطايا من كلام الله وحديث رسول الله ﷺ وكلام العرب الأولين وبعض المتأخرين بين الساعة والساعتين، وداوم على ذلك ما يقرب من ستٍّ وعشرين ليلة، لم يُعِد علينا في ليلة ما ذكره في سابقتها، وكان يتخذ لمحاضرته موضوعا من المواضيع من كتاب الله، ثم يروي ما ورد عن رسول الله ﷺ، ثم ما ذكرتْه العرب في أشعارها وما نقلته في مجالسها من منثور ومنظوم، كل ذلك عن ظهر قلب بغير أن يتّبع في ذلك كتابا معيّنا.

وكان يحفظ القرآن الكريم، وكتب الحديث بالسند، لاسيما مسند الإمام أحمد، وكان يحفظ من كتب الأدب: أدب الكاتب، والأغاني، والأمالي، والبيان والتبيين، والآداب الشرعية، ودواوين شعر مختلفة لا يُحصى عددها، يحفظ هذه الكتب برواياتها وسندها. علماء نجد (٤/ ١٨).

ن- ذكر من مات قبل الكهولة من العلماء، وشيءٍ من أحوالهم:

* قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولد الفقيه الإمام **أَبُو القاسم سيف الدين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة سبع وخمسين وخمسمائة بقاسيون.

قال الحافظ الضياء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اشتغل بالفقه والخلاف والفرائض والنحو،

وصار إمامًا عالمًا، ذكيًا فطنًا، فصيحًا مليح الإيراد، حتى إني سمعتُ بعض الناس يقول عن بعض الفقهاء أنه قَالَ: ما اعترض السيف على مستدل إلا ثلم دليله، وكان يتكلَّم في المسألة غير مستعجلٍ بكلامٍ فصيح، من غير توقفٍ ولا تَتَعتُع.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ حسن الخَلق والخُلق، أنكر منكرًا ببغداد، فضربه الذي أنكر عليه، وكسر ثنيَّته، ثم إنه مُكِّن من ذلك الرجل، فلَم يقتَصَّ منه.

قال: وسافرتُ معه إلى بيتِ المقدس، فرأيتُ منه مِن وَرَعِه وحُسنِ خُلُقه ما تعجَّبتُ منه.

وتوفي بها شابًّا في حياة أبيه، توفي سنة ست وثمانين وخمسمائة.[1] ذيل الطبقات (٢/ ٣٧٩- ٣٨٢).

* وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن المقرئ الحنبلي **أبي عبدالله شعلة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٥٦): الإمام، ناظم كتاب الشمعة في القراءات السبعة، كان شابًا فاضِلًا، ومقرئا محققا ذا ذكاء مُفرط، وفهم ثاقب، ومعرفة تامة بالعربية واللُّغَة، وشِعره في غاية الجودة، نَظَم في الفقه وفي التاريخ وغيره، **وكان مع فرط ذكائه صالحًا زاهدًا متواضعًا.**

كان شيخنا التقي المِقصّاتي رَحِمَهُ اللَّهُ يصف شمائله وفضائله ويثني عليه، وكان قد حضر بحوثه، وسمع أبا الحسن شيخه رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: كان أبو عبدالله نائما إلى جانبي فاستيقظ، فقال لي: رأيت الساعة رسول الله ﷺ، فطلبتُ منه العلم؛ فأطعَمَني تمرات.

قال أبو الحسن: ومِن ذلك الوقت فُتح عليه وتكلَّم، توفي سنة ست وخمسين

(١) مات دون سنّ الثلاثين، ومع ذلك وصفه ابن رجب بأنه الفقيه الإمام، فالعمر ليس عاملًا أساسيا في نبوغ الإنسان، ولا في رفعته في الدنيا والآخرة.

وستمائة بالموصل، **وله ثلاث وثلاثون سنة**، رَحِمَهُ ٱللَّهُ. معرفة القراء (٣/ ١٣٤٠-١٣٤١).

* وقال عن **محمد بن إسرائيل القصاع المقرئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧١): الإمام الأستاذ **أبو عبدالله السلمي**، الدمشقي، مصنف «المغني» و«الاستبصار» في القراءات والكتابات، انتفعتُ بهما كثيرًا، كان شابًّا ذكيًّا، زكيًّا خيرًا صالحًا متواضعًا، عني بهذا الشأن أتم عناية.

وكان يعيش من كسب يمينه، كان شيخنا البرهان أبو إسحاق الجذامي يبالغ في الثناء على دينه ومعرفته.

وقد جلس وأقرأ الناس وسمع الكثير، وعاجلته المنية، فماتَ قبل الكُهولة، سنة إحدى وسبعين وستمائة أو بعدها، **وله خمس وثلاثون سنة**. معرفة القراء (٣/ ١٣٨٣-١٣٨٤).

ح- الهمّة في طلب العلم:

* عن **ابن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: لما توفي رسول الله ﷺ، قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ، فإنهم اليوم كثير.

فقال: واعجبا لك يا ابن عباس، أترى الناس يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك، وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه، وهو قائل[1]، فأتوسد ردائي على بابه، فتَسْفِي الريح على وجهي التراب، فيخرج، فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث.

قال: فبقي الرجل حتى رآني، وقد اجتمع الناس علي، فقال: كان هذا الفتى أعقل مني. مسند الدارمي (٥٩٠).

---

(١) أي: نائم في وقت الظهر.

* وعن عبد الله بن بريدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ، رحل إلى فضالة بن عبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو بمصر، فقدم عليه وهو يمدّ لناقة له، فقال: مرحبا، قال: أما إني لم آتك زائرا، ولكن سمعت أنا وأنت حديثا من رسول الله ﷺ، رجوت أن يكون عندك منه علم.

قال: كذا وكذا. مسند الدارمي (٥٩١).

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قال: إن كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة، فسمعناها من أفواههم. مسند الدارمي (٥٨٣).

* وتذكر **ابن شهاب الزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) ليلة بعد العشاء حديثا وهو جالس، فما زال ذلك مجلسه حتى أصبح. مسند الدارمي: (٦٢٧).

* وقيل **لابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): إلى كم تكتب الحديث؟ قال: لعلّ الكلمة التي أنتفع بها لم أسمعها بعد.[١] شرف أصحاب الحديث: ٦٨.

* وقال ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أفضى بمالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه، ثم مالت عليه الدنيا بعد.[٢] ترتيب المدارك (١/ ١٠٨).

---

(١) وقل أنت: لعلّ الكلمة التي أنتفع بها لم أسمعها ولم أقرأها بعدُ، فأكثِر من سماع العلم والوعظ، فلعل الكلمة التي تنفعك وتكون سببًا في صلاح قلبك وعملك في إحدى هذه الكتب، أو إحدى هذه المسموعات.

ولا يكن همّك كثرة القراءة والسماع، بل ليكن همك الانتفاع بما تقرأ وتسمع.

(٢) لابد لطالب العلم في بداية طلبه للعلم من الصبر على العلم وعلى شظف العيش، ثم بعد ذلك يوسّع الله عليه ويرزقه من فضله، وليحذر من الانكباب على الدنيا إذا هي أقبلت، وليأخذ منها قدر حاجته، فإن انكبّ عليها قلّ نصيبه وتوفيقه، وأخذته مع من أخذت.

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت أمي تعمّمني[١] وتقول لي: اذهب إلى ربيعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فتعلم من أدبه قبل علمه. ترتيب المدارك (١/ ١٠٨).

* وقال ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **شهدت مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسأل زيدَ بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه حمل على فرس في سبيل الله، فجعل يرفق به، ويسأله عن الكلمة بعد الأخرى، والشيء بعد الشيء، وكان في خلق زيد شيء.[٢] ترتيب المدارك (١/ ١٠٩).

* وقال **الشاعر**:

ومن يجتهد في نيل أمر ويَصْطبر ... ينَلْه وإلا بعضُه إن تعسَّرا

فمادمت حيًّا فاطلب العلم والعُلى ... ولا تأْل جهدًا أن تموت فتُعْذرا

الآداب الشرعية ١/ ١٦٧.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): حفظتُ القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظتُ الموطأ وأنا ابن عشر سنين.

قال **ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٤): فهذه همة عالية ممن يحفظ الكتاب والسنة وله من العمر عشر سنين، فرضي الله عنه. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠).

* وتزوج **إسحاق بن راهويه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٨) بامرأةِ رجلٍ كان عنده كتب الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتوفي، لم يتزوج بها إلا لحال كتب الشافعي.[٣] طبقات الشافعيين (١/ ٣٠).

* وقال ثعلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما فقدتُ **إبْرَاهِيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥) من مجلس نحوٍ أو لُغةٍ خمسين سنة. طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٤).

---

(١) أي: تُلبسني العمامة.

(٢) لابد من الصبر على حدّة الشيخ وسوء خلقه.

(٣) الصادقون سخروا دنياهم لأجل الدين، فرفعهم الله وبارك فيهم.

* وقيل **للإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): إلى متى يَكتُبُ الرجل؟ قَالَ: حتى يموت. طبقات الحنابلة (١/ ٣٧٥).

* وقال له رجل: إني أطلب العلم وإن أمي تمنعني من ذلك، تريد مني أن أشتغل بالتجارة، فقَالَ له: دارِها وأرضِها، ولا تَدَعِ الطَّلَب. طبقات الحنابلة (١/ ٣٧٥).

* وقال **أَبُو عبيد القاسِم بن سلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤): مكثتُ فِي تصنيف هذا الكتاب -غريب الحديث- أربعين سَنَة، وربما كنتُ أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها فِي موضعها من هذا الكتاب، فأبيت ساهرًا فَرَحًا مني بتلك الفائدة، وأحدكم يجيئُني فيُقيم عندي أربعة أشهر، وخمسة أشهر، فيقول: قد أقمتُ الكثير!. طبقات الحنابلة (٢/ ٢١٧).

* وكانت **لمحمد بن سحنون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٦) سُرِّيَّة، فكان عندها يومًا، وقد شُغِل في تأليف كتاب إلى الليل، فحضر الطعام، فاستأذنته، فقال لها: أنا مشغول الساعة، فلما طال عليها جعلت تلقمه الطعام، حتى أتى عليه[١]، وتمادى هو على ما هو فيه إلى أن أذِّن لصلاة الصبح، فقال: شُغِلْنا عنك الليلة، هات ما عندك، فقالت: قد والله يا سيدي ألقمتُه لك، فقال لها: ما شعرتُ بذلك!. ترتيب المدارك (٢/ ٢٢١).

* وكَانَ **ابْنُ الأنباري** يتردد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٨) إلى أولاد الراضي[٢]، فكان

---

(١) أي حتى أكله كله.

(٢) هو الخليفة أبو إسحاق محمد، بن المقتدر بالله جعفر، بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل الهاشمي، العباسي، ولد سنة سبع وتسعين ومائتين.

قال أبو بكر الخطيب: له فضائل منها: أنه آخر خليفة خطب يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الندماء، وآخر خليفة له شعر مدون، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش. وكانت جوائزه وأموره=

يومًا من الأيام وقد سَأَلَتْهُ جارية عن شيءٍ من تفسير الرؤيا فَقَالَ: أنا حاقن، ثُمَّ مضى، فلما كَانَ مِن غدٍ عاد، وقد صار مُعبرًا للرؤيا، وذاك أنه مضى من يومه وقد دَرَسَ كتاب الكرماني وجاء. طبقات الحنابلة (٣/ ١٣٨).

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) دائم التشاغل بالعلم، حتى أني رأيتُ بخطه: إني لا يحل لي أن أُضِيِّع ساعةً مِن عُمري، حتى إذا تعطَّل لِساني عن مذاكرةٍ ومناظرة، وبصري عن مطالعةٍ، أعمَلتُ فكري في حال راحتي، وأنا مستطرح، فلا أنهض إلاَّ وقد خَطَر لي ما أُسِطِّره، وإني لأجدُ من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنتُ أجدُه وأنا ابن عشرين سنة..

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وذكر ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فنونه»: قَالَ حنبلي -يعني نفسه-: أنا أُقصِّرُ بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سَفَّ الكعك وتحسيه بالماء على الخبزة؛ لأجل ما بينهما مِن تفاوت المضغ، توفرًا على مطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه.. ذيل الطبقات (١/ ٣٢٤-٣٥٤).

* وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة **عَبْدالرحيم بن عبدالله الزريراتي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤١) البغدادي: الفقيه، الإمام، وولد ببغداد، ونشأ بِهَا وقرأ الْقُرْآن، وحفظ «المحرر» وَسَمِعَ الْحَدِيث واشتغل.

ثُمَّ رحل إِلَى دمشق..

وارتحل إِلَى مصر، وَسَمِعَ بِهَا من مسنِدها يَحْيَى بن الْمِصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره، ولقي بِهَا أبا حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره.

= على ترتيب المتقدمين منهم، وكان سمحا جوادا أديبا فصيحا محبا للعلماء.

وتوفي سنة تسع وعشرين وثلاث مائة، وله اثنتان وثلاثون سنة، سوى أشهر. [السِّيَر (١١/ ٤٠١)].

وأقام بدمشق مدة، يقرأ فِي المحرر عَلَى الْقَاضِي برهان الدين الزرعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثُمَّ رجع إلى بغداد ودرس بِهَا.

ثُمَّ درَّس بالمجاهدية بَعْد موت صهره شافع.

وحضرتُ درسه وأنا إذْ ذاك صَغِير لا أُحِقُّه جيدًا.

وناب فِي الْقَضَاء ببغداد، واشتهرت فضائله، وخطه فِي غاية الْحَسَن، وَقَد اختصر (فروق السامري) وزاد عَلَيْهَا فوائد واستدراكات من كَلام أَبِيهِ وغيره، واختصر (طبقات الأصحاب) للقاضي أبي الْحُسَيْن، وذيل عَلَيْهَا، وتطلَّبتها فلم أجدها، واختصر (المطلع) لابن أَبِي الفتح، وغير ذَلِكَ.

توفي وَلَهُ من العمر نَحْو الثلاثين سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.[1] ذيل الطبقات (٥/ ١٠٤-١١٥).

* وقال ابن السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: قرأ **أبو علي غلام الهراس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3] (ت: ٤٦٨) بالأمصار، وسافر في طلب القراءات، وأتعب نفسه في التجويد والتحقيق، حتى صار طبقة العصر، ورحل الناس إليه من الأقطار.[4] معرفة القراء (٢/ ٨١٥).

* **أبو القاسم الهذلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٠)، المقرئ، الجوَّال، أحد مَن طوَّف الدنيا في طلب القراءات..

---

(١) تأمل إلى همته في طلب العلم، حيث رحل إلى عدة دول لأجل تحصيل العلم، ثم بذله لِمَا حصّله، فدرّس واختصر وألّف، حتى أصبح إماما، واشتهرت فضائله، ومع ذلك لم يتجاوز سن الثلاثين!

(٢) في كتابه: الأنساب ٤/ ٣٢٣

(٣) شيخ القراء ومسند العراق بالأمصار.

(٤) حينما أتعب نفسه في السفر لطلب العلم والتحقيق صار طبقة العصر، ورحل طلاب العلم إليه للاستفادة من علمه، فلن تبلغ المجد والشرف في العلم حتى تتعب وتصبر وتُثابر، وتأخذ العلم من أهله.

وقد ذكر الشيوخَ الذين قرأ عليهم، وعِدَّتهم مئةٌ واثنان وعشرون شيخًا -ثم ساق الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا منهم-: إلى أن قال[(١)]: فجُملة مَن لقيتُ في هذا العلم ثلاث مئة وخمسة وستون شيخًا، من آخر المغرب إلى باب فرغانة، يمينًا وشمالًا، وجبلًا وبحرًا، ولو علمتُ أحدًا يُقدَّم عليّ في هذه الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصدتُه.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما ذكرت شيوخه وإن كان أكثرهم مجهولين لتعلم كيف كانت همة الفضلاء في طلب العلم. معرفة القراء (٢/ ٨١٥-٨١٩).

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨) في ترجمة عبدالرحمن بن عبد الحليم المقرئ الملقب بـ «سحنون» رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٩٥): أدركته وهو منقطع قد أضرَّ، وضعف، فشرعتُ عليه في ختمةٍ لورش وحفص، فعرضتها في أحد عشر يومًا.[(٢)].

* وقال عن شيخه ابن الصواف المقرئ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رحلتُ إليه، فأُدخِلتُ عليه، فوجدته قد أضرّ وأصمّ، ولكن فيه جَلادة وشهامة، وهو في سبْعٍ وثمانين سنة، فقرأت عليه جزءًا، ورفعت صوتي فسمع.

وكلَّمته في أن أجمع عليه السبعة، فقال: اشرع، فقرأتُ عليه الفاتحة، وآيات من البقرة، وهو يرد الخلاف ويرد رواية يعقوب وغيره، مما قرأ به، فقلت: إنما قصدي السبعة فقط، فتخيل مني نقص المعرفة.

وقال: إذا أردت أن تقرأ علي فامض إلى تلميذي فلان، فاقرأ عليه ثم اعرض عليّ، فرأيتُ أن هذا شيءٌ يطول.

---

(١) أي: أبو القاسم.

(٢) انظر إلى همة الحافظ الذهبي، كيف ختم القرآن كله برواية ورش وحفص على شيخه في أحد عشر يوما، وهو دون سن الثالثة والعشرين، بل إنه شرع في جمع السبع في سنة إحدى وتسعين، وكان عمره حينها دون العشرين. معرفة القراء (٣/ ١٤٥٥)

ثم ظفرتُ بسحنون المذكور، وقرأت عليه كما ذكرت لك، وكنت قد وعدت أبي وحلفتُ له أني لا أقيم في الرحلة أكثر من أربعة أشهر، فخِفتُ أن أَعُقَّه.[(١)] معرفة القراء (٣/ ١٣٦٢-١١٧٣).

* ومكث **ابن جرير الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١٠) **أربعينَ سنةً يكتب كلَّ يومٍ أربعين ورقة**[(٢)]، وقال صاحبه أبو محمد الفرغاني رَحِمَهُ اللَّهُ: حَسِبَتْ تلامذته ما صنَّف، وقسَّطوه على عُمره منذ احتلم إلى أن مات، فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٩).

* وقال الفرغاني صاحب **ابن جرير الطبري** رَحِمَهُمَا اللَّهُ: رحل ابن جرير لمّا ترعرع، وسمح له أبوه في السَّفر -وكان طول حياته يفِد إليه بالشيء بعد الشيء- إلى البلدان، فسمعته يقول: أبطأتْ عني نفقة والدي، واضطررت إلى أن فَتَقْتُ كُمَّيْ القميص فبعتهما.[(٣)] طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٩).

* وكَانَ **الإِمَام أَبُو بكر الْقفَّال** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤١٧) إِحْدَى مفاخر خُرَاسَان، نقي القريحة، ثاقب الْفَهم، سديد الاستنباط والتخريج، دَقِيق النّظر، محظوظًا من التَّحْقِيق.

وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ **ابْتَدَأَ التَّعَلُّم على كبر السّن**، بَعْدَمَا أفنى شبيبته فِي صناعَة الأقفال، وَكَانَ ماهرًا فِيهَا.

قَالَ السَّمْعَانِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَسمعت جمَاعَة من مشيختنا يذكرُونَ أَنه **ابْتَدَأَ التَّعَلُّم وَهُوَ ابْن ثَلَاثِينَ سنة**، فَبَارك الله تَعَالَى فِي تعلُّمه حَتَّى فاق الْعلمَاء فِي فِقهه.

---

(١) انظر إلى جَلَده في طلب العلم، وبرّه بوالده.

(٢) وهناك من يتكاثر قراءة أربعين ورقة في اليوم!

(٣) انظر كيف رَحل عن بلده، وترك أهله، وصبر على الجوع وشظف العيش في سبيل الله تعالى، وحرصًا على طلب العلم، فلا يُنال العلم إلا بالصبر في طلبه.

قَالَ أَبُو مُحَمَّد الْجُوَيْنِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَسمعتُ الْقفال يَقُول: ابتدأت التَّعَلُّم وَأَنا لَا أفرّق بَين اختصرتُ واختصرتَ.

وَكَانَ الْقفال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مصابا بِإِحْدَى عَيْنَيْهِ.[١] طبقات الشافعية (١/ ٤٩٧).

* وقال **ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٤): قَرأْتُ علَى شَيخِنا الحافِظِ الكَبيرِ بَقِيَّةِ السَّلَفِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْحَجَّاجِ الْمِزِّيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **فِي رَمَضَانَ** سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ.. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٠).

وقال: أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمِزِّيُّ -أَثَابَهُ اللهُ- **قِرَاءَةً مِنْ لَفظِهِ يَومَ عِيدِ الْفِطرِ**[٢]، سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، بِدَارِ الْحَدِيثِ الأَشْرَفِيَّةِ بِدِمَشْقَ.. طبقات الشافعيين (١/ ٢٩٠).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَرَأْتُ عَلَى الْحَافِظِ الْكَبِيرِ أَبِي الْحَجَّاجِ الْمِزِّيِّ فَسَحَ اللهُ فِي أَجَلِهِ..[٣] طبقات الشافعيين (١/ ٣٥٧).

* وقال **أبو إسحاق الشيرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٧٦): كنت **أعيد الدرس مائة مرة، وإذا كان في المسألة شاهد من شِعرِ العرب حفظتُ تلك القصيدة بكمالها.**

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلهذا بَرَز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أهل زمانه، وتقدم على ضربائه

---

(١) طلبَ العلم متأخرًا، وكانت به عاهة في عينه، ومع ذلك لَمَّا صدَقَ مع الله في طلب العلم بارك له فيه، وصار إمامًا نفع الله به.

(٢) كان كثير ممن سلف من أهل العلم لا يتوقفون عن العلم والتعليم في رمضان ولا غيره.

(٣) هذا يدل على أن ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ألف كتابه (طبقات الشافعيين) دون سنّ (٤٢)، لأنه ولد عام (٧٠٠)، وتوفي المزي عام (٧٤٢)، وقد ذكر في الكتاب أنه ألف شرح صحيح البخاري، وقد قال في خاتمة الكتاب: تم الكتاب سنة (٧٠٣).

وهذا يؤكد أن كثيرًا مِن أهل العلم قد ابتدؤوا التصنيف في وقتٍ مبكر، كسِيبويه، وابن تيمية، وابن عبدالهادي، والسيوطي، وسليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب، والسّعدي، رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وغيرهم، كلهم ألفوا قبل الأربعين، وبعضهم قبل الثلاثين.

ويدل أيضًا على أن الحافظ ابن كثير لم يزل يطلب العلم عند شيخه حتى بعد أن كبر وصنَّف.

وأقرانه(١) طبقات الشافعيين (٢/ ٣٥).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت أشتهي ثريدًا بماء الباقلاء أيام اشتغالي، فما صح لي أكله **لاشتغالي بالدرس**.

وقال أبو سعد السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٢): قال أصحابنا ببغداد: كان الشيخ **أبو إسحاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا بقي مُدة لا يأكل شيئًا صَعد إلى النصرية، وله فيها صديق، فكان يثرد له رغيفًا ويشربه بماء الباقلاء، فربما صعد إليه وقد فرغ، فيقول الشيخ **أبو إسحاق**: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾ [النازعات:١٢].

وقال الفقيه أبو بكر الطرطوشي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخبرني أبو العباس الجرجاني القاضي بالبصرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان الشيخ **أبو إسحاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لا يملك شيئًا** من الدنيا، فبلغ به الفقر حتى لا يجد قوتًا ولا مَلبسًا، ولقد كنّا نأتيه وهو ساكنٌ في القطيعة، فيقوم لنا نصف قَومة، كي لا يَظهر منه شيءٌ من العري(٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا، وقد نال من رئاسة العلم مبلغًا كبيرًا، وعظم تعظيمًا زائدًا. طبقات الشافعيين (٢/ ٣٧).

* وقال **القاضي عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٤٤): لم أزل منذ سَمَت همتي لمعرفة هذا الفن(٣)، وتحركت نيتي للاطلاع عليه؛ أستقرئ سبل مسالكه، وأفحص عن وجوه مداركه، وأقيد أثناء مطالعتي شوارده، إلى أن اجتمع لي من ذلك بعد طول المباحثة الشديدة، والعناية التامة، والمطالعة المتواترة، ما وجدته بُغية وغُنية،

---

(١) فلابد لطالب العلم من الجد وتكرار العلم، ولا يكون هدفه كثرة القراءة، بل الإتقان وضبط الأصول من كلّ فن.

(٢) مِن تقطُّع الثياب وتشققها، فصبر أبو إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الفقر والجوع، ولم يثنه ذلك عن طلب العلم، فلذلك بلّغه الله منزلةً عالية في العلم، حتى أصبح إمام الشافعية، وشيخ الدهر، وإمام العصر، فرحل إليه الناس من الأمصار، وقصدوه من كل الجوانب والأقطار.

(٣) أي: فن التراجم والطبقات.

وبسط لي في تحريره أملًا ونية... والنفس تَمطُل بذلك وتُسوِّف، وتوالي القواطع والشواغل تَصْرف عن ذلك وتصدف، إلى أن انبعثت الآن عَزْمة مصمِّمة للتفرغ لتأليفه، وترتيب مضمَّنه وتصنيفه.[١] ترتيب المدارك (١/ ٢٥).

ج- سِيَرُ بعض العلماء وأثرهم وفضلهم:

* قال ابن عبد الحكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأينا مثل **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤)، كان أصحاب الحديث ونُقّاده يجيئون إليه، فيعرضون عليه، فربما أعل نقد النقاد منهم، ويوقفهم على غوامض من نقد الحديث، لم يقفوا عليها، فيقومون وهم متعجبون.

ويأتيه أصحاب الفِقه: المخالفون والموافقون، فلا يقومون إلا وهم مُذعِنون له بالحذق والدراية.

ويجيئوه أصحاب الأدب، فيقرؤون عليه الشعر، فيفسّره.

وكان من أضبط الناس للتاريخ.

وكان يعينه على ذلك شيئان: وفور عقلٍ، وصحة دينٍ، وكان ملاك أمره إخلاصَ العمل لله.[٢] طبقات الشافعيين (١/ ٤٢).

* وقال الرَّبِيع بْن سُلَيْمَان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ لنا الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) **إمام فِي ثماني خصال:**

إمام فِي الحديث، إمام فِي الفقه، إمام فِي اللغة، إمام فِي القرآن، إمام فِي الفقر، إمام فِي الزهد، إمام فِي الورع، إمام فِي السنة.[٣].

(١) التفرغ لقراءة كتاب ولو كان طويلا، أو التأليف، أو البحث: من أعظم العون على الإنجاز والإتقان؛ لأنه يجمع شتات الذهن، ويُعين على التركيز الذي هو من أهمّ أسباب الرسوخ والضبط والفهم.

(٢) وإخلاص العمل لله تعالى هو سرّ التوفيق والبركة.

(٣) وكل مَن طلب العلم فعليه بالعناية بهذه الخصال، حتى يكمل ويوفَّق، ومِن الخلل العناية بالعلم دون العمل والزهد وصلاح القلب.

وصدق الشافعي فِي هَذَا الحصر.

أما قوله: «**إمام في الحديث**» فهذا ما لا خلاف فِيهِ ولا نزاع..

قال عَبْد الوهاب الوراق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رَأَيْت مثل **أَحْمَد بْن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قَالُوا له: وإيش الَّذِي بان لك من علمه وفضله عَلَى سائر من رَأَيْت؟.

قَالَ: رَجُلٌ سئل عَنْ ستين ألف مسألة فأجاب فيها بأن قَالَ: أَخْبَرَنَا وحَدَّثَنَا[١].

وأما الخصلة الثانية وهي قوله: «إمام فِي الفقه» فالصدق فِيهِ لائح، والحق فيه واضح؛ إذ كان أصلُ الفقه كتابَ الله تعالى، وسنةَ رسوله ﷺ، وأقوالَ صحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وبعد هَذِهِ الثلاثة القياس، ثُمَّ قد سُلِّم له الثلاث، فالقياس تابع، ولم يكن للمتقدمين من أئمة السنة والدين تصنيفٌ فِي الفقه، ولا يرون وضع الكتب ولا الكلام، إنما كانوا يحفظون السنن والآثار، ويجمعون الأخبار، ويفتون بها.

فَمَنْ نقل عنهم العلم والفقه كان رواية يتلقاها عَنْهُمْ، ودراية يتفهمها منهم..

وأما الخصلة الثالثة وهي قوله: «إمام فِي اللغة» فهو كما قاله، قَالَ المرُّوذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أبو عبد الله لا يلحن فِي الكلام..

وأما الخصلة الرابعة وهي قوله: «إمام فِي القرآن» فهو واضح البيان لائح البرهان..

وأما الخصلة الخامسة وهي قوله: «إمام فِي الفقر»[٢] فيا لها خلة مقصودة،

---

(١) إنما نبل وشرف وعظم قدر الإمام أحمد وغيره من الأئمة من السلف والخلف كابن تيمية وابن القيم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ باعتمادهم على النقل من الكتاب والسنة، وعدم اعتدادهم بآرائهم وعقولهم.
وتجد في هذا الزمان خاصة من ملأ كتبه أو مواقع التواصل بغثاء آرائه وذوقه وعقله، فكثر تخبطّه، وكثرت أخطاؤه وزلاته، وقلّ قدره ونفعُه، وخَفَت نورُه بعد أن كان يظنه شمسًا يعمّ نورُها جميع العالمين، ونجمًا هاديًا طريقَ السالكين.

(٢) الأوجه في معنى الفقر: أنه الافتقار إلى الله تعالى، بالتذلل إليه، والانطراح بين يديه، وأما الفقر بمعنى قلة ذات اليد: فهو أمرٌ لم يرد في الشرع مدحه، بل ورد مدح من صبر على الفقر، وهذا إذا كان من غير قصد، كمن يصبر على المصيبة، فهو محمود، ولا يُقال: المحمود قصد المصيبة.

وحالة محمودة، منازل السادة الأنبياء، والصفوة الأتقياء..

وأما الخصلة السادسة وهي قوله: «إمام فِي الزهد» فحاله فِي ذلك أظهر وأشهر، أتته الدنيا فأباها، والرياسة فنفاها، عُرضت عليه الأموال وفُرضت عليه الأحوال وهو يرد ذلك بتعفف وتعلل وتقلل، ويقول: قليل الدنيا يجزئ، وكثيرها لا يجزئ، ويقول: أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء، ويقول: إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وأيام قلائل..

وأما الخصلة السابعة وهي قوله: «إمام في الورع» فصدق فِي قوله وبَرَع..

وأجرى المتوكل رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى ولده وأهله أربعة آلاف درهم فِي كل شهر، فبعث إليه أَبُو عَبْدِ اللهِ: إنهم فِي كفاية، فبعث إليه المتوكل: إنما هذا لولدك، مالك ولهذا؟.

وقال إسحاق عمّ **أحمد** رَحِمَهُمَا اللَّهُ: دخلتُ عَلَى **أحمد** ويده تحت خده، فقلت: له يا ابن أخي أي شيء هذا الحزن؟.

فرفع رأسه وقال: **طوبي لمن أخمَلَ الله ذكره..**

وأما الخصلة الثامنة وهي قوله: «إمام في السنة» فلا يختلف العلماء الأوائل والأواخر أنه فِي السنة الإمام الفاخر، والبحر الزاخر، أوذي فِي الله عَزَّوَجَلَّ فصبر، ولكتابه نصر، ولسنة رَسُول اللهِ ﷺ انتصر، أفصح الله فيها لسانه، وأوضح بيانه، وأرجح ميزانه، لا رَهَب ما حُذِّر، ولا جبن حين أُنذر، أبان حقًا، وقال صدقًا، وزان نطقا وسبقا، ظهر عَلَى العلماء وقهر العظماء، ففي الصادقين ما أوجَهَه، وبالسابقين ما أَشبَهَه، وعَنِ الدنيا وأسبابها ما كان أنزَهَه، جزاه الله خيرًا عَنِ الإسلام والمسلمين، فهو للسُّنة كما قَالَ اللهُ فِي كتابه المبين ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف:١٣].

قَالَ علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيد الله هذا الدِّين برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يوم الردة، **وأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي يوم المحنة..

فهذه الثمان التي ذكرها الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **ويقرن بها أَيْضًا ثماني خصال انفرد بها:**

إحداها: الإجماع عَلَى أصوله التي اعتقدها، والأخذ بصحة الأخبار التي اعتمدها، حتى من زاغ عَنْ هذا الأصل كفّروه وحذروا منه وهجروه، فانتهت إليه فيها الحجة، ووقفت دونه المحجة، وإن كانت كذلك مذاهب المتقدمين من أهل السنة والدين، فصار إماما متبعًا، وعلمًا ملتمِعًا.

الثانية: اتفاق الألسن عليه بالصلاح، وإليه يشار بالتوفيق والفلاح..

الثالثة: أنه ما أحبه أحد: إما مُحِبٌّ صادق، وإما عدو منافق إلا وانتفت عنه الظنون، وأضيفت إليه السُّنن، ولا انزوى عنه رفضًا وأظهر له عنادًا وبغضًا؛ إلا واتفقت الألسن عَلَى ضلالته، وسفهٍ في عقله وجهالته..

الرابعة ما ألقى الله عَزَّوَجَلَّ له فِي قلوب الخلق من هيبة أصحابه ومحبيه وأهل مذهبه..

الخامسة: ما أحدٌ من أصحابه المتمسكين بمعتقده قديمًا وحديثًا تابع ومتبوع إلا وهو من الطعن سليم، ومن الوهن مستقيم، لا يضاف إليه ما يضاف إلى مخالف ومجانف مِن وَسْمٍ ببدعة، أو رسمٍ بشنعة، أو تحريف مقال، أو تقبيح فعال.

السادسة: اتفاق القول الأخير والقديم أن له الاحتياط فِي التحليل، والتحريم يعتمد فِي فقهه عَلَى العزائم، كما لم تأخذه فِي أصوله المقربة إلى الله عَزَّوَجَلَّ لومة لائم، يعتمد عَلَى كتاب ناطق، أو خبر موافق، أو قول صحابي جليل صادق، ويقدم ذلك عَلَى الرأي والقياس.

السابعة: أن كلام **أحمد** فِي أهل البدع مسموع، وإليه فيهم الرجوع.. له القَدم العالي فِي شرح فساد مذاهبهم، وبيان قبيح مقالتهم، والتحذير من ضلالهم.

الثامنة: ما أظهره الله تعالى له فِي حياته من المراتب، ونَشَر له بعد مماته من المناقب، ورفع له بذلك العلم بين سائر الأمم، فتنافس حين موته فِي الصلاة عليه العلماء والكبراء والأغنياء والفقراء والصلحاء والأولياء؛ لأنه توفي فِي شهر ربيع الأخر من سنة إحدى وأربعين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة، فقال المتوكل عَلَى الله لمحمد بْن عَبْدِ اللهِ بن طاهر: طوبي لك صليت عَلَى **أحمد بن حنبل**.

وروى الأئمة الثقات والحفاظ الأثبات أن عبد الوهاب الوراق رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: ما بلغنا أنه كان للمسلمين جمع أكبر منهم عَلَى جنازة **أحمد بن حنبل** إلا جنازة فِي بني إسرائيل..

قَالَ الميموني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: ما قام أحدٌ بأمر الإسلام بعد رَسُول اللهِ ﷺ ما قام **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قَالَ: قلت: له يا أبا الحسن ولا أَبُو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟

قَالَ: ولا أبو بكر الصديق، إنّ أبا بكر الصديق كان له أعوان وأصحاب، **وأحمد بن حنبل** لم يكن له أعوان ولا أصحاب.

وقَالَ محمد بن الحسين الأنماطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا فِي مجلس فيه يَحْيَى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب وجماعة من كبار العلماء، فجعلوا يثنون عَلَى **أحمد ابن حنبل** ويذكرون فضائله، فقال رجل: لا تكثروا، بعض هذا القول، فقال يَحْيَى ابن معين: وكثرة الثناء عَلَى أحمد بن حنبل تستكثر؟ لو جلسنا مجلسنا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله بكمالها. طبقات الحنابلة (١/ ٤-٤٣).

* وقَالَ أبو رجاء قتيبة بْن سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠)[1]: لما مات الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مات الورع، **ولولا أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لأحدثوا فِي الدين**.

قيل له: يا أبا رجاء تضم أَحْمَد إلى التابعين؟.

قَالَ: إلى كبار التابعين.[2] طبقات الحنابلة (٢/ ٢٠٧).

* وقال البوشنجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وذُكر **الإمام أَحْمَد بن حنبل** عنده- فقال: هو عندى أفضل من سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك أن سفيان لم يمتحن فِي الشدة والبلوى بمثل ما امتحن به **أَحْمَد بن حنبل**، ولا علم سفيان ومن تقدم من فقهاء الأمصار كعلم **أَحْمَد**؛ لأنه كان أجمع للعلم وأبصر بمتقنهم وغالطهم، وصدوقهم وكذوبهم، ولقد بلغني عَنْ بشر بْن الحارث رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قَالَ: قام أَحْمَد مقام الأنبياء.

وأحمد عندنا امتُحن بالسراء والضراء، وتداوله أربعة خلفاء، بعضهم بالضراء وبعضهم بالسراء، فكان فيها مستعصما بالله عَزَّوَجَلَّ، تداوله المأمون والمعتصم والواثق، بعضهم بالضرب والحبس، وبعضهم بالإخافة والترهيب، فما كان فِي هذا الحال إلا سليم الدين، غير تارك له من أجل ضرب ولا حبس، ثم امتُحن أيام المتوكل بالتكريم والتعظيم، وبسط الدنيا عليه، وإفاضتها عنده، فما ركن إليها ولا انتقل من حاله الأولى رغبة فِي الدنيا، ولا رغبة فِي الذكر، فهذه الحالات لم يمتحن بمثلها سفيان.

---

(١) قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هُوَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ، المُحَدِّثُ، الإِمَامُ، الثِّقَةُ، الجَوَّالُ، رَاوِيَةُ الإِسْلاَمِ، أَبُو رَجَاءَ.

وَارْتَحَلَ قُتَيْبَةُ فِي طَلَبِ العِلْمِ، وَكَتَبَ مَا لاَ يُوْصَفُ كَثْرَةً. وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِيْنَ وَمائَةٍ، فَحَمَلَ الكَثِيْرَ عَنْ مَالِكٍ، وَاللَّيْثِ، وَشَرِيْكٍ، وَحَمَّادِ بنِ زَيْدٍ. [السِّير (٩/ ٨٦)].

(٢) انظر إلى شهادة هذا العَلَم الكبير الحافظ للإمام أحمد، فمن تمسّك بهديه واعتقاده ومنهجه فقد سلك سبيل السلف الصالح، السالم من الزلل والبدع والانحرافات.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حضر يومًا عند **أَحْمَد** جماعةٌ من أصحاب الحديث من إخوانه، فاشترى لهم بما كان عنده من النفقة وأطعمهم وصبر على مقدار ربع سويق ثمانية عشر يوما بعسكر المتوكل[١]، مكتفيا بذلك، حتى أتته النفقة من بغداد، لا يذوق من مائدة المتوكل شيئا. طبقات الحنابلة (٢/ ٢٢٧-٢٢٨).

* وقال يَحْيَى بْن آدم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٣): **أَحْمَد بْن حنبل** إمامنا.[٢] طبقات الحنابلة (٢/ ٥١٢).

* وقَالَ إِسْحَاق بْن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلمت يَحْيَى بْن آدم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا»، قَالَ يَحْيَى: من قَالَ به؟.

قلت: قَالَ به سفيان بْن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال به ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال به **أَحْمَد ابن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قَالَ إِسْحَاق: ما قلت له: **أَحْمَد بن حنبل** إلا لأكسره، فقال لي: قاله **أَحْمَد**؟ قلت: نعم. طبقات الحنابلة (٢/ ٥١٢).

* وقَالَ المروزي: قَالَ لي أَبُو عَبْدِ اللهِ: قد جاءني يَحْيَى بْن خاقان ومعه شُوَيّ[٣]، فرددتها عليه، فبلغ الباب ثم رجع فقال: إن جاءك أحد من أصحابك بشيء تقبله؟ قلت: لا، قَالَ: إنما أريد أن أخبر الخليفة بهذا.

قلت **لأبي عبد الله**: أي شيء كان عليك لو أخذتها فقسمتها؟.

فكلح وجهه وقال: إذا أنا قسمتها أي شيء كنت أكون له؟ قهرمانا.[٤] طبقات الحنابلة (٢/ ٥٢٤).

---

(١) في سر من رأى (سامراء).

(٢) ظهر نبوغ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ صغره، واشتهرت إمامته منذ بلوغ أشده، حتى شهد له شيوخه بالإمامة، كشيخه يحيى بن آدم.

(٣) تصغير شيء، أي: شيء من المال، ولم يكن كثيرا.

(٤) القهرمان: أمين الملك وخاصّته.

انظر إلى تعففه وتورعه وعزة نفسه، مع شدة حاجته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنما لم يقبل صدقات الخليفة حتى لا يُحابيه ولا يذلّ له.

* وقَالَ عَلِيّ بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٤): لأن أسأل **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ مسألة فيُفتيني، أحبّ إلي مِن أن أسال أبا عاصم النبيل[1]، وابْن دَاوُدَ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، إنّ العلم ليس بالسِّن، إنّ العلم ليس بالسِّن. طبقات الحنابلة (٢/ ١٣٦).

* وقَالَ **أَبُو الخطاب المقرئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنتُ على مذهب الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان عادتي: أن لا أرجّعَ في الأذان، ولا أقنت في صلاة الفجر، غير أنني أجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.

فلما كان في بعض الليالي: رأيتُ كأنني في دار حسنة جميلة، وفيها من الغلمان والخدم والجند خلق كثير، وهم صغار وكبار، فإذا رجل بهي شيخ على سرير، والنور على وجهه ظاهر، وعلى رأسه تاج من ذهب مرصَّع بالجوهر، وثياب خضر تلمع، وكان إلى جنبي رجل يشبه الجند، فقلت له: بالله هذا المنزل لمَن؟ قَالَ لمن ضُرِب بالسوط حتى يقول: القرآن مخلوق.

قلت أنا في الحال: أحمد بن حنبل؟.

قَالَ: هو ذا.

فقلت: والله إن في نفسي أشياء كثيرة، أشتهي أن أسأله عنها، وكان على سرير، وحول السرير خلق قيام.

فأومأَ إليّ أن اجلسْ، وسَلْ عما تريد.

فقلت: يا سيدي، عادتي لا أرجِّع في الأذان، ولا أقنت في صلاة الفجر، غير أنني أجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخشع.

فقال بصوت رفيع عالٍ: **أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ أتقى منك وأخشع، وأكثرهم لم يجهروا بقراءتها.**

---

(١) الضحاك بن مخلد بن الضَّحَّاكِ بن مُسْلِمِ بنِ الضَّحَّاكِ، الإِمَامُ الحَافِظُ شَيْخُ المُحَدِّثِيْنَ الأَثْبَاتِ، (١٢٢-٢١٤). [السِّيَر (٨/ ١٧٢)].

فقلت: عادتي ليلة الغيم أصوم، كما قَالَ الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟.

فقال: **اعتقد ما شئتَ من أي مذهب تدين الله به، ولا تكن مَعْمَعِيًّا.**

فلما أصبحتُ أعلمتُ من يُصَلي ورائي بما رأيتُ، ولم أَجهَر بعدُ، ودعاني ذلك إلى أن قلتُ هذه القصيدة وهي:

وعن مذهبي إن تسألوا فابنُ حنبلٍ ... بـه أقتـدي مـا دمـتُ حيًّـا أُمتَّـعُ

وذاك لأني في المنــام رأيتــه ... يـروحُ ويغـدو في الجنـان ويرتـعُ

وفي منــزلٍ بنيانــه غيــر مشبهٍ ... لبنيان ذي الدنيا وفي العين أوسعُ

وفيه من الأصحاب ما لا أعدهم ... وحـور وولـدان بهـم يتمتَّـعُ

وفيـه بيـوت مـا استدارت منيـرة ... زرابيُّهـا مبثوثـةٌ فيـه تلمـعُ

وكان إلـى جنبـي نقيـبٌ مْمَنْطَـقٌ ... عليـه ثيـابٌ مسـكها يتضـوّعُ

فقلـتُ لـه: بـالله ذا المنـزل الـذي ... أراه لمـن قـل لـي فـإني مـروَّعُ

فقـال: لمـن بالسـوط يُضْـرب تـارة ... ليرجعَ في الأخرى وما فيه مطمعُ

يقـولُ: كلام الله ليـس بمحـدَثٍ ... وليس بمخلوق فما شئتمُ اصنعوا

فقلتُ له في الحال ذاك ابنُ حنبلٍ ... إمـامٌ تقـيٌ زاهـدٌ متـورعُ

وإني لمشـتاقٌ إليـه فدلنـي ... ففـي النفس حاجـاتٌ إليـه تُسـرِعُ

فأومـى إليـه، فالتفـتُ إذا بـه ... على سُدةٍ من وجهه النور يسطعُ

ومـن سندسٍ أثوابه في اخضرارها ... علـى رأسـه تـاجٌ بـدرٌ مرصَّـعُ

ومـن حولـه وُلـدٌ صِبـاحٌ وغلمـةٌ ... تُواصـل بالكاسـات قومـا وتقطـعُ

أشـار بأطـراف البنـان تعطفًـا: ... أن أقرب فقل ما شئتَهُ منك نسمعُ

فقلت لـه: يـا أزهـدَ النـاس كلهـم، ... عليك اعتمادي، دلَّني كيف أصنعُ؟

طُبعـتُ علـى أشـياءَ هُـنّ ثلاثـةٌ ... وكلٌّ علـى مـا قـدَّر اللهُ يُطبـعُ

فمنهـا: إذا غُـمَّ الهـلالُ لليلـة صبيحتهـا عشـرٌ وعشـرون تتبـعُ
أصومُ، كمـا قَالَ الإمام ابنُ حنبلٍ فَللصـوم خيـرٌ مـن سـواه وأنفـعُ
وعنـد صلاة الصبح لستُ بقانتٍ وعنـد ندائـي عادتـي لا أُرجِّـعُ
ولكـن إذا مـا قمـتُ لله طائعـا أُبسْمِلُ جهرا في الصلاة وأخضعُ
فقـال بصـوت جهـوريٍ، سـمعته: صحـابُ رَسُـول اللهِ أتقى وأخشعُ
وأكثرهـم لـم يجهـروا بقراتهـا وهـم قـدوةٌ في الديـن أيضًـا ومَفزعُ
وأن تعتقـد ما شئتَ مِن أي مذهبٍ بـه الله يرضـى والنبـيُّ المشـفّعُ
ولا تـكُ فيـه مَعمَعِيًّـا كلاعـبٍ يديـنُ بمـا يهـوى، وللغـرم يدفـعُ
فقلـتُ لـه: في النفسِ شـيءٌ أقولُـه أنـا في صفـات الحـق أيضًـا متعتـع
فقـال تعالـى اللهُ ليـس كمثلـه كمـا قَالَ شيءٌ ثـم للذكـر فاتبعـوا
فما كان فيه من صمْات مليكنا على الرأسِ والعينين، ما عنه مدفعُ
وما جاء في الأخبار عن سيد الورى روتـه ثقـاتٌ عنـه لا يتمنـعُ
فليس لترك الحق عندي رخصة إذا كان جهـالٌ لـه قـد تتبعـوا
فكـن حنبليًّـا تنـجُ مـن كل بدعـةٍ «فأحمـدُ» عنـدَ الله في الزهـد أبـرعُ

وذكر باقي القصيدة.

ذيل الطبقات ١/ ١٠٥-١٠٨.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت أبا عبدالله -الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول: **عبد الوهاب الورَّاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١) رجلٌ صَالِح، مثله يُوَفَّق لإصابة الحق.[١] طبقات الحنابلة (٢/ ٨٩).

* ولشيخ الإسلام -**أبي إسماعيل الهَرَوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١)- قصيدة نونية

(١) فمن صلح قلبه وعملُه؛ فإنّ الله يُسدِّده ويوفقه لإصابة الحق ولو قلّ علمُه.

طويلة مشهورة ذكر فيها أصول السنة، ومدح أحمد وأصحابه، وقد أنبأتني بها زينب بنت أحمد، عن عجيبة بنت أَبِي بَكْرٍ، عن أبي جعفر محمد بن الحسين بن الحسن الصيدلاني رَحِمَهُمُاللَّهُ قَالَ: أنشدنا **شيخ الإسلام** -فذكر القصيدة إلى أن قَالَ-:

وإمامـيَ القَـوّام لله الّذِي ... دفنوا حَميدَ الشأن في بغدانِ

جمع التقى والزهد في دُنياهم ... والعلم بعد طهارة الأردانِ

خَطْمُ النَّبِيّ، وصيرفيٌّ حديثه ... ومُفلِّقٌ أعرافَها بمعانِ

حبْرُ العراق، ومحنةٌ لذوي الهوى ... يدري ببغضته ذَوُو الأضغانِ

عرفَ الهدى فاختار ثوبي نُصرَة ... وشجى بمُهجتِه عُرَى عِرفانِ

عُرِضَتْ له الدنيا فأعرض سالمًا ... عنها كفعل الراهب الخمصانِ

هانت عليه نفسُه في دِينه ... ففدى الإمامُ الدينَ بالجثمانِ

لله ما لقي ابن حنبلَ صابرا ... عزما وينصره بلا أعوانِ

ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

* وقال **أبو محمد جعفر بن محمد السراج** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٥٠٠) لنفسه:

سقى الله قبرًا حلّ فيه ابن حنبل ... من الغيث وسميًّا على إثره ولي

على أن دمعيْ فيه روًّى عظامه ... إذا فاض ما لم يبلُ منها وما بلي

فلله رب الناس مذهب أحمد ... فإن عليه ما حييت معولي

دعوهُ إلى خلق القران كما دعوا ... سواه فلم يسمع ولم يتأوَّل

ولا رده ضرب السياط وسجنه ... عن السنة الغراء والمذهب الجلي

لقد عاش في الدنيا حميدا موفقا ... وصار إلى الأخرى إلى خير منزل

ذيل الطبقات (١/ ٢٣٧).

* وقال **يَعْقُوب بن سفيان** رَحِمَهُٱللَّهُ: حَدَّثَنِي الفضل بن زياد رَحِمَهُٱللَّهُ عَنْ **أَحْمَد**

ابن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: بلغ ابنُ أبي ذِئب (ت: ١٦٠) أن مالكًا (ت: ١٧٩) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ لم يأخذ بحديث البيِّعان بالخيار فقال: يُستتاب فِي الخيار فإن تاب وإلا ضُرِبت عنقه، ومالكٌ لم يردّ الحديث، ولكن تأوَّله عَلَى غير ذلك.

فقال شامي: مَن أعلم مالك أو ابن أبي ذِئب؟.

فقال: ابن أبي ذئب فِي هذا أكبر من مالك، وابن أبي ذئب أصلح فِي دينه وأورع، وأقوم بالحق من مالك عند السلطان، وقد دخل ابن أبي ذئب عَلَى أبي جَعْفَر المنصور فلم يمهله أن قَالَ له الحق، قَالَ له: الظُّلم فاشٍ ببابك، وأبو جَعْفَر أَبُو جَعْفَر!.

وما كان ابن أبي ذئب ومالكٍ فِي موضع عند السلطان إلا تكلَّم ابن أبي ذئب بالحق والأمر والنهي، ومالكٌ ساكت.

قَالَ يَعْقُوب: ابن أبي ذئب قُرَشي ومالك يَماني.[1] طبقات الحنابلة (٢/ ١٨٩-١٩٠).

---

(١) قال الشيخ عبدالرحمن العثيمين في الهامش: «لعله يقصد أنه لانتسابه إلى قريش يكون أكثر جرأةً على الحكام والسلاطين».

قلت: وهو الظاهر، ومع ذلك فالإمام مالك أخذ بالرخصة، فلا يُلام، وما كلّ أحد يقدر على الصدع بالحق أمام الحاكم الظالم.

وقد ظهر للناس أن ابن ذئب في زمانه أصلح في ظاهره، وأما القلوب فلا يعلم ما فيها من صلاح وصدق وإخلاص إلا الله تعالى، فلذلك اختار الله تعالى بحكمته وعلمه أن ينشر مذهب الإمام مالك، وما ذاك إلا لصدقه وصلاح قلبه وسريرته.

فمذهب ابن أبي ذئب قد اندثر، ومذهب مالك قد علا وانتشر.

ولذلك قال أبو بكر المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يفضل الناس بأنه كان أكثرهم صلاة وصوما، وإنما فضلهم بشيء كان في قلبه. الزهد لأبي داود (٥٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَا رَيْبَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَقْوَى إيمَانًا مِن عُمَرَ، وَعُمَرُ أَقْوَى عَمَلًا مِنْهُ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَازِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ.

وَقُوَّةُ الْإِيمَانِ أَقْوَى وَأَكْمَلُ مِن قُوَّةِ الْعَمَلِ، وَصَاحِبُ الْإِيمَانِ يُكْتَبُ لَهُ أَجْرُ عَمَلِ غَيْرِهِ. ا.هـ [مجموع الفتاوى: (٧/ ٣٤٢).]

* ولَمَّا عَمل **أَبُو عبيد الْقَاسِم بن سلَّام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤) كتاب «غريب الحديث»، عَرَضَه على عبدالله بن طاهر فاستَحسَنَه، وقال: إن عَقْلًا بعث صاحبَه عَلَى عَمل هذا الكتاب لَحَقيق أن لا يُحْوَج إلى طلبِ المعاش، فأجرى له عشرة آلاف درهم فِي كل شهر.[1] طبقات الحنابلة (٢/ ٢١٦).

* وقَالَ عُمَر بن محمد الأنصاري: كنت عند أَحْمَد بن حنبل فذَكر **عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٥) فقال: هو ذاك السيد، ثم قَالَ أَحْمَد: عُرض عَلِيّ الكفر فلم أقبل، **وعرض عليه الدُّنيا فلم يقبل**. طبقات الحنابلة (٢/ ٢٣٣).

* وقال عمرو بن عثمان المكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأيت أحدًا من المتعبدين في كثرة من لقيت منهم، أشد اجتهادًا من **المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٤)، ولا أدْوَم على العبادة منه، ولا رأيتُ أحدًا أشد تعظيمًا للعلم وأهله منه، وكان مِن أشد الناس تضييقًا على نفسه في الورع، وأوسعه في ذلك على الناس. طبقات الشافعيين (١/ ١٣٥).

* وقرأ **أَبُو القاسم الخِرَقي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٤) العلم عَلَى من قرأه عَلَى أَبِي بكر المرُّوذي، وحرب الكرماني، وصالح وعبدالله ابني إمامنا رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، لَهُ المصنفات الكثيرة فِي المذهب، لم ينتشر منها إلا المختصر فِي الفقه؛ لأنه خرج عن مدينة السَّلام لما ظهر سَبّ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وأودع كتبه فِي درب سليمان، فاحترقت الدار التي كانت فِيهَا الكتب، ولم تكن انتشرت، لبُعده عن البلد.[2] طبقات الحنابلة (٣/ ١٤٧-١٤٩).

---

(١) حينما كان الأمراء والأغنياء يَعرفون قَدرَ العلماء؛ توسَّع العلم وانتشر، وكثُرت التصانيف النافعة.

(٢) والمختصر أصبح عمدةً ومرجعًا عند علماء الحنابلة، ويُستفاد من هذا أن العالم ينبغي له أن يحرص على التأليف في الفنّ الذي يُحسنه، فربما لا يُكتب القبول ولا يُبارك إلا لواحد منها، كما هو الشأن في مؤلفات الخرقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* وقَالَ الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألتُ عَنْهُ - أي عن **غلام الزَّجّاج عبدالعزيز بن أَحْمَد الواعظ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: بعد ٣٨٨) الخلّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقَالَ: كَانَ أُميًّا لا يَكتب، وَكَانَ قد جالس أهل العلم، ولقي الشيوخ فحفظ عَنْهُمْ.[١] طبقات الحنابلة (٣/ ٣٠٢).

* وقال **ابن أبي يعلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦١٦): اعلم أن الله سبحانه اصطفى رُسُلًا من خلقه، فبعثهم بالدُّعاء إِلَيْهِ، والصبر عَلَى ما نالهم من جَهَلة خلقه، وامتحنهم من المحن بصنوفٍ من البلاء، وضُروب من المحن واللَّأْواء، وكل ذَلِكَ تكريمًا لهم غير تذليل، وتشريفًا غير تخسير ولا تقليل.

وَكَانَ أرفعُ رسله عنده منزلة: أشدَّهم اجتهادًا، وأخذًا فِي إمضاء أمره، مَعَ البلية بأهلِ دَهره، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وقال تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [ص:١٧].

ثُمَّ جَعَل سبحانه علماءَ هَذِهِ الأمة أفضلَ علماء الأمم قَسْمًا، وأوفرهم من الخيرات حَظًّا، أعدَّ لهم الكرامات، وقَسَم لهم المنازل والدرجات، مَعَ ابتلائه سبحانه لمؤمنيهم بالمنافقين، ولصادقيهم بالمكذبين، ولخيارهم بالأشرار، ولصالحيهم بالفجار، فلم يكن يُثْني العلماء ما يلقونه من الأذى عن القيام بحقوق الله تعالى فِي عباده وإظهار الحق فِي بلاده..

قَالَ ابْن جدا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألتُ الله تعالى بعد موت القاضي **الإمام أَبِي يعلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨) أن أراه فِي النوم، فرأيته فقلت: ما فعل الله بك؟ فَقَالَ لي: يا أبا الحسين لقد هُدينا لأمرٍ عظيم.

قَالَ ابن جدا: وسألتُ الله أن أرى **القاضي أبا يعلى** في النوم دفعة أخرى،

---

(١) انظر إلى بركة مجالسة أهل العلم كيف رقَّت هذا العاميّ الذي لا يكتب إلى درجتهم، ونفع الله به.

فقلت: يا سيدي كيف المذهب[١] ثَمَّ؟ فَقَالَ لي: يا أبا الحسن المذهب بيننا وبين جهنم سدٌّ من حديد.

قال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَالَ **ابْن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما حدثك الميت بشيء فِي النوم فهو حق لأنه في دار حق».

وسمعتُ أَحْمَد بن علي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: وقرأت بخط شيخنا الشريف أَبِي جَعْفَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: رأيتُ شيخنا -يعني الوالد السعيد- في المنام وهو فِي أحسن صورة، رأيته فِي دار الدنيا وكأنه شابٌّ فِي لحيته طاقات بياض يسيرة جدًا، وهو بمسجده بباب الشعير، فتقدَّمتُ لأسلِّم عَلَيْهِ فَقَالَ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]. طبقات الحنابلة (٣/ ٤٠٨-٤٠٩).

* وظَهَر الشيخ **عبدالقادر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦١)[٢] للناس، وجلس للوعظ بعد العشرين وخمسمائة، وحصل له القبول التام من الناس، واعتقدوا ديانته وصلاحه، وانتفعوا به وبكلامه ووعظه، وانتصر أهل السنة بظهوره، واشتهرت أحواله، وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وهابه الملوك فمن دونهم.

قال الشيخ موفق الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب المغني: لم أسمع عن أحدٍ يُحكى عنه من الكرامات أكثر مما يُحكى عن الشيخ عبدالقادر، ولا رأيتُ أحدًا يُعظَّم من أجل الدين أكثرَ منه.

وذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبدالقادر، فإن كراماته نُقِلت بالتواتر.

(١) أي: المذهب الحنبلي المشتمل على العقيدة الصحيحة الخالية من البدع والانحرافات، وأصول المسائل المبنية على الكتاب والسنة.

(٢) عبدالقادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي، الزاهد: شيخ العصر، وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ، وسيد أهل الطريقة في وقته، محيي الدين أَبُو محمد، صاحب المقامات والكرامات، والعلوم والمعارف، والأحوال المشهورة. [ذيل الطبقات]

وكان الشيخ عبدالقادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عصره مُعظَّمًا، يُعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد، وله مناقب وكرامات كثيرة.

ولكن قد جمع المقرئ أَبُو الحسن الشطنوفي المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أخبار الشيخ عبدالقادر ومناقبه ثلاث مجلدات، وكتب فيها الطم والرمّ، وكفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع.

وقد رأيت بعض هذا الكتاب، ولا يطيب على قلبي أن أعتمد على شيء مما فيه، فأنقل منه إلا ما كان مشهورًا معروفًا من غير هذا الكتاب، وذلك لكثرة ما فيه من الرواية عن المجهولين، وفيه من الشَّطح، والطامات، والدعاوى، والكلام الباطل، ما لا يُحصى، ولا يليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبدالقادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم وجدتُ الكمال جعفر الأدفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد ذكر أن الشطنوفي نفسه كان مُتَّهَمًا فيما يحكيه في هذا الكتاب بعينه.

وأحسنُ ما قيل في هذا الكلام: ما ذكره الشيخ أَبُو حفص السهروردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عوارفه: «أنه من شطحات الشيوخ التي لا يُقتدى بهم فيها، ولا يقدح في مقاماتهم ومنازلهم، فكل أحد يؤخذ عليه من كلامه ويترك، إلا المعصوم ﷺ».

ومن ساق الشيوخَ المتأخرين مساق الصدر الأول، وطالبهم بطرائقهم، وأراد منهم ما كان عليه الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأصحابه مثلًا من العلم العظيم، والعمل العظيم، والورع العظيم، والزهد العظيم، مع كمال الخوف والخشية، وإظهار الذل والحزن، والانكسار والازدراء على النفس، وكتمان الأحوال والمعارف، والمحبة والشوق ونحو ذلك: فلا ريب أنه يزدري المتأخرين، ويمقتهم، ويهضم حقوقهم.

فالأولى تنزيل الناس منازلهم، وتوفيتهم حقوقهم، ومعرفة مقاديرهم، وإقامة معاذيرهم، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا.

ولما كان الشيخ **أَبُو الفرج ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عظيم الخبرة بأحوال السَّلف، والصدر الأول، قلَّ من كان في زمانه يساويه في معرفة ذلك، وكان له أيضا حظٌّ من ذوق أحوالهم، وقسط من مشاركتهم في معارفهم: كان لا يعذر المشايخ المتأخرين في طرائقهم المخالفة لطرائق المتقدمين، ويَشتَدُّ إنكاره عليهم.

وقد قيل: إنه صنَّف كتابًا، ينقم فيه على الشيخ عبدالقادر أشياء كثيرة، ولكن قد قل في هذا الزمان من له الخبرة التامة بأحوال الصدر الأول، والتمييز بين صحيح ما يُذكر عنهم من سقيمه.

فأما مَن له مشاركة لهم في أذواقهم، فهو نادرُ النادر.

وإنما يلهج أهل هذا الزمان بأحوال المتأخرين، ولا يميزون بين ما يصح عنهم من ذلك من غيره، فصاروا يخبطون خَبط عشواء في ظَلماء. والله المستعان.

وللشيخ عبدالقادر كلام حسن في التوحيد، والصفات والقدر، وفي علوم المعرفة موافق للسنة.

وله كتاب (الغنية لطالبي طريق الحق) وهو معروف، وله كتاب (فتوح الغيب)، وجمع أصحابه من مجالسه في الوعظ كثيرًا.

وكان متمسكًا في مسائل الصفات، والقَدَر، ونحوهما بالسُّنة، بالغًا في الرد على من خالفها.

قال في كتابه (الغنية) المشهور: **وهو بجهة العلو مستو على العرش**، محتو على الملك محيط علمه بالأشياء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة:٥]! ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش، كما قَالَ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، وذكر آياتٍ وأحاديث،

إلى أن قَالَ: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش.

وذكر الشيخ أَبُو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشاعر المشهور، عن شيخه العارف علي بن إدريس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه سأل الشيخ عبدالقادر فقال: يا سيدي، هل كان لله وليٌّ على غير اعتقاد أحمد بن حنبل؟ فقال: ما كان، ولا يكون.

قال الحافظ ابن النجار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كتب إليَّ عبدالله بن أبي الحسن الجبالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -نقلته من خطه- قَالَ: كان شيخنا **عبدالقادر الجيلي** يقول: الخلق حجابك عن نفسك، ونفسُك حجابك عن ربك[1]، ما دُمتَ ترى الخَلقَ لا ترى نَفسك، وما دمتَ ترى نفسكَ لا تَرى ربَّك.

وقال: ما ثَمَّ إلا خلقٌ وخالِق، فإن اخترتَ الخالق فقُل كما قَالَ: (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ)، ثم قَالَ: من ذاقه فَقد عَرَفه. ذيل الطبقات (٢/ ١٨٨- ٢٠٣).

* وقال الحافظ عبد القادر الرُّهاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شيخنا الحافظ **أَبُو العلاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٩) أشهر من أن يُعرَّف، بل تَعذَّر وجود مثله في أعصارٍ كثيرة، على ما بلغنا من سيرة العلماء والمشايخ..

وكان **عفيفًا من حب المال**، مُهينًا له، باع جميع ما وَرِثَه، وكان من أبناء التُّجار **فأنفقه في طلب العلم**، حتى سافر إلى بغداد وأصبهان مراتٍ ماشيًا، يحمل كتبه على ظهره.

---

(١) هذا الكلام يُكتب بماء الذهب، والمعنى: الخلق حجابك عن نفسك، وذلك بمراعاتهم، ومُراءاتهم، والتصنُّع لهم، والخوف منهم، ورجائهم والطمع بما عندهم.

ونفسك حجابك عن ربك، بأن تعجب بها، أو تنتقم لها، أو تلبي كل ما تشتهي من المباحات، فضلًا عن المكروهات والمحرمات.

فمَن أراد الفلاح والوصول إلى عَتَبة الولاية والعبودية: فلا ينشغل بالخلق ولا يتعلق بهم، ولْيبع نفسه لله، ولْيقدم رضا الله على هواه.

سمعتُه يقول: كنتُ أبيتُ ببغداد في المساجد، وآكلُ خبزَ الدُّخن.

وسمعتُ أبا الفضل بن نبهان الأديب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: رأيتُ **الحافظ أبا العلاء** في مسجد من مساجد بغداد يكتب وهو قائم على رجليه لأن السراج كانت عالية، ثم نشر الله تعالى ذكره في الآفاق، وعظم شأنه في قلوب الملوك وأرباب المناصب الدنيوية والعلمية والعَوام، حتى إنه كان يمر بهمدان، فلا يبقى أحدٌ رآه إلا قام، ودعا له حتى الصبيان واليهود، وربما كان يمضي إلى بلده مشكان فيصلي بها الجمعة، فيتلقاه أهلها خارج البلد: المسلمون على حِدة، واليهود على حِدة، ويدعون له إلى أن يدخل البلد.

وكان يُفتح عليه من الدنيا جُمَل، فلم يدَّخرها، بل يُنفِقها على تلامذته.

وكان يطلب لأصحابه من الناس، ويُعِزُّ أصحابه ومن يلوذ به، ولا يحضر دعوةً حتى يُحضر جماعة أصحابه، وكان لا يأكل من أموال الظَّلَمة، ولا قبِل منهم مدرسة قط ولا رباطًا، وإنما كان يقرئ في داره ونحن في مسجده سكان، وكان يقرئ نصف نهاره الحديث، ونصفه القرآن والعِلم.

وكان لا يخشى السَّلاطين، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يُمْكن أحدٌ أن يعمل في مجلسه منكرًا ولا سَمَاعًا.

قَالَ: سمعته -أي السِّلَفي- يحكي عنه أنه ذُكر له، فقال: قدَّمَه دينُه. ذيل الطبقات (٢/ ٢٧١- ٢٧٦).

* **أَبُو الفتح الفقيه الزاهد ابن الْمِنِّيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٨٣): جمع بعض فضلاء أصحابه له سيرةً طويلة، وهو أَبُو محمد عبدالرحمن بن عيسى الواعظ، وقفتُ على بعضها مما ذكره فيها.

قال: كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير الذِّكر والتلاوة للقرآن لا سيما في الليل، مُكرِمًا

للصالحين، مُحِبًّا لهم، ليس فيه تَيه الفقهاء، ولا عُجب العلماء.

إنْ مرض أحدٌ من تلامذته ومعارفه عاده، أو كانت لهم جنازة شيَّعها ماشيًا غير راكب، على كبر السن، وضعف البِنْية.

زاهدًا في الدنيا، يقنع منها بالبُلغة، وإذا جاءه فتوح أو جائزة من بيت المال وزَّعها بين أصحابه، وإن ناله منها شيء أعاده عليهم في غضون الأيام.

وكان يخدم نفسه بنفسه، لا يُثقل على أحدٍ من أصحابه، ولا يكلِّفهم شيئًا، اللهم إلا أن يعتمد على يد أحدهم في الطريق.

ولقد كُنّا عنده يومًا جماعةً من أصحابه، فأوذن بالصلاة، فنهض بنفسه فاستقى الماء للتطهير، وما ترك أحدًا منا ينوبه في ذلك، ولقد قدَّمتُ له نعله يومًا، فشقَّ عليه، وجعل يقول: إيش هذا؟ مثلك لا نُسامحه في هذا.

وسُئِل عنه الشيخ **موفَّق الدين** المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: شيخنا أَبُو الفتح كان رجلًا صالحًا، حسن النية والتعليم، وكانت له بركة في التعليم، قلّ مَن قرأ عليه إلا انتفع[١]، **وخَرَج مِن أصحابه فُقَهاء كثيرون منهم مَن ساد.**

وكان يَقنع بالقليل، ورُبما يَكتفي ببعضِ قرصة.

وكان يُحبُّنا ويَجبُر قلوبنا، ويظهر منه البِشر إذا سمع كلامنا في المسائل.[٢].

ولما انقطع الحافظ عبدالغني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣] عن الدَّرس لاشتغاله بالحديث، جاء إلينا، وظن أن الحافظ انقطع لِضيق صَدره. ذيل الطبقات (٢/ ٣٥٨-٣٥٩).

* وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال **ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٧) في أول

---

(١) ومثله في هذا الزمان الشيخ ابن باز والألبانيّ وابن عثيمين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فقلّ من قرأ عليهم أو حضر مجالسهم إلا انتفع وبَرَز.

(٢) ما أجملَ هذه الأخلاق.

(٣) الحافظ المحدث عبدالغني المقدسي، صاحب عمدة الأحكام والكمال في أسماء الرجال.

مشيخته: لما فهمتُ الطلب كنت ألازم من الشيوخ أَعلَمَهم، وأُوثِرُ مِن أرباب النقل أفهَمَهم، **فكانت هِمَّتي تجويد العُدَد، لا تكثير العَدد**[1]..

وَعَظَ وهو صغير جدًا، قال: حَمَلَني ابن ناصر إلى أبي القاسم العَلَوي الهروي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ في سَنة عشرين[2]، فلقَّنَني كلمات من الوعظ، ورقَّاني يومئذ المنبر، فقلتُ الكلمات، وحُرِزَ الجمع بخمسين ألفًا.

واشتُهر أمرُ الشيخ أَبي الفرج من ذلك الوقت، وأخذَ في التَّصنيف والجمع.

وقد كان بدأ بالتصنيف من قبل ذلك.

وذكر: أنه سرد الصوم مدة، واتبع الزهاد، **ثم رأى أن العلم أفضل من كل نافلة**، فانجمع عليه، ونظر في جميع الفنون، وألَّف فيها.

وكانت أكثر علومه يستفيدها من الكتب، ولم يحكم ممارسة أهلها فيها..[3].

قال ابن القطيعي رَحِمَهُٱللَّهُ: سمعتُ مَن أثِقُ به قَالَ: لما سمع أمير المؤمنين المستضيء **ابن الجوزي ينشد** تحت داره:

ستنقلك المنايا عن ديارك ... وَيُبْدِلُكَ الردى دارًا بدارك

وتترك ما عنيت به زمانا ... وتُنقَل من غناك إلى افتقارك

فدودُ القبر في عينيك يرعى ... وترعى عينُ غيرك في ديارك

فجعل المستضيء يمشي في قصره ويقول: أي والله، **وترعى عَين غيرك في دِيارك**، ويكررها ويبكي حتى الليل.

---

(١) هذه المنهجية الصحيحة في الطلب، فليست العِبرة بكثرة القراءة، وتنوع فنون العلم، بل العبرة بجودة القراءة، وضبط العلم، وتكراره، ولو مكث الطالب سنتين في فن واحد، أو كتابٍ ذي أجزاء كثيرة.

(٢) أي: أن عمره حين ابتدأ الوعظ اثنتا عشرة سنة.

(٣) وهذا من الأخطاء التي يقع فيها بعض طلاب العلم، حيث يُكثرون من القراءة أو التصنيف في فن لم يأخذوه عن الشيوخ المتقنين.

وحاصل الأمر: أن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير، ولم يُسمع بمثلها، وكانت عظيمة النَّفع، يتذكر بها الغافلون، ويتعلم منها الجاهلون، ويتوب فيها المذنبون، ويُسلم فيها المشركون.

وقد ذكر في تاريخه: أنه تكلم مرة، فتاب في المجلس على يده نحو مائتي رجل، وقُطعت شعور مائة وعشرين منهم..

وقال في آخر كتاب القُصَّاص والمذكّرين له: ما زلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة والتقوى، **فقد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل:** وقد قُطعت من شعور الصبيان اللاهين أكثر من عشرة آلاف طائلة، **وأسلَمَ على يدي أكثر من مائة ألف.**

قال: ولا يكاد يُذكر لي حديث إلا ويمكنني أن أقول: صحيح، أو حسن أو محال.

ولقد أقدر على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ، وربما قرئت عندي في المجلس خمس عشرة آية، فآتي على كل آية بخطبة تناسبها في الحال.

قرأت بخط الإمام ناصح الدين بن الحنبلي الواعظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حق الشيخ أبي الفرج: اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره، وكانت مجالسه الوعظية جامعة للحسن والإحسان باجتماع ظُرَّاف بغداد، ونُظَّاف الناس، وحُسن الكلمات المسجعة والمعاني المودعة في الألفاظ الرائجة، وقراءة القرآن بالأصوات المرجعة، والنغمات المطربة[١]، وصيحات الواجدين، ودمعات الخاشعين، وإنابة النادمين، وذل التائبين، والإحسان بما يفاض على المستمعين، من رحمة أرحم الراحمين.

---

(١) هذا ظاهر في أن الشيخ لا يسرد الآيات بصوته المعتاد، بل كان يجمِّله ويحسنه، فيكون أثره أبلغ.

ووعظ وهو ابن عشر سنين إلى أن مات، ولم يشغله عن الاشتغال بالعلم شاغل، ولا لعبٍ ولا لها، ولا سافر إلا إلى مكة..

قال الشيخ موفق الدين المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام أهل عصره في الوعظ، وصنَّف في فنون العلم تصانيف حَسَنَة، وكان صاحب قبول،.

وكان يدرس الفقه ويصنف فيه، وكان حافظًا للحديث، وصنف فيه، **إلا أننا لم نرض تصانيفه في السُّنة**، ولا طريقته فيها. انتهى.

وكان إذا رأى تصنيفًا وأعجبه صنَّف مثله في الحال، وإن لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل لقوة فهمه، وحِدَّة ذهنه، فربما صنف لأجل ذلك الشيء ونقيضه بحسب ما يتفق له من الوقوف على تصانيف من تقدَّمه.

وقد كان شيخه ابن ناصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يثني عليه كثيرًا، ولما صنف أَبُو الفرج كتابه المسمى بـ «التلقيح»[1] وله إذْ ذاك نحو الثلاثين من عمره، عَرَضه على ابن ناصر، فكتب عليه: قرأ عليَّ هذا الكتاب جامعه الشيخ الإمام العالم الزاهد أَبُو الفرج، فوجدتُه قد أجاد تصنيفه، وأحسن تأليفه وجمعه، ولم يُسبق إلى مثل هذا الجمع..

وقال الإمام أَبُو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أجوبته المصرية: كان الشيخ أَبُو الفرج مفتيًا كثير التصنيف والتأليف، وله مصنفات في أمور كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر مِن ألفِ مصنَّف، ورأيت بعد ذلك له ما لم أره.

قال أَبُو الفرج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أول ما صنفت وألفت - ولي من العمر نحو ثلاث عشرة سنة.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما علمت أن أحدًا من العلماء، صنَّف ما صنف هذا الرجل.

---

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير.

ومن لفظ كلامه الحسن في المجالس، قَالَ: في حديث «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين»: إنما طالت أعمار الأوائل لطول البادية، فلما شارف الركب بلد الإقامة قيل: حُثّوا المطي.

ومن كلامه الحسن: مَن قَنع طاب عيشه، ومَن طَمع طال طيشه.

وقال: الدنيا دار الإله، والمتصرِّف في الدار بغير أمر صاحبها لِصّ.

وقال يومًا في مناجاته: إلهِي لا تعذب لسانًا يُخبر عنك، ولا عينًا تَنظر إلى علومٍ تدُل عليك، ولا قدمًا تمشي إلى خدمتك، ولا يدًا تكتب حديث رسولِك، فبعزتك لا تُدخلني النار، فقد عَلِم أهلها أني كنت أذبّ عن دينك، ارحم عبرةً ترقرق على ما فاتها منك، وكبدًا تحترق على بعدها عنك.

وقد نالته محنة في آخر عمره رَحِمَهُ اللَّهُ. ذيل الطبقات (٢/ ٤٥٨-٥١٨).

* **إِبْرَاهِيم بن عَبْد الْوَاحِد** المقدسي الدمشقي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٥٥)، الفقيه، الزاهد، الورع، العابد، **عِماد الدين**، أَخُو الحافظ عَبْدالغني، ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة: قَالَ الشيخ موفق الدين رَحِمَهُ اللَّهُ -فِي حق العِماد، لما سُئِل عَنْهُ-: كَانَ من خيار أَصْحَابنا، وأعظمهم نفعًا، وأشدهم ورعًا، وأكثرهم صبرًا عَلَى تعليم الْقُرْآن والفِقه، وَكَانَ داعية إِلَى السُّنة، وتعليم العلم والدِّين، وَكَانَ يقري الضعفاء الفقراء، ويُطعمهم ويبذل لَهُمْ نَفْسه.

وَكَانَ من أَكْثَر النَّاس تواضعًا، واحتقارًا لنفسه وخوفًا من الله تَعَالَى، وَمَا أعلمُ أنني رأيتُ أشدَّ خوفًا منه.

وَكَانَ كثير الدعاء والسؤال لِلَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ يُطيل الركوع والسجود فِي الصلاة، ويَقصد أن يقتدي بصلاةِ رسول الله ﷺ، ولا يَقبل من أحد يعذله فِي ذَلِكَ.

وَقَالَ الحافظ الضياء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَ مِن كثرة أشغاله واشتغاله لا يتفرَّغ للتصنيف والكِتابة.

قَالَ: وسمعت الشيخ موفق الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُول: مَا نقدر نعمل مثل العماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ كَانَ يتألف النَّاس ويقريهم، حَتَّى إنه ربما ردد عَلَى إِنْسَان كلمات يسيرة من سَحَرٍ إِلَى الفجر.

وَقَالَ الضياء: كَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتألَّفُ النَّاس، ويَلطُف بالغرباء والمساكين، حَتَّى صار من تلاميذه جَمَاعَة من الأكراد والعرب والعجم، وَكَانَ يتفقَّدُهم ويسأل عَنْهُم، وعن حالهم، ولقد صحبه جَمَاعَة من أنواع المذاهب، فرجعوا عَن مذاهبهم لما شاهدوا منه.

وَكَانَ **سخيًّا جوادًا، كثير المعروف**، حَتَّى كَانَ بيته مأوى لِلنَّاسِ، وَكَانَ يَنْصَرِفُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى بَيْتِهِ مِنَ الْفُقَرَاءِ جَمَاعَة كثيرة من أَصْحَابه، فيُقدِّم إليهم مَا حضر..

وَكَانَ **كثير الأمر بالمعروف والنهي عَنِ المنكر**، لا يرى أحدًا يُسيء صلاته إلا قَالَ لَهُ وعلَّمه.

ولقد بلغني أَنَّهُ خرج مرة إِلَى قوم من الفُسَّاق فكسر مَا معهم فضربوه، ونالوا منه حَتَّى غُشِي عَلَيْهِ، فأراد الوالي ضرب الَّذِينَ نالوا منه، فَقَالَ: إِن تابوا ولزموا الصلاة فلا تُؤذهم، وَهُمْ فِي حِلٍّ من قِبَلي، فتابوا ورجعوا عما كَانُوا عَلَيْهِ.

قَالَ: ورأيتُه ربما يَكُون فِي مَسْجِد، فإذا أخذ من لحيته شعرةً أَوْ من أنفه شَيْئًا جعل ذَلِكَ فِي عِمامته، وربما برى قَلَمًا فيتحفظ من القلامة، ولا يَدَعها فِي الْمَسْجِد.[١].

وَكَانَ إِذَا أفتى فِي مسألة يتحرَّز فِيهَا احترازًا كثيرًا، حَتَّى كَانَ بَعْض الْفُقَهَاء يتعجب من فتاويه، وكثرة احتِرازه فِيهَا.

---

(١) صيانة من سقوط الوَسَخ من شَعرٍ وغيره في المسجد؛ تعظيمًا له.

وسمعت من يَقُول: كَانَ يَكُون عَلَى ثوبه غُبار، فَيَقُول لي: اذهب فانفضه خارج الْمَسْجِد.

وسمعتُ الإمام أبا إِبْرَاهِيم محاسن بن عَبدالْمَلِك التنوخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُول: كَانَ الشيخ العِماد جوهرة العصر، وَذَلِكَ أَن واحدا يصاحب شخصا مدة ربما تغير عَلَيْهِ، وَكَانَ الشيخ العماد مَن صاحَبه لا يَرى منه شَيْئًا يكرهه قط، **كلَّما طالت صحبته ازداد بِشْره**، ورأى منه مَا يسُره، وَهَذَا شَيْء عظيم، وليس يَكُون كرامة أَعْظَم من هَذَا.

قَالَ الضياء: ولعله مَا قعد عنده أحدٌ إلا حصل لَهُ منفعة فِي العلم والزهد، أَوِ اقتباس شَيْءٍ من أخلاقه أَوْ أوراده، وغير ذَلِكَ.

وَكَانَ يذُم نَفْسه ذمًّا كثيرًا، ويحقرها وَيَقُول: إيش يجيء مني؟ إيش أنا؟ وَكَانَ كثير التواضع.

قَالَ: وَلَمْ يزل هَذَا دَأبه من وقت مَا عقلنا، وَكَانَ يتفقد النَّاس، ويسأل عَن أحوالهم كثيرا، وربما بعث إِلَى النَّاس نفقةً سِرًا.

قَالَ: وأوصاني وقت سَفَري، فَقَالَ: أَكْثِر مِن قراءة الْقُرْآن، ولا تتركه، فَإِنَّهُ يتيسر لَك الَّذِي تطلبه عَلَى قدر مَا تقرأ، قَالَ: فرأيت ذَلِكَ وجرَّبته كثيرًا، فكنتُ إِذَا قرأتُ كثيرًا تيسر لي مِن سماعِ الحَدِيث وكتابتِه الكثير، وإذا لَمْ أقرأ لَمْ يتيسر لي.

قَالَ: وَكَانَ إِذَا قام إِلَى الصَّلاة المكتوبة، تفل عَن يساره ثلاثًا، واستعاذ بالله من الشَّيْطَان الرجيم، وكبر تكبيرةً يرفع صوته بِذَلِكَ، ثُمَّ يستفتح، قَالَ: فَلَم أرَ أحدًا أَحْسَن صلاة منه، ولا أتم منها بخشوعٍ وخضوعٍ، وحسن قيام وقعود وركوع..

قال: وكان يصوم يومًا ويُفطر يومًا.

قال: وكان كثير الدعاء بالليل والنهار، وكان إذا دعا كأن القلب يشهد بإجابة

دعائه مِن كثرة ابتهاله وإخلاصه، وكان إذا شرع في الدعاء لا يَكاد يَقطعه..

وقد ذكره أبو المظفر سبط ابن الجوزي في تاريخه، وأثنى عليه ثناءً كثيرًا وقال: **ما تحرك بحركة، ولا مشى خطوة، ولا تكلم كلمة؛ إلا لله تعالى**.

وكان يتعبَّد بالإخلاص، ولقد رأيته مرارًا في الحلقة بجامع دمشق، والخطيب يوم الجمعة على المنبر، فيقوم ويأخذ الإبريق ويضع بلبلته على فِيه، على رؤوس الأشهاد، ويوهِمُ الناس أنه يشرب، وأنه لصائم.[1] ذيل الطبقات (٣/ ١٩٨ - ٢١٢).

* وقال سبط ابن الجوزي عن الإمام **موفق الدين ابن قدامة** المقدسي (ت: ٦٢٠) رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: كان إمامًا في فنون، ولم يكن في زمانه -بعد أخيه أبي عمر والعِماد رَحِمَهُمَاٱللَّهُ- أزهد ولا أورع منه، وكان كثير الحياء، عزوفا عن الدنيا وأهلها، هيِّنًا لَينًا متواضعًا، مُحبًا للمساكين، حسن الأخلاق، جوادًا سخيًا، مَن رآه كأنه رأى بعض الصحابة، وكأنما النور يخرج من وجهه، كثير العبادة، يقرأ كل يوم وليلة سُبُعًا من القرآن، ولا يصلي ركعتي السنة في الغالب إلا في بيته، اتباعا للسنة.

وقال أيضا: شاهدت من الشيخ أبي عمر وأخيه **الموفق** ونسيبه العِماد رَحِمَهُمُٱللَّهُ: ما نرويه عن الصحابة والأولياء الأفراد، فأنساني حالهم أهلي وأوطاني.

وقال ابن النجار رَحِمَهُٱللَّهُ: كان الشيخ **موفق الدين** إمام الحنابلة بالجامع، وكان ثقة حُجة نبيلًا، غزير الفَضل، كامل العَقل، شديد التثبُّت، دائم السُّكون، حسن السَّمت، نزهًا وَرِعًا، **عابدًا على قانون السَّلف**، على وجهِ النور، وعليه الوَقار والهيبة، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يَسمع كلامه[2]، صنَّف التصانيف المليحة في

---

(١) أعظم هبة وكرامة وتوفيق أن يوفق الله عبده للإقبال عليه، وتوحيده وعبادته، والتخلق بالأخلاق الحسنة، ونفع الناس، ولو كان قليل البضاعة بالعلم، مثل هذا الشيخ العارف بالله تعالى، فالأمة تحتاج إلى أمثاله، أكثر من حاجتها إلى عالمٍ قلَّ نصيبه من هذه الأمور العظيمة المباركة.

(٢) يا لها من صفة عظيمة قلّ مَن تُوهَبَ له.

المذهب والخلاف، وقصَدَهُ التلامذة والأصحاب، وسار اسمه في البلاد، واشتهر ذكره، وكان حسن المعرفة بالحديث، وله يدٌ في علم العربية..

قَالَ الضياء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكَانَ لا يناظر أحدًا إلا وهو يَتبَسَّم، حَتَّى قَالَ بَعْض النَّاس: هَذَا الشيخ يقتل خصمه بتبسُّمه[1]..

وَكَانَ يشتغل عَلَيْهِ النَّاس مِن بُكرةٍ إِلَى ارتفاع النَّهار، ثُمَّ يُقرأ عَلَيْهِ بَعْد الظهر، إِمَّا من الْحَدِيث أَوْ من تصانيفه إِلَى المغرب، ورُبما قُرئ عَلَيْهِ بَعْد المغرب وَهُوَ يتعشَّى، **وكان لا يُري لأحدٍ ضَجَرًا**، وربما تضرر فِي نَفْسه ولا يَقُول لأحدٍ شَيْئًا.[2] ذيل الطبقات (٣/ ٢٨٣-٢٨٩).

* **أَبُو الحسن العكبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٨): ذكره ابن شافع في تاريخه فقال: هو الشيخ الصالح، الزاهد، الفقيه، الأَمَّار بالمعروف، والنهَّاء عن المنكر.

وقال القاضي أَبُو الحسين وابن السمعاني رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: كان شيخا صالحا، ديِّنًا كثير الصلاة، حسن التلاوة للقرآن..

وتوفي **فجأة في الصلاة** في رمضان سنة ثمان وستين وأربعمائة، ودفن في مقبرة أحمد.

وروى عنه الخطيب فقال: حدثني علي بن الحسين العكبري قال: رأيتُ هبة الله الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قَالَ: غفر لي، قلت: بماذا؟ قَالَ: كلمة خفيفة: بالسُّنّة. ذيل الطبقات ١/ ٢٠.

* **الحافظ أَبُو موسى عبدالله بن عَبْدالغني بن عبدالواحد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢٩): قَالَ عُمَر بن الحاجب الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانَ كثير الفَضل، وافر العقل، متواضعًا،

---

(١) ما أروع هذه الخصلة.

(٢) من علامة توفيق الله للعالِم أن يجعله يُمضي كثيرا من وقته في نشر العلم ونفع الناس، والصبر عليهم وعلى أذاهم، ومعاملتهم معاملة حسنة.

مَهيبًا، وقورًا جوادًا سَخِيًا، له القبول التام، مَعَ العبادة والورع والمجاهدة، كأن كلامه الضياء، وَكَانَ قَدْ عوَّد النَّاس شَيْئًا لَم يروه من غيره، وَذَلِكَ: أَن كُل مَن احتاج إِلَى قرض شَيْء يمضي إِلَيْهِ، فيَحتال لَهُ حَتَّى يحصل لَهُ مَا يطلب، حَتَّى صار عَلَيْهِ من ذَلِكَ ديون، وكثير من النَّاس لا يرجع يُوَفِّيه..

توفى رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة تسع وعشرين وستمائة.

ورآه بَعْضهم فِي النوم، فَقَالَ له: ما فعل الله بك؟ قَالَ: أسكنني عَلَى بركة رضوان.

ورآه آخر فسأله، فَقَالَ: لقيت خيرًا، فقال له: كَيْفَ النَّاس؟ قَالَ: يتفاوتون عَلَى قدرِ أعمالهم.

ورآه آخر من أَصْحَابه فَقَالَ لَهُ: أوصيك بالدعاء الذي حفَّظتك إياه فاحفظه، فقال لَهُ: مَا بقيتُ أحفظه، فَقَالَ لَهُ: هُوَ مكتوب فِي الورقة الَّتِي كتبتها لَك، فَمَا نفعني الله إلا بِهِ، وَكَانَ الدعاء: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أَنْتَ، خلقتني وأنا عبدك) الْحَدِيث. ذيل الطبقات (٣/ ٣٩٤- ٣٩٨).

* **محمد بن أحمد بن عبدالله اليُونِينيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الشيخ الفقيه المحدث الحافظ، الزاهد العارف الرباني (ت: ٦٨٥): ذكره عُمَر بن الحاجب الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأطنب فِي وصفه وأسهب، وَقَالَ: جَمَع بَيْنَ عِلمَي الشريعة والحقيقة، وكان **حَسَنَ الخَلْق والخُلُق، نَفَّاعًا للخَلق، مُطَّرِحًا للتَّكلُّف**[1]..

وَكَانَ ذا أحوالٍ وكرامات، **وأوراد وعبادات لا يُخِلّ بها**، ولا يُؤَخِّرها عَن وقتها لورود أحدٍ عَلَيْهِ، ولو كَانَ مِن الملوك.

وَكَانَ **لا يرى إظهار الكرامات**[2]، ويقول: كما أوجب الله عَلَى الأنبياء إظهار

(١) صفات عظيمة، ومن جَمَعها فقد حاز الفضائل.

(٢) هذا هو منهج أهل السنة والجماعة والسلف الصالح.

المعجزات، أوجب عَلَى الأولياء إخفاء الكرامات. ذيل الطبقات (٤/ ٦٣- ٦٩).

* وقرأتُ بخط الشيخ شمس الدين بن الفخر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَ **يَحْيَى بن أَبِي مَنْصُور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧٨) إماما كبيرًا مفتيًا، **وَلَهُ مناقب جمة:**

منها: قيام الليل فِي معظم عمره، كَانَ يقوم فِي وقتٍ والله يعجز الشباب عَن ملازمته، وَهُوَ جوف الليل، **يجتهد فِي إسرار ذَلِكَ**، وسائر عمل التقرب.

ومنها: سخاء النفس، وحسن الصحبة، والتعصب فِي حق صاحبه بلحائه واجتهاده وتضرعه، ومساعدته بجاهه وحرمته.

ومنها: التعصب فِي السنة والمغالاة فِيهَا، وقمع أهل البدع، ومجانبتهم ومنابذتهم.

ومنها: قَوْل الحق، وإنكار المنكر عَلَى من كَانَ، لَم يكن عنده من المداهنة والمراءاة شيء أصلًا، يقول الحق، يصدع بِهِ.[1] ذيل الطبقات (٤/ ١٥٠).

* **عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن قدامة المقدسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٨٢)، الفقيه الإمام، الزاهد الخطيب، شيخ الإِسْلام، شمس الدين، أَبُو مُحَمَّد، وأبو الفرج، ابْن الشيخ أَبِي عُمَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسمع من أَبِيهِ، وتفقَّه عَلَى عمِّه شيخ الإِسلام موفق الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعرض عَلَيْهِ كتاب «المقنع» وشرحه عَلَيْهِ، وأذِن لَهُ فِي إقرائه، وإصلاح مَا يرى أَنَّهُ يحتاج إِلَى إصلاحٍ فِيهِ، ثُمَّ شَرَحَهُ بعده فِي عَشر مجلدات، واستمد فِيهِ من «المغني» لعمه.

قَالَ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَ رقيق القلب، سريع الدمعة، كريم النفس، كثير الذكر لِلَّهِ، والقيام بالليل، محافظا عَلَى صلاة الضحى، ويصلِّي بَيْنَ العشاءين مَا تيسر، ويؤثر بِمَا يؤتيه من صلة الملوك وغيرهم، وَكَانَ متواضعا عِنْدَ العامة، مترفعا عِنْدَ

(١) هذه أخلاق الأولياء، جعلنا الله منهم.

الملوك[1]، وَكَانَ مجلسه عامرا بالفقهاء والمحدثين وأهل الدين.

وأوقع الله محبته فِي قلوب الخلق، وَلَم يكن فِي زمانه من يُصلِّي أَحْسَن منه، ولا أتم خشوعًا.

وكان كثير الدعاء والابتهال، لا سيما فِي الأماكن المرجو فِيهَا الإِجابة، **كثير الاهتمام بأمور النَّاس،** لا يكاد يعلم بمريض إلا افتقده، ولا مَات أحد من أهل الجبل إلا شيَّعه..

وذكر الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَن أَبِي إِسْحَاق اللَّوي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وَكَانَ شيخ المالكية، ومن أهل العلم والدين والحَدِيث- أَنَّهُ قَالَ: كَانَ شيخنا شيخ الإِسلام شمس الدين قدوة الأنام، مِمَّن تفتخر بِهِ دمشق عَلَى سائر البلدان، بَل يزهو بِهِ عصره عَلَى متقدم العصور والأزمان؛ **لما جمع اللَّه لَهُ من المناقب والفضائل الَّتِي أوجبت للأواخر الافتخار عَلَى الأوائل:**

منها: التواضع، مَعَ عظمته فِي الصدور.

وتركُ التنازع فيما يفضي إِلَى التشاجر والنفور.

والاقتصاد فِي كُل مَا يتعاطاه من جميع الأمور، لا عَجرفة فِي كلامه ولا تقعّر، ولا تعظّم فِي مشيته ولا تبختر، ولا شطط فِي ملبسه ولا تكثر.

ومع هَذَا فكانت لَهُ صدور المجالس والمحافل، وإلى قَوْله المنتهى فِي الفصل بين العشائر والقبائل، مَعَ مَا أمدَّه الله عَلَيْهِ من سعة العلم، وفَطَره عَلَيْهِ من الرأفة والحلم.

وَكَانَ لا يُوَفِّر جانبه عمَّن قَصَدَه، قريبًا كَانَ أَوْ أجنبيًّا.

ولا يدَّخر شفاعته عمن اعتمده، مسلما كَانَ أَوْ ذِميًّا.

---

(١) هذا هو خلق الأصفياء والأتقياء، جعلنا الله منهم.

ينتاب بابَه الأمراءُ والملوكُ، فيساوي فِي إقباله عَلَيْهِم بَيْنَ المالك والمملوك.[١] ذيل الطبقات (٤/ ١٧٢- ١٨٢).

* **أحمد بن عبدالرحمن بن أَحْمَد بن قدامة المقدسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، شيخ الإِسلام، ولد فِي شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة.

قَالَ البرزالي: كَانَ خطيب الجبل، ومدرس أَكْثَر المدارس وشيخ الحنابلة، وَكَانَ فقيها فاضلا، سريع الحفظ، جيد الفهم، كثير المكارم، شهما، شجاعا، ولي الْقَضَاء وَلَمْ يبلغ ثلاثين سنة، فقام بِهِ أتم قيام.

وَقَالَ اليونيني: كانت لَهُ الخطابة بالجامع المظفري، والإمامة بحلقة الحنابلة بجامع دمشق، ونظر أوقاف الحنابلة، وَكَانَ مشكور السيرة فِي ولايته، وعنده معرفة بالأحكام، وفقه نفيس، وفضيلة ومشاركة فِي كثير من العلوم من غَيْر استقلال، وَكَانَ يركب الْخَيْل، ويلبس السلاح، ويحضر الغزوات، وحجَّ مِرارًا.

توفِي سنة تسع وثمانين وستمائة، بمنزله بقاسيون، وصلَّى عَلَيْهِ ضحوة يَوْم الأربعاء خارج جامع الجبل، وحضره نائب السلطنة والأمراء والقضاة والأعيان، وَكَانَ عمره ثمانٍ وثلاثين سنة.[٢] ذيل الطبقات (٤/ ٢٣١-٢٣٣).

* **أَحْمَد بن عَبْد الحليم بن عَبْد السَّلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الحراني، ثُمَّ الدمشقي، الإِمَام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد، تقي الدين أَبُو الْعَبَّاس، شيخ الإِسْلام وعلم الأعلام، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره، والإسهاب فِي أمره.

ولد يَوْم الاثنين عاشر ربيع الأَوَّل سنة إحدى وستين وستمائة بحران.

---

(١) بهذه الصفات رفعه الله، ووضع له القبول والمحبة بين الناس.

(٢) انظر كيف قضى حياته في العلم والتعليم والجهاد، حتى قال عنه ابن رجب: شيخ الإسلام، ومع هذا مات قبل بلوغه سنّ الأربعين، فالإنسان لا يُقاس بعمره، بل بصدقه مع ربه وهمته في نفسه.

وقدم بِهِ والده وبإخوته إِلَى دمشق، عِنْدَ استيلاء التتر عَلَى البلاد، سنة سبع وستين وستمائة..

وعُني بالحَدِيث، وسمع المسند مرات، والكتب الستة، ومُعجم الطبراني الكبير، وَمَا لا يُحصى من الكتب والأجزاء، وقرأ بنفسه، وكتب بخطه جملة من الأجزاء، وأقبل عَلى العلوم فِي صِغَره، فأخذ الفقه والأصول عَن والده وعن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر والشيخ زين الدين بن المنجا رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، وبرع فِي ذَلِكَ، وناظر، وقرأ فِي العربية أيامًا عَلَى سُلَيْمَان بن عَبْدالقوي رَحِمَهُٱللَّهُ[1]، ثُمَّ أخذ كتاب سيبويه، فتأمله ففهمه.

وأقبَلَ عَلَى تفسير الْقُرآن الكريم، فبرز فِيهِ، وأحكم أصول الفقه، والفرائض، والحساب والجبر والمقابلة، وغير ذَلِكَ من العلوم، ونظر فِي علم الْكَلام والفلسفة، وبرز فِي ذَلِكَ عَلَى أهله، ورد عَلَى رؤسائهم وأكابرهم، ومهر فِي هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس، **وَلَهُ دُونَ العشرين سنة**، وأفتى من قبل العشرين أيضًا، وأمده الله بكثرة الكُتُب وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وبُطء النسيان، حَتَّى قَالَ غَيْر واحد: إنه لَمْ يكن يحفظ شَيْئًا فينساه.

قَالَ الذهبي رَحِمَهُٱللَّهُ فِي معجم شيوخه: أَحْمَد بن عَبْد الحليم -وساق نسبه-

(١) الطوفي (ولد بعد عام ٦٧٠، وتوفي عام ٧١٦)، قال الشيخ عبدالرحمن بن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ في حاشيته على الذيل: الطوفي من تلاميذ شيخ الإسلام، جاء في شرح مختصر الروضة له: «وقد صنّف شيخنا تقيّ الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ.. كتابا على بطلان المحلل»..

قال: لا مانع أن يستفيد كلّ واحد من الآخر من العلم الذي برع فيه، ولا شك أن الطوفي أكثر حاجة إلى علم الإمام منه. ا.هـ.

قلت: والطوفي أصغر من شيخ الإسلام بأكثر من تسعة أعوام، ومع ذلك قرأ عليه وتتلمذ عليه بالفن الذي يتقنه، وهذا هو ديدن العلماء الصادقين، حيث يستفيدون العلم من أهله ولو كانوا أصغر منهم سنا.

الحراني ثُمَّ الدمشقي، الحنبلي، أَبُو الْعَبَّاس تقي الدين، شيخنا وشيخ الإسلام، وفريد العصر علما ومعرفة، وشجاعة وذكاء، وتنويرًا إلهيًّا، وكرما ونصحا للأمة، وأمرا بالمعروف ونهيًا عَنِ المنكر، سمع الحَدِيث، وأكثر بنفسه من طلبه، وكتب وخرج، ونظر فِي الرجال والطبقات، وحصل مَا لَمْ يحصِّله غيره، برع فِي تفسير الْقُرْآن، وغاص فِي دقيق معانيه بطبع سيال، وخاطرٍ إِلَى مواقع الإشكال ميال، واستنبط منه أشياء لَمْ يُسبق إِلَيْهَا.

وبرع فِي الحَدِيث وحفظه، فقلَّ من يحفظ مَا يحفظه من الحَدِيث، معزوا إِلَى أصوله وصحابته، مَعَ شدة استحضاره له وقت إقامة الدليل، وفاق النَّاس فِي معرفة الفقه، واخْتِلاف المذاهب، وفتاوى الصَّحَابَة والتابعين، بحيث إنه إِذَا أفتى لَمْ يلتزم بمذهب، بَل يقوم بِمَا دليله عنده، وأتقن العربية أصولًا وفروعًا، وتعليلًا واخْتِلافًا.

ونظر فِي العقليات، وعرف أقوال المتكلمين، وَرَدَّ عَلَيْهِم، وَنبَّه عَلَى خطئهم، وحذَّر مِنْهُم، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين.

وأُوذي فِي ذَات الله من المخالفين، وأُخيف فِي نصر السنة المحضة، حَتَّى أعلى الله مَناره، وجمع قلوب أهل التقوى عَلَى محبته والدعاء لَهُ، وَكَبَتَ أعداءه، وهدى بِهِ رجالًا من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء عَلَى الانقياد له غالبًا، وعلى طاعته، أَحيى بِهِ الشام، بَل والإسلام، بَعْد أَن كاد ينثلم، بتثبيتِ أولي الأمر؛ لما أقبل حزب التتر والبغي فِي خيلائهم، فظُنت بالله الظنون، وزلزل المؤمنون، واشْرَأَب النفاق وأبدى صفحته.

ومحاسنه كثيرة، **وَهُوَ أكبر من أَن يُنَبه عَلَى سيرته مثلي، فلو حلفتُ بَيْنَ الركن والمقام لحلفت: إني مَا رأيت بعيني مثله، وأنه مَا رأى مثل نَفْسه.**

وَقَدْ قرأت بخط الشيخ العلامة شيخنا كمال الدين بن الزملكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مَا كتبه سنة بضع وتسعين تَحْتَ اسم (ابْن تيمية) كَانَ إِذَا سُئل عَن فن من العلم ظن الرائي والسامع: أَنَّهُ لا يعرف غير ذاك الفن، وحكم أَن أحدًا لا يعرفه مثله، وَكَانَ الْفُقَهَاء من سائر الطوائف إِذَا جالسوه استفادوا منه فِي مذهبهم أشياء، ولا يُعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع منه، ولا تكلم فِي علم من العلوم -سواء كَانَ من علوم الشرع أَوْ غيرها- إلا فاق فِيهِ أهله، واجتمعت فِيهِ شروط الاجتهاد عَلَى وجهها.

وَقَالَ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي معجمه المختصر: كَانَ إمامًا متبحرًا فِي علوم الديانة، صحيح الذهن، سريع الإِدراك، سيّال الفهم، كثير المحاسن، موصوفًا بفرط الشجاعة والكرم، فارغا عَن شهوات المأكل والملبس والجماع، لا لذة لَهُ فِي غَيْر نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه.

قلت -أي ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وقد عُرض عليه قضاء القضاة قبل التسعين، ومشيخة الشيوخ، فلم يقبل شَيْئًا من ذَلِكَ. قرأت ذَلِكَ بخطه.

قَالَ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكره أَبُو الفتح اليعمري الحافظ -يَعْنِي ابْن سيد النَّاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، فَقَالَ: أَلْفَيتُه ممن أدرك عن العلوم حظًّا، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظًا، إِن تكلم فِي التفسير فَهُوَ حامل رايته، وإن أفتى فِي الفقه فَهُوَ مدرك غايته، أَوْ ذاكر بالحَدِيث فَهُوَ صاحب علمه وذو روايته، أَوْ حاضَر بالنحل والملل لَمْ يرَ أوسع من نحلته، ولا أرفع من درايته.

برز فِي كُل فن عَلَى أبناء جنسه، وَلَمْ تر عينُ مَن رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نَفْسه.

وَقَدْ كتب الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تاريخه الكبير للشيخ ترجمه مطولة، وَقَالَ فِيهَا: وَلَهُ خبرة بالرجال، وجرحهم وتعديلهم، وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الْحَدِيث،

وبالعالي والنازل والصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونِه، فلا يبلغ أحد من العصر رتبته ولا يُقاربه، وَهُوَ عجيب فِي استحضاره، واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى فِي عزوه إِلَى الكتب الستة، والمسند، بحيث يصدق عَلَيْهِ أَن يقال: كُل حَدِيث لا يعرفه ابْن تيمية فليس بحَدِيث.

ولقد كَانَ عجيبًا فِي معرفة علم الْحَدِيث، فأما حفظه متون الصحاح وغالب متون السنن والمسند: فَمَا رأيت مَن يُدانيه فِي ذَلِكَ أصلًا.

قَالَ: وَأَمَّا التفسير فمسلَّمٌ إِلَيْهِ، وَلَهُ من استحضار الآيات من الْقُرْآن -وقت إقامة الدليل بِهَا عَلَى المسألة- قوة عجيبة، وإذا رآه المقرئ تحير فِيهِ، ولفرط إمامته فِي التفسير، وعظم اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين، ويُوهي أقوالًا عديدة، وينصر قولًا واحدًا، موافقا لما دل عَلَيْهِ الْقُرآن والحَدِيث، ويكتب فِي اليوم والليلة من التفسير، أو من الفقه، أو من الأصلين، أَوْ من الرد عَلَى الفلاسفة والأوائلَ: نحوا من أربعة كراريس أَوْ أزيد.

قلت -أي ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وَقَدْ كتب (الحموية) فِي قعدة واحدة، وَهِيَ أزيد من ذَلِكَ، وكتب فِي بَعْض الأحيان فِي اليوم مَا يبيض منه مجلد.

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فريد دهره فِي فَهْم الْقُرْآن، ومعرفة حقائق الإيمان، وَلَهُ يد طولى فِي الْكَلام عَلَى المعارف والأحوال، والتمييز بَيْنَ صحيح ذَلِكَ وسقيمه، ومعوجه وقويمه.

وَقَدْ كتب ابْن الزملكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بخطه عَلَى كتاب (إبطال التحليل) للشيخ ترجمة الكتاب واسم الشيخ، وترجم لَهُ ترجمة عظيمة، وأثنى عَلَيْهِ ثناء عظيمًا.

وكتب أيضًا تَحْتَ ذَلِكَ:

مــاذا يَقُــول الواصفــون لَــهُ وصفاتـه جلَّـتْ عَـنِ الحصـر

هُـوَ حجـة لِلَّـهِ قـاهـرة ... هُـوَ بيننـا أعجوبـة الدَّهـر

هـو آيـة للخَلـق ظاهـرة ... أنوارها أربت عَلَى الفجر

وللشيخ أثير الدين أَبِي حيان الأندلسي النحوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -لما دَخَلَ الشيخ مصر واجتمع بِهِ- ويقال: إِن أبا حيان لَمْ يقل أبياتًا خيرًا منها ولا أفحل:

لما رأينا تقي الدين لاح لنا ... داعٍ إِلَى الله فردًا ماله وزر

عَلَى محيَّاه من سيما الأُلى صحِبوا ... خير البرية نورٌ دونه القمر

حَبْر تسربل منه دهره حِبَرًا ... بحر تقاذفُ من أمواجه الدرر

قام ابْن تيمية فِي نصر شِرعتنا ... مقام سيد تَيْمٍ إِذْ عَصَتْ مُضر

فأظهر الدين إِذْ آثاره درست ... وأخمد الشرك إذ طارت لَهُ شرر

يا من تحدث عَن علم الكتاب أَصِخْ ... هَذَا الإِمام الذي قد كان ينتظر

وحكى الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنِ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ لَهُ -عِنْدَ اجتماعه بِهِ وسماعه لكلامه-: مَا كنت أظن أَن الله بقي يَخلق مثلك.

ومما وجد في كتاب كتبه العلامة قَاضِي القضاة أَبُو الْحَسَن السبكي إلى الحافظ عبدالله الذهبي فِي أمر الشيخ تقي الدين المذكور رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: أما قَوْل سيدي فِي الشيخ فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخارة بحره، وتوسعه فِي العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه فِي كُل من ذَلِكَ المبلغ الَّذِي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول دائمًا وقدره فِي نفسي أكبر من ذَلِكَ وأجل، مَعَ مَا جمعه الله لَهُ من الزهادة والورع والديانة، ونصرة الحق، والقيام فِيهِ لا لغرض سواه، وجريه عَلَى سنن السلف، وأخذه من ذَلِكَ بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله فِي هَذَا الزَّمَان، بَل من أزمان.

وَكَانَ الحافظ أَبُو الْحَجَّاج المزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يبالغ فِي تعظيم الشيخ والثناء عَلَيْهِ، حَتَّى كَانَ يَقُول: لم يُر مثله منذ أربعمائة سنة.

وبلغني من طريق صحيح عَنِ ابْن الزملكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَنَّهُ سُئل عَنِ الشيخ؟ فَقَالَ: لَمْ يُرَ من خمسمائة سنة.

وَكَذَلِكَ كَانَ أخوه الشيخ شرف الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبالغ فِي تعظيمه جدًا، وَكَذَلِكَ المِشايخ العارفون، كالقدوة أَبِي عبدالله مُحَمَّد بن قوام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويحكى عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُول: مَا أسلمت معارفنا إلا عَلَى يد ابْن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والشيخ عماد الدين الواسطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَانَ يعظمه جدًا، وتتلمذ لَهُ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ أسن منه، وَكَانَ يَقُول: قَدْ شارف مقام الأئمة الكبار، ويناسب قيامه في بعض الأمور: الصّدِّيقِين.

وكتب رسالة إِلَى خواص أَصْحَاب الشيخ يوصيهم بتعظيمه واحترامه، ويعرفهم حقوقه، ويذكر فِيهَا: أَنَّهُ طاف أعيان بلاد الإسلام، وَلَمْ يرَ فِيهَا مثل الشيخ علمًا وعملًا وحالًا وخلقًا واتباعًا، وكرمًا وحلمًا فِي حق نَفْسه، وقياما فِي حق الله تَعَالَى، عِنْدَ انتهاك حرماته، وأقسم عَلَى ذَلِكَ بالله ثَلاث مرات.

ثُمَّ قَالَ: أصدق النَّاس عقلًا، وأصحهم علمًا وعزمًا، وأنفذهم وأعلاهم فِي انتصار الحق وقيامه، وأسخاهم كفًّا، وأكملهم اتباعا لنبيه مُحَمَّد ﷺ.

مَا رأينا في عصرنا هَذَا من تُستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هَذَا الرجل، بحيث يشهد القلب الصحيح: أَن هَذَا هُوَ الاتباع حقيقة.

قَالَ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وغالب حطِّه عَلَى الفضلاء والمتزهدة فبِحق، وَفِي بعضه هُوَ مجتهد، ومذهبه توسعة العذر للخَلق، ولا يُكفِّر أحدًا إلا بَعْد قيام الحجة عَلَيْهِ.

قَالَ: ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السَّلفية، واحتج لَهَا ببراهين ومقدمات، وأمور لَمْ يُسبق إِلَيْهَا، وأطلق عباراتٍ أحجم عَنْهَا الأولون والآخرون وهابوا، وجَسَر هُوَ عَلَيْهَا، حَتَّى قام عَلَيْهِ خلقٌ مِن علماء مصر والشام قياما لا مزيد عَلَيْهِ، وبدَّعوه وناظروه وكابروه، وَهُوَ ثابتٌ لا يُداهِن ولا يُحابي، بَل يَقُول الحق المرَّ الَّذِي أدَّاه إِلَيْهِ اجتهاده، وحدَّة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال، مَعَ مَا اشتُهر عَنْهُ من الورع، وكمال الفكر، وسرعة الإدراك، والخوف من الله، والتعظيم لحرمات الله.

فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قَدْ رموه عَن قوس واحدة، فينجيه الله، **فَإِنَّهُ دائم الابتهال**، كثير الاستغاثة، والاستعانة بِهِ، قوي التوكل، ثابت الجأش، لَهُ أوراد وأذكار يُدْمنها بكيفية وجمعية[١].

وَلَهُ من الطرف الآخر مُحبّون من الْعُلَمَاء والصلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحبه؛ لأنه منتصب لنفعهم ليلًا ونهارًا، بلسانه وقلمه.[٢].

وَأَمَّا شجاعته: فبها تضرب الأمثال، وببَعْضهَا يتشبه أكابر الأبطال، ولقد أقامه الله تَعَالَى فِي نوبة قازان، والْتقى أعباء الأمر بنفسه، وقام وقعد وطلع، ودخل وخرج، واجتمع بالملك (يَعْنِي قازان) مرتين، و(بقَطْلوشا)، و(بُولاي)، وكان (قبجق)[٣] يتعجب من إقدامه وجراءته عَلَى المغول.

---

(١) وهي أن يجمع قلبه حال ذكرها بخشوع وتدبر وتفكر.

(٢) فنفع الناس بالعلم والمال والجاه والقيام على شؤونهم يجلب مودّتهم، ويغرس الحبّ والتعظيم في قلوبهم.

(٣) قازان: ملك التتار، واسمه محمود بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولى بن جنكيز خان، تولى الملك على التتار سنة ٦٩٤هـ.

بقَطْلوشاه: نائب قازان، وهو من التتر. =

وَلَهُ حدة قوية تعتريه فِي البحث، حَتَّى كَأَنَّهُ ليثٌ حَرِب، وَهُوَ أكبر من أَن ينبِّه مثلي عَلَى نعوته.

وفيه قلة مداراة، وعدم تؤدة غالبًا، والله يغفر لَهُ.

وَلَهُ إقدام وشهامة، وقوة نفس توقِعه فِي أمور صعبة، فيدفع الله عَنْهُ.

وَلَهُ نظمٌ قليل وسط، وَلَم يتزوج، ولا تسرَّى، ولا لَهُ من المعلوم إلا شَيْء قليل، وأخوه يقوم بمصالحه، ولا يطلب مِنْهُم غذاء ولا عشاء فِي غالب الوقت.

وَمَا رأيت فِي العالم أكرم منه، ولا أفرغ منه عَنِ الدينار والدرهم، لا يذكره، ولا أظنه يدور فِي ذهنه.

وفيه مروءة، وقيام مَعَ أَصْحَابه، وسعي فِي مصالحهم، وهو فقير لا مال لَهُ. وملبوسه كآحاد الْفُقَهَاء: عمامة تكون قيمة ثلاثين درهمًا، ومداس ضعيف الثمن، وشعره مقصوص.

وَهُوَ رَبْع القامة، بعيد مَا بَيْنَ المنكبين، كأن عينيه لسانان ناطقان، ويصلي بالناس صلاة لا تكون أطول من ركوعها وسجود.

وربما قام لمن يجيء من سفر أَوْ غاب عَنْهُ، وإذا جاء فربما يقومون لَهُ، الكل عنده سواء، كَأَنَّهُ فارغ من هذه الرسوم، وَلَمْ ينحنِ لأحدٍ قط، وإنما يسلم ويصافح ويبتسم.

وَقَدْ يعظم جليسه مرة، ويهينه فِي المحاورة مرات.

قلت -أي ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وَقَد سافر الشيخ مرةً عَلَى البريد إِلَى الديار

= بُولاي: من أمراء التتر الذين عاثوا في الأرض فسادًا بعد وقعة قازان.

قبجق: هو الأمير سيف الدين قبجق المنصوري نائب السلطان على دمشق سنة ٦٩٦هـ، فرّ إلى المغول ولحق بهم في أيام (لاجين) خوفًا منه بعد وقعة قازان ودخول التتر دمشق، فجعله قازان نائبًا له على الشام.

المصرية يستنفر السلطان عِنْدَ مجيء التتر سنةً من السنين، وتلا عَلَيْهِم آيات الجهاد، وَقَالَ: إِن تخليتم عن الشام ونصرة أهله، والذبِّ عَنْهُم، فَإِن الله تَعَالَى يقيم لهم من ينصرهم غيركم، ويستبدل بكم سواكم، وتلا قَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد:٣٨]، وقوله تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وبلغ ذَلِكَ الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وَكَانَ هُوَ الْقَاضِي حينئذ- فاستحسن ذَلِكَ، وأعجبه هَذَا الاستنباط، وتعجب من مواجهة الشيخ للسلطان بمثل هَذَا الْكَلام.

وَأَمَّا مِحَنُ الشيخ: فكثيرة، وشرحها يطول جدًّا.

ذكر وفاته: مكث الشيخ فِي القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إِلَى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين، ثُمَّ مرض بضعة وعشرين يومًا، وَلَمْ يعلم أَكْثَر النَّاس بمرضه، وَلَمْ يفجأهم إلا موته.

وكانت وفاته فِي سحر ليلة الاثنين عشرين ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وذكر مؤذن القلعة عَلَى منارة الجامع، وتكلم بِهِ الحرس عَلَى الأبراج، فتسامع النَّاس بِذَلِكَ، وبعضهم أُعلم بِهِ فِي منامه، وأصبح النَّاس واجتمعوا حول القلعة حَتَّى أهل الغوطة والمرج، وَلَمْ يطبخ أهل الأسواق شَيْئًا، ولا فتحوا كثيرا من الدكاكين الَّتِي من شأنها أَن تفتح أول النهار، وفُتح بَاب القلعة.

وَكَانَ نائب السلطنة غائبًا عَنِ البلد، فجاء الصاحب إِلَى نائب القلعة، فعزاه بِهِ وجلس عنده، واجتمع عِنْدَ الشيخ فِي القلعة خلقٌ كثير من أَصْحَابه، يبكون ويثنون، وأخبرهم أخوه زين الدين عبدالرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَنَّهُ ختم هُوَ والشيخ منذ

دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعا فِي الحادية والثمانين، فانتهيا إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

وخرج الرجال، ودخل النِّسَاء من أقارب الشيخ، فشاهدوه ثُمَّ خرجوا، واقتصروا عَلَى من يغسله، ويساعد عَلَى تغسيله، وكانوا جَمَاعَة من أكابر الصالحين وأهل العلم، كالمزي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره، وَلَمْ يفرغ من غسله حَتَّى امتلأت القلعة بالرجال وَمَا حولها إِلَى الجامع، فصَلَّى عَلَيْهِ بدركات القلعة: الزاهد القدوة مُحَمَّد بن تمام رَحِمَهُ اللَّهُ، وضج النَّاس حينئذ بالبكاء والثناء، وبالدعاء والترحُّم.

وأُخرج الشيخ إِلَى جامع دمشق فِي الساعة الرابعة أَوْ نحوها، وَكَانَ قَد امتلأ الجامع وصحنه، والكلّاسة، وباب البريد، وباب الساعات إِلَى الميادين والفوارة.

وَكَانَ الجمع أَعْظَم من جمع الجمعة، ووُضع الشيخ فِي موضع الجنائز، مِمَّا يلي المقصورة، والجند يحفظون الجنازة من الزحام، وجلس النَّاس عَلَى غَيْر صفوف. بَل مرصوصين، لا يتمكن أحد من الجلوس والسجود إلا بكلفة، وكثر النَّاس كثرةً لا توصف.

فلما أذن المؤذن الظهر أقيمت الصلاة عَلَى السدة، بخلاف العادة، وصلوا الظهر، ثُمَّ صلوا عَلَى الشيخ.

ثُمَّ ساروا بِهِ والناس فِي بكاء ودعاء وثناء، وتهليل وتأسف، والنساء فَوْقَ الأسطحة من هناك إِلَى المقبرة يدعين ويبكين أيضًا، **وكان يومًا مشهودًا، لم يعهد بدمشق مثله**، وَلَمْ يتخلف من أهل البلد وحواضره إلا القليل من الضعفاء والمخدَّرات، وصرخ صارخ: **هكذا تكون جنائز أئمة أهل السنة.** فبكى النَّاس بكاء كثيرًا عِنْدَ ذَلِكَ.

وأخرج من بَاب البريد، واشتد الزحام، وصار النعش على الرؤوس، يتقدم

تارة، ويتأخر أُخْرَى، وخرج الناس من أبواب الجامع كلها وَهِيَ مزدحمة، ثُمَّ من أبواب الْمَدِينَة كلها.

ودُفن وقت العصر أَوْ قبلها بيسير، إِلَى جانب أخيه شرف الدين عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بمقابر الصوفية، وحُزر الرجال: بستين ألفًا وأكثر، إِلَى مائتي ألف، والنساء بخمسة عشر ألف، وظهر بِذَلِكَ قَوْل الإمام أَحْمَد: (بيننا وبين أهل البدع يَوْم الجنائز).

وختم لَهُ ختمات كثيرة بالصالحية والمدينة، وتردَّد النَّاس إِلَى زيارة قبره أيامًا كثيرة، ليلًا ونهارا، ورُئِيَت لَهُ منامات كثيرة صالحة.

ورثاه خلقٌ كثير من العلماء والشعراء بقصائد كثيرة من بلدانٍ شتى، وأقطار متباعدة، وتأسف المسلمون لفقده، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ورحمه وغفر لَهُ.

وصُلِّيَ عَلَيْهِ صلاة الغائب فِي غالب بلاد الإسلام القريبة والبعيدة، حَتَّى فِي اليمن والصين، وأخبر المسافرون: أَنَّهُ نودي بأقصى الصين للصلاة عَلَيْهِ يَوْم جمعة: (الصلاة عَلَى ترجمان الْقُرْآن). ذيل الطبقات (٤/ ٤٩١ - ٥٢٩).

وَلَهُ -أي ابن إلْمَى التركي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قصيدة حسنة طويلة فِي مدح **الشيخ تقي الدين ابْن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **منها:**

وَقَدْ علم الرحمن أَن زماننا ... تشعب فِيهِ الرأي أي تشعب

فجاء بحبر عالم من سَراتهم ... بسبع مئين بَعْد هجرة يثرب

يقيم قناة الدين بَعْد اعوجاجها ... وينقذها من قبضة المتعصب

فذاك فتى تيمية خير سيد ... نجيب أتانا من سلالة منجب

عليم بأدواء النفوس يسوسها ... بحكمته فِعْلَ الطبيب المجرب

بعيدٌ عن الفحشاء والبغي والأذى ... قريبٌ إلى أهل التقى ذو تحبُّب

يـرى نصْـرةَ الإسـلام أكـرم مغنـم | وإظهـارَ ديـن الله أربـحَ مكسـب
وكم قَدْ غـدا بالفعل والقول مبطلا | ضلالـة كـذاب ورأيَ مكـذِّب
وَلَـمْ يلـقَ مـن أعـداه غَيْـر منافـق | وآخـر عَـن نهـج السـبيل منكِّـب
وليس لَـهُ فِي الزهـد والعلم مشبه | سِوَى الْحَسَن البصري وابن الْمُسَيِّب

ذيل الطبقات (٥/ ١٧ – ١٩).

* وقَالَ الحافظ الضياء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعتُ أبا سُلَيْمَان بن الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُول: سمعتُ بَعْض أهلنا يَقُول: إن **الحافظ عَبدالغني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٠٠)[1] سُئِل: لَمْ لا تقرأ الأحاديث من غَيْر كتاب؟ فقَالَ: **إنني أخاف العُجب.**

وَقَالَ: كَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجتهدًا عَلَى طلب الْحَدِيث، وسماعه لِلنَّاسِ من قريب وغريب، فكان كُل غريب يَأْتِي يسمع عَلَيْهِ، أَوْ **يعرف أَنَّهُ يطلب الْحَدِيث يُكرمه** ويبره، ويُحسن إِلَيْهِ إحسانًا كثيرًا..

قَالَ: وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرأ الْحَدِيث يَوْم الجمعة بَعْد الصلاة بجامع دمشق، وليلة الخميس بالجامع أيضًا ويجتمع خلق كثير، وَكَانَ يقرأ ويَبكي، ويُبكي الناس بكاءً كثيرًا..

وكَانَ شيخنا الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **لا يكادُ يُضيّع شَيْئًا من زمانه بلا فائدة**؛ فإنه كان يُصلي الفجر، ويُلقِّن النَّاس الْقُرْآن، وربما أقرأ شَيْئًا من الْحَدِيث، فَقَدْ حفِظنا منه أحاديث جمَّة تلقينا، ثُمَّ يقوم يتوضأ، فيصلي ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إِلَى قبل وقت الظهر، ثُمَّ ينامُ نومةً يسيرة إِلَى وقت الظهر، ويشتغل إمَّا للتسميع بالحَدِيث، أَوْ بالنسخ إِلَى المغرب، فَإِن كَانَ صائما أفطر بَعْد المغرب، وإن كَانَ

(١) عَبدالغني بن عبدالواحد المقدسي، الحافظ الزاهد أَبُو مُحمَّد، صاحب كتاب «عمدة الأحكام» و«الكمال في أسماء الرجال» وغيرهما.

مُفطِرًا صلى من المغرب إِلَى عِشاء الآخرة، فَإِذَا صلَّى العِشاء الآخرة، نام إِلَى نصف الليل أَوْ بعده، ثُمَّ قام كأن إِنْسَانا يوقِظه..

وَكَانَ يَستعمل السواك كثيرًا، حَتَّى كأن أسنانه البرد..

وَكَانَ **لا يَرى منكرًا إلا غيَّره بيده أَو لسانه**، وكَانَ **لا تأخذه في الله لومة لائم،** ولقد رأيته مرة يهريق خمرًا، فجَبذ صاحبُه السَّيْف، فلم يخف من ذَلِكَ وأخذه من يده.

وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ قويًّا فِي بدنه، وَفِي أمر الله، وكثيرا مَا كَانَ بدمشق يُنكر المنكر، ويكسر الطنابير والشبابات..

وذكر غَيْر واحد: أَنَّهُ وقع بمصر غَلاء وَهُوَ بها، فكان يؤثر بعشائه عِدة ليالي ويطوي.

قَالَ: وَقَالَ لي أَبُو الفتح ولده: والدي يعطي النَّاس الكثير، ونحن لا يبعث إلينا شَيْئًا.

وسمعته يَقُول: أبلغ مَا سأل العبد ربه ثلاثة أشياء: رضوان الله عَزَّوَجَلَّ، والنظر إِلَى وجهه الكريم، والفِردوس الأعلى.

وسمعت أبا مُحَمَّد عبدالرحمن بن إِبرَاهِيم المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: سألتُ الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقُلتُ: هَؤُلاءِ المشايخ يُحْكَى عَنْهُم من الكرامات مَا لا يُحكى عَنِ الْعُلَمَاء، إيش السبب في هذا؟.

فَقَالَ: اشتغال الْعُلَمَاء بالعلم كرامات كثيرة، أَوْ قَالَ: **تُريد للعلماء كرامة أفضل مِن اشتغالهم بالعلم؟!** ذيل الطبقات (٣/ ١ - ٢١).

* **محمود بن عَلِي بن عَبْد الولي البعلي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٤)، الفقيه الفَرَضي، ولد في حدود السبعمائة، وَسَمِعَ الْحَدِيث من جمَاعَة، وتفقَّه على الشيخ مجد

الدين الحراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبرع فِي الفرائض والوصايا، والجبر والمقابلة.

وَكَانَ قيّما بنقل المذهب، واستحضار أَكْثَر المسائل، فقيها مفتيًا، خيِّرا ديّنًا، وَكَانَ متواضعًا متوددًا، ملازمًا للأشغال، حريصًا عَلَى إفادة الطلبة، بارًا بِهِمْ، محسنًا إليهم.(١).

وحدثني بَعْض أَصْحَابه أَنَّهُ رآه فِي النوم بَعْد وفاته فَقَالَ لَهُ: أين أنت؟.

قال: لي أَيَّام هبطتُ إِلَى الفردوس.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فأين كنت قبلها؟.

قال: في الضيافة. ذيل الطبقات (٥/ ١٢٣- ١٢٧).

* مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر الزرعي، ثُمَّ الدمشقي الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف، شمس الدين **أَبُو عبدالله ابْن قيم الجوزية** شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة، تفقَّه فِي المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأخذ عَنْهُ، وتفنَّنَ فِي علوم الإسلام، وَكَانَ عارفًا بالتفسير لا يُجارى فِيهِ، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى، والحَدِيث ومعانيه وفِقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يُلحق فِي ذَلِكَ، وبالفقه وأصوله وبالعربية، وَلَهُ فِيهَا اليد الطولى، وتعلَّم الْكَلام والنحو وغير ذَلِكَ، وكان عالمًا بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم، ودقائقهم، لَهُ فِي كُل فنٍّ من هذه الفنون اليد الطولى..

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا عبادة وتهجّد، وطول صلاة إِلَى الغاية القصوى، وتألّه ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة، والإنابة والاستغفار، والافتقار إِلَى اللَّه، والانكسار لَهُ، والإطراح بَيْنَ يديه عَلَى عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله فِي ذَلِكَ، ولا رأيت

(١) ما أجمل أن يتحلى الشيخ بهذه الأخلاق العظيمة، والصفات النبيلة، التي تحبب الطلبة به وبالعلم.

أوسع منه علمًا، ولا أعرف بمعاني الْقُرْآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هُوَ المعصوم، ولكن لَم أرَ فِي معناه مثله.

وقد امتحن وأوذي مرات، وحُبِس مَعَ الشيخ تقي الدين فِي المرة الأخيرة بالقلعة، منفردًا عَنْهُ، وَلَمْ يُفرج عَنْهُ إلا بَعْد موت الشيخ.

وَكَانَ فِي مدة حبسه مشتغلًا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففُتح عَلَيْهِ من ذَلِكَ خير كثير، وحصل لَهُ جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذَلِكَ عَلَى الْكَلام فِي علوم أهل المعارف، والدخول فِي غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بِذَلِكَ، وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وَكَانَ أهل مَكَّة يذكرون عَنْهُ من شدة العبادة، وكثرة الطواف أمرًا يُتعجب منه.

ولازمتُ مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعتُ عَلَيْهِ (قصيدته النونية الطويلة) وأشياء من تصانيفه، وغيرها.

وأخذ عَنْهُ العلم خلق كثير من حياة شيخه وإلى أَن مَات، وانتفعوا بِهِ، وَكَانَ الفضلاء يعظمونه، ويتتلمذون لَهُ، كابن عَبْدالهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره.

وَقَالَ الْقَاضِي برهان الدين الزرعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْهُ: مَا تَحْتَ أديم السماء أوسع علمًا منه، ودرس بالصدرية، وأَمَّ بالجوزية مدة طويلة، وكَتَبَ بخطه ما لا يوصف كثرة.

وصنف تصانيف كثيرة جدًا فِي أنواع العلم، وَكَانَ شديد المحبة للعلم، وكتابته ومطالعته وتصنيفه، واقتناء الكتب، واقتنى من الكتب مَا لَم يحصل لغيره..

توفى رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، وشيَّعه خلق كثير، ورئيت لَهُ منامات كثيرة حسنة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَكَانَ قَدْ رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي النوم، وسأله عَن منزلته؟ فأشار إِلَى علوها فَوْقَ بَعْض الأكابر.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: وأنت كدتَ تلحق بنا، ولكن أَنْتَ الآن فِي طبقة ابْن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ذيل الطبقات (٥/ ١٧٠- ١٧٦).

* وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): **قطب الدّين عبد الكريم الحلبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٣٥): مغبوطٌ بالخير، والتواضع، وحسن الأخلاق، وملازمة الاشتغال، وكثرة التصنيف.[1] معرفة القراء (٣/ ١٤٧٩).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **المجد التونسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧١٧) موصوفًا بصحة الذهن، وقوة الذكاء، مع التَّصون والسكينة، والسَّمْت الحسن، والانقباض عن المخالطة، وحسن العقيدة والنسك. معرفة القراء (٣/ ١٤٧٩).

* **مجد الدَّين مُحَمَّد بن يَعْقُوب الشِّيرَازِيّ الفيروز أبادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨١٧)، القَاضِي إِمَام عصره فِي اللُّغَة آخر من مَاتَ من الرؤساء الَّذين انْفَرد كلٌّ مِنْهُم بفنٍّ فاق فِيهِ أقرانه على رَأس الْقرن الثَّامِن، وهم:

١- الشَّيْخ سراج الدِّين البُلْقِينِيّ فِي الْفِقْه على مَذْهَب الشَّافِعِي.

٢- وَالشَّيْخ زين الدَّين الْعِرَاقِيّ فِي الحَدِيث.

٣- وَالشَّيْخ سراج الدَّين ابْن الملقن فِي كَثْرَة التصانيف فِي فني الْفِقْه والْحَدِيث.

٤- وَالشَّيْخ شمس الدَّين الغماري فِي الْعَرَبيَّة.

٥- وَالشَّيْخ أَبُو عبدالله بن عَرَفَة فِي فقه الْمَالِكِيَّة وَفِي سَائِر الْعُلُوم بالمغرب.

٦- وَالشَّيْخ مجد الدَّين الشِّيرَازِيّ فِي اللُّغَة.

رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٢٩٨).

* وقال الشيخ عبد الله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّنا لا ننكر ما بلغه الشيخ **محمد بن**

(١) حُقّ له أن يغبطه على هذه الخصال العظيمة، والإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مغبوطٌ كذلك على تحلّيه بهذه الخصال وغيرها، نسأل الله من فضله.

عبدالله بن فيروز (ت: ١٢١٦)[1] من سَعَة العلم وقوة الحفظ وكثرة الاطلاع، ولا ننكر أنَّه بلغ من الشهرة والزعامة مبلغًا بعيدًا وصل به إلى مُكاتَبة السلطان محمود خان، وأنَّ السلطان كان يُقدِّر ويعتقد فيه، وأنَّه قام بالتعليم والتدريس بجِدٍّ ونشاط وهمَّة حتى تخرَّجت عليه الأفواج العديدة من العلماء الكبار، كلُّ هذا صحيح وأكثر منه أيضًا، وإنما الذي ننكره ونأخذه عليه هو مُعادّاته الشديدة للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومحاربته لدعوته برسائله وقصائده وأجوبته، حتى صار لهذه الدعوة مِن ألَدِّ الخصوم!!.

إنَّها دعوة صحيحة صريحة واضحة، وإنَّ حقيقتها الرجوع بالإسلام إلى جِدته وتنقيته من الشرك والبدع وتصفيته من أكدارها، وإنَّ محمد بن فيروز لو ترك التعصب والهوى ورجع إلى نفسه وعِلمه لعَلِمَ ذلك؛ لأنَّ هذا لا يخفى على من هو أقل منه علمًا ودراية. علماء نجد (٦/ ١٩٩).

* وقال **الجلال السيوطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩١١): وكان محبّ الدين ابن هشام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٩) أوحد عصره في تحقيق النحو، سمعت شيخنا عَلَم الدين البُلقيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: كان والدي يقول: هو أنحى من أبيه.

أقول: أما قوله: «أنحى من أبيه» فهي مبالغة مردودة.[2] السحب الوابلة

(١) هو من ألدّ أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته المباركة، وظل يُحارب بلسانه وبيانه الدعوة السلفية وأهلها، وصار يكاتب السلطان في إستانبول ومشيخة الإسلام حتى عجز. [علماء نجد خلال ثمانية قرون (٦/ ١٩٤)].

(٢) قال الدكتور عبد الرحمن العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صدق الشيخ ابن حميد -رحمةُ الله عليه-، فلا يُمكن أن يكون أنحى من أبيه؛ لأنّ أباه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصل إلى درجة التحقيق والاجتهاد في النحو. فرحم الله ابن حميد الذي ردّ على هذه المقولة وتنبّه لها. ا.هـ.

قلت: تأمل إلى إنصافه وعدله، فقد أثنى هنا عليه حينما قال حقّا، وردّ عليه وفندّ أقواله في مواضع من كتابه حينما افترى على إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودعوته، ولَمَزه=

(٣/ ٩٨٨-٩٨٩).

* وكان **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) يقول: هذا المذهب -أي الحنبلي- إنما ظلَمَه أصحابه؛ لأن **أصحاب أبي حنيفة والشافعي** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ إذا برع واحد منهم في العلم تولى القضاء وغيره من الولايات، فكانت الولاية لتدريسه واشتغاله بالعلم، فأما **أصحاب أحمد** فإنه قل فيهم من تعلق بطرفٍ من العلم إلا ويخرجه ذلك إلى التعبد والتزهد لغلبة الخير على القوم، فينقطعون عن التشاغل بالعلم.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان مع ذلك -أي ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يتكلَّمُ كثيرًا بلسان الاجتهاد والترجيح، واتباع الدليل الذي يظهر له ويقول: الواجبُ اتباع الدليل، لا اتباع أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان يخونه قلة بضاعته في الحديث، فلو كان متضلعا من الحديث والآثار، ومتوسعا في علومهما لكملتْ له أدوات الاجتهاد.

وكان اجتماعه بأَبِي بَكْرٍ الخطيب، ومن كان في وقته من أئمة الحفاظ، كأبي نصر بن ماكولا، والحميدي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وغيرهم، أولى وأنفع له من الاجتماع بابن الوليد وابن التبان، وتركُه لمجالسة مثل هؤلاء هو الذي حرمه علمًا نافعًا في الحقيقة، ولكن الكمال لله. ذيل الطبقات (١/ ٣٢٤-٣٥٤).

* وقرأ **ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٧) بواسط وهو ابن ثمانين سنة بالعشر على ابن الباقلاني، وتلا معه ولده يوسف. طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٧٩).

* وكان أبو **إسماعيل الأنصاري الهروي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١) إذا حَضَر المجلس لبِس الثياب الفاخرة، وركب الدواب الثمينة، والمراكب المعروفة،

= وطعنه عليه، وصدق الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

وتكلَّف غاية التَّكلّف، ويقول: إنما أفعلُ هذا إعزازًا للدِّين، ورغمًا لأعدائه، حتى ينظروا إلى عزِّي وتجمُّلي، **فيرغبوا في الإسلام إذا رأوا عِزَّه**، ثم إذا انصرف إلى بيته عاد إلى المرقعة والقُعود مع الصوفية، يأكل معهم ما يأكلون، ويلبسُ ما يلبسون، ولا يتميَّز في المطعوم والملبوس عن آحادهم. ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

* وكان الشيخ **عبدالله بن محمد الدويش** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠٨) ليِّنًا من غير ضعف، سمحا كريما حليما محبوبا، متقرّبا للطالبين والفقراء والمساكين، صبورا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يخاف في الله لومة لائم، معرضا عن القيل والقال، سالكا أهدى سبيل بقدر طاقته، دائم الصمت إلا فيما يعنيه، قليل الكلام، حسن السمت، دائم البشر مبتسمًا. علماء نجد (٤/ ٣٠١).

ط- فضل أصحاب الحديث:

* قال سحنون رَحِمَهُ اللَّهُ: كان **مالكُ بن أنس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩) معلمَ عبدالرحمن ابن القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩١) في العلم، وكان معلمُه في العبادة **سليمانَ بنَ القاسم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٣)[1].

وقال ابن القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: رجلان أقتدي بهما في ديني: سليمان بن القاسم في الورع، ومالك بن أنس في العلم.[2] ترتيب المدارك (١/ ٤٧٣).

* وقال الأصمعي رَحِمَهُ اللَّهُ: رأيت **محمد بن إدريس الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤)، فرأيت فقيهًا عالمًا حسن المعرفة، عذب اللسان، يحتج ويعرف، ولا

---

(١) أبو الربيع الجمحي، المصري الزاهد، أحد السادة الأولياء. [تاريخ الإسلام (٤/ ٣٩٩)

(٢) كان السلف يأخذون العبادة والورع والزهد من أهله، ويتعلّمونه كما يتعلّمون العلم، ولمّا قلّ وندر هذا الصنف في هذا الزمان كان لابدّ من كثرة القراءة في سير هؤلاء العُبّاد الزهاد، والقراءة في كتب الرقائق والسلوك، حتى يرق قلب المؤمن بسماع أخبارهم، ويصلح حاله بتأمل أحوالهم، فيسلك سبيلهم، ويقتفي آثارهم.

يَحْسُن إلا لصدر سرير، أو ذروة منبر، وما علمت أني أفدته حرفًا، فضلًا عن غيره، ولقد استفدت منه ما لو حفظ رجلٌ يسيرَه هكذا لكان عالمًا.(١) ترتيب المدارك (١/ ٤٢٥، ٤٢٧).

* وقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لِابْنِهِ عبدالله: أَفِدْ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ وَأَكْرِمْهُمْ؛ فَإِنَّ **إِبْرَاهِيمَ بن بَكْرِ بن عَيَّاشٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) لَمْ يَكُنْ يُفِيدُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ، وَيَجْفُوهُمْ فَلَمْ يُفْلِحْ. الآداب الشرعية ٢/ ٧٧.

* وسُئِل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا عبدالله أيهما أحب إليك: الرجل يكتب الحديث أو يصوم ويصلي؟ قال: يكتب الحديث.

قيل: فمن أين فضَّلت كتاب الحديث على الصوم والصلاة؟ قال: لئلا يقول قائل: إني رأيت قومًا على شيء فاتَّبعتهم.(٢)

* وقال بديل بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلت أنا وإبراهيم بن سعيد الجوهري عَلَى **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) فِي اليوم الذي مات فيه أو مات فِي تلك الليلة التي تستقبل ذلك اليوم، قَالَ: فجعل أَحْمَد يقول لنا: **عليكم بالسُّنة**، عليكم

---

(١) الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من نوادر الرجال، وقد وهبه الله قوة في الحفظ، فقد حفظ القرآن دون سن السابعة، وحفظ الموطأ خلال أسبوع، وقد طُبع على العربية وفهمها منذ صغره، ثم عكف يدرس عند الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم يكن يقلد أحدا، بل جعل يتأمل من النصوص، ويستعين على فهمها بالله أولا ثم بالعربية التي كان مرجعا فيها، فلذلك جاء بما يُبهر العلماء، ويُذعن لفضله الفقهاء، ويسلّم لإمامته الفضلاء.
ولم يكن في تلاميذ الإمام مالك من عنده ما عند الشافعي، فذلك كان الغالب عليهم تقليده والرجوع إلى فتاويه.
ولعل من حكمة الله في أنه لم يُمدّ في عمره، ليستلم قيادة الأمة وريادة العلم وإمامة الدين تلميذُه الإمام أحمد، ويواجه المحنة، لتكون سببا في رفعته واجتماع الأمة عليه.
فرحم الله علماء الأمة، ووفقنا للسير على خطاهم، والثبات على نهجهم.

(٢) أي: لئلا يكون إمّعة يتّبع ما كان عليه آباؤه وأجداده.

بالأثر، عليكم بالحديث، لا تكتبوا رأي فلان ورأي فلان، فسمى أصحاب الرأي. طبقات الحنابلة (١/ ٣٢٦).

* وقال إِبْرَاهِيم الحربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل شيء أقول لكم: هذا قول أصحاب الحديث: فهو قول **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هو أَلْقى فِي قلوبنا منذ كنا غلمانا اتِّباع حديث النَّبِيّ ﷺ، وأقاويل الصحابة، والاقتداء بالتابعين. طبقات الحنابلة (١/ ٢٣٤).

* وقال **الخطيب البغدادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٣): طلب الحديث في هذا الزمان أفضل من سائر أنواع التطوع؛ لأجل دروس السنن وخمولها، وظهور البدع واستعلاء أهلها. شرف أصحاب الحديث: ٨٦.

* وقال **بعض السلف**: ما أحدٌ من أهل العلم إلا وفي وجهه نضرة؛ لقول النبي ﷺ: «نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمع».[١] المجالسة وجواهر العلم (٣٥).

* وقال أبو عبدالله الحاكم النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت **أبا بكر النيسابوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٤٢) وهو يخاطب فقيها، فقال: حدَّثُونا عن سليمان بن حرب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: دعنا من حدَّثنا، إلى متى حدَّثنا وأنبأنا؟.

فقال: يا هذا لست أشمُّ من كلامك رائحةَ الإيمان، فلا يحل لك أن تدخل داري، ثم هجره حتى مات. طبقات الشافعيين (١/ ٢٢٣).

* وكان **أبو إسماعيل الأنصاري الهروي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١) يدخل عليه الجبابرة والأمراء، **فما كان يبالي بهم**، ويرى بعض أصحاب الحديث من الغُرَباء **فيُكرمه إكرامًا** يَعجب منه الخاصُ والعام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.[٢] ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٣٣٤٩) وصححه محققو المسند، والترمذي (٢٦٥٧) وصححه.

(٢) هكذا هم الصادقون، وقد عكس هذه الصفة بعض الناس، فأصبح يبالغ في إكرام الوجهاء والأغنياء ويبشّ في وجوههم، ويجفو الفقراء والضعفاء ولا يكاد يبش في وجوههم.

* ومن شعر **جعفر بن محمد السراج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٠٠):

لله درُّ عصابة	يسعون في طلب الفوائد
يُدْعَون أصحاب الحديـ	ـث بهم تجمَّلت المشاهد
يتتبَّعون من العلو	م بكلّ أرض كلَّ شارد
فهمُ النجوم الْمُهتَدى	بهمُ إلى سُبُل المقاصد

ذيل الطبقات (١/ ٢٤٠).

* وكان **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) من أفاضل العالم، وأذكياء بني آدم، مُفرط الذكاء، متسع الدائرة في العلوم، وكان خبيرا بالكلام، مطلعا على مذاهب المتكلمين، وله بعد ذلك في ذم الكلام وأهله شيء كثير، كما ذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره عنه أنه قَالَ: **أنا أقطع أن الصحابة ماتوا، ما عرفوا الجوهر والعَرَضَ،** فإن رضيتَ أن تكون مثلهم فكُن، وإنْ رأيتَ أنَّ طريقة المتكلمين أولى مِن طريقة أَبِي بَكْرٍ وعُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فبئس ما رأيتَ.

وذُكِر عنه أنه قَالَ: لقد بالغتُ في الأصول طول عمري، ثم عدتُ القَهقَرى إلى مذهب المكتب.[1].

وقرأتُ بخط الحافظ أبي محمد البرزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: قرأتُ بخط الحافظ ضياء الدين المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كتب بعضُهم إلى **أبي الوفاء بن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول له: صِف لي أصحابَ الإمام أحمد على ما عرفتَ من الإنصاف.

فكتبَ إليه يقول:

١- هُم قوْم خُشُنٌ.

٢- تقَلّصتْ أخلاقهم عن المخالطة، وغلظت طباعهم عن المداخلة.

---

(١) يقصد أنه رجعَ بعد طول البحث في علم الكلام إلى مذهب الذين يكتبون الحديث ويشتغلون به.

٣- وغلبَ عليهم الجدّ، وقلَّ عندهم الهزل.

٤- وعزبتْ نفوسهم عن ذل المراءاة.

٥- وفزعوا عن الآراء إلى الروايات، وتمسكوا بالظاهر تحرجًا عن التأويل.

٦- وغلبت عليهم الأعمال الصالحة، فلم يُدقّقوا في العلوم الغامضة، بل دقَّقوا في الوَرَع، وأخذوا ما ظهر من العلوم، وما وراء ذلك قالوا: الله أعلم بما فيها، من خشية باريها.

٧- لم أحفظ على أحد منهم تشبيهًا، إنما غلبت عليهم الشناعة، لإيمانهم بظواهر الآي والأخبار، من غير تأويلٍ ولا إنكار.

والله يعلم أنني لا أعتقد في الإسلام طائفة مُحِقَّة، خالية من البدع، سوى من سلك هذا الطريق. ذيل الطبقات (١/ ٣٣٦-٣٣٩).

ظ- حال بعض العلماء وأثره في البيان وتصنيف الكتب:

* قال **أَبُو الفضل بن شافع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٥):

في زُخـرف القـول تزيـين لباطلـه — والقـول قـد يعتريـه سـوء تعبيـر

تقـول هـذا مُجـاج النحـل تمدحـه — وإن تَعِـبْ قلـت هـذا قـيء زنبـور

مدحـا وذما وما جـاوزت وصفهما — حسنُ البيان يُري الظلماءَ كالنور

ذيل الطبقات (٢/ ٢٣٣).

* وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن **أحد العلماء**: يقال: إنه كان ضيِّق العطن في تصانيفه لا يتمَّها[1]، وأن كلامه كان أجودَ مِن قلمه. ذيل الطبقات (٢/ ٢٥١).

* وقال الحافظ شهاب الدين ابن حجي: طلب **سراج الدين البلقيني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠٥) العلم في صغره، وحصّل الفقه والنحو والفرائض، وشارك

(١) ومثله كثير!

في الأصول وغيره، وفاق الأقران في الفقه، ثم أقبل على الحديث وحفظ متونه وحفظ رجاله، فحفظ من ذلك شيئا كثيرا، وبعد صيته، ثم قدم علينا قاضيًا بالشام وهو إذ ذاك كهل، **فبهر الناس بحفظه وحسن عبارته**، وخضع له الشيوخ في ذلك الوقت، واعترفوا بفضله، ثم رجع إلى بلده وبنى مدرسة بالقاهرة، وأثرى وكثر ماله وتصدى للفتوى والإشغال، وكان معوَّلُ الناس في ذلك عليه، ورحلوا إليه، وكثر طلبته في البلاد، وأفتوا ودرسوا وصاروا شيوخ بلادهم في أيامه، وله تصانيف كثيرة لم تتم، **يصنف قطعًا ثم يتركها، وقلمه لا يشبه لسانه**..

والسبب في عدم إكماله لغالب مصنفاته: اشتغاله بالإشغال والتدريس والتحديث والإفتاء. طبقات الشافعية (٢/ ٢٧٨-٢٧٩).

* وقَالَ **ابن الباقلاني** المقرئ الواسطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٣):

كُتْبِي لأهل العلم مبذولة ... أيديهمُ مثل يديْ فيها

حاشاي أن أكتمها عنهمُ ... بُخْلًا كما غيريَ يخفيها

أعارنا أشياخُنا كُتْبَهُم ... وسنةُ الأشياخ نحييها

ذيل الطبقات (٢/ ٥٢٧).

* وترجم الْإِسنَوِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لأحد أهل العلم** وقال: كَانَ لَا يكَاد يَنْقَطِع فِي المباحث، وَكَانَ يبْحَث مَعَ الْكَبِير وَالصَّغِير، إِلَّا أنه قَلِيل المطالعة جدًا، لَا يكَاد أحد يرَاهُ نَاظرا فِي كتاب، وصنف مختصرات فِي عُلُوم مُتعَدِّدَة، واشتهرت وحفظت فِي حَيَاته وعقب مَوته، ثمَّ انطفأت كَأَن لم تكن.[1] طبقات الشافعية (٢/ ١٩).

---

(١) انشغل هذا الرجل بالجدال والمباحثات مع الصغير والكبير، وهذا مرض خطير، لاسيما مع قلة القراءة والاطلاع، وهذا يؤدي إلى قلة البركة، وانظر إلى حال هذا الرجل، حيث ألّف واختصر كتبًا عديدة، واشتهرت في حياته وبعد مماته، ثم انطفأت كأن لم تكن، فليست العبرة بكثرة التأليف، بل العبرة بالإخلاص والصدق مع الله، وتأليف ما ينفع.

ض- حال السلف وأهل العلم عند الاختلاف:

* كَانَتْ بَيْنَ **أَبِي بَكْرٍ** (ت: ١٣) **وَعُمَرَ** (ت: ٢٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مُحَاوَرَةٌ(١)، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ».

وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الخَبَرَ، وَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ.(٢) صحيح البخاري (٤٦٤٠).

* وقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: كُنْتُ أَنَا **وَابْنُ عُمَرَ** (ت: ٧٣) مُسْتَنِدَيْنِ إِلَى حُجْرَةِ **عَائِشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨)، وَإِنَّا لَنَسْمَعُ ضَرْبَهَا بِالسِّوَاكِ تَسْتَنُّ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَجَبٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ لِعَائِشَةَ: أَيْ أُمَّتَاهُ أَلَا تَسْمَعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَتْ: وَمَا يَقُولُ؟ قُلْتُ يَقُولُ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ

---

(١) أَيْ: حوار وجدال في موضوع ما.

(٢) رضي الله عن أصحاب محمدٍ ﷺ، وجمعنا بهم في جنات النعيم.

هذان الصحابيان الجليلان، اللذان هما أفضلُ الناس بعد النبيِّين والْمُرسلين، يَحدُث بينهما من الخلاف وسوءِ التفاهُم، بل والغضبِ وإغلاقِ الباب في وجه صاحبه، كما يحدث من جميع الناس، والذي يُميِّزُهم عن جميع الناس أنَّ هذا الخلاف الشديدَ لا يدوم طويلًا، ولا يُحدث فُرقةً وعداوة، بل لا يزيدُهما ذلك إلا محبَّةً وأُلفةً وصلة.

فما أعظم قلوب الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وسرعةَ عفوهم ومُسامحتهم للمخطئ، مهما بلَغَ وعظُمَ الخطأ، فالصِّدِّيقُ قبِل اعتذار الفاروقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل وجعل يُدافع ويُنافح عنه.

فما أجمل أنْ نعفوَ عن الآخرين، وأنْ نقبل عذر من اعتذر إلينا، وأنْ نُسامح من طلب المسامحة منا، وكلَّما عفا العبدُ رفع الله قدره، وضاعف أجره، قَالَ النبيّ ﷺ: «وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا». رواه مسلم

والمعنى: أنَّ الله تعالى، لا يزيد العبدَ إذا عفا وتسامح، إِلَّا عِزًّا ورفعةً في الدنيا والآخرة.

ﷺ فِي رَجَبٍ، فَقَالَتْ: «يَغْفِرُ اللهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَعَمْرِي، مَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ، وَمَا اعْتَمَرَ مِنْ عُمْرَةٍ إِلَّا وَإِنَّهُ لَمَعَهُ» قَالَ: وَابْنُ عُمَرَ يَسْمَعُ، فَمَا قَالَ: لَا، وَلَا نَعَمْ، سَكَتَ. صحيح مسلم (١٢٥٥).[(١)].

* وعَنْ شَقِيقٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٢) قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ **عَبْدِ اللهِ بن مسعود** (ت: ٣٢) **وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ** (ت: ٥٠) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَجْنَبَ فَلَمْ يَجِدِ الْمَاءَ شَهْرًا أَمَا كَانَ يَتَيَمَّمُ وَيُصَلِّي؟ فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء:٤٣]؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لَوْ رُخِّصَ لَهُمْ فِي هَذَا لَأَوْشَكُوا إِذَا بَرَدَ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ أَنْ يَتَيَمَّمُوا الصَّعِيدَ، قُلْتُ: وَإِنَّمَا كَرِهْتُمْ هَذَا لِذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَّارٍ لِعُمَرَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ فَأَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدِ الْمَاءَ فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَصْنَعَ هَكَذَا، فَضَرَبَ بِكَفِّهِ ضَرْبَةً عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ نَفَضَهَا ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا ظَهْرَ كَفِّهِ بِشِمَالِهِ ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَفَلَمْ تَرَ عُمَرَ لَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِ عَمَّارٍ؟![(٢)] صحيح البخاري (٣٤٧)، صحيح مسلم (٣٦٨).

---

(١) إذا صدرت من أحد الصحابة والسلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فتوى تُخالف النص: ردُّوا على الفتوى وبينوا خطأها مع الاحتفاظ لصاحبها بالاحترام والإجلال، والْتمسوا له الأعذار، وأحسنوا الظنّ به.

فلْنتعلم من مدرسة أصحاب النبي ﷺ، كيفيَّة التعامل مع من أفتى بخلاف الحقّ، وخالف النص الصريح، والعجيب أن هؤلاء الصحابة الكرام، كان أحدُهم يُفتي بما يُخالف النصّ الصريح، ومع ذلك لم يكن أحدٌ من أقرانهم وأصحابهم يردّ عليهم بالعنف والغلظة، ولم يقدحوا بالشخص نفسِه، إنما كانوا يردُّون على الفتوى نفسها، ويُبيِّنون غلطها، دون الْمَساس بصاحبها.

(٢) هذا ما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الحوار والنقاش، الْمبني على الدليل والاستنباط، من غير أنْ يكون فيه جدالٌ طويل، ولا كلامٌ بذيء، ولا سعيٌ حثيثٌ للإلزام والإقناع بالرأي، بل كان أحدهم يعرض رأيه ودليله دون أنْ يُطالب الآخر بقبول رأيه، أو يتهمه بأنه يميل مع هواه، كما هو حال الكثير في نقاشهم وجدالهم. =

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دَخَلَ أَبُو مُوسَى وَأَبُو مَسْعُودٍ عَلَى عَمَّار بنِ ياسر (ت: ٣٧) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، حَيْثُ بَعَثَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَهْلِ الكُوفَةِ يَسْتَنْفِرُهُمْ، فَقَالاَ: مَا رَأَيْنَاكَ أَتَيْتَ أَمْرًا أَكْرَهَ عِنْدَنَا مِنْ إِسْرَاعِكَ فِي هَذَا الأَمْرِ مُنْذُ أَسْلَمْتَ؟.

فَقَالَ عَمَّارٌ: «مَا رَأَيْتُ مِنْكُمَا مُنْذُ أَسْلَمْتُمَا أَمْرًا أَكْرَهَ عِنْدِي مِنْ إِبْطَائِكُمَا عَنْ هَذَا الأَمْرِ».

فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ، وَكَانَ مُوسِرًا: يَا غُلاَمُ هَاتِ حُلَّتَيْنِ، فَأَعْطَى إِحْدَاهُمَا أَبَا مُوسَى وَالأُخْرَى عَمَّارًا، وَقَالَ: رُوحَا فِيهِ إِلَى الجُمُعَةِ.[١] صحيح البخاري (٧١٠٥)، (٧١٠٢).

* وكان عبد المغيث بن زهير الحربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٨٣) صالحًا متدينًا، حميد الأخلاق، مجتهدًا في اتباع السنة والآثار، وجمع، وصنَّف، وحدّث، ولم يزل يفيد الناس إلى حين وفاته، وبورك له حتى حدَّث بجميع مروياته.[٢].

= والحق في هذا الحوار مع أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حيث ذكر له دليلين صحيحين صريحين، من القرآن والسنة.

ومع ذلك لم يُعنفه أو يتهمه، واقتصر على هذين الدليلين فقط، دون أنْ يسرد له الحجج الأخرى، ودون أن يُلزمه برأيه.

(١) هكذا كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، تختلف آراؤهم ولا تختلف قلوبهم، فأبو مسعودٍ وأبو موسى اختلفا الرأي مع عمَّارٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وخطَّأ بعضهم بعضًا، وتصارحوا بذلك، ومع ذلك لم يُحدث ذلك فيهم شرخًا في المودة والمحبة، بل كسا أبو مسعودٍ عمارًا وأكرمه.

ومن الملاحظ أنَّ ما اختلفوا فيه أمرٌ خطيرٌ يتعلَّق بالأمة، وهو لا يخلو من أنْ يكون نُصرةً للخليفة العادل الحق -أي علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- في حقٍّ من قاتل معه، أو خذلانًا له في حقِّ من تركه وقعد في بيته، ومع ذلك لم يُعنِّف الصحابةُ بعضُهم بعضًا، ولم نرهم في هذه القصة وغيرها يُلزمون مُخالفيهم بلوازم باطلة، بل ولم نرهم يتكلَّفون إقناع مُخالفيهم بالحجج والأدلة، وإنما غاية ما يفعلون: عرضُ رأيهم وأدلّتِهم فقط، دون تعصب ودون رميٍ من لم يأخذ بقولِهم بأنه يردُّ الحق.

(٢) يا لها من حياة سعيدة، ومنهج موفق، وبركة عظيمة.

اللهم إنا نسألك مثل هذه السيرة العطرة.

قال ابن القطيعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أحد المحدثين مع صلابته في الدين، واشتهاره بالسنة، وقراءة القرآن، وجرت بينه وبين صاحب المنتظم -يعني: أبا الفرج بن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- نفرة كان سببها الطعن على يزيد بن معاوية، كان عبدالمغيث يمنع من سبه، وصنف في ذلك كتابًا، وأسمعه، وصنف الآخر كتابا سماه «الرد على المتعصب العنيد، المانع من ذم يزيد» وقرأته عليه.

ومات عبد المغيث وهما متهاجران.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه المسألة وقع بين عبدالمغيث وابن الجوزي بسببها فتنة.

ووقع أيضا تنازع بين عبدالمغيث وابن الجوزي في صلاة النَّبِيّ ﷺ خلف أَبِي بَكْرٍ الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فصنَّف عبدالمغيث تصنيفين في إثبات ذلك.

ورد عليه ابن الجوزي في كتاب سماه «آفة أصحاب الحديث، والرد على عبدالمغيث».

قال ابن الصيرفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد حكى لي شيخنا محب الدين أَبُو البقاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الشيخ جمال الدين بن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يقول: إني لأرجو من الله سبحانه أن أجتمع أنا وعبدالمغيث رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجنة.

قَالَ: وهذا يدل على أنه كان يعلم أن الشيخ عبدالمغيث من عباد الله الصالحين، فرحمة الله عليهما.[1] ذيل الطبقات (٢/ ٣٤٧-٣٥١).

* ووقع بَيْنَ الشيخين -الفخر ابن تيمية (ت: ٦٢٢) وابن قدامة (ت: ٦٢٠) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ- تنازعٌ فِي مسألة تخليد أهل البدع المحكوم بكفرهم فِي النار -وَكَانَ

---

(١) ويدل كذلك على أن الاختلاف في الآراء والاجتهادات لا يؤثر على صفاء القلوب والمحبة والمودة.

الشيخ الموفق لا يُطلق عَلَيهِم الخلود- فأنكر ذَلِكَ عَلَيْهِ الشيخ الفَخر، وَقَالَ: إِن كَلام الأَصْحَاب مخالفٌ لِذَلِكَ.

وأرسل يَقُول للشيخ **موفق الدين**: انظر كَيْفَ تستدرك هذه الهفوة؟ فأرسل إِلَيْهِ الشيخ موفق الدِّين كتابًا، أوله:

أخوه فِي الله عبدالله بن أَحْمَد يسلم عَلَى أخيه الإمام الكبير فخر الدين جمال الإسلام، ناصر السنة، أكرمه الله بِمَا أكرم بِهِ أولياءه، وأجزل من كُل خير عطاءه، وبلغه أمله ورجاءه، وأطال فِي طاعة الله بقاءه -إِلَى أَن قَالَ-: إنني لَمْ أنْهَ عَنِ القول بالتخليد نافيًا لَهُ، ولا عِبْتُ القول بِهِ منتصرًا لضده، وإنما نهيت عَنِ الْكَلام فِيهَا من الجانبين إثباتا أَوْ نفيًا، كَفًّا للفِتنة بالخصام فِيهَا، **واتباعًا للسُّنة فِي السكوت عَنْهَا**؛ إذ كانت هذه المسألة من جُملة المحدثات، وأشرتَ عَلِي مَن قَبل نَصيحتي بالسُّكوت عما سَكَت عَنْهُ رَسُول الله ﷺ وصحابته، والأئمة المقتدى بهم من بعده.

إِلَى أَن قَالَ: وَأَمَّا قَوْله -وفقه الله- إِني كنتُ مسألة إجماع، فصرت مسألة خلاف، **فإنني إِذَا كنتُ مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي حِزبه، مُتَّبِعًا لسُنَّته، مَا أبالي مَن خالفني**، ولا مَن خالف فِيّ، ولا أَستوحش لفِراقِ مَن فارقني، وإني لمعتقدٌ أَنّ الخلق كلهم لو خالفوا السُّنة وتركوها، وعادوني من أجلِها لما ازدَدتُ لَهَا إلا لُزومًا، ولا بها إلا اغتِباطًا، إن وفَّقني الله لِذَلِكَ.

فَإِن الأمور كلها بيديه، وقلوب الْعِبَاد بَيْنَ إصبعيه.

وَأَمَّا قَوْله: إِن هذه المسألة مِمَّا لا تَخفى: فَقَدْ صَدَقَ وبَرَّ، مَا هِيَ بحمد الله عندي خَفِيَّة، بَل هِيَ مُنجلية مضِيَّة، ولكن إِن ظهر عنده بسعادته تصويب الْكَلام فِيهَا تقليدًا للشيخ أَبِي الفرج وابن الزاغوني؛ فَقَدْ تيقَّنتُ تصويب السُّكوت عَنِ

الْكَلام فِيهَا، اتباعًا لسيد المرسلين، ومَن هُوَ حجة عَلَى الخلق أجمعين، ثُمَّ لخلفائه الراشدين، وسائر الصَّحَابَة والأئمة المرضيين، لا أُبالي من لامَني فِي اتباعهم، ولا مَن فارقني فِي وِفاقهم، فأنا كَمَا قَالَ الشاعر:

أجِدُ الملامةَ فِي هواكِ لذيذة   حُبًّا لِذِكرِكِ فليلُمني اللُّوَّم

وقوله بسعادته: إِن تعلقه بأن لفظ «التخليد» لَمْ ترد: لَيْسَ بشيء، فأقول: لكني عندي أنا هُوَ الشيء الكبير، والأمر الجليل الخطير، فأنا أوافق أئمتي فِي سكوتِهم، كموافقتي لَهُمْ فِي كلامهم.

فأما قَوْله: إِن كُتَبَ الأَصْحَاب القديمة والحَدِيثة فِيهَا **القول بتكفير القائل بخلق الْقُرْآن**: فهذا متضمِّنٌ أَن قَوْل الأَصْحَاب هُوَ الحجة القاطعة، وَهَذَا عجب!.

أترى لو أجمع الأَصْحَاب عَلَى مسألةٍ فروعية، أكان ذَلِكَ حُجَّة يقتنع بها، ويكتفي بذكرها؟ فإن كان فخر الذين يَرى هذا، فما يحتاج في تصنيفه إلى ذِكرِ دليلٍ سوى قول الأصحاب.

وإن كَانَ لا يَرى ذَلِكَ حُجةً فِي الفروع فكيف جَعَله حُجَّةً فِي الأصول؟!

وهَبْ أنا عذرنا العامة في تقليدهم الشيخ أبي الفرج وغيره من غَيْر نظر فِي دليل، فكيف يُعذر مَن هُوَ إمامٌ يُرجع إِلَيْهِ فِي أنواع العلوم؟!.

ثم إِن سلَّمناه ما قَالَ، فلا شك أَنَّهُ مَا اطلع عَلَى جميع تصانيف الأَصْحَاب.

ثُمَّ إِن ثبتَ أَن جميعهم اتفقوا على تكفيرهم، فهو معارَض بقول مَن لَمْ يكفرهم؛ فَإِن الشَّافِعِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأَصْحَابه لا يرون تكفيرهم إلا أبا حامد.

فبِما يثبت الترجّح؟.

ثُمَّ إِن اتفق الكل عَلَى تكفيرهم، فليس التَّخليد مِن لوازِمه؛ فَإِن النَّبِي ﷺ قَدْ أطلَقَ التَّكفير فِي مواضِعَ لا تخليدَ فِيهَا وذكر حَدِيث «سِباب المسلم فسوق وقتاله كَفر» وغيره من الأحاديث.

وَقَالَ: قَالَ أَبُو نصر السجْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلف القائلون بتكفير القائل بخلق القرآن، قال بَعْضهم: كفر ينقل عَنِ الملة، وقال بَعْضهم: كفر لا ينقل عَنِ الملة، ثُمَّ إِن الإمام أَحْمَد رَحِمَهُ ٱللَّهُ -الَّذِي هُوَ أشد النَّاس عَلَى أهل البدع- قَدْ كَانَ يَقُول للمُعتصم: يا أَمِير الْمُؤْمِنِينَ، ويرى طاعة الخُلفاء الداعين إِلَى القول بخلق الْقُرْآن، وصلاةِ الجُمع والأعياد خَلفهم، ولو سمع الإمام أَحْمَد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من يَقُول هَذَا القول الَّذِي لَمْ يرد عَنِ النَّبِي ﷺ ولا عن أحدٍ قبله: لأنكره أشدَّ الإنكار، فَقَدْ كَانَ ينكر أقل من هَذَا.

ثم إن علمتم أنتم هَذَا، أفيحل لي ولمثلي مِمَّن لَمْ يعلم صحة هَذَا القول أَن يَقُول بِهِ؟.

وهل فرض الجاهل بشيء إلا السكوت عنه؟..

وَأَمَّا قولك بسعادتك: «انظر كَيْفَ تتلافى هذه الهفوة وتزيل تكدير الصفوة»؛ فَإِن قنع مني بالسكوت فَهُوَ مذهبي وسبيلي، وعليه تعويلي، وَقَدْ ذكرت عَلَيْهِ دليلي.

وإن لَمْ يرض مني إلا أَن أقول مَا لا أعلم، وأسلُك السبيل الَّذِي غيره أسد وأسلم، وأخلع عذاري فِي سلوك مَا فِيهِ عثاري، ويسخط عَلَى الباري: ففي هَذَا التلافي تلافي، وتكدير صافي أوصافي، لا يرضاه لي الأخ المصافي، ولا مَن يُريد إنصافي، ولا مَن سعى فِي إسعافي، وَمَا أتابعه ولو أَنَّهُ بشر الحافي.

إِلَى أن قَالَ: واعلم أيها الأخ الناصح أنك قادمٌ عَلَى ربك، ومسؤُولٌ عَن مقالتك هذه، فانظر مَنِ السَّائل، وانظر مَا أَنْتَ لَهُ قائل، فأعدَّ للمَسألة جوابًا، وادَّرع للاعتذار جلبابًا، ولا تظن أَنَّهُ يتمنع منك فِي الجواب بتقليد بَعْض الأَصْحَاب، ولا يكتفي منك بالحوالة عَلَى الشيخ أَبِي الفرج وابن الزاغوني وأبي الْخَطَّاب،

ولا يُخلصك الاعتذار بأن الأَصْحَاب اتفقوا عَلَى أنهم من جملة الكفار، ولازمُ هَذَا الخلود فِي النار؛ فَإِن هَذَا الْكَلام مدخول، وجواب غَيْر مقبول.

إِلَى أَن قَالَ: فأنتم إِن كنتم أظهَرَكم الله عَلَى غَيبه، وبرَّأكم من الجهل وعيبه، وأطلعكم عَلَى مَا هُوَ صانعٌ بخلقه: فنحن قوم ضعفاء، قد قنِعنا بقول نبينا عَلَيْهِ السَّلَامُ وسلوك سبيله، وَلَمْ نتجاسر عَلَى أَن نتقدَّم بَيْنَ يدي الله ورسوله، فلا تحمِلوا قوَّتكم على ضعفنا، ولا عِلمكم عَلَى جهلنا.

وَهِيَ رسالة طويلة، لخَّصتُ منها هذا القَدْر.[1] ذيل الطبقات (٣/ ٣٢٦-٣٣١).

ز- فوائد أخرى:

* قَالَتْ **عَائِشَةُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨): «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ». صحيح مسلم (٣٣٢).

* وَقَالَ **مُجَاهِدٌ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤): لاَ يَتَعَلَّمُ العِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلاَ مُسْتَكْبِرٌ. صحيح البخاري، بَاب: الحَيَاء فِي العِلْمِ.

* وقال **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦): من رقّ وجهه رقّ علمه. مسند الدارمي (٥٦٧).

* وقال **كعب الأحبار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢): يوشك أن تروا جهال الناس يتباهون

---

(١) تأمل قوة حُجَّة الموفق رَحِمَهُ اللَّهُ وثباته وتمسُّكه بسنة النبي ﷺ وأصحابه، وتركه التقليد دون دليل.

وانظر إلى حُسن عبارته وأدبه الجم الذي بلغ غايته، وإلى ثنائه على الفَخر بقوله: الإمام الكبير فخر الدين جمال الإسلام، ناصر السنة، مع أن الموفق أكبر من الفَخر، وأكثر تصنيفًا وشهرة، وانظر إلى دعائه له بقوله: أكرمه الله بِمَا أكرم بِهِ أولياءه، وأجزل من كُل خير عطاءه، وبلغه أمله ورجاءه، وأطال فِي طاعة الله بقاءه.. وهكذا العظماء والأولياء، كلما ازداد علمهم ازداد أدبهم وتواضعهم.

بالعلم، ويتغايرون عليه، كما يتغاير النساء على الرجال، فذلك حظهم من العلم. تهذيب الحِلْية ٢٥٠/ ٢.

* وقال **الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): مَن طلب الرِّياسة بالعلم سريعًا فاته عِلْمٌ كثيرٌ. عيون الأخبار ٥٢٣ / ٢.

* وقال **وهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠): ضُرب لعلماء السوء مثل، فقيل: إنما مثل عالم السوء كمثل الحجَر في الساقية، فلا هو يشرب الماء، ولا هو يخلّي الماء إلى الشجر، فيحيا به. صفة الصفوة ٢/ ٥٣٣.

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨): إنما منزلة الذي يطلب العلم ينتفع به بمنزلة العبد يطلب كل شيء يُرضي سيده، يطلب التحبب إليه، والتقرب إليه، والمنزلة عنده لئلا يجد عنده شيئًا يكرهه. صفة الصفوة ٢/ ٥٤١.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إن للحكمة أهلًا فإن وضعتها في غير أهلها ضيعت، وإن منعتها من أهلها ضيعت، كن كالطبيب يضع الدواء حيث ينبغي. تهذيب الحِلْية ٤٢٧/ ٢.

* وقال **بلال بن أبي بُرْدَة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): لا يَمنعنَّكم سوءُ ما تعلمون منا أن تَقْبلوا أحسنَ ما تسمعون.[1] عيون الأخبار ٥٢٣ / ٢.

* وقال **أَيّوب السَّخْتِيَانِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إذا أردت أن تعرِفُ خطأ معلِّمك فجَالِس غيره.[2] مسند الدارمي (٦٦٩).

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من شروط تمام الانتفاع بالموعظة: العمى عن عيوب الواعظ، فإنه إذا اشتغل به حُرم الانتفاع بموعظته، لأن النفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا ينتفع به. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٢.

(٢) نقل الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الأثر في سيره منسوبًا للخليل بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧١٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اعْمَلْ بعلمي ولا تَنْظُرْ إلى عملي   يَنفَعْك قولي ولا يَضْرُرْك تقصيري

عيون الأخبار ٢/٥٢٣.

* وعن حماد بن زيد قال: قَالَ: كَانَ رَجُلٌ قَدْ لَزِمَ **أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيَّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَسَمِعَ مِنْهُ، فَفَقَدَهُ أَيُّوبُ، فقَالُوا: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّهُ قَدْ لَزِمَ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ، قَالَ حَمَّادٌ: فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا مَعَ أَيُّوبَ، وَقَدْ بَكَّرْنَا إِلَى السُّوقِ، فَاسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَيُّوبُ، وَسَأَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَيُّوبُ: «بَلَغَنِي أَنَّكَ لَزِمْتَ ذَاكَ الرَّجُلَ»؟.

قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّهُ يَجِيئُنَا بِأَشْيَاءَ غَرَائِبَ، قَالَ: يَقُولُ لَهُ أَيُّوبُ: «إِنَّمَا نَفِرُّ مِنْ تِلْكَ الْغَرَائِبِ». صحيح مسلم في المقدمة.

* وعن **الزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) قال: إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة. تهذيب الحِلْية ٢/٢٤.

* وعن **شريح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) أنه قيل له: بأي شيء أصبت هذا العلم، قال: بمقاومة العلماء، آخذ منهم وأعطيهم. تهذيب الحِلْية ٢/٦٨.

* وقال **الأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): العلم في لِمَ؟ تهذيب الحِلْية ٢/١٣٨.

* وقال **جعفر بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): الفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا إلى السلاطين فاتهموهم. تهذيب الحِلْية ١/٥١٢.

* وعن **مكحول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:١١٢) قال: لا يؤخذ العلم إلا عن من شهد له بالطلب. تهذيب الحِلْية ٢/١٨١.

* وعن **أبي بكر بن عياش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠) قال: الدخولُ في العلم سهلٌ، لكن الخروج منه إلى الله شديدٌ. تهذيب السِّيَر ٢/٧٨٧.

* وعن **عبيد بن عمير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤) قال: إن الله يبغض القارئ إذا كان لبَّاسًا ركَّابًا ولَّاجًا خرَّاجًا. تهذيب الحِلْية ٢/٩.

* وعن موسى الجهني قال: كان **طلحة بن مصرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) إذا ذكر عنده الاختلاف قال: لا تقولوا الاختلاف، ولكن قولوا السعة. تهذيب الحِلْية ١٣٢/ ٢.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): لو لم يأتني أصحاب الحديث لأتيتهم في بيوتهم. تهذيب الحِلْية ٣٦٣/ ٢.

* وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مسألة وهو يشتري شيئًا فقال: دعني فإن قلبي مع درهمي. تهذيب الحِلْية ٣٩٩/ ٢.

* وعن **أبي يزيد البسْطامِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٠) قال: ما وجدتُ شيئًا أشدَّ علي من العِلم ومتابعتِه، ولولا اختلاف العلماء لتعبت[١]، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد[٢]. تهذيب الحِلْية ٢٤٧/ ٣.

* وقيل **لعبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): يا أبا عبد الرحمن إلى متى تكتب هذا الحديث؟ فقال: لعل الكلمة التي أنتفع بها ما كَتَبْتُها بعدُ.[٣] صفة الصفوة ٤/ ٣٧٥.

---

(١) في تهذيب السِّيَر ٣/ ١٠٥٤: لبقيت حائرًا

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغي، لا لمجرد الاجتهاد. كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران:١٠٥].

فلا يكون فتنة وفرقة مع وجود الاجتهاد السائغ، بل مع نوع بغيّ. ولهذا نهى النبي ﷺ عن القتال في الفتنة، وكان ذلك من أصول السُّنَّة. وهذا مذهب أهل السنَّة والحديث، وأئمة أهل المدينة من فقهائهم وغيرهم. الاستقامة / ٥٢ – ٥٣.

(٣) فمِن أعظم ثمارِ الإكثارِ مِن حضور دروس العلم والقراءةِ والْمُطالعةِ وتنوِّعِها: أنّ الفائدةَ التي قد تُغيّر حياتك، والكلمةَ التي قد تُصلح حالك، والعبارةَ التي قد تكونُ سَبَبَ نجاتِك ورفعتك في الدنيا والآخر، والْمُوصلةَ إلى الفردوس الأعلى من الجنة: لم تأت بعد، ولم تقع عينُك عليها، فأكثر من القراءة بنيّةٍ صادقةٍ علّك تجدها.

واعلم أنّ الله تعالى أكرم من أن يحرمك إياها إذا كنت صادقًا مُخلصًا.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أول منفعة الحديث أن يفيد بعضهم بعضًا. تهذيب الحِلْية ٣/٣٨.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأيتُ أحدًا ارتفعَ مثل **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩)، ليس له كثيرُ صلاة ولا صِيام، إلا أن تكونَ له سريرةٌ.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما كان عليه من العلم ونَشْرِه أفضلُ مِن نوافل الصومِ والصلاة لمن أراد به الله. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٣٣.

* وعن يونس بن عبد الأعلى قال: كان **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) يكلمنا بقدر ما نفهم عنه، ولو كلمنا بحسب فهمه ما عقلنا عنه. تهذيب الحِلْية ١٣٢/ ٣.

* وعن **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) قال: هذا الذي ترون كله أو عامته من الشافعي، وما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي. تهذيب الحِلْية ٣/١٢١.

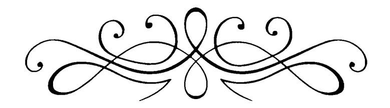
* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): من بلغ رُتبةَ الاجتهاد، وشهد له بذلك عِدَّةٌ من الأئمة، لم يَسُغْ له أن يُقلِّدَ[1]، كما أن الفقيه المُبتدئَ والعاميَّ الذي يحفظ القرآن أو كثيرًا منه لا يَسوغُ له الاجتهاد أبدًا، فكيف يَجتهدُ وما الذي يقول؟ وعلام يَبني؟ وكيف يَطيرُ ولَمَّا يُرَيِّشْ؟[2] والقِسم الثالث: الفقيه المنتهي اليَقِظُ الفَهِمُ المُحدِّث، الذي قد حفظ مختصرًا في الفروع، وكتابًا في قواعد الأصول، وقرأ النحو، وشارك في الفضائل مع حفظه لكتاب الله وتشاغله بتفسيره وقوة مناظرته، فهذه رتبة من بلغ الاجتهادَ المُقيَّد، وتأهَّلَ للنظر في دلائلِ الأئمة، فمتى وَضح له الحقُّ في مسألة، وثَبت فيها النص، وعَمِلَ بها أحدُ الأئمة الأعلامِ كأبي حنيفة مثلًا، أو كمالك، أو الثوريِّ، أو الأوزاعيِّ، أو الشافعيّ وأبي عبيد، وأحمدَ،

---

(١) هذا القسم الأول وهو المجتهد المطلق.

(٢) هذا القسم الثاني.

وإسحاق، فلْيَتَّبِعْ فيها الحقَّ ولا يَسْلُكِ الرُّخصَ ولْيتورَّع، ولا يسعُه فيها بعد قيامِ الحجةِ عليه تقليدٌ، فإن خاف ممن يُشغِّب عليه من الفقهاء فَلْيَتكتَّم بها ولا يتراءى بفعلها، فربّما أعجبته نفسُه، وأحب الظهور، فيعاقَب، ويدخل عليه الداخلُ من نفسه، فكم من رجلٍ نطق بالحقِّ، وأمر بالمعروف، فَيُسلِّطُ الله عليه من يُؤذيه لسوء قصده، وحُبِّه للرئاسة الدينية، فهذا داءٌ خفيٌّ سارٍ في نفوس الفقهاء كما أنه داءٌ سارٍ في نفوس المنفقين من الأغنياء وأربابِ الوقوفِ والتُّربِ المزخرفة وهو دَاء خفيٌّ يسري في نفوس الجند والأُمراء والمجاهدين، فتراهم يَلتقون العدوَّ، ويصطدمُ الجمعان وفي نفوس المجاهدين مُخَبّآتٌ وكمائنُ من الاختيال وإظهار الشجاعةِ.[1] تهذيب السِّيَر ٣/ ١٤٠٠.



(١) الأَوْلى لطالب العلم أنْ تكون العزلةُ هي الغالبة عليه، ولْيستثمرها في البحث والقراءة والتفكر والعبادة، وفي ذلك فوائد كثيرة، منها:

١- صيانة العلم؛ فالعامة يُعظمون من لا يُخالطهم كثيرًا، وإذا عظّم العامة العالم وطالب العلم قبلوا كلامه، ووقع في قلوبهم موقعًا كبيرًا.

٢- حفظ الوقت، فكلَّما أكثر طالب العلم من مُخالطةِ الناس ولو بُغْيَةَ نفعِهم فاته من العلم ما لا يُمكن تعويضُه.

وبالتجربة: فغالب الناس لا يُريدون من مُجالسةِ طالب العلم أو الداعيةِ سوى الأُنسِ بكلامه، وقضاء وقتهم في الحديث معه، وخاصة إذا عُرف بالمزاح والدُّعَابة.

وليس همُّهمُ الاستفادةَ مِن علمه، وزيادةَ الإيمان بمُجالستِه.



ذم الجهل

* قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): كيف أنتم إذا لبِستكم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو[1] فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، فإذا غُيِّرت قالوا: غيَّرت السنة.

قالوا: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟.

قال: إذا كثرت قراؤكم، وقلّت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أُمناؤكم، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة. مسند الدارمي (١٩١).

* وقال **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠): يا بني تعلموا فإنكم إن تكونوا صغراء قوم، عسى أن تكونوا كبراءهم، واسوأتاه ماذا أقبح من شيخ جاهل. تهذيب الحِلْية ١/٣٥٠.

* وكان الحسن والحسين ابنا عيسى يركبان معًا، فيتحير الناس في حسنهما وبزتهما، فاتفقا على أن يُسْلِما، فقصدا **حفص بن عبد الرحمن** لِيُسْلِما على يده، فقال لهما حفص: أنتما من أجلّ النصارى، وعبد الله بن المبارك خارج في هذه السنة إلى الحج، فإذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين وأرفع لكما في عزكما وجاهكما، فإنه شيخ أهل المشرق والمغرب، فانصرفا عنه فمرض الحسين بن عيسى، فمات على نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك، فلما قدم أسلم الحسن على يده.

---

(١) أي: يكبر وينمو.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقًا على هذه الرواية: «انظروا ما يعمل الجهل بأهله، فإنه لولا جهل حفص بن عبد الرحمن وقلة علمه لما أمرهما بتأخير الإسلام، لأنه لا يحل تأخيره، لكن الجهل يردي أصحابه.

ولما أسلم الحسن سمع من ابن المبارك ورحل في طلب العلم، وقدم بغداد حاجًا، فحدَّث بها، فسمع منه أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، وابن أبي الدنيا، وعدّ في مجلسه بباب الطاق اثنتا عشرة ألف محبرة». المنتظم ٢٧٦-٢٧٧/ ١١.

* وقال **الشاعر**:

وإنّ عَنـاءً أن تعلّـم جاهـلا فيَحْسب جهلا أنه منك أعلم

متى يبلـغ البنيـان يومـا تمامَـه إذا كنتَ تبْنيه وغيرُك يهـدم

أدب الدين (١٢١).

* وقال **أبو قُبيل**: أُسرتُ ببلاد الروم فأصبتُ على ركن من أركانها:

ولا تَصْحَـبْ أخـا الجهـل وإيّـاك وإيّـاه

فكـم مـن جاهـل أَرْدَى حليمًـا حيـن آخـاه

يُقَـاسُ المـرءُ بالمـرء إذا مـا هـو مَـا شَـاهُ

وللشـيء علـى الشـيء مقـاييـسٌ وأشبـاهُ

وللقلـب علـى القلـب دليـلٌ حيـنَ يلقـاهُ

عيون الأخبار ٣/ ٨٢.

* وخرج **الوليدُ بن يزيد** حاجًّا ومعه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فكانا ببعض الطريق يَلْعَبان بالشِّطْرَنْج فاستأذن عليه رجلٌ من ثَقِيف فأَذِنَ له وسَتَرَ الشِّطْرَنْج بمنْدِيل، فلمّا دخل سلّم فسأله حاجَتَه؛ فقال له الوليد: أقرأتَ القرآن؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين! شغلتني عنه أمورٌ وهَنَات قال: أفتعرف

الفِقْه؟ قال: لا قال: أفَرَوْيت من الشِّعر شيئًا؟ قال: لا قال: أفعلِمتَ من أيام العرب شيئًا؟ قال: لا قال: فكَشَفَ المِنديل عن الشِّطْرَنْج وقال: شاهك. فقال له عبد الله بن معاوية: يا أمير المؤمنين! قال: اسْكُت فما معنا أحد. عيون الأخبار ٥١٨ / ٢.

* وقال **الخليل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): منزلة الجهل بين الحياء والأَنَفة. عيون الأخبار ٥٢١ / ٢.

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): من كان فيه خلة من الجهل، كان من الجاهلين، أما سمعت الله تعالى قال لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي) فقال الله: (إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ). تهذيب الحِلْية ٣٩/ ٣.

* وحُكي أن **بعض الحكماء** رأى شيخا كبيرا يحب النظر في العلم ويستحي، فقال له: يا هذا أتستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل مما كنت في أوله![1] أدب الدين (٨٠-٨١).

* وصدق **الشاعر**:

وما تَنْفَعُ الأيَّامُ حِينَ تعُدُّهَا ... ولَمْ تسْتَفِدْ فيهنَّ عِلْمًا ولا فَضْلَا

أدب الدين (٨١).

* وقال **محمد بن منصور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٤): ستّ خصالٍ يعرف بها الجاهل:

---

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٠): ربما امتنع الإنسان من طلب العلم لكبر سنه واستحيائه من تقصيره في صغره أن يتعلم في كبره، فرضي بالجهل أن يكون موسوما به وآثره على العلم أن يصير مبتدئا به.

وهذا من خِدع الجهل وغرور الكسل؛ لأن العلم إذا كان فضيلة فرغبة ذوي الأسنان فيه أولى، والابتداء بالفضيلة فضيلة.

ولأن يكون شيخا متعلّما أولى من أن يكون شيخا جاهلا. أدب الدين (٨٠-٨١).

الغضب في غير شيء، والكلام في غير نفع، والعِظة في غير موضعها، وإفشاء السرّ، والثقة بكل أحدٍ، ولا يعرف صديقه من عدوه. صفة الصفوة ٢/ ٦٤١.

* وقِيلَ **للإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): رَجُلٌ لَهُ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ تَرَى أَنْ يَصْرِفَهُ فِي الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ أَوْ يَطْلُبَ الْعِلْمَ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ جَاهِلًا يَطْلُبُ الْعِلْمَ أَحَبّ إِلَيَّ. الآداب الشرعية ٢/ ٣٣.

* وقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَجِبْت لِمَنْ يَتَثَبَّطُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَيَحْتَجُّونَ بِالْفُضَيْلِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَلَعَلَّ الْفُضَيْلَ قَدْ اكْتَفَى، لَيْسَ يَتَثَبَّطُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا جَاهِلٌ. الآداب الشرعية ٢/ ٣٢.

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: ويلٌ لعالمٍ لا يتّقي الجهال بجهده، وهل طاحت دماء الأنبياء والأولياء إلا بأيدي هؤلاء وأمثالهم؟ الآداب الشرعية ١/ ١٦٥.

* وقال **بعضهم**:

وفي الجهل قبل الموت موتٌ لأهله ... وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشةٍ من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور

* وقال آخر:

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم في الناس أموات

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم في الناس أموات (١)

ديوان المتنبي (٢٣٩).

---

(١) يريد: أن العاقل يشقى وإن كان في نعمة؛ لتفكره في عاقبة أمره، وعلمه بتحول الأحوال، والجاهل ينعم في الشقاوة؛ لغفلته وقلة تفكره في العواقب.

ذم التَّقليد والنهي عنه، وما جاء في التعصب(١):

* عن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: لا يقلّدن رجلٌ منكم دينه رجلًا، فإن آمن آمن، وإن كفر كفر؛ فإن كنتم لابدّ فاعلين فببعض من قد مات، فإنّ الحي لا تُؤْمن عليه الفتنة. الزهد لأبي داود (١٤٠).

* وقال الإمام **مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه. ترتيب المدارك (١/ ١٣٨).

* وقيل للإمام **أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): إن بطرسوس رجلًا قد سمع رأي عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ يفتي به؟.

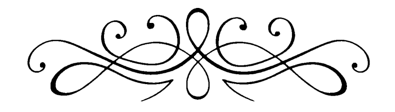
---

(١) قال العز بن عبد السلام: من العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعًا ومع هذا يقلده فيه، ويترك من شهد الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه، جمودًا على تقليد إمامه، بل يتحيل لدفع ظواهر الكتاب والسنة، ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة، نضالًا عن مقلِّده، وقد رأيناهم يجتمعون في المجالس، فإذا ذُكر لأحدهم خلاف ما وطّن نفسه عليه تعجب منه غاية التعجب، من غير استرواحٍ إلى دليل، بل لما ألفه من تقليد إمامه، حتى ظن أن الحق منحصر في مذهب إمامه، ولو تدبره لكان تعجبه من مذهب إمامه أولى من تعجبه من مذهب غيره.
فالبحث مع هؤلاء ضائع، مفضٍ إلى التقاطع والتدابر من غير فائدة يجديها، وما رأيت أحدًا منهم رجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره، بل يصر عليه مع علمه بضعفه وبُعْده!!
فالأولى ترك البحث مع هؤلاء الذين إذا عجز أحدهم عن تمشية مذهب إمامه قال: لعل إمامي وقف على دليل لم أقف عليه ولم أهتد إليه!
ولا يعلم هذا المسكين أن هذا مقابَلٌ بمثله، ويَفضُل لخصمه ما ذكره من الدليل الواضح والبرهان اللائح، فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره، حتى حمله على مثل ما ذكرته، وفقنا الله لاتباع الحق أينما كان وعلى لسان من ظهر.
وأين هذا من مناظرة السلف ومشاورتهم في الأحكام، ومسارعتهم إلى اتباع الحق إذا ظهر على لسان الخصم. قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ١٥٩).

قَالَ: هذا مِن ضيق علم الرجل، يُقلِّد دينه رجلًا لا يكون واسِعًا فِي العلم. طبقات الحنابلة (٢/ ١٠٢).

* وقَالَ الفضل بن زياد: سمعت **أبا عبدالله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وسُئل عن الرجل يُسأل عن الشيء من المسائل فيُرْشِدُ صاحبَ المسألة إلى رجلٍ يسأله عنها-: هل عَلَيْهِ شيء فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: إِذَا كَانَ الرجل متَّبِعًا[1] أرشَدَهُ إِلَيْهِ فلا بأس، قِيلَ لَهُ: فيُفتي بقول مالك وهؤلاء؟ قَالَ: لا، إلا بسنة رسول الله ﷺ وآثاره، وما روي عن أصحابه، فإن لم يكن رُوي عن أصحابه شيء فعن التابعين. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٨).

* وكانَ **أَبُو الْحسن الْبَاجِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧١٤) أعلم أهل الأَرْض بِمذهب الْأَشْعَرِيّ، وكانَ هو بِالقَاهِرَةِ، والصفي الْهِنْدِيّ بِالشَّام، القائمين بنصرة مَذْهَب الْأَشْعَرِيّ.[2] طبقات الشافعية (٢/ ١٨).



---

(١) أي: مُتّبعًا للسنة، والسلف الصالح، وليس صاحب رأي وبدعة وتقليد.

(٢) ليتهما قاما بنصرة الكتاب والسنة، بدلًا من نصرة مذهب رجلٍ يعتريه الحق والصواب، مع ما في نصرته من التعصب له في الغالب.



الأئمة الذين يُقتدى بهم

* رأى **عمر** على طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثوبين مصبوغين بالْمِشْق[1] وهو محرم، فقال: ما هذان الثوبان عليك؟ فقال طلحة: إنهما ليس بهما بأس، إنهما صبغا بمدر.

فقال عمر: إنكم أئمة يقتدي بكم الناس، ولو أن أحدا جاهلا رأى عليك ثوبا مصبوغا في الحرم قال: رأيت طلحة يلبس الثياب المصبوغة وهو محرم، فلا يلبس أحد منكم أيها الرهط من هذه الثياب وهو محرم.[2] الزهد لابن المبارك (١١٢٩).

* وكان **سعد بن أبي وقاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) إذا خرج إلى الصلاة تجوز وخفف، ويتم الركوع والسجود، وإذا دخل البيت أطال، فقيل له: فقال: إنا أئمة يُقْتدى بنا. الزهد لابن المبارك (١١٣٠).

* وقال **الأوزاعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧): كنا نضْحك ونمزَح، فلما صِرنا يُقتدى بنا خشيتُ أن لا يسعنا التَّبَسُّم. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٨٥.

* وقيل **ليحيى بن يحيى** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٤): لم لا تنبسط في الملأ، كانبساطك في الخلاء؟

فقال: لو فعلتُ ذلك لتُلُوعب بين يدي، وأنا أحب أن يُقْتدى بي، كما اقتَديتُ

(١) أي مصبوغ بالطين الأحمر، وَهذه الثياب لَيْسَت بطِيب، فَلذَلِك رخص أَن يلبسهَا الْمحرم.

(٢) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا إسناد صحيح موقوف وهو أصل في سد الذرائع. «المطالب العالية» (٦/ ٣٧٣).

بغيري.[1] ترتيب المدارك (٢/ ٣٥).

العمل بالعلم[2]:

* عن **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**»، قَالَ عُمَرُ: فَوَاللهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْهَا ذَاكِرًا، وَلَا آثِرًا.[3] صحيح البخاري (٦٦٤٧)، صحيح مسلم (١٦٤٦).

* وقال عمر **لعبد الله بن سلام** (ت: ٤٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَن أرباب العلم؟ قال الذين يعملون بما يعلمون.

قال: فما ينفي العلم من صدور الرجال، قال: الطمع. مسند الدارمي (٥٩٥).

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إِنَّ النَّاسَ أَحْسَنُوا الْقَوْلَ

(١) المعنى: ينبغي على العالم والمتصدِّر لتدريس عامة الناس أن يتنبَّه إلى عدم التوسع في الانبساط لهم؛ حتى لا يجترئ جاهل أو حاقد فيُسيء الأدب ويُجرئ الناس ويُزيل هيبة العلم والعلماء.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: المسلم الصادق إذا عبد الله بما شرع: فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة. ا.هـ [الاستقامة: ١٠٠].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: **لزكاء الْعلم وَنَحْوه طَرِيقَانِ:**

أحدهما: تَعْلِيمه.

وَالثَّانِي: الْعَمَل بِهِ؛ فَإِن الْعَمَل بِهِ يُنَمِّيه ويُكَثِّره، وَيفتح لصَاحبه أبوابه وخباياه. ا.هـ مفتاح دار السعادة: ١/ ٤١٧.

وَقَالَ ابن حَزْم رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَظُّ لِمَنْ آثَرَ الْعِلْمَ وَعَرَفَ فَضْلَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ جُهْدَهُ، وَيُقْرِئَهُ بِقَدْرِ طَاقَتِهِ، وَيُحَقِّقَهُ مَا أَمْكَنَهُ، بَلْ لَوْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَهْتِفَ بِهِ عَلَى قَوَارِعِ طُرُقِ الْمَارَّةِ ويدعو إليه في شوارع السَّابِلَةِ وَيُنَادِي عَلَيْهِ فِي مَجَامِعِ السَّيَّارَةِ، بَلْ لَوْ تَيَسَّرَ لَهُ أَنْ يَهَبَ الْمَالَ لِطُلَّابِهِ، وَيُجْرِيَ الْأُجُورَ لِمُقْتَبِسِيهِ، وَيُعْظِمَ الْأَجْعَالَ لِلْبَاحِثِينَ عَنْهُ، صَابِرًا فِي ذَلِكَ عَلَى الْمَشَقَّةِ وَالْأَذَى: لَكَانَ ذَلِكَ حَظًّا جَزِيلًا، وَعَمَلًا جَيِّدًا، وَسَعْيًا كَرِيمًا، وَإِحْيَاءً لِلْعِلْمِ، وَإِلَّا فَقَدْ دَرَسَ وَطُمِسَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا آثَارٌ لَطِيفَةٌ. ا.ه رسائل ابن حزم: ١/ ١٠١.

(٣) أي: لم يقع مني الحلف بها، ولا تحدَّثت بالحلف بها عن غيري، وأثرتُ الحديث: نقلتَهُ عن غيري.

كُلُّهُمْ، فَمَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ حَظَّهُ، وَمَنْ خَالَفَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَإِنَّمَا يُوَبِّخُ نَفْسَهُ. الزهد لوكيع (٢٦٦)، جامع بيان العلم وفضله (١٢٣٣).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تعلموا العلم فإذا علمتم فاعملوا. تهذيب الحِلْية ١١٩/ ١.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما منكم من أحد إلا أن ربه تعالى سيخلو به، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، فيقول يا ابن آدم ما غرك بي؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين، ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟. تهذيب الحِلْية ١٢٠/ ١.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ويل للذي لا يعلم مرة، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات. الزهد لوكيع (٢١٧).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أخاف على نفسي أن يقال لي: ما علمت، ولكن أخاف أن يقال لي: ماذا عملت؟ مسند الدارمي (٢٧٠).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنك لن تكون عالما حتى تكون متعلّما، ولن تكون عالما حتى تكون بما علمت عاملا. الزهد لوكيع (٢١٧)، مسند الدارمي (٣٠١).

* وقال **سَلْمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ إِذَا وَقَفْتُ عَلَى الْحِسَابِ أَنْ يُقَالَ لِي: قَدْ عَلِمْتَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟. جامع بيان العلم وفضله (١٢٠١).

* وقال **جندب البجلي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٠): مثل الذي يعظ الناس وينسى نفسه مثل المصباح يُضيء لغيره ويحرق نفسه. الزهد لأحمد: ٣٣٠، الزهد لأبي داود (٣٢٦).

* وقال **معاذ بن جبل** (ت: ١٨): اعْلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن ينفعكم الله بعلمٍ حتى تعملوا. الزهد لأبي داود (١٨٠).

* وعن **عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) **أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا**

حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ عِنْدَهُ مَكْتُوبَةٌ»، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي. صحيح مسلم (١٦٢٧).

* وعن ميمون بن مهران قال: تكلم **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) ذات يوم، وعنده رهطٌ من إخوانه، فصح له منطقٌ وعظة حسنة، فنظر إلى رجل من جلسائه، وهو يَخذِفُ دمعته، فقطع دمعته، فقلت له: يا أمير المؤمنين، امض في منطقك فإني أرجو أن يمن الله على من سمعه أو بلغه قال: إليك عني، فإن في القول فتنة، والفعال أولى بالمؤمن من القول. ابن أبي الدنيا ١/ ١٨١.

* وجاء في كتاب الشكر لا بن أبي الدنيا: أخبرنا الشيخ ناصر الدين أبو نصر، قيل له: أخبركم الشيخ أبو الفضل جعفر بن أبي الحسن، قراءةً عليه وأنت تسمع سنة خمس وثلاثين وستمائة، قال: أنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي، قراءة عليه وأنا أسمع سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، قيل له: أخبركم الشيخان؛ الشريف أبو الفضل محمد بن عبد السلام الأنصاري، وأبو سعد محمد ابن خشيش؛ قال الشريف: أنبأ أبو علي الحسن بن شاذان؛ قال: أنبأ أبو بكر أحمد ابن سلمان النجاد، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، قال: حدثنا الجروي، قال: حدثني عمرو بن أبي سلمة، قال: حدثنا أبو عبدة الحكم بن عبدة، قال: حدثني حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن الصنابحي، عن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي النبي ﷺ: «**إني أحبك، فقل: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».

قال الصنابحي: قال لي معاذ: إني أحبك، فقل هذا الدعاء، قال أبو عبد الرحمن: قال لي الصنابحي: وأنا أحبك، فقل؛ قال عقبة: قال لي أبو عبد

الرحمن: وأنا أحبك فقل؛ قال حيوة: قال لي عقبة: وأنا أحبك فقل؛ قال أبو عبدة: قال لي حيوة: وأنا أحبك فقل؛ قال عمرو: فقال لي أبو عبدة: وأنا أحبك فقل؛ قال لي حسن يعني الجروي: وأنا أحبك فقل، قال لنا أبو بكر بن أبي الدنيا: وأنا أحبكم فقولوا، قال لنا أبو بكر النجاد: وأنا أحبكم فقولوا، قال لنا الشريف: قال لنا الحرقي: وأنا أنا أحبكم فقولوا، وقال ابن خشيش: وقال لنا ابن شاذان: وأنا أحبكم فقولوا: وقال لنا الشريف وابن خشيش: ونحن نحبكم فقولوا، وقال لنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد: وأنا أحبكم فقولوا: وقال لنا شيخنا أبو الفضل جعفر: وأنا أحبكم فقولوا، وقال لنا شيخنا نصر الدين أبو نصر: وأنا أحبكم فقولوا. ابن أبي الدنيا ١/ ٥٠١-٥٠٢.

* وقال بعضهم:

إِذَا الْعِلْـمُ لَـمْ تَعْمَـلْ بِـهِ كَانَ حُجَّـةً ... عَلَيْكَ وَلَـمْ تُعْـذَرْ بِمَـا أَنْتَ جَاهِلُهْ

فَـإِنْ كُنْتَ قَـدْ أُوتِيتَ عِلْمًـا فَإِنَّمَـا ... يُصَـدِّقُ قَـوْلُ الْمَـرْءِ مَـا هُـوَ فَاعِلُـهْ

جامع بيان العلم وفضله (١٢٤٢).

* وقال **بعض السلف**: «الَّذِي يَفُوقُ النَّاسَ فِي الْعِلْمِ جَدِيرٌ أَنْ يَفُوقَهُمْ فِي الْعَمَلِ». جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البرّ (١٢٧٠).

* وقيل **لبعض السلف**: بم أدركت ما أدركت؟.

قال: بالعلم.

قيل له: فإنّ غيرك قد علم أكثر مما علمت ولم يدرك ما أدركت.

قال: ذلك علم حُمل وهذا علم استُعمل(١).

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنك ترى من رفعه الله وانتفع الناس وظهر أثرُه: إنما هو بسبب استعماله لِمَا علم، لا بسبب كثرة حفظه وسعةِ اطّلاعِه.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديثٌ قَطُّ إلا عملتُ به ولو مَرَّة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٩٦.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلاّ ارتحل.[1] جامع بيان العلم وفضله (١٢٧٤).

* وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طلب العلم أحب إليك يا أبا عبد الله أو العمل؟ فقال: إنما يراد العلم للعمل، لا تدع طلب العلم للعمل، ولا تدع العمل لطلب العلم. تهذيب الحِلْية ٣٧٨/ ٢.

وقال الشاعر:

ما مَن روى أدبًا فلم يعمل به ... ويكف عن زيغ الهوى بأديب

حتى يكون بما تعلّم عاملا ... من صالح فيكون غير معيب

ولقلما تغني إصابة قائل ... أفعاله أفعال غير مصيب

وقال آخر:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

---

(١) العمل بالعلم من أعظم أسباب بركتِه وزيادتِه، قال شيخ الإسلام: مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.
وَحُسْنُ الْقَصْدِ مِنْ أَعْوَنِ الْأَشْيَاءِ عَلَى نَيْلِ الْعِلْمِ وَدَرْكِهِ.
وَالْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ مِنْ أَعْوَنِ الْأَشْيَاءِ عَلَى حُسْنِ الْقَصْدِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ قَائِدٌ وَالْعَمَلَ سَائِقٌ، وَالنَّفْسَ حَرُونٌ، فَإِنْ وَنَى قَائِدُهَا لَمْ تَسْتَقِمْ لِسَائِقِهَا، وَإِنْ وَنَى سَائِقُهَا لَمْ تَسْتَقِمْ لِقَائِدِهَا، فَإِذَا ضَعُفَ الْعِلْمُ حَارَ السَّالِكُ وَلَمْ يَدْرِ أَيْنَ يَسْلُكُ، فَغَايَتُهُ أَنْ يستطرح لِلْقَدَرِ، وَإِذَا تَرَكَ الْعَمَلَ حَارَ السَّالِكُ عَنْ الطَّرِيقِ فَسَلَكَ غَيْرَهُ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ تَرَكَهُ، فَهَذَا حَائِرٌ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَسْلُكُ مَعَ كَثْرَةِ سَيْرِهِ، وَهَذَا حَائِرٌ عَنْ الطَّرِيقِ زَائِغٌ عَنْهُ مَعَ عِلْمِهِ بِهِ. ا.هـ مجموع الفتاوى: ١٠/ ٥٤٤.

فهناك تعذر إن وعظت ويقتدى بالقول منك ويقبل التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

أدب الدين والدنيا: (٦٦).

* وقال **القاسم بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): أدركت الناس وما يعجبهم القول، إنما يعجبهم العمل.

قال القاسم: من شاء قال.[1] الزهد لأبي داود (٣٥٤).

* وقال بعض السلف: ما ازداد عبد بالله علمًا إلا ازداد الناس منه قربا. مسند الدارمي (٤٠١).

* وقال **بعض الحكماء**: أفضل العلم وقوف الرجل عند علمه. المجالسة وجواهر العلم (٢٩٧).

* وقيل **لعلقمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢): ألا تقصّ علينا؟ قال: إني لأكره أن آمركم بما لا أفعل. الزهد لأحمد: ٣٧٢.

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت: ١٠٣): يشرف أهل الجنة في الجنة على قوم في النار فيقولون: ما لكم في النار، وإنما كنا نعمل بما تعلِّمونا؟ فيقولون: إنا كنا نعلِّمكم ولا نعمل به. الزهد لأحمد: ٦١٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما من خطيب يخطب إلا عُرضت عليه خطبته يوم القيامة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٧٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليتني لم أكن علمتُ من ذا العلم شيئا.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأنه حجة على العالم، فينبغي أن يعملَ به، وينبِّه الجاهلَ، فيأمرُه وينهاه، ولأنَّه مَظِنَّةٌ أن لا يخلصَ فيه، وأن يَفْتَخرَ به ويُماري به، لينالَ رئاسةً ودُنيا فانيَةً. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٠٢.

---

(١) أي: القول والنصح والوعظ سهل كلّ يُحسنه، ولكن العمل صعب وما كلّ يُحسنه ويقوى عليه.

* وعن **شعبة** رَحِمَهُ اللَّهُ قال (ت: ١٦٠): ما أقول لكم إن أحدًا طلب الحديث يريد وجه الله تعالى إلا **هشامًا الدستوائي**، وإن كان يقول: ليتنا ننجو من هذا الحديث كفافًا لا لنا ولا علينا. تهذيب الحِلْية ٣٤٠/ ٢.

* وقيل **لبعض السلف**: ما بال أصحاب الحديث لا يشبعون من الحديث؟.

فقال: إذا أخذ الرجل اللقمة فرمى بها خلف ظهره فمتى يشبع.[1] المجالسة وجواهر العلم (٣٧).

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦): قال: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته، وإلى هدْيه، وإلى سَمْته. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٣.

* وقال **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٩): اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله. تهذيب الحِلْية ٣٩٤/ ١.

* وقال **أبو قلابة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤): إِذَا أَحْدَثَ اللهُ لَكَ عِلْمًا فَأَحْدِثْ لَهُ عِبَادَةً، وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ.[2] جامع بيان العلم وفضله (١٢٧٩).

* وقال **بعض العلماء**: ثمرة العلم أن يُعمل به، وثمرة العمل أن يُؤجر عليه[3].

وقال **بعض الصلحاء**: العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه أقام وإلا ارتحل.

---

(١) فالذي يقرأ ويتعلّم ولم يدخل العلم إلى قلبه، بل جعله خلف ظهره، وجعل همّه كثرة التحصيل والجمع: يشعر بالمزيد من النّهم والشغف للعلم، ولو دخل إلى قلبه وعزم على العلم به: لصرف كثيرا من أوقاته إلى العمل به.

(٢) كلام شريف عظيم، وكثيرًا ما يكون همّ طلاب العلم خاصة والناس عامة إذا تحصّلوا على علم وفائدة أن ينشروها في مواقع التواصل ونحوها، والواجب أنْ يكون همّهم العمل بما علموه.

(٣) ولا يُؤجر إلا إذا أخلص لله في عمله.

فالكلام سهل، وأصعب منه العمل، وأصعب منهما الإخلاص لله، إلا لمن أراد الله به خيرًا ووفقه.

وقال **أبو تمام الطائي** (ت: ٢٣١):

ولـم يحمـدوا مـن عالم غيـر عامل خلافـا ولا مـن عامـل غيـر عالـم

أدب الدين (١٣٣).

* وعن **مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) قال: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا. الزهد لأحمد: ٥٣٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: إنك إذا طلبت العلم لتعمل به كسَرك العلم، وإذا طلبته لغير العمل به لم يزدْك إلا فخْرًا. صفة الصفوة ٣/ ٢٠٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: تلقى الرجل وما يلحن حرفًا، وعمله كله لحن. تهذيب الحِلْية ١/٤٢٩.

* وقال **عمرو بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٦): إذا سمعت بالخير، فاعمل به ولو مرة واحدة. تهذيب الحِلْية ٢/ ١٥٥.

* وقال **ابن السَّمَّاك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٠): كم من شيءٍ إذا لم ينفع لم يضرَّ، لكن العلمَ إذا لم ينفع ضَرَّ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦١.

* وعن **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: «مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا». صحيح البخاري، بَاب: خَوْف المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: قد كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه وهديه وفي لسانه وبصره ويده. الزهد لأحمد: ٤٤٥.

* وصح عن **الحسن البصريّ** رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: كان الرجل يسمع الباب من أبواب العلم فيعلمه فيعمل به، فيكون خيرا له من الدنيا وما فيها لو كانت له فوضعها في الآخرة. الآداب الشرعية ٢/ ١١٨.

* وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إذا كنت آمرًا بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلا هلكت، وإذا كنت ممن ينهى عن المنكر فكن من أنكر الناس له وإلا هلكت. الزهد لأحمد: ٤٤٤.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلَانِ:

رَجُلٌ نَظَرَ إِلَى مَالِهِ فِي مِيزَانِ غَيْرِهِ سَعِدَ بِهِ وَشَقِيٌّ هُوَ بِهِ.[١].

وَرَجُلٌ نَظَرَ إِلَى عِلْمِهِ فِي مِيزَانِ غَيْرِهِ سَعِدَ بِهِ وَشَقِيَّ هُوَ بِهِ.[٢] جامع بيان العلم وفضله (١٢٨٣).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أدركت الناس والناسك إذا نسك[٣] لم يُعرف من قِبل منطقه، ولكن يعرف من قِبل عمله، فذلك العلم النافع. مسند الدارمي (٥٥٨).

* وقال **أبو عثمان الحيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠): ذهابُ الإسلام من أربعة: لا يعملونَ بما يَعلَمون، ويعملونَ بما لا يَعلَمون، ولا يَتعلَّمون مالا يَعْلَمون، ويَمنَعون النَّاس من العلم.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه نعوتُ رؤوس العرب والتُّرك، وخلق من جهلة العامة، فلو عملوا بيسير ما عرفوا، لأفلحوا، ولو وقفوا عن العمل بالبدع لوُفِّقوا ولو فَتَّشوا عن دينهم وسألوا أهل الذِّكر -لا أهل الحِيَلِ والمكر- لسَعِدوا، بل يُعرِضون عن التعلُّم تيهًا وكَسَلاً، فواحدة من هذه الخِلال مُردِيَة، فكيف بها إذا اجتمعت؟! فما ظنُّك إذا انضم إليها كِبْر، وفجورٌ، وإجرامٌ وتَجَهْرُمٌ على الله! نسأل الله العافية. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٢٣.

---

(١) كمن أفنى حياته بجمع المال، ثم مات فورث ماله رجال صالحون، فأدوا حقّ الله فيه.

(٢) كالمعلم والواعظ الذي يُعَلِّم ويعظ ولا يعمل بما يقول، أو لا يبتغي بوعظِه وتعليمه وجه الله، بل يبتغي مصلحةً دنيويةً من وظيفة ونحوها.

(٣) أي: العابد إذا تعبّد.

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت ١٩٨): إنما أرباب العلم الذين هم أهله الذين يعملون به. تهذيب الحِلْية ٢/٤٢٦.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان رجل عالم وآخر عابد، فقال العالم للعابد: مالك لا تأتيني والناس يأتوني ويحتاجون إلى علمي؟ قال: أنا أُحسن شيئًا قليلًا وأنا أعمل به، فإذا فني أتيتك. تهذيب الحِلْية ٢/٤٣٤.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجهل الناس من ترك ما يعلم، وأعلم الناس من عمل بما يعلم، وأفضل الناس أخشعهم لله عَزَّوَجَلَّ. مسند الدارمي (٣٤٢).

* وقال **داود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): أليس المحارب إذا أراد أن يلقى الحرب، أليس يجمع له آلته؟ فإذا أفنى عمره في جمع الآلة فمتى يحارب؟ إن العلم آلةُ العمل، فإذا أفنى عمره فيه فمتى يعمل؟! تهذيب الحِلْية ٢/٤٥٨.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): أي حسرة على امرئ أكبر من أن يؤتيه الله عَزَّوَجَلَّ علمًا فلم يعمل به، فسمعه منه غيره فعمل به، فيرى منفعته يوم القيامة لغيره. تهذيب الحِلْية ٣/٢٧.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): لا تسأل عن مسائل تعرف بها عيوب الناس، لا تقع في ألسنة الناس، إذا سألت عن مسألة فاعمل، فإن لم تطق فاستعن بالله. تهذيب الحِلْية ٣/٩٩.

* وقال **وهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠): لا يكن همّ أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكنْ همّه في إحكامه وتحسينه، فإن العبد قد يصلّي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه.(١) صفة الصفوة ٢/ ٥٣٥.

---

(١) قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون الإكثار منه؛ فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان، أفضل من الكثير مع الغفلة وعدم الإتقان. فتح الباري: ١/ ٣٥٢.

* وقال المروذي: قال لي **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): ما كتبتُ حديثًا إلا وقد عملتُ به حتى مرَّ بي أن النبيَّ ﷺ، احْتَجَم وأعطى أبا طَيْبَة دينارًا، فأعطيتُ الحجَّام دينارًا حين احتجمتُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٩.

* وقال **بعضهم**:

يَـا أَيُّهَـا الرَّجُـلُ الْمُعَلِّـمُ غَيْـرَهُ ... هَـلَّا لِنَفْسِـكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيـمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ مِنَ السَّقَامِ لِذِي الضَّنى ... كَيْمَـا يَصِـحَّ بِـهِ وَأَنْـتَ سَـقِيمُ
وَأَرَاكَ تُلْقِـحُ بِالرَّشَـادِ عُقُولَنَـا ... نُصْحًـا وَأَنْـتَ مِـنَ الرَّشَـادِ عَدِيـمُ

شعب الإيمان (١٧٨٠).

* وعن عبد الرحمن الطبيب -وهو طبيب **أحمد بن حنبل** و**بشر الحافي** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ- قال: اعتلَّا جميعًا في مكان واحد، فكنت أدخل على بشر فأقول له: كيف تجدك يا أبا نصر؟ قال: فيحمد الله تعالى، ثم خبرني فيقول: أحمد الله إليك، أجد كذا وكذا، وأدخل على أبي عبد الله فأقول: كيف تجدك يا أبا عبد الله؟ فيقول: بخير. فقلت له يومًا: إن أخاك بشرًا عليل وأسأله بحاله فيخبرني، فيبدأ بحمد الله تعالى ثم يخبرني، فقال لي: سله عمَّنْ أخذ هذا؟ فقلت له: إني أهابه أن أسأله فقال: قل له: قال لك أخوك أبو عبد الله: عمن أخذت هذا؟ قال: فدخلت عليه فعرفته ما قال، فقال لي: أبو عبد الله لا يريد الشيء إلا بالإسناد: أزهر عن ابن عون، عن ابن سيرين: إذا حمد الله تعالى العبد قبل الشكوى لم تكن شكوى، إنما أقول لك: أجد كذا، أُعَرِّف قدرة الله تعالى فيّ.

قال: فخرجت من عنده فمضيت إلى أبي عبد الله فعرفته ما قال. فكنت بعد ذلك إذا دخلت عليه يقول: أحمد الله إليك، ثم يذكر ما يجد. المنتظم ١٦٧- ١٦٨/ ١٢.

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٨): من طلب العلمَ للعمل كسره العلمُ، وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء، تحامق، واختال، وازدرى بالناس، وأهلكه العُجْبُ، ومقتَتْهُ الأنفس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠] أي: دسَّسَها بالفُجور والمعصية. قُلِبتْ فيه السينُ ألفًا. تهذيب السِّير ٣/ ١٤٠١.

* وسئل الإمام **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) عَنِ الرجل يكتب الحديث فيُكْثِر، قَالَ: ينبغي أن يكثر العمل به عَلَى قدر زيادته فِي الطلب، ثم قَالَ: سبيل العلم مثل سبيل المال، إن المال إذا زاد زادت زكاته.[١] طبقات الحنابلة (٢/ ٢٣).

* ونُقل للإمام **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ قول شُعبة بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ هذا الحديث يَصُدكم عَنْ ذكر الله وعَنِ الصلاة وعن صلة الرحم فهل أنتم مُنتَهون؟[٢].

فأطرق ساعةً ثم قَالَ: أما نحن فلا نعرف هذا مِن أنفسنا، فإن كان شُعْبَة يَعرف من نفسه شيئًا فهو أعلم.[٣] طبقات الحنابلة (٢/ ١٨٧).

* وقَالَ ابْنُ مَنْصُور لِلْإِمَام **أَحْمَد** رَحِمَهُ اللَّهُ: تَذَاكُرُ بَعْضِ لَيْلَةٍ أَحَبُّ إِلَيْك مِنْ إِحْيَائِهَا؟ قَالَ: الْعِلْمُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ.

قُلْت: الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالْحَجُّ وَالطَّلَاقُ وَنَحْوُ هَذَا؟.

---

(١) فيا طالب العلم: كلما كثر علمك فليَكْثر عملُك، وزِد في عبادتك ونفعك؛ حينها يُبارَك لك في علمك.

(٢) إنما يعني الإكثار منه إلى درجة الانشغال به عن العمل به، والانكباب عليه رغبةً في زيادة العلم فحسب، لا لقصد العمل به وتعليمه. والله أعلم.

والدليل على ذلك: أنه من المحدّثين الذين رووا الحديث وأفنى عمره في تحصيله ونشره، وأخرج له أصحاب الصحاح والمسانيد.

(٣) ولنتعلّم من الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ الأدب والْتماس العذر، حيث لم يشنع على شعبة ولا على كلامه، مع كون ظاهره خطأ فاحش.

قَالَ: نَعَمْ.[١] الآداب الشرعية ٢/ ٢٧.

* وقَالَ **سهل التستري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨٣): أفضل العلم ما عُمل به، والعلم كلّه حجة إلا ما عُمل به، والعمل هباءٌ إلا ما صح[٢]، وما صح فلست أقطع به إلا باستثناء ما شاء الله. طبقات الحنابلة (٣/ ٣٦-٣٧).

* وسُئِل **ابْن الْمُبارَكِ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١): هلْ لِلْعُلماءِ علامةٌ يُعْرَفُونَ بِهَا؟ قال: **علامَةُ الْعالِمِ:**

١- مَنْ عَمِلَ بِعلْمهِ.

٢- واسْتَقَلَّ كثيرَ الْعمل مِنْ نَفْسهِ.

٣- ورَغِبَ في عِلْمِ غيرهِ.

٤- وقَبِلَ الْحقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ أتاهُ به.

٥- وأخذَ العِلمَ حيثُ وجدَهُ.

٦- فهذهِ علامةُ الْعالِمِ وصفَتُهُ.

قال المرُّوذي: فذكرتُ ذلكَ **لأبي عبدالله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) فقال: هكذا هُو. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٦٨).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): لا يتمّ حسن الكلام إلا بحسن العمل، كالمريض الذي قد علم دواء نفسه، فإذا هو لم يتداوَ به لم يُغْنه علمه. الأدب الصغير (٥٠).

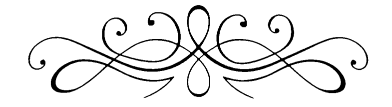
* وقال **أبو إسحاق الشيرازي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٧٦): العلم الذي لا ينتفع به صاحبه: أن يكون الرجل عالِمًا، ولا يكون عاملًا، ثمّ أنشد لنفسه:

(١) فمن سهر ليله في تعلم وقراءةِ مُلح العلم -ككتب التراجم والسير والأدب والتاريخ- ولم يأخذ حظًّا وافرًا من قيام الليل فقد ترك الفاضل وانشغل بالمفضول.

(٢) ولا يصح العمل إلا إذا كان خالصا لله، صوابا على السنة.

عِلِمْـتَ مـا حلّـل المَوْلَـى وحرَّمـه ... فاعمـلْ بعِلْمـك إنّ العِلَـم للعَمَـل

وقال: الجاهل بالعالم يقتدي، فإذا كان العالِم لا يعمل؛ فالجاهل ما يرجو من نفسه؟ نعوذ بالله من علمٍ يصيرُ حُجَّةً علينا. طبقات الشافعيين (٢/ ٤٠).





بذلُ العلم وتعليمه وتدوينه

* قال **سَلْمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): علمٌ لا يُقال به ككنز لا يُنْفَق منه. مسند الدارمي (٥٧٤).

* وعَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: غَزَوْنَا غَزَاةً وَعَلَى النَّاسِ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَغَنِمْنَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً، فكَانَ فِيمَا غَنِمْنَا آنِيَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، فَأَمَرَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا أَنْ يَبِيعَهَا فِي أَعْطِيَاتِ النَّاسِ، فَتَسَارَعَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ، فَبَلَغَ **عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤)، فَقَامَ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْهَى عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرِّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرِ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرِ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحِ بِالْمِلْحِ، إِلَّا سَوَاءً بِسَوَاءٍ، عَيْنًا بِعَيْنٍ، فَمَنْ زَادَ، أَوِ ازْدَادَ، فَقَدْ أَرْبَى»، فَرَدَّ النَّاسُ مَا أَخَذُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَقَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: أَلَا مَا بَالُ رِجَالٍ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثَ قَدْ كُنَّا نَشْهَدُهُ وَنَصْحَبُهُ فَلَمْ نَسْمَعْهَا مِنْهُ، فَقَامَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ فَأَعَادَ الْقِصَّةَ، ثُمَّ قَالَ: لَنُحَدِّثَنَّ بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ كَرِهَ مُعَاوِيَةُ، مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَصْحَبَهُ فِي جُنْدِهِ لَيْلَةً سَوْدَاءَ.[1] صحيح مسلم (١٥٨٧).

---

(١) كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يصدعون بالحق، ويُبلغون ما تعلموه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو كان الحديث الذي ينقلونه فيه نوعٌ من الإغضاء بهم، وهذا يدل على أمانتهم وصدقهم وعدم كتمانهم وإخفائهم ما علموه.

فقد نقل أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ له: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**». متفق عليه.

ونقل عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاهُ وَفَاطِمَةَ لَيْلَةً فَقَالَ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، =

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر. مسند الدارمي (٣٥٥).

* وكان **أبو أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) إذا قعدوا إليه يقول: اسمعوا واعقلوا وبلغوا عنّا ما تسمعون. مسند الدارمي (٥٦١).

* وروي عن حبيب بن أبي ثابت أنه قال: قال لي **سَعِيد بن جُبَيْر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤): لأن أَنشرَ علمي أحبُّ إليَّ من أن أذهب به إلى قبري. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٠٦.

* وعن **الزهري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٤) قال: العلم يقبض قبضًا سريعًا، فنشر العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله. تهذيب الحِلْية ٢٦/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: إياك وغلول الكتب، قلت: وما غلولها؟ قال: حبسها عن أهلها. تهذيب الحِلْية ٢٥/ ٢.

* وكان **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) في مجلس فقيل لأبي العلاء يزيد بن الشخير تكلم، فاعتذر عن الحديث، ثم ذكر الكلام ومؤنته وتبعته.

ثم تكلم الحسن فقال: ودّ الشيطان أنكم أخذتموها عنه، فلم يأمر أحد بخير ولم ينه أحد عن شر. الزهد لأحمد: ٤٢١.

* وعن **عطاء الخراساني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: إن أوثق عملي في نفسي نشري العلم. تهذيب الحِلْية ١٨٦/ ٢.

* وسُئل **ابن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨) عن الورع فقال: الورع طلب العلم الذي يُعرف به الورع، وهو عند قوم طول الصمت، وقلة الكلام، وما هو كذلك، إنَّ المتكلم العالم أفضل عندي وأورع من الجاهل الصامت. تهذيب الحِلْية ٤٤٢/ ٢.

=ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤]. متفق عليه.

والأمثلة في ذلك كثيرة، فلولا أمانتهم وصدقهم لكتموا مثل هذه الأحاديث.

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) قال: كانوا إذا رأوا الرجل لا يحسن الصلاة علَّموه.(١) الزهد لابن المبارك (١٠٧٤).

* وكان **ابن شهاب الزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤) يحدث الأعراب. مسند الدارمي: (٦٢٨).

* وقال **لقمان** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: الصمت حكمة وقليل فاعله.

* قال **طاووس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦): من قال واتقى الله عَزَّوَجَلَّ خير ممن صمت واتقى الله عَزَّوَجَلَّ. الزهد لأحمد: ٢٠٨.

* وكان **إسماعيل بن رجاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) يجمع صبيان الكتاب، يحدثهم، يتحفّظ بذلك. مسند الدارمي: (٦٢٩).

* وقال **بعض السلف**: ليس هديةٌ أفضلَ من كلمةِ حكمةٍ تهديها لأخيك. مسند الدارمي (٣٦٣).

* وكان **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) يقول: لا ينبغي لأحدٍ عنده علم أن يترك التعليم. ترتيب المدارك (١/ ١٥٣).

* وقدِم **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) من الحجاز، فبقي أربع سنين بمصر، ووضع هذه الكتب في أربع سنين ثم مات.(٢) طبقات الشافعيين (١/ ٤٦).

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من رأى من يسيء صلاته فإنه يأمره بإحسان صلاته ويعظه ويبالغ في الوعظ؛ فإن القلوب تستجيب إلى الحق بالموعظة الحسنة ما لا تستجيب بالعنف. فتح الباري (٣/ ١٤٣).

(٢) ماذا لو أخر الشافعي تأليف هذه الكتب النافعة وسوّف؟ لحُرم الناس علمًا عظيمًا، ولربما مات جلّ علمه، واندثر مذهبه.

وماذا لو أخرّ سيبويه الذي توفي وعمره ثلاثٌ وثلاثون سنة تأليف كتابه (الكتاب)؟ لَحُرِمَ أجرا عظيما، ولَحُرِمَ الناس علمًا كثيرًا نافعًا، ولما كانت له هذه المنزلة والمكانة والحبّ في قلوب العلماء خاصة والناس عامة. =

* وقَالَ أَبُو حمزة الصوفي: كان الإمام **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) يسألني فِي مجلسه عَنْ مسائل، ويقول: ما تقول فيها يا صوفي؟.

قال ابن أبي يَعلى: أراد -والله أعلم- بسؤاله: إن أصاب أقَرَّهُ عليه، وإن أخطأ بيَّنه له.[1] طبقات الحنابلة (٢/ ٢٣٥).

* وعَنْ **مُحَمَّدِ بن يوسف الْفِرْبَرِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢٠) أنه كان يقول: سمع كتاب الصحيح **لمحمد بن إِسْمَاعِيلَ** رَحِمَهُ اللَّهُ تسعون ألف رجل، فما بقي أحدٌ يرويه عنه غيري.[2].

وقال: صنَّفتُ كتابي الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حُجَّة فيما بيني وبين الله تعالى. طبقات الحنابلة (٢/ ٢٥٠- ٢٥٥).

* وَقَالَ **أَبُو حَاتِم ابْنُ حِبَّانَ الْبُسْتِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٥٤): «العَاقِلُ لَا يَسْعَى فِي فُنُونِهِ -أي: العِلْم- إِلَّا بِمَا أَجْدَى عَلَيْهِ نَفْعًا فِي الدَّارِيْنِ مَعًا، وَإِذَا رُزِقَ مِنْهُ الحَظّ لَا يَبْخَلُ بِالإِفَادَةِ؛ لأَنَّ أَوَّلَ بَرَكَةِ العِلْمِ الإِفَادَةُ، وَمَا رَأَيتُ أَحَدًا قَطُّ بَخِلَ بِالعِلْمِ إِلَّا لَمْ يُنْتَفَعْ بِعِلْمِهِ، وَكَمَا لَا يُنْتَفَعُ بِالمَاءِ السَّاكِنِ تَحْتَ الأَرْضِ مَا لَمْ يَنْبُعْ، وَلَا

= فلا ينبغي لمن عنده أهلية في العلم وقدرة على التأليف أن يتأخر ويسوّف.

تنبيه: أَلَّف الشافعي كتابه الرسالة القديمة في مكة، ولما رجع إلى مصر سنة (١٩٩ هجرية) أعاد تصنيفَ الرسالة، وليس في أيدي الناس اليوم إلا الجديدة، والظاهر أنه أعاد تأليف كتاب «الرسالة» بعد تأليف كتاب «الأم»، وأنه أملاها إملاءً على الربيع المرادي.

قاله الشيخ أحمد شاكر في مقدمة كتاب الرسالة.

(١) هذا من حرص الإمام أحمد على تعليم الناس وتصحيح عقائدهم ودينهم، ومبادرته إلى ذلك.

(٢) إذا كان قد سمع كتاب صحيح البخاري في حياته تسعون ألف رجل، وكثير منهم إن لم يكن أكثرهم من أهل العلم والخبرة بالحديث والرجال، فمعنى ذلك أنه اشتُهر بين الخاص والعام في وقته، واطلع عليه الأئمة، فكيف يأتي في هذا الزمان من يشكك فيه وفي صِحَّته، وقد تلقته الأمة بالقَبول من وقته إلى وقتنا؟ ولكن الهوى يُعمي صاحبه حتى يتفوّه بما يَضحك منه الصبيان.

بِالذَّهَبِ الأحْمَرِ مَا لَمْ يُسْتَخْرَجْ مِنْ مَعْدَنِهِ، وَلَا بِاللؤلؤ النَّفِيسِ مَا لَمْ يُخْرَجْ مِنْ بَحْرِهِ، كَذَلِكَ لَا يُنْتَفَعُ بِالعِلْمِ مَا دَامَ مَكْنُونًا لَا يُنْشَرُ وَلَا يُفَادُ». روضة العقلاء: ٣٢.

* وكان للقاضي **يعقوبَ بن إبراهيم العكبري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٨٦) غلمان[1] كثيرون، وكان مباركَ التعليم، لم يَدْرسْ عليه أحد إلا أفلَحَ وصار فقيهًا.[2] طبقات الحنابلة (٣/ ٤٥٤).

* وقال **ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٩٧): كنتُ أقرأُ على **عبدالوهاب بن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث وهو يبكي، **فاستفدتُ ببكائه أكثر من استفادتي بروايته.**

وكان على طريقة السَّلف، وانتفعتُ به ما لم أنتفع بغيره، ودخلتُ عليه في مرضه -وقد بَلِيَ وذهَبَ لحمُه- فقال لي: إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يُتَّهَمُ في قضائه.

وقال أيضًا: كنتُ أقرأ عليه الحديث مِن أخبار الصالحين، فكلَّما قرأتها بكى وانتَحَب.

قال: وكانت فيه خُلَّة أخرى عجيبة: لا يَغتاب أحدًا، ولا يُغتاب عنده.

وكان صبورًا على القراءة عليه، يقعُد طول النهار لمن يطلب العلم، وكان سَهلًا في إعارة الأجزاء لا يتوقف[3]، ولم يكن يأخذ أجرًا على العلم، ويعيبُ من يفعل ذلك، ويقول: عَلِّمْ مجانًا كما عُلِّمتَ مجانًا. ذيل الطبقات (١/ ٤٥٧).

* وأقرأ الإمام **علم الدين السخاوي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٤٣) الناس نيفًا وأربعين سنة، فقرأ عليه خلق كثير. معرفة القراء (٣/ ١٢٤٦).

* وقال **أبو إسحاق الشيرازي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٧٦): خرجتُ إلى خراسان فما دخلتُ بلدةً ولا قريةً إلا كان قاضيها أو خطيبها أو مفتيها تلميذي أو من أصحابي.[4] طبقات الشافعيين (٢/ ٣٧).

---

(١) يعني تلامذة.

(٢) وهذا قلّ من يوفق له من المشايخ والمعلمين، نسأل الله أن نكون منهم.

(٣) وبعض الناس لا يكاد يُعير أحدًا كتابًا، ولو كان محتاجًا له، مع عدم حاجة المعير له.

(٤) هذا والله من بركة العلم، نسأل الله من فضله.

* واشْتغل الشَّيْخ الْعَالم الْمُفْتِي المقرئ **عَبَّاس بن حُسَيْن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٢) فِي الْعلم، وتميَّز، وَأَفْتى، ودرس، وخطب.

قَالَ بعض المؤرخين المصريين: كَانَ الطَّالِب يقْرَأ عَلَيْهِ، فَإِذا تنبَّه[1] ذهب إِلَى حَلقَة الشَّيْخ سراج الدَّين البُلْقِينِيّ.[2] طبقات الشافعية (٢/ ٢٢٤).

* وقال قاسم تلميذ وقريب **أبي إبراهيم التجيبي** (ت: ٣٥٢) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: تركني أبي وإخوتي في حجر أبي إبراهيم، فكفلنا وربّانا وعلّمنا، ففتح الله عليّ ببركته، فلم يكن في قلبي أحد أعظم منه لي.

كنت يومًا خارجًا إلى صلاة العصر، إذ فَتَح بابه، فالْتفتُّ فإذا به ورائي، يريد مثل ما أريده، فتوقفتُ حتى لحقني، فسلمت عليه، فردّ عليّ مغضبًا، وقال لي: يا قاسم، ما كان هذا تقديري فيك، فيا ليتني ثكلتك ولم أرك صنعت ما صنعت، فقلت: وما هو يا سيدي؟ قال: خرجتَ من بيتك إلى الله لتأدية فريضة، فبينا أنت في ذلك وقَعَت عينك على مخلوق مثلك، يريد ما أردته، فحوَّلت وجهك إليه عن قبلتك، ووقفت حتى لحقك؟.

فقلت: يا سيدي، أنا معذور في الهوى إليك، إذ حقك عليّ كوالدي.

فقال: ما أريد أن تفعله به ولا بي، فحقُّ الله أحقُّ من كلِّ حق، لا تعد لمثله.[3]

---

(١) أي: تعلم عند الشيخ عباس حتى أصبح نبيهًا.

(٢) ما أجمل هذه الطريقة وأحسنها، حيث يسعى هذا الشيخ في تعليم طلابه المبتدئين، وتحصيلهم مهمات العلوم، فإذا مَهَر الطالب منهم وبرع أَمَرَه أن يكمل العلم عند من هو أعلم منه، وهو العلامة البُلقيني.

(٣) بمثل هذه التربية يصلح حال طلاب العلم، فما أحوجهم لشيخ عابد صادق مع الله، معظم لحقه، ليربيهم على تعظيم الله لا على تعظيمه.

وينبغي لطالب العلم أن يختار شيخه بعناية، حيث يبحث عن الشيخ القدوة، صاحب الأخلاق والعلم والعمل والعبادة والتقى، فالغالب أن الطالب يتأثر بشيخه، ويتطّبع بطبعه، ويتخلّق بأخلاقه، ويقتدي بأفعاله، ويمتثل أقواله.

ترتيب المدارك (٣/ ٣٧٨).

* وعن **أبي حاتم الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٧) قال: نشر العلم حياتُه، والبلاغُ عن رسول الله ﷺ رحمةٌ يعتصم به كلّ مؤمن، ويكون حجةً على كلِّ مُصِرٍّ به وملحد. شرف أصحاب الحديث: ١٧.

* وكان **القاضي أبو الوليد الباجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٧٤) في رحلته وأوّلِ وروده الأندلس مقلًا من دنياه، حتى احتاج في سفره إلى القصد بشعره، واستأجر نفسه مدة مقامه ببغداد فيما سمعتُه مستفيضًا لحِرَاسة دربٍ، فكان يستعين بإجارته على نفقته، وبضوئِه على مطالعته.

ثم ورد الأندلس وحاله ضيّقة، فكان يتولَّى ضرب ورق الذهب للغزل والإنزال، ويعقد الوثائق، فلقد حدثني ثقة من أصحابه -والخبر في ذلك مشهور- أنه كان حينئذ يخرج إلينا إذا جئنا للقراءة عليه وفي يديه أثر المطرقة وصدأ العمل.

إلى أن فشا علمه، وعُرف وشُهرت تواليفه، فعُرف حقُّه، وجاءته الدنيا، وعظم جاهه، وقرّبه الرؤساء، وقدّروه قدره، واستعملوه في الأمانات والقضاء، وأجزلوا صلاته، فاتَّسعت حاله، وتوفَّر كسبه، حتى مات عن مال وافر.[1] ترتيب المدارك (٤/ ٣٧٩).

* وللشيخ **عبدالرحمن السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٦) أخلاق أرقّ من النسيم، وأعذب من السلسبيل، لا يُعاتب على الهفوة، ولا يُؤاخذ بالجفوة، يتودّد ويتحبب إلى البعيد والقريب، يقابل بالبشاشة، ويحيّي بالطلاقة، ويُعاشر بالحسنى، ويُجالس بالمنادمة، ويجاذب أطراف أحاديث الأنس والود، ويعطف

---

(١) الطالب المخلص الصادق، الذي يسعى في اكتساب العلم ليعمل به، ويبلّغ به رسالات ربه: يبذل في سبيله وقته وماله، ولو كلفه أن يعمل أجيرًا لأجل اكتساب المال الذي يسدّ به جوعه، وينفقه في تحصيل العلم.

على الفقير والصغير، ويبذل طاقاته ووسعه بالخير، ويساعد بماله وجاهه، وينشر علمه ونصحه، ويُدلي برأيه ومشورته بلسان صادق وقلب خالص وسرٍّ مكتوم. علماء نجد (٣/ ٢٠١).

وصرف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أوقاته كلّها للتعليم والإفادة والتوجيه والإرشاد، فلا يصرفه عن حلق الذكر ومجالس الدرس صارف، ولا يردّه عنها رادّ، إلا ما يتخلّله من الفترات الضرورية. علماء نجد (٣/ ١٧٩).

وطريقة **الشيخ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التدريس طريقة مفيدة، أخذها عن شيخه محمد أمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكان يقرأ العبارة، ثم يوضح معناها توضيحا تامًّا، ثم يصوّرها ويذكر دليلها وحكمة التشريع منها، فإن كان يراها أقرّها، وإن كان يرى القول الآخر أصحّ منها ذكر القول الثاني بنفس الطريقة، ثم أخذ في نصرة القول الذي يراه وبيان أدلّته، وتوهين القول الذي لا يراه حتى يُقنع الطالب بما يراه.

كل هذا بأسلوب واضح وترتيب مستقيم، بحيث إنّ تفهيمه لا ينخفض عن مستوى الطالب المُدرك، ولا يرتفع عن مستوى الطالب المبتدئ، فالكل منه يستفيد.

وكانت دروسه من بعد طلوع الشمس، وفي الضحوة، وقبل صلاة العصر وبعدها، ومن بعد المغرب إلى العشاء، هكذا كل يوم.

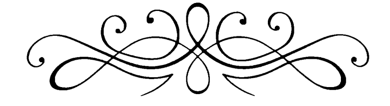
وكان من طريقة تدريسه أنه يجمع الطلبة على كتاب واحد في الجلسة، وبعد الفراغ من الجلسة يطلب من ثلاثة منهم إعادة ما فهموه من شرحه الذي ألقاه عليهم؛ ليختبر فهمهم وحفظهم، كما كان يسألهم عما مضى لئلا ينسوه.

وكان من طريقة نشره للعلم وتشجيعه عليه أنه كان يُعطي على حفظ المتون الجوائز الثمينة، وكذلك يُعطي الجوائز على سرعة الفهم والجواب على أسئلته التي يُوردها.

ومن طريقته في التدريس أيضا لاختبار ذهن الطلبة المستمعين أنه كان أحيانا يُغلّط نفسه قصدًا؛ ليرى حاضرَ الذهن من الشارد، ثم يبيّن لهم الصحيح، وتلامذته قد عرفوا منه ذلك. علماء نجد (٣/ ١٨١-١٨٢).

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُعطيهم -أي طلابه- مسائل علميّة يتناظرون عليها كمسابقات. علماء نجد (٤/ ٣٩٣).

* وعندما أحسّ الشيخ **عبدالعزيز آل مبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٥٩) بدنوّ أجله قال: ما أسفت على شيء أسفي على علمٍ بين جنبيَّ لم أستطع أن أورِّثه لأحدٍ بعدي.[1] علماء نجد (٣/ ٢٦٩).



(١) وحُقّ له أن يأسف ويحزن على العلم الذي لم يُوفّق لنشره؛ لأنه يعلم أنه لو نشره لأجرى الله عليه الأجور التي لا تنقطع إلى أن يرث الأرض ومن عليها.
فانشر علمك يا طالب العلم ما استطعت إلى ذلك سبيلا، قبل أن تندم وتتحسّر على علم تعبت في تحصيله، وتكاسلت في نشره وزكاته.



أ- مكانة السُّنة ومنزلتها، وذم من احتج بالقرآن وردَّ السنة:

* عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) قال: إذا حدّثتم عن رسول الله ﷺ فظنوا به الذي هو أهدى، والذي هو أتقى. مسند الدارمي: (٦١٢).

* وعَنْ عَلْقَمَةَ بنِ قَيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): قَالَ: «لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ[1]، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ[2]، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ[3] لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ»، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ، يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ، وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ؛ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «وَمَا لِيَ لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ»، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيِ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الآنَ، قَالَ: «اذْهَبِي فَانْظُرِي»، قَالَ: فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا.

---

(١) الْوَاشِمَات: الوَشْمُ: أن يغْرَزَ الجلْد بإبْرة، ثم يحشى بكحل، أو نيل فيزرقّ أثره، أو يخضر.

(٢) الْمُتَنَمِّصَات: جمع المتنمصة، وهي: التي تأمر بنتف الشعر من وجهها.

(٣) الْمُتَفَلِّجَات: جمع متفلجة، وهي: التي تطلبُ الفَلَجَ وهو: فُرْجَة ما بين الثَّنَايَا والرُّبَاعِيَّات.

فَقَالَ: «أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نُجَامِعْهَا». [صحيح البخاري: (٤٨٨٦)، صحيح مسلم: (٢١٢٥)، واللفظ له.

* وعن **حسان بن عطيّة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة، كما ينزل عليه بالقرآن. مسند الدارمي: (٦٠٨).

* وَعَنْ **سَعِيد بن جُبَيْر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): أَنَّهُ حَدَّثَ يَوْمًا بِحَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: فِي كِتَابِ اللهِ مَا يُخَالِفُ هَذَا، فَغَضِبَ سَعِيدٌ! غَضبًا شَدِيْدًا، أَلَا أَرَاكَ تُعَارِضُ كِتَابَ اللهِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللهِ مِنْكَ». مسند الدارمي: (٦١٠).

* وَقَالَ **أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الأَبَّارُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٠): «رَأَيْتُ بِالأَهْوَازِ رَجُلًا قَدْ حَفَّ شَارِبَهُ، وَأَظُنُّهُ: قَدِ اشْتَرَى كُتُبًا وَتعيَّنَ لِلْفُتْيَا، فَذَكَرُوا أَصْحَابَ الْحَدِيثِ، فَقَالَ: لَيْسُوا بِشَيْءٍ، وَلَيْسَ يَسْوُونَ شَيْئًا، فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ: أَنَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قُلْتُ: إِيش تَحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلاَةَ وَرَفَعْتَ يَدَيْكَ؟ فَسَكَتَ، فَقُلْتُ: وأَيش تَحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا وَضَعْتَ يَدَيْكَ عَلَى رُكْبَتَيْكَ؟ فَسَكَتَ، قُلْتُ: إِيش تَحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا سَجَدْتَ؟ فَسَكَتَ، قُلْتُ: مَا لَكَ لاَ تَكَلَّمُ؟ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي؟ أَنْتَ إِنَّمَا قِيلَ لَكَ: تُصَلَّى الْغَدَاةُ رَكْعَتَيْنِ، وَالظُّهْرُ أَرْبَعًا، فَالْزَمْ ذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَذْكُرَ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ، فَلَسْتَ بِشَيْءٍ وَلاَ تُحْسِنُ شَيْئًا». تهذيب السِّير ٣/ ١١٠١.

* وَقَالَ **مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠): «كُنْتُ أَنَا وَأَحْمَدُ بْنُ الحَسَنِ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٠)، عِنْدَ **أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)، فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ بنُ الحَسَنِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، ذَكَرُوا لاِبْنِ أَبِي قتيلَةَ بِمَكَّةَ أَصْحَابَ الحَدِيْثِ، فَقَالَ: أَصْحَابُ الحَدِيْثِ قَوْمُ سوءٍ، فَقَامَ أَبُو عَبْدِ اللهِ ينفُضُ ثَوْبَه، وَيَقُوْلُ: «زِنْدِيْقٌ،

زِنْدِيْقٌ، زِنْدِيْقٌ،[١] وَدَخَلَ البَيْتَ». عقيدة السلف وأصحاب الحديث / ٣٠٠-٣٠٣.

وقال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سَمِعْتُ الشَّيْخَ **أَبَا بَكْرٍ أَحْمَدَ بنَ إِسْحَاقَ ابنِ أَيُّوبَ الفَقِيهَ الصِّبْغِيَّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٤٢)، وَهُوَ يُنَاظِرُ رَجُلًا، فَقَالَ الشَّيْخُ: حَدَّثَنَا فُلانٌ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: دَعْنَا مِنْ حَدَّثَنَا، إِلَى مَتَى حَدَّثَنَا؟ فَقَالَ الشَّيْخُ لَهُ: قُمْ يَا كَافِرُ[٢]، فَلا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ دَارِي بَعْدَ هَذَا! ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: مَا قُلْتُ لأَحَدٍ قَطُّ لا تَدْخُلْ دَارِي إِلاَّ هَذَا».[٣] عقيدة السلف وأصحاب الحديث / ٣٠٠-٣٠٣.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما الزِّنْدِيقُ الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر، فالمراد به عندهم: الْمُنَافِق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وإن كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن، وسواء كان في باطنه يهوديا أو نصرانيا أو مشركا أو وثنيا، وسواء كان معطلا للصانع وللنبوة أو للنبوة فقط أو لنبوة نبينا فقط، فهذا زِنْدِيْقٌ وهو: مُنَافِقٌ».[«بغية المرتاد»: (٣٣٨)].

وقال: في [«مجموع الفتاوى»: (٤/ ٩٦)]: « فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْحُكُومَةَ الْعَادِلَةَ؛ لِيَتَبَيَّنَ لَك أَنَّ الَّذِينَ يَعِيبُونَ أَهْلَ الْحَدِيثِ، وَيَعْدِلُونَ عَنْ مَذْهَبِهِمْ جَهَلَةٌ زَنَادِقَةٌ مُنَافِقُونَ بِلَا رَيْبٍ، وَلِهَذَا لَمَّا بَلَغَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ عَنْ «ابْنِ أَبِي قتيلة» أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ بِمَكَّةَ فَقَالَ: قَوْمُ سَوْءٍ، فَقَامَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ- وَهُوَ يَنْفُضُ ثَوْبَهُ وَيَقُولُ: زِنْدِيقٌ، زِنْدِيقٌ، زِنْدِيقٌ، وَدَخَلَ بَيْتَهُ. فَإِنَّهُ عَرَفَ مَغْزَاهُ».

(٢) إِطْلَاقُ الكُفْرِ علَى المُعَيَّنِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، لا يتكلمُ فيه إلا الأكابر مِن أهل العلم الربانيين المحققين بعد إقامة الحجة، وتحقق الشروط، وانتفاء الموانع، والشروط هي: العلم، والقصد، والاختيار. فالكفر المعين الذي ورد في كلام علماء السلف محمول على هذه الشروط، أي: عُلِمَ حَالُه، وأُقِيمَتْ عليه الحُجَّة، والله أعلم.

(٣) قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن ذكر مذهب الذين يقولون: لا نقبل إلا ما كان في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه لا يجب الأخذ بما صح عن رسول الله ﷺ- قال: جميع فرائض الله التي فرضها الله في كتابه: لا يُعلم الحكم فيها إلا بسنن رسول الله ﷺ، هذا قول علماء المسلمين، من قال غير هذا خرج عن ملة الإسلام، ودخل في ملة الملحدين. الشريعة ص: ٥٩ .

وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار أو يرد الآثار أو يريد غير الآثار، فاتهمه على الإسلام، ولا تشك أنه صاحب هوى مبتدع. شرح السنة / ١٠٧.

* وقال الإمام **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) عندما سُئِل عَنِ الحديث الذي روي «إن السنة قاضية عَلَى الكتاب»[١] فقال: ما أجسُرُ عَلَى هذا أن أقوله، ولكن السُّنة تُفَسِّر الكتاب وتُبيِّنه. طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٢).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٨).

ب- موقف السلف ممن قال: القرآن مخلوق:

* **قِيلَ لجَعْفَر بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٨): القُرْآنُ: خَالِقٌ، أَوْ مَخْلُوقٌ؟ قَالَ: «لَيْسَ بخَالِقٍ، وَلَا مَخْلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ». الشريعة: ٨٥.

* وَقَالَ **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): «مَنْ زَعَمَ أَنَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] مَخْلُوقٌ، فَقَدْ كفَرَ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ».[٢] تهذيب الحِلْية ٣٨٤/ ٢.

* وَقَالَ **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨): «مَنْ قَالَ: القَرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَلَا تُصَلِّ خَلْفَهُ، وَلَا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ، وَلَا تُنَاكِحْهُ». تهذيب الحِلْية ٣/١١٣.

* وَقَالَ **مَنْصُوْرُ بنُ عَمَّارِ بنِ كَثِيرٍ أَبُو السَّرِيِّ السُّلَمِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٠ هـ تقريبا): «كَتَبَ إِلَيَّ بِشْرُ المَرِيْسِيُّ (ت: ٢١٨)[٣]: أَعْلِمْنِي مَا قَوْلُكُمْ فِي القُرْآنِ مَخْلُوقٌ هُوَ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ فَكَتَبْتُ إليهِ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ: عَافَانَا اللهُ وَإِيَّاكَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ، فَإِنْ يَفْعَلْ فَأَعْظِمْ بِهَا نِعْمَةً، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ الهَلَكَةُ، كَتَبْتَ إِلَيَّ: أَنْ أُعلِمَكَ القُرْآنُ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

---

(١) هو مروي عن يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللَّهُ. مسند الدارمي (٦٠٧)، ابن بطة (٢١٩)، المروزي في السنة (١٠٢).

(٢) ومثله قال يَحْيَى بْنُ سَعِيْدٍ القَطَّان رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨) تهذيب الحِلْية ١٠٩/ ٣.

(٣) المُتَكَلِّمُ الضَّالُ شَيْخُ المُعْتَزِلَة.

فَاعْلَمْ أَنَّ الكَلَامَ فِي القُرْآنَ بِدْعَةٌ، يَشْتَرِكُ فِيهَا السَّائِلُ وَالمُجِيبُ، فَتَعَاطَى السَّائِلُ مَا لَيْسَ لَهُ بِتَكَلُّفٍ، وَالمُجِيبُ مَا لَيْسَ عَلَيهِ، وَاللهُ تَعَالَى الخَالِقُ، وَمَا دُونَ اللهِ مَخْلُوقٌ.

وَالقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَانْتَهِ بِنَفْسِكَ وَبِالمُخْتَلِفِيْنَ فِي القُرْآنِ إِلَى أَسْمَائِهِ الَّتِي سَمَّاهُ اللهُ بِهَا تَكُنْ مِنَ المُهْتَدِيْنَ، وَلَا تَبْتَدِعْ فِي القُرْآنِ مِنْ قَلْبِكَ اسْمًا فَتَكُونَ مِنَ الضَّالِّيْنَ، ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَخْشَوْنَهُ بِالغَيْبِ، وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ». تهذيب الحِلْية ٢٢٠/ ٣.

* وَقَالَ الإِمَامُ **الشَّافِعِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٢٠٤): «إِنَّمَا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ بِكُنْ، فَإِذَا كَانَتْ كُنْ مَخْلُوقَةً، فَكَأَنَّ مَخْلُوقًا خُلِقَ بِمَخْلُوقٍ». [«الحلْية»: (٩/ ١١١).

* وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْضًا-: «مَنْ قَالَ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ كَافِرٌ». «الحلْية»: (٩/ ١١٣).

* وَقَالَ **هَارُوْنَ الفَرَوِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٣): لَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِالمَدِيْنَةِ وَأَهْلِ السُّنَنِ إِلَّا وَهُمْ يُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ قَالَ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَيُكَفِّرُونَهُ.

قَالَ: وَأَنَا أَقُولُ بِهَذِهِ السُّنَّةِ، ومَنْ وَقَفَ عَلَى القُرْآنِ بِالشَّكِّ، فَلَمْ يَقُلْ: غَيْرَ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ كَمَنْ قَالَ: هُوَ مَخْلُوقٌ. الشريعة: (١٦٢).

* وقيل للإمام **أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): هؤلاء الذين يقولون القرآن مخلوق؟ قَالَ: كفار بالله العلي العظيم، قيل: فابن أبي دؤاد؟[١] قَالَ: كافر بالله.[٢]

---

(١) ولي القضاء للمعتصم وللواثق بالله، وكان مصرِّحًا بمذهب الجَهْمِيّة، داعيةً إلى القول بخلْق القرآن. [تاريخ الإسلام (٥/ ٧٥٨).

(٢) كفّره لأنه قال بالكفر -وهو القول بخلق القرآن- ودعا إلى ذلك، وامتحن الناس، وعذب وسجن، وقتل لأجلها، وأُقيمت عليه الحُجَّة فلم يقبلها، فلذلك كفّره الإمام أحمد.

طبقات الحنابلة (١/ ٣٥٤).

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا عبدالله، القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود؟.

قَالَ: منه بدأ علمه، وإليه يعود حُكمه. طبقات الحنابلة (٢/ ٥١٨).

* وقال **أَبُو زُرعة الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٤): القرآن كلام الله غير مخلوق، والذي يقف فيه عَلَى الشك هو والذي يقول مخلوقٌ شيءٌ واحد.

كان **أَحْمَد بن حنبل** يقول: تفرقت الجهمية على ثلاثة أصناف: صنف قالت القرآن مخلوق، وصنف وقفت، وصنف قَالَتْ لفظُنا بالقرآن مخلوق. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٩).

* وقال **قتيبة بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٤٠): من قَالَ: القرآن مخلوق فهو زنديق كافر بالله العلي العظيم، لا أُصَلِّي خَلفه، ولا أَتبع جنازته، ولا أعوده. طبقات الحنابلة (٢/ ٢٠٧).

* وقال **عبد الملك بن الماجشون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٢): سمعت من أدركت من علمائنا يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق. ترتيب المدارك (١/ ٤٠٠).

ج- موقف السلف في باب الإيمان، وأنه اعتقاد وقول وعمل، يزيد وينقص[1]:

* **عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ البَجَلِيِّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦١) قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ[2]، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ،

---

(١) ينبغي للمؤمن أن يعتني بإيمانه، وأنْ يتعلّم الإيمان كما يتعلّم القرآن.

(٢) حَزَاوِرَةٌ: قال السندي: جمع الحَزْوَر، بفتح الحاء المهملة، وسكون زاي معجمة، وفتح واو، ثم راء، ويقال له: الحزوَّر -بتشديد الواو- وهو: الغلام إذا اشتد وقوي وحَزُم. كذا في «الصحاح».

فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا». سنن ابن ماجة (٦١)، وصححه الألباني.

* وَعَنْ **عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤)، أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنِ الإِيمَانُ: قَوْلٌ يُعْقَلُ، وَعَمَلٌ يُعْمَلُ». [«السنة لعبد الله بن الإمام أحمد»: (٦٧٥).

* وَعَنْ **سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨)، قَالَ غَيْرَ مَرَّةٍ: «الإِيمَانُ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ»، وَقَالَ: «فَأَخَذْنَاهُ مِمَّنْ قَبْلَنَا: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَإِنَّهُ لَا يَكُونُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ»، قِيلَ لِابْنِ عُيَيْنَةَ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ إِذًا؟ الشريعة: ١٢٣.

* وَقِيلَ لَهُ - أَيْضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ تَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ؟ ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، قِيلَ: يَنْقُصُ؟ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ يَزِيدُ إِلَّا وَهُوَ يَنْقُصُ». الشريعة: ١٣٢.

* وقَالَ **الْأَوْزَاعِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧): كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ، العَمَلُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ مِنَ العَمَلِ. تهذيب الحلْية: (٢٩١/ ٢).

* وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي الرَّجُلِ يُسْأَلُ أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ حَقًّا؟ قَالَ: إِنَّ المَسْأَلَةَ عَمَّا سُئِلَ مِنْ ذَلِكَ بِدْعَةٌ، وَالشَّهَادَةُ عَلَيْهِ تَعَمُّق، ولَمْ نُكَلَّفْهُ فِي دِينِنَا، ولَمْ يَشْرَعْهُ نَبِيُّنَا-عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ-، لَيْسَ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ فِيهِ إِمَامٌ.

فَاصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، وَقُلْ بِمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ، وَاسْلُكْ سُبُلَ سَلَفِكَ الصَّالِحُ، فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُمْ.

وَلَوْ كَانَ هَذَا خَيْرًا مَا خُصِصْتُمْ بِهِ دُونَ أَسْلَافِكُمْ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدَّخِرْ عَنْهُمْ خَيْرًا حُقَّ لَكُمْ دُونَهُمْ لِفَضْلٍ عِنْدَكُمْ، وَهُمْ أَصْحَابُ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ لَهُ،

وَبعَثَهُ فِيهِمْ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ، فَقَالَ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ﴾ [الفتح: ٢٩] تهذيب الحِلْية ٦١/ ٣، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: مختصرا: (٢٨٠).

* وَقَالَ **وَكِيع بْن الْجَرَّاحِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧): «أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: الإِيمَانُ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَالمُرْجِئَةُ يَقُولُونَ: الإِيمَانُ: قَوْلٌ، وَالجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ: المَعْرِفَةُ». الشريعة: ١٣٨.

* وقال **يحيى بن سعيد القطان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): كان من أدركت من الأئمة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. تهذيب الحِلْية ١٠٩/ ٣.

* وسأل رجلٌ **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) عَنْ زيادته ونقصانه -يعني الإيمان- فقال: يزيدُ حتى يبلغ أعلى السماوات السبع، وينقص حتى يصير إلى أسفل السافلين السبع. طبقات الحنابلة (٢/ ٢١٠).

* وقَالَ حمدان بن عَلِيٍّ الوراق: سمعتُ **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذُكِر عنده المرجئة، فقلتُ: إنهم يقولون إذا عَرف الرجل ربه عَزَّوَجَلَّ بقلبه فهو مؤمن، فقال: المرجئة لا تقول هذا، الجهمية تقول بهذا. طبقات الحنابلة (٢/ ٣٣٥).

* وقَالَ **مصعب بن عبدالله بن مصعب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٦): لا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل[1]، فأما الكلام في الله فأحبُّ إلي السكوت عن هذه الأشياء. ترتيب المدارك (١/ ٤١٨).

* وقال **أَبُو زرعة الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٤): الإيمان عندنا قولٌ وعمل، يَزِيد وينقص، ومن قَالَ غير ذلك فهو مبتدع مُرجئ. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٩).

---

(١) عمل القلب أو الجوارح.

د- موقف السلف في باب القدر(١):

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بن فَيْرُوزٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠) قَالَ: «وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي، فَأَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ فَخَشِيتُ عَلَى دِينِي وَأَمْرِي، فَحَدِّثْنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ جَبَلُ أُحُدٍ ذَهَبًا -أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ- تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ،

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقدَر يؤمن به، ولا يُحتج به، بل العبد مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب، ويستغفر الله عند الذنوب والمعايب، كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر:٥٥]، ولهذا حج آدم موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لمـّا لامَ موسى آدمَ؛ لأجل المصيبة التي حصلت له بأكله من الشجرة، فذكر له آدم: (إن هذا كان مكتوبًا قبل أن أخلق، فحج آدم موسى)، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢]، وقال تعالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١].

قال بعضُ السَّلف: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم».

فهذا وجه احتجاج آدم بالقدر: ومعاذ الله أن يَحتج آدم، ومن هو دونه من المؤمنين على المعاصي بالقدر، فإنه لو ساغ هذا لساغ أن يَحتج إبليس ومن اتبعه من الجن والإنس بذلك، ويَحتج به قوم نوح وعاد وثَمود وسائر أهل الكفر والفسوق والعصيان، ولم يعاقب ربنا أحدًا، وهذا مِمَّا يعلم فساده بالاضطرار شرعًا وعقلًا.

فإن هذا القول لا يطرده أحد من العقلاء، فإن طرده يوجب أن لا يلام أحد على شيء، ولا يعاقب عليه.

وهذا المحتجُّ بالقدر: لو جنَى عليه جان لطالبه، فإن كان القدر حجة للجاني عليه، وإلا فليس حجة لا لهذا ولا لِهذا.

ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولًا: لم يُمكن للناس أن يعيشوا، إذ كان لكل من اعتدى عليهم أن يَحتج بذلك، فيقبلوا عذره ولا يعاقبوه، ولا يمكن اثنان من أهل هذا القول أن يعيشا، إذ لكل منهما أن يقتل الآخر، ويفسد جميع أموره، محتجًا على ذلك بالقدر. [«اقتضاء الصراط المستقيم»: ٦٢٢-٦٢٤].

مَا قُبِلَ مِنكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ»، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي **عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ** فَتَسْأَلَهُ، فَأَتَيْتُ **عَبْدَ اللهِ**، فَسَأَلْتُهُ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ **أُبَيٌّ**، وَقَالَ لِي: وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ **حُذَيْفَةَ**، فَأَتَيْتُ **حُذَيْفَةَ**، فَسَأَلْتُه، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَا، وَقَالَ: ائْتِ **زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ** فَاسْأَلْهُ، فَأَتَيْتُ **زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ**، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَو كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا -أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا- تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ مِنكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأن مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ». سنن ابن ماجة (٧٧)، وأبي داود: (٤٦٩٩) مختصرا، وصححه الألباني.

* وَقِيلَ **لِسَلْمَانَ الفَارِسِيِّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): مَا قَوْلُ النَّاسِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؟ قَالَ: «حِينَ تُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ، تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَلَا تَقُولُ: لَوْ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا وَكَذَا، لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا».الشريعة: ٢٢٠.

* وقال **عُبَادَة بْن الصَّامِتِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤) لولده حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: «يَا بُنَيَّ، أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَّقِيَ اللهَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَلَنْ تَطْعَمَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ وَلَنْ تَبْلُغَ الْعِلْمَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

فقَالَ له: يَا أَبَتِ، وَكَيْفَ لِي أَنْ أُومِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؟.

قَالَ: «تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»، أَيْ بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ قَالَ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ يَا رَبِّ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، فَجَرَى الْقَلَمُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ». الشريعة: ٢٢٣.

* وَعَنَ **ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣) أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ؟ فَقَالَ: «شَيْءٌ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَلَّا يُطْلِعَكُمْ عَلَيْهِ، فَلَا تُرِيدُوا مِنَ اللهِ تَعَالَى مَا أَبَى عَلَيْكُمْ».

* قَالَ **أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآجُرِّيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٦٠) -مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الأَثَرِ: «هَذَا مَعْنَى مَا قَالَ **عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١)، فِي رِسَالَتِهِ لِأَهْلِ الْقَدَرِ[1]، قَوْلُهُ: «فَلَئِنْ قُلْتُمْ: قَدْ قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ كَذَا وَكَذَا، يُقَالُ لَهُمْ: لَقَدْ قَرَؤُوا مِنْهُ -يَعْنِي: الصَّحَابَةَ- مَا قَدْ قَرَأْتُمْ، وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ، ثُمَّ قَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ: كُلُّهُ كِتَابٌ وَقَدَرٌ، وَكَتَبَ الشِّقْوَةَ، وَمَا قُدِّرَ يَكُنْ، وَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَهِبُوا وَالسَّلَامُ». الشريعة: ٢٤٥.

* وَعَنِ **ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى وَضْعُكَ يَدَكَ عَلَى خَدِّكَ». الشريعة: ٢٢٥.

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْقَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ[2]، فَمَنْ وَحَّدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَآمَنَ

---

(١) أخرجها كاملة مطولة: أبو داود في: «سننه»: (٤٦١٢)، وصححها المحدث العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) هذا يدل على: أنَّ مَن لم يؤمن بالقدر فقد ينتقض توحيدُه؛ لأنَّ الإيمانَ بالقدَر أساسُ التوحيد، فهذا معنى قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نظام التوحيد)، أي: به ينتظم، وبه يستقيم، وبه يستقر، فالإيمانُ بالقدَر مِن أصول الإيمانِ وأركانِه التي لا يتمُّ إيمانُ أحدٍ إلا بها، والله أعلم.

بِالْقَدَرِ، فَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَى، وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ، نَقَضَ التَّوْحِيدَ». الشريعة: ٢٢٦.

* وَعَنْ **مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): أَنَّهُ قَالَ: مَا يُنْكِرُ قَوْمٌ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَلِمَ شَيْئًا فَكَتَبَهُ؟. الشريعة: ٢٣٠.

* وَعَنْ **إِيَاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٢)، قَالَ: «لَمْ أُخَاصِمْ بِعَقْلِي كُلِّهِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ غَيْرَ أَهْلِ الْقَدَرِ، قُلْتُ: أَخْبِرُونِي عَنِ الظُّلْمِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَا هُوَ؟ قَالُوا: أَنْ يَأْخُذَ الرَّجُلُ مَا لَيْسَ لَهُ، قُلْتُ: «فَإِنَّ اللهَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ». الشريعة: ٢٣١.

* وقال **بعضهم**:

وعاجـزُ الـرَّأْيِ مِضْيَـاعٌ لفُرْصَتـهِ ... حتى إذا فـات أَمْرٌ عاتبَ القَدَرا[(١)]

عيون الأخبار ٢/٥٤٠.

* وَعَنْ **طَاوُوس بْن كَيْسَانَ الفَارِسِيّ** (ت: ١٠٦) قَال: مَا مِنْ شَيْءٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ ابْنُ آدَمَ إِلَّا أُحْصِيَ عَلَيْهِ حَتَّى أَنِينَهُ فِي مَرَضِهِ. الحلْية: (٤/ ٤).

* ووَقَفَ غَيْلَانُ عَلَى **رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٦): فَقَالَ: يَا رَبِيعَةُ، أَيْنَ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُعْصَى؟ فَقَالَ لَهُ رَبِيعَةُ: «وَيْلَكَ يَا غَيْلَانُ، أَوَ يُعْصَى اللهُ قَسْرًا» قَالَ: فَكَأَنَّمَا أَلْقَمَهُ حَجَرًا». تهذيب الحِلْية ١/٥٣٣.

* وَقَالَ **مُطَرِّفُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥): لَوْ أُخرِجَ قَلْبِي فَجُعِلَ فِي يَدِي هَذِهِ اليَسَارِ، وَجِيءَ بِالْخَيْرِ فَجُعِلَ فِي هَذِهِ الْيُمْنَى، مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُولِجَ قَلْبِي مِنْهُ شَيْئًا، حَتَّى يَكُونَ اللهُ تَعَالَى يَضَعُهُ. تهذيب الحِلْية ١/٣٦٠.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَاقِلُ خَصْمُ نَفْسِهِ، وَالْجَاهِلُ خَصْمُ أَقْدَارِ رَبِّهِ. مدراج السالكين ١/ ١٠١

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَيسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَصْعَدَ فَيُلْقِي نَفْسَهُ مِنْ فَوْقِ الْبِئْرِ، وَيَقُولُ: قُدِّرَ لِي! وَلَكِنْ يَحْذَرُ وَيَجْتَهِدُ وَيَتَّقِي فَإِنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُصِبْهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ. تهذيب الحِلْية ٣٦٠/ ١.

* ومَاتَ أَخٌ لِصِلَةَ بْنِ أَشْيَمَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٦)، فَأَتَاهُ رَجُلٌ وَهُوَ يَطْعَمُ، فَقَالَ: يَا أَبَا الصَّهْبَاءِ، إِنَّ أَخَاكَ مَاتَ! قَالَ: هَلُمَّ فَكُلْ، قَدْ نُعِيَ لَنَا!.

فَقَالَ: وَاللهِ مَا سَبَقَنِي إِلَيْكَ أَحَدٌ، فَمَنْ نَعَاهُ؟!.

قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] صفة الصفوة ٣/ ١٥١.

* وَقيل **لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): مَا تَقُولُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؟ قَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِبَادَهُ عَنْ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، إِنَّمَا يَسْأَلُهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ. تهذيب الحِلْية ٤١٥/ ١.

* وَعَنِ **الحَسَنِ البَصْرِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠)، قَالَ: «مَنْ كَذَّبَ بِالْقَدَرِ فَقَدْ كَفَرَ». الزهد لأحمد: ٤٨١.

* وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ الحُسَيْنِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٠)[١] «أَنَّهُ دَعَا **الْحُسَيْنَ ابْنَ الْفَضْلِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٢) وَقَالَ لَهُ: أَشْكَلَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُ آيَاتٍ دَعَوْتُكَ لِتَكْشِفَهَا لِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة:٣١]، وَقَدْ صَحَّ: «أَنَّ النَّدَمَ تَوْبَةٌ»[٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩] وَقَدْ صَحَّ: «أَنَّ الْقَلَمَ جَفَّ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم:٣٩]،

---

(١) نَائِبُ خُرَاسَانَ وَمَا وَالَاهَا مِنَ الْبُلْدَانِ، مِنْ قِبَلِ: الخَلِيْفَةِ الْمَأْمُون.

(٢) أخرجه ابن ماجة في «سننه»: (٤٢٥٢)، والإمام أحمد في «مسنده»: (٣٥٦٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الشيخ العلامة المحدث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) رواه الترمذي: (٢٥١٦)، والإمام أحمد: (٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٣)، وصححه الشيخ العلامة المحدث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فَمَا بَالُ الْأَضْعَافِ؟

فَقَالَ الْحُسَيْنُ: يَجُوزُ أَلَّا يَكُونَ النَّدَمُ تَوْبَةً فِي تِلْكَ الْأُمَّةِ، وَيَكُونُ تَوْبَةً فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِخَصَائِصَ لَمْ تُشَارِكْهُمْ فِيهَا الْأُمَمُ، وَقِيلَ: إِنَّ نَدَمَ قَابِيلَ لَمْ يَكُنْ عَلَى قَتْلِ هَابِيلَ وَلَكِنْ عَلَى حَمْلِهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ فَإِنَّهَا شؤون يُبْدِيهَا لَا شؤون يَبْتَدِيهَا[1].

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾، فَمَعْنَاهُ: لَيْسَ لَهُ إِلَّا مَا سَعَى عَدْلًا وَلِي أَنْ أَجْزِيَهُ بِوَاحِدَةٍ أَلْفًا فَضْلًا، فَقَامَ عَبْدُ اللهِ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ». [«تفسير القرطبي»: (٢٠/ ١٣٥-١٣٦)، [فتح الباري: (١١/ ٥٩٩)، مختصرا.

* وقال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معتقدنا ومعتقد **الوالد السعيد أبي يعلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨) ومَن تقدَّمه من أئمتنا: **مبني عَلَى حرفين:**

السكوت عن «لم؟» فِي أفعاله عَزَّوَجَلَّ.

وعن «كيف؟» فِي أوصافه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.[2] طبقات الحنابلة (٣/ ٤١٦).

هـ- موقف السلف في باب الاستواء وعلو الله:

* قَالَ عَبَّادُ بْنُ الْعَوَّامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٦): «قَدِمَ عَلَيْنَا **شَرِيكُ الْقَاضِي**

---

(١) معنى شُوؤنٌ يُبْدِيهَا لَا شُوؤنٌ يَبْتَدِيهَا: (شئون يبديها) يعني: يخرجها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلى حيز الوجود على ما عَلِمَهُ الله جَلَّجَلَالُهُ مِن قبلُ في عِلْمِه الأزلي، فما كان غيبًا عنده فيخرج عِلْمَه للشهادة في وقتِه الذي حدَّده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فـ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ أي: أن هناك تقديرًا لما سيحصل في كلِّ يوم لهذه المخلوقات، وهذا لا يتعارض على الإطلاق مع ما كتبَه في اللوح المحفوظ، فهي شؤون يبديها ويكشفها، وليست شؤون يبتديها، فهذا العلم ليس علمًا مستأنفًا، وليس علمًا مُحْـدَثا، وإنَّما هو موافقٌ لعِلْمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(٢) السكوت عن «لم؟»: يسدّ باب الخوض في باب القدر، والاعتراض على أحكامه وسننه وشرعه. والسكوت عن «كيف؟» يسدّ باب الخوض في باب صفات الله تأويلًا وتحريفًا وتشبيهًا. وهذان البابان ضلّ فيهما كثير من الناس.

النَّخَعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٧)، وَاسِطَ فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا يُنْكِرُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»(١)، فَقَالَ **شَرِيكٌ**: «إِنَّمَا جَاءَنَا بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَنْ جَاءَ بِالسُّنَنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَإِنَّمَا عَرَفْنَا اللهَ عَزَّوَجَلَّ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ». [الشريعة: (٦٩٥)].

* وَقَالَ **الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): «اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]». [«السنة» لعبد الله: (١١)، «الشريعة»: (٦٥٢)، مختصرا.

* وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سأل رجل الإمام **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فقال: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى يا أبا عبدالله؟

فقال: الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب.

وقال الوليد بن مسلم: سألت **مالكًا** عن هذه الأحاديث فقال: اقرأها كما جاءت، وكره أن يحدَّث بها عوام الناس الذين لا يعرفون وجهه، ولا تبلغه عقولهم، فينكروه، أو يضعوه في غير موضعه. ترتيب المدارك (١/ ١٦٦).

* وعَنِ **الضحاك بن مزاحم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥): ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧] قَالَ: هو عَلَى العرش وعِلمه معهم.

قَالَ الإمام **أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه السُّنة. طبقات الحنابلة (٢/ ١٩١).

---

(١) متفق عليه: البخاري: (١١٤٥)، مسلم: (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

و- موقف السلف في باب الصفات(١):

* عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: سُئِلَ **أَبُو بكر الصديق** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ فقال: أَيَّةُ أرضٍ تُقِلّني، وَأَيَّةُ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَينَ أَذهَبُ أَو كَيفَ أَصْنَعُ إِذَا أَنَا قُلتُ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ بِغَيْرِ مَا أَرَادَ اللهُ بِهَا؟.

* وعَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ أَنَّ **عُمَرَ بن الْخَطَّابِ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٢٣) قَرَأَ عَلَى الْمِنْبَرِ ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس:٣١] فَقَالَ: هَذِهِ الْفَاكِهَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَمَا الأَبُّ؟ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: لَعَمْرُكَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ يَا عُمَرُ.

قال **ابن أبي يعلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حسبك لشيَخَيْ الإسلام، وإمامَيْ الهدى، وخليفتَيْ رسول الله ﷺ، الهادِيَيْن الراشِدَيْن، توقفهما وإحجامهما عن تفسير آية من كتاب الله جل وعز، وهما أعلم الخلق بالله عَزَّ وَجَلَّ بعد رَسُول اللهِ ﷺ، وبرسوله وبكتاب الله وتأويله، فماذا عسى أن نقول في جَسارة المعتزلة والأشاعرة، وبقية المتكلمين

(١) قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكل ما سمعتَ من الآثارِ مِمّا لم يبلغه عقلك، نحو قول رسول الله ﷺ: (قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن عَزَّ وَجَلَّ). وقوله: (إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينزل إلى سماء الدنيا)، و (ينزل يوم القيامة)، و (جهنم لا يزال يطرح فيها، حتى يضع عليها قدمه جلّ ثناؤه)، و قول الله تعالى للعبد (إن مشيتَ إليَّ: هرولتُ إليك)، وقوله: (إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينزل يوم عرفة) وقوله: (إن الله خلق آدم على صورته)، وقول النبي ﷺ: (رأيتُ ربي في أحسن صورة). وأشباه هذه الأحاديث، فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضا، لا تفسِّر شيئًا من هذه بهواك، فإن الإيمان بهذا واجب، فَمَنْ فَسَّرَ شيئًا من هذا بهواه، أو رَدَّهُ: فهو جهمي. شرح السنة / ٧٤- ٧٦.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلا، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا، ولم يبدوا لشيء منها إبطالا، ولا ضربوا لها أمثالا، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها، وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم.. أعلام الموقعين ١/ ٥٢.

الضالين فِي تأويل صفات الرحمن عَزَّوَجَلَّ، الَّتِي نَطَق بها القرآن، ونقلها الأئمة الأثبات، والعلماء الثقات؟ طبقات الحنابلة (٣/ ٢٦٣-٢٦٤).

* وقَالَ رَجُلٌ **لِلزُّهْرِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٤): يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ»[١]، «وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»[٢]، وَمَا أَشْبَهَ مِنَ الْحَدِيثِ؟.

فَأَطْرَقَ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ العِلْمُ، وَعَلَى الرَّسُولِ ﷺ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ»[٣]. السنة» للخلال (١٠٠١)، وعلقه الإمام البخاري في صحيحه بصيغة الجزم (٩/ ١٥٤)، بلفظ: «مِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ».

* وقال الإمام **مُحَمَّد بن إِدْرِيسَ الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -(ت: ٢٠٤) وقد سُئِل عَنْ صفات الله وما ينبغي أن يؤمن به-: لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيُّه ﷺ أمتَه.. فمن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو بالله كافر، فأما قَبل ثُبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمَعذور بالجهل؛ لأنَّ عِلمَ ذلك لا يُدرك بالعقل، ولا بالرَّوِيّة والفِكر، ونحو ذلك أخبار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أتانا أنه سميع، وأن له يَدَين، بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وأن له يمينًا بقوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:١١]، وأن له وجهًا بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن:٢٧]، وأن له قَدَمًا بقول النَّبيّ ﷺ: **«حتى يضع الرب فيها قدمه»**، يعني جهنم، وأنه يضحك

(١) متفق عليه: البخاري: (١٢٩٤)، مسلم: (١٠٣) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في: «مسنده»: (٦٩٣٥- ٦٩٣٧)، وأصله في: «السنن» بلفظ آخر: من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) وَأَسْنَدَهُ الإمامُ ابنُ عبد البر في: «التمهيد»: (٦/ ١٤): عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ: «مِنَ اللهِ تَعَالَى التَّنْزِيلُ، وَعَلَى رَسُولِهِ التَّبْلِيغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ».

من عبده المؤمن بقول النَّبِيّ ﷺ للذي قُتِل فِي سبيل الله: «**إنه لقي الله وهو يضحك إليه**»، وأنه يَهبط كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا بخبرِ رَسُول اللهِ ﷺ بذلك، وأنه ليس بأعْور بقول النَّبِيّ ﷺ إذ ذكر الدجال فقال: «**إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور**»، وأنَّ المؤمنين يَرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر، وأن له إصبعًا بقول النَّبِيّ ﷺ: «**ما مِن قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عَزَّوَجَلَّ**»، فإنَّ هذه المعاني التي وَصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ مما لا يُدْرَك حقيقته بالفِكر والرَّوية، فلا يَكفر بالجهل بها أحدٌ، إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، فإن كان الوارد بذلك خبراً يقوم فِي الفهم مقام المشاهدة فِي السماع وجبت الدَّيْنونة(١) عَلَى سامعه بحقيقته والشهادة عليه، كما عاين وسمع من رَسُول اللهِ ﷺ، ولكن يُثْبِت هذه الصفات ويَنْفي التشبيه، كما نفى ذلك عَنْ نفسه تعالى ذكره فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. طبقات الحنابلة (٢/ ٢٦٨-٢٧٠).

* وقال الإمام **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): من قَالَ إن الله خلق آدم عَلَى صورة آدم فهو جَهمِي، وأيُّ صورةٍ كانت لآدم قبل أن يَخلقه؟ طبقات الحنابلة (٢/ ٣٣٧).

* وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٥): سَأَلْتُ **الْأَوْزَاعِيَّ**: (ت: ١٥٧)، **وَالثَّوْرِيَّ**: (ت: ١٦١)، **وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ**: (ت: ١٧٩)، **وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ**: (ت: ١٧٥) -رَحِمَهُم اللهُ تعالى- عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا الصِّفَاتُ؟ فَكُلُّهُمْ قَالُوا: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا تَفْسِيرٍ»(٢). الشريعة (٧٢٠)، قال الألباني في مختصر

(١) أي: يجب أن يَدِين بها ويعتقدها.

(٢) أي: تفسير الكيفية، لا تفسير معاني الألفاظ، قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومراد السلف بقولهم: بلا كيف، هو نفي التأويل، فإنَّه التكييف الذي يزعمُه أهلُ التأويل، فإنَّهم هم=

العلو: (١٤٢) وإسناده صحيح.

* وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى **الإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩)، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: فَمَا رَأَيْنَا مَالِكًا وَجَدَ مِنْ شَيْءٍ كَوَجْدِهِ مِنْ مَقَالَتِهِ، وَعَلَاهُ الرُّحَضَاءُ[1]، وَأَطْرَقَ، وَجَعَلْنَا نَنْتَظِرُ مَا يَأْمُرُ بِهِ فِيهِ، قَالَ: ثُمَّ سُرِّيَ[2] عَنْ **مَالِكٍ**، فَقَالَ: الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَإِنِّي لَأَخَافُ أَنْ تَكُونَ ضَالًّا، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ. [3]الرد على الجهمية للدارمي: (١٠٤).

* وَقَالَ **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) لِفَتًى مِنْ وَلَدِ جَعْفَرِ ابْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيِّ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ وَتَصِفُهُ وَتُشَبِّهُهُ، قَالَ: نَعَمْ يَا **أَبَا سَعِيدٍ**، نَظَرْنَا فَلَمْ نَرَ مِنْ خَلْقِ اللهِ شَيْئًا أَحْسَنَ وَلَا أَوْلَى مِنَ الْإِنْسَانِ، فَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ فِي

=الذي يثبتون كيفية تخالف الحقيقة فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة، وإثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرب تعالى عن صفتِه التي أثبتها لنفسه. وأما أهل الإثبات: فليس أحد منهم يُكيِّف ما أثبته الله تعالى لنفسه، ويقول: كيفيته كذا وكذا حتى يكون قول السلف بلا كيف ردًّا عليه وإنما ردوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل: تحريف اللفظ، وتعطيل معناه». [اجتماع الجيوش الإسلامية: (٣٠٢)

(١) أي: علاه العرق الكثير مِن عظم السؤال.

(٢) أي: حتى زالَ عنه ما به مِن الهَمِّ.

(٣) أخرج ابن بطة في: «الإبانة الكبرى»: (١٢٠)، واللالكائي في: «شرح أصول اعتقاد»: (٥٧٧) بنحوه عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ولكن أثرها ضعيف كما قال المحقق أبو مالك الرياشي، وكذلك أخرج ابن بطة في: «الإبانة الكبرى»: (١٢١)، واللالكائي في: «شرح أصول اعتقاد»: (٥٧٩): عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: سُئِلَ رَبِيعَةُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَمِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّصْدِيقُ».

قال المحقق أبو مالك الرياشي: هذا أثر صحيح، ونقل تصحيح شيخ الإسلام ابن تيمية، والذهبي له.

الصِّفَةِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: رُوَيْدَكَ يَا بُنَيَّ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوَّلَ شَيْءٍ فِي المَخْلُوقِ، فَإِنْ عَجَزْنَا عَنِ المَخْلُوقِ فَنَحْنُ عَنِ الخَالِقِ أَعْجَزُ وَأَعْجَزُ.

أَخْبِرْنِي عَنْ حَدِيثٍ حَدَّثَنِيهِ شُعْبَةُ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ زِرًّا، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨]: «رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»[(١)]، قَالَ: نَعَمْ، فَعَرَفَ الحَدِيثَ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: «صِفْ لِي خَلْقًا مِنْ خَلْقِ اللهِ لَهُ سِتِّمِائَةِ جَنَاحٍ؟.

فَبَقِيَ الْغُلَامُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا بُنَيَّ، فَإِنِّي أُهَوِّنُ عَلَيْكَ المَسْأَلَةَ، وَأَضَعُ عَنْكَ خَمْسَمِائَةٍ وَسَبْعَةٍ وَتِسْعِينَ، صِفْ لِي خَلْقًا بِثَلَاثَةِ أَجْنِحَةٍ، ركّب الجَنَاح الثَّالِث مِنْهُ مَوْضِعًا غَيْرَ المَوْضِعَيْنِ اللَّذَيْنِ رَكَّبَهُمَا اللهُ حَتَّى أَعْلَمَ؟.

فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، نَحْنُ قَدْ عَجَزْنَا عَنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِ، وَنَحْنُ عَنْ صِفَةِ الْخَالِقِ أَعْجَزُ وَأَعْجَزُ، فَأُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ رَجَعْتُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ. الحِلْيَة (٩/ ٨)، شرح أصول اعتقاد (٨١٥).

* وَسُئِلَ أَبُو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بْنُ فَضْلٍ البَجَلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٨٢) عَنِ الاسْتِوَاءِ، وَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ؟ فَقَالَ: «إِنَّا لَا نَعْرِفُ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ إلاَّ مِقْدَارَ مَا كُشِفَ لَنَا، وَقَدْ أَعْلَمَنَا جَلَّ ذِكْرُهُ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا كَيْفَ اسْتَوَى». [«عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: (١٨٥)، معلقا].

* وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): «إِذَا قَالَ لَكَ الْجَهْمِيُّ: أَنَا أَكْفُرُ بِرَبٍّ يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ: فَقُلْ: أَنَا أُومِنُ بِرَبٍّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ».[«الإبانة الكبرى»: (١٥٩)، «شرح أصول اعتقاد»: (٦٧٦).

* وَرَوَى يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٦): فِي مَجْلِسه حَدِيثَ إِسْمَاعِيلَ

---

(١) أخرجه: مسلم: (١٧٤)، ووقع خطأ في رواية أبي نعيم: عَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: (سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ)، بدل: (سَمِعْتُ زِرًّا). أفاده المحقق أبو مالك الرياشي.

ابْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٥١): فِي الرُّؤْيَة، وَقَول الرَّسُول ﷺ: «**إِنَّكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّكُمْ كَمَا تَنْظُرُونَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»[1]، فَقَالَ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِهِ: يَا أَبَا خَالِد مَا مَعْنَى هَذَا الحَدِيث؟ فَغَضِبَ وَحَرِدَ[2]، وَقَالَ: وَيْلَكَ مَنْ يَدْرِي كَيفَ هَذَا؟ وَمَنْ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُجَاوِزَ هَذَا القَوْلَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الحَدِيثُ، أَو يتكَلَّمُ فِيهِ بِشَيْءٍ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ، وَاسْتَخَفَّ بِدِينِهِ، إِذَا سَمِعْتُمْ الحَدِيثَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهِ، فَإِنَّكُمْ إِنْ اتبعْتُمُوه وَلَمْ تُمَارُوا فِيهِ سَلِمْتُمْ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا هَلَكْتُمْ». [«عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: (٢٣٦-٢٣٧)، «الحجة في بيان المحجة»: (٧٥).

* **وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عَمْرو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّيُّ** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٢٩١): «اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ كُلَّ مَا تَوَهَّمَهُ قَلْبُكَ، أَوْ رَسَخَ فِي مَجَارِي فِكْرَتِكَ، أَوْ خَطَرَ فِي مُعَارَضَاتِ قَلْبِكَ مِنْ حُسْنٍ، أَوْ بَهَاءٍ، أَوْ إِشْرَافٍ، أَوْ ضِيَاءٍ، أَوْ جَمَالٍ، أَوْ شَبَحٍ مَاثِلٍ، أَوْ شَخْصٍ مُتَمَثِّلٍ، فَاللهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ كُلِّهِ، بَلْ هُوَ تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَجَلُّ وَأَكْمَلُ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؟ وَقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]؟ أَيْ: لَا شَبَهَ، وَلَا نَظِيرَ، وَلَا مَسَاوِيَ، وَلَا مِثْلَ». [تهذيب الحِلْية ٣٩٢/ ٣].

* وقال **أَبُو زرعة الرازي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٢٦٤): الأخبار التي عَنْ رَسُول اللهِ ﷺ فِي الرؤية، وخلقِ آدم عَلَى صورته، والأحاديث التي فِي النزول، ونحو هذه الأخبار، المعتقد من هذه الأخبار مُراد النَّبِيّ ﷺ، والتسليم بها، حَدَّثَنِي أَبُو مُوسَى الأنصاري رَحِمَهُٱللَّهُ قَالَ: قَالَ سفيان بْن عيينة رَحِمَهُٱللَّهُ: ما وَصف الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ به نفسه فِي كتابه فقِراءَتُه تفسيره، ليس لأحدٍ أن يفسره إلا الله. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٩).

* وعن **أبي المظفر السمعاني** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٤٨٩) أنه سُئِل عن أحاديث

---

(١) بنحوه عند: ابن ماجة في: «مقدمة سننه»: (١٧٧)، والإمام أحمد في: «مسنده»: (١٩١٩٠).

(٢) أي: أبدى استياءً بتقطيب الجبين.

الصفات، فقال: عليكم بدين العجائز، ثم قال: غُصت في كل بحر، وانقطعت في كل بادية، فوضعت رأسي على كل عتبة، ودخلت من كل باب، ولله وصف خاص لا يعرفه غيره.(١).

* وجرت بالقيروان مسألة في الكفار، هل يعرفون الله أو لا؟ فوقع فيها تنازع عظيم بين العلماء، وتجاوز ذلك إلى العامة، وكثر التمادي بينهم فيها.

فقال قائل: لو ذهبتم إلى **الشيخ أبي عمران الفاسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ لشفانا من هذه المسألة، فقام إليه أهل السوق بجماعتهم، حتى أتوا باب داره واستأذنوا عليه، فأذن لهم، فقالوا له: أصلحك الله، أنت تعلم أن العامة إذا حدَثت بها حادثة إنما تفزع إلى علمائها، وهذه المسألة قد جرى فيها ما بلغك، وما لنا في الأسواق شغل إلا الكلام فيها.

فقال لهم: لا يكلّمني منكم إلا واحد، ويسمع الباقون، فقصد واحدا منهم فقال له: أرأيت لو لقيتَ رجلًا فقلت له: تعرف الشيخ أبا عمران، فقال: نعم، فقلت: صفه لي، فقال: هو رجل يبيع البقل والحنطة والزيت في سوق ابن هشام، ويسكن سبتة، أكان يعرفني؟ فقال: لا.

فقال: لو لقيت آخر فقلت: تعرف الشيخ أبا عمران؟ فقال: نعم، فقلت: صفه لي، فقال: هو رجل يُدَرِّس العلم ويَدْرسه، يفتي الناس، ويسكن بقرب السماط، أكان يعرفني؟ قال: نعم، قال: والأول ما كان يعرفني؟ قال: لا.

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طريقة الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري في الصفات بعد أن رجع عن الاعتزال، بل وبعد أن قدم بغداد، وأخذ عن أصحاب الحديث كزكريا الساجي وغيره، فإنها من أصح الطرق، فإنه يُثبت الصفات العقلية والخبرية، ولا ينكر منها شيئًا، ولا يكيف منها شيئًا، وهذه طريقة السلف والأئمة من أهل السنة والجماعة، حشرنا الله في زمرتهم وأماتنا على اتباعهم ومحبتهم، إنه سميع الدعاء جواد كريم.
وعلى هذا المنوال جرى الأئمة من أصحاب الأشعري، كأبي عبدالله بن مجاهد والقاضي أبي بكر الباقلاني وأضرابهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ. طبقات الشافعيين (٢/ ٤٢-٤٣)

قال لهم الشيخ: كذلك الكافر، إذا قال: إنّ لمعبوده صاحبةً، وولدًا، وأنه جسم، وقصد بعبادته مَن هذه صفته فلم يعرف الله، ولم يصفه بصفاته، ولم يقصد بالعبادة إلا مَن هذه صفته، وهو بخلاف المؤمن الذي يقول إن معبوده: الله، الأحد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤًا أحد، فهذا قد عرف الله، ووصف بصفته، وقصد بعبادته من يستحق الربوبية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

فقامت الجماعة وقالوا له: جزاك الله خيرًا من عالم، فقد شفيت ما بنفوسنا، ودعوا له، ولم يخوضوا في المسألة بعد هذا. ترتيب المدارك (٤/ ٢٦١-٢٦٢).

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): تفكَّرْتُ في أخبار الصفات، فرأيت الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ سكتوا عن تفسيرها، مع قوة علمهم، فنظرت السبب في سكوتهم فإذا هو قوة الهيبة للموصوف، ولأن تفسيرها لا يتأتى إلا بضرب الأمثال لله، وقد قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ﴾ [النحل:٧٤]. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٥).

ل- موقف السلف في باب التكفير، والتبديع، والتفْسِيق[1]:

* قيل **لأَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ الأَسَدِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢): يَا أَبَا وَائِلٍ أَيُّ

(١) هذا البابُ عظيمٌ وخطيرٌ، مَن دخلَه وهو ليس له بأهل، وليس عنده علمٌ وإنصافٌ ضلّ وأضلّ وأفسد، فلا يجوز أن يتكلمُ فيه إلَّا الأكابرُ مِن أهلِ العلمِ المُحققينَ، الذين هم أعلمُ النَّاسِ بالحق، وارحمُهم بالخلق.
ولا بُدَّ مِن تحقق الشروط وانتفاء الموانع، والشروط هي: العلم، والقصد، والاختيار، وموانعها ضدها وهي: الجهل والتأويل، وعدم القصد، والإكراه.
ولا يكون ذلك: إلَّا بعد إقامة الحُجة عليه.
وليسَ كلُّ مَن وقَعَ في الكفْر وقَعَ الكفْرُ عليه، وكذا البدعة، والفسق، فينبغي التورعُ في هذا الباب، وطلبُ السَّلامة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوى»: (١٢/ ١٨٠): «فَـ«التَّكْفِيرُ»: يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ حَالِ الشَّخْصِ فَلَيْسَ كُلُّ مُخْطِئٍ، وَلَا مُبْتَدَعٍ، وَلَا جَاهِلٍ، وَلَا ضَالٍّ يَكُونُ كَافِرًا؛ بَلْ وَلَا فَاسِقًا، بَلْ وَلَا عَاصِيًا». ا.هـ

شَيْءٍ تَشْهَدُ عَلَى الْحَجَّاجِ؟ تَشْهَدُ أَنَّهُ في النَّارِ؟ فقال: «سبحان الله! أَتَأْمُرُنِي أَنْ أَحْكُمَ عَلَى اللهِ!». الطبقات لابن سعد (٨/ ٢١٩).

* وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١١): «مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ قَدِ اسْتَوَى فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ بِرَبِّهِ، يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَأُلْقِيَ عَلَى بَعْضِ الْمَزَابِلِ؛ حَيْثُ لَا يَتَأَذَّى الْمُسْلِمُونَ وَالْمُعَاهَدُونَ بِنَتَنِ رِيحِ جِيفَتِهِ، وَكَانَ مَالُهُ فَيْئًا، لَا يَرِثُهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِذِ الْمُسْلِمُ لَا يَرِثُ الْكَافِرَ كَمَا قَالَ ﷺ[(١)]». معرفة علوم الحديث: (٣٠٠).

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٨) معلّقا على كلامه: «مَنْ أَقَرَّ بِذَلِكَ تَصْدِيْقًا لِكِتَابِ اللهِ، وَلأَحَادِيْثِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَآمَنَ بِهِ مُفَوِّضًا مَعْنَاهُ إِلَى اللهِ وَرَسُوْلِهِ، وَلَمْ يَخُضْ فِي التَّأْوِيْلِ وَلاَ عَمَّقَ فَهُوَ المُسْلِمُ المُتَّبِعُ، وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ فَلَمْ يَدْرِ بِثُبُوْتِ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ مُقَصِّرٌ وَاللهِ يَعْفُو عَنْهُ، إِذْ لَمْ يُوجِبِ اللهُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حِفظَ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ، وَمَنْ أَنكَرَ ذَلِكَ بَعْدَ العِلْمِ وَقَفَا غَيْرَ سَبِيْلِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَتَمعقَلَ عَلَى النَّصِّ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الضَّلاَلِ وَالهَوَى.

وَكَلاَمُ ابْنِ خُزَيْمَةَ هَذَا -وَإِنْ كَانَ حَقًّا- فَهُوَ فَجٌّ، لاَ تَحْتَمِلُهُ نُفُوْسُ كَثِيْرٍ مِنْ مُتَأَخِّرِي العُلَمَاءِ...، وَلابْنِ خُزَيْمَةَ عَظَمَةٌ فِي النُّفُوْسِ، وَجَلاَلَةٌ فِي القُلُوْبِ؛ لِعِلمِهِ وَدِينِهِ وَاتِّبَاعِهِ السُّنَّةَ». السِّيَر »: (١٤/ ٣٧٣-٣٧٤).

* وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ السَّرَّاجُ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١٣): مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِأَنَّ اللهَ -تعَالَ- يَعْجَبُ[(٢)]، وَيَضْحَكُ[(٣)]، وَيَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُوْلُ: مَنْ يَسْأَلُنِي

(١) متفق عليه: البخاري: (٦٧٦٤)، مسلم: (١٦١٤)، واللفظ له: مِن حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ».

(٢) منها: ما أخرجه البخاري في: «صحيحه»: (٣٠١٠): مِن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ».

(٣) منها: ما أخرجه البخاري في: «صحيحه»: (٣٧٩٨)، وهي قصة الأنصاري الذي استضاف=

فَأُعْطِيَهُ[1]: فَهُوَ زِنْدِيْقٌ كَافِرٌ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلاَّ ضُرِبَتْ عُنُقُه، وَلاَ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَلاَ يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِيْنَ».

قَالَ **الذَّهَبِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ معقبًا على كلامه: لاَ يُكفَّرُ إِلَّا إِنْ عَلِمَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَهُ، فَإِنْ جَحَدَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهَذَا مُعَانِدٌ -نَسْأَلُ اللهَ الهُدَى- وَإِنِ اعْتَرَفَ أَنَّ هَذَا حَقٌّ، وَلَكِنْ لاَ أَخُوضُ فِي مَعَانِيهِ، فَقَدْ أَحسَنَ، وَإِنْ آمَنَ وَأَوَّلَ ذَلِكَ كُلَّه، أَوْ تَأَوَّلَ بَعْضَهُ، فَهُوَ طَرِيْقَةٌ مَعْرُوْفَةٌ. السِّيَر: (١٤/ ٣٩٦-٣٩٧).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رَأَيْتُ لِلأَشعرِيِّ كَلِمَةً أَعجبتَنِي، وَهِيَ ثَابِتَةٌ رَوَاهَا البَيْهَقِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨): قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ عُمَرَ بْنَ أَحْمَدَ الْعَبْدَوِيَّ الْحَافِظَ يَقُولُ: سَمِعْتُ زَاهِرَ بْنَ أَحْمَدَ السَّرَخْسِيَّ يَقُولُ: لَمَّا قَرُبَ حُضُورُ أَجَلِ **أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٤) فِي دَارِي بِبَغْدَادَ دَعَانِي فَقَالَ: اشْهَدْ عَلَيَّ أَنِّي لا أُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ القِبْلَةِ؛ لِأَنَّ الْكُلَّ يُشِيرُونَ إِلَى مَعْبُودٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا هَذَا اخْتِلَافُ الْعِبَارَاتِ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَبنحو هَذَا أَدين، وَكَذَا كَانَ شَيْخُنَا **ابْنُ تيمِيَّة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) فِي أَوَاخِرِ أَيَّامه يَقُوْلُ: أَنَا لاَ أُكفِّر أَحَدًا مِنَ الأُمَّة، وَيَقُوْلُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ»[2]، فَمَنْ لاَزَمَ الصَّلَوَاتِ بوضوءٍ فَهُوَ مُسْلِم».[3]

=جائعا، وكان الطَّعامُ قليلًا فقدمه للضيف وترك نفسَه وأهلَه وصغارَه جائعين، فلما أصبحَ غدا إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: «ضحِكَ اللهُ الليلةَ -أو عَجِبَ- من فَعالِكُما». فأنزلَ اللهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر:٩]».

(١) متفق عليه: البخاري: (١١٤٥، ٧٤٩٤)، مسلم: (٧٥٨): من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه: ابن ماجة في: «سننه»: (٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩)، من حديث ثَوْبَانَ، وعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وأَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والحديث: صححه الشيخ العلامة المحدث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ في الرجل الذي قال: إذا أنا متُّ فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذرُّوني في اليم، فوالله لئن قدرَ الله عليَّ ليعذبني عذابًا لاَ يعذبه=

تهذيب السِّير ٣/ ١١٧٤.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَمَا كَانَ جَمَاعَةٌ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ ﷺ منتسبُوْنَ إِلَى صُحْبَتِهِ وَإِلَى ملَّتِهِ، وَهُم فِي البَاطِنِ مِنْ مَرَدَةِ المُـنَافِقِينَ، قَدْ لاَ يَعْرِفُهُم نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَلاَ يَعْلَمُ بِهِم.

قَالَ الله –تَعَالَى-: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ [التَّوبَة:١٠١]، فَإِذَا جَازَ عَلَى سَيِّدِ البشرِ أَنْ لاَ يَعْلَمَ ببَعْضِ المُـنَافِقِينَ، وَهُم مَعَهُ فِي المَـدِيْنَةِ سنوَاتٍ، فَبِالأَوْلَى: أَنْ يَخفَى حَالُ جَمَاعَةٍ مِنَ المُـنَافِقِينَ الفَارغينَ عَنْ دينِ الإِسْلاَمِ بَعْدَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عَلَى العُلَمَاءِ مِنْ أُمَّتِه.

فَمَا يَنْبَغِي لَكَ يَا فَقِيْهُ أَنْ تُبَادرَ إِلَى تكفيرِ المُـسْلِمِ إِلاَّ ببُرْهَانٍ قَطعِيٍّ، كَمَا لاَ يسوَغُ لَكَ أَنْ تعتقدَ العِرفَانَ وَالوِلاَيَةَ فِيْمَنْ قَدْ تَبرهنَ زَغَلُهُ، وَانْهَتَكَ بَاطنُهُ وَزَنْدَقَتُه، فَلاَ هَذَا وَلاَ هَذَا، بَلِ العَدلُ: أَنَّ مَنْ رَآهُ المُـسْلِمُوْنَ صَالِحًا مُحسِنًا، فَهُوَ

=أحدًا من العالمين. فقال الله له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك، فغفر له.
فهذا الرجل اعتَقَدَ أنَّ الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك، أو شك، وأنَّه لا يبعثه. وكل من هذين الاعتقادين كُفرٌ يكفُر من قامت عليه الحجّة، لكنه كان يجهل ذلك، ولم يبلغه العلم بما يردّه عن جهله، وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعده ووعيده، فخاف من عقابه، فغفر الله له بخشيته. فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد، من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح، لم يكن أسوأ حالًا من هذا الرجل، فيغفر الله خطأه، أو يعذّبه إن كان منه تفريط في اتّباع الحقّ على قدر دينه. وأمَّا تكفير شخص عُلِم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك فعظيم.
فقد ثبت في الصحيح عن ثابت بن الضحَّاك، عن النبي ﷺ قال: (لعن المؤمن كقتله، ومن رمَى مؤمنًا بالكفر فهو كقتله). وثبت في الصحيح: (أنَّ من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما).
وإذا كان تكفير المعيّن على سبيل الشتم كقتله، فكيف يكون تكفيره على سبيل الاعتقاد؟ فإنَّ ذلك أعظم من قتله؛ إذْ كل كافر يُباح قتله، وليس كل من أبيح قتله يكون كافرًا، فقد يُقتل الدَّاعي إلى بدعة؛ لإضلاله الناس وإفساده، مع إمكان أنَّ الله يغفر له في الآخرة لما معه من الإيمان، فإنَّه قد تواترت النصوص بأنّه يخرج من النار مَنْ في قلبه مثقال ذرة من إيمان. الاستقامة / ١٣٥- ١٣٦.

كَذَلِكَ، لأَنَّهُم شهداءُ اللهِ فِي أَرضِهِ[١]، إِذِ الأُمَّةُ لاَ تجتمعُ عَلَى ضَلاَلَةٍ[٢]، وَأَنَّ مَنْ رَآهُ المُسْلِمُوْنَ فَاجرًا أَوْ مُنَافقًا أَوْ مُبْطِلًا، فَهُوَ كَذَلِكَ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنَ الأُمَّةِ تُضَلِّلُه، وَطَائِفَةٌ مِنَ الأُمَّةِ تُثْنِي عَلَيْهِ وَتبجِّلُهُ، وَطَائِفَةٌ ثَالثَةٌ تقِفُ فِيْهِ وَتتورَّعُ مِنَ الحطِّ عَلَيْهِ، فَهُوَ مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَضَ عَنْهُ، وَأَنْ يفوَّضَ أَمرُه إِلَى اللهِ، وَأَنْ يُسْتَغْفَرَ لَهُ فِي الجُمْلَةِ؛ لأَنَّ إِسْلاَمَهُ أَصْليٌّ بيقينٍ، وضلالُه مشكوكٌ فِيْهِ، فَبِهَذَا تَسْترِيحُ، وَيصفُو قَلْبُكَ مِنَ الغِلِّ لِلْمُؤْمِنينَ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ القِبْلَةِ كلَّهُم، مُؤْمِنَهُم وَفَاسقَهُم، وَسُنِّيَهُم وَمُبْتَدِعَهُم- سِوَى الصَّحَابَةِ- لَمْ يُجمعُوا عَلَى مُسْلِمٍ بِأَنَّهُ سَعِيْدٌ نَاجٍ، وَلَمْ يُجمعُوا عَلَى مُسْلِمٍ بِأَنَّهُ شَقِيٌّ هَالِكٌ، فَهَذَا الصِّدِّيْقُ فردُ الأُمَّةِ، قَدْ علمْتَ تَفَرُّقَهُم فِيْهِ، وَكَذَلِكَ عُمَرُ، وَكَذَلِكَ عُثْمَانُ، وَكَذَلِكَ عَلِيٌّ، وَكَذَلِكَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَكَذَلِكَ الحجَّاجُ، وَكَذَلِكَ المَأْمُوْنُ، وَكَذَلِكَ بشرٌ المَرِيسِيُّ، وَكَذَلِكَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، وَالشَّافِعِيُّ، وَالبُخَارِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَهَلُمَّ جرًّا مِنَ الأَعيَانِ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ إِلَى يَوْمكَ هَذَا، فَمَا مِنْ إِمَامٍ كَامِلٍ فِي الخَيْرِ، إِلاَّ وَثَمَّ أُنَاسٌ مِنْ جهلَةِ المُسْلِمِيْنَ وَمُبْتَدِعِيهِم يذمُّونَه، وَيحطُّونَ عَلَيْهِ، وَمَا مِنْ رَأْسٍ فِي البدعَةِ وَالتَّجَهُّمِ وَالرَّفضِ إِلاَّ وَلَهُ أُنَاسٌ يَنْتصرُوْنَ لَهُ، وَيَذُبُّونَ عَنْهُ، وَيدينُوْنَ بِقَولِه بِهوَىً وَجهلٍ، وَإِنَّمَا العِبْرَةُ بِقَولِ جُمْهُوْرِ الأُمَّةِ الخَالينَ مِنَ الهوَى وَالجَهْلِ، المتَّصِفِينَ بِالوَرَعِ وَالعِلْمِ». تهذيب السِّير ٣/ ١١٥٨- ١١٥٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَخطَأَ فِي اجْتِهَادِهِ- مَعَ صِحَّةِ إِيْمَانِهِ، وَتوَخِّيْهِ لاتِّبَاعِ الحَقِّ- أَهْدَرْنَاهُ، وَبَدَّعنَاهُ، لَقَلَّ مَنْ يَسلَمُ مِنَ الأَئِمَّةِ مَعَنَا، رَحِمَ اللهُ

---

(١) متفق عليه: البخاري: (١٣٦٧، ٢٦٤٢)، مسلم: (٩٤٩): من حديث أَنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حديث: «لاَ تَجتمعُ أُمّتي عَلَى ضَلاَلَةٍ: رواه الترمذي (٢١٦٧)، والحاكم ١ / ١١٥ وأبو داود (٤٢٥٣)، وأحمد في مسنده ٦ / ٣٩٧، وصححه الشيخ العلامة المحدث الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (١٣٣١).

الجَمِيْعَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ».[(١)] تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٦٢.

م- موقف السلف من الصحابة، وبيان منزلتهم ومكانتهم[(٢)]:

* قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣): «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ». فضائل الصحابة للإمام أحمد (١٥)، وحسنه الألباني.

---

(١) هذا الكلام يُكتب بماء الذهب، ويُستفاد منه ما يلي:

[١] أنّ كلّ مسلم ظاهره الصلاح، اختلف العلماء والناس فيه: فبعضهم يمدحُه، وبعضهم يذمه، أنه ينبغي: أَنْ يتورع الإنسانُ عن الكلام فيه.

[٢] أنَّ دليل الإعراض عنه: أنَّ «إسلامَهُ أصليٌّ بيقين، وضلاله مشكوك فيه»، فالأصل فيه: أنه مسلم صالح، فلا يُحكم بخلاف ذلك إلا ببرهان واضح.

[٣] أنّ من ثمرات الإعراض عنه: أنْ«تستريح ويصفو قلبُك من الغِلِّ للمؤمنين»، وهذا ظاهر، فأشدّ الناس غِلًا ونكدًا: هم القادحون في أعراض الناس، فكيف في أعراض الدعاة والمشايخ الذين لهم الأثر الطيب في الأمة؟

[٤] أنه لن يسلم أحدٌ من القدح، فالصحابة وغيرهم قُدِحَ وتُكِلِّم فيهم، فليس قدح أحدٍ في أحدِ الدعاة والصالحين مُوجبًا لإسقاطه.

[٥] أنّ العبرة في التحذير من أيّ أحد: هو بقول جمهور الأمة الخالين من الهوى والجهل المتصفين بالورع والعلم.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والمقصود أن أحدا ممن بعدهم لا يساويهم في رأيهم، وكيف يساويهم وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته، كما رأى عمر في أسارى بدر أن تضرب أعناقهم فنزل القرآن بموافقته، ورأى أن تحجب نساء النبي ﷺ فنزل القرآن بموافقته، ورأى أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى فنزل القرآن بموافقته..

وقد قال سعد بن معاذ لما حكمه النبي ﷺ في بني قريظة: «إني أرى أن تَقتل مقاتلتهم، وتسبي ذرياتهم، وتغنم أموالهم» فقال النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات».

وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيرا من رأينا لأنفسنا، وكيف لا وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نورا وإيمانا، وحكمة وعلما، ومعرفة وفهما عن الله ورسوله، ونصيحة للأمة، وقلوبهم على قلب نبيهم، ولا وساطة بينهم وبينه، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضا طريا، لم يشبه إشكال، ولم يشبه خلاف، ولم تدنسه معارضة، فقياس رأي غيرهم بآرائهم من أفسد القياس. أعلام الموقعين ١/ ٨٢-٨٣.

* وعن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) أنها قالت: والله ما احتقرت أعمال أصحاب رسول الله ﷺ حتى نجم[١] القُرَّآء الذين طعنوا على عثمان[٢]، فقالوا قولا لا تُحسن مثله، وقرأوا قراءة لا تَقْرأ مثلَها، وصلَّوا صلاةً لا تُصَلِّي مثلها.

فأمَا والله ما يقاربون أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا أعجبك حسن قول امرئ فقل: ﴿ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾. الزهد لأبي داود (٢٧٩).

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قِبل أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قِبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا. الزهد لابن المبارك (٧٦٤).

* ودخل **المقدام بن معدي كرب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٠) المسجد ورأى الناس يصلون التطوع في المسجد، فقال: صلاة كصلاة الملائكة، والله لأنتم أكثر صلاة منا، ولنحن كنَّا خيرًا منكم. الزهد لأبي داود (٣٣٦).

* وعن **أبي عنبة الخولاني** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٠) أنه قال: ألا أخبركم عن خلال كان عليها إخوانكم[٣]:

أولها: لقاء الله كان أحب إليهم من الشَّهد.

والثانية: لم يكونوا يخافون عدوا قلوا أو كثروا.

والثالثة: لم يكونوا يخافون عِوزًا من الدنيا، كانوا واثقين بالله أن يرزقهم.

والرابعة: إن نزل بهم الطاعون لم يبرحوا حتى يقضي الله فيهم ما قضى. الزهد لابن المبارك (٤٨٠).

---

(١) أي: ظهر.

(٢) تعني الخوارج الذين خرجوا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانوا مكثرين من قراءة القرآن والصلاة والصيام، كما قال رسول الله ﷺ عنهم: يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

(٣) يعني: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

* وكَانَ **الْحَسَنُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) فِي مَجْلِسٍ فَذُكِرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ، فَإِنَّهُمْ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ». جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ٩٤٧.

* وعَنْ **إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦): قَالَ: «لَمْ يُدَّخَرْ لَكُمْ شَيْءٌ خُبِّئَ عَنِ الْقَوْمِ لِفَضْلٍ عِنْدَكُمْ». جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ٩٤٦.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد أدركت أقواما لو لم يجاوز أحدهم ظِفْرا لما جاوزتُه، كفى إزراء على قوم أن تخالف أفعالهم. مسند الدارمي (٢٢٤).

* وقال عبدالله بْن **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: كنتُ بين يدي **أبي** (ت: ٢٤١) جالسًا ذات يوم، فجاءت طائفة من الكرخيين[1] فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عُمَر بن الخطاب وخلافة عُثْمَان بن عَفَّانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فأكثروا، وذكروا خلافة عَلِيّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وزادوا، فطالوا، فرفع أبي رأسه إليهم فقال: يا هؤلاء قد أكثرتم القول فِي عَلِيّ والخلافة، عَلَى أن الخلافة لم تزيِّن عليًّا بل عَلِيّ زيَّنها.

قَالَ: السياري: فحدَّثت بهذا الحديث بعض الشيعة فقال لي: قد أخرجت نصف ما كان فِي قلبي عَلَى أَحْمَد بن حنبل من البغض. طبقات الحنابلة (٢/ ١٦).

* وقَالَ أَبُو طالب العكبري: سألتُ **أبا عبدالله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمَّن قَالَ: لعَنَ اللهُ يَزِيد بن معاوية؟.

فقال: لا تتكلم في هذا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لعنُ المؤمن كقتله**»، وقال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم»، وقد كان يَزِيد فيهم، فأرى الإمساك أحبّ إلي. طبقات الحنابلة (٢/ ١٧٥).

---

(١) من الشيعة.

* وقال الإمام **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما عَلَى الناس إتِّباعُ الآثار عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ومعرفةُ صحيحها من سقيمها، ثُمَّ يَتَّبِعُها إِذَا لم يكن لها مُخالِف، ثُمَّ بعد ذَلِكَ قولُ أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر، وأئمةُ الهدى يُتَّبَعُون عَلَى ما قَالُوا، وأصحابُ النبي ﷺ كذلك لا يُخَالَفون، إِذَا لم يكن قول بعضهم لبعضٍ مُخالِفًا، فَإِذَا اختلفوا نَظَر فِي الكتاب، بأي قولهم كَانَ أشبه بالكتاب أَخذ به، أو كَانَ أشبه بقول رسول الله ﷺ أَخذ به، فإن لم يأتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ولا عَن أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ نَظَر فِي قول التابعين، فأيّ قولهم كَانَ أشبه بالكتاب والسنة أَخذ به، وتَرَكَ ما أَحدَثَ الناس بعدهم.[1] طبقات الحنابلة (٣/ ٢٩).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الله جل ثناؤه وتقدَّسَت أسماؤه بعث محمدًا نبيه ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره عَلَى الدين كله ولو كره المشركون، وأنزلَ عَلَيْهِ كتابه الهدى والنور لمن اتبعَه، وجعل رسوله ﷺ الدال عَلَى معنى ما أراد من ظاهره وباطنه، وخاصه وعامه، وناسخه ومنسوخه، وما قصد لَهُ الكتاب.

فكان رسول اللهِ ﷺ هُوَ المعبِّر عن كتاب الله الدال عَلَى معانيه، شاهَدَه فِي ذَلِكَ أصحابُه، من ارتضاه الله لنبيه، واصطفاه لَهُ، ونقلوا ذَلِكَ عَنْهُ، فكانوا هم أعلم الناس برَسُول اللهِ ﷺ، وبما أخبر عن معنى ما أراه[2] الله من ذَلِكَ، بمشاهدتهم ما قصد لَهُ الكتاب، فكانوا هم المعبرين عن ذَلِكَ بعد رَسُول اللهِ ﷺ.

---

(١) ما قرره الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو ما قرره علماء الحديث كلهم، وقد نصر هذا المنهج الصحيح السليم أهل العلم، كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، ومن بعدهم إلى يومنا هذا، والحمد لله رب العالمين، فلذلك انعدمت البدع عند أهل السنة والجماعة -أتباع السلف الصالح- في كل زمان ومكان، ولم يغيّروا ولم يبدّلوا، وبقي الدين إلى يومنا هذا نقيّا سالما من الانحرافات والزيادات والبدع.

(٢) وفي بعض الروايات عنه: (أرادَ) بدل (أراه). انظر إعلام الموقعين (٤/ ٥٤).

* وَقَالَ **جابر بن عبدالله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٨): «ورسول الله ﷺ بين أظهُرِنا، عَلَيْهِ ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عَمِلْنا».

فَقَالَ قوم: بل نستعمل الظاهر، وتركوا الاستدلال برسول اللهِ ﷺ، ولم يقبلوا أخبار أصحابه.

وَقَالَ **ابْن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا للخوارج: أتيتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عم رسول اللهِ ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم مِنْهُمْ أحد. طبقات الحنابلة (٣/ ١٢٢-١٢٣).

* وسأل رافضيّ **عبد العزيز غلام الخَلَّال** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٦٣) عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر:٢٣] من هُوَ؟ فَقَالَ لَهُ: أَبُو بكر الصديق، فرد عَلَيْهِ وَقَالَ: بل هو علي ابن أَبِي طالب، فهمّ به الأصحاب فَقَالَ: دعوه، ثُمَّ قَالَ: اقرأ ما بعدها: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الزمر:٣٤]، وهذا يقتضي أن يكون هَذَا المصدِّق ممن لَهُ إساءة سبقت، وعلى قولك أيها السائل لم يكن لعلي إساءة، فقَطَعَه.

* قال **ابن أبي يعلى** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦١٦): وهذا استنباطٌ حَسَنٌ لا يَعقِله إلا العلماء، فَدَلَّ عَلَى علمه وحلمه وحسنِ خُلُقه، فإنه لم يُقابله عَلَى جَفائه بجفاء، وعَدَل إلى العِلم.[1] طبقات الحنابلة (٣/ ٢٢٣-٢٢٤).

---

(١) وهذه عادة العقلاء والحكماء، أنهم يقابلون جفاء الناس بالحلم، ويردون على جهلهم بالعلم، بخلاف أهل الظلم من الساسة والمنتسبين للعلم، فإنهم يردون بجفاءٍ على من خالفهم ولو كان المخالف لهم قد خالفهم بأدب وحجة.

ن- معنى الشهادة وفضلها وأهميتها، والحذر مما يضادّها[1]:

* قال **شداد بن أوس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): أخوف ما أخاف عليكم الشرك والشهوة الخفية.

قيل له: بعد الإسلام تخاف علينا الشرك؟.

قال: ما من الشرك إلا أنْ تجعل مع الله إلها آخر؟[2] الزهد لأبي داود (٣٠٦).

* وقيل **لوهب بن منبه** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى! ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، من أتى الباب بأسنانه فتح له، ومن لم يأت الباب بأسنانه لم يفتح له. تهذيب الحِلْية ٥٠/ ٢.

* وعن **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: ما أنعم الله عَزَّ وَجَلَّ على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله، وإن لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٩٤.

ي- الولاء والبراء:

* عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت **لعمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): إن لي كاتبًا نصرانيًّا، قال: مالكَ؟، أما سَمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [المائدة:٥١] ألا اتَّخذت حنيفًا؟ قال: قلت: يا أمير

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن كَمُل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه، وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقّق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كلّ ما سوى الله محبة وتعظيمًا وإجلالًا ومهابة، وخشية ورجاء وتوكلًا، وحينئذٍ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات، كما سبق ذكره في تبديل السيئات حسنات، فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وضع ذرّة منها على جبال الذنوب والخطايا، لقلبها حسنات. جامع العلوم والحكم / ٥٢٣.

(٢) المعنى: ليس الشرك مقتصرًا على أنْ تجعل مع الله إلها آخر، بل هو أشمل وأعمّ، فقد يقع فيه من يصلي ويسجد لله، كمن يستغيث بالأموات، ويتوسّل إليهم، وكمن يُحبّ أحدا كحبّ الله، أو يخافه كخوفه من الله.

المؤمنين، لِي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ أهانَهم الله، ولا أُعزُّهم إذ أذلَّهم الله، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله.[١] اقتضاء الصراط المستقيم / ٨٤-٨٥.

* وَعَابَ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى **الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤)؛ لِفَرْطِ مَيْلِهِ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ، وَشِدَّةِ مَحَبَّتِهِ لَهُمْ، إِلَى أَنْ نَسَبَهُ إِلَى الرَّفْضِ، فَأَنْشَأَ **الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ** فِي ذَلِكَ يَقُولُ:

إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي

تهذيب الحِلْية ١٣٤/ ٣.

* وَقَالَ **أَبُو الْفَوَارِسِ شَاهُ بْنُ شُجَاعٍ الْكَرْمَانِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٧٠): «مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ طَمِعَ فِي عَفْوِهِ، وَرَجَا فَضْلَهُ، وَقَالَ: الْفُتُوَّةُ مِنْ طِبَاعِ الْأَحْرَارِ، وَاللُّؤْمُ مِنْ شِيَمِ الْأَنْذَالِ، وَمَا تَعَبَّدَ مُتَعَبِّدٌ بِأَكْثَرَ مِنَ التَّحَبُّبِ إِلَى أَوْلِيَاءِ اللهِ بِمَا يُحِبُّونَ؛ لِأَنَّ مَحَبَّةَ أَوْلِيَاءِ اللهِ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللهِ». تهذيب الحِلْية ٣٥٩/ ٣.

ز- ذم الحلف بغير الله:

* **عَنْ جَبَلَةَ بْنِ سُحَيْمٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٥)، قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ الْأَسَدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مِنَ الْكُنَاسَةِ[٢]، فَقُلْتُ فِي كَلَامِي: لَا وَالْأَمَانَةِ، فَجَعَلَ زِيَادٌ يَبْكِي وَيَبْكِي، فَظَنَنْتُ أَنِّي أَتَيْتُ أَمْرًا عَظِيمًا، فَقُلْتُ لَهُ: أَكَانَ يُكْرَهُ هَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، كَانَ يُنْهَى عَنِ الْحَلِفِ بِالْأَمَانَةِ أَشَدَّ النَّهْيِ». ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٣٩.

ط- أصول السُّنة مُجمَلَة:

* قال **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وبعضه أفضل من بعض، والله في السماء وعلمه في كل مكان.

وقال: القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس من الله شيء مخلوق، ومن

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح. نفس المصدر.

(٢) الكُناسةُ: الموضعُ الَّذي يُرْمَى فِيهِ الترابُ وَالأَوْسَاخُ وَمَا يُكْنَس مِنَ المَنازل.

قال: القرآن مخلوق فهو كافر، والذي يقف أشدّ منه، يستتاب وإلا ضربت عنقه. ترتيب المدارك (١/ ١٦٥).

* وقال **الإمام أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة: أجمع تسعون رجلًا من التابعين وأئمة المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار، عَلَى أن السُّنة التي توفي عنها رَسُول اللهِ ﷺ:

أولها الرضا بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ، والتسليم لأمره، والصبر عَلَى حُكمه.

والأخذ بما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه.

والإيمان بالقدر خيره وشره.

وترك المراء والجدال فِي الدين.

والمسح عَلَى الخفين.

والجهاد مع كل خليفة بَرٍّ وفاجر.

والصلاة عَلَى مَن مات مِن أهل القبلة.

والإيمان قولٌ وعمل يَزِيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والقرآن كلام الله منزل عَلَى قلب نبيه مُحَمَّد ﷺ غير مخلوق، من حيثما تلي.

والصبر تحت لواء السلطان عَلَى ما كان فيه من عدل أو جور، وأن لا نخرج عَلَى الأمراء بالسيف وإن جاروا.

وأن لا نكفر أحدًا من أهل التوحيد وإن عملوا الكبائر.

والكف عما شجر بين أصحاب رَسُول اللهِ ﷺ.

وأفضل الناس بعد رَسُول اللهِ ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ابن عم رَسُول اللهِ ﷺ.

والترحم عَلَى جميع أصحاب رَسُول اللهِ ﷺ وعلى أولاده وأزواجه وأصهاره رضوان الله عليهم أجمعين.

فهذه السنة الزموها تسلموا، أخذُها هدى وتركها ضلالة. طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٩-٣٥٠).

* **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة:**

من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله.

وأقرَّ بجميع ما أتت به الأنبياء والرسل.

وعقَدَ عليه على ما أظهر، ولم يشك فِي إيمانه.

ولم يُكفِّر أحدًا من أهل التوحيد بذنب، وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وفوّض أمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يقطع بالذنوب العصمة من عند الله.

وعلِم أن كل شيء بقضاء الله وقدره، والخير والشر جميعًا.

ورجا لمحسنِ أمة محمد ﷺ، وتخوَّفَ على مسيئِهم.

ولم يُنزل أحدًا من أمة مُحَمَّد جنةً ولا نارًا، بإحسانٍ اكتسبه ولا بذنب اكتسبه، حتى يكون الله عَزَّوَجَلَّ الذي ينزل خلقه حيث يشاء.

وعَرَفَ حق السَّلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه.

وقدَّم أبا بكر وعمر وعثمان، وعرف حقَّ عَلِيّ بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زَيْدِ بن عَمْرِو بن نُفيل، عَلَى سائر الصحابة؛ فإن هؤلاء التسعة الذين كانوا مع النَّبِيّ ﷺ عَلَى جبل حِراء، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اسكن حراء فما عليك إلا نَبِيّ أو صديق أو شهيد»، والنبي ﷺ عاشرهم.

وترحَّم عَلَى جميع أصحاب مُحَمَّدٍ، صغيرهم وكبيرهم، وحدَّث بفضائلهم، وأمسَكَ عمَّا شَجَر بينهم.

وصلاة العيدين والخوف والجمعة والجماعات مع كلِّ أميرٍ بَرٍّ أو فاجر.

والمسح عَلَى الخُفَّين فِي السفر والحضر. والقصر فِي السفر.

والقرآن كلام الله وتنزيله، وليس بمخلوق.

والإيمان قول وعمل، يَزِيد وينقص.

والجهاد ماضٍ منذ بعث الله محمدًا ﷺ إلى آخر عُصبةٍ يقاتلون الدجال، لا يضُرّهم جور جائر.

والشراء والبيع حلالٌ إلى يوم القيامة، عَلَى حكم الكتاب والسنة.

والتكبير عَلَى الجنائز أربعًا.

والدُّعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بسيفك.

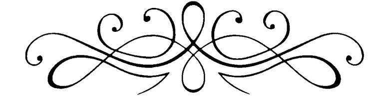
ولا تُقاتِل فِي فتنة، والْزم بيتك.

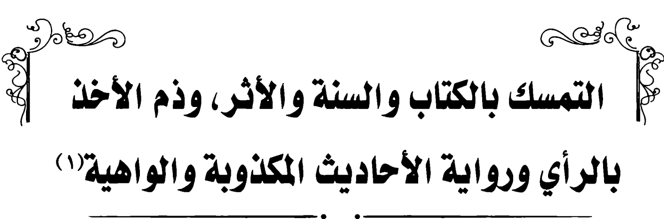
والإيمان بعذاب القبر، والإيمان بمنكرٍ ونكير، والإيمان بالحوض، والشَّفاعة.

والإيمان أن أهل الجنة يَرون ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

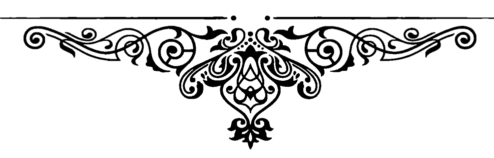
والإيمان أن الموحِّدين يخرجون من النار بعد ما امتُحِشوا، كما جاءت الأحاديث فِي هذه الأشياء عَنِ النَّبِيّ ﷺ، نؤمن بتصديقها ولا نضرب لها الأمثال.

هذا ما اجتمع عليه العلماء فِي جميع الآفاق. طبقات الحنابلة (٢/ ٢٩٣-٢٩٥).





التمسك بالكتاب والسنة والأثر، وذم الأخذ بالرأي ورواية الأحاديث المكذوبة والواهية(١)



....

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَأَمَّا تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ فَحَرَامٌ... وَأَمَّا الَّذِي رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وقتادة وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ فَلَيْسَ الظَّنُّ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي الْقُرْآنِ وَفَسَّرُوهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ.
وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَقَدْ تَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَسَلَكَ غَيْرَ مَا أُمِرَ بِهِ، فَلَوْ أَنَّهُ أَصَابَ الْمَعْنَى فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَكَانَ قَدْ أَخْطَأَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ الْأَمْرَ مِنْ بَابِهِ كَمَنْ حَكَمَ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَإِنْ وَافَقَ حُكْمُهُ الصَّوَابَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؛ لَكِنْ يَكُونُ أَخَفَّ جُرْمًا مِمَّنْ أَخْطَأَ وَاللهُ أَعْلَمُ.
وَهَكَذَا سَمَّى اللهُ تَعَالَى الْقَذَفَةَ كَاذِبِينَ فَقَالَ: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ١٣﴾ [النور:١٣]، فَالْقَاذِفُ كَاذِبٌ، وَلَوْ كَانَ قَدْ قَذَفَ مَنْ زَنَى فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ بِمَا لَا يَحِلُّ لَهُ الْإِخْبَارُ بِهِ وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.
وَلِهَذَا تَحَرَّجَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ عَنْ تَفْسِيرِ مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ؛ كَمَا رَوَى شُعْبَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لَمْ أَعْلَمْ؟..
وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ أَيُّوبَ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عَنْ آيَةٍ لَوْ سُئِلَ عَنْهَا بَعْضُكُمْ لَقَالَ فِيهَا فَأَبَى أَنْ يَقُولَ فِيهَا. إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ..
فَهَذِهِ الْآثَارُ الصَّحِيحَةُ وَمَا شَاكَلَهَا عَنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ مَحْمُولَةٌ عَلَى تَحَرُّجِهِمْ عَنِ الْكَلَامِ فِي التَّفْسِيرِ بِمَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ.
فَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ بِمَا يَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ لُغَةً وَشَرْعًا فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا رُوِيَ عَنْ هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ أَقْوَالٌ فِي التَّفْسِيرِ وَلَا مُنَافَاةَ؛ لِأَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا فِيمَا عَلِمُوهُ وَسَكَتُوا عَمَّا جَهِلُوهُ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، فَإِنَّهُ كَمَا يَجِبُ السُّكُوتُ عَمَّا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ فَكَذَلِكَ يَجِبُ الْقَوْلُ فِيمَا سُئِلَ عَنْهُ مِمَّا يَعْلَمُهُ... مقدمة في أصول التفسير: ٩٢، بشرح الشيخ ابن عثيمين، نشر مكتبة السنة. =

* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): قلت **لأبي بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) زمن الحديبية: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق. صحيح البخاري (٢٧٣١).

* وقَالَ شَيْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): جَلَسَ إِلَيَّ **عُمَرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَقَالَ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لاَ أَدَعَ فِيهَا -أي لِلْكَعْبَةِ- صَفْرَاءَ وَلاَ بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ»، قُلْتُ: مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ، قَالَ: «لِمَ؟»، قُلْتُ: لَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبَاكَ، قَالَ: «هُمَا الْمَرْءَانِ يُقْتَدَى بِهِمَا». صحيح البخاري: (٧٢٧٥).

* وأتى رجلٌ النبي ﷺ فقال: كيف تصوم فغضب رسول الله ﷺ فلما رأى

= وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد انقسم الناس في هذا الباب أقسامًا: فمِن أتباع أهل الحديث من سد باب المسائل حتى قلّ فهمه وعلمه لحدود ما أنزل الله على رسوله وصار حامل فقه غير فقيه، ومن فقهاء أهل الرأي من توسع في توليد المسائل قبل وقوعها، ما يقع في العادة منها وما لا يقع، واشتغلوا بتكلف الجواب عن ذلك، وكثرة الخصومات فيه والجدال عليه حتى يتولد من ذلك افتراق القلوب، ويستقر فيها بسببه الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء، ويقترن ذلك كثيرا بنية المغالبة وطلب العلو والمباهاة وصرف وجوه الناس، وهذا مما ذمه العلماء الربانيون ودلت السنة على قبحه وتحريمه.

وأما فقهاء أهل الحديث العاملون به فإن معظم همهم البحث عن معاني كتاب الله، وما يفسره من السنن الصحيحة، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعن سنة رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها وسقيمها، ثم التفقه فيها وفهمها والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من التفسير والحديث ومسائل الحلال والحرام وأصول السنة والزهد والرقائق وغير ذلك، وهذا هو طريق الإمام أحمد ومن وافقه من علماء الحديث الربانيين، وفي معرفة هذا شغل شاغل عن التشاغل بما أحدث من الرأي ما لا ينتفع به ولا يقع، وإنما يورث التجادل فيه كثرة الخصومات والجدال وكثرة القيل والقال. جامع العلوم والحكم: ١٢٣-١٢٤.

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غضبه قال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيًّا، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فجعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يردّد هذا الكلام حتى سكن غضبه.(١) صحيح مسلم (١١٦٢).

* وقال **ابْنُ مَسْعُودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): «عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ، عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ». مصنف عبد الرزاق: (٢١٣٨٩).

* وقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا سئلتم عن شيء فانظروا في كتاب الله، فإن لم تجدوه في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ففي سنة رسول الله ﷺ، فإن لم تجدوه في سنة رسول الله فما أجمع عليه المسلمون، فإن لم يكن فيما أجمع عليه المسلمون فاجتهد رأيك، ولا تقل: إني أخاف وأخشى؛ فإن الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور مشتبهة، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك. مسند الدارمي (١٧١).

* وقال **أَبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت:٧٤): «الدِّينَارُ بِالدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمُ بِالدِّرْهَمِ»، فَقِيل لَهُ: فَإِنَّ **ابْنَ عَبَّاسٍ** (ت: ٦٨) لاَ يَقُولُهُ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَأَلْتُهُ فَقُلْتُ: سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ وَجَدْتَهُ فِي كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: كُلَّ ذَلِكَ لاَ أَقُولُ، وَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّي وَلَكِنْ أَخْبَرَنِي أُسَامَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لاَ رِبًا

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول عمر: (رضينا بالله...) إلخ: يقتضي تسكين غضب رسول الله - ﷺ - من حيث: إنه يقتضي الطواعية الكليّة، والانقياد التام، ويتضمن ذلك: مُرْنا بأمرك ننفذه على أيّ وجهٍ كان، وفي أيّ محل.

وقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جعل هذا الكلام هِجّيراه مع رسول الله ﷺ كلما غضب، فإنه قد روي أنه قال له هذا الكلام مرارًا في مواطن متعددة. المفهم: ٣/ ١٨٥-١٨٦.

إِلَّا فِي النَّسِيئَةِ».[(١)] صحيح البخاري (٢١٧٨).

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨): أما تخافون أن تعذبوا أو يخسف بكم، أن تقولوا: قال رسول الله ﷺ وقال فلان؟ مسند الدارمي (٤٤٥).

* وعَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٧): أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: لاَ تَخْذِفْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الخَذْفِ[(٢)] وَقَالَ: «إِنَّهُ لاَ يُصَادُ بِهِ صَيْدٌ، وَلاَ يُنْكَى بِهِ عَدُوٌّ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ العَيْنَ» ثُمَّ رَآهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الخَذْفِ، وَأَنْتَ تَخْذِفُ؟.

لاَ أُكَلِّمُكَ كَذَا وَكَذَا. صحيح البخاري: (٥٤٧٩)، صحيح مسلم: (١٩٥٤).

* وَعَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣): قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا»، فَقَالَ بِلاَلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا، وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَقُولُ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ؟». [صحيح مسلم: (١٠١٧)].

* وعن **حذيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: يا معشر القراء استقيموا، [وخذوا طريق مَن كان قبلكم، فوالله لئن استقْمتم][(٣)] فقد سبقْتم سبقًا بعيدا، فإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا» «صحيح البخاري» (٦٨٥٣).

* وَكَانَ الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ الزَّائِغُونَ فِي الدِّينِ يَقُولُ:

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي السِّيَاقِ دَلِيل على أَن أَبَا سعيد وابن عَبَّاسٍ مُتَّفِقَانِ عَلَى أَنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ لَا تُطْلَبُ إِلَّا مِنَ الْكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ.

وفيه أَنَّ الْعَالِمَ يُنَاظِرُ الْعَالِمَ وَيُوقِفُهُ عَلَى مَعْنَى قَوْلِهِ وَيَرُدُّهُ مِنَ الِاخْتِلَافِ إِلَى الِاجْتِمَاعِ وَيَحْتَجُّ عَلَيْهِ بِالْأَدِلَّةِ وَفِيهِ إِقْرَارُ الصَّغِيرِ لِلْكَبِيرِ بِفضل التَّقَدُّم. ا.هـ فتح الباري ٤/ ٤٨٢-٤٨٣

(٢) معناه: هُوَ رَمْيك حَصَاة أَوْ نَوَاةً تَأْخُذُهَا بَيْنَ سُبَّابَتَيك وتَرْمي بِهَا، أَوْ تَتَّخذُ مِخْذَفَةً مِنْ خَشَبٍ ثُمَّ تَرْمِي بِهَا الْحَصَاةَ بَيْنَ إبْهامك وَالسَّبَّابَةِ.

(٣) ما بين المعقوفتين من الزهد لابن المبارك (٣٩).

قَالَ **عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَنًا، الْأَخْذُ بِهَا اتِّبَاعٌ لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ تَغْيِيرُهَا، وَلَا تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظَرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا، مَنِ اهْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ، وَمَنِ اسْتَنْصَرَ بِهَا فَهُوَ مَنْصُورٌ، وَمَنْ تَرَكَهَا اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. الشريعة: ٧٢.

* وَكَتَبَ **عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِلَى النَّاسِ: أنه لا رأي لأحد في كتاب الله، وإنما رأي الأئمة فيما لم ينزل فيه كتاب، ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ، ولا رأي لأحد في سنةٍ سنّها رسول الله ﷺ». مسند الدارمي (٤٤٦)، الشريعة: ٦٢.

* وَقَالَ **الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): «كَانَ وَاللهِ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ فَكَذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ، كَانُوا وَاللهِ مُوَافِقِينَ لِكِتَابِ رَبِّهِمْ، وَلِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، فَإِذَا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ فَقِيَامٌ عَلَى أَطْرَافِهِمْ يَفْتَرِشُونَ وُجُوهَهُمْ، تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ، يَرْغَبُونَ إِلَى رَبِّهِمْ فِي فِكَاكِ رِقَابِهِمْ، إِذَا أَشْرَفَ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ أَخَذُوا مِنْهُ قُوتَهُمْ، وَوَضَعُوا الْفَضْلَ فِي مَعَادِهِمْ، وَأَدُّوا إِلَى اللهِ فِيهِ الشُّكْرَ، وَإِنْ زُوِيَ عَنْهُمُ اسْتَبْشَرُوا وَقَالُوا: هَذَا نَظَرٌ مِنَ اللهِ، وَاخْتِبَارٌ مِنْهُ لَنَا، إِنْ عَمِلُوا بِالْحُسْنَى سَرَّتْهُمْ، وَدَعَوُا اللهَ أَنْ يَتَقَبَّلَهَا مِنْهُمْ، وَإِنْ عَمِلُوا بِالسَّيِّئَةِ سَاءَتْهُمْ، وَاسْتَغْفَرُوا اللهَ مِنْهَا». ابن أبي الدنيا ١/ ٣٣١.

* وَسُئِلَ **أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١)، عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: «لَمْ يَبْلُغْنِي فِيهِ شَيْءٌ»، فَقِيلَ لَهُ: قُلْ فِيهِ بِرَأْيِكَ، قَالَ: «لَا يَبْلُغُهُ رَأْيِي».[1] تهذيب الحِلْية ٤٣٣/ ١.

* وَعَنِ **الْمُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧)، قَالَ: «مَاتَ صَاحِبٌ لِي كَانَ يَطْلُبُ مَعِي الْحَدِيثَ فَجَزِعْتُ عَلَيْهِ، فَرَأَى **أَبِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٣) جَزَعِي

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله إن لنا شريعةً لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يُقبل منه. تلبيس إبليس: ٢٨١.

عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا مُعْتَمِرُ كَانَ صَاحِبُكَ عَلَى السُّنَّةِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِ». تهذيب الحِلْية ٤٤٢/١.

* وَعَنِ **الزُّهْرِيِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٤) قَالَ: «كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ». الزهد لابن المبارك (٧٦٦)، مسند الدارمي (٩٧) واللفظ له.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٢٧): الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام. شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

* وكان **ابن عون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠) يقول عند الموت: السنّة، السنّة، وإيّاكم والبدع، حتى مات. شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي ﷺ. تهذيب الحِلْية ١٣/ ٢.

* وَعَنْ **إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ النَّخَعِيِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦) قَالَ: كَانَ أَصْحَابُنَا يَكْرَهُونَ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ وَيَهَابُونَهُ.[1] تهذيب الحِلْية ٩١/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَسْتَقِيمُ رَأْيٌ إِلَّا بِرِوَايَةٍ، وَلَا رِوَايَةٌ إِلَّا بِرَأْيٍ. تهذيب الحِلْية ٩٢/ ٢.

* وعن الأعمش رَحِمَهُ اللَّهُ قال: ما سمعت **إبراهيم النَّخعيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ يقول برأيه في شيء قط. مسند الدارمي (١٠٦).

* وعن **ابن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) أنه كان لا يقول برأيه إلا شيئا سمعه. مسند الدارمي (١٠٥).

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: ما دام على الأثر فهو على الطريق. مسند الدارمي (١٤٣).

---

(١) يعني بذلك: تفسير القرآن بالرأي.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أول من قاس إبليس، وما عُبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس. مسند الدارمي (١٩٥).

* وحدَّث رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجلا بحديث عن النبي ﷺ، فقال رجل: قال فلان: كذا وكذا.

فقال ابن سيرين: أحدثك عن النبي ﷺ، وتقول: قال فلان وفلان: كذا وكذا! لا أكلمك أبدا. مسند الدارمي (٤٥٥).

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت: ١٠٣): والله لئن أخذتم بالمقاييس لتحرّمن الحلال ولَتُحِلُّنَّ الحرام. مسند الدارمي (١٩٨).

* وَعَنَ **قَتَادَةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) قَالَ: «مَا أَفْتَيْتُ بِرَأْيِي مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً».[١] تهذيب الحِلْية ٨٠٤/١.

* وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما قلت برأيي منذ ثلاثين سنة. مسند الدارمي (١٠٧).

* وسئل **عطاء بن أبي رباح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) عن شيء فقال: لا أدري، فقيل له: ألا تقول فيها برأيك؟.

قال: إني أستحيي من الله عَزَّوَجَلَّ أن يُدان في الأرض برأيي. مسند الدارمي (١٠٨).

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ما ذكر أقوال الصحابة في النهي عن الرأي وذمِّه: فهؤلاء من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يخرجون الرأي عن العلم، ويذمونه ويحذرون منه، وينهون عن الفتيا به، ومن اضطر منهم إليه أخبر أنه ظن، وأنه ليس على ثقة منه، وأنه يجوز أن يكون منه ومن الشيطان، وأن الله ورسوله بريء منه، وأن غايته أن يسوغ الأخذ به عند الضرورة من غير لزوم لاتباعه ولا العمل به، فهل تجد من أحد منهم قط أنه جعل رأي رجل بعينه دينا تترك له السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ ويبدع ويضلل من خالفه إلى اتباع السنن؟. أعلام الموقعين ١/ ٦٣.
وقد عقد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصلًا في المجلد الثاني من ص ٤٤٩ إلى ص٤٨٢، تكلم فيه عن جواز الفتوى بالآثار السلفية، والفتاوى الصحابية، وأنها أولى بالأخذ بها من آراء المتأخرين وفتاويهم، وذكر الأدلة على وجوب اتباع الصحابة.

* ورأى **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) رجلا يصلي بعد العصر الركعتين، فقال له يا أبا محمد: أيعذبني الله على الصلاة؟ قال: لا، ولكن يعذبك الله بخلاف السنة. مسند الدارمي (٤٥٠).

* وَعَنْ **أَبِي الزِّنَادِ عَبْدِ اللهِ بْنِ ذَكْوَانَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالسُّنَّةِ مِنَ **الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨)، وَكَانَ الرَّجُلُ لَا يُعَدُّ رَجُلًا حَتَّى يَعْرِفَ السُّنَّةَ. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٤.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): تعلموا هذه الآثار، فمن قال برأيه فقل: رأيي مثل رأيك. تهذيب الحِلْية ٣٦٤/ ٢.

* وقَالَ **الْأَوْزَاعِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٥٧): لَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْقَوْلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ وَالْعَمَلُ إِلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافَقَةٍ لِلسُّنَّةِ، وَكَانَ مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ مِنَ الْعَمَلِ، وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ: اسْمٌ يَجْمَعُ هَذِهِ الْأَدْيَانَ اسْمُهَا، وَيُصَدِّقُهُ الْعَمَلُ، فَمَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَعَرَفَ بِقَلْبِهِ، وَصَدَّقَ بِعَمَلِهِ، فَتِلْكَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُ بِعَمَلِهِ، لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وَكَانَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ. تهذيب الحِلْية ٢٩١/ ٢.

* وَقَالَ- أَيْضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءِ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخْرَفُوا لَكَ بِالْقَوْلِ.[1] تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٨٣.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والواجب على الخلق اتباع الكتاب والسنة. وإن لم يدركوا ما في ذلك من المصلحة والمفسدة. اقتضاء الصراط المستقيم / ٣٩٢-٣٩٣.

وقال أيضًا: فالعلم المشروع والنسك المشروع مأخوذ عن أصحاب رسول الله ﷺ، وأما ما جاء عمن بعدهم، فلا ينبغي أن يجعل أصلًا، وإن كان صاحبه معذورًا، بل مأجورًا، لاجتهاد أو تقليد.

=

* **وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): «لِيَكُنِ الَّذِي تَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ هَذَا الْأَثَرَ؛ وَخُذُوا مِنَ الرَّأْيِ مَا يُفَسِّرُ لَكُمُ الْحَدِيثَ». تهذيب الحِلْية ٣٧/ ٣.

* وعن **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: ما زال أمر بني إسرائيل معتدلا ليس فيه شيء حتى نشأ فيهم المولدون، أبناء سبايا الأمم أبناء النساء التي سبت بنو إسرائيل من غيرهم، فقالوا فيهم بالرأي فأضلوهم. مسند الدارمي (١٢٢).

* وَقَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبَرَنِي أَبُو حَنِيفَةَ سِمَاكُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي **ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ**، عَنِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ عَامَ الْفَتْحِ: «مَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ: إِنْ أَحَبَّ أَخَذَ الْعَقْلَ، وَإِنْ أَحَبَّ فَلَهُ الْقَوَدُ». فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: فَقُلْتُ **لابْنِ أَبِي ذِئْبٍ**: (ت: ١٥٩): «أَتَأْخُذُ بِهَذَا يَا أَبَا الْحَارِثِ؟» فَضَرَبَ صَدْرِي، وَصَاحَ عَلَيَّ صِيَاحًا كَثِيرًا وَنَالَ مِنِّي، وَقَالَ: «أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَقُولُ: تَأْخُذُ بِهِ، نَعَمْ، آخُذُ بِهِ وَذَلِكَ الْفَرْضُ عَلَيَّ

= فمن بنى الكلام في العلم: الأصول، والفروع على الكتاب والسنة، والآثار المأثورة عن السابقين، فقد أصاب طريق النبوة، وكذلك من بنى الإرادة والعبادة والعمل والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية، والأعمال البدنية على الإيمان والسنة والهدى الذي كان عليه محمد، ﷺ، وأصحابه فقد أصاب طريق النبوة، وهذه طريق أئمة الهدى.
تجد الإمام أحمد إذا ذكر أصول السنة، قال: هي التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ.
وكَتَبَ كُتُبَ التفسير المأثور عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين. وكتب الحديث والآثار المأثورة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وعلى ذلك يعتمد في أصوله العلمية وفروعه، حتى قال في رسالته إلى خليفة وقته المتوكل: لا أحب الكلام في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله، أو في حديث عن رسول الله ﷺ، أو الصحابة أو التابعين، فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود.
وكذلك في الزهد والرقاق والأحوال، فإنه اعتمد في كتاب الزهد على المأثور عن الأنبياء، صلوات الله عليهم من آدم إلى محمد، ثم على طريق الصحابة والتابعين، ولم يذكر من بعدهم، وكذلك وصفه لآخذ العلم أن يكتب ما جاء عن النبي ﷺ، ثم عن الصحابة، ثم عن التابعين.
-وفي رواية أخرى- ثم أنت في التابعين مخير. مجموع الفتاوى١٠/ ١٩٠.

وَعَلَى مَنْ سَمِعَهُ، إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ اخْتَارَ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ النَّاسِ فَهَدَاهُمْ بِهِ، عَلَى يَدَيْهِ وَاخْتَارَ لَهُمْ مَا اخْتَارَ لَهُ، عَلَى لِسَانِهِ فَعَلَى الْخَلْقِ أَنْ يَتَّبِعُوهُ طَائِعِينَ أَوْ دَاخِرِينَ، لا مَخْرَجَ لِمُسْلِمٍ مِنْ ذَلِكَ». قَالَ: «وَمَا سَكَتَ عَنِّي حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ يَسْكُتَ». مسند الشافعي (٢٤٣).

* وَقَالَ **الإِمَامُ مَالِكٌ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): «لَوْ كَانَ لِي سُلْطَانٌ عَلَى مَنْ يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ لَضَرَبْتُ رَأْسَهُ» [١]. تهذيب الحِلْية ٣٥٥/ ٢.

* وَقَالَ- أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ، وَسَكِينَةٌ، وَخَشْيَةٌ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِأَثَرِ مَنْ مَضَى قَبْلَهُ». تهذيب الحِلْية ٣٥٧/ ٢.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ لزِمَ السنّة وسَلِمَ منه أصحاب رسول الله ﷺ ثم مات: كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وإن كان له تقصير في العمل. شرح السنة / ١٢٦.

* وَقَالَ له رَجُلٌ: مِنْ أَيْنَ أُحرم؟ قَالَ: «مِنْ حَيْثُ أَحْرَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ مِرَارًا، قَالَ: فَإِنْ زِدْتُ عَلَى ذَلِكَ! قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفِتْنَةَ»، قَالَ: وَمَا فِي هَذَا مِنَ الْفِتْنَةِ! إِنَّمَا هِيَ أَمْيَالٌ أَزِيدُهَا! قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ﴾ الْآيَةَ [النور:٦٣]»، قَالَ: وَأَيُّ فِتْنَةٍ فِي هَذَا؟! قَالَ: «وَأَيُّ فِتْنَةٍ أعظَمُ مِنْ أَنْ تَرَى أَنَّكَ أَصَبْتَ فَضْلًا قَصَّرَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَوْ تَرَى أَنَّ اخْتِيَارَكَ لِنَفْسِكَ خَيْرٌ مِنِ اخْتِيَارِ اللهِ، واخْتِيَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ». أحكام القرآن ٣/ ٣٢٥.

* وكان رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرًا ما يتمثل:

وخير أمور الدين ما كان سُنَّة ... وشر الأمور المحدثات البدائع

ترتيب المدارك (١/ ١٦١).

---

(١) يقصد بذلك: الذي يفسر القرآن بالرأي والعقل لا بالأثر والنقل.

* وقال رجل للإمام **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): يا أبا عبدالله تأخذ بهذا الحديث؟- فقال: متى رَويت عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا ولم آخذ به فأُشهدكم أن عقلي قد ذَهب.

* وقال الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٩): روى **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا حديثًا، فقلت: أتأخذ به؟ فقال: أرأيتني خرجت من كنيسة وعليّ زنار؟ حتى إذا سمعت من رَسُولِ اللهِ ﷺ حديثًا لا أقول به!.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا وجدتم سُنَّةً فاتبعوها، ولا تلتفتوا إلى قولِ أحد.[1] طبقات الشافعيين (١/ ٤٦-٤٧).

* وَقَالَ -أَيْضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُلُّ مَا قُلْتُ، وَكَانَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ خِلافُ قَوْلِي، مِمَّا يَصِحُّ، فَحَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ أَوْلَى، وَلا تُقَلِّدُونِي». آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم: (٨٥)، السِّيَر: (١٠/ ٣٣).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن يلقى اللهَ المرءُ بكل ذنب خلا الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، خيرٌ له من أن يلقاه بشيءٍ من الأهواء. طبقات الشافعيين (١/ ٤٩).

* قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلُّ متكلمٍ على الكتاب والسنة فهو الجد، وما سواه فهو هذيان.

* وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه أنشد:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدِّين

العلم ما كان فيه قال حدَّثنا ... وما سِوى ذاك وسواس الشياطين

ديوان الشافعي (١٦٢).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلُّ ما قلتُه فكانَ من رسول الله ﷺ خلافُ قولي ممَّا صحَّ، فهو أولى، ولا تُقَلِّدُوني. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٤٨.

---

(١) كان الشافعي وغيره من الأئمة يَتَّبِعون الدليل ويأخذون به، ويوصون أتباعهم بذلك.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أوردتُ الحقّ والحجة على أحد فقبلهما مني، إلا هبته واعتقدت مودّته، ولا كابرَني على الحق أحد ودافع الحجّة إلا سقَط من عيني. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ، فقولوا بسنة رسول الله ودَعوا ما قلت. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٦.

* وسأل رجل **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث النبي ﷺ فقال له الرجل: فما تقول؟ فارتعد وانتفض وقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا رويت عن رسول الله ﷺ وقلت بغيره. تهذيب الحِلْية ١٢٥/ ٣.

* وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال لي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا عبد الله إذا صح عندكم الحديث عن رسول الله ﷺ، فأخبرونا به حتى نرجع إليه. تهذيب الحِلْية ١٣٩/ ٣.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس. الرسالة (٤٢٥).

وتواتر عنه أنه قال: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط.

وصح عنه أنه قال: إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثا ولم آخذ به فاعلموا أن عقلي قد ذهب.

وصح عنه أنه قال: لا قول لأحد مع سنة رسول الله ﷺ. أعلام الموقعين ١/ ٦٠٦.

* وقال **أَبُو عبيد الْقَاسِم بن سلاَّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤): الْمُتَّبِع للسُّنّة كالقابض عَلَى الجمر، وهذا اليوم أفضلُ عندي من ضرب السيف فِي سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.[1] عقيدة السلف وأصحاب الحديث / ٢٥٢، طبقات الحنابلة (٢/ ٢١٨).

(١) يقول هذا الكلام مع أن زمنه قريب من زمن الصحابة والتابعين، حيث توفي سنة ٢٢٤هـ.

* وقال **الإمام أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) طاعة النَّبِيّ ﷺ فِي كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فِي ثلاثة وثلاثين موضعًا، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور:٦٣]. طبقات الحنابلة (١/ ٢٥٣).

* وقيل له: أحياك الله يا أبا عبدالله عَلَى الإسلام، قَالَ: والسُّنة. طبقات الحنابلة (١/ ٣٥١).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بلغني عَنْ أخي منصور بن عمّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] أنه كان يقول: اللهم قد أحاطت بنا الشدائد، وأنت ذخرٌ لها، فلا تعذِّبنا وأنت على العَفْو قادر، سيدي قد أريتنا قدرتك ولم تزل قادرًا، فأرنا عفوك ولم تزل تعفو.

قال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن اعترض مُعترض بأن إمامنا أَحْمَد محفوظٌ عنه النهي عَنْ كَتْب كلام منصور، والاستماع للقُصَّاص؟.

قيل: إنما رأى إمامنا أَحْمَد الناس لَهِجين بكلامه، قد اشتهروا به، حتى دوَّنوه، وفصَّلوه مجالس يتحفَّظونها، ويُلَقِّنونها، ويُكثرون فيما بينهم دراستها، فَكرِهَ لهم أن يَلْهوا بذلك عَنْ كتاب الله تعالى، ويشتغلوا به عَنْ حِفظ السُّنة، وأحكام الملَّة، لا غَيْر. طبقات الحنابلة (٢/ ٣٤٦).

* وقال الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس مذهب **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا الاتباع فقط، فما قاله السلف قاله، وما سكتوا عنه سكت عنه؛ فإنه كان يكثر أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق، أو غير مخلوق، لأنه لم يُقَلْ، وكان يقول في آيات الصفات: تمر كما جاءت. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٥).

---

(١) قال الذهبي: منصور بن عمار: الواعظ، البليغ، الصالح، الرباني، كان عديم النظير في الموعظة والتذكير، ولم يكن بالمتضلع من الحديث، وكان ينطوي على زهد، وتأله، وخشية، ولوعظه وقع في النفوس. قال أبو حاتم: صاحب مواعظ، ليس بالقوي. وقال ابن عدي: حديثه منكر. لم أجد وفاة لمنصور، وكأنها في حدود المائتين. [السِّيَر (٧/ ٥٣٠- ٥٣٢).

* وقال عبدالله ابن **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ أبي: حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إذا دخل رمضان فتحت أبواب الرحمة وسلست فيه الشياطين وغلقت أبواب جهنم**»، قلت لأبي: قد نرى المجنون يصرع فِي رمضان!.

فقال: هكذا الحديث، ولا تكلَّمْ فِي هذا.[1] طبقات الحنابلة (٢/ ١٤).

* وقَالَ مُحَمَّد بن يس: سألت **أبا عبدالله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنِ النَّظر فِي الرأي، فقال: عليك بالسُّنة، فقلت له: يا أبا عبدالله صاحب حديثٍ يَنظر فِي الرأي إنما يُريد أن يَعرف رأي مَن خالفه؟ فقال: عليك بالسُّنة. طبقات الحنابلة (٢/ ٣٨٣).

* وسأل رجل **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: أكتب كتب الرأي؟ قَالَ: لا تفعل، عليك بالآثار والحديث، فقال له السائل: إن عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد كتبها، فقال له أَحْمَد: ابن المبارك لم ينزل من السماء، إنما أُمرنا أن نأخذ العلم من فوق.

وسُئِل عن عبدالرزاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان له فِقه؟ فقال: ما أقلّ الفِقه فِي أصحاب الحديث.[2] طبقات الحنابلة (٢/ ٣٩٢).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رَوينا عن رَسُول اللهِ ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشدَّدنا في الأسانيد، وإذا رَوينا عَنِ النَّبِيّ ﷺ في فضائل الأعمال، وما لا يضع حُكمًا ولا يرفعه؛ تساهلنا في الأسانيد.[3] ذيل الطبقات (١/ ٣٠٤-٣٠٦).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما الناس إلا من يقول: حَدَّثَنَا، وأَخْبَرَنَا، وسائر الناس لا خير

---

(١) أهل العلم العارفون بالله عندهم يقين لا يعتريه ذرة من شك في صحة ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الصحيحة الصريحة، ولا يردون ما جاء فيهما بآراءٍ يعتريها الخطأ والصواب، كالعقل والطب ونحو ذلك.

(٢) المقصود: ما أقلَّ قولهم ورأيهم في مقابل رواية حديث الرسول وفهمه وتبليغه، فهم أبعد الناس أخذًا بالرأي، وإنما اعتمادهم ومرجعهم إلى الحديث والأثر.

(٣) وأما الآثار التي لا سند لها، أو لا أصل لها، أو تُخالف نصًا صحيحًا: فتُترك ولا تُروى، وفي الصحيح غنيةٌ عنها.

فيهم.[1] ذيل الطبقات (١/ ٣٠٤-٣٠٦).

* وعن إبراهيم بن هاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٥) قال: اختفى عندي **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثة أيام ثم قال: اطلب لي موضعًا حتى أتحول إليه. قلت: لا آمن عليك يا أبا عبد الله، قال: إذا فعلت أفدتك، فطلبت له موضعًا فلما خرج قال لي: اختفى رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام، ثم تحول، وليس ينبغي أن نتبع رسول الله ﷺ في الرخاء ونتركه في الشدة. تهذيب الحِلْية ٣/١٤٤.

* وعن أبي الفضل بن إسحاق بن محمود أنه قال: كان **أبو عبد الله الْمَرْوَزِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٩) يتمنى على كبر سنه أن يولد له ابن فكنا عنده يومًا من الأيام، فتقدم إليه رجل من أصحابه فسارَّه في إذنه بشيء فرفع أبو عبدالله يديه فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ [إبراهيم:٣٩]. ثم مسح وجهه بباطن كفيه ورجع إلى ما كان فيه فرأينا أنه استعمل في تلك الكلمة الواحدة ثلاث سنن: إحداها أنه سمى الولد، والثانية أنه حمد الله تعالى على الموهبة، والثالثة: أنه سماه إسماعيل لأنه وُلِدَ على كِبَر سِنِّه، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]. المنتظم ١٣/٥٥.

* وقال **أَبُو القاسم بن منده** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت:٤٧٠) في كتاب «الرد على الجهمية»: التأويلُ عند أصحاب الحديث: نوع من التكذيب. ذيل الطبقات (١/ ٦٤).

* وقال **ابن خزيمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١١): ليس لأحدٍ مع رسول الله ﷺ قولٌ إذا صحَّ الخبر عنه. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٨).

* وقال **أبو زيد المروزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧١): كنتُ نائمًا بين الركن والمقام، فرأيت النبي ﷺ فقال: يا أبا زيد إلى متى تدرس في كتاب الشافعي، ولا تدرس

(١) لعله يقصد: لا خير فيمن لا يرجع إلى سنة النبي ﷺ، وردِّ أمرِ الدين إلى الوحيين، والاشتغال بهما.

كتابي؟ فقلت: يا رسول الله، وما كتابك؟ فقال: جامع محمد بن إسماعيل، يعني: البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.[(١)] طبقات الشافعيين (١/ ٢٩٠).

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): ليس ينبغي لمن ألهم شيئًا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر، فإذا سمعه في الأثر عمل به، وحمد الله عَزَّوَجَلَّ على ما وفَق ما في قلبه. تهذيب الحِلْية ١٩٢/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ربما يقع في قلبي النُّكتة من نُكَت القوم أيامًا فلا أقبل منه إلاَّ بشاهِدَين عدْلين: الكتاب والسنة. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٦.

* وقال **أبو يزيد البسْطامي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٠): لله خلقٌ كثيرٌ يمشون على الماء، لا قيمةَ لهم عند الله، ولو نظرتم إلى من أعطي من الكرامات حتى يطير، فلا تَغْتَرُّوا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي، وحِفْظِ الحدود والشرع. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٥٥.

* وقال **أبو عثمان الحيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٠): من أمَرّ السُّنة على نفسه قولًا وفعلًا، نطق بالحكمة، ومن أمَرّ الهوى على نفسه نطق بالبدعة، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور:٥٤].

* قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨) -مُعَلِّقًا عَلَيه-: وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص:٢٦]. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٢٣.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١): قليل في سنّة خير من كثير في بدْعة، كيف يقل عملٌ مع تقوى؟. صفة الصفوة ٢/ ٦٢٧.

---

(١) لو كان بين يديك كتاب وفيه: تأليف محمد بن عبدالله رسول الله ﷺ، فهل ستتركه دون قراءة وتكرارٍ وفهم؟

فهذا كتاب «صحيح البخاري» وكتاب «صحيح مسلم» بين يديك، وفيهما ما ثبت من أقواله وأفعاله وأحواله ﷺ، فلا تَزهد في قراءتهما.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط. تهذيب الحِلْية ٢٨٧/ ٣.

* وقال **الجنيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧): علمُنا مضبوطٌ بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به. تهذيب الحِلْية ٣٧١/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول واتبع سنته، ولزم طريقته، فإن طريق الخيرات كلها مفتوحة عليه. تهذيب الحِلْية ٣٧٣/ ٣.

* وقال **أبو العباس بن عطاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٩): من ألزم نفسه آداب السنة غمر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه قولًا وفعلًا ونية وعقدًا. تهذيب الحِلْية ٤٠٠/ ٣.

* وكان **عبد العزيز الدارَكي** الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٧٥) إذا جاءته مسألة تفكر طويلًا ثم أفتى فيها، فربما كانت فتواه خلاف مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، فيقال له في ذلك، فيقول: ويحكم حدث فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ بكذا وكذا، والأخذ بالحديث عن رسول الله ﷺ أولى من الأخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة إذا خالفاه.[1] المنتظم ٢١٤/ ١٤.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الطَّيِّبُ يَشْتَدُّ نَكِيرُهُمْ وَغَضَبُهُمْ عَلَى مَنْ عَارَضَ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِرَأْيٍ أَوْ قِيَاسٍ أَوْ اسْتِحْسَانٍ أَوْ قَوْلِ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ كَائِنًا مَنْ كَانَ، وَيَهْجُرُونَ فَاعِلَ ذَلِكَ، وَيُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يَضْرِبُ لَهُ الْأَمْثَالَ، وَلَا يُسَوِّغُونَ غَيْرَ الِانْقِيَادِ لَهُ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّلَقِّي بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَلَا يَخْطُرُ بِقُلُوبِهِمْ التَّوَقُّفُ فِي قَبُولِهِ حَتَّى يَشْهَدَ لَهُ عَمَلٌ أَوْ قِيَاسٌ أَوْ يُوَافِقَ قَوْلَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، بَلْ كَانُوا عَامِلِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].
فَدُفِعْنَا إلَى زَمَانٍ إذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ «ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا» يَقُولُ: مَنْ قَالَ بِهَذَا؟ وَيَجْعَلُ هَذَا دَفْعًا فِي صَدْرِ الْحَدِيثِ، أَوْ يَجْعَلُ جَهْلَهُ بِالْقَائِلِ بِهِ حُجَّةً لَهُ فِي مُخَالَفَتِهِ وَتَرْكِ=

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١): قيل لبعض **الأعراب** -وقد أسلم- لما عرف دعوته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، عن أي شيء أسلمت؟ وما رأيت منه مما دلك على أنه رسول الله؟ فقال: ما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به، ولا أحل شيئا فقال العقل ليته حرمه، ولا حرم شيئا فقال العقل: ليته أباحه. مدارج السالكين ١/ ٤٢٨.

* وقال **ابن غانم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٠): دخلتُ مجلس إبراهيم بن الأغلب[(١)]، إذ أشرف علينا إبراهيم فقام إليه من كان في البيت غيري، فجلس مغضَبًا ثم قال لي: يا أبا عبدالرحمن ما منعك أن تقوم كما قام أخَواك؟ فقلت: أيها الأمير: حدثني مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن نافع رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار.

فنكَّس إبراهيم رأسه وأطرق. ترتيب المدارك (١/ ٣٥٨).

* وقال الفقيه **عبد اللطيف بن أبي العز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢٨): ينبغي أن تكون سيرتك سيرة الصَّدرِ الأوَّل؛ اقتداءً بسيرة النبي ﷺ، وتتبع أفعاله وأحواله واقتفاء آثاره، وتشَّبه به ما أمكنك، وإذا وقفت على سيرته في مطعمه، ومشربه، وملبسه، ومنامه، ويقظته، وتمرُّضه، وتطبُّبه، وتمتّعه، وتطيُّبه، ومعاملته مع ربه، ومع أزواجه،

=الْعَمَلِ بِهِ، وَلَوْ نَصَحَ نَفْسَهُ لَعَلِمَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ أَعْظَمِ الْبَاطِلِ، وَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ دَفْعُ سُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ هَذَا الْجَهْلِ، وَأَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ عُذْرُهُ فِي جَهْلِهِ، إِذْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْإِجْمَاعَ مُنْعَقِدٌ عَلَى مُخَالَفَةِ تِلْكَ السُّنَّةِ، وَهَذَا سُوءُ ظَنٍّ بِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، إِذْ يَنْسُبُهُمْ إِلَى اتِّفَاقِهِمْ عَلَى مُخَالَفَةِ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ عُذْرُهُ فِي دَعْوَى هَذَا الْإِجْمَاعِ، وَهُوَ جَهْلُهُ وَعَدَمُ عِلْمِهِ بِمَنْ قَالَ بِالْحَدِيثِ، فَعَادَ الْأَمْرُ إِلَى تَقْدِيمِ جَهْلِهِ عَلَى السُّنَّةِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَلَا يُعْرَفُ إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ أَلْبَتَّةَ قَالَ: لَا نَعْمَلُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَعْرِفَ مَنْ عَمِلَ بِهِ، فَإِنْ جَهِلَ مَنْ بَلَغَهُ الْحَدِيثُ مَنْ عَمِلَ بِهِ لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ كَمَا يَقُولُ هَذَا الْقَائِلُ. أعلام الموقعين ٢/ ٥٥٤-٥٦٠.

(١) أمير إفريقية.

وأصحابه، وأعدائه، وفعلت اليسير من ذلك، فأنتَ السَّعيد كلّ السَّعيد. طبقات الشافعيين (٢/ ٢٨٤).

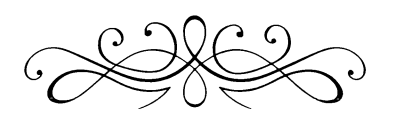
* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٧١) مع جلالته وحفظه يروي الأحاديث الواهية والموضوعة ولا يبيِّنها، وكذا كان عامة الحُفّاظ الذين بعد القرون الثلاثة، إلَّا مَن شاء ربكَ، فَلَيَسألَنَّهم الله تعالى عَن ذلك.

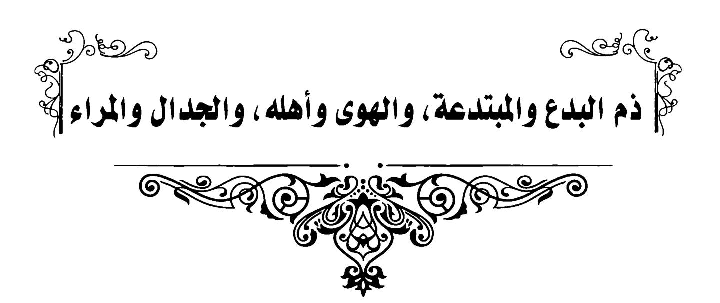
وأي فائدةٍ بمعرفة الرجال ومصنفات التاريخ والجرح والتعديل إلَّا كشف الحديث المكذوب وهتكه؟ [تاريخ الإسلام (١٢/ ٤٩٣).

قال ابن كثير: لقد صدق أثابه الله في هذا وبرَّ ورَشَد، وأنزلُ مِن هذا بدرجاتٍ مَن يحتجّ بذلك مع علمه أو بجهله، فيدخل فاعل ذلك في قول القائل:

فإن كنتَ لا تدري فتلك مصيبة ... وإن كنتَ تدري فالمصيبة أعظم

طبقات الشافعيين (٢/ ٢٠٥).





أ- ذم البدع:

* دخل **أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) على امرأة فرآها لا تتكلم، فقال: ما لها لا تتكلم؟ قالوا: حجت مُصْمتة[١]، قال لها: تكلمي، فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية، فتكلمت، فقالت: من أنت؟ قال: امرؤ من المهاجرين، قالت: أي المهاجرين؟ قال: من قريش، قالت: من أي قريش أنت؟ قال: إنك لسؤُول[٢]، أنا أبو بكر، قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح[٣] الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟.

قال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم.

قالت: وما الأئمة؟.

قال: أما كان لقومك رؤوس وأشراف، يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلى.

قال: فهم أولئك على الناس.[٤] صحيح البخاري (٣٦٢٢).

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): اتبعوا ولا تبْتدعوا، فقد كُفيتم، كلّ بدعة ضلالة. الزهد لوكيع (٣١٣).

* وقال أبو موسى الأشعري **لعبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رأيت في المسجد

---

(١) أي: صامتة ساكنة.

(٢) أي: كثيرة السؤال.

(٣) تعني: الإسلام وما فيه من العدل ومكارم الأخلاق.

(٤) لأن الناس على دين ملوكهم، فإذا استقام الإمام استقامت رعيّته، وإذا ضلّ ضلوا إلا أن يشاء الله.

قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حَلَقة رجل، وفي أيديهم حصا، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة.

قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا انتظارَ رأيك.

ثم مضى حتى أتى حلَقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟.

قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح.

قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملةٍ هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مُفْتتحو باب ضلالة.

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير.

قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم.

فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج. مسند الدارمي (٢١٠).

* وقال **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا (ت: ١٦١): البدعة أحبّ إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.[١] تهذيب الحِلْية ٣٨١/ ٢.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومعنى قولهم (أن البدعة لا يتاب منها): أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زُين له سوء عمله فرآه حسنًا فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًا، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه، أو بأنه ترك حسنًا وهو سيء في نفس الأمر فإنه لا يتوب. =

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يُلقها في قلوبهم.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة والشُّبه خطَّافة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٩٨.

* وعن **مطرّف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) قال: لأن يسألني ربي عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، فيقول: يا مطرف ألا فعلت؟ أحبّ إلي من أن يقول: لِم فعلت. صفة الصفوة ٣/ ١٥٨.

* وقال **مطر الوراق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩): عمل قليل في سنة، خير من عمل كثير في بدعة، ومن عمل عملًا في سنة قبل الله منه عمله، ومن عمل عملًا في بدعة، ردّ الله عليه بدعته. تهذيب الحِلْية ٤٥٧/ ١.

* وعن **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: ما أدري أي النعمتين أفضل؟ أن هداني للإسلام؟ أو عافاني من الأهواء. تهذيب الحِلْية ١٣/ ٢.

* وقال سهل: دخلت على **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] (ت:٢٤٠)، فقلت: البدعة فاشية، وأهلها أعزَّاء!.

فقال: أما علمت أنَّ الله إذا أراد قطْع بدْعةٍ أظهراها.[2] ترتيب المدارك (٢/ ٩٧).

* وقال **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): مَن تعاطى الكلام لا يُفلح، ومَن تعاطى الكلام لا يخلو مِن بدعة. طبقات الحنابلة (١/ ١٤٩).

= ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال. مجمُوع الفَتاوَى ٧/ ١٠

(١) وكان معتزلا في بيته، حيث دُعي إلى القول بخلق القرآن فأبى، فمُنع من الإفتاء، وأُمر بلزوم بيته.

(٢) وذلك أن كثيرا من البدع لا تظهر شناعتها حتى تظهر للناس ويقوى أنصارها، فيقذف الله بغضها وبغض أهلها في قلوب الناس، فيكون ذلك سببا في انقطاعها وزوالها.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يكره أن يجتمع القوم يدعون ويرفعون أيديهم؟.

فقال: ما أكرهه للإخوان إذا لم يجتمعوا على عمْد إلا أن يكثروا.

قال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كما قال، وإنما معنى إلا أن يكثروا إلا أن يتخذوها عادة حتى يكثروا.

قال الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقيد أحمد الاجتماع على الدعاء إذا لم يتخذ عادة. الآداب الشرعية ٢/ ٧٦.

* وقال **الجنيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٨): أقلّ ما في الكلام[1]: سقوط هيبة الرب جَلَّ جَلَالُهُ من القلب، والقلب إذا عري من الهيبة عري من الإيمان.[2] طبقات الشافعيين (١/ ١٦٧).

* وذَكر ابن النجار عن علي الضَّرير قَالَ: رأيتُ **صدقة الناسخ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٧٣) في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟.

قَالَ: غفر لي بعد شِدَّة.

فسألته عن علم الأصول[3]؟ فقال: لا تشتغل به، فما كان شيءٌ أضرَّ علي منه، وما نفعني إلا خمس تميرات تصدقتُ بها على أرملة.

قال **ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا المنام حق، وما كانت مصيبته إلا مِن علم الكلام. ولقد صدق القائل: ما ارتدى أحدٌ بالكلام فأفلح، وبسببِ شُبَه المتكلمين

---

(١) أي: علم الكلام والجدل.

(٢) وذلك لأنّ من يعتني بعلم الكلام، والرأي، والمنطق، والفلسفة: يقل عنده استحضار نصوص الكتاب والسنة، ويعتاض عنها بالرأي والمنطق وعلم الكلام والجدل، وربما إذا عُورض بنصٍّ من الكتاب والسنة بخلاف ما قرره سعى في رده أو تأويله، فتسقط هيبة الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من قلبه، بخلاف من لا يتكلم إلا بالكتاب والسنة، ولا يعمل ولا يحتج إلا بنص شرعي فإنه يمتلئ قلبه بالإيمان والتعظيم والهيبة لله جَلَّ جَلَالُهُ.

(٣) يقصد به: عِلم الكلام.

والمتفلسفة كان يقع له أحيانا حيرة وشك، يذكرها في أشعاره، ويقع له من الكلام والاعتراض ما يقع. ذيل الطبقات (٢/ ٣١٠).

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: لما رأينا الشريعة تنهى عن تحريكات الطباع بالرعونات، وكَسَرَتِ الطبولَ والمعازف، ونهتْ عن الندب والنياحة والمدح وجر الخيلاء؛ **عِلِمْنا أنّ الشرع يريد الوقار دون الخلاعة**، فما بال الْوَجْد وتخريق الثياب والصعق والتَّماوت من هؤلاء المتصوفة؟.

وما العلم إلا الحكمة المتلقَّاة مع السكون واعتدالِ الأمزجة.

أما رأيته عَزَل القاضي حين غَضَبِه، وكذلك يُعْزَل حال طربه، أما سمعت: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ [الأحقاف:٢٩]؟.

فأين الطرب من الأدب؟.

والله ما رقص قط عاقل، ولا تعرض للطرب فاضِل، ولا صَغى إلى تلحينِ الشِّعر إلا بَطِر. الآداب الشرعية ٢/ ٢١٦.

* وكان **أبو إسحاق الجُبْنَيَانِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٩)[1] قلما يترك ثلاث كلمات، هنّ الخير كله: اتّبع لا تبتدع، اتَّضع لا ترتفع، مَن وَرِع لم يتَّسع.[2] ترتيب المدارك (٤/ ٥٤).

* وقال بعض أصحابه: لما حججت أتيت معي بحصيات من حصباء المسجد الحرام، فقلت لأبي إسحاق: إني أتيت معي بحصيات من حصى المسجد الحرام، أتحب أن أعطيك منهن شيئًا تسبِّح بها؟ فقال لي: ارْم بهن، فعلى أقلّ مِن هذا عُبِدت الحجارة.

---

(١) أحد أئمة المسلمين، وأولياء الله الصالحين.

(٢) أي: لم يتوسع في طلب المباحات والمتع الدنيوية، من الطعام والمسكن والمناصب وغير ذلك.

فعرّفت أبا الحسن القابسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٣) بهذا فأعجبه فِقْهُ أبي إسحاق. ترتيب المدارك (٤/ ٥٥).

ب- ذم المبتدعة[1]:

* قال **عمر بن الخطاب** رضوان الله تعالى عليه (ت: ٢٣): إن ناسًا يجادلونكم بِشُبَه القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ. الشريعة: ٥٧، مسند الدارمي (١٢١).

(١) يجب الحذر من مصاحبة أهل الأهواء والفسق، وعدم متابعتهم في وسائل التواصل والاستماع لكلامهم وقراءة آرائهم، قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **توقير صاحب البدعة مظنةٌ لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم:**
إحداهما: التفات الجهال والعامة إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنَّه أفضل الناس، وأنَّ ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السُّنَّة على سُنتهم.
والثانية: أنَّه إذا وُقِّرَ من أجل بدعته صار ذلك كالحادي الْمُحرِّض له على إنشاء الابتداع في كلِّ شيءٍ.. فتحيا البدع وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه. ا.هـ [الاعتصام: ٩٠].
وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن أنواع مكايده ومكره: أن يدعو العبد بحسن خلقه وطلاقته وبِشره إلى أنواعٍ من الآثام والفجور، فيلقاه من لا يُخلِّصُه من شره إلا تجَهُّمه والتعبيسُ في وجهه والإعراضُ عنه، فيُحسِّن له العدوَ أن يلقاه ببشره، وطلاقة وجهه، وحسن كلامه، فيتعلق به، فيروم التخلص منه فيعجز، فلا يزال العدو يسعى بينهما حتى يصيب حاجته، فيدخل على العبد بكيده من باب حسن الخلق وطلاقة الوجه.
ومن ههنا وصَّى أطباء القلوب بالإعراض عن أهل البدع، وأن لا يُسلِّم عليهم، ولا يُريهم طلاقة وجهه، ولا يلقاهم إلا بالعبوس والإعراض.
وكذلك أوصوا عند لقاء من تُخاف الفتنة بلقائه من النساء والمردان، وقالوا: متى كَشفْتَ للمرأة أو الصبي بياض أسنانك كشفا لك عما هنالك، ومتى لقيتهما بوجه عابس وُقِيت شرهما.
ومن مكايده: أنه يأمرك أن تلقى المساكين وذوي الحاجات بوجه عبوس، ولا تريهم بشرا ولا طلاقة، فيطمعوا فيك ويتجرؤوا عليك، وتسقط هيبتك من قلوبهم، فيحرمك صالح أدعيتهم، وميل قلوبهم إليك، ومحبتهم لك.
فيأمرك بسوء الخلق، ومنعِ البشر والطلاقة مع هؤلاء، وبِحُسنِ الخلق والبشر مع أولئك، ليفتح لك باب الشر، ويغلق عنك باب الخير. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١/ ١٩٧.

* وعن أبي البختري قال: أخبر رجل **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) أن قوما يجلسون في المسجد بعد المغرب وفيهم رجل يقول: كبروا الله كذا وكذا وسبحوا الله كذا وكذا واحمدوا الله كذا وكذا فقال عبد الله: فيقولون؟ قال: نعم، قال: فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم، فأتاهم وعليه برنس فجلس فلما سمع ما يقولون قام وكان رجلا حديدا فقال: أنا عبد الله بن مسعود والذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماء، أو لقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علما؟ فقال معضد: والله ما جئنا ببدعة ظلماء ولا فضلنا أصحاب محمد ﷺ علما، فقال عمرو بن عتبة: يا أبا عبد الرحمن نستغفر الله قال: عليكم بالطريق فالزموه فوالله لئن فعلتم لقد سبقتم سبقا بعيدا وإن أخذتم يمينا وشمالا لتضلوا ضلالا بعيدا. الزهد لأحمد: ٢٠٨١.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب. الشريعة: ٧٠.

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) أنه جاءه رجل فقال: إن فلانا يَقرأ عليك السلام، قال: بلغني أنه قد أحدث، فإن كان قد أحدث فلا تَقرأ عَلَيْهِ السَّلَامُ. مسند الدارمي (٤٠٧).

* وعن **أيوب السختياني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) قال: ما ازداد صاحبُ بدعةٍ اجتهادًا إلا زاد من الله عَزَّوَجَلَّ بُعدا. صفة الصفوة ٣/ ٢١١.

* وعن شعبة الخياط مولى جابر الجعفي قال: قال لي **أبو جعفر محمد بن علي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨) لما ودعته: أبلغ أهل الكوفة أني بريءٌ ممن تبرأ من أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرضاهما. تهذيب الحِلْية ٥٠٨/ ١.

* وقال **أبو الجوزاء أوسُ بن عَبْد الله الرَّبَعيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٣): لأن أجالسَ

الخنازير أحبُّ إليَّ من أن أجالسَ أحدًا من أهل الأهواء. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥١٢.

* وعن **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩) قال: إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره. الشريعة: ٧٢.

* وقال **أحمد بن سنان القطان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): ليس في الدنيا مبتدع إلاَّ وهو يبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نُزعت حلاوة الحديث من قلبه. عقيدة السلف وأصحاب الحديث / ٢٩٨-٢٩٩.

* وقال **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): مَن أَصغى بأذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله، ووُكِلَ إليها -يعني البدع-.[1] شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

* وقال **بعض السلف**: من عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تُذكر محاسنه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٠٩.

* وقال **يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩): ثلاثة احفظوهن عني؛ لا يدخل أحدكم على سلطان يقرأ عليه القرآن، ولا يخلون أحدكم مع امرأة شابة يقرأ عليها القرآن، ولا يُمَكِّن أحدكم سمعه من أصحاب الأهواء. تهذيب الحِلْية ٤٣٨/١.

* وقال **عمرو بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٦): لا تجالس صاحب زيغ فيزيغ قلبك. تهذيب الحِلْية ١٥٥/ ٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): من جالس صاحب بدعة لم يُعْطَ الحكمة. شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تجلس مع صاحب بدعة، فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة. شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ عَظَّمَ صاحبَ بدعة: فقد أَعَانَ على هدم الإسلام. ومن تَبَسَّمَ في وجه مبتدِع: فقد استَخَفَّ بما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ على محمد ﷺ. ومن

(١) وكذا قال محمد بن النضر الحارثي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في تلبيس إبليس:٢٨.

زَوَّجَ كريمته من مبتدِع: فقد قطع رحمها.

ومن تبع جنازة مبتدِع لم يزل في سخط الله حتى يرجع. شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن آكل عند اليهودي والنصراني، أحب إلي من أن آكل عند صاحب بدعة، فإني إذا أكلت عندهما لا يقتدى بي، وإذا أكلت عند صاحب بدعة اقتدى بي الناس، أحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد، وعمل قليل في سنة، خير من عمل صاحب بدعة، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، ومن جلس إلى صاحب بدعة فاحذره، وصاحب بدعة لا تأمنه على دينك ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه فمن جلس إليه ورثه الله عَزَّوَجَلَّ العمى، وإذا علم الله من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له، وإن قلّ عمله، فإني أرجو له، لأن صاحب السنة يعرض كل خير، وصاحب البدعة لا يرتفع له إلى الله عمل، وإن كثر عمله. تهذيب الحِلْية ٢٠/ ٣.

* وعن محمد بن سهل البخاري قال: كنا عند **القرباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجعل يذكر أهل البدع فقال له رجل: لو حدثتنا كان أعجب إلينا فغضب وقال: كلامي في أهل البدع أحب إلي من عبادة ستين سنة. تلبيس إبليس: ٢٧.

* وذكر **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) عمرو بن عبيد[1]، فوقع فيه ونال منه.

فقيل له: ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض!.

فقال: ألا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة فينبغي لنا أنْ نَذْكره حتى يُحْذَر. تاريخ الإسلام (٣/ ٩٤٢).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): أُسِّس التصوف على الكسل. تهذيب الحِلْية ١٣٢/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أنَّ رجلا عاقلا تصوَّف لم يأت الظهر حتى يصيرَ أحمق. تهذيب الحِلْية ١٣٣/ ٣.

---

(١) وهو من المبتدعة الذين ينفون القدر.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): وما رأيت صوفيًّا فيه خير، إلا واحدًا عبد الله بن مرزوق قال: وأنا أرق لهم. تهذيب الحِلْية ٣/١٨٨.

* وقالَ المرُّوذي: قُلْتُ **لأبي عبدالله** -يعني الإمام أَحْمَد رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (ت: ٢٤١): ترى للرجل أن يشتغل بالصوم والصلاة ويَسكُت عن الكلام فِي أهل البدع؟ فَكَلح وجهُهُ وَقَالَ: إِذَا هُوَ صام وصلى واعتزل الناس أليس إنما هُوَ لنفسه؟ قُلْتُ: بلى، قَالَ: **فَإِذَا تكلَّم كَانَ لَهُ ولغيره، يتكلم أفضل**. طبقات الحنابلة (٣/ ٤٠٨).

* وذُكر **لأبي عبدالله أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجل من أهل العلم، كانت له زلة، وأنه تاب من زلَّتِه، فقال: لا يَقبل الله ذلك مِنه حتى يُظهر التوبة والرجوع عن مقالته، ولْيُعْلِمن أنه قَالَ مقالته كيت وكيت، **وأنه تاب إلى الله تعالى من مَقالتِه**، ورجَع عنه، فإذا ظَهر ذلك مِنه حينئذ تُقبل، ثم تلا أَبُو عبدالله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة:١٦٠]. ذيل الطبقات (١/ ٣٠٠).

* وقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من دل عَلَى صاحب رأي أو فتنة فقد أعان عَلَى هَدمِ الإسلام. طبقات الحنابلة (١/ ١٣٣).

* وسُئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أمرُّ فِي الطريق فأسمع الإقامة ترى أن أصلي؟.

فقال: قد كنت أُسَهِّل، فأما **إذ كثرت البدع** فلا تصل إلا خلف مَن تعرف. طبقات الحنابلة (١/ ١٤٣).

* وقال أَبو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيّ: قلت: لأبي عبدالله **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أرى رجلا من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه؟.

قال: لا، أو تُعلِمْهُ أن الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة، فإن ترك كلامه فكلّمه وإلا فألحقه به، قال ابن مسعود: «المرء بخدنه». طبقات الحنابلة (١/ ٤٢٩).

* وعن علي بن عبد الصمد الطيالسي قال: مسحت يَدي على **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر، فغضب غضبًا شديدًا وجعل ينفض

يده ويقول: عمن أخذتم هذا؟ وأنكره إنكارًا شديدًا.[١] الآداب الشرعية ٢/ ١٦٢.

* وقَالَ الفضل بن مهران: سألتُ **الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قلت: إن عندنا قومًا يجتمعون فيَدعون، ويَقرؤون القرآن، ويَذكرون الله[٢]، فما تَرى فيهم؟ فقال لي أَحْمَد: يقرأ فِي المصحف، ويذكر الله فِي نفسه، ويَطلب حديث رَسُول اللهِ ﷺ، قلتُ: فأَخٌ لي يفعل هذا، فأنهاه؟ قَالَ: نعم، قلتُ: فإن لم يقبل؟ قَالَ: بلى إن شاء الله؛ فإن هذا مُحدَث، الاجتماع والذي تَصِف. طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٩).

* وقال **أَبُو مُحَمَّد البربهاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٩)، شيخ الطائفة فِي وقته ومتقدِّمها فِي الإنكار عَلَى أهل البدع والمبايَنَةِ لهم باليد واللسان: احذر صِغار المحدثات؛ فإن صِغار البِدع تعود حتى تصير كبارًا، وكذلك كل بدعة أُحدِثت فِي هَذِهِ الأمة كَانَ أوَّلها صغيرًا يشبه الحق، فاغتر بذلك مَن دَخل فِيهَا، ثُمَّ لم يَستطع المخرج منها، فعَظُمَت وصارت دينًا يُدان به، فخالَفَ الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام!، فانظر رحمك الله كل مَن سمِعتَ كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجَلَنّ ولا تدخلن فِي شيء مِنْهُ حتى تَسأل وتَنظر: هل تكلَّم فِيهِ أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ أو أحد من العلماء؟ فإن أصبت فِيهِ أثرًا عَنْهُمْ فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه[٣] شيئًا؛ فتسقط فِي النار. طبقات الحنابلة (٣/ ٣٨).

وقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مثل أصحاب البدع مثل العقارب، يدفنون رؤوسهم وأبدانهم فِي

---

(١) فالتبرك بذوات الصالحين أو قبورهم مِن البِدَع المحدَثة.

(٢) هؤلاء القوم من الصُّوفية في بداية نشأتهم، قبل أن يؤولَ أمرهم إلى الاجتماع على الرقص والغناء والغلو في مدح النبي ﷺ، وإنما نهاهُ الإمام لأن السلف الصالح لم يَفعلوه على طريقة الذكر الجماعي، ولأنّ الغالب على هؤلاء أنهم يكتفون بهذه المجالس عن طلب العلم النافع الذي يبصّرهم، ولأنّ البِدع مع مرور الزمان تَعظُم وتكبُر، حتى تخرج إلى الكفر أو الانحلال، كما هو حال غلاة الصوفية والرافضة وغيرهم.

(٣) ورد لفظ (فيه)، ولعل الصحيح (عليه)، كما أثبتها من كتابه النفيس (شرح السنة). انظر تحقيق الردادي ص: ٦٩

التراب، ويُخْرِجون أذنابهم، فَإِذَا تمكَّنوا لَدَغوا، وكذلك أهل البدع هم مختفون بين الناس، فَإِذَا تمكَّنوا بلغوا ما يُريدون. طبقات الحنابلة (٣/ ٧٧).

* وقال **أَبُو عبدالله بن منده** (ت: ٣٩٥): طفت الشَّرق والغرب مرتين، فلم أتقرَّب إلى كلِّ مُذَبْذب، ولم أسمع من المبتدعين حديثًا واحدًا.[١] طبقات الحنابلة (٣/ ٣٠٠).

* وقال **عثمان بن مرزوق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٤): إياكم ومحاكاة أصحاب الأحوال قبل إحكامِ الطريق وتمكُّنِ الأقدام؛ فإنها تَقطَعُ بِكم.

ودليل تَخليطك صُحبتُكَ للمُخلِّطين.

ودليل وحشتِكَ أُنسُكَ بالمستوحشين. ذيل الطبقات (٢/ ٢٢٤).

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: ما على الشريعة أضرّ من المتكلمين والمتصوّفين، فهؤلاء يُفسدون العقول بتوهمات شبهات العقول، وهؤلاء يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان.

وقد خَبرت طريق الفريقين: غايةُ هؤلاء الشك، وغايةُ هؤلاء الشَّطَح، والمتكلمون عندي خيرٌ من الصوفية؛ لأن المتكلمين قد يردُّون الشك، والصوفية يوهمون التشبيه والأشكال، والثقة بالأشخاص ضلال.

ما لله طائفة أجلُّ من قوم حدَّثوا عنه وما أحدثوا، وعوَّلوا على ما رَوَوا لا على ما رَأَوا. الآداب الشرعية ١/ ١٦١.

---

(١) هذا هو المنهج الصحيح في التلقي، **فالعاقل الذي يرجو النجاة والفوز والفلاح لا يأخذ عن رجلين:**

١- المتذبذب المتقلب، الذي يكون مرة في هذا الاتجاه، ومرة يكون في الاتجاه الآخر، حسب ما تقتضيه مصلحته -لا مصلحة الدين- أو ما يُمليه عليه أسياده.

٢- المبتدع، فإنّ ما عند علماء السنة أصوب وأكثر مما عنده، ولا يتابعه في مواقع التواصل ولا يقرأ له.

وقال أيضًا: إذا أردتَ أن تعلم محلّ الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، **وإنما انظر إلى مُواطَأتهم أعداء الشريعة.**

وهذا المعنى قاله الشيخ **تقي الدين ابن تيمية** (ت: ٧٢٨). الآداب الشرعية ١/ ١٨٢.

ج- ذم الهوى، وفضل من خالفه[1]:

* قال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): **الهوى إله معبود** وقرأ ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]. عيون الأخبار ٧٨/ ١.

* وقال **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨): **يفتح القرآن على الناس حتى يقرأه**

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إن من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادته وكراهته بحسب محبته نفسه وبغضها، لا بحسب محبّة الله ورسوله، وبغض الله ورسوله، وهذا من نوع الهوى، فإن اتّبعه الإنسان فقد اتبع هواه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠] فإن أصل الهوى هو محبة النفس، ويتبع ذلك بغضها. والهوى نفسه -وهو الحب والبغض الذي في النفس- لا يُلام العبد عليه، فإن ذلك لا يملكه، وإنما يُلام على اتِّباعه. كما قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾. الاستقامة / ٤٥٩.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: اتِّبَاع الأهواء في الديانات أعظم من اتِّبَاع الأهواء في الشهوات. الاستقامة / ٤٦٠.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسوبين إلى العلماء والعباد يجعل من أهل الأهواء، كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء؛ وذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدي الله الذي بعث به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولهذا قال تعالى في موضع ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١١٩] وقال في موضع آخر ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾. الاستقامة/ ٤٦٠-٤٦١

والسبب في اتباع أغلب الناس لأهوائهم أمران:

١- لأنّ سلطانه قويّ، لا يقوى على مخالفته إلا بدين أقوى منه، أو عقل راجح.

٢- لأنّ مدخل مكره خفيّ، حيث ينفذ إلى عقل الإنسان من حيث لا يشعر، فيُفسد عليه دينه ودنياه وهو لا يشعر.

المرأة والصبي والرجل، فيقول الرجل: قد قرأت القرآن فلم أُتَّبَع، والله لأقومنّ به فيهم لعلي أُتَّبع، فيقوم به فيهم فلا يُتَّبَع، فيقول: قد قرأت القرآن فلم أُتَّبع، وقد قمت به فيهم، فلم أُتَّبَع..

والله لآتينهم بحديث لا يجدونه في كتاب الله جَلَّوَعَلَا ولم يسمعوه عن رسول الله ﷺ لعلي أُتَّبع.

قال معاذ: فإياكم وما جاء به؛ فإن ما جاء به ضلالة. مسند الدارمي (٢٠٥).

* وقيل **لعمر بن عبد العزيز** (ت: ١٠١): أي الجهاد أفضل؟ فقال: جهادك هواك. الكامل في اللغة / ١٤٩.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه، فإذا أنت لا تثاب على ما اتبعته من الحق، وتعاقب على ما خالفته.[1] مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٤٤.

* **وَكَتَبَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ:**

«**أَمَّا بَعْدُ**: فَاتَّخِذِ الْحَقَّ إِمَامًا، وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يَقْبَلُهُ إِذَا وَافَقَ هَوَاهُ، وَيَدَعُهُ إِذَا خَالَفَ هَوَاهُ؛ فَإِذَا أَنْتَ لَمْ تُؤْجَرْ فِيمَا قَبِلْتَ مِنْهُ، وَلم تَنْجُ مِنَ الْإِثْمِ فِيمَا دَفَعْتَ مِنْهُ إِذَا خَالَفَكَ، وَلْيَكُنْ عِلْمُكَ عِلْمَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، وَدَلَّ فِيهِ عَلَى مَحَابِّهِ وَمَكَارِهِهِ، وَعَرَّفَ النَّاسَ فِيهِ أَمْرَهُ، وَدَعَاهُمْ إِلَى كِتَابِهِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى كَرَامَتِهِ،

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو كما قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأنه في الموضعين إنما قصد اتباع هواه لم يعمل لله.

ألا ترى أن أبا طالب نصر النبي ﷺ، وذب عنه أكثر من غيره؛ لكن فعل ذلك لأجل القرابة، لا لأجل الله تعالى، فلم يتقبل الله ذلك منه، ولم يثبه على ذلك؟!

وأبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أعانه بنفسه وماله لله؛ فقال الله فيه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: ١٧-٢١] نفس المصدر.

وَوَقَاهُمْ بِهِ بَأْسَهُ، وَأَوْجَبَ لَهُمْ بِهِ رِضْوَانَهُ، وَأَنْزَلَهُمْ بِهِ أَفْضَلَ مَنَازِلِ خَلْقِهِ عَزَّوَجَلَّ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي لَمْ يَجْهَلْ مَنْ عَلِمَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ مَنْ جَهِلَهُ، فَآثِرْهُ عَلَى سِوَاهِ، وَانْتَهِ عِنْدَ زَوَاجِرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَحِقُّ عَلَى مَنْ عَلِمَهُ، وَاتَّبِعَ طَاعَةَ اللهِ فِيمَا أَوْصَى بِهِ هُوَ نُورُ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَ وَهَدَى بِهِ أَوْلِيَاءَهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَظٌّ فِيهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَكَانَ فِي ظُلْمَةٍ مَا بَقِيَ فِي دُنْيَاهُ». ذم الكلام وأهله: (٨١٠).

* وقال **الشاعر**:

وكَمْ نعمةٍ آتاكها الله جزلةٍ ... مبرّأةٍ من كلِّ شيءٍ يَذيمها[1]

فسلّطتَ أخلاقًا عليها ذميمةً ... تَعَاوَرْنها[2] حتى تفرَّى أديمها[3]

وكنتَ امْرءًا لو شئتَ أنْ تبلغ المدى ... بلغتَ بأدنى نعمةٍ تستديمها

ولكنْ فطامَ النفسِ أثقلُ محملًا ... من الصخرة الصَّماء حين ترومها

ربيع الأبرار (٢/ ٢١٠).

* وقال **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): أشد الجهاد جهاد الهوى، من منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظًا ومعافى من أذاها. تهذيب الحِلْية ٤٨٤/ ٢.

* وكان يقال: الهوى شريك العمى. عيون الأخبار ٧٨ / ١.

* وكان **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥) يقول: كنت بالعراق أمر على تلك القصور والمراكب والملابس والمطاعم التي للملوك فلا تلتفت نفسي إلى شيء من ذلك، وأمر على التمر فتكاد نفسي تقع عليه.

فذُكر ذلك لبعض العارفين فقال: تلك الشهوات آيَسَ نفسَه منها فأيسَتْ،

---

(١) أي: يعيبها.

(٢) أي: تداولته وتعاطته وتبادلته.

(٣) أي انشق وانقطع الْجلد.

والتمرة أطمعها فيه فطمعت، كما قيل:

صَبَرْتُ على اللَّذَاتِ حتَّى تولَّت وألزمتُ نفسي هَجْرَهَا فاستمرت

ومَا النَّفْسُ إلاَّ حيْثُ يَجْعَلُهَا الفتَى فإنْ طَمِعَتْ تَاقَتْ وإلاَّ تسلَّت

وكَانَتْ على الأيَّامِ نَفْسِي عَزِيْزَةً فلمَّا رأَتْ عَزْمِي عَلَى الذُّلِّ ذلَّت

الجامع المنتخب/ ١٩٧.

* وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أفضلُ الأعمال خِلافُ هوى النَّفس. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٦٥.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أشد فطام الكبير. الكامل في اللغة / ١٨٧.

* وقال **الشاعر**:

أيُّ ماءٍ لحرٍّ وجهك يبقى بين ذلّ الهوى وذلّ السؤال

ديوان أبي تمام (١٦١).

* وعن **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) قال: من جعل شهوته تحت قدمه فزع الشيطان من ظله، ومن غلب حلمه هواه فذاك العالم الغلاب. تهذيب الحِلْية ٤٩/ ٢.

* وكان **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) يقول: شرّ داء خالط قلبًا- يعني الهوى-. الزهد لأحمد: ٤٥١.

* وقال بعضهم:

أتاني هواها قبل أن أعرفَ الهوى فصادفَ قلبًا فارغًا فتمكَّنا

عيون الأخبار ٣/ ١٤.

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن نفسك بمنزلة دابتك، إن عرفت منك الجدّ جدّتْ، وإن عرفت منك الكسل طمعت فيك، وطلبت منك حظوظها وشهواتها. الجامع المنتخب/ ١٩٧.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠): قاتِل هواك أشد مما تقاتل عدوك. تهذيب الحِلْية ١/٥١٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: شيئان إذا عملت بهما أصبت بهما خير الدنيا والآخرة، ولا أطول عليك. قيل: وما هما؟ قال: تحمل ما تكره إذا أحبه الله، وتكره ما تحب إذا كرهه الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ١/٥٢٧.

* وقيل **لبعض السلف**: إن فلانًا يمشي على الماء، فقال: إن من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء. المنتظم ١٣/٣٨٤.

* وقال **أبو بكر ابن الضرير الزاهد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٥١): دافعت الشهوات حتى صارت شهوتي المدافعة فحسب. المنتظم ١٤/١٤٩.

* وقال **الحكماء**: عين الهوى عوراء. ذم الهوى: ٤٢٦.

* وقال **أبو العتاهية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢١٣): لقيتُ **أبا نواس** (ت: ١٩٩) في المسجد الجامع فعذلته، قلت له: أما آن لك أن ترْعَوِي؟! أما آن لك أن تزدجر؟! فرفع رأسه إليّ وهو يقول:

أتراني يا عتاهي ... تاركًا تلكَ الملاهِي
أتراني مفسدًا بالنُّـ ... ـسْكِ عندَ القَوْم جاهي!

قال: فلمّا ألححت عليه في العَذْل أنشأ يقول:

لن ترجِعَ الأنفُسُ عن غَيِّها ... ما لم يكنْ منها لها زاجرُ

فَوَدِدْتُ أنِّي قلتُ هذا البيت بكل شيء قلته! ذم الهوى: ٧٦.

* وكان بعض **الحكماء** يقول: هبْ أنّ المسيءَ قد غُفر له، أليس قد فاته ثواب المُحسِنِين. ذم الهوى: ١٤٩.

* وقال **عطاء السليمي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٦): بلغنا أن الشهوة والهوى يغلبان العلم والعقل والبيان. تهذيب الحِلْية ٢/٣٢٣.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): لن يعمل عبد حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه. تهذيب الحِلْية ٢٧/ ٣.

* وقال **أعرابي**: الهوى هوان ولكن غلط باسمه، فأخذه **الشاعر** وقال:

إنّ الهوان هو الهوى قُلِب اسمه ... فإذا هوَيت فقد لقيت هوانا

وقيل في منثور الحكم: من أطاع هواه أعطى عدوه مناه.

* وقال **الشاعر**:

إذا ما رأيت المرء يعتاده الهوى ... فقد ثكلته عند ذاك ثواكله

وقد أشْمت الأعداء جهلا بنفسه ... وقد وجدتْ فيه مقالا عواذله

وما يردع النفسَ اللجوجَ عن الهوى ... من الناس إلا حازمُ الرأي كاملُه

أدب الدين (٦٠).

* وقال **بعض أهل العلم**: كن لهواك مسوّفا، ولعقلك مسعفا[1]، وانظر إلى ما تسوء عاقبته فوطّن[2] نفسك على مجانبته، فإنّ ترك النّفس وما تهوى داؤها، وترك ما تهوى دواؤها، فاصبر على الدّواء لِمَا تخاف من الدّاء. أدب الدين (٦٢).

* وقال **بعض العلماء**: ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقل، وركب ابن آدم من كليهما؛ فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم.

وقيل **لبعض الحكماء**: من أشجع الناس، وأحراهم بالظفر في مجاهدته؟

قال: من جاهد الهوى طاعة لربه، واحترس في مجاهدته من وُرود خواطر الهوى على قلبه.

---

(١) أي: كن مماطلا إذا دعاك هواك لأمر، ولا تجبه إلى ما يريد، وكن مسرعا إلي إجابة طلب عقلك مستجيبا له.

(٢) أي: هيئها واجعلها مستعدة للبعد عما تكون نتيجته غير مستحبة.

وقال الشاعر:

إذا المرء أعطى نفسه كلما اشتهت ... ولم ينهها تاقت إلى كلّ باطل

وساقت إليه الإثم والعار بالذي ... دعته إليه من حلاوةِ عاجل

أدب الدين (٦٣-٦٤).

* وقال **بكر بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦): الرجل عبد بطنه، عبد شهوته، عبد زوجته، لا بقليل يقنع، ولا من كثير يشبع، يجمع لمن لا يحمده، ويقدم على من لا يقدره. تهذيب الحِلْية ٣/ ١٧.

* وقال **أبو يزيد البسطامي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٠): لا يعرف نفسه من صحبته شهوته. تهذيب الحِلْية ٣/ ٢٤٧.

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه. مسند الدارمي (٤٠٩).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

إذا حار أمرك في معنيين ... ولم تدر فيما الخطا والصواب

فدع ما هويت فإنَّ الهوى ... يقود النفوس إلى ما يُعَاب

ديوان الشافعي (٣٨).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): على العاقل أن يعرف أن الرأي والهوى متعاديان، وأن من شأن الناس تسويف الرأي، وإسعاف الهوى، فيخالف ذلك، ويلتمس أن لا يزال هواه مُسَوَّفًا ورأيه مسعَفًا. الأدب الصغير (٢٠).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا بدَهك[1] أمران لا تدري أيهما أصوب، فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه؛ فإن أكثر الصواب في خلاف الهوى. الأدب الكبير (١١٩).

---

(١) أي: فاجأك.

* وعن **إبراهيم بن داود القصار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٦) أنه قال: أضعف الخلق من ضعف عن رد شهوته، وأقوى الخلق من قوي على ردها. المنتظم ٣٧٤/ ١٣.

هـ- ذم المراء والجدال بوجه عام[1]:

* قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): المراء لا تعقل حكمته ولا تؤمن فتنته. ابن أبي الدنيا ٧/ ٩٤.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): كفى بك إثما أن لا تزال مماريا. مسند الدارمي (٢٦٠).

* وقال **الأوزاعيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧): إذا أراد الله بقوم شرًّا فتح عليهم الجَدَلَ ومنعهم العَمَلَ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٨٣.

* وما أنبلَ قولَ **أبي يوسف القاضي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٢): العلمُ بالخصومة والكلام جهلٌ، والجهلُ بالخصومةِ والكلامِ عِلْمٌ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٨٩.

* وعن **ابن أبي ليلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) قال: لا تمارِ أخاك؛ فإنه لا يأتي بخير، وقال: لا أُماري أخي، إما أن أُغْضبه وإما أَكْذبه. الزهد لهناد (١١٥٧).

* وعن **وهب بن مُنبِّه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤): دعِ المراء والجَدلَ، فإنَّه لن يعجز أحد رجُلين: رجلٌ هو أعلم منك، فكيف تعادي وتُجادل مَن هو أعلمُ منك؟ ورجلٌ أنت أعلمُ منه، فكيف تعادي وتُجادِل من أنت أعلمُ منه ولا يُطيعُك؟. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٥٤.

* وعن **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) أنه كان يقول: إياكم والمراء، فإنها

---

(١) منهج الصحابة والسلف الصالح: عرض الرأي والحجة مُختصرةً، دُون إلزام الطرف الآخر بالإذعان والقبول، وبأسلوبٍ في غاية الأدب في عرض الرأي، والاستماع للطرف الآخر.
هذا إذا كان الْمُخالف من أهل السنة والاجتهاد، أما من عداهم فالأمر يختلف.

ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته.[1] الشريعة: ٦٥.

* وقال **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠): إذا رأيت الرجل لجوجًا مماريًا معجبًا برأيه، فقد تمت خسارته.[2] تهذيب الحِلْية ١٩١/ ٢.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): إذا سمعت المراء فأقصر. ابن أبي الدنيا ٧/ ٩٥.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل. مسند الدارمي (٣١٢).

* وقال بعض السلف: والله ما رأيت من شيء أذهب لدينٍ، ولا أنقص لمروءةٍ، ولا أضيع للذَّةٍ، ولا أشغل لقلبٍ من خصومة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٢٥.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): المؤمن لا يداري ولا يماري، ينشر حكمة الله عَزَّوَجَلَّ، فإن قُبلت حمد الله عَزَّوَجَلَّ وإن رُدت حمد الله عَزَّوَجَلَّ وعلا.[3] الشريعة: ٧٩.

* وقال **سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ** (ت: ١٩٨): مَا رَأَيْتُ فَقِيهًا قَطُّ يُدَارِي وَلَا يُمَارِي،

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاجتهادُ السائغ لا يبلغ مبلْغ الفتنة والفرقة، إلا مع البغي، لا لمجرد الاجتهاد.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران:١٩] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

فلا يكون فتنة وفرقة مع وجود الاجتهاد السائغ، بل مع نوع بغي. الاستقامة: ٥٢.

وقال أيضا: وكل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من الدين -سواء كان قولا أو فعلا-. الاستقامة: ٥٦.

(٢) وكذا قال: القاسم بن مخيمرة. تهذيب الحِلْية ٢٦٩/ ٢.

(٣) قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم -رحمك الله- أَنَّهُ ما كانت زندقة قط، ولا كفر، ولا شرك، ولا بدعة، ولا ضلالة، ولا حيرة في الدين: إلاَّ من الكلام، وأصحاب الكلام، والجدل، والمِراء، والخصومة. شرح السنة / ٨٦.

يَنْشُرُ حِكْمَةَ اللهِ، فَإِنْ قُبِلَتْ حَمِدَ اللهَ، وَإِنْ رُدَّتْ حَمِدَ اللهَ. شعب الإيمان: (١٦٥٦).

* وقَالَ **البربهاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٩): المجالسة للمناظرة تُغلق باب الفائدة. طبقات الحنابلة (٣/ ٧٦).

و- ذم المراء والجدال في الدين:

* عن سليمان بن يسار قال: إن رجلًا من بني تميم يقال له: صُبيغ بن عِسْل، قدم المدينة، وكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فبعث إليه، وقد أعد له عراجين النخل، فلما دخل عليه جلس، فقال له عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صبيغ، فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وأنا عبد الله عمر، ثم أهوى إليه، فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجه، فجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي. الشريعة: ٨١.

* **وسُئِلَ ابْنُ عُمَرَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣) عَنِ اسْتِلَامِ الحَجَرِ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ» قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ زُحِمْتُ، أَرَأَيْتَ إِنْ غُلِبْتُ، قَالَ: «اجْعَلْ أَرَأَيْتَ بِاليَمَنِ[1]، رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ».[2]. صحيح البخاري: (١٦١١).

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يُعمونَ بها عباد الله. الإبانة الكبرى: (٣٠٤).

---

(١) أي: اترك هذا التعذر واتبع السنة.

(٢) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومراد ابن عمر أنه لا يكن لك هم إلا في الاقتداء بالنبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا حاجة إلى فرض العجز عن ذلك أو تعسره قبل وقوعه، فإنه قد يفتر العزم عن التصميم على المتابعة، فإن التفقه في الدين، والسؤال عن العلم إنما يحمد إذا كان للعمل لا للمراء والجدال. جامع العلوم والحكم / ١٢١

* وَقَالَ **جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): «إِيَّاكُمْ وَالْخُصُومَةَ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهَا تَشْغَلُ أو تُفْسِدُ الْقَلْبَ، وَتُورِثُ النِّفَاقَ». الإبانة الكبرى: (٦٣٥).

* وقال **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧): إنّ الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط[١]، فلقد رأيتهم أقلّ الناس علمًا. جامع العلوم والحكم / ١٢٣.

* وانصرف **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) يومًا من المسجد، وهو متكئ على يدي، فلحقه رجل يُتَّهم بالإرجاء، فقال: يا عبد الله، اسمع مني شيئًا، أكلمك به، وأحاجك، وأخبرك برأيي، قال: فإن غلبتني؟ قال: إن غلبتك اتبعني، قال: فإن جاء رجل آخر، فكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه، فقال مالك : يا عبد الله: بَعث الله عَزَّوَجَلَّ محمدًا ﷺ بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين، **قال عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقُّل. الشريعة: ٦٦.

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الجِدال في الدِّين يُنشئ المِراءَ، ويذهبُ بنورِ العلم مِن القلب ويقسِّي، ويُورث الضِّغن. تهذيب السِّير ٢/ ٧٣٥.

* وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَعِيبُ الْجِدَالَ فِي الدِّينِ، وَيَقُولُ: كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلَ مِنْ رَجُلٍ أَرَادَنَا أَنْ نَرُدَّ مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ الإبانة الكبرى: (٥٨٢).

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرجل له علمٌ بالسُّنة يجادل عنها؟.

قال: لا، ولكن يُخبر بالسنة، فإن قُبل منه، وإلا سَكَت.[٢] ترتيب المدارك (١/ ١٦٢).

---

(١) قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي شداد المسائل. وقال عيسى بن يونس: هي ما لا يحتاج إليه من كيف وكيف. جامع العلوم والحكم / ١٢٣.

(٢) مِن الحكمة ألا تُجادل صاحب الباطل، بل اذكر الحق بدليله، فإنْ جادلك فاسْكت؛ لأنّ غرضَه الإثارةُ والثّرثرةُ وتضييعُ الوقت، إلا في حالاتٍ محدودة يقتضيها المقام.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): المِراءُ في الدين يُقَسِّي القلبَ، ويُورِثُ الضغائن. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٤٦.

* وقيل **للحكم بْن عُتَيْبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٣): ما اضطر الناس إلى الأهواء؟ قال: الخصومات. الشريعة: ٦٦.

* وقيل للإمام **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): يا أبا عبدالله، أكون فِي المجلس ليس فيه مَن يعرف السُّنّة غيري، فيتكلم مُبتدع فيه، أردّ عليه؟.

فقال: لا تَنْصِب نفسك لهذا، أخبره بالسنة ولا تُخاصم. طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٦).

ي- التحذير من مجادلة أهل البدع والأهواء[1]:

* قال **أبو قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يُلَبِّسُوا عليكم في الدين بعض ما لُبِّسَ عليهم. الشريعة: ٦٥-٦٦ واللفظ له، مسند الدارمي (٤٠٥).

---

(١) قال أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي (ت: ٥٣٥): قَالَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ: مَا وَجَدْنَا أَحَدًا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي مَاضِي الأَزْمَانِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا رَجَعَ إِلَى قَوْلِ خَصْمِهِ، وَلا انْتَقَلَ عَنْ مَذْهَبِهِ إِلَى مَذْهَبِ مُنَاظِرِهِ، فَدَلَّ أَنَّهُمُ اشْتَغَلُوا بِمَا تَرْكُهُ خَيْرٌ مِنَ الاشْتِغَالِ بِهِ، وَقَدْ ذَمَّ السَّلَفُ الْجِدَالَ فِي الدِّينِ وَرَوَوْا فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ وَهُمْ لَا يَذُمُّونَ مَا هُوَ الصَّوَاب. ا.هـ [الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: ١/ ١١١.

ومُجادلتهم قد تقذف الشبهة على من جادلهم، فتكون سببًا لضلاله وهلاكه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنْ أُشرب القلبُ شُبُهَات الْبَاطِل تَفَجَّرَتْ على لِسَانه الشكوك والشبهات، فيظن الْجَاهِل أنّ ذَلِكَ لسعة علمه، وَإِنَّمَا ذَلِك من عدم علمه ويقينه، وَقَالَ لي شيخ الإسلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -وَقد جعلت أُورد عَلَيْهِ إيرادًا بعد إيرَاد-: لا تجعل قَلْبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها، فَلَا ينضح إلا بهَا، وَلَكِن اجْعَلْهُ كالزجاجة المصمتة، تمر الشُّبُهَات بظاهرها وَلَا تَسْتَقِر فِيهَا، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وَإِلَّا فإذا أَشربت قَلْبك كل شُبْهَة تمر عَلَيْهَا صَار مقرًّا للشبهات، اَوْ كَمَا قَالَ، فَمَا أعْلَم أني انتفعت بِوَصِيَّة فِي دفع الشُّبُهَات كانتفاعي بذلك. مفتاح دار السعادة: ١/ ١٤٠.

* وجاء رجل إلى **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) فقال: يا أبا سعيد، تعال حتى أخاصمك في الدين، فقال الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني، فإن كنت أضللت دينك فالتمسه. الشريعة: ٦٦.

* وعن **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) أنه قال: لستَ براد عليهم أشد من السكوت. الشريعة: ٦٩-٧٠.

* وقال له رجل من أصحاب الأهواء: يا أبا بكر: أسألك عن كلمة، فولَّى وهو يشير بإصبعه: ولا نصف كلمة. مسند الدارمي (٤١٢).

* وَعَنْ مَعْمَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣)، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ **ابْنِ طَاوُوسٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢)، وَعِنْدَهُ ابْنٌ لَهُ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: صَالِحٌ، يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدَرِ، فَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ **ابْنُ طَاوُوسٍ** إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، وَقَالَ لِابْنِهِ: «أَدْخِلْ أَصَابِعَكَ فِي أُذُنَيْكَ وَاشْدُدْ، فَلاَ تَسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ الْقَلْبَ ضَعِيفٌ». مصنف عبد الرزاق: (٢١٠١٦).

* وَدَخَلَ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ عَلَى **مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠)، فَقَالَا: يَا أَبَا بَكْرٍ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَا: فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: «لَا، لِتَقُومَانِ عَنِّي أَوْ لَأَقُومَنَّ»، قَالَ: فَخَرَجَا، فَقَالَ: بَعْضُ الْقَوْمِ، يَا أَبَا بَكْرٍ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ يَقْرَآ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْرَآ عَلَيَّ آيَةً فَيُحَرِّفَانِهَا، فَيَقِرُّ ذَلِكَ فِي قَلْبِي». مسند الدارمي (٤١١).

* وقال **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وماراه[1] رجل في شيء-: إني قد أعلم ما تريد، وأعلم بالمماراة منك، ولكني لا أماريك. الشريعة: ٧٠.

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): التقرب من أهل الباطل هلكة. ترتيب المدارك (١/ ١٨١).

---

(١) أي: جادله.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس الجدال في الدين بشيء.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب العبد.

وقال: إنه يقسي القلب ويورث الضغن.

قال الزهري: رأيت مالكًا وقومًا يتجادلون عنده فقام ونفض رداءه وقال: إنما أنتم حرب. ترتيب المدارك (١/ ١٦١-١٦٢).

* ويقول إذا جاءه بعض أهل الأهواء: أما أنا فعلى بينةٍ من ربي، وأما أنت فشاكّ، فاذهب إلى مثلك فخاصمه، ثم قرأ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨].[1] ترتيب المدارك (١/ ١٦٣).

---

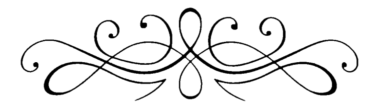
(١) قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن ذكر جملة من الآثار التي تنهى عن مناظرة أهل البدع والأهواء-:
فإن قال قائل: وإن كان رجل قد علمه الله عَزَّوَجَلَّ علمًا، فجاءه رجل يسأله عن مسألة في الدين: ينازعه ويخاصمه، ترى له أن يناظره حتى تثبت عليه الحجة، ويرد على قوله؟
قيل له: هذا الذي نهينا عنه، وهو الذي حذرناه من تقدم من أئمة المسلمين.
فإن قال قائل: فماذا نصنع؟.
قيل له: إن كان الذي يسألك مسألته، مسألة مسترشد إلى طريق الحق لا مناظرة، فأرشده بأرشد ما يكون من البيان بالعلم من الكتاب والسنة، وقول الصحابة، وقول أئمة المسلمين. وإن كان يريد مناظرتك ومجادلتك، فهذا الذي كره لك العلماء، فلا تناظره، واحذره على دينك، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين إن كنت لهم متبعًا.
فإن قال: ندعهم يتكلمون بالباطل، ونسكت عنهم؟
قيل له: سكوتك عنهم وهجرتك لِما تكلموا به أشد عليهم من مناظرتك لهم، كذا قال من تقدم من السلف الصالح من علماء المسلمين..
فإن قال قائل: فإن اضطر في الأمر وقتًا من الأوقات إلى مناظرتهم، وإثبات الحجة عليهم ألا يناظرهم؟
قيل: الاضطرار إنما يكون مع إمام له مذهب سوء، فيمتحن الناس، ويدعوهم إلى مذهبه، كفعل من مضى في وقت أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثلاثة خلفاء امتحنوا الناس، ودعوهم إلى مذهبهم السوء، فلم يجد العلماء بدًّا من الذب عن الدين، وأرادوا بذلك معرفة العامة الحق من الباطل، فناظروهم ضرورة لا اختيارًا، فأثبت الله عَزَّوَجَلَّ الحق مع أحمد بن حنبل، ومن كان على=

ز- من طرائق معاملة أهل البدع:

قال **الإمام أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): حَدَّثَنَا أبو معاوية -يعني الضرير- رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قيل له: يا أبا عبدالله، تُحدِّثُ عَنْ أبي معاوية وهو مُرجئ؟.

قَالَ: لم يكن داعية.[1] طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٢).



=طريقته، وأذل الله العظيم المعتزلة وفضحهم، وعرفت العامة أن الحق ما كان عليه أحمد بن حنبل ومن تابعه إلى يوم القيامة. الشريعة: ٦٩-٧١.

وقال الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويبغضون -أي أهل الحديث- أهلَ البدع، الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم، التي إذا مرّت بالآذان، وقرّت في القلوب ضرّت، وجرّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت، وفيه أنزل الله عَزَّوَجَلَّ قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨]. عقيدة السلف وأصحاب الحديث / ٢٩٨-٢٩٩.

(١) فرّق أهل العلم بين المبتدع الداعي إلى بدعته، وبين الذي لا يدعو إليها، فالأول لا يَروون عنه، بل يُحذِّرون منه؛ خوفًا من تأثر الناس ببدعته التي يدعو إليه، بخلاف الثاني، وهذا مشروط ألا تكون بدعته مكفّرة، كبدعة الرافضة والجهمية وغلاة القدرية.



حال السلف مع ولاة الأمور

أ- طاعتهم، والحث على لزوم الجماعة(١):

* عن أبي قتادة قال: دخلت على **عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) وهو محصور أنا ورجل من قومي، نستأذنه في الحج، فأذن لنا، فلما خرجت استقبلني الحسن بن علي بالباب، فدخل وعليه سلاحه، فرجعت معه فدخل، فوقف بين يدي عثمان، وقال: يا أمير المؤمنين ها أنا ذا بين يديك فمرني بأمرك، فقال له عثمان: يا ابن

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبْرِ عَلَى جَوْرِ الْأَئِمَّةِ، وَنَهَى عَنْ قِتَالِهِمْ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ.

وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لُزُومُ الْجَمَاعَةِ وَتَرْكُ قِتَالِ الْأَئِمَّةِ وَتَرْكُ الْقِتَالِ فِي الْفِتْنَةِ. [مجموع الفتاوى: ٢٨/ ١٢٨].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: مِن الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ: الصَّبْرُ عَلَى ظُلْمِ الْأَئِمَّةِ وَجَوْرِهِمْ، كَمَا هُوَ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَكَمَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُ لَمَّا قَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**»، وَقَالَ: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ**»، إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ.

وَنُهُوا عَنْ قِتَالِهِمْ مَا صَلَّوْا؛ وَذَلِكَ:

١- لِأَنَّ مَعَهُمْ أَصْلَ الدِّينِ الْمَقْصُودِ وَهُوَ تَوْحِيدُ اللهِ وَعِبَادَتُهُ.

٢- وَمَعَهُمْ حَسَنَاتٌ وَتَرْكُ سَيِّئَاتٍ كَثِيرَةٍ.

وَأَمَّا مَا يَقَعُ مِنْ ظُلْمِهِمْ وَجَوْرِهِمْ بِتَأْوِيلٍ سَائِغٍ أَوْ غَيْرِ سَائِغٍ: فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُزَالَ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ ظُلْمٍ وَجَوْرٍ كَمَا هُوَ عَادَةُ أَكْثَرِ النُّفُوسِ تُزِيلُ الشَّرَّ بِمَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، وَتُزِيلُ الْعُدْوَانَ بِمَا هُوَ أَعْدَى مِنْهُ.

فَالْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ يُوجِبُ مِن الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ أَكْثَرَ مِنْ ظُلْمِهِمْ، فَيُصْبَرُ عَلَيْهِ كَمَا يُصْبَرُ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى ظُلْمِ الْمَأْمُورِ وَالْمَنْهِيِّ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان:١٧]. مجموع الفتاوى: ٢٨/ ١٧٩-١٨٠.

أخي وصَلَتْك رحم، إن القوم ما يريدون غيري ووالله لا أتوقى بالمؤمنين، ولكن أوقِّي المؤمنين بنفسي، فلما سمعت ذلك منه قلت له: يا أمير المؤمنين إن كان من أمرك كون فما تأمر؟ قال: انظروا ما أجمعت عليه أمة محمد، فإن الله لا يجمعهم على ضلالة، كونوا مع الجماعة حيث كانت. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣١٥.

* وكتبَ رجل إلى **ابن عُمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) أن اكتُبْ إليَّ بالعلم كله. فكتب إليه: إنَّ العلم كثير، ولكن إن استطعتَ أن تَلْقَى الله خفيفَ الظهر من دماءِ الناسِ، خَمِيصَ البطنِ من أموالهم، كافَّ اللسان عن أعراضهم، لازمًا لأمْرِ جَمَاعتهم فافعل. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٧٠.

* وعن عبد الله بن القاسم قال: جلست إلى **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) فقال: إنه قد نهي عن مجالستي!.

قلت: إني رجل غريب.

قال: إنما أحببت أن أُعلمك. تهذيب الحِلْية ٣٤٨/ ١.

* وقال السجَّان **لابن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): إذا كان اللَّيل فاذهب إلى أهلك، فإذا أصبحت فتعالَ قال: لا واللهِ، لا أكونُ لَكَ عونًا على خيانةِ السُّلطان. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٦٩.

* وقَالَ **أَبُو زرعة الرازي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦٤): الجُمعة والجهاد عندنا مع البر والفاجر ممن يتولى ذلك من الولاة. طبقات الحنابلة (٢/ ٦٠).

* وللشيخ **إبراهيم بن حمد بن جاسر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٣٤) مواقف سياسية ثابتة ربطها بالدين، فإنّ الإمام عبدالعزيز بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ لمَّا استولى على بريدة، ولم يستول على القصر الذي فيه حامية ابن رشيد رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم استمرت المعارك بين الإمام عبدالعزيز والأمير عبدالعزيز بن رشيد على القصيم، بقي محافظا على

بيعته لابن رشيد في القصر، فلما قُتل صاحب البيعة الأولى دخل تحت بيعة الإمام عبدالعزيز بن سعود، فلما نقض أهل بريدة بيعة الإمام عبدالعزيز بن سعود بتدبير من محمد بن عبدالله بن مهنا بقي الشيخ محافظًا على بيعته للإمام عبدالعزيز ابن سعود، ولم يدخل فيما دخلوا فيه من نقض البيعة، مما يدل على أن مواقفه مبنية على قواعد ثابتة، لا على أهواء سياسية ولا أطماع مادية.[1] علماء نجد (١/ ٢٦٤).

ب- مداراتهم، والرفقُ واللينُ في التعامل معهم:

* **قِيلَ لِأُسَامَةَ بن زيدٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٥٩): أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فَتُكَلِّمَهُ؟ فَقَالَ: أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ؟ وَاللهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا[2] أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفْتَحُهُ.[3].

وَمَا أَنَا بِالَّذِي أَقُولُ لِرَجُلٍ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى رَجُلَيْنِ: أَنْتَ خَيْرٌ، بَعْدَ

(١) كم عصفت الأهواء السياسية، والأطماع المادية برجال لهم عقل وعلم، فجعلتهم يدورون حول هذه الأهواء والأطماع أينما دارت، فكثر تقلبهم وتغيرهم، نسأل الله تعالى الثبات.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: أَيْ كَلَّمْته فِيمَا أَشَرْتُمْ إِلَيْهِ، لَكِنْ عَلَى سَبِيل الْمَصْلَحَة وَالْأَدَب فِي السِّرّ، بِغَيْرِ أَنْ يَكُون فِي كَلَامِي مَا يُثِير فِتْنَة أَوْ نَحْوهَا.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: يَعْنِي لَا أُكَلِّمهُ إِلَّا مَعَ مُرَاعَاة الْمَصْلَحَة بِكَلَامٍ لَا يَهِيج بِهِ فِتْنَة. وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّ أُسَامَة كَانَ يَخْشَى عَلَى مَنْ وُلِّيَ وِلَايَة وَلَوْ صَغُرَتْ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْمُر الرَّعِيَّة بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنْكَر، ثُمَّ لَا يَأْمَن مِنْ أَنْ يَقَع مِنْهُ تَقْصِير، فَكَانَ أُسَامَة يَرَى أَنَّهُ لَا يَتَأَمَّر عَلَى أَحَد، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: «لَا أَقُول لِلْأَمِيرِ إِنَّهُ خَيْر النَّاس» أَيْ بَلْ غَايَته أَنْ يَنْجُو كَفَافًا. وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُٱللَّهُ: مُرَاد أُسَامَة أَنَّهُ لَا يَفْتَح بَاب الْمُجَاهَرَة بِالنَّكِيرِ عَلَى الْإِمَام لِمَا يَخْشَى مِنْ عَاقِبَة ذَلِكَ، بَلْ يَتَلَطَّف بِهِ وَيَنْصَحهُ سِرًّا فَذَلِكَ أَجْدَر بِالْقَبُولِ. وَقَوْله «لَا أَقُول لِأَحَدٍ يَكُون عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْر النَّاس» فِيهِ ذَمّ مُدَاهَنَة الْأُمَرَاء فِي الْحَقّ وَإِظْهَار مَا يُبْطِن خِلَافه كَالْمُتَمَلِّقِ بِالْبَاطِلِ، فَأَشَارَ أُسَامَة إِلَى الْمُدَارَاة الْمَحْمُودَة وَالْمُدَاهَنَة الْمَذْمُومَة، وَضَابِط الْمُدَارَاة أَنْ لَا يَكُون فِيهَا قَدْح فِي الدِّين، وَالْمُدَاهَنَة الْمَذْمُومَة أَنْ يَكُون فِيهَا تَزْيِين الْقَبِيح وَتَصْوِيب الْبَاطِل وَنَحْو ذَلِكَ. فتح الباري ١٣/ ٦٥-٦٧.

مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الحِمَارِ بِرَحَاهُ[1]، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ[2] فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ». صحيح البخاري (٣٢٦٧)، صحيح مسلم (٢٩٨٩).

* وعن **ابن عُمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: دخلتُ على حفصةَ فقلتُ: قد كانَ من الناس ما تَرين، ولم يُجعل لي من الأمر شيءٌ، قالت: فالحق بهم فإنهم ينتظرونك، وإني أخشى أن يكون في احتباسك عنهم فُرقةٌ، فلم يَرعه حتى ذهب.

فلما تفرَّق الناس، خطب معاويةُ، فقال: من كان يُريد أن يتكلَّم في هذا الأمر، فليُطلعْ إليَّ قرنه، فنحنُ أحقُّ بذلك منه ومن أبيه[3].

قال حبيبُ بنُ مسلمة: فهلاَّ أجبته فِداكَ أبي وأمي؟ فقال ابنُ عمر: حلَلْتُ حبوتي، فهممتُ أن أقول: أحقُّ بذلك منك من قاتَلكَ وأباكَ على الإسلام فخشيتُ أن أقولَ كلمة تُفرِّق الجمع، ويُسْفَكُ فيها الدَّمُ، فذكرتُ ما أعدَّ الله في الجنان.[4] صحيح البخاري: (٣٨٨٢).

* وأسر **مصعب بن الزبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) رجلًا فأمر بضرب عنقه، فقال: أصلح الله الأمير، ما أقبح بمثلي أن يقوم يوم القيامة فأتعلق بأطرافك الحسنة، وبوجهك الذي يستضاء به، فأقول: يا رب سل مصعبًا فيم قتلني؟ فقال: يا غلام،

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: تَقَدَّمَ فِي رِوَايَة سُفْيَان وَأَبِي مُعَاوِيَة: «فَتَنْدَلِق أَقْتَابه فَيَدُور كَمَا يَدُور الْحِمَار» وَالْأَقْتَاب جَمْع قِتْب بِكَسْرِ الْقَاف هِيَ الْأَمْعَاء، وَانْدِلَاقهَا خُرُوجهَا بِسُرْعَةٍ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ يَجْتَمِعُونَ حَوْلَهُ، يُقَال أَطَافَ بِهِ الْقَوْم إِذَا حَلَّقُوا حَوْلَهُ حَلْقَة وَإِنْ لَمْ يَدُورُوا، وَطَافُوا إِذَا دَارُوا حَوْلَهُ.

(٣) في مصنف عبد الرزاق: يُعرِّضُ بابنِ عُمر.

(٤) فيه أنّ تذكُّر ما أعدّ الله للمؤمن في الجنة يُعينه على التغلّب على الهوى وحظوظ النفس ونزغات الشيطان.

أعف عنه، فقال: أصلح الله الأمير، إن رأيت أن تجعل ما وهبت لي من حياتي في عيشٍ رخي، قال: يا غلام، أعطه مائة ألف، فقال: أيها الأمير، فإني أشهد الله وأشهدك أني قد جعلت لا بن قيس منها خمسين ألفًا، فقال له: ولِمَ؟ قال: لقوله فيك:

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللـ ـه تجلَّتْ عن وجهه الظلماء

المنتظم ١١٥-١١٦/ ٦.

* وعن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: حج أبو جعفر سنة سبع وأربعين ومائة، فقدم المدينة وقال: ابعثْ إلى **جعفر بن محمد** (ت: ١٤٨) من يأتينا به تعِبًا، قتلني الله إن لم أقتله، فتغافل عنه الربيع لينساه، ثم أعاد ذكره للربيع وقال: أرسل إليه من يأتي به متعبًا، فتشاغل عنه، ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة في جعفر، وأمره أن يبعث إليه ففعل. فلما أتاه قال له: يا أبا عبد الله اذكر الله، فإنه قد أرسل إليك التي لا سِوى لها قال جعفر: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم أعلَم أبا جعفر حضورَه، فلما دخل أوعده وقال: أيْ عدوّ الله اتخذك أهل العراق إمامًا يجبون إليك زكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل؟ قتلني الله إن لم أقتلك. فقال: يا أمير المؤمنين إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أُعطي فشكر، وإن أيوب ابتُلي فصبر، وإن يوسف ظُلم فغفر، وأنت من ذلك السِّنْخ[1]، فقال له أبو جعفر: إليّ وعندي، أبا عبد الله، البريء الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله من ذي رحمٍ أفضلَ ما جَزى ذوي الأرحام عن أرحامهم.

ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه، ثم قال: عليَّ بالمِنجفَة، فأُتِيَ بدُهن فيه غالية، فغلفه بيده حتى خِلتُ لحيته قاطرة، ثم قال: في حفظ الله وفي كلاءته. ثم قال: يا ربيع ألحِق أبا عبد الله جائزتَه وكسوتَه، انصرفْ أبا عبد الله في حفظ الله وفي

(١) أي: الأصل.

كنفه، فانصرف ولحقتُه، فقلت له: إني قد رأيت قبل ذلك ما لم تره، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت، فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت؟ قال: قلت: اللهم احْرُسْني بعينك التي لا تنام، واكنُفني بركْنِك الذي لا يُرام، واغفر لي بقُدْرَتك عليّ لا أهلك وأنت رجائي. اللهم إنك أكبر وأجلّ ممن أخاف وأَحذر، اللهم بك أدفع في نحره، وأستعيذ بك من شرّه.[1] صفة الصفوة ٢/ ٤٩٨.

* وعن **إبراهيم بن أبي عبلة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٢) أنه قال: بعث إليّ هشام بن عبد الملك، فقال: يا إبراهيم، إنا قد عرفناك صغيرًا وخبرناك كبيرًا، ورضينا بسيرتك وحالك، وقد رأيت أن أخلطك بنفسي وبخاصتي، وأشركك في عملي، وقد وليتك خراج مصر، فقال: أما الذي عليه رأيك يا أمير المؤمنين فالله يجزيك ويثيبك وكفى به جازيًا ومثيبًا، وأما الذي أنا عليه فمالي بالخراج تصرف، ومالي عليه قوة، فغضب حتى اختلج وجهه، ثم قال: لَيلِيَنَّ طائعًا أو لَيلِينَّ كارهًا، فأمسكت عن الكلام حتى رأيت غضبه قد انكسر وثورته قد طفئت، فقلت: يا أمير المؤمنين، أأتكلم؟ فقال: نعم، فقلت: إن الله سبحانه قال في كتابه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢]، والله يا أمير المؤمنين ما غضب عليهن إذ أَبَيْنَ، ولا أَكْرههن إذْ كَرِهن، وما أنا بحقيق أن تغضب عليّ إذ أبيت ولا تكرهني إذ كرهت، فضحك وقال: يا إبراهيم، أبيت إلا رفقًا فقد أعفيناك ورضينا عنك. المنتظم ٨/١٥٦.

* وقَالَ أَبُو علي بن أَبِي موسى الهاشمي: حَكى لي دُجَي مولى الطائع لله[2] قَالَ: أَمَرَني الطائع أن أُوجِّه إلى **ابْن سمعون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٧) فأُحضره إلى

(١) توكُّلُ المسلم على ربّه، وثقتُه بفرجِه، ودعاؤه ورجاؤه: مِن أعظم أسباب النجاة مِن البلاء، والنّصرِ على الأعداء.

(٢) هو الخليفة العباسي عبدالكريم بن الفضل (ت: ٣٩٣).

دار الخِلافة، ورأيتُ الطائع عَلَى صفةٍ من الغضب، وَكَانَ يُتقَّى فِي تلك الحال؛ لأنه كَانَ ذا حِدَّة، فبَعثتُ إلى ابْن سمعون وأنا مشغول القلب لأجله، فلما حَضَرَ أعلمتُ الطائع حضوره، فجلس مجلِسه، وأذِنَ لَهُ فِي الدخول، فدخل وسلَّم عَلَيْهِ بالخلافة، ثُمَّ أخذَ فِي وعظه، فأول ما بدأ به أن قَالَ: رُوِيَ عن أمير المؤمنين علي بن أَبِي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذَكَر عَنْهُ خبرًا، ولم يزل يجري فِي ميدان الوعظ حتى بكى الطائع لله، وسُمِع شَهيقه، وابتَلَّ منديلٌ بين يديه بدموعه، فأمسَكَ ابْن سمعون حينئذ، وانصرف، وعُدتُ إلى حضرة الطائع فقلت: يا مولاي رأيتك عَلَى صفةٍ مِن شِدَّة الغضب عَلَى ابْن سمعون، ثُمَّ انتقلت إلى تلك الصفة عند حضوره، فما السبب؟ فَقَالَ: رُفع إِلَيَّ عنه أنه ينتقص علي بن أَبِي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأحببتُ أن أتيقَّنَ ذَلِكَ لأقابله عَلَيْهِ إن صح ذَلِكَ عَنْهُ، فلما حضر بين يدي افتتح كلامه بذكر علي بن أَبِي طالب، وأعاد وأبدى فِي ذَلِكَ، وقد كَانَ لَهُ مَندوحَةٌ فِي الرواية عن غيره، وتركِ الابتداء به، فعلمتُ أنه وُفّق لما تَزُول به عَنْهُ الظِّنَّة، وتبرأ ساحته.[1] طبقات الحنابلة (٣/ ٢٨١-٢٨٢).

* وقَالَ شكر العضدي: لما دَخَل عضد الدولة[2] إلى بغداد، وقد هَلَك

(١) هذا هو شأن أهل العلم، يصدَعون بالحق برفقٍ ولين أمام الحكام وغيرهم، وسرعان ما يأتيهم الفرج من كل كيد وشر.

وفي القصة علامة على ذكاء العالم ابن سمعون وحسن تصرفه واختيار ألفاظه.

(٢) قال الذهبي: السلطان عضد الدولة، أبو شجاع، فناخسرو، صاحب العراق وفارس، ابن السلطان ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي، تملَّك بفارس بعد عمِّه عماد الدولة، ثم كثرت بلاده، واتسَعَت ممالكه، وسار إليه المتنبي ومَدَحَه، وأخذ صلاته.

قصد عضد الدولة العراق، والتقى ابن عمه عز الدولة وقتله، وتملَّك، ودانت له الأمم.

وكان بطلا شجاعًا مهيبًا، نحويًا أديبًا عالمًا، جبارًا عسوفًا، شديد الوطأة.

وكان شيعيًا جلدًا، أظهر بالنجف قبرًا زعم أنه قبر الإمام علي، وبنى عليه المشهد، وأقام شعار الرفض، ومأتم عاشوراء، والاعتزال. =

أهلها قتلًا ونهبًا وحرقًا وخوفًا للفتن الَّتِي اتصلت بين السُّنة والشيعة، فَقَالَ: الآفة القصاص، فنادى فِي البلد أن لا يقص أحد فِي جامع ولا طريق، فرُفع إِلَيْهِ أن **أبا الحسين بن سمعون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٨٧) جلس عَلَى كرسيه فِي يوم الجمعة بجامع المنصور وتكلَّم عَلَى الناس، فأمرني بأن أنفذ إِلَيْهِ مَن يحصله عندي ففعلت، فدَخَل عليَّ رجلٌ لَهُ هيبة وعلى وجهِهِ نور، فلم أملك أن قمت إِلَيْهِ وأجلسته إلى جانبي، فلم يُنكر ذَلِكَ، وجلس غير مكترث، وأشفقتُ وَاللهِ أن يجري عَلَيْهِ مكروهٌ عَلَى يدي، فقلت: أيها الشيخ، إنَّ هَذَا الملِكَ جبار عظيم، وما كنتُ أُوثر لك مخالفةَ أمره، والآن فأنا مُوْصِلك إِلَيْهِ، وكما تقعُ عينك عَلَيْهِ فقبِّل التراب وتلطف فِي الجواب إِذَا سألك، واستعن بالله، فعساه أن يخلصك مِنْهُ، فَقَالَ: الخلقُ والأمرُ لله عَزَّ وَجَلَّ، فمضيتُ به إلى حُجرةٍ فِي آخر الدار قد جَلَس الملِك فِيهَا مُنفرِدًا؛ خيفة أن يجري مِن أَبِي الحسين بادرة بكلام فِيهِ غلظ فتسير به الركبان، فلما دنوتُ من باب الحجرة وقَّفْته وقلت لَهُ: إيَّاك أن تَبرحَ مِن مكانك حتى أعود فأُدخِلك، وَإِذَا سلَّمتَ فليكن بخشوعٍ وخضوع، فدخلتُ لأستأذن له، فالتفتُّ فَإِذَا هُوَ واقفٌ إلى جانبي، قد حوَّل وجهه نحو دار بختيار[1]، وقرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ

= تملَّك العراق خمسة أعوام ونِصفًا، وما تَلَقَّى خليفةٌ ملكًا من قدومه قبله.

مات في شوال سنة اثنتين وسبعين وثلاث مائة ببغداد، وعمل في تابوت، ونقل فدفن بمشهد النجف، وعاش ثمانيًا وأربعين سنة، وقام بعده ابنه صمصام الدولة، وقلده الطائع.

قال الذهبي: لقد جرى على الإسلام في المائة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب، وبالدولة البويهية بالمشرق، وبالأعراب القرامطة، فالأمر لله تعالى. [السِّير (١٢/ ٢٨٧- ٢٨٩)

(١) هو الملك أبو منصور بختيار، صاحب العراق، ابن الملك معز الدولة أحمد بن بويه بن فناخسرو الديلمي. تسلطن بعد أبيه، وقد خرج عليه ابن عمه عضد الدولة، وجرت بينهما حروب، التقى هو وعضد الدولة في شوال سنة سبع وستين وثلاث مائة، فقُتل في المصاف. وضاع أمر الإسلام بدولة بني بويه، وبني عبيد الرافضة، وتركوا الجهاد، وهاجت نصارى الروم، وأخذوا المدائن، وقَتَلُوا وسَبُوا. السِّير (١٢/ ٢٧٧).

وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ [هود:١٠٢]، ثُمَّ حوَّلَ وَجهه نحو الملِكِ وقرأ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ [يونس:١٤]، وأخَذَ فِي وَعظه، فأتى بالعَجَب، فدمعت عين الملك، وما رأيتُ ذَلِكَ مِنْهُ قط، وترك كمّه عَلَى وجهه، فتراجع أَبُو الحسين، فخرج ومضى إلى حُجرتي، فَقَالَ الملك: امض إلى بيت المال وخذ ثلاثة آلاف درهم، وإلى خزانة الكسوة وخُذ منها عَشرةَ أثواب، وادفع الجميع إِلَيْهِ، فإن امتنع فقل فرِّقها فِي فُقراء أصحابك، فإن قبِلَها فجِئني برأسه، فاشتد جَزَعي، وخشيتُ أن يكون هَلاكه على يدي، ففعلتُ وجِئتُه بما أَمَر، وقلت لَهُ: قَالَ لك: استعن بهذه الدراهم فِي نفقتك، والبس هَذِهِ الثياب، فأبى، فقلت: فرِّقها فِي أصحابك، فَقَالَ: أصحابه إلى هَذَا أفقر من أصحابي، فعدتُ فأخبرته فَقَالَ: الحمد لله الَّذِي سلمنا مِنْهُ وسلَّمَه منَّا، أو كما قَالَ. طبقات الحنابلة (٣/ ٢٨٣).

* وقال السلطان ملك شاه **لعلي بن الحسن الصندليّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨٤) في جامع نيسابور: لم لا تجيء إليّ؟.

فقال: أردت أن تكون من خير الملوك حيث تزور العلماء، ولا أكون من شرِّ العلماء حيث أزور الملوك.[1] طبقات الحنفية (٢١٧).

* وكانت للمعتضد[2] له حظيَّةٌ[3] يحبها، ولها ابن أخت حجر عليه القاضي

---

(١) جواب لطيف، يدل على عالم حصيف.

(٢) الخليفة، أبو العباس أحمد بن الموفق بالله الهاشمي العباسي، ولد سنة اثنتين وأربعين ومائتين، واستُخلف بعد عمه المعتمد في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين، وكان ملِكًا مهيبًا شجاعًا جبارا، شديد الوطأة، من رجال العالم، يُقْدم على الأسد وحده، وكان أسمر نحيفا معتدل الخلق، كامل العقل.
قال المسعودي: كان قليل الرحمة، إذا غضب على أمير حفر له حفيرة، وألقاه حيا، وطم عليه، وكان ذا سياسة عظيمة، ومات سنة سبع ثمانين ومائتين. [السِّيَر (١٠/ ٤٨٠)].

(٣) المرأة الحظيّة: هي التي تُفضَّل على غيرها في المحبَّة.

إسماعيل بن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠) بعد موت والده، فشكت أُمُّه ذلك إلى أختها، ورغبت سؤال المعتضد، ليأمر القاضي بفكه من الحجر، فلما جاء المعتضد إلى حظيته سألته في ذلك، فكتب رقعة بخطه إلى إسماعيل يأمره بفك الحجر عن الغلام، وختمها ووجَّهها مع وزيره إليه، فعَظُم ذلك على الوزير، وكتمانه عنه[1]، فلما وصل به إسماعيل فكه، وكتب على ظهره وختمه ورده مع الوزير، فكان ما فعله إسماعيل أشد على الوزير، فلما وصل به الخليفة وفتحه ونظر فيه بكى، وكان بعيد الدمعة[2]، ثم رمى به إلى الوزير، وقال: انظر بما كتب إلينا إسماعيل، فإذا هو قد كتب إليه: بسم الله الرحمين الرحيم: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ الآية [ص:٢٦]، وقال: قل لإسماعيل: يعمل ما يرى، فلا أعترض عليه. ترتيب المدارك (٢/ ٢٨٥).

ج- الصدع بالحق وعدم المداهنة في النصح لهم[3]:

* عن محمد بن سيرين قال: كنا عند **عمران بن حصين** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) في حلقته في المسجد، إذ مر بنا الحكم بن عمرو الغفاري وقد عقد له زياد بن أبي سفيان على خراسان، فقيل لعمران: هذا الحكم استعمل على خراسان، فقال: عليّ به. فلما جاء قال: يا حكم، أتذكر حديثًا سمعته أنا وأنت من رسول الله ﷺ قال: وما هو؟ قال: سمعناه يقول: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق قال: نعم، قال: إذا شئت فقم.

---

(١) أي: شق عليه كتمان المعتضد هذه الرسالة عنه على غير العادة.

(٢) أي: قليل البكاء.

(٣) المداراة خُلُقٌ شريفٌ محمود، بخلاف المداهنة، والفرق بينهما: أنَّ المداراة تنازلٌ عن شيء مِن الدنيا لمصلحةِ الدِّين أو الدّنيا.

والمداهنة: تنازلٌ عن شيءٍ مِن الدِّين لمصلحة الدنيا.

قال: فأتى خراسان فأصاب بها غنائم كثيرة، فكتب إليه زياد: أما بعد، فإن أمير المؤمنين كتب إليّ أن أصطفي له البيضاء والصفراء، ولا أعلمن ما قسمت بين الناس ذهبًا ولا فضة. فلما جاءه الكتاب قال للناس: اغدوا على غنائمكم فخذوها، ثم كتب إلى زياد: جاءني كتاب الأمير يذكر أن أمير المؤمنين كتب إليه أن يصطفي بالصفراء فلا يعلمن ما قسمت بين الناس ذهبًا ولا فضة، وإني وجدت كتاب الله قد سبق كتاب أمير المؤمنين، ووالله الذي لا إله إلا هو لو أن السماوات والأرض كانتا رتقًا على عبد اتقى الله لجعل له من ذلك مخرجًا، والسلام. المنتظم ٢٢٩-٢٣٠/ ٥.

* وعن نافع الطاحي قال: مررت **بأبي ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) فقال لي: مِمَّن أنت؟ قلت: من أهل العراق، قال: أتعرف عبد الله بن عمَّار؟ قلت: نعم، قال: فإنه كان يقرأ معي ويلزمني، ثم طلب الإمارة، فإذا قدمت البصرة فتراء له، فإنه سيقول: لك حاجة؟ فقل: أخلني وقل له: أنا رسول أبي ذر إليك، وهو يقرئك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر، ونشرب من الماء، ونعيش كما تعيش، فلما قدمت تراءيت له، فقال: لك حاجة؟ قلت: أخلني أصلحك الله، ففعل، فقلت: أنا رسول أبي ذر إليك - فلما قلتها خشع قلبه - وهو يقرأ عليك السلام ويقول: إنا نأكل من التمر، ونروي من الماء، ونعيش كما تعيش قال: فحلّ إزاره ثم أدخل رأسه في جيبه ثم بكى حتى ملأ جيبه بالبكاء. المنتظم ٣١٣-٣١٤/ ٥.

* وعَادَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ[1] **مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا**[2] **بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ**

(١) أَمير الْبَصْرَة فِي زَمَن مُعَاوِيَة وَوَلَده يَزِيد.

(٢) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ يَكْلَؤُهَا أَوْ يَصُنْهَا.

رَائِحَةَ الجَنَّةِ». صحيح البخاري (٧١٥٠)، صحيح مسلم (١٤٢).

* وكان **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣)، مع يزيد بن المهلب بخراسان غازيًا، فاستأذنه للحج فأذن له، فقال له: نأمر لك؟ قال: تأمر به للجيش كلهم؟ قال: لا، قال: لا حاجة لي به. تهذيب الحِلْية ٤١٥/ ١.

* وعن زيد بن أسلم قال: كنت مع **أبي حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) في الصائفة فأرسل عبد الرحمن بن خالد إلى أبي حازم أن ائتنا حتى نسائلك وتحدثنا، فقال أبو حازم: معاذ الله، أدركت أهل العلم لا يحملون الدين إلى أهل الدنيا، فلن أكون بأول من فعل ذلك، فإن كان لك حاجة فأبلغنا، فتصدى له عبد الرحمن وسأل منه، وقال له: لقد ازددت علينا بهذا كرامة. تهذيب الحِلْية ٥٢٥/ ١.

* وبعث سليمان بن عبد الملك إلى **أبي حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجاءه، فقال له: يا أبا حازم مالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم أخربتم آخرتكُم وعمَرتُم دنياكم، فأنتم تكرهون أن تنتقِلوا من العمران إلى الخراب، قال: صدقت، فكيف القدوم على الله عَزَّوَجَلَّ؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق[1] يقدم على مولاه، فبكى سليمان، وقال: ليت شعري مالنا عند الله يا أبا حازم؟ قال: اعرض نفسك على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فإنك تعلم مالك عند الله، قال: يا أبا حازم وأنّى أصيب ذلك؟ قال: عند قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار:١٣-١٤]، فقال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٦]، قال: ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: أعفني عن هذا، قال سليمان: نصيحةٌ تلقيها، قال أبو حازم: إن أناسًا أخذوا هذا الأمر عنوةً من غير مشاورة من المسلمين ولا اجتماعٍ من رأيهم، فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا، ثم

---

(١) هو العبد الذي هرب من سيده.

ارتحلوا عنها، فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم؟ فقال بعض جلسائه: بئس ما قلتَ يا شيخ، قال أبو حازم: كذبتَ، إن الله تعالى أخذ على العلماء ليبيننّه للناس ولا يكتُمونه، قال سليمان: اصحبْنا يا أبا حازم تُصِبْ منّا ونُصِبْ منك، قال: أعوذ بالله من ذلك، قال: ولم؟ قال: أخاف أن أركَن إليكم شيئًا قليلًا، فيذيقَني ضعْفَ الحياة وضعْفَ الممات، قال: فأَشِر علي، قال: اتّق الله أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدَك حيث أمرك، قال: يا أبا حازم ادعُ لنا بخير، قال: اللهم إن كان سليمان وليّك فَيَسِّرْه للخير، وإن كان عدوَّك فخذ إلى الخير بناصيته، فقال: يا غلام هات مائةَ دينار، ثم قال: خذها يا أبا حازم، فقال: لا حاجة لي فيها، إني أخاف أن يكون لِما سمعتَ من كلامي.[1] صفة الصفوة ٢/ ٤٩.

* ولما أراد الحجاج أن يقتل **فضيل بن بزوان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ألم أستعملك؟ قال: بل استعبدتني، قال: ألم أكرمك؟ قال: بل أهنتني، قال: لأقتلنك، قال: بغير ذنب ولا فساد، قال: لأقتلنك، قال: إذًا أُخاصمك، قال: إذًا أَخْصمك، قال: الْحَكَم يومئذ غيرك، قال: لا تذوق الماء أبدا، قال: إذا أسبقك إليه. الزهد لابن المبارك (٦٢٣).

* وقدم الحجاج على عبد الملك بن مروان رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافدا، ومعه **معاوية بن قرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠)، فسأل عبدُ الملك معاويةَ عن الحجاج، فقال: إن صدقناكم قتلتمونا، وإن كذبناكم خشينا الله، فنظر إليه الحجاج، فقال له عبد الملك: لا تَعْرض له، فنفاه الحجاج إلى السند. الزهد لابن المبارك (١٠٦٥).

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلّقًا على هذه القصة: هَكَذَا يَكُونُ الِاقْتِدَاءُ بِالْكِتَابِ وَالْأَنْبِيَاءِ، انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْإِمَامِ الْفَاضِلِ، وَالْحَبْرِ الْعَالِمِ، كَيْفَ لَمْ يَأْخُذْ عَلَى عَمَلِهِ عِوَضًا، وَلَا عَلَى وَصِيَّتِهِ بَدَلًا، بَلْ بَيَّنَ الْحَقَّ وَصَدَعَ، وَلَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ خَوْفٌ وَلَا فَزَعٌ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ﴾ [المائدة:٥٤]. تفسير القرطبي ٢/ ١٨

* ووقع الذباب على المنصور فذَبَّه عنه، فعاد فذَبَّه حتى أضجره، فدخل **جعفر بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨)، فقال له المنصور: يا أبا عبد الله لِمَ خلق الله عَزَّوَجَلَّ الذباب؟ قال: ليُذِلّ به الجبابرة. صفة الصفوة ٢/ ٤٩٨.

* ودخل **عطاءُ بن أبي رباح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) على عبد الملك بن مروان[١]، وهو جالس على السرير، وحولَه الأشرافُ، وذلك بمكة في وقت حجِّه في خلافته، فلمَّا بَصُر به عبدُ الملك، قام إليه فسلَّم عليه، وأجلسه معه على السرير، وقعَدَ بين يديه، وقال: يا أبا محمد: حاجَتَك؟ قال: يا أميرَ المؤمنين! اتَّقِ الله في أولادِ المهاجرين والأنصارِ، فإنك بهم جلستَ هذا المجلس، واتَّق الله في أهل الثغور، فإنهم حِصنُ المسلمين، وتفقد أمورَ المسلمين، فإنَّك وحدك المسؤولُ عنهم، واتَّقِ الله فيمن على بابك، فلا تَغْفُل عنهم، ولا تُغْلِقْ دونهم بابَك، فقال له: أفعل، ثم نهض وقام، فقبضَ عليه عبدُ الملك وقال: يا أبا محمد! إنما سألتنا حوائجَ غيرك، وقد قضيناها، فما حاجَتُك؟ قال: مالي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج، فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرفُ، هذا وأبيك السُّؤدُدُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٨٣.

* وجاء ابنٌ لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب **طاووس** (ت: ١٠٦) فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه، قال: أردتُ أن يعلم أن لله عبادًا يزهدون فيما في يديه. تهذيب الحِلْية ٣٣/ ٢.

* وعن **ابن طاووس** قال: كنت لا أزال أقول لأبي: إنه ينبغي أن تخرج على هذا السلطان وأن تقعد به، قال: فخرجنا حجاجًا فنزلنا في بعض القرى، وفيها عامل لمحمد بن يوسف أو أيوب بن يحيى، يقال له ابن نجيح، وكان من أخبث عمالهم، فشهدنا صلاة الصبح في المسجد، فإذا ابن نجيح قد أخبر **بطاووس**،

---

(١) وفي المنتظم ١٦٨/ ٧: أنه دخل على هشام بن عبدالملك.

فجاء فقعد بين يديه، فسلم عليه فلم يجبه، فكلمه فأعرض عنه، ثم عدل إلى الشق الأيسر فأعرض عنه، فلما رأيت ما به قمت إليه فمددت بيده وجعلت أسأله، وقلت له: إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك، قال: بلى، معرفته بي فعل بي ما رأيت، قال: فمضى وهو ساكت لا يقول لي شيئا، فلما دخلت المنزل التفت إليّ فقال لي: يا لكع بينما أنت زعمت أن تخرج عليهم بسيفك لم تستطع أن تحبس عنهم لسانك. تهذيب الحِلْية ٣٣/ ٢.

* واستيقظ عبد الملك بن مروان لما قدم المدينة من قائلته فقال لحاجبه: انظر في المسجد أحدا من حُدَّاثي؟ فخرج فلم ير إلا **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأشار إليه بإصبعه، فلم يتحرك سعيد، فأتاه الحاجب، فقال: ألم ترني أشير إليك؟ قال: وما حاجتك؟ قال: استيقظ أمير المؤمنين من قائلته، فقال: انظر هل ترى في المسجد أحدا من حُدَّاثي؟ فقال سعيد بن المسيب: فإني لست من حداثه.

فرجع الحاجب فقال ما وجدت في المسجد إلا شيخا فأشرت إليه، فلم يقم، ثم قلت له: إن أمير المؤمنين قال: انظر هل ترى في المسجد أحدا من حداثي؟ قال: فإني لست من حداث أمير المؤمنين، فقال أمير المؤمنين عبد الملك: ذاك سعيد بن المسيب دعه. الزهد لأبي داود (٣٤٨).

* وعن **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧) قال: بعث عبد الله بن علي إليَّ فاشَتدَّ ذلك علَيَّ وقدمتُ، فدخلت، والناس سماطان[1] فقال: ما تقولُ في مخرجِنا وما نحنُ فيه؟ قلت: أصلح الله الأمير! قد كان بيني وبين داود بن عليٍّ[2] مودَّة، قال: لَتُخْبِرَنِّي، فتفكرتُ ثم قلتُ: لأَصْدقَنَّه، واستبسلتُ[3] للموت، ثم رويتُ لهُ عن

---

(١) قال في الحاشية: سماطان: صفان.

(٢) هو أخو عبد الله.

(٣) قال في الحاشية: يقال: أبسل نفسه للموت، واستبسل: إذا وَطَّن نفسه عليه واستيقنه.

يحيى بن سعيد حديث (الأعمال)[1]، وبيده قضيب ينكُتُ به، ثم قال: يا عبد الرحمن: ما تقول في قتل أهل هذا البيت؟ قلت: حدثني محمد بن مروان، عن مطرِّف بن الشِّخير، عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «لا يَحِلُّ قَتْلُ المُسلِمِ إلا في ثلاثٍ...» وساقَ الحديثَ.

فقال: أخبرني عن الخلافةِ، وصيَّةٌ لنا من رسول الله ﷺ؟ فقلتُ: لو كانت وصيَّةً من رسول الله ﷺ ما ترك عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحدًا يتقدَّمُه، قال: فما تقولُ في أموالِ بني أميَّة؟ قلتُ: إن كانت لهم حلالًا فهي عليك حرام، وإن كانت عليهم حرامًا فهي عليك أَحْرَمُ، فَأَمَرَني، فأخرجتُ.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قد كان عبدُ الله بن عليٍّ ملكًا جبَّارًا، سفَّاكًا للدماء، صعبَ المراسِ، ومع هذا فالإمامُ الأوزاعي يَصْدَعهُ بمُرِّ الحق كما ترى، لا كخَلْقٍ من عُلماء السُّوء، الذين يُحَسِّنُونَ للأُمراء ما يقتحمونَ به من الظُّلم والعَسْف، ويقلِبُون لهم الباطل حقًّا -قاتلهم الله- أو يسكتون مع القُدْرِة على بيان الحقِّ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٨٣.

* ولما قدم أبو عون مصر، وقتل بها من قتل، واستولى على البلد، أرسل إلى **حيوة بن شريح** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠): ائتني، فجاء فدخل عليه فقال: إنَّا معشر الملوك لا نُعصى، فمن عصانا قتلناه، قد وليتك القضاء، قال: أو آمر أهلي؟ قال: اذهبَ، فجاء إلى أهله، فغسل رأسه ولحيته ونال شيئًا من الطيب، ولبس أنظف ما قدر عليه من الثياب، ثم جاء فدخل عليه فقال: من جعل السحرة أولى بما قالوا منا؟ اقض ما أنت قاض، لست أتولى لك شيئًا!.

فأذن له فرجع. المنتظم ٨/١٦٩.

---

(١) إنما الأعمال بالنيَّات.

* وعن عيسى بن يونس قال: ما رأينا في زماننا مثل **الأعمش** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٨)، ولا الطبقة الذين كانوا قبلنا، ما رأينا الأغنياء والسلاطين في مجلس قط أحقر منهم في مجلس الأعمش وهو محتاج إلى درهم!! تهذيب الحِلْية ٢/١٣٨.

* وقيل للإمام **مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): إنك تدخلُ على السلطان، وهم يظلمون، ويجورون، فقال: يرحمك الله، فأين المكلِّم بالحق. تهذيب السِّيَر ٢/٧٣٦.

* وكان رَحِمَهُ اللَّهُ إذا دخل على الوالي **وَعَظَه وحثَّه على مصالح المسلمين**، ولقد دخل يومًا على هارون الرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ فحثه على مصالح المسلمين، قال له: لقد بلغني أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان في فضله وقِدَمه ينفخ لهم عام الرمادة النار تحت القُدور، حتى يخرج الدخان من لحيته، وقد رضي الناس منكم بدون هذا.

وكان يحلف بالله: ما دخلتُ على أحدٍ منهم -يعني السلاطين- إلا أذهبَ الله هيبته من قلبي، **حتى أقول له الحق**. ترتيب المدارك (١/ ٢٠٧).

* وقَالَ أحمد بن سعيد الرباطي: قدمت **على أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) فجعل لا يرفع رأسه إلي، فقلت: يا أبا عبدالله إنه يُكْتَب عني بخراسان، وإن عاملتني بهذه المعاملة رموا بحديثي، فقال لي: يا أحمد هل بدٌّ يوم القيامة من أن يقال: أين عبدالله بن طاهر وأتباعه؟ انظر أين تكون أنت منه.[1].

قَالَ: قلت: يا أبا عبدالله إنما ولاَّني أمر الرباط، لذلك دخلت فيه.

قَالَ: فجعل يكرر علي: يا أحمد، هل بدٌّ يوم القيامة من أين يقال: أين عبدالله ابن طاهر وأتباعه؟ فانظر أين تكون أنت منه. طبقات الحنابلة (١/ ١٠٢).

---

(١) حذره من تبعات الولاية التي تولاها؛ نصحًا له.

* وقال **الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ: إنْ عُرضتُ على السيف لا أجيب[1]، وقال: إذا أجاب العالم تقيّة، والجاهل بجهل، فمتى يتبين الحق؟! الآداب الشرعية ١/ ١٢٨.

* وقال ابن الحداد: كنت يومًا عند **سحنون**[2] رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤٠)، إذ جاءه رسول الأمير محمد بن الأغلب[3]، يأمره بردّ النسوة على حاتم الجزري فإنهن له[4]، قال سحنون: إنْ كنّ إماء فمثل حاتم لا يؤتمن على الفروج، فانصرف، ثم رجع فقال: يقول لك: لا تعبث، اردِدهن كما أمرتك.

فقام سحنون على قدميه وقال: إنما يعْبث هو والله الذي لا إله إلا هو، ثلاثًا، والله لا أفعل حتى يفرق بين رأسي وجسدي.

وجاء محمد ابنه وقال له: لا تفعل يا أبت، اكتب إليه ولاطفه، فكتب إليه وابنه يقول: دون ذا، حتى فرغ من طبع كتابه، وبعث إليه.

فأخذه ابن الأغلب وضرب به الأرض، ثم قال: ما أدري هو علينا أنْ نحنّ عليه، واسودّ وجهه ولم يدخل عليه أحدٌ إلى بعد العصر.

---

(١) أي لا أجيبهم بجوابٍ -وهو مخالف لدين الله- يريده الوالي أو الأمير، إرضاءً لهم، أو خوفًا منهم.

(٢) هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، من أهل إفريقية وأقصى المغرب، كان ثقة حافظًا للعلم، اجتمعت فيه خلال قلّما اجتمعت في غيره: الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والسماحة، وكان لا يقبل من السلاطين شيئًا، ولي قضاء إفريقية سنة أربع وثلاثين ومائتين، وسنُّه إذ ذاك أربع وسبعون سنة، فلم يزل قاضيًا إلى أن مات.

(٣) هو محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب التميمي القيرواني، الأمير أبو العباس، متولي القيروان وسائر المغرب، ولي سنة ست وعشرين ومائتين بعد والده، ودانت له إفريقية، توفي كهلا في غرة المحرم سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

(٤) وكان سحنون مر به حاتم ومعه سبي من سبي تونس، فقال سحنون لأصحابه: قوموا فأتوا بهم، حتى خلّوصهنّ من حاتم.

فأذِنَ لأصحابه بالدخول، وقال لهم: ما أظن هذا الرجل يريد بنا إلا خيرًا ونحن لا نعلم[1]، أرسِلوا إليه، يرسل إلينا المحتسبة، لنكتب لهم السجلات، حتى يذهبوا بها إلى أقصى عملي؛ ليأخذوا من يجدوه من الحرائر، فكان ذلك.

ولم يرض سحنون حتى فضَّ الكتب التي كتبها لهم، وقرأها، ورضيها.

وكتب سحنون إلى أبي زكي البربري: أن يفتش الرفاق، فاعترضها، وكشف البراقع، فمن زعم أنه من سبي تونس رفعه إلى سحنون فأطلق منهم عدة.

وقيل لسحنون: هذا منصور دخل من تونس بالحرائر، فركب وانتزع منه ما بيده، فدخل منصور على ابن الأغلب وقد شق ثوبه، وذكر إليه ما نزل به، فأرسل ابن الأغلب إلى سحنون، أن تصرفهم على منصور، مرة وثانية وثالثة، فقال: لا أفعل.

فدعا فتى قال له: اذهب إلى سحنون فقل له: فاردد السبي على منصور وإلا فأتني برأسه، فجاء الفتى إلى سحنون يبكي ويتضرع ويقول له: أُمرت فيك بعظيم، فأخذ سحنون ورقًا فكتب فيه بعد الاسم: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ الآية [غافر:٤١]، ودفع الكتاب للفتى، ثم قال: ادفعه لابن الأغلب.

فاحتجب ثلاثًا، ثم قال لمنصور: سلني عما شئت من حوائجك، واعرض عن خبر سحنون.

وكان ابن الأغلب يقول في قضيته مع سحنون: إنَّ سحنونًا لم يركب لنا دابة، ولا أثقل كُمَّه بصُرَّة، فهو لا يخافنا.[2] ترتيب المدارك (٢/ ٩١-٩٣).

---

(١) هذا هو العقل والصواب.

(٢) نستفيد من هذا القصة أنّ القضاة والعلماء ينبغي لهم ألا تأخذهم في الحق لومة لائم، وأنّ الحاكم الموفق لا يعترض عليهم فيما يحكمون ويقضون بالحق؛ وبهذا يسود العدل، ويدوم الحكم.

* وقال **سحنون بن سعيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أقبح بالعالم أن يُؤْتى إلى مجلسه فلا يوجد فيه، فيُسأل عنه، فيقال: هو عند الأمير، هو عند الوزير، هو عند القاضي، فإن هذا وشبهه شرٌّ من علماء بني إسرائيل، وبلغني أنهم يحدثونهم من الرخص ما يحبون[1]، مما ليس عليه العمل، ويتركون ما عليه العمل وفيه النجاة لهم؛ كراهة أن يستثقلوهم.

ولعمري لو فعلوا ذلك لنجوا، ووجب أجرهم على الله، فوالله لقد ابتُليت بهذا القضاء وبهم، ووالله ما أكلت لهم لقمة، ولا شربت لهم شربة، ولا لبست لهم ثوبًا، ولا ركبت لهم دابة، وما أخذت لهم صلة، وإني لأدخل عليهم فأكلمهم بالتشديد وما عليه العمل وفيه النجاة، ثم أخرج عنهم، فأحاسب نفسي، فأجد عليّ الدرك مع ما ألقاهم به في الشدة والغلظة، وكثرة مخالفتي هواهم، ووعظي لهم، فوددت أنْ أنجو مما دخلت فيه كفافًا. ترتيب المدارك (٢/ ١٠١).

* وعن علي بن الجعد أنه قال: لما أحضر المأمون أصحاب الجوهر، فناظرهم على متاع كان معهم، ثم نهض المأمون لبعض حاجته، ثم خرج فقام له كل مَنْ كان في المجلس إلا **ابن الجعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٠)، فإنه لم يقم، فنظر إليه المأمون كهيئة المغضب، ثم استخلاه، فقال له: يا شيخ، ما منعك أن تقوم لي كما قام أصحابك؟ قال: أجللت أمير المؤمنين للحديث الذي نأثره عن النبي ﷺ، قال: وما هو؟ قال علي بن الجعد: سمعت المبارك بن فضالة يقول: سمعت الحسن يقول: قال النبي ﷺ: «**مَنْ أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**».

---

(١) أي: أن علماء بني إسرائيل يُحدّثون ملوكهم بما يُحبون ويهوون ويميلون إليه من الرُّخَص التي يستعينون بها على ارتكاب المحرمات، ولا يُناصحونهم ويعظونهم.

قال: فأطرق المأمون مفكرًا في الحديث، ثم رفع رأسه، فقال: لا يُشترى إلا من هذا الشيخ، قال: فاشترى منه ذلك اليوم بقيمة ثلاثين ألف دينار. المنتظم ١٦٠-١٦١/ ١١.

* وعن أبي عثمان الرازي قال: جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى **إبراهيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥) بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد، يسأله عن أمر أمير المؤمنين تفرقة ذلك، فرده فانصرف الرسول، ثم عاد فقال له: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك: فقال: عافاك الله، هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه، فلا نشغلها بتفرقته، قل لأمير المؤمنين: إن تركتنا وإلا تحولنا من جوارك. المنتظم ٣٨٣/ ١٢.

* وعن نمير المدني أنه قال: قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة، و**محمد بن عمران الطلحي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٤) على قضائه وأنا كاتبه، فاستعدى الحمالون على أمير المؤمنين في شيء ذكروه، فأمرني أن أكتب إليه كتابًا بالحضور معهم وإنصافهم، فقلت: أعفني من هذا فإنه يعرف خطي، فقال: اكتب، فكتبت ثم ختمه، وقال: لا يمضي به والله غيرك، فمضيت به إلى الربيع وجعلت أعتذر إليه، فقال: لا تفعل، فدخل عليه بالكتاب ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم: إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: إني قد دعيت إلى مجلس الحكم فلا أعلمن أحدًا قام إليّ إذا خرجت أو بدأني بالسلام.

قال: ثم خرج المسيب بين يديه والربيع وأنا خلفه في إزار ورداء، فسلم على الناس، فما قام إليه أحد، ثم مضى حتى بدأ بالقبر فسلم على الرسول ﷺ، ثم التفت إلى الربيع، فقال: يا ربيع، ويحك أخشى إن رآني محمد بن عمران أن

يدخل قلبه هيبة فيتحول عن مجلسه، وتالله لئن فعل لا وَلِي لي ولاية أبدًا.

قال: فلما رآه ـ وكان متكئًا ـ أطلق رداءه على عاتقه ثم احتبى به ودعا بالخصوم وبالحمالين، ثم دعا بأمير المؤمنين، ثم ادَّعوا وحكم عليه لهم، فلما دخل الدار قال للربيع: اذهب فإذا قام وخرج من عنده من الخصوم فادعه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما دعا بك حتى تفرغ من أمر الناس جميعًا، فدعاه، فلما دخل عليه سلم، فقال: جزاك الله عن دينك وعن بنيك وعن حسبك وعن حليفتك أحسن الجزاء، قال: قد أمرت لك بعشرة آلاف دينار فاقبضها، فكانت عامة أموال محمد بن عمران الطلحي من تلك الصلة. المنتظم ١٨١-١٨٢/ ٨.

* وقال **ابن أبي ذئب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) للمنصور ذات يوم: يا أمير المؤمنين، قد هلك الناس، فلو أعنتهم بما في يديك من الفيء؟ قال: ويلك لولا ما سددت من الثغور وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في منزلك وتذبح، فقال ابن أبي ذئب: فقد سدَّ الثغور وَجيَّش الجيوش، وفتح الفتوح، وأعطى الناس أعطياتهم مَنْ هو خير منك! قال: ومن هو ويلك؟ قال: عمر بن الخطاب، فنكس المنصور رأسه، والسيف بيد المسيب، والعمود بيد مالك بن الهيثم، ولم يعرض له، والْتفت إلى محمد بن إبراهيم الإمام، قال: هذا الشيخ خير أهل الحجاز. المنتظم ٢٣٢-٢٣٣/ ٨.

* ولَمَّا وصل أبو طاهر إسماعيل[(١)] إلى سوسة، وجَّه جوهرًا فتاه إلى **أبي علي الحسن بن نصر السّوسي** (ت: ٣١٤)[(٢)] بالليل، ليأتيه به، فجاءه وهو في

(١) هو أبو طاهر إسماعيل، بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي صاحب المغرب، وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوما.
وقد عهد بالأمر إلى المعز الفاطمي الذي بعث مولاه جوهر القائد فبنى له القاهرة المتاخمة لمصر، واتخذ له فيها دار الملك. [البداية والنهاية (١١/ ٢٥٦).

(٢) كان شيخًا صالحًا، فاضلًا، ثقة ورعًا، زاهدًا فقيهًا، عدلًا في أحكامه، صادقًا في الحق، لا يهاب سلطانًا، مشهورًا بالعلم، كثير الاجتهاد في العبادة، وقيام الليل، وصيام النهار، وتلاوة كتاب الله تعالى، كثير الخشوع، والتواضع.

ورده، فخرج ابنه إليه، ورجع إلى الشيخ وأعلمه بمكان جوهر، فلم يلتفت إليه، حتى قضى ورده، وقد اعتذر ابنه إليه، فقال: لا أبرح حتى أراه، وجوهر في هذا كله واقف على الباب، وقد فَرَق[1] مِن ذلك كلُّ مَن بالجهة، فلما ألحّ[2] انتهرَ ابنَه، وقال له: أكون بين يدي الله وتقول جوهر بالباب؟.

وقام يخرج إليه، فجاءه ابنه بقميصه ومنديله، وكان عليه فرو مغلوف، وقال له: الْبس هذا، يراهم عليك، فقال له: ما أقلّ حياءك، أكون بين يدي الله في هذه الحال، وأتهيب لجوهر؟.

فخرج إلى جوهر، واعتذر له باعتذار[3]، حتى قال له جوهر: أنا أجتمع بمولاي وأعتذر له عنك، فمضى، فرجع إليه في الحين، وأخبره بقبوله عذرَه، ومشقةِ عدم اجتماعه به عليه، وأنه يُقْرئه السلام ويسأله الدعاء، فقال له: قل له: أصلحك الله للمسلمين، وأصلح جميع قُضاتك.

وجاء جوهر بمال كثير من عند إسماعيل ليفرقه على الفقراء، فلم يقبله ورجع به جوهر. ترتيب المدارك (٣/ ٣١٦).

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن مناقبه -أي: **فرج بن فضالة التنوخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٠)- أنَّ المنصور دخل يومًا إلى قصر الذهب، فقام الناس إلا فرج بن فضالة، فقال له وقد غضب عليه: لِمَ لَم تقم، قال: خفت أن يسألني الله عن ذلك، ويسألك لِمَ رضيت بذلك، وقد كره رسول الله ﷺ القيام للناس، قال: فبكى المنصور، وقربه، وقضى حوائجه. البداية والنهاية ١٠/ ٢٤٠.

* وكان **أبو الوفاء ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣): شَهمًا مِقدامًا، **يُواجه الأكابر**

---

(١) أي: خاف، وذلك لأن جوهرًا ظالم شديد البطش والإجرام.

(٢) في الأصل: أحلّ، ولعل المثبت هو الصواب.

(٣) أي: عن القدوم إلى أمير الشيعة إسماعيل.

بالإنكار بلفظه وخطِّه.. وكتبَ مرة إلى الوزير عميد الدولة ابن جَهِير لما بنى سور بغداد(١)، وأظهر العوام في الاشتغال ببنائه المنكرات: لولا اعتقاد صحة البعث، وأن لنا دارًا أكون فيها على حالٍ أحمدها، لما نصبت نفسي إلى مالك عصري، وعلى الله أعتمد في جميع ما أُورده، بعد أن أُشهده: أني محبٌّ متعصبٌ(٢)، لكن إذا تقابل دين محمد ودولة بني جهير، فوالله ما أزن هذه بهذه، ولو كنت كذلك كنتُ كافرًا..

ترى بأي وَجهٍ تلقى محمدًا ﷺ؟ بل لو رأيته في المنام مقطبًا كان ذلك يزعجك في يقظتك؟..

يا شرف الدين: اتقِ سَخط الله تعالى؛ فإن سخطه لا تُقاومه سماء ولا أرض، وإن فسَدَت حالي بما قلتُ فلَعَلَّ اللهَ يلطف بي، ويكفيني هوائج الطباع، ثم لا تلُمنا على ملازمة البيوت، والاختفاء عن العوام؛ لأنهم إن سألونا لم نقل إلا ما يقتضي الإعظام لهذه القبائح، والإنكار لها، والنياحة على الشريعة..

فاتَّقِ الله تقوى مَن عَلِم بمقدار سخطه، فقد قَالَ: (فَلَمَّا آسَفُونا انتقَمْنَا مِنْهُم)، وقد ملأَتْكم في عيونكم مدائح الشعراء، ومداجاة المتمولين بدولتكم، الأغنياء الأغبياء، الذين خسروا الله فيكم، فحسَّنوا لكم طرائقكم.

والعاقل مَن عَرَفَ نفسه، ولم يغرّه مدحُ مَن لا يَخْبُرُها. ذيل الطبقات (١/ ٣٢٤)، المنتظم ١٦-١٧/ ١٧.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أبو عبد الله البالسي يومَ قازان في جملة من كان مع الشيخ **تقي الدين ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) لَمَّا تكلم مع قازان، فحكى عن

---

(١) وذلك أنه اختطّ سورًا على الحريم، وأذن للعوام في العمل والتفرج فأظهروا منكرات كثيرة، وسخافاتِ عقولٍ ضعيفة وعملوا أشياء منكرة.

(٢) أي: مُحبٌّ وموالٍ له، ولست أكرهه، وإنما نصيحتي له شفقة به وحبًّا له.

كلام شيخ الإسلام تقي الدين لقازان، وشجاعته، وجرأته عليه، وأنه قال لترجمانه: قل لقازان: أنت تزعم أنك مسلم، ومعك مؤذنون، وقاضي، وإمام، وشيخ على ما بلغنا، فغزوتنا، ودخلت بلادنا على ماذا؟ وأبوك وجدك هولاكو كانا كافرين، وما غزوا بلاد الإسلام بل عاهدوا قومنا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفَّيت، قال: وجرت له مع قازان وقُطْلوشاه وبولاي أمورٌ ونُوَب، قام ابن تيمية فيها كلها لله، وقال الحق ولم يخش إلا الله عَزَّوَجَلَّ، قال: وقُرِّب إلى الجماعة طعام، فأكلوا منه إلا ابن تيمية، فقيل له: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم، وكلُّه مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس، قال: ثم إن قازان طلب منه الدعاء، فقال في دعائه: اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا، وليكون الدين كله لك فانصره، وأيده وملِّكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياء، وسمعة، وطلبًا للدنيا، ولتكون كلمته هي العليا، وليذل الإسلام، وأهله فاخذْله، وزلزله، ودمِّره، واقطع دابره، قال: وقازان يؤمِّن على دعائه، ويرفع يديه، قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفًا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله، قال: فلمَّا خرجنا من عنده قال له قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى وغيره: كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك، والله لا نصحبك. فقال: وأنا والله لا أصحبكم، قال: فانطلقنا عصبة وتأخَّر هو في خاصة نفسه، ومعه جماعة من أصحابه فتسامعت به الخواتين والأمراء من أصحاب قازان، فأتوه يتبركون بدعائه، وهو سائر إلى دمشق، وينظرون إليه، قال: والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه، وكنت أنا من جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبَو أن يصحبوه، فخرج عليهم جماعة من التتر فشلحوهم عن آخرهم. هذا الكلام أو نحوه. وقد سمعت هذا الحكاية من جماعة غيره. البداية والنهاية ١٤/ ١٦٦.

* وقال أبو الفرج بنُ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقام جوهر -القائد لأبي تميم صاحب مصرَ- **أبا بكر النَّابُلسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٦٥)، وكان ينزل الأكواخ فقال له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرةُ أسهم، وجب أن يَرميَ في الرُّوم سَهمًا، وفينا تسعة، قال: ما قلتُ هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرةُ أسهم، وجب أن يرميكم بتسعة وأن يرميَ العاشر فيكم أيضًا، فإنكم غيرتم الملَّة، وقَتَلْتُم الصَّالحين وادَّعيتُم نورَ الإلهية، فشهرهُ ثم ضربه، ثم أمر يهوديًا فَسَلَخَه وحُشِيَ تِبنًا، وصُلب.

قال معمر بنُ أحمد الصُّوفي: أخبرني الثقة، أن أبا بكر سُلخ من مفرق رأسه حتَّى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر فرحمه السلاَّخ، فوكزه بالسِّكين موضع قلبه فقضى عليه، وأخبرني الثقةُ أنه كان إمامًا في الحديث والفقه، صائمَ الدَّهرِ، كبيرَ الصولةِ عند العامَّة والخاصَّة، ولما سُلخ كان يُسمع من جسده قراءةُ القرآن.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يوصف ما قلبَ هؤلاء العُبَيْدِيَّةُ الدِّينَ ظهرًا لبطن واستوَلَوا على المغرب، ثمَّ على مصرَ والشام، وسَبُّوا الصحابة.

حكى ابنُ السّعساع المصريّ، أنه رأى في النوم أبا بكر بن النابلسي بعدما صلب وهو في أحسن هيئة، فقال: ما فعل الله بك؟ فقال:

حباني مالِكي بدَوامِ عزٍّ ... وَوَاعَدَني بقُربِ الانتصارِ

وقرَّبَني وأدناني إليه ... وقال: انْعَمْ بعيشٍ في جِواري

تهذيب السِّيَر ٣/ ١٢٧٦.

* ووَعَظَ **أبو سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٠٦)(١) نظامَ الملك الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرةً بجامع

---

(١) المعمر بن علي بن المعمر بن أبي عمامة البقال البغدادي، الفقيه الواعظ، ريحانة البغداديين، وُلد سنة تسع وعشرين وأربعمائة. وسمع من ابن غيلان، وأبي محمد الخلال والجوهري، وأبي القاسم الأزجي، وغيرهم. [ذيل الطبقات].

المهدي، فقال: أنت يا صدر الإسلام، وإن كنت وزير الدولة، فأنت أجير الأمة، استأجرك جلال الدولة بالأجرة الوافرة لتنوب عنه في الدنيا والآخرة، **فأما في الدنيا**: ففي مصالح المسلمين، **وأما في الآخرة**: فلِتُجيب عنه رب العالمين، فإنه سيقفه بين يديه، فيقول له: ملَّكتك البلاد، وقلَّدتك أزمّة العباد، فما صنعتَ في إفاضة البذل، وإقامة العدل؟.

فلعله يقول: يا رب اخترتُ من دولتي شجاعًا عاقلًا، حازمًا فاضلًا، وسميته قَوام الدين ونِظامَ الملك، وها هو قائم في جملة الولاة، وبسطتُ بيده في الشُّرط والسيف والقلم، ومكَّنتُه في الدينار والدرهم، فاسأله يا رب: ماذا صَنعَ في عبادك وبلادك؟.

أفتُحسِن أن تقول في الجواب: نعم تقلَّدتُ أمور البلاد، وملكتُ أزمة العباد، وبثثتُ النوال، وأعطيتُ الإفضال، حتى إذا قربتُ من لقائك، ودنوتُ من تلقائك؛ اتخذتُ الأبواب والبوَّاب، والحِجَاب والحُجَّاب؛ ليصدوا عني القاصد، ويردوا عني الوافد؟.

فاعمُر قبرك كما عَمَرتَ قَصرك، وانتهِز الفُرصة ما دام الدَّهر يَقبل أمرك، فلا تعتذر، فما ثَمَّ مَن يَقبل عُذرك.

وهذا ملك الهند، وهو عابد صنم ذَهَبَ سَمعُه، فدخل عليه أهل مملكته يُعَزُّونه في سمعه، فقال: ما حَسرتي لذَهابِ هذه الجارحة مِن بدني، ولكن تأسُّفي لصوتِ المظلوم لا أسمعُه فأُغيثه، ثم قال: إن كان قد ذَهَب سمعي فما ذهب بَصَري، فليؤمر كلّ ذي ظلامة أن يلبس الأحمر، حتى إذا رأيته عرفتُه فأنصفته.

وهذا أنوشروان قال له رسول ملك الروم: لقد أقدرتَ عدوك عليك بتسهيل الوصول إليك، فقال: إنما أجلسُ هذا المجلس لأكشفَ ظلامة وأقضي حاجة.

وأنتَ يا صَدر الإسلام، أحقُّ بهذه المأثرة، وأولى بهذه وأحرى مَن أعدَّ جوابًا لتلك المسألة، فإنه الله الذي ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم:٩٠] ، في موقفٍ ما فيه إلا خاشع، أو خاضع؛ لِيَنخَلِعُ فيه القلب، ويحكم فيه الرَّب، ويعظُم فيه الكَرب، ويشيب فيه الصغير، ويُعزَل فيه الملك والوزير، يوم ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر:٢٣]، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠].

وقد استجلبتُ لك الدُّعاء، وخلَّدتُ لك الثناء، مع براءتي من التُّهمة، فليس لي -بحمد الله تعالى- في أرضِ الله ضَيعة ولا قَرية، ولا بيني وبين أحدٍ خصومة، ولا بي -بحمد الله تعالى- فقرٌ ولا فاقة.

فلما سمِع نظام الملك هذه الموعظة بكى بُكاءً شديدًا، وأمر له بمائة دينار، فأبى أن يأخذها، وقال: أنا في ضِيافة أمير المؤمنين، ومَن يكن في ضيافة أمير المؤمنين يَقبُح عليه أن يأخذ عطاءَ غيره، فقال له: فضها على الفقراء، فقال: الفقراء على بابك أكثر منهم على بابي، ولم يأخذ شيئًا. ذيل الطبقات (١/ ٢٤٩-٢٥٢).

* وأنكر **أَبُو الفتح بن عبدوس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٩) مرةً على مُظفّر الدين صاحب أربل لما كانت له حَران، وأراقَ له خَمرًا، فأحضره، وقال: أتعرفني؟.

قَالَ: نعم، بالظَّلم والفِسق!.

فهَمَّ بضربه، فأُشير عليه: أن لا يَفعل؛ لأجلِ العامَّة ومَيلهم إليه. ذيل الطبقات (٢/ ٥٥٣).

* وطلع سلطان العلماء **عز الدين بن عبد السلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦٠) يوم العيد إلى القلعة والعساكر مصطفين بين يدي السلطان والأمراء تقبّل الأرض له، فنادى في ذلك الموكب العظيم: يا أيوب، ما حجّتك عند الله إذا قال لك: ألم أُولِّك ملك

مصر ثم تبيح الخمور؟ فقال السلطان: هل جرى هذا؟ فقال: نعم، الحانة الفلانيّة يباع فيها الخمر وغيره من المنكرات، وأنت تتقلّب في نعمة هذه المملكة، وذلك بأعلى صوته، والعساكر واقفون، فقال: يا سيدي، هذا شيء لم أعمله، وهو من زمان أبي فقال: أنت من الذين يقولون يوم القيامة إذا سئلوا ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف:٢٣]؟ فرسم السلطان بإبطال ما يعمل في تلك الحانة.

فلما انصرف الشيخ من المجلس قال له تلميذه الباجيّ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: يا سيّدي كيف تجرأت على السلطان وفاجأته بهذا الجواب؟ فقال: يا بنيّ رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه، لئلا تكبر نفسه.

فقال له: يا سيدي أما خفت منه؟ قال: والله با بنيّ استحضرت هيبة الله تعالى في قلبي، فصار السلطان قدّامي كالقطّ. طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣١٧).

* وقال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: ذكر لي الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ بْنُ الْقَلَانِسِيِّ أَنَّ السُّلْطَانَ محمد بن قلاوون لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ **الشَّيْخُ تَقِيُّ الدين بن تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) نَهَضَ قَائِمًا لِلشَّيْخِ أَوَّلَ مَا رَآهُ، وَمَشَى لَهُ إِلَى طَرَفِ الْإِيوَانِ وَاعْتَنَقَا هُنَاكَ هنيهة، ثم أخذ معه ساعة إلى طبقة فِيهَا شُبَّاكٌ إِلَى بُسْتَانٍ فَجَلَسَا سَاعَةً يَتَحَدَّثَانِ، ثُمَّ جَاءَ وَيَدُ الشَّيْخِ فِي يَدِ السُّلْطَانِ، فَجَلَسَ السُّلْطَانُ وَعَنْ يَمِينِهِ ابْنُ جَمَاعَةَ قَاضِي مصر، وعن يساره ابن الخليلي والوزير، وَتَحْتَهُ ابْنُ صَصْرَى، ثُمَّ صَدْرُ الدِّين عَلِيٌّ الْحَنَفِيُّ، وَجَلَسَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ عَلَى طَرَفِ طُرَّاحَتِهِ، وَتَكَلَّمَ الْوَزِيرُ فِي إِعَادَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ إِلَى لُبْسِ الْعَمَائِمِ الْبِيضِ بِالْعَلَائِمِ، وَأَنَّهُمْ قَدِ الْتَزَمُوا لِلدِّيوَانِ بِسَبْعِ مِائَةِ ألف في كل سنة، زيادة على الحالية، فَسَكَتَ النَّاسُ

وَكَانَ فِيهِمْ قُضَاةُ مِصْرَ وَالشَّامِ وكبار الْعُلَمَاءِ مَنْ أَهْلِ مِصْرَ وَالشَّامِ مِنْ جُمْلَتِهِمُ ابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ.

قَالَ ابْنُ الْقَلَانِسِيِّ: وَأَنَا فِي مَجْلِسِ السُّلْطَانِ إِلَى جَنْبِ ابْنِ الزَّمْلَكَانِيِّ، فَلَمْ يَتكَلَّمْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَلَا مِنَ الْقُضَاةِ، فَقَالَ لَهُمُ السُّلْطَانُ: مَا تَقُولُونَ؟ يَسْتَفْتِيهِمْ فِي ذلك، فَلَمْ يتكلم أحد، فجثا الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَتكَلَّمَ مَعَ السلطان في ذلك بِكَلَامٍ غَلِيظٍ، وَرَدَّ عَلَى الْوَزِيرِ مَا قَالَهُ رَدًّا عَنِيفًا، وَجَعَلَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ وَالسُّلْطَانُ يَتَلَافَاهُ ويسكته بترفق وتؤدة وتوقير.

وبالغ الشَّيْخُ فِي الْكَلَامِ، وَقَالَ مَا لَا يَسْتَطِيعُ أحد أن يقوم بمثله، ولا بقريب مِنْهُ، وَبَالَغَ فِي التَّشْنِيعِ عَلَى مَنْ يُوَافِقُ في ذَلِكَ.

وَقَالَ لِلسُّلْطَانِ: حَاشَاكَ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ مَجْلِسٍ جَلَسْتَهُ فِي أُبَّهَةِ الْمُلْكِ تَنْصُرُ فِيهِ أَهْلَ الذِّمَّةِ لِأَجْلِ حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، فَاذْكُرْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكَ إِذْ رَدَّ مُلْكَكَ إِلَيْكَ، وَكَبَتَ عَدُوَّكَ وَنَصَرَكَ عَلَى أَعْدَائِكِ، فَذَكَرَ أَنَّ الْجَاشْنكِيرَ هُوَ الَّذِي جَدَّدَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَالَّذِي فَعَلَهُ الْجَاشْنكِيرُ كَانَ مِنْ مَرَاسِيمِكَ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ نَائِبًا لَكَ، فَأَعْجَبَ السُّلْطَانَ ذَلِكَ وَاسْتَمَرَّ بِهِمْ عَلَى ذَلِكَ. البداية والنهاية (١٤/ ٦٠).

* وفي إحدى زيارات الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود الدرعية في آخر حياة الشيخ **عبدالعزيز بن علي بن موسى النجدي** (ت: ١٣٤٤) أخذ الملك عبدالعزيز يتكلم في أناس إلى أن قال: (الله يعاملنا وإياهم بعدل)، فنبّهه الشيخ أن يقول بدل: (عدل) (بفضله وعفو)، فشكره الملك عبدالعزيز على ذلك. علماء نجد (٣/ ٤٠٠).

د- توجيهات ونصائح السلف لمن أراد الدخول معهم:

* عن **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: إياكم ومواقف الفتن، قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير، فيصدّقه بالكذب ويقول ما ليس فيه. صفة الصفوة ١/ ٢٩٢.

* وقال **مسلم بن عمرو** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦٠): ينبغي لمن خدم السلطان ألا يغترَّ بهم إذا رَضُوا عنه ولا يتغيرَ لهم إذا سخطوا عليه ولا يستثقلَ ما حمَّلوه ولا يلحف في مسألتهم. عيون الأخبار ٦٢/ ١.

* وقَالَ: **الأَوْزَاعِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧): مَنْ حَضَرَ سُلْطَانًا، فَأَمَرَ بِأَمْرٍ لَيْس بِحَقٍّ، وَلا يَتَخَوَّفُ فِيهِ الْفَوْتَ، فَلا يُكَلِّمْهُ فِيهِ عِنْدَ تِلْكَ الْحَالِ، وَلْيَخْلُ بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يَأْمُرُ بِأَمْرٍ يَخَافُ فِيهِ الْفَوْتَ فَلابُدَّ لَكَ مِنْ كَلامِهِ، أَصَابَكَ مِنْهُ مَا أَصَابَكَ. أخبار الشيوخ (٣٠).

هـ- مواقف بعض العلماء تجاه السلاطين:

* عن **سعيد بن المسيِّب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) قال: لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظَّلمة إلا بإنكار من قلوبكم، لكَيلا تحبَطَ أعمالُكم. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٥.

* وعن آدم بن إياس قال: شهدت **حماد بن سلمة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٧) ودعوه -يعني السلطان- فقال: أَحْمِل لحيةً حمراء لهؤلاء؟! لا والله لا فعلت. تهذيب الحِلْية ٣٣٦/ ٢.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): إذا لم يكن لله في العبد حاجة، نبذه إليهم -يعني السلطان -. تهذيب الحِلْية ٣٧١/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: لو خيرت بين ذهاب بصري وبين أن أملأ بصري منهم لاخترت ذهاب بصري!!. تهذيب الحِلْية ٣٧١/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النظر إلى وجه الظالم خطيئة، ولا تنظروا إلى الأئمة المضلين إلا بإنكار من قلوبكم عليهم، لئلا تحبط أعمالكم. تهذيب الحِلْية ٣٨٨/ ٢.

* وعن يحيى بن سليم الطائفي قال: بعث محمد بن إبراهيم الهاشمي إلى **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمائتي دينار فأبى أن يقبلها، فقلت: يا أبا عبد الله كأنك لا تراها حلالًا؟ قال: بلى، ما كان آبائي وأجدادي إلا في العطية، ولكن أكره أن أذل لهم. تهذيب الحِلْية ٣٨٩/ ٢.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو دخلت عليهم؟ قال: إني أخشى أن يسألني الله عن مقامي ما قلت فيه، قيل له: تقول وتتحفظ، قال: تأمروني أن أسبح في البحر ولا تبتل ثيابي؟[1] تهذيب الحِلْية ٣٩٠/ ٢.

* وقيل **لداود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠): أرأيت رجلًا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، قال: أخاف عليه السوط، قال: إنه يقوى، قال: أخاف عليه السيف، قال: إنه يقوى، قال: أخاف عليه الداء الدفين: العُجب.[2] الحِلْية ٧/ ٣٥٨.

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): إن ابتليت بصحبة والٍ لا يريد صلاح رعيته، فاعلم أنك قد خُيّرت بين خَلتين[3]، ليس منهما خيار:

إما الميل مع الوالي على الرعية، وهذا هلاك الدين.

وإما الميل مع الرعية على الوالي، وهذا هلاك الدنيا.

---

(١) مَن خالط الملوك والأمراء ليترفَّع بهم، ويتكسَّب منهم، ويُداهنهم ويُجاملهم: فهو مذموم خاسر، وأما من صدع بالحق عندهم، وناصحهم وذكَّرهم بالله فهو على خيرٍ عظيم.

(٢) وداء العُجب داء خفيّ قلّ من يسلم منه إلا من عصم الله.

(٣) أي: خصلتين.

ولا حيلة لك إلا بالموت أو الهرب. الأدب الكبير (٧٨).

و- الصبر على ظلمهم، وعدم الخروج عليهم، وذم من فعل ذلك[١]:

* ذُكر **لابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن؟ فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يؤمنون بمحكمه، ويضلون عند متشابهه، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون: آمنا به. الشريعة: ٣٥.

* وذُكر له الخوارج واجتهادهم وصلاحهم فقال: ليسوا هم بأشد اجتهادًا من اليهود والنصارى، وهم على ضلالة. الشريعة: ٣٥.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) في خطبته: يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله عَزَّ وَجَلَّ الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة. الشريعة: ١٩.

* وقال **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) حين أتته بيعة يزيد: إن كان خيرًا رضينا، وإن كان بلاء صبرنا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٦٠.

* وعَنْ نَافِعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَمَّا خَلَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ، جَمَعَ **ابْنُ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَشَمَهُ[٢] وَوَلَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمَلِك الظَّالِم: لَا بُدَّ أَنْ يَدْفَعَ اللهُ بِهِ مِن الشَّرِّ أَكْثَرَ مِن ظُلْمِهِ.
وَقَد قِيلَ: سِتُّونَ سَنَةً بِإِمَام ظَالِم: خَيْرٌ مِن لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ بِلَا إِمَام.
وَإِذَا قُدِّرَ كَثْرَةُ ظُلْمِهِ: فَذَاكَ ضَرَرٌ فِي الدِّينِ، كَالْمَصَائِبِ تَكُونُ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِم وَيُثَابُونَ عَلَيْهَا، وَيَرْجِعُونَ فِيهَا إِلَى اللهِ، ويستغفرونه وَيَتُوبُونَ إِلَيْهِ، وَكَذَلِك مَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِم مِن الْعَدُوِّ.
وَلِهَذَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقِتَالِ مَن يُقَاتِلُ عَلَى الدِّينِ الْفَاسِدِ مِن أَهْلِ الْبِدَعِ، كَالْخَوَارِجِ، وَأَمَرَ بِالصَّبْرِ عَلَى جَوْرِ الْأَئِمَّةِ، وَنَهَى عَن قِتَالِهِمْ وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ، وَلِهَذَا قَد يُمَكِّنُ اللهُ كَثِيرًا مِن الْمُلُوكِ الظَّالِمِينَ مُدَّةً. مجموع الفتاوى: (١٤/ ٢٦٨-٢٦٩).
قلت: فمهما نقم الناس على وليّ أمرهم المسلم: فلن يكون حالهم إذا خرجوا عليه بالقوة أحسن وأفضل من حالهم تحت حكمه.

(٢) أي: خَدَمه وَمَنْ يَغْضَب لَهُ.

لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللهِ وَرَسُولِهِ[١]، وَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ غَدْرًا أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُبَايَعَ رَجُلٌ عَلَى بَيْعِ اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُنْصَبُ لَهُ القِتَالُ، وَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْكُمْ خَلَعَهُ، وَلاَ بَايَعَ فِي هَذَا الأَمْرِ، إِلَّا كَانَتِ الفَيْصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ.[٢] صحيح البخاري (٧١١١).

* وجَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطِيعٍ[٣] حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ[٤]، فَقَالَ: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».[٥] صحيح مسلم (١٨٥١).

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٣) قال: ما اختلفت أمةٌ بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها. تهذيب الحِلْية ٢/١١٢.

* وقيل **للحسن البصري** رَحِمَهُ اللهُ: (ت: ١١٠) يا أبا سعيد، خرج خارجي

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: أَيْ عَلَى شَرْط مَا أَمَرَ الله وَرَسُوله بِهِ مِنْ بَيْعَة الْإِمَام، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ بَايَعَ أَمِيرًا فَقَدْ أَعْطَاهُ الطَّاعَة وَأَخَذَ مِنْهُ الْعَطِيَّة فَكَانَ شَبِيه مَنْ بَاعَ سِلْعَة وَأَخَذَ ثَمَنهَا.

(٢) أَيْ الْقَاطِعَة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: فِي هَذَا الْحَدِيث وُجُوب طَاعَة الْإِمَام الَّذِي اِنْعَقَدَتْ لَهُ الْبَيْعَة وَالْمَنْع مِنْ الْخُرُوج عَلَيْهِ وَلَوْ جَارَ فِي حُكْمه وَأَنَّهُ لَا يَنْخَلِع بِالْفِسْقِ. فتح الباري ١٣/ ٨٨-٩٠ .

(٣) الذي خلع يزيد بن معاوية، وحرّض أهل المدينة النبوية على ذلك.

(٤) حيث أرسل يزيد سنة ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ مُسْلِم بْن عُقْبَةَ، الَّذِي يَقُولُ فِيهِ السَّلف مسرف بن عقبة إلى المدينة، فأَبَاحَها ثلاثة أَيَّام، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَشْرَافِهَا وَقُرَّائِهَا وَانْتَهَبَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً مِنْهَا، وَوَقَعَ شَرٌّ عَظِيمٌ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ عَلَى مَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ. [البداية والنهاية: ٨/ ٢٤١.

(٥) قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: تحديثُ ابن عمر لابن مطيع بالحديث الذي سمعه من رسول الله ﷺ إنَّما كان ليبيِّن له أنه لم ينكث بيعةَ يزيد، ولم يخلعها من عنقه؛ مخافة هذا الوعيد الذي تضمَّنه هذا الحديث. المفهم ٤/ ٦١.

بالخريبة -محلة عند البصرة- فقال: المسكين رأى منكرًا فأنكره، فوقع فيما هو أنكر منه.[1] الشريعة: ٣٥.

* وقال الواقدي: لما سُوِّد **الإمام مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) وسُمِع

---

(١) قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم، لأنهم قوم يتأوّلون القرآن على ما يهوون، ويموِّهون على المسلمين. وقد حذرنا الله عَزَّوَجَلَّ منهم، وحذرنا النبي ﷺ، وحذرَناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان رحمة الله تعالى عليهم.

والخوارج هم الشُّراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج، يتوارثون هذا المذهب قديمًا وحديثًا، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين. الشريعة: ٢٩.

قال الآجري: فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام، عدلًا كان الإمام أم جائرًا، فخرج وجمع جماعة وسل سيفه، واستحل قتال المسلمين، فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه في العلم إذا كان مذهبه مذهب الخوارج. الشريعة: ٣٥.

وقال الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويرى أصحاب الحديث الجمعة، والعيدين، وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم، برًّا كان أو فاجرًا. ويرون جهاد الكفرة معهم، وإن كانوا جورة فجرة.

ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح.

ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف. عقيدة السلف وأصحاب الحديث / ٢٩٤.

وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمِنْ السنة لُزُومُ الجَمَاعَةِ، فَمَنْ رَغِبَ عَن الجَمَاعَة وفارقَهَا: فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام مِنْ عُنُقَه، وكانَ ضالًا مُضِلًا. شرح السنة / ٥٩.

وقال: ومَنْ خرجَ على إمامٍ من أئِمّةِ المسلمين: فهو خارجي، وقد شَقّ عصا المسلمينَ، وخالفَ الآثارَ، وميتته مِيتةً جاهلية. شرح السنة / ٧٠.

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: والأئمة لا يقاتَلون بمجرد الفسق، وإن كان الواحد المقدور قد يقتل لبعض أنواع الفسق: كالزنا وغيره، فليس كلما جاز فيه القتل جاز أن يقاتل الأئمة لفعلهم إياه، إذ فساد القتال أعظم من فساد كبيرة يرتكبها ولي الأمر. مجموع الفتاوى ٢٢/ ٦١.

منه، وقُبِل قوله، حسده الناس وبغوا عليه، فلما ولي جعفر بن سليمان على المدينة سعوا به إليه وأكثروا عليه عنده، وقالوا: لا يرى أيمان بيعتكم هذه شيئًا، ويأخذ بحديث يرويه ثابت الأحنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طلاق الْمُكره أنه لا يجوز.

فغضب جعفر ودعا به فاحتج عليه فيما رفع إليه، ثم جرَّده ومدَّه، فضربه بالسياط، ومُدَّت يده حتى انخلعت كتفه.

وقال الحنيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بقي مالك بعد الضرب مطابق اليدين لا يستطيع أن يرفعهما، وارتُكب منه أمرٌ عظيم، فوالله ما زال مالكٌ بعد ذلك الضرب في رفعة في الناس وعلوٍّ وإعظام، حتى كأنما كانت تلك الأسواطُ حليًّا حُلِّيَ بها.

قال أبو الوليد الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولما حج المنصور قاد مالكًا من جعفر بن سليمان وأرسله إليه ليقتص منه، فقال: أعوذ بالله، والله ما ارتفع منها سوطٌ عن جسمي إلا وأنا أجعله في حلٍّ من ذلك الوقت لقرابته من رسول الله ﷺ. ترتيب المدارك (١/ ٢٢٩-٢٣٠).

* ولما أُخرج الإمام **أحمد بن حنبل** (ت: ٢٤١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى المعتصم يوم ضُرب قَالَ له العون الموكل به: ادع عَلَى ظالمك، قَالَ: ليس بصابرٍ مَن دَعا عَلَى ظالم. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٤١).

* ووَشَى رَجُلٌ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ المتوكّل شَيْئًا فَقَالَ: إِنَّ رَجُلًا من العلويين قد أوى إِلَى مَنْزِلِ **أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَهُوَ يُبَايِعُ لَهُ النَّاسَ فِي الْبَاطِنِ.

فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ نَائِبَ بغداد أن يكبس منزل أحمد من الليل، فلم يشعروا إِلَّا وَالْمَشَاعِلُ قَدْ أَحَاطَتْ بِالدَّارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى مِنْ فَوْقِ الْأَسْطِحَةِ، فَوَجَدُوا الْإِمَامَ أَحْمَدَ جَالِسًا فِي دَارِهِ مَعَ عِيَالِهِ، فَسَأَلُوهُ عَمَّا ذُكِرَ عَنْهُ فَقَالَ: لَيْسَ عِنْدِي مِنْ هذا علم، وليس من هذا شيء، وَلَا هَذَا مِنْ نِيَّتِي، وَإِنِّي لِأَرَى طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَفِي عُسْرِي وَيُسْرِي، وَمَنْشَطِي وَمَكْرَهِي، وَأَثَرَةٍ عليَّ، وَإِنِّي لَأَدْعُو الله بِالتَّسْدِيدِ وَالتَّوْفِيقِ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ.[(١)].

فَفَتَّشُوا مَنْزِلَهُ حَتَّى مَكَانَ الْكُتُبِ وَبُيُوتَ النِّسَاءِ وَالْأَسْطِحَةَ وَغَيْرَهَا فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا.

فَلَمَّا بَلَغَ الْمُتَوَكِّلَ ذَلِكَ وَعَلِمَ بَرَاءَتَهُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ كَثِيرًا. البداية والنهاية: ١١/ ٥٠.

* وقال لِابْنِ الْكَلْبِيِّ صَاحِبِ الْخَلِيفَةِ: مَا أَعْرِفُ نَفْسِي مُذْ كُنْتُ حَدَثًا إِلَى سَاعَتِي هَذِهِ إِلَّا أَدَّى الصَّلَاةَ خَلْفَهُمْ، وَأَعْتَدُّ إِمَامَتَهُ، وَلَا أَرَى الْخُرُوجَ. السنة للخلال: ٨٦.

* وقال أَبو الْحَارِثِ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ فِي أَمْرٍ كَانَ حَدَثَ بِبَغْدَادَ، وَهَمَّ قَوْمٌ بِالْخُرُوجِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا تَقُولُ فِي الْخُرُوجِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟.

فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ، الدِّمَاءَ، الدِّمَاءَ، لَا أَرَى ذَلِكَ، وَلَا آمُرُ بِهِ، الصَّبْرُ عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْفِتْنَةِ يُسْفَكُ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَيُسْتَبَاحُ فِيهَا الْأَمْوَالُ، وَيُنْتَهَكُ فِيهَا الْمَحَارِمُ، أَمَا عَلِمْتَ مَا كَانَ النَّاسُ فِيهِ، يَعْنِي أَيَّامَ الْفِتْنَةِ.

قُلْتُ: وَالنَّاسُ الْيَوْمَ، أَلَيْسَ هُمْ فِي فِتْنَةٍ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟.

قَالَ: وَإِنْ كَانَ، فَإِنَّمَا هِيَ فِتْنَةٌ خَاصَّةٌ، فَإِذَا وَقَعَ السَّيْفُ عَمَّتِ الْفِتْنَةُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، الصَّبْرَ عَلَى هَذَا، وَيَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ خَيْرٌ لَكَ، وَرَأَيْتُهُ يُنْكِرُ الْخُرُوجَ عَلَى الْأَئِمَّةِ.

وَقَالَ: الدِّمَاءَ، لَا أَرَى ذَلِكَ، وَلَا آمُرُ بِهِ. السنة للخلال: ٨٩.

* وقال حَنْبَل فِي وِلَايَةِ الْوَاثِقِ: اجْتَمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَجَاءُوا

---

(١) هذا وقد ناله الكثير من الأذى في أيام حكم أخيه الواثق وأبيه المعتصم، ومع ذلك لم يخرج عليهم، وكان يرى السمع والطاعة لهم في غير معصية الله.

إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، هَذَا الْأَمْرُ قَدْ تَفَاقَمَ وَفَشَا، يَعْنُونَ إِظْهَارَهُ لِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ: «فَمَا تُرِيدُونَ؟.

قَالُوا: أَنْ نُشَاوِرَكَ فِي أَنَّا لَسْنَا نَرْضَى بِإِمْرَتِهِ، وَلَا سُلْطَانِهِ!.

فَنَاظَرَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ سَاعَةً، وَقَالَ لَهُمْ: عَلَيْكُمْ بِالنَّكِرَةِ بِقُلُوبِكُمْ، وَلَا تَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، وَلَا تَشُقُّوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَسْفِكُوا دِمَاءَكُمْ وَدِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ مَعَكُمْ، انْظُرُوا فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكُمْ، وَاصْبِرُوا حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، أَوْ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ. السنة للخلال: ٩٠.

ز- الدعاء لهم، والبعدُ عن الثناء عليهم إلا بحقّ:

* قال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): لو أنَّ لي دعوةً مستجابة ما جعلتها إلا في إمامٍ، فصلاحُ الإمام صلاحُ البلاد والعباد.[1] تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٧.

* وعن عُمَر بن الفضل قال: سألت **أبا العلاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -والحجاج في عِبَائه[2]- فقلت: يا أبا العلاء أسب الحجاج؟ فقال: ادع له بالصلاح فإن صلاحه خير لك. الزهد لأحمد: ٤٢٢.

* ورحل الشيخ الإمام العلامة **عز الدين بن عبد السلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦٠) إلى بغداد سنة سبع وتسعين وخمس مائة، فأقام بها أشهرًا، **وكان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر**، وقد ولي الخطابة بدمشق، فأزال أشياء كثيرة من بدع الخُطباء،

---

(١) قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان: فاعلم أنَّه صاحب هوى، وإذا رأيتَ الرجل يدعو للسلطان بالصلاح، فاعلم أنَّهُ صاحبُ سُنَّةٍ -إن شاء الله-. شرح السنة / ١٠٥-١٠٦.

(٢) عَبَا المَتاعَ عَبْوًا وعَبَّاه: هَيَّأَه، وعَبَّى الجيش: أَصْلَحه وهَيّأه تَعْبيَةً وتَعْبِئَةً وتَعْبيئًا، وقال أَبو زيد: عَبّأْتُه بالهمزة. لسان العرب، مادة عبا.
وفي الأصل: عِبَاته، بالتاء. ولعل المثبت هو الصواب.

ولم يلبس سودًا ولا سَجَع خطبة، بل كان يقولها مسترسلًا، **واجْتَنب الثناء على الملوك، بل كان يدعو لهم**، وأبطل صلاة الرغائب والنصف. طبقات الشافعيين (٢/ ٣٢٣).

ل- الدخول على الأمراء والولاة، والتورع من قبول الأموال منهم:

* قال ابن حارث: رأيت في بعض الكتب، أن **محمد بن بشير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨) لما وُجِّه فيه[1]، عدل في بعض طريقه إلى صديق له عابد، فنزل عليه، وتحدَّث معه في شأن نفسه، وتوقُّعه أنه وُجِّه إليه في الكتابة التي قد تخلى عنها.

فقال له صديقه: ما أرى بعث فيك إلا للقضاء، فقد مات قاضي قرطبة.

فقال له ابن بشير: فإذا قبلتها فما ترى؟ فانصح لي وأشر علي.

قال له العابد: أسألك عن ثلاثة أشياء فاصدقني فيها:

كيف حبُّك لأكل الطيِّب، ولباس اللين، وركوب الْفِاره؟.

فقال ابن بشير: والله ما أبالي ما رددت به جوعي، وسترت به عورتي، وحملت به رجلي.

فقال: هذه واحدة.

فكيف حبك للوجوه الحسان وشِبْه هذا من الشهوات؟.

فقال ابن بشير: هذه حالة والله ما استشرفت نفسي إليها قط، ولا خطرت ببالي.

قال: هذه ثانية.

كيف حبك للمدح والثناء وكراهتك للعزل، وحب الولاية؟

قال: والله ما أبالي في الحق مَن مدحني أو ذمني، وما أُسَرُّ بالولاية ولا أستوحش للعزل.

---

(١) أي: طلبه الأمير.

فقال له: اقْبل القضاء، ولا بأس عليك.[1] ترتيب المدارك (١/ ٥٢٤).

* وقال أَبُو بكر المرُّوذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) -وقال له عمُّه: لو دخلتَ إلى الخليفة فإنك تَكْرُم عليه- قَالَ: إنما غَمِّي من كرامتي عليه. طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٩).

* وذكر أَبُو النصر عبدالرحمن بن عبدالجبار رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تاريخ هراة **شيخ الإسلام الأنصاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٨١)، فقال: لا يأخذ من السلاطين والظلمة والأعوان وأركان الدولة شيئًا، وقلَّما يُراعيهم، **ولا يدخل عليهم، ولا يبالي بهم، فبقي عزْيزًا مقبولًا**، قبولا أتم مِنَ المُلك على الحقيقة، مُطاعَ الأمر قريبًا من ستين سنة، من غير مزاحمةٍ ولا فتورٍ في الحال. ذيل الطبقات (١/ ١٢٢).

* وقال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت خالي عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: حضرت مَعَ **القاضي الإمام والدك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨) فِي دار رئيس الرؤساء بعد مجيء طغرلبك[2]، وقد أنفذ إِلَيْهِ غير مرة ليحضر، فلما حَضَر قرَّبَه رئيس الرؤساء وزاد فِي إكرامه وإعظامه، وأجلسه حتى مس بعضه بجنب المخدة، وَقَالَ لَهُ: ما هَذَا الانقطاع؟ فَقَالَ لَهُ القاضي الإمام: يُروى عن شيخنا إبراهيم الحربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه اسْتزاره المعتضد وقرَّبه وأجازه، فردَّ جائزته، فَقَالَ لَهُ: اكتُم مجلسنا، ولا تُخْبر بما فعلنا بك، وبما قابلتَنا به، فَقَالَ لَهُ الحربي: لي إخوان لَوْ علِموا باجتماعي معك هَجَروني.

فَقَالَ لَهُ رئيس الرؤساء كلامًا أسرَّه إِلَيْهِ، ومدَّ كُمَّه إِلَيْهِ، فتأخَّر القاضي الإمام عَنْهُ، وسمعتُه يقول: **أنا فِي كِفاية ودَعَة،** فقلت لَهُ: يا سيدنا ما قَالَ لك؟ قَالَ: قَالَ لي: معي شيءٌ من بقيّة ذَلِكَ الإرث المستطاب، وليس مما قد تلوثنا به من الدنيا،

---

(١) ينبغي أن يقف على هذه الأسئلة ويُجيب عنها كلّ من طُلب لولاية أو رئاسة، وإنها والله لصعبة.

(٢) هو السلطان السلجوقي محمد بن ميكائيل السلطان الكبير ركن الدين أبو طالب.

فأحِبُّ أن تأخذه وتصرفه فِي بعض حوائجك، فقلت لَهُ: أنا فِي كفاية ودَعَة، أو كما قال.[1] طبقات الحنابلة (٣/ ٤١١).

ي- فوائد أخرى:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): «لَا يَنْبَغِي أَنْ يَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ -يَعْنِي أَمْرَ النَّاسِ- إِلَّا رَجُلٌ فِيهِ أَرْبَعُ خِلَالٍ: اللِّينُ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، وَالشِّدَّةُ فِي غَيْرِ عُنْفٍ، وَالْإِمْسَاكُ فِي غَيْرِ بُخْلٍ، وَالسَّمَاحَةُ فِي غَيْرِ سَرَفٍ، فَإِنْ سَقَطَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ فَسَدَتِ الثَّلَاثُ». مصنف عبدالرزاق: (١٥٢٨٨).

* وأغْلظ رجلٌ على **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) فحلُم عنه فقيل له: أتحلُم عن هذا؟ فقال: إني لا أَحُول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يَحُولوا بيننا وبين سلطاننا. عيون الأخبار ٥٤/ ١.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إذا كان الإمام عادلًا فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان جائرًا فعليه الوزر وعليك الصبر. عيون الأخبار ٤٩/ ١.

* وقال **عبد الملك بن مروان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٦): أنصِفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا! ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر! نسأل الله أن يعين كلًا على كل. عيون الأخبار ٥٣/ ١.

* وعن **عمرو بن شرحبيل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٠) قال: لا يزال الناس بخير ما لم يكن عليهم أمراء لا يرون لهم من الحق شيئا إلا ما شاءوا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤١٦.

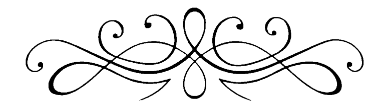
* وعن محمد بن أبي جميلة قال: أرادني عبد الله بن عبد الملك على صحبته، فشاورت **عبد الله بن أبي زكريا** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٧) فقال: أنت حر فلا تجعل نفسك مملوكًا. أخبار الشيوخ (٢٥).

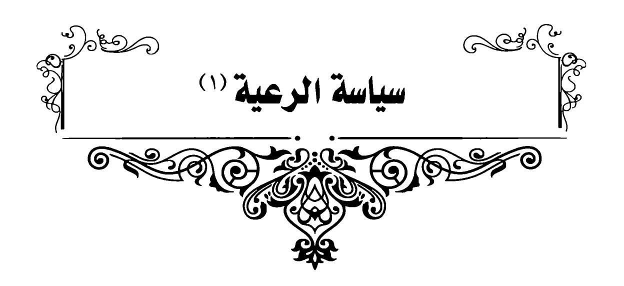
---

(١) كان كثير من أهل العلم والوَرَع والصدق يتورعون عن عطايا الأمراء والحكام؛ رغبة في اكتساب المال الحلال، وترفعًا عن ذلِّ الأخذ، فاليد العليا خير من اليد السفلى.

* وكان يقال: إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا، وإن زادك فزِدْه. عيون الأخبار ٦٢/ ١.

* وعن ابن هشام أنه قال: قال لي **المأمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٨): يا علي، الملوك تحتمل لأصحابها كل شيء خلا ثلاث خصال، قلت: وما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: القدح في الملك، وإفشاء السر، والتعرض للحرمة. المنتظم ٥٩/ ١٠.



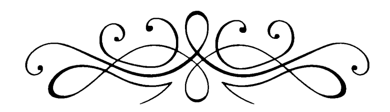


سياسة الرعية[1]

* لما أراد **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣) المسير إلى مصر، قال لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أمير المؤمنين؛ إني أريد أن أوصيك، قال: أجل فأوصني، قال: انظر فاقة الأحرار فاعمل في سدِّها، وطغيان السّفلة فاعمل في قَمعها، واستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان، فإنما يصول الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع. الآداب الشرعية ١/ ١٤١.

* ومن كلام الفرس: لا مُلك إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل.

ومن كلامهم أيضا: الْمَلِكُ الذي يأخذ أموال رعيته ويجحف بهم؛ مثل من يأخُذ الطين من أصول حيطانه فيطين به سطوحه، فيوشك أن تقع عليه السطوح. الآداب الشرعية ١/ ١٤١.



(١) من أفضل من تكلم عن هذا الموضوع شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: السياسة الشرعية.



ذم التفاخر بالأحساب

* قال رجلٌ **للإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): يا أبا عبدالله بَلَغَني أنك رجلٌ من العَرب، فمن أي العرب أنت؟ فقال: نحن قومٌ مساكين، وما نصنع بهذا؟ طبقات الحنابلة (٢/ ١٨٣)، الآداب الشرعية ٢/ ٢٢.

* وقال **ابن مفلح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٦٣): بعض الناس يترك الصفات المطلوبة التي هي سببٌ لحصول الرتب العالية؛ اتكالًا على حَسَبه ونَسَبه، وفعل آبائه، فهذا أعمى، فلله درُّ القائل:

لسنا وإن كَرُمت أوائلنا ... أبدًا على الأحساب نتَّكل

نَبْني كما كانت أوائلنا ... تَبْني ونفعلُ مثل ما فعلوا

الآداب الشرعية ١/ ١٦٦.

* ولقد أحسن **ابنُ الرُّومي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٣) في قوله:

فلا تفتخر إلَّا بِما أنت فاعلٌ ... ولا تحسبنَّ المَجْد يُورَثُ كالنّسَب

وليسَ يَسُود المرءُ إلَّا بفعْلهِ ... وإن عَدَّ آباء كرامًا ذَوِي حَسَب

إذا العود لم يُثْمِرْ وإن كان شُعبَةً ... من المُثْمِرات اعْتَدَّه النّاسُ في الحَطَب(١)

[الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي (١٦٦).

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

إذا لم تكُنْ نَفْسُ النّسيبِ كأصْلِهِ ... فماذا الذي تُغني كرامُ المَناصِبِ(٢)

---

(١) أي أنّ الناس يجعلون الغصن الذي لم يُثمر حطبًا، ولو كان نابتًا من أصل شجرة مثمرة.

(٢) **النسيب**: ذو النسب الكريم، والمناصب جمع منصب، والمنصب: الأصل. =

ديوان المتنبي (٣٠).

* ومما يُسْتحسن في هذا المعنى قول القائل:

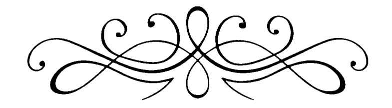
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي

ولله در القائل:

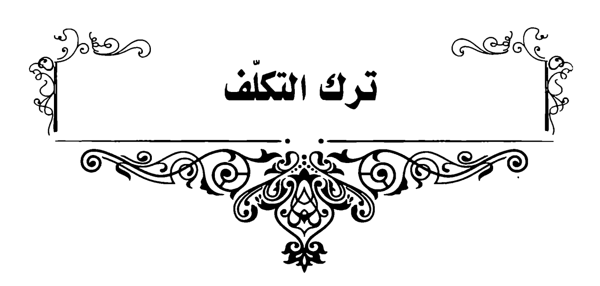
لسنا وإن أحسابنا كرمت أبدًا على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

الجليس الصالح والأنيس الناصح (١٠٩)



= يقول: إذا لم يكن الرجل كريمًا في نفسه وفعله لم ينفعه كرم أصله. معجز أحمد (١٨٩).



ترك التكلّف

* قال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): اجْعل لنفسك في كلِّ شيءٍ غايةً ترجو القوة والتَّمام عليها.[١].

واعْلم أنك إنْ جاوزت الغاية في العبادة صرت إلى التقصير.

وإنْ جاوزتها في حمل العلم لحقت بالجهال.

وإن جاوزتها في تكلّف رضى الناس والخفة[٢] معهم في حاجاتهم كنت المخْسُور الْمُضَيِّع. الأدب الكبير (١١٤).

* **وقال الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨) في كتابه (تاريخ الإسلام) عن أحد العلماء: كان على طريقة السَّلف من طَرْح التّكلُّف..

وقال عن آخر: كان على طريقة السَّلَف، ورِعًا نَزِهًا..

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه طبقات الشافعيين عن أحد العلماء: تَارِك للتكلف على طَريقَة السّلف.

وقال ابْن السَّمْعَانِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أحدهم: تارك التكليف، على طريقة السلف.

وقَالَ الْإِسْنَوِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أحدهم: كَانَ متواضعا مَاشِيا على طَرِيقَة السّلف فِي طرح التَّكَلُّف.

---

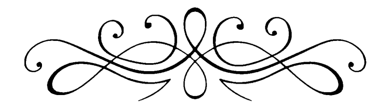
(١) أي: اجْعل لنفسك في العلم، والعمل، والأخلاق، والعبادة، والمال، وكلّ شيء: غاية تنتهي إليها، وتثبت عليها، فإنْ لم تفعل خرجت عن حدّ الاعتدال إلى الغلوّ والتنطّع، أو الملل والسآمة.

(٢) أي: الطيش وعدم الترصّن.

وقال ابن قاضي شهبة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه طبقات الشافعية عن أحدهم: مطرح الكلفة على طَريقَة السّلف.

وقال عن آخر: كان ريّض الْأَخْلَاق متواضعًا على طَريقَة السّلف.

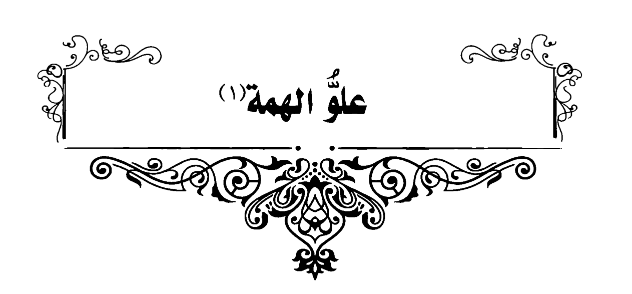
وقَالَ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة عن أحدهم: كانَ متواضعًا على طَريقَة السّلف فِي طرح التَّكَلُّف..[1].



(١) شدتني هذه العبارة وهي: طرح التكلف، وأنها طريقة ومنهج السلف الصالح، وقد تواطأ عليها كثير من العلماء، وهذا يدل على أن هدي السلف وطريقتهم ومنهجهم ليس قاصرا على مسائل الاعتقاد، بل يشمل ذلك الأخلاق كالتواضع وعفة اللسان والأدب والرحمة والرفق، والزهد، والورع، وترك التكلف في كلّ شيء، في المأكل والمشرب، والأخلاق، والمسكن، والتعامل، وغير ذلك.

فما أجمل أن تعيش حياتك بلا تكلف في مشيك، وكلامك، وتعاملك، وابتسامتك، وكن كما أنت، بلا تثاقل ممقوت، وتصنّع ممجوج؛ فإن الناس يكرهون مَن هذا طبعه، ويحبون مَن كان سهلًا سمحًا في تعامله وأخلاقه وجميع شؤونه.

والعالم أو طالب العلم ممن لم يذُق طعم السماحة واطِّراح التكلّف والدخول مع الناس وتقبل عاداتهم وطباعهم: قد خَنْدق نفسه بخنادق لم يُنْزل الله بها من سلطان، وحرم نفسه من لذة السماحة واطِّراح التكلّف التي تُوَلِّد التواضع والسعادة والرحمة في قلبه.



علوّ الهمة[1]

* عن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: لما قُبِض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلمّ، فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبًا لك يابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فتركت ذلك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإن كان ليَبلُغني الحديث عن الرجل، فآتي بابه وهو قائل، فأتوسَّد التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا بن عمّ رسول الله، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقّ أن آتيك فأسألك عن الحديث.

فعاش ذلك الفتى الأنصاري حتى رآني، وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني. المستدرك للحاكم: (٣٦٣)، مسند الدارمي.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَلَلْتُ طالبًا، فعزَزْتُ مطلوبًا، وكان يقول: وجدْتُ عامّة عِلْم رسول الله ﷺ عند هذا الحيّ من الأنصار، إنْ كنتُ لأَقِيل بباب أحدهم ولو شئتُ

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وكمالُ كلِّ إنسانٍ إنَّما يَتِمُّ بهذين النَّوعين، هِمَّةٌ تُرقِّيه، وعلمٌ يُبصِّرهُ ويَهديهِ؛ فإنّ مَراتَب السَّعادَةِ والفَلاحِ إنَّما تفوتُ العَبدَ من هاتَين الجهتَين، أو مِن إحداهُما، إمَّا أنْ لا يكونَ له علمٌ بها، فلا يتحرَّكُ في طَلَبها، أو يكونَ عالمًا بها ولا تنهَضُ همَّتُهُ إليها، فلا يَزالُ في حضيضِ طَبعه محبوسًا، وقلبُهُ عن كمالِهِ الذي خُلِقَ له مصدودًا منكوسًا، قد أسامَ نفسَهُ مع الأنعام راعيًا مع الهَمَلِ، واستطابَ لُقَيماتِ الرَّاحَةِ والبطالَةِ، واسْتَلاَنَ فِراشَ العجزِ والكَسَلِ، لا كَمَن رُفِعَ له عَلَمٌ فشمَّرَ إليه، وبُورِكَ له في تفرُّدِهِ في طريقِ طلبه، فَلَزِمهُ واستقامَ عليه، قد أَبَتْ غَلَباتُ شوقِهِ إلاّ الهجرَةَ إلى الله ورسولِهِ، ومقَتَتْ نفسُهُ الرُّفقاء إلاّ ابنَ سبيلٍ يُرافِقهُ في سبيلِهِ. مفتاح دار السعادة ٢١٤-٢١٥/ ١.

أُذِن لي، ولكن أبتغي بذلك طِيب نفسه. عيون الأخبار ٥١٩-٥٢٠/ ٢.

* ونظر رجل إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو غلام صغير، فقال: إني أظن هذا الغلام سيسود قومه، فقالت **هند بنت عتبة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ١٤): ثكلتُه إن كان لا يَسُود إلا قومَه. عيون الأخبار ٢٥٦ / ١.

* وعن أبي الزناد قال: اجتمع في الحجر **مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير، وعبد الله بن عمر**، فقالوا: تمنوا، فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا، فأتمنى الخلافة. وقال عروة: أما أنا، فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا، فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين قال عبد الله ابن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة قال: فنالوا ما تمنوا، ولعل ابن عمر غفر له. صفة الصفوة ١/ ٢٦٧.

* وعن الشعبي قال: خرج **مسروق** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٣) إلى البصرة، إلى رجل يسأله عن آية، فلم يجد عنده فيها علما، فأخبر عن رجل من أهل الشام فقدم علينا ها هنا، ثم خرج إلى الشام إلى ذلك الرجل في طلبها. تهذيب الحِلْية ٣٠٥/ ١.

* وعن **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) قال: ربما أتيتُ ابنَ عباس، فكتبتُ في صحيفتي حتى أملأها، وكتبتُ في نعلي حتى أملأها، وكتبتُ في كفّي. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٠٧.

* وقال **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤): إن كنت لأسير الأيام والليالي في طَلَبِ الحديث الواحد. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٢.

* وقال معن بن عبد الرحمن: ما رأيت **مسعرًا** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٢) في يوم إلا قلت: هو أفضل منه قبل ذلك. تهذيب الحِلْية ٤٢٠/ ٢.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١): كانت لي نفس تواقة، فكنت

لا أنال منها شيئًا إلا تاقت إلى ما هو أعظم، فلما بلغت نفسي الغاية، تاقت إلى الآخرة. تهذيب الحِلْية ٢٣٧/ ٢.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: من استطاع منكم أن يكون إماما لأهله، إماما لحيه، إماما لمن وراء ذلك، فإنه ليس شيء يؤخذ عنك إلا كان لك منه نصيب. الزهد لابن المبارك (٨٠٣).

* وعن فرقد إمام مسجد البصرة قال: دخلوا على **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤١) في مرضه الذي مات فيه، فحدثه رجل بحديث فأعجبه، وضرب يده إلى تحت فراشه فأخرج ألواحًا له فكتب ذلك الحديث، فقالوا له: على هذه الحال منك؟ فقال: إنه حسن، إن بقيت فقد سمعت حسنًا، وإن مت فقد كتبت حسنًا. تهذيب الحِلْية ٤٠٤/ ٢.

* وقال **بعضهم**:

فكن رجلًا رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا

المنتظم ١٥ / ٢٣٢.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١): من عرف ما يَطلب هان عليه ما يَبذل. صفة الصفوة ٢/ ٦٣٠.

* وعن أبي محمد بن أخت الشافعي قال: قالت أمي: ربما قدمنا في ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر المصباح إلى بين يدي **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤)، وكان يستلقي ويتفكر، ثم ينادي يا جارية هلمي المصباح، فتقدمه ويكتب ما يكتب، ثم يقول: ارفعيه. فقلت لأبي محمد: ما أراد برد المصباح؟ قال: الظلمة أجلى للقلب. تهذيب الحِلْية ١٢٤/ ٣.

* وقال **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): كان الرجل يختلف إلى الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه. تهذيب الحِلْية ٣٥٤/ ٢.

* وقَالَ أبو سعيد الحداد: دخلت عَلَى **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) الحبس قبل الضرب[1]، فقلت له فِي بعض كلامي: يا أبا عبدالله عليك عيال، ولك صبيان، وأنت معذور -كأني أُسهِّل عليه الإجابة[2]- فقال لي أحمد بن حنبل: إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد فقد استرحتَ.[3] طبقات الحنابلة (١/ ٩٤)، الآداب الشرعية ٢/ ١٤.

* وقال مُحَمَّد بن حسنويه: حضرتُ **أبا عبدالله أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجاءه رجل من أهل خراسان فقال: يا أبا عبدالله قصدتك من خراسان أسألك عَنْ مسألة، قَالَ له: سَلْ، قَالَ: متى يجدُ العبد طعم الراحة؟ قَالَ: عند أوَّلِ قدم يضعها فِي الجنة. طبقات الحنابلة (٢/ ٢٩٠).

* وعن محمد بن يوسف قال: كنت عند **محمد بن إسماعيل البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٦) في منزله ذات ليلة، فأحصيت أنه قد قام وأسرج يستذكر أشياء يُعلِّقُها في ليلة ثماني عشرة مرة. المنتظم ١١٥/ ١٢.

* وقال **قَتَادَةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١١٨): يا بن آدَمَ، إِنْ كُنْتَ لَا تُرِيدُ أَنْ تَأْتِيَ الْخَيْرَ إِلَّا عَنْ نَشَاطٍ فَإِنَّ نَفْسَكَ مَائِلَةٌ إِلَى السَّآمَةِ وَالْفُتُورِ وَالْمَلَلِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ هُوَ الْمُتَحَامِلُ، وَالْمُؤْمِنُ هُوَ الْمُتَقَوِّي. الحِلْية ٣٣٥/ ٢.

* وقيل **للعتّابيّ كلثوم بن عمرو** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٨): فلان بعيدُ الهمة قال:

---

(١) وذلك حينما حبسه المعتصم في فتنة القول بخلق القرآن -والعياذ بالله-، قبل أن يضربه بالسياط.

(٢) أي: إجابة الخليفة في القول بخلق القرآن.

(٣) أي: إذا كان نظرك وهمّك في سلامة العيال والصبيان، والأخذ بالرخصة؛ فقد استرحتَ في الدنيا من الهموم والغموم، وهذا يقدر عليه كلّ أحد، ولكن الحزم وكمال العقل في عدم الاقتصار على هذا النظر، بل ينظر العاقل المؤمن إلى سلامة الدين، والأخذ بالعزيمة عند الضرورة، وهذا ما فعله الإمام أحمد.

فصاحب الهِمّة، الذي يحمل رسالة عظيمة شريفة؛ لا يرتاح حتى يبلّغها ويعمل بها.

* وقال **بعضهم**:

والنفسُ راغبـــةٌ إذا رغَّبتَهـــا ... وإذا تُــرَدُّ إلــى قليــل تَقْنَــعُ

عيون الأخبار ٥٨٨/ ٢.

* وقال **عبد الرحمن بن أبي حاتم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٧): كنا بمصرَ سبْعَة أشهر، لم نأكل فيها مرقة، كُلُّ نهارِنا مقسّم لمجالس الشُّيُوخ، وبالليل: النَّسْخُ والمقابلة، قال: فأتينا يومًا أنا ورفيق لي شيخا، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتْنا، فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت، حضر وقتُ مجلسِ بعض الشيوخ، فلم يُمْكِنَّا إصلاحُه، ومضَيْنا إلى المجلس، فلم نَزَلْ حتى أتى عليه ثلاثة أيام، لم يكن لنا فراغ أن نُعْطِيَه من يشويه.

ثم قال: لا يستَطاعُ العِلمُ براحةِ الجَسَد. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٠٧٩.

* وقال **أبو جعفر الطَّبريُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٠) لأصحابه: هل تَنشَطُون لتاريخ العالم من آدمَ إلى وقتِنا؟ قالوا: كم قدرُه؟ فذكر نحو ثلاثينَ ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمارُ قبل تمامه! فقال: إنَّا لله! ماتت الهِمَمُ. فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة ولمَّا أن أراد أن يمليَ التفسير قال لهم نحوًا من ذلك، ثم أملاه على نحوٍ من قدر التاريخ. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٥١، طبقات الشافعيين (١/ ٢١٠).

* وقال **ابن حِبَّان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٥٤) في أثناء كتاب «الأنواع»: لعلَّنا قد كتَبنا عن أكثرَ من ألفي شيخ.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كذا فلتكن الهمم، هذا مع ما كانَ عليه من الفقهِ والعربيَّةِ، والفضائل الباهرة، وكثرة التصانيف. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٢٦٩.

* وقال **أبو حاتم الرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٧) لابنه عبد الرحمن: أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، لم أزل أُحصي حتى لما زاد على ألف فرسخ تركته. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٣٥٩).

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

وإذا كانَــتِ النُّفُــوسُ كِبــارًا تَعِبَــتْ في مُرادِهــا الأجْســامُ

* وقال:

لَـوْلا المَشَـقّةُ سَـادَ النّـاسُ كُلُّهُـمُ الجُـودُ يُفْقِـرُ وَالإقْـدامُ قَتّـالُ

عَلى قَدْرِ أهْلِ العَزْم تأتي العَزائِمُ وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارمُ[١]

وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها وَتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِمُ[٢]

ديوان المتنبي (١٩٤، ٢٠٤، ٢١٠، ٢٣٨).

* وذكر **أبو محمد بن حزم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٦) أن سبب تعلمه الفقه أنه شهِد جِنازة، فدخل المسجدَ، فجلس ولم يركع، فقال له رجل: قُم فصلِّ تحية المسجد، وكان قد بلغ ستًّا وعشرين سنة.

قال: فقُمتُ وركعتُ، فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة، دَخَلْتُ المسجد فبادرتُ بالركوع، فقيل لي: اجلس اجلس، ليس ذا وقت صلاة -وكان بعدَ العصر-، فانصرفتُ وقد حزِنت، وقلت للأستاذ الذي رباني: دلني على دار الفقيه

---

(١) يقول: عزيمة كل إنسان على قدر همته وشهامة قلبه، إن كان عظيم القدر والخطر، جد أمره ومضت عزائمه، وإن كان الرجل فشلًا اضمحلت وبطلت، وكذلك المكارم: تكون على حسب فاعليها، فهي من الشريف شريفة، ومن الوضيع وضيعة.

(٢) الضمير في صغارها للمكارم والعزائم.

يقول: الرجل الصغير النفس يستكبر الصغير، والعالي الهمة يصغر في عينه ما يفعله وإن كان عظيمًا. معجز أحمد (٣٢١).

أبي عبد الله ابن دحون، فقصدته، وأعلمته بما جرى، فدلني على «موطأ» مالك، فبدأتُ به عليه، وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحوًا من ثلاثة أعوام، وبدأتُ بالمناظرة. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٤٠١.

* وكان **الحافظُ الخطيب البغدادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٣) يمشي وفي يده جزءٌ يُطالعه. تهذيب السِّيَر ٢/ ١٤١٣.

* وذكر ابن خلكان في «الوفيات» أن سبب انتقال **الطحاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢١) إلى مذهب أبي حنيفة ورجوعه عن مذهب خاله المزني، أن خاله قال له يوما: والله لا يجيء منك شيءٌ. فغضب واشتغل على أبي جعفر بن أبي عمران الحنفيّ، حتى برع وفاق أهل زمانه، وصنف كتبا كثيرة منها «أحكام القرآن»، و «اختلاف العلماء»، و «معاني الآثار» و «التاريخ الكبير». البداية والنهاية ١١/ ٢٤٨.

* وقال ثعلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما فقدت **إبراهيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥) من مجلس نحوٍ أو لغةٍ خمسين سنة. المنتظم ٣٨١/ ١٢.

* وقال بعضهم:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران

أقبلْ على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ

البداية والنهاية ١١/ ٣٦٤.

* وعن أبي الحسن العروضي قال: كان يتردد **ابن الأنباري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٨) إلى أولاد الراضي، فسألته جارية عن تفسير رؤيا فقال: أنا حاقن، ثم مضى فلما كان من غد عاد وقد صار معبراً للرؤيا، وذلك أنه مضى من يومه، فدرس كتاب الكرماني وجاء. المنتظم ٣٩٩/ ١٣.

* وعن **عيسى المتوكلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٦٣) قال: مكثت ثلاثين سنة أشتهي

أن أشارك العامة في أكل هريسة السوق فلا أقدر على ذلك، لأجل البكور إلى سماع الحديث. المنتظم ٢٣٣/ ١٤.

* وعن **عبد الله بن عمر القواريري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ الله (ت: ٢٣٥) أنه قال: لم تكن تكاد تفوتني صلاة العتمة في جماعة فنزل بي ضيف فشغلت به، فخرجت أطلب الصلاة في قبائل البصرة، فإذا الناس قد صلوا.

فقلت في نفسي: قد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ إحدى وعشرين درجة»، وروي: «خمسًا وعشرين»، وروي: «سبعًا وعشرين»، فانصرفت إلى منزلي فصليت العتمة سبعًا وعشرين مرة ثم رقدت، فرأيتني مع قوم راكبي أفراس وأنا راكب فرسًا كأفراسهم، ونحن نتجارى وأفراسهم تسبق فرسي، فجعلت أضربه لألحقهم، فالتفت إلي أحدهم فقال: لا تجهد نفسك، فلست تلاحقنا، قلت: ولمَ ذاك؟ قال: لأنا صلينا العتمة في جماعة. المنتظم ٢٣٢/ ١١.

* ودخل على **عبد العزيز بن مروان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٥) رجل يشكو صهرًا له، فقال: إن ختني فعل بي كذا وكذا، فقال له عبد العزيز: من خَتَنَك؟ فقال له: خَتَنَني الختان الذي يختن الناس، فقال عبد العزيز لكاتبه: ويحك، ما أجابني، فقال له: أيها الأمير، إنك لحنت وهو لا يعرف اللحن، كان ينبغي أن تقول له: من خَتَنُك، فقال عبد العزيز: أراني أتكلم بكلام لا يعرفه العرب، لا شاهدت الناس حتى أعرف اللحن.

فأقام في البيت جمعة لا يظهر، ومعه من يعلمه العربية، فصلى بالناس الجمعة وهو من أفصح الناس. المنتظم ٢٦٤/ ٦.

* وكَانَ **أَبُو يعلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨): يقسم ليله كله أقسامًا، فِقسم للمنام،

وقسم للقيام، وقسم لتصنيف الحلال والحرام. طبقات الحنابلة (٣/ ٣٨٠).

* وكَانَ **أَحْمَد بن عَبْدالدايم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦٧) يكتب خطًّا حسنًا، ويكتب سريعا، فكتب مَا لا يوصف كثرة من الكتب الكبار، والأجزاء المنثورة لنفسه وبالأجرة، حَتَّى كَانَ يكتب فِي اليوم إِذَا تفرغ تسعة كراريس أَوْ أَكْثَر، ويكتب مَعَ اشتغاله بمصالحه الكراسين والثلاثة، وكتب «الخرقي» فِي ليلة واحدة، وكتب «تاريخ الشام لابن عساكر» مرتين، و«المغني للشيخ موفق الدين» مرات.

وذكر: أَنَّهُ كتب بيده ألفي مجلدة، وأنه لازم الكتابة أزيد من خمسين سنة. ذيل الطبقات (٤/ ٩٨).

* ولزم العلامة **النَّووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧٦) المشايخ تصحيحًا وشرحًا، فكان يقرأ في كل يوم اثني عشر درسًا على المشايخ.

وقد كان من الزهادة والعبادة والورع والتحري والانجماع عن الناس على جانب كبير لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره، وكان يصوم الدهر، ولا يجمع بين إدامين، وكان غالب قوته مما يحمله إليه أبوه من نوى، وكان لا يضيع شيئا من أوقاته، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم.[1] [البداية والنهاية (١٧/ ٥٤٠).

* وقال **بعضهم**:

إذا كان الفتى ضخمَ المعالي	**فليس يضرُّه الجسمُ النحيل**
تراه من الذكاء نحيفَ جسم	**عليه من تَوَقُّدِه دليل**

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٦٤).

---

(١) حينما جد واجتهد وصدق في طلب العلم ونشره والعمل به: بارك الله له في علمه، ونشر كتبه، مع قصر عمره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* وكانت حلقات الدروس[1] التي يعقدها الشيخ **محمد بن إبراهيم آل شيخ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٨٩) تبدأ بعد صلاة الفجر مباشرة، ويحضرها أكثر من مئة وخمسين طالبًا من طلاب العلم، ويقوم سماحته بسماع واحد من الطلاب المتفوقين يقرأ عليه من كتب النحو، مثل «ألفية ابن مالك» وشروحها، بعد ذلك يقوم الشيخ محمد بتقرير المسائل، وشرح العبارات تقريرا واسعا حتى قبيل شروق الشمس، ثم ينصرف إلى منزله المجاور للمسجد، ويقوم الشيخ عبدالله بن دهيش -والذي كان يجلس بجانب سماحته- بالاستماع إلى حفظ بعض الطلاب، ثم يعيد الدرس الذي قرره الشيخ محمد، حرفيًّا أو بالمعنى أو خلاصة له، لمدة ساعة تقريبا، ثم ينصرف الجميع لمدة نصف ساعة تقريبا لتناول الإفطار في مساكنهم.

وفي الصباح يجلس الشيخ محمد في منزله يحضر عنده كبار الطلبة، ويبدأ أحد الطلاب بقراءة متن الزاد، ثم الكتب المطولة في الفقه، مثل الإنصاف، وشرح المنتهى، وشرح الإقناع، وشرح المفردات، وبعض مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، كالفتاوى، وكتب الفقه الأخرى، وكتب ابن القيم، مثل كتاب: الهدي النبوي، ومفتاح دار السعادة، لمدة ساعتين إلى ثلاث ساعات، ثم ينصرف الجميع إلى منازلهم وقضاء حاجاتهم.

وبعد صلاة الظهر والعصر يدرّس الطلاب بعض كتب الحديث، مثل: الصحيحين، وجامع الترمذي، وسنن النسائي، وأبي داود، وابن ماجه، والدارقطني، ومسند الإمام أحمد، وبعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، مثل: الرسائل، والمنتقى في أحاديث الأحكام للمجد ابن تيمية.

وبعد صلاة المغرب والعشاء تستمرّ الدروس في كتب كثيرة، مثل: الواسطية،

---

(١) التي يلقيها في مسجد دخنة بالرياض.

والحموية، والهدي النبوي، وإعلام الموقعين، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي من أمهات الكتب.[١] علماء نجد (٤/ ٢٧٠-٢٧١).

* وتوفي والد الشيخ **إبراهيم بن عبد الملك بن حسين آل الشيخ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٣٦) وعُمْرُه خمسةَ عشر عامًا، فأتَى وجهاءُ الحوطة إلى الشيخ صالح بن محمد الشثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليكون قاضيًا لهم بعد الشيخ عبد الملك، فاعتذر عن القضاء، ودلّهم على ابنِه إبراهيم، فأرسل إليه، وقال له: إنك من أسرة مباركة، وقد توفي والدك وأنت مكانه في القضاء، فهاب الشيخ إبراهيم القضاء لصغر سنّه، وقال: لا أستطيع القضاء، فقال له الشيخ صالح: يا بنيّ كن في القضاء وأنا معك أسدّد أمورك، فالتزم ومكث حوالي (٥٢) سنة. علماء نجد (١/ ٣٤١).

* وقال **بعضهم**:

لا تدع خدمة الأكابر واعلم ... أنَّ في خدمة الصّغار صَغارا[٢]

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٥٢).

* وقال **ابن جزيّ** المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤١):

لكلّ بني الدّنيا مراد ومقصد ... وإن مرادي صحّة وفراغ
لأبْلُغ في علم الشريعة مبلغا ... يكون إلى برِّ الجِنان بلاغ
فما الفوز إلا في نعيمٍ مؤبّد ... به العيش رغْدٌ والشراب يُساغ

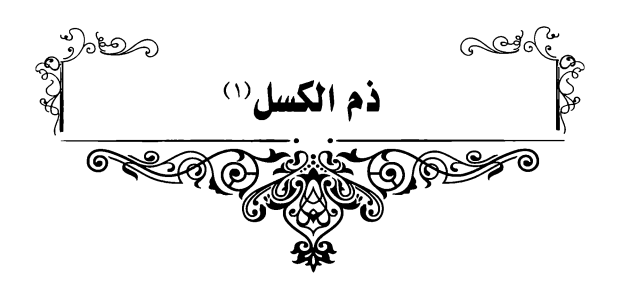
طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٨٧).

---

(١) انظر إلى همة هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكيف بذل جلّ أوقاته للعلم والتعليم، ولهذا كان زمانه زمانٌ كثر فيه العلماء، وازدهرت الحياة العلمية والدعوية، فكم نحتاج في كل زمان ومكان إلى علماء بذلوا أوقاتهم للتعليم والدعوة إلى الله تعالى.

(٢) فإنّ خدمة العبد لأمثاله العبيد لن يخلّصه من رق الذل والفقر والصغار، وإنما يُخلّصه خدمة سيّده الغني الكريم الرحيم به.

فكن مع الله ولله، وكلّ ما سواه ينقطع ويزول.



ذم الكسل[١]

* قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): «إني لأبغض الرجل أن أراه فارغًا، ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة». مصنف ابن أبي شيبة: (٣٤٥٦٢).

* وقال **محمد بن علي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨) لابنه: يا بني، إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر، إنك إن كسلت لم تؤد حقًا، وإن ضجرت لم تصبر على حق. تهذيب الحِلْية ٥٠٧/ ١.

* ومما قيل:

نَهارُك يا مَغْرُورُ سَهْوٌ وغَفْلَةٌ ... ولَيْلُكَ نومٌ والرَّدَى لك لازمُ

وتتعب فيما سوف تَكرَهُ غِبَّهُ ... كَذَلِكَ في الدُّنيا تعيشُ البَهَائِمُ

العمدة في محاسن الشعر: ١/ ٣٧.

* ومرّ **شريح** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠) بقوم وهم يلعبون، فقال: مالكم؟ قالوا: فرغنا يا أبا أمامة اليوم، قال: ما بهذا أُمر الفارغ[٢]. الزهد لوكيع (٣٦٨)، تهذيب الحِلْية ٦٨/ ٢.

---

(١) الكسل أساس السّقم وضيق الصدر وضعفِ الهمّة والتفريط، قال ابن القيم: «ولهذا تجد الكسالى أكثر الناس همًّا وغمًّا وحزنًا، ليس لهم فرحٌ ولا سرورٌ، بخلاف أرباب النشاط والجدِّ في العمل أيِّ عملٍ كان، فإن كان النشاطُ في عملٍ هُمْ عالمون بحسن عواقبه وحلاوة غايته: كان الْتذاذُهم بحبِّه ونشاطُهم فيه أقوى. روضة المحبين ص: ١٦٨.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح:٧].

وهذا حال كثير من الناس في الإجازات، فلا يخطر في بالهم إلا ملأ فراغهم بالنزهات واللعب، وما بهذا أمر الله الفارغ.

* وقال **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩): لا يُستطاع العِلْمُ براحة الجسد[1]. صحيح مسلم (٦١٢).

* وقال **ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٥):

إذا كُنتَ تُؤذى بحرِّ المَصِيف ويُبس الخريفِ وبَرْدِ الشِّتَا

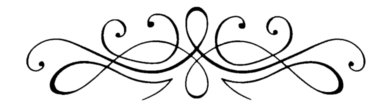
ويُلْهِيكَ حُسْنُ زَمَانِ الرَّبيع فأَخذُكَ لِلْعِلْمِ قُل لي مَتَى؟

تهذيب السِّيَر ٣/ ١٣٢٥.

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيهِ ما لجُرْحٍ بمَيِّتٍ إيلامُ

ديوان المتنبي (٢٣٢).



(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدْرَك بالنعيم، وأن من رافق الراحة فارق الراحة، فإنه على قدر التعب تكون الراحة. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٤٥.



نساء السلف

* عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مرض ابنٌ لأبي طلحة من **أم سليم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٤٠)، قال: فمات الصبي في المخدع فسجته، ثم قامت فهيأت لأبي طلحة إفطاره كما كانت تهيء له كل ليلة، فدخل أبو طلحة وقال لها: كيف الصبي؟ قالت: بأحسن حال، فحمد الله ثم قامت فقربت إلى أبي طلحة إفطاره، ثم قامت إلى ما تقوم إليه النساء فأصاب أبو طلحة من أهله، فلما كان السحر قالت: يا أبا طلحة ألم تر آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها، فلما طلبت منهم شق عليهم، قال: ما أنصفوا قالت: فإن ابنك كان عارية من الله عَزَّ وَجَلَّ وإن الله تعالى قد قبضه، فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «**يا أبا طلحة بارك الله لكما في ليلتكما**»، فحملت بعبد الله بن أبي طلحة. مسند الإمام أحمد: ١٢٠٢٨، وصحح إسناده محققوه.

* وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رَحِمَهُ اللَّهُ قال: مرّ رسول الله ﷺ بامرأةٍ من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعُوا لها قالت: فما فعل رسول الله؟ قالوا: خيرًا يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرُونِيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كلُّ مصيبة بعدك جلل![1] تاريخ الطبري (٢/ ٥٣٣).

(١) أي هيّن، ويكون في غير ذا بمعنى عظيم. السِّيَر (١/ ٤٢٤)

والحديث بهذا الإسناد مرسلٌ حسنٌ إلى إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص. =

* وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا أريك **امرأة** من أهل الجنة؟ قلت بلى! قال: هذه المرأة السوداء أتت رسول الله ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال: (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت أن يعافيك) قالت: أصبر ولكن ادع الله أن لا أتكشف. فدعا لها. صحيح البخاري (٥٣٢٨).

* وقال الذهبي: **أم عمارة نَسيبَةُ بنت كعب بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ١٣)، الفاضلة المجاهدة الأنصارية.

شَهِدتْ أمُّ عمارة ليلة العقبة، وشهدت أُحدًا، والحديبية، ويوم حُنين، ويومَ اليمامة، وجاهدت، وفعلت الأفاعيل، وقُطعت يدُها في الجهاد.

وكان ضَمرةُ بن سعيد المازنيُّ يُحدث عن جَدَّتِه، وكانت قد شَهدت أُحدًا، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لمُقامُ نَسِيْبَةَ بنت كعبٍ اليوم خَيرٌ من مُقام فُلان وفُلان».

وكانت تَراها تُقاتلُ أشدَّ ما يكون القتال، وإنَّها لحاجزةٌ ثوبها على وسطها، حتى جُرحت ثلاثةَ عشرَ جُرحًا، وكانت تقول: إني لأنظُر إلى ابن قمِئة وهو يضربُها على عاتقها وكان أعظم جراحها، فداوتهُ سنةً. ثم نادى منادي رسول الله ﷺ: إلى حَمراء الأسد. فشدَّت عليها ثيابَها، فما استطاعت من نزف الدم. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ورحمها.

وعن عُمارة بن غَزيَّة قال: قالت أُمُّ عمارة: رأيتُني وانكشف النَّاسُ عن رسول

= هذا مع التنبيه إلى أنّ أهل العلم يتساهلون في أمر الأسانيد في أبواب السير والمغازي والتواريخ ما لا يتساهلون في غيرها، فتُذكر المراسيل ونحوها في هذه الأبواب للاعتبار، لا سيما إذا اشتهرت عند أهل الفن - السير والمغازي -، وتواردوا على ذكرها في كتبهم. يُنظر: موقع: الإسلام سؤال وجواب (٢٦٩٧٨٣).

الله ﷺ، فما بقي إلا نُفَير ما يُتِمُّون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نَذُبُّ عنه، والناسُ يمرون به مُنْهزمين، ورآني ولا ترس معي، فرأى رجلًا موليًا ومعه تُرس، فقال: ألقِ تُرسكَ إلى مَن يقاتلُ، فألقاه فأخذتُهُ. فجعلت أُتَرِّسُ به عن رسولِ الله. وإنَّما فعل بنا الأفاعيل أصحابُ الخيل، لو كانوا رجَّالةً مثلَنا أصبناهم، إن شاء الله.

فيُقبلُ رجلٌ على فرسه فيضربُني، وترَّستُ له، فلم يصنع شيئًا، فأضربُ عُرقوب فرسه، فوقع على ظهره. فجعل النبيُّ ﷺ يصيح: يا ابن أُمِّ عُمارة، أُمَّكَ! أُمَّكَ! قالت: فعاونني عليه، حتى أوردتُه شعوب[1]». تهذيب السِّيَر ١/ ٢٥٨ - ٢٥٩.

روى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما التفتُّ يوم أُحد يمينًا ولا شمالًا إلا وأراها** -أي أم عمارة- **تقاتل دوني**».

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال علماء السير: فلم تزل الحرب إلى قبيل مقتل ابن الزبير[2]، فتفرق عامة أصحابه وخذلوه، وخرج عامة أهل مكة إلى الحجاج في الأمان حتى ذُكر أن ولديه حمزة وحبيب أخذوا لأنفسهما أمانًا، فدخل عبد الله بن الزبير على أمه **أسماء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٧٣) حين رأى من الناس ما رأى من الخذلان، فقال لها: خذلتني الناس حتى ولدي وأهلي، فلم يبق معي إلا من ليس عنده من الدفع أكثر من ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت: أنت والله يا بني أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له، وقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك فينقلب بها غلمان بني

---

(١) قال في الحاشية: شعوب: من أسماء المدينة.

(٢) وذلك أن عبد الملك بن مروان بعث الحجاج بن يوسف لقتال عبد الله بن الزبير، فحاصره وهو في المسجد الحرام في مكة ثمانية أشهر.

أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك، وإن قلت: كنت على الحق فلما وهن أصحابك ضعفت، فليس هذا فعل الأحرار ولا أهل الدين، وكم خلودك في الدنيا! القتل أحسن.

فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال: هذا والله رأيي، والذي قمت به ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله عَزَّوَجَلَّ أن تستحل حرمته، ولكنني أحببت أن أعلم رأيك في مثل ذلك، فانظري يا أمي فإني مقتول في يومي هذا، فلا يشتد حزنك، وسلمي الأمر لله عَزَّوَجَلَّ، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر، ولم يجُرْ في حكم الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته، ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي عَزَّوَجَلَّ، اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي، أنت أعلم بي، ولكن أقوله تعزية لأمي لتسلوَ عنِّي، فقالت: إني لأرجو من الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون عزائي فيك حسنًا إن تقدمتني، أخرج حتى أنظر ما يصير أمرك، فقال: جزاكِ الله يا أماه خيرًا، ولا تدعي الدعاء لي قبل وبعد، فقالت: لا أدعه أبدًا، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق، ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، ذلك النحيب في الظلماء، وذلك الصوم في هواجر المدينة ومكة، وبره بأبيه وبي، اللهم إني قد أسلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين. المنتظم ١٢٥-١٢٦/ ٦.

* وعن إبراهيم بن عقبة قال: سمعت **أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص**(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول لنسائها في الليل: أحلُلْنَ عقد الشيطان، ليس هذا ساعة نوم. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١٠.

---

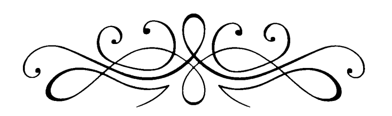
(١) مشهورة بكنيتها، لها ولأبويها صحبة، وكانا ممن هاجر إلى الحبشة، وقدما وهي صغيرة.

* وعن ثابت البناني: أن صلة بن أشيم كان في مغزًى له، ومعه ابن له فقال: أيْ بنيّ تقدّم فقاتل حتى أحتَسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم تقدّم فقتل، فاجتمعت النساء عند امرأته **مُعاذة العَدَوِيّة** رَحِمَهَا ٱللَّهُ (ت: ٨٣)، فقالت: مرحبًا، إن كنتنّ جئتُنّ لتهنّئْنني فمرحبًا بكم، وإن كنتُنّ جئتنّ لغير ذلك فارجعْن. صفة الصفوة ٢/ ١٥٣.

* وعن **جويرية بنت أسماء** رَحِمَهَا ٱللَّهُ (ت: ٥٦) قالت: إن إخوة ثلاثة من بني قطيعة شهدوا يوم تُستَر، فاستُشهِدوا، فخرجت أمهم يومًا إلى السوق لبعض شأْنها، فتلقَّاها رجل قد حضَر أمْرَ تُستَر فعرَفَه فسألته عن بَنيها، فقال: استشهدوا، فقالت: أمُقْبلين أم مُدْبرين؟ فقال: مُقْبِلين.

فقالت: الحمد لله نالوا الفوز وحاطُوا الذمارِ، بنفسي هم وأبي وأُمِّي. صفة الصفوة ٤/ ٥٨٩.

* وعن السري بن بكير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أدركت **عواتق الحي** يقمن بالليل. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١٩.





أطفال السلف

* عن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم، ودعاني معهم، وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني. فقال: ما تقولون: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر:١] حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله تعالى ونستغفره، إذا جاء نصر الله وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري؟ ولم يقل بعضهم شيئًا. فقال لي: يا ابن عباس كذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلمه الله، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك، ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر:٣]، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. صحيح البخاري (٤٠٤٣).

* وقال أسلم: بينا أنا مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يَعُسّ المدينةَ إذْ عيِيَ فاتَّكأ إلى جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول **لابنتها**: يا ابنتاه قُومي إلى ذلك اللَّبن فامذُقيه بالماء، فقالت لها: يا أُماه أو ماعلمتِ ما كان من عزْمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عَزمته يا بنيّة؟ قالت: إِنّه أمر مناديه فنادَى: أن لا يُشابَ اللَّبن بالماءِ. فقالت لها: يا بنيَة قُومي إلى ذلك اللّبن فامذُقيه بالماءِ، فإنّك بموضعٍ لا يراكِ عُمر ولا مُنادِي عمر، فقالت الصبية لأمها: يا أمَّاه والله ما

كنتُ لأطيعه في الملأ وأعْصِيه في الخلاءِ. صفة الصفوة ٤/ ٥٩٣.

* ومرّ عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالصبيان وفيهم **عبد الله بن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣)، ففرّوا ووقف، فقال له عمر: ما لك لم تَفِرّ مع أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لم أَجْرِم فأخافَك، ولم يكن بالطريق ضِيقٌ فأُوسعَ لك. عيون الأخبار ٢ / ٥٩٥.

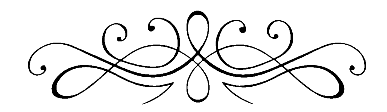
* وعن أيوب، عن أبي قلابة، عن **عمرو بن سلمة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٥) قال[1]: قال لي أبو قلابة: ألا تلقاه فتسأله؟ قال فلقيته فسألته فقال: كنا بماء ممر الناس، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم: ما للناس، ما للناس؟ ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله، أوحى إليه. أو: أوحى الله بكذا، فكنت أحفظ ذلك الكلام، وكأنما يقر في صدري، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح، بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقا، فقال: (صلوا كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآنا). فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني، لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم، وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت علي بردة، كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنا است قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصا، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص. صحيح البخاري (٤٠٥١).

* وقدم **إياس بن معاوية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٢) الشام وهو غلام فقدّم خصما له إلى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخًا كبيرًا، فقال له القاضي: أتقدّم شيخًا كبيرًا؟ فقال له إياس: الحق أكبر منه، قال: اسكت، قال: فمن ينطق

(١) القائل: هو أيوب.

بحجتي؟ قال: ما أظنك تقول حقًّا حتى تقوم، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر، فقال: اقضِ حاجتَه وأخرجه من الشام لا يفسدْ عليَّ الناس. عيون الأخبار ١١٢/ ١.

* وقدم وفد على عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العراق، فنظر إلى **شاب** منهم يتحَوّز يريد الكلام، فقال عمر: كبِّروا، فقال الفتى: يا أمير المؤمنين إن الأمر ليس بالسن، ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسنّ منك، قال: صدقتَ فتكلّم. عيون الأخبار ٢٦٤ / ١.





الجهاد والتضحية في سبيل الله(١)

* كان النبي ﷺ يصلي يوما في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه (ت: ١٣) حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ، قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر:٢٨]. صحيح البخاري (٣٨٥٦).

* ووجّه عُمرُ رضي الله عنه جيشا إلى الروم، فأسروا **عبد الله بن حُذَافَة** رضي الله عنه (ت: ٣٣)، فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد، فقال: هل لك

---

(١) لابد للمؤمن أن يُجاهد في سبيل الله تعالى بلسانِه أو بمالِه أو ببدنِه، وأن يُضحي لإعلاء كلمة الله قدر ما يستطيع، وقد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فلا بد أن يبذل المؤمن من الجهد والعلم والعمل والمال ما يُقدمه مهرًا للجنة.
وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]: وَالحكمة من تنكير الجهاد: بيانُ أَنَّ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ قَلَّ أَوْ كَثُرَ: فإِنَّ تاركهُ لِأَجْلِ حُبِّ شيءٍ مِنْ تلك الْأَصْنافِ الثَّمانيةِ وتفْضِيلِها عليْهِ يَسْتَحِقُّ الْوعيدَ الَّذي في الْآية.
قال بعض المفسرين: هذه آية شديدة لا ترى أشدّ منها، كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عِقْد الدين، واضطراب حبل اليقين، فليُنْصف أوْرع الناس وأتقاهم من نفسه، هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينَه على الآباء، والأبناء، والإخوان، والعشائر، والمال، والمساكن، وجميع حظوظ الدنيا، ويتجرّد منها لأجله؟.
وقال آخر: هذهِ الْآيةُ تدُلُّ على أَنَّهُ إذا وقعَ التَّعارضُ بيْنَ مصْلحةٍ واحِدةٍ مِنْ مصالحِ الدِّين وبيْنَ جميعِ مصالح الدُّنْيا: وجَبَ على الْمُسْلمِ تَرْجيحُ الدِّينِ على الدُّنْيا.

أن تَتَنَصَّر وأعطيَكَ نصفَ ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تَملكُ، وجميع ملك العرب، ما رجعت عن دين محمد طرفةَ عين، قال: إذًا أقتلَك، قال: أنت وذاك، فأمر به فصُلِبَ، وقال للرُّمَاة: ارمُوهُ قريبًا من بدَنِهِ، وهو يَعرِضُ عليه، ويأبى، فأنزله، ودعا بقدْر، فصب فيها ماء حتى احترقت، ودعا بأسيرَيْن من المسلمين، فأمر بأحدهما، فأُلقي فيها، وهو يَعرِضُ عليه النصرانية، وهو يأبى، ثم بكى، فقيل للملك: إنَّهُ بكى، فظنَّ أنَّه قد جزع، فقال: رُدُّوه، ما أبكاك؟ قال: قلت: هي نفس واحدَةٌ تُلقى الساعةَ فتَذهبُ، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفسٌ تُلقى في النار في الله، فقال له الطاغية: هل لك أن تقبِّل رأسي وأخلِّي عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم، فقبَّلَ رأسَه، وقدم بالأُسارى على عُمر، فأخبرَه خبره، فقال عمر: حقٌّ على كل مسلم أن يقبّل رأسَ ابن حُذافَةَ، وأنا أبدأ، فَقبَّل رأسَه. تهذيب السِّيَر ١/ ٢١١.

* وعن ابن عمر قال: فقدنا **جعفر بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨) يوم مؤتة فطلبناه في القتلى، فوجدنا به بين طعنة ورمية بضعًا وتسعين، ووجدنا ذلك فيما أقبل من جسده.

* وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد ابن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «**إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة**».

قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا **جعفر بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨)، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية. صحيح البخاري (٥/ ١٤٣).

* وعن جعفر بن عبد الله بن أسلم، قال: لما كان يوم اليمامة، واصطفّ

الناس كان أول من جُرح أبو عَقِيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١)، رُمي بسهم، فوقع بين منكبيه وفؤاده في غير مقتل، فأخرج السهم ووهَن له شقُّه الأيسر في أول النهار، وجُرّ إلى الرحل.

فلما حميَ القتال، وانهزم المسلمون، وجاوزوا رحالهم، وأبو عَقيل واهن من جرحه، سَمِع معن بن عدي يصيح: يا للأنصار! اللهَ اللهَ، والكرّة على عدوكم قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد: ما فيك قتال قال: قد نوَّه المنادي باسمي قال ابن عمر: فقلت له: إنما يقول: يا للأنصار، ولا يعني: الجرحى، قال أبو عقيل: أنا من الأنصار وأنا أجيبه، ولو حَبْوًا.

قال ابن عمر: فتحزَّم أبو عقيل، وأخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادي: يا للأنصار! كرّةً كيوم حُنين، فاجتمعوا رحمكم الله جميعًا، تقدّموا، حتى أقحموا عدوّهم الحديقة، فاختلطوا، واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عَقيل وقد قُطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت إلى الأرض، وبه من الجراح أربعة عشر جرحًا كلّها قد خلصت إلى مَقتل، وقتل عدو الله مسيلمة.

قال: فوقفت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق فقلت: يا أبا عقيل! قال: لبيك -بلسان ملتاث- لمن الدَبَرة؟ قلت: أبشر قد قتل عدو الله، فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله، ومات رَحِمَهُ اللَّهُ. صفة الصفوة ١/ ٢١٤.

* وقال **خالد بن الوليد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨): ما مِن ليلة يُهدى إليَّ فيها عروسٌ أنا لها مُحِبٌّ أَحبّ إِليَّ من ليلة شديدةِ البرد، كثيرةِ الجليد في سريَّةٍ أُصبّحُ فيها العَدُوَّ. تهذيب السِّيَر ١/ ١٧٩.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي

يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ». صحيح البخاري (٤٢٦٥).

* وقال قيس بن أَبي حازم: سمعت **خالد بن الوليد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: منعني الجهادُ كثيرًا مِن القراءة، ورأيته أتي بِسُمٍ، فقالُوا: ما هذا؟ قالوا: سُمٌّ، قال: باسم الله، وشربه.

قال الذهبي: هذه والله الكرامة، وهذه الشجاعةُ. تهذيب السِّيَر ١/ ١٧٩.

* ولَمَّا خرج أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أهل الردة كان **خالد بن الوليد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحمل لواءه، فلما تلاحق الناس به استعمل خالدًا، ورجع إلى المدينة وكان خالد يقول: ما أدري من أي يومي أفرّ؟ من يوم أراد الله عَزَّ وَجَلَّ أن يهدي لي فيه شهادة أو من يوم أراد الله عَزَّ وَجَلَّ أن يهدي لي فيه كرامة؟. صفة الصفوة ١/ ٣١٣.

* وعن أبي هريرة قال: بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرة رهط عينًا وأمر عليهم **عاصمًا بن ثابت الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤) جد عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدة، بين عسفان ومكة، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه قالوا: نوى يثرب، فاتبعوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه، لجؤوا إلى فدفد فأحاط بهم القوم، وقالوا لهم: انزلوا وأعطوا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق لا نقتل منكم أحدًا. فقال عاصم بن ثابت أمير القوم: أما أنا والله لا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا في سبعة، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم **خبيب الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزيد بن الدثنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة -يريد القتلى-، فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه، وانطلقوا

بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف خبيبًا، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها، فأعارته إياها، فدرج بني لها حتى أتاه قالت: وأنا غافلة فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك، قالت: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب في يده وإنه لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا، فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: دعوني أركع ركعتين، فتركوه ثم قال: والله لو لا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت، اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا ثم قال:

فلست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب أول من سنّ لكل مسلم قتل صبرًا الصلاة. صحيح البخاري (٣٧٦٧).

* وعن أنس أن **أبا طلحة الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤) قرأ سورة براءة فلما أتى على هذه الآية: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] قال: أرى ربنا عَزَّ وَجَلَّ يستنفرنا شيوخًا وشبانًا جهزوني أي بني، فقال بنوه: يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فنحن نغزو عنك، فأبى فجهزوه فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير فدفنوه فيها. الزهد لأحمد: ٤٢٩-٤٣٠.

* ولما صافَّ **قتيبةُ بنُ مسلم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) للترك، وهاله أمرُهم سأل عن محمد بن واسع، فقيل: هو ذاك في الميمنة جامح على قوسه يُبصبصُ بأصبعه نحوَ السماء قال: تلك الأصبعُ أحبُّ إليّ من مئة ألف سيف شهيرٍ وشاب طرير. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٣٨.

* وعن محمد بن إبراهيم بن أبي سُكَينة، قال: أملى عليَّ **ابنُ المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) سنة سبع وسبعين ومئة، وأنفذها معي إلى الفُضيل بن عياض من طرَسُوس:

يـا عَابـدَ الحَرميـن لَـوْ أبْصَرتَنَـا ... لَعَلِمْـتَ أنَّـكَ في العبَـادةِ تَلْعَـبُ

مَـن كانَ يَخضِـبُ جيـدَه بِدُمُوعِـه ... فنحورُنـا بدمائِنـا تتخضَّـبُ

أو كانَ يُتعِـبُ خيلـه في بَاَطـلٍ ... فَخُيولُنـا يَـومَ الصَّبيحَـةِ تَتعَـبُ

ريـحُ العَبيـرِ لكـم ونحـنُ عبيرُنـا ... رهـجُ السَّـنابِكِ والغُبـارُ الأطيـبُ

وَلَقَـد أتانـاَ مـن مَقَـالِ نَبيِّنـا ... قـولٌ صحيـحٌ صـادقٌ لا يُكـذَبُ

لا يَسـتوي وغُبَـارُ خيـل الله في ... أنـفِ امـرئ ودُخـانُ نـار تلهـبُ

هـذا كِتَـابُ الله ينطـقُ بَيننَـا ... ليـس الشـهيدُ بميـتٍ لا يُكـذَبُ

فلقيت الفُضيل بكتابه في الحرم، فقرأ وبكى، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٠.

* وقال **خالد بن معدان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): كانوا لا يفضلون على الرباط شيئًا. تهذيب الحِلْية ١٨٨/ ٢.

* ونظر **يونس بن عُبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩) عند موته إلى قدميه فبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت أنهما لم تغبرا في سبيل الله!. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٨.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعتمد السلطان **ألْب أرْسلان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٦) في

الوزارة على نظام الملك، وكان وزيرَ صدق، يُكرم العلماء والفقراء، ولما عصى الملك شهاب الدولة قُتُلْمش، وخرج عن الطاعة، وطمع في أخذ الملك من ألب أرسلان فجمع وحشد له ألب أرسلان، فقال له الوزير: أيها الملك، لا تخف؛ فإني قد استخدمت لك جندًا ليليًّا يدعون لك وينصرونك بالتوجه في صلواتهم وخلواتهم، وهم العلماء والصلحاء، فطابت نفسه بذلك، فحين التقى مع قُتلْمش لم ينتظره أن كسره، وقتل خلقًا من جنوده، وقُتل قتلْمش في المعركة، واجتمعت الكلمة على ألْب أرسلان. البداية والنهاية ١٢/ ١٦٢- ١٦٣.

* وقال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَخْبرنِي حَاجِب من الْحجاب الشاميين أَمِير من أمرائهم ذُو دين متين وَصدق لهجة مَعْرُوف فِي الدولة قَالَ: قَالَ لي الشَّيْخ **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) يَوْم اللِّقَاء وَنحن بمرج الصفر، وَقد تراءى الْجَمْعَانِ: يَا فلَان أوقفني موقف الْمَوْت! قَالَ: فسقته إِلَى مُقَابلَة الْعَدو وهم منحدرون كالسيل تلوح أسلحتهم من تَحت الْغُبَار المنعقد عَلَيْهِم.

ثمَّ قلت لَهُ: يَا سَيِّدي هَذَا موقف الْمَوْت وَهَذَا الْعَدو قد أقبل تَحت هَذِه الغبرة المنعقدة فدونك وَمَا تُرِيدُ.

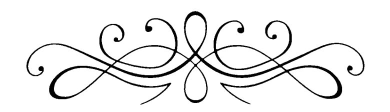
قَالَ: فَرفع طرفه إِلَى السَّمَاء وأشخص بَصَره وحرك شَفَتَيْه طَويلا، ثمَّ انْبَعَثَ وأقدم على الْقِتَال، وَأما أَنا فخيل إِلَيّ أَنه دَعَا عَلَيْهِم، وَأَن دعاءه اسْتُجِيبَ مِنْهُ فِي تِلْكَ السَّاعَة.

قَالَ: ثمَّ حَال الْقِتَال بَيْننَا والالتحام وَمَا عدت رَأَيْته حَتَّى فتح الله وَنصر وانحاز التتار إِلَى جبل صَغِير عصموا نُفُوسهم بِهِ من سيوف الْمُسلمين تِلْكَ السَّاعَة وَكَانَ آخر النَّهَار.

قَالَ: وَإِذا أَنا بالشيخ وأخيه يصيحان بِأَعْلَى صوتيهما تحريضا على الْقِتَال

وتخويفا للنَّاس من الْفِرَار. العقود الدرية: ١٩٣- ١٩٤.

* ولما وَشَوْا به إلى السلطان الأعظم الملك الناصر وأحضره بين يديه، قال من جملة كلامه: إنَّني أُخبِرت أنَّك قد أطاعك الناس، وأنَّ في نفسك أخْذَ الملك»، فلم يكتَرِث به؛ بل قال له بنفسٍ مطمئنَّة، وقلب ثابت، وصوت عالٍ، سمِعَه كثيرٌ ممَّن حضر: أنا أفعل ذلك؟! والله إنَّ ملكك وملك المغل لا يساوي عندي فلسًا. الكواكب الدرية للإمام مرعي الكرمي، ص ٩٨ - ٩٩.





الدعوة إلى الله(١)

* عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أبا طلحة خطب **أم سليم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٤٠)، فقالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده خشبة نبتت من الأرض نَجَرَها حبشيُّ بني فلان؟ إنْ أنت أسلمت لم أُرِد منك من الصداق غيره.

قال: حتى أنظر في أمري، فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، قالت: يا أنس زوّج أبا طلحة. السنن الكبرى للنسائي (٥/ ١٧٩)، المستدرك للحاكم (٢/ ١٩٥) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

* وعن **الْحَسنِ البصريِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): أنَّهُ كان إذا تلَا هذهِ الآيةَ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣] قَالَ:

(١) **الدعاة إلى الله الصادقون نوعان:**

النوع الأول: من يُحفزه إلى الدعوة خوفُ الإثم من عدم نشرع العمل وتبليغِ الرسالة، والرغبةُ في الأجر والثواب المترتب على الدعوة.

النوع الثاني: من يُحفزه إلى الدعوة الغيرةُ على دين الله، والرغبةُ في نشر نور الله وشرعه ودينه، ويَؤزُّه حبّ الله تعالى إلى نشر دين محبوبه أزًّا، ويدفعه إلى دعوة الناس إلى ربهم ما ذاقه من لذة العلم وطعم الإيمان دفعًا، ومن ذاق ذلك فلا بدّ أنْ يُحركه ذلك إلى نشر ما ذاقه؛ لأنه يُحب للناس ما يُحبه لنفسه.

وكلّ الناس يُعَرِّف الآخرين بما يُحب ويُعَظِّم، ومَن أحبّ الله حبًّا عظيمًا مَلَك سويداء قلبه فلا يهنأ بعيشٍ إلا إذا عرَّف الناس بأحبِّ محبوب، وأعظم مطلوب، وأكرم مسؤول، وأجود مأمول. فما بين النوعين كما بين السماء والأرض، وكلاهما على خير.

هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته وقال: إنني من المسلمين لربه، هذا خليفة الله.

وكان إذا تلا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت:٣٠] قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة. الزهد لابن المبارك (١١٢٠).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أفاد أخًا في الله رفعه بها درجة. الزهد لوكيع (٣٣٠).

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما مرض **الشِّبْلِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٤) بعث إليه المقتدر طبيبًا نصرانيًّا، فقال له الطبيبُ: فلو علمتُ أن قطع بعض جسدي يشفيك لقطعتُه، فقال له: يشفيني قطع ما هو أيسر عليك من ذلك، فقال: وما هو؟ قال: قطع زنّارك، فقطعه وأسلم، فبلغ ذلك الخليفة فقال: بعثنا طبيبًا إلى عليل، فإذا هو عليلٌ إلى طبيب. البداية والنهاية ١١/ ٢٩٦.

* إنّ للشيخ **عبدالله بن جار الله آل جار الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ت: ١٤١٤) أثرًا كبيرا في مجال الدعوة إلى الله تعالى، فهو باذلٌ جهده من بدنه ووقته وراحته وماله، فكان كلّ أوقاته شاغلا لها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي النصح والتوجيه، وكان يتحيّن الفرصة في كلّ مناسبة ليرشد ويُنبّه ويعظ.

وكان يجعل مسجده وبيته ومدرسته وسوقه وحلَّه وسفره كلّه مجالا للدعوة إلى الله تعالى. علماء نجد (٤/ ٤٨).

* ولَمَّا عاد الشيخ **عبدالله بن محمد القرعاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٨٩) من الهند شرع في القراءة على شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم آل شيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فسمع في مجالس شيخه الجهل المطبق، والظلام الدامس في جنوب المملكة العربية السعودية، قال عن نفسه: «فاستخرت الله تعالى، واستشرت شيخي بالتوجه إلى

تلك المنطقة، فاستحسن ذلك وأوصاني بتقوى الله، ودعا لي وودَّعته، وحججت ذلك العام، وتوجّهت إلى صامطة».

فتوجّه الشيخ عبدالله إلى تلك البلدان الغارقة في الجهل.

وبفضل الله تعالى ورعايته، ثمّ عناية حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتوجيه وإرشاد صاحب السماحة محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونية صادقة من الشيخ عبدالله القرعاوي وإخلاص، فقد قام بدعوة إسلامية سلفية صحيحة في تلك الأمة الجاهلة، وفتح فيها المدارس، وأنشأ لديهم المجالس العلميّة، بتوصية من الملك عبدالعزيز، وبثّ فيهم العقيدة السلفية.

وهكذا فتح عام (١٣٦٠) خمسين مدرسة، وفي عام (١٣٦١) بلغت مائتي مدرسة، وفي عام (١٣٦٣) بلغت ثلاث مائة مدرسة، وفي عام (١٣٧٣) بلغت سبع مائة مدرسة، ثم إلى ألف وخمس مائة مدرسة، وهو جادٌّ في الإشراف والعمل التعليمي والإرشاد التوجيهي، هو ونخبة من أعيان الخريجين.

وزادت عدد المدارس حتى بلغت ألفين ومائتي مدرسة، يتعلّم فيها خمس مائة وسبعون ألف طالب، منهم عشرة آلاف طالبة، ويقوم على تعليمهم ثلاثة آلاف معلم ومعلمة.

ووالله إنني لا أعلم عملا صالحا يتقرب به الإنسان إلى ربه أولى من هذا العمل الذي قام به هذا المجاهد.[1] علماء نجد (٤/ ٣٠٩-٣١١).

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنّ الدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة الأنبياء، ولا يقوم بها بصدق وإخلاص إلا الخلّص من عباد الله، جعلنا الله منهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن أعظم ما عُبد الله به نصيحةُ خلقه، وبذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين، ولا نصيحة أعظم من النصيحة فيما بين العبد وبين ربه. مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١٥)

وقال العلامة عبدالله بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا نجد في القرآن آيات الدعوة أكثر بكثير من آيات=



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أ- أهمية وفضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعاقبة من تركه:

* قرأ **أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ﴾ [المائدة:١٠٥]، ثم قال: إن الناس يضعون هذه الآية على غير موضعها، ألا وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن القوم إذا رأَوُا الظالم فلم يأخذوا على يديه، والمنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقابه**». سنن أبي داود (٤٣٣٨) والترمذي (٢١٦٨)، وصححه الترمذي والألباني.

* وقال **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦): إن الرجل ليدخل المدخل الذي يجب عليه أن يتكلم فيه لله، فلا يتكلم، فلا يعود قلبه إلى ما كان أبدًا. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٣.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ

= الصوم والحج، واللذين هما ركنان من أركان الإسلام، فالحج ليس في القرآن إلا أربع آيات، ومثله الصوم، وأما الدعوة فالقرآن مملوء من أوله إلى آخره بآيات الدعوة، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر:٣]، ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩]، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ﴾ [يوسف:١٠٨]، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

إلى غير ذلك من الآيات التي لا تُحصى، كلُّها في الدعوة، مما يدل على عظمتها، وأن الدين لا يقوم إلا بالدعوة، بذكر محاسنِه وفضائله، وتنبيه الناس على كلّ ما يُخالفه، وأعظم ما يُخالفه هو الشرك بالله. [شرح كتاب التوحيد ١١٢

فيصير بها منافقا، وإني لأسمعها من أحدكم اليوم في المقعد الواحد أربع مرات، لتأمرن بالمعروف ولتنهوُنّ عن المنكر، ولتَحاضُّن[1] على الخير، أو ليُسْحتنكم[2] الله جميعا بعذاب، أو ليؤمرن عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم. مسند الإمام أحمد (٢٣٣١٢)، وحسّنه محققوه.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ من موعظة يعظ بها قومه، فيفترقون قد نفعهم الله عَزَّ وَجَلَّ بها.[3] صفة الصفوة ١/ ٣٠١.

* وعن **أبي بكرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال (ت: ٥٢): والله ما من نفس تخرج أحب إلي من نفسي هذه، ولا نفس هذا الذباب الطائر، ففزع القوم، فقالوا: لِمَ؟ فقال: إني أخشى أن أدرك زمانًا لا أستطيع أن آمر بمعروف، ولا أنهى عن منكر، وما خير يومئذ. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٠٦.

* وعن **علي بن الحسين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥) قال: التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كنابذ كتاب الله وراء ظهره، إلا أن يتقي تقاة، قيل: وما تقاته؟ قال: يخاف جبارًا عنيدًا أن يفرط عليه أو أن يطغى. الطبقات الكبرى (٥/ ١٦٥).

* وقال **أبو عبد الرحمن العُمريُّ** الزاهدُ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٤): إنَّ مِن غفلتك عن نفسك إعراضَك عن الله، بأن ترى ما يُسخطه فتجاوزَه، ولا تأمر ولا تنهى خوفًا من المخلوق، من ترك الأمر بالمعروف خوف المخلوقين نُزِعَتْ منه

---

(١) الحضض: الحث والتشجيع على فعل الخير.

(٢) يسحت: يهلك.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذه صدقة الأنبياء وورثتُهم العلماء؛ ولهذا كان الله وملائكته وحيتانُ البحر وطيرُ الهواء يُصَلُّون على معلم الناس الخير، كما أنَّ كاتِمَ العلم يلعنه الله ويلعنه اللاعنون. مجموع الفتاوى (١٤/ ٢١٢).

الهيبةُ، فلو أمر ولدَه لاستخفَّ به. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٥.

* وقال **الفضيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة. تهذيب الحِلْية ٢٠/ ٣.

* وقال **إسماعيل ابن علية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) في قول أبي بكر المزني: ما فاق أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أصحاب محمد ﷺ بصوم ولا صلاة، ولكن بشيء كان في قلبه، قال: الذي كان في قلبه الحبّ لله عَزَّوَجَلَّ والنصيحة في خلقه. جامع العلوم والحكم / ١٠٧.

* وعن **الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. ابن أبي الدنيا ٢١/ ٢.

* وعن **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) قال: كان يُقال: **إن الله لا يعذِّبُ** العامةِ بذنب الخاصة، ولكن إذا عُمل المنكر جهارًا استحقُّوا العقوبة كلُّهم. الزهد لابن المبارك (١٠٦٢)، ابن أبي الدنيا ٢/ ٣١٢.

* وقال الإمام **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): لو أن رجلًا أحسنَ الصلاة فأتمها وأحكمها، ثم نظر إلى مَن أساء في صلاته وضيَّعها وسَبَق الإمام فيها، فسَكَت عنه ولم يُعْلِمه فِي إساءته فِي صلاته ومُسابقته الإمام فيها، ولم يَنهه عَنْ ذلك ولم ينصحه: **شاركه فِي وزرها وعارها**، فالمحسن فِي صلاته شريكُ المسيء فِي إساءته؛ **إذا لم ينهه ولم ينصحه**، وجاء الحديث عَنْ بلال بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قَالَ: الخطيئة إذا خَفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا ظَهَرت فلم تُغيَّر ضرت العامَّة؛ لتركهم ما لزمهم وما وجب عليهم مِن التغيير والإنكار على مَن ظَهرت منه الخطيئة، وجاء عن النبي ﷺ أنه قَال: «**ويل للعالم من الجاهل حيث**

لا يُعْلِمه»، فلولا أن تعليم الجاهل واجب عَلَى العالم لازم وفريضة وليس بتطوع ما كان له الويل فِي السكوت عنه وفي ترك تعليمه، والله تعالى لا يُؤاخذ من ترك التطوع، **إنما يؤاخذ من ترك الفرائض**، فتعليم الجاهل فريضة، فلذلك كان له الويل فِي السكوت عنه وترك تعليمه. طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٣).

ب- آداب ونصائح للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر[١]:

* مرّ **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) على رجل قد أصاب ذنبًا، فكانوا يسبّونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليبٍ ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبّوا أخاكم، واحمدوا الله عَزَّوَجَلَّ الذي عافاكم.

قالوا: أفلا تبغضه؟.

قال: إنما أُبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي. الزهد لأبي داود (٢٣٢).

* وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ: قلت **لابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): آمر

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فلابد من العلم بالمعروف والمنكر، والتمييز بينهما، ولا بد من العلم بحال المأمور وحال المنهي، ومن الصَّلاح أن يأتي بالأمر والنهي على الصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود.

ولابد في ذلك من الرفق، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شَانَه**». وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الله رفيقٌ يحب الرفق في الأمر كله**»..

ولابد أيضًا أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى، فلابد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح. كما قال لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان:١٧].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فلابد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده. وإن كان كل من الثلاثة لا بد أن يكون مستصحبًا في هذه الأحوال.

وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه مرفوعًا: ذكره القاضي أبو يعلى في (المعتمد): (لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهًا فيما يأمر به، فقيهًا فيما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه). الاستقامة / ٤٦٤ - ٤٦٦.

السلطان بالمعروف وأنهاه عن المنكر؟ قال: إن خفت أن يقتلك فلا، قال: ثم عدت، فقال لي مثل ذلك، ثم عدت، فقال لي مثل ذلك، وقال: إن كنت لا بدّ فاعلًا ففيما بينك وبينه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٥، جامع العلوم والحكم / ١٠٨.

* وقال طاووس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أتى رجل **ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: ألا أقوم إلى هذا السلطان فآمره وأنهاه؟ قال: لا تكن له فتنة، قال: أفرأيت إن أمرني بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ؟ قال: ذلك الذي تريد، فكن حينئذٍ رجلًا.[1] ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٩، جامع العلوم والحكم / ١٠٨.

* وقال **عبد العزيز بن أبي رواد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٩) كان من كان قبلكم إذا رأى الرجل من أخيه شيئًا يأمره في رفق، فيؤجر في أمره ونهيه، وإن أحد هؤلاء يخرق بصاحبه فيستغضب أخاه ويهتك ستره.[2] جامع العلوم والحكم / ١٠٧-١٠٨.

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومع هذا فمتى خاف منهم على نفسه السيف أو السوط أو الحبس أو القيد أو النفي أو أخذ المال أو نحو ذلك من الأذى، سقط أمرهم ونهيهم، وقد نص الأئمّة على ذلك: منهم مالك وأحمد وإسحاق وغيرهم.
فإن خاف السبّ أو سماع الكلام السيئ لم يسقط عنه الإنكار بذلك. نصّ عليه الإمام أحمد، وإن احتمل الأذى وقوي عليه فهو أفضل، نصّ عليه أحمد أيضًا. جامع العلوم والحكم / ٤٢٧.

(٢) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كان الآمر بالمعروف جاهلا: فإن الشيطان يتلاعب به، وإنما كان إفساده في أمره أكثر من إصلاحه؛ لأنه ربما نهى عن شيء جائز بالإجماع، وربما أنكر ما تأوّل فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب، وربما كسر الباب وتسور الحيطان، وضرب أهل المنكر وقذفهم، فإن أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه.
وربما كشف ما قد أَمر الشرع بستره، وقد سُئل أحمد بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبور ومسكر فقال: إذا كان مغطى فلا تكسره، وقال في رواية أخرى: اكسره، وهذا محمول على أنه يكون مغطى بشيء خفيف يصفه فيتبين، والأُولى على أنه لا يتبين، وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال: ولا عليك! ما غاب عنك فلا تفتش، وربما رفع هذا الْمُنكِر أهلَ المنكر إلى من يظلمهم، وقد قال أحمد بن حنبل: إن علمت أن السلطان يقيم الحدود فارفع إليه. تلبيس إبليس: ١٦٦.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): المؤمن يستر ويعظ وينصح، والفاجر يهتك ويعير ويفشي.[1] تهذيب الحِلْية ١٤/ ٣.

* وقال **الفُضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما تأمر من يقبل منك، أرأيت إن لقيت سلطانًا أكنت تقول له: اتق الله، لو قلت هذا لأهلكتَ أهل بيتك ونفسك وجيرانك، ولكن احفظ نفسك وأخف مكانك. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٠٨.

* وعن محمد بن أبي عثمان قال: رأى **الفضيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجلًا يفقع أصابعه في صلاته فزبره ونهره، فقال له الرجل: يا هذا! ينبغي لمن قام لله عَزَّوَجَلَّ بأمر أن يكون ذليلًا، فبكى الفضيل، وقال له: صدقت. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٠.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): لا ينبغي أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، إلا من يصبر على الأذى. تهذيب الحِلْية ٩٠/ ٣.

* وقال **ابن شبرمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالجهاد، يجب على الواحد أن يصابر فيه الاثنين، ويحرم عليه الفرار منهما، ولا يجب عليه مصابرة أكثر من ذلك. جامع العلوم والحكم / ٤٢٧.

* وسُئل **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١١٠) عن الرجل يأمر والديه بالمعروف وينهاهما عن المنكر؟.

قال: يأمرهما إن قَبِلا، وإن كَرِها سكت عنهما. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٠٥.

* ومَرَّ **طلحة بن مصرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) على حجر بن وائل، وهو جالس على باب داره، فأصغى إليه، ثم مضى، فقال حجر: جزاك الله خيرا ودعا له، ثم قال: أتدرون ما قال؟ قال: رأيتك في الجمعة تلتفت، لا تفعل. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٠.

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرًّا حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبّخه. جامع العلوم والحكم / ١٠٧-١٠٨.

* وقيل **للإمام مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): إن من الناس من إن أمرتهم يطيعونني، ومنهم من إن أمرتهم أتأذى منهم، فكيف أصنع؟.

فقال: إن خفت وظَنَنْت أنهم لا يطيعونك فدع، وأنكر بقلبك، ولك في ذلك سعة.

ومن لم تخش منه فأمرهُ وانهه، وخاصة إذا أردت به الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإذا كنت كذلك لم تر إلا خيرًا، وبخاصة إذا كان فيك شيءٌ مِن لين.

ألا ترى قول الله تعالى لموسى وهارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ الآية [طه:٤٤].

فإذا قسوتَ في أمرك لم يُقبل منك، وتعرّضتَ لِمَا تكره، وخرجت من جملة أهل القرآن. ترتيب المدارك (١/ ١٨٠).

* وعن أبي عبد الله بن الربيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: دخلتُ على **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤١) بالبصرة، فقلت: يا أبا عبد الله، إني أكون مع هؤلاء المحتَسِبة فندخل على هؤلاء الخبيثين[1]، ونتسلّق على الحيطان؟.

قال: أليس لهم أبواب؟ قلت: بلى، ولكن ندخل عليهم لكيلا يفِرُّوا، فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا، وعابَ فِعالَنا.

فقال رجل: من أَدْخل ذا؟[2].

قلت: إنما دخلتُ إلى الطبيب لأخبره بدائي.

فانتفض سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال: إنما أَهلَكَنا أنَّا نحن سقْمى، ونُسَمَّى أطباء.[3].

ثم قال: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث:

---

(١) يعني: أصحاب المعاصي والفسق والمجون.

(٢) يعني: ابن الربيع، كأنه غضب عليه لغضب سفيان.

(٣) العلماء الربانيون أشد الناس تواضعا وهضما للنفس.

رفيقٌ بما يأمر رفيق بما يَنهى، عدلٌ بما يَأمر عدل بما ينهى، عالمٌ بما يأمر عالم بما يَنهى. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (٢٤).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

تعمَّدْني بنصحِكَ في انفرادي ... وَجَنِّبْني النصيحةَ في الجماعة

فإن النصحَ بين الناسِ نوعٌ ... من التوبيخِ لا أرضى استماعَه

وإن خالفتني وعصيتَ قولي ... فلا تجزعْ إذا لم تُعْطِ طاعه

ديوان الشافعي (١١٣).

* وسُئِل **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) عن رجل له جارٌ يعمل بالمنكر، لا يَقوى يُنكِر عليه، وضعيفٌ يعمل بالمنكر أيضًا يقوى يُنكر عليه، قال: نعم يُنكِر عليه. الآداب الشرعية ١/ ١٢٩.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الناس يحتاجون إلى مداراة، ورفق في الأمر بالمعروف، بلا غلظة، إلا رجلًا معلنًا بالفسق فإنه لا حرمة له. الجامع المنتخب/ ٦٨.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يتعرّض إلى السلطان؛ فإن سيفه مسلول.[1] جامع

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله: فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: «لا ما أقاموا الصلاة»، وقال: «من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يدا من طاعته».

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر، فطَلَب إزالته فتولَّد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومَنَعه من ذلك -مع قدرته عليه- خشية وقوع ما هو أعظم منه، من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وُجد سواء. =

العلوم والحكم / ٤٢٧.

* وقال أبو العباس: صلى بأبي عبد الله **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا جوين، فكان إذا سجد جمع ثوبه بيده اليسرى، وكنت بجنبه، فلما صلينا قال لي -وقد خفض من صوته-: قال النبي ﷺ: «إذا قام أحدكم في الصلاة فلا يكف شعرًا ولا ثوبًا»، فلما قمنا قال لي جوين: أيُّ شيء كان يقول لك؟ قلت: قال لي: كذا وكذا، وما أحسب المعنى إلا لك.[1] الآداب الشرعية ١/ ١٥٠.

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣): أين رائحة الإيمان منك وأنت لا يتغيّر وجهك، فضلًا عن أن تتكلم، ومخالفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واقعةٌ من كلّ مُعاشِرٍ ومُجاوِرٍ، فلا تزال معاصي الله عَزَّوَجَلَّ والكفر يزيد، وحريم الشرع يُنْتَهك، فلا إنْكارَ ولا مُنْكَر؟[2].

ولا مفارقةَ لمرتكب ذلك ولا هجران له؟.

= **فإنكار المنكر أربع درجات: الأولى:** أن يزول ويخلُفه ضده، **الثانية:** أن يقلّ وإن لم يزل بجملته، **الثالثة:** أن يخلُفه ما هو مثله، **الرابعة:** أن يخلفه ما هو شر منه، فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة.

فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج، كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة، إلا إذا نقَلْتَهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله..

وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية، فإن نقَلْتَهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيرا من أن تُفرِّغهم لما هو أعظم من ذلك، فكان ما هم فيه شاغلا لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها، وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر، فدعه وكتبه الأولى، وهذا باب واسع وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم. أعلام الموقعين ٢/ ١٤.

(١) انظر إلى هذا الأدب والرفق في النصيحة.

(٢) أي: لم تنكر ولا منكرا واحدا؟

وهذا غاية بَرْد القلب وسكون النفس، وما كان ذلك في قلبٍ قطُّ فيه شيءٌ من إيمان؛ لأنَّ الغيرة أقلُّ شواهد المحبة والاعتقاد. الآداب الشرعية ١/ ١١٠.

* وقال القاضي عياض: بلغني أنّ **أبا جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٢) كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سُكْناهم في مملكة بني عبيد، وبقاؤهم بين أظهرهم، وأنه كتب إليهم مرة بذلك، فأجابوه: اسكت، لا شيخ لك، أي: لأنَّ درسه كان وحده.

ولم يتفقه في أكثر علمه عند إمام مشهور، وإنما وصل إلى ما وصل بإدراكه، ويشيرون أنه لو كان له شيخٌ يفقهه حقيقة الفقه لعلم أن بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيتٌ لهم على الإسلام، وبقيَّةٌ صالحةٌ للإيمان، وأنهم لو خرج العلماء عن إفريقية لتشرّق[1] من بقي فيها من العامة آلاف الآلاف، فرجحوا خير الشرين، والله أعلم.[2] ترتيب المدارك (٤/ ١٧٥).

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠) لبعض من يأمر بالمعروف: اجتهد أن تستر العصاة؛ فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٧).

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): الصَّدعُ بالحق عظيم، يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمُخلِص بلا قوة يعجِزُ عن القيام به، والقويُّ بلا إخلاص يُخْذَلُ، فمن قام بهما كاملًا، فهو صِدِّيق، ومن ضَعُفَ فلا أقلَّ مِن التألم والإنكار بالقلب، ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٣١.

---

(١) أي: دخلوا في دين الرافضة.

(٢) وهذا هو الفقه والنظر الصحيح.

ج- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان مقصرا[1]:

* قال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): لو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه، ويكمل الذي خلق له من عبادة ربه: إذن لتواكل الناس الخير، وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقل الواعظون والساعون لله عَزَّوَجَلَّ بالنصيحة في الأرض. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٢٢.

د- وجوب الأمر بالمعروف وإن لم يعمل بكل ما يقول:

* عن **أبي الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إني لآمركم بالأمر وما أفعله، ولكن لعلَّ الله يأجُرُني فيه. تهذيب السِّيَر ١/ ٢٧١.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إني آمركم بأشياء لا يبلغها عملي، ولكني إذا نهيتكم عن شيء ثم خالفتكم إليه فأنا يومئذ كذاب. تهذيب الحِلْية /٤٢٨.

هـ- قصص ووقائع:

* عن عمرو بن مهاجر قال: قال لي **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): إذا رأيتني قد ملتُ عن الحق، فضع يدك في تلبابي، ثم هزَّني، ثم قل: يا عمر ما تصنع؟. صفة الصفوة ٢/ ٤٦٧.

* وقال شجاع بن الوليد: كنت أحجُّ مع **سُفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١)، فما يكادُ لسانهُ يفترُ من الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، ذاهبًا وراجعًا. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٩٦.

---

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد لبَّس إبليس على بعض المتعبدين، فيرى منكرا فلا ينكره ويقول: إنما يأمر وينهى من قد صلح وأنا لست بصالح، فكيف آمر غيري؟ وهذا غلط؛ لأنه يجب عليه أن يأمر وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه، إلا أنه متى أنكر متنزِّها عن المنكر أثَّر إنكاره، وإذا لم يكن متنزَّها لم يكد يعْمل إنكاره، فينبغي للمنكِر أن يُنزِّه نفسه ليؤثِّر إنكاره. تلبيس إبليس: ١٦٧.

* وكان **صلة بن أشيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٠) يخرج إلى الجبانة فيتعبد فيها، فكان يمر على شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفرًا فحادوا النهار عن الطريق وناموا بالليل متى يقطعون سفرهم؟.

فكان كذلك يمر بهم ويعِظهم، فمر بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة، فانتبه شاب منهم فقال: يا قوم إنه لا يعني بهذا غيرنا، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام، ثم اتّبع صلة فلم يزل يختلف معه إلى الجبانة فيتعبد معه حتى مات. الزهد لابن المبارك (٨٩٥)، تهذيب الحِلْية ٣٧٥/ ١ واللفظ له.

* وعن موسى بن إبراهيم قال: حضرت **معروفًا الكرخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٠) وعنده رجل يذكر رجلًا وجعل يغتابه، وجعل معروف يقول له: اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك. تهذيب الحِلْية ١٠٣/ ٣.

* وقال أبو بكر الجلاء: كان **النوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٩) إذا رأى منكرًا غيَّره، ولو كان فيه تَلَفُهُ، نزل يومًا، فرأى زورقًا فيه ثلاثون دنًّا، فقال للملاَّح: ما هذا؟ قال: ما يلزمك؟ فألحَّ عليه، فقال: أنت والله صوفيٌّ كثير الفضول، هذا خمر للمُعتضد، قال: أعطِني ذلك المِدْرى فاغتاظ وقال لأجيره: ناوِله حتى أبصرَ ما يصنع، فأخذه، ونزل فكسَّرها كلَّها غير دَنّ، فأُخِذَ وأدخلَ إلى المعتضد، فقال: مَن أنتَ ويلك؟ قال: محتسِب، قال: ومَن ولاَّك الحِسبَة؟ قال: الذي ولاَّك الإمامة يا أميرَ المؤمنين! فأطرق: وقال: ما حَمَلَك على فِعلك؟ قال: شفقة منِّي عليك! قال: كيف سَلِم هذا الدَّنّ؟ فذكر أنه كان يكسر الدنان ونفسُه مُخلِصَةٌ خاشِعةٌ، فلمَّا وصل إلى هذا الدَّنِّ أعجبَتْهُ نفسُه، فارتاب فيها، فتركه. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٣٤.

* ومرَّ **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) بشاب يقاوم امرأةً، فقال: يا بني، ما هذا جزاء نعمة الله عَزَّوَجَلَّ عليك!؟. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٩١.

* وكان **ابن جرير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٠) ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، مع عظيم ما يلحقه من الأذى، والشَّناعات، من جاهل، وحاسد، ومُلحد. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٩).

* وكان **جعفر بن الحسن المقرئ الفقيه الزاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠٥) مِن عِباد الله الصالحين، أمَّارًا بالمعروف، **قوالًا بالحق، ناهيًا عن المنكر**، لا تأخذه في الله تعالى لومة لائم، مهيبًا وقورًا، له حرمة عند الملوك والسلاطين، **ولا يتجاسر أحد أن يُقْدم عليه إذا أنكر مُنكرًا.**

وله المقامات المشهودة في ذلك، مداومًا للصيام والتهجد والقيام، له ختمات كثيرة جدًا، توفي في الصلاة ساجدًا. ذيل الطبقات (١/ ٢٥٥).

* **ولابْن وضاح الشَّهراباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٧٢) جزء في أن الإيمان يَزِيد وينقص، كتبه جوابًا عَن سؤال فيمن حلف بالطلاق عَلَى نفي ذَلِكَ، فأفتى بوقوع طلاقه، وبسط الْكَلام عَلَى المسألة، وقد أوذي بسبب ذَلِكَ، هُوَ والمحدث عبدالعزيز القُحَيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بغداد، فَإِنَّهُ وافق عَلَى هَذَا الجواب، وأُخرج الشيخ من المدرسة الَّتِي كَانَ مقيمًا بها، وأُخرج القُحَيطي من بغداد.

وبذلك تحقق قوة إيمانهما، وكونهما إِن شاء الله من خلفاء الرسل فِي وقتهما.[1] ذيل الطبقات (٤/ ١١٣).

و- فوائد أخرى:

* جاء رجلٌ إلى **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) فقال: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فقال: بل هلك من لم يعرفْ قلبُه المعروف،

---

(١) فكلّ من صدع بالحق بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يخف في الله لومة لائم، وأوذي فصبر: فهو دليل على تحقق الإيمان في قلبه، وأنه من خلفاء الرسل، الذي صدعوا بالحق وأوذوا بسبب ذلك.

وينكرْ قلبه المنكر.[1] المعجم الكبير للطبراني (٨٥٦٤)، وصححه الألباني في تخريج الطحاوية (٢٧٥).

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) قال: إن في الجنة كوىً إلى النار، فيطلّع أهل الجنة من تلك الكُوى إلى النار فيقولون: ما بال الأشقياء؟ وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم! فقالوا: إنا كنا نأمركم ولا نأتمر، وننهاكم ولا ننتهي. صفة الصفوة ٣/ ١٨٥.

* وقال **إِبْرَاهِيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥) لجماعة عنده: من تعدّون **الغريب** فِي زمانكم هذا؟.

فقال واحد منهم: الغريب من نأي عَنْ وطنه، وقال آخر: الغريب من فارق أحبابه، وقال كل واحدٍ منهم شيئًا.

فقال **إِبْرَاهِيم**: الغريب فِي زماننا رجلٌ صالح عاش بين قومٍ صالحين، إن أمر بالمعروف آزروه، وإن نهى عَنِ المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا مانوه[2]، ثم ماتوا وتركوه.[3] طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٧).

* وقال **معمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣): كان يقال: أنصح الناس إليك من خاف الله فيك. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٠.

* وكان **نصر بن زياد القاضي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٦) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقول: لولا هذا لم أتلبس لهم بعمل لكني إذا لم ألي القضاء لم أقدر عليه، وكان يُحيي الليل، ويصوم الاثنين، والخميس، والجمعة، ولا يرضى من

---

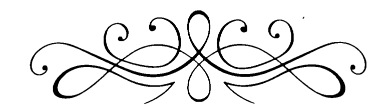
(١) يشير إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض، لا يسقط عن أحد؛ فمن لم يعرفه هلك، وأما الإنكار باللسان واليد فإنما يجب بحسب الطاقة. جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٤٥).

(٢) أي: قاموا بكفايته وحاجته.

(٣) صدق والله، وما أشدّ هذه الغربة على صاحبها.

العمال حتى يؤدوا حقوق الناس إليهم، فدخل عليه أحمد بن حرب يومًا فوعظه، وأشار في موعظته بأن يستعفي مما هو فيه، فقال: يا أبا عبد الله، ما يحملني على ما أنا فيه إلا نصرة الملهوفين، والقدرة على الانتصار للمظلومين من الظالمين، ولعل الله عَزَّوَجَلَّ قد عرف لي ذلك. المنتظم ٢٤٦-٢٤٧/ ١١.

* وقَالَ له مُحَمَّد بن بنْدَار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّه ليَشتَدّ عَليّ أَن أَقُول: فلَانٌ ضَعِيف وَفُلَانٌ كَذَّاب، فَقَالَ: **إِذا سكتَّ أَنْت وَسكتُّ أَنا؛ فَمَتَى يَعْرِف الْجَاهِلُ الصَّحِيحَ من السقيم؟** طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٩).





عبادة السلف

أ- الحث على العبادة والخشوع، وأقوالهم في ذلك[1]:

* قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ما دمتَ في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يفتح له. مصنف عبدالرزاق: (٤٧٣٥).

* وصلّى **عمار بن ياسر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٧) ركعتين، فقيل له: يا أبا اليقظان، لا أراك إلا قد خففتهما! قال: هل نقصت من حدودها شيئا؟ قال: لا، ولكن خففتهما، قال: إني بادرت بهما السهو.[2] مسند أحمد (١٨٨٧٩) وصححه محققوه، الزهد لابن المبارك (١٠٣١).

* وسمع **عامر بن عبد قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠) ما يذكرونه من أمر الضيعة في الصلاة، قال: أتجدونه؟ قالوا: نعم! قال: والله لأن تختلف الأسنة في جوفي أحب إليّ من أن يكون هذا مني في صلاتي. تهذيب الحِلْية ٣٠٣/ ١.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الذنوب إنما تقع إذا كانت النفس غير ممتثلة لما أمرت به، ومع امتثال المأمور لا تفعل المحظور، فإنهما ضدان قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ﴾ الآية [يوسف: ٢٤] وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فعباد اللّه المخلصون لا يغويهم الشيطان، والغي خلاف الرشد، وهو اتباع الهوى، فمن مالت نفسه إلى محرم؛ فليأت بعبادة اللّه كما أمر اللّه مخلصًا له الدين، فإن ذلك يصرف عنه السوء والفحشاء. مجموع الفتاوى١٠/ ٣١٤.

(٢) أحبّ الصلاة إلى الله طول القنوت، أي طول القيام فيها، ولكنّ كلّ أحد أعلم بحاله، فمن وجد أنه إذا أطال شرد ذهنه وجاءته الوساوس فالأفضل ألا يطيل، بل يخفف صلاته مع العناية الشديدة بالخشوع فيها.

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) في قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩]: ليس بهذا الأثر الذي في الوجه، ولكنه الخشوع. الزهد لوكيع (٣٢٧).

* وقيل **لسعيد بن المسيِّب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤): ما رأيتُ أحسنَ ما يصنع هؤلاء.

قال: وما يصنعون؟.

قال: يُصلِّي أحدُهم الظهر، ثم لا يزالُ صافًّا رجليه حتى يُصَلِّي العصر.

فقال: أما والله ما هِي بالعبادة[1]، إنَّما العبادة التفكُّر في أمر الله، والكفُّ عن محارم الله. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٨.

* وعن **مطرِّف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥) أنه كان يقول: يا إخْوتاه اجتهدوا في العمل، فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله، وعفوه كانت لنا درجات في الجنة، وإن يكن الأمر شديدًا كما نخاف ونحاذر لم نقل: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر:٣٧]. نقول: قد عملنا فلم ينفعنا ذلك. صفة الصفوة ٣/ ١٥٨.

* وقيل **لأبي مسلم الخولاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢) حين كَبِرَ ورقَّ: لو قصرتَ عن بعض ما تصنع، فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة ألستم تقولون لفارسها: دعْها وارفُق بها، حتى إذا رأيتم الغاية لم تَسْتَبْقُوا منها شيئًا؟ قالوا: بلى، قال: فإنِّي قد أبصرت الغاية، وإنَّ لكل ساعةٍ غايةً، وغايةُ كلّ ساعةٍ الموتُ، فسابقٌ ومسبوقٌ. صفة الصفوة ٤/ ٤٢٧.

* وقال **أحمد بن حرب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٤): عبدتُ الله خمسين سنة، فما وجدت حلاوةَ العبادة حتى تركتُ ثلاثة أشياء:

١- تركت رِضى الناس حتى قَدَرت أن أتكلم بالحق.

٢- وتركتُ صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبةَ الصالحين.

٣- وتركت حلاوةَ الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة.

تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٠٦.

---

(١) ما هِي بالعبادة التامّة التي يرتضيها الله.

ب- الصلاة وأهميتها وفضلها، وحالهم فيها(١):

---

(١) نُقل عن بعض السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ أنه يقوم الليل كلّه طاعة وصلاة، وبعضهم مرض من كثرة العبادة، وبعضهم يُصلي خمسمائة وبعضهم ستمائة ركعة في اليوم، وبعضهم يصلي الفجر بوضوء العشاء سنوات طويلة، ونحوها من العبادات التي تُدخل المشقة والكلفة على صاحبها، وقد أعرضتُ عنها، لأنّ كثيرًا مما نُقل لا يصح عنهم، ولأنه لا يُشرع الاقتداء بهم في هذا العمل؛ لأنه مُخالفٌ لما جاءت به الشريعة من ذمّ الغلوّ والتكلّف والعمل بما لا نُطيق، وفي هذا يقولُ العلامةُ الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: الدخول في عمل على نية الالتزام له، إن كان في المعتاد بحيث إذا داوم عليه أورث مللًا: ينبغي أن يعتقد أن هذا الالتزام مكروه ابتداءً، **إذ هو مؤد إلى أمور جميعها منهي عنه:**

أحدها: أن الله ورسوله أهدى في هذا الدين التسهيل والتيسير، وهذا الملتزم يشبه من لم يقبل هديته، وذلك يضاهي ردَّها على مهديها، وهو غير لائق بالمملوك مع سيده، فكيف يليق بالعبد مع ربه؟!.

والثاني: خوف التقصير أو العجز عن القيام بما هو أولى وآكد في الشرع.

والثالث: خوف كراهية النفس لذلك العمل الملتَزَم.

وكراهية العمل مظنة للترك الذي هو مكروه لمن ألزم نفسه، لأجل نقض العهد.

وهو الوجه الرابع.

والخامس: الخوف من الدخول تحت الغلو في الدين: فإن الغلو هو المبالغة في الأمر، ومجاوزة الحد فيه إلى حيز الإسراف، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[النساء:١٧١].

فتأملوا هذا المعنى! فهو الذي يجري عليه عمل السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بمقتضى الأدلة، وبه يرتفع إشكال التعارض الظاهر لبادي الرأي، حتى تنتظم الآيات والأحاديث وسِيَر من تقدم، والحمد لله.

غير أنه يبقى بعدها إشكالان.. الإشكال الأول:

أن ما تقدم من الأدلة على كراهية الالتزامات التي يشق دوامها معارض بما دل على خلافه، فقد «كان رسول الله ﷺ يقوم حتى تورمت قدماه».

فإن أبيتم هذا الدليل بسبب أنه ﷺ كان مخصوصًا بهذه القضية.. فما قولكم فيما ثبت من ذلك عن الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين العارفين بتلك الأدلة التي استدللتم بها على الكراهية؟ حتى أن بعضهم قعد من رجليه من كثرة التبتل، وصارت جبهة بعضهم كركبة البعير من كثرة السجود..

والجواب: أن ما تقدم من أدلة النهي صحيح صريح، **وما نقل عن الأولين يحتمل ثلاثة أوجه:**

أحدها: أن يُحمل على أنهم إنما عملوا على التوسط، الذي هو مظنة الدوام، فلم يلزموا أنفسهم بما لعله يدخل عليهم المشقة حتى يتركوا بسببه ما هو أولى، أو يتركوا العمل، أو يبغضوه لثقله=

* قال **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): إذا رأيتم الرجل يضيع الصلاة، فهو والله لغيرها من حق الله أشد تضييعًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٤٠.

* ودخل عليه المسْور بن مَخْرَمَة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلما أصبح أفزعوه، فقالوا: الصلاة، الصلاة، فقال: نعم، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، فخرج والجرح يثعب دمًا. موطأ الإمام مالك: (١٠١).

* وتزوج رجل امرأة **عبد الله بن رواحة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨) فقال لها: تدرين لم تزوجتك؟ لتخبريني عن صنيع عبد الله بن رواحة في بيته، قالت: كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين، وإذا دخل بيته صلى ركعتين، لا يدع ذلك أبدا.[١] السِّيَر (٢/ ٩١).

* وقَالَ **عَبْدُ اللهِ بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): من سرَّه أن يلقى الله غدا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهنّ؛ فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سُنن الهدى، وإنهن من سُنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما مِن رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعْمِد[٢] إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له

=على أنفسهم، بل التزموا ما كان على النفوس سهلًا في حقهم، فإنما طلبوا اليسر لا العسر.
والثاني: يحتمل أن يكونوا عملوا على المبالغة فيما استطاعوا، لكن لا على جهة الالتزام، لا بنذر ولا غيره، وقد يدخل الإنسان في أعمال يشق الدوام عليها ولا يشق في الحال، فيغتنم نشاطه في حالة خاصة، غير ناظر فيها فيما يأتي، ويكون جاريًا فيه على أصل رفع الحرج، حتى إذا لم يستطعه تركه ولا حرج عليه، لأن المندوب لا حرج في تركه في الجملة.
والثالث: أن دخول المشقة وعدمه على المكلف في الدوام أو غيره ليس أمرًا منضبطًا، بل هو إضافي مختلف بحسب اختلاف الناس في قوة أجسامهم، أو في قوة عزائمهم، أو في قوة يقينهم، أو نحو ذلك من أوصاف أجسامهم أو أنفاسهم، فقد يختلف العمل الواحد بالنسبة إلى رجلين، لأن أحدهما أقوى جسمًا، أو أقوى عزيمة أو يقينًا بالموعد، والمشقة قد تضعف بالنسبة إلى قوة هذه الأمور وأشباهها، وتقوى مع ضعفها.. الاعتصام: ٢٤٨-٢٦٠.

(١) صحح سنده الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الإصابة: ٦ / ٧٨ - ٧٩

(٢) أي: يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما.

بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين[1] حتى يقام في الصف». صحيح مسلم (٦٥٤).

* وقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: المصلي يقرع بابه، ومن يدم قرع باب الملك يوشك أن يفتح له. الزهد لأبي داود (١٤٧).

* وقال عمرو بن دينار: رأيت **عبد الله بن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) يصلي في الحِجْر خافضًا بصرَه، فجاءه حَجر قدّامه فذهب ببعض ثوبه فما انفتل. الزهد لأبي داود (٣٢٤).

* وقال محمد بن المنكدر: لو رأيت **عبد الله بن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلي تحت ظل شجرة كأنه غصن من أغصانها، ويجيئه المنجنيق من هاهنا، فما يلتفت إليه. الزهد لأبي داود (٣٢٤).

* وقال ثابت: كنت أمر **بعبد الله بن الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يصلي خلف المقام كأنه خشبة منصوبة، أو حجر منصوب لا يتحرك. الزهد لأبي داود (٣٢٥).

* وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسجد حتى تنزل العصافير على ظهره لا تحسبه إلا جذم حائط. الزهد لأحمد: ٣٥٨.

* وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا قام إلى الصلاة كأنَّه عُود، وحدَّث أنَّ **أبا بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان كذلك. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٩.

* وعن **عدي بن حاتم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٠) قال: ما دَخَل وقتُ صلاةٍ قطّ حتى أشتاق إليها. الزهد لابن المبارك (١٠٣٢).

* وعن **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) قال: «إذا كان الرجل بأرض قِيٍّ[2]

---

(١) أي: يقصد.

(٢) الأرض القِيُّ: هي الأرض القفر الخالية.

فتوضأ، وإن لم يجد الماء فتيمّم، ثم ينادي بالصلاة، ثم يقيمها، ثم يصليها، إلا أمّ من جنود الله عَزَّوَجَلَّ صفًّا ما يَرى طرفاه، يركعون بركوعه، ويسجدون بسجوده، ويؤمّنون على دعائه». الزهد لابن المبارك (٣٢٥)، وصحّحه البيهقي في السنن الكبرى (١٩٢٨).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والذي نفسي بيده، إنّ الحسنات اللاتي يمحو الله بهن السيئات كما يَغسل الماءُ الدَّرن: الصلوات الخمس. الزهد لابن المبارك (٨٥٤).

* وقال **عطاء الخراساني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠): «ما من عبد يسجد سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له بها يوم القيامة، وبكت عليه يوم يموت». الزهد لابن المبارك (٣٢٤).

* وقال **مسروق** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٣): ما من الدنيا شيء آسى عليه إلا السجود لله عَزَّوَجَلَّ. الزهد لأحمد: ٥٧٩.

* وقال عطاء بن السائب: رأيت مُصلَّى **مُرَّة بن شراحيل الهمدانيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٥) مثل مبركِ البعير.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٨): ما كان هذا الوليُّ يكاد يتفرغ لنشر العِلم، ولهذا لم تكثر روايتُه، وهل يُراد من العلم إلا ثَمرتُه. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٤٧.

* وقال **إبراهيم النخعي** (ت: ٩٦) **ووكيع بن الجراح** (ت ١٩٧) رَحِمَهُمَا اللَّهُ: إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسلْ يدك منه. صفة الصفوة ٣/ ٦٠، تهذيب الحِلْية ١٠٧/ ٣.

* وعَنْ **إبْرَاهِيمَ النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كَانُوا إِذَا أَتَوْا الرَّجُلَ لِيَأْخُذُوا عَنْهُ نَظَرُوا إِلَى صَلَاتِهِ وَإِلَى سَمْتِهِ وَإِلَى هَيْئَتِهِ ثُمَّ يَأْخُذُونَ عَنْهُ. مسند الدارمي (٤٣٥).

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قال: كنا نأتي الرجل لنأخذ عنه، فننظر إذا صلى، فإن أحسنها جلسنا إليه، وقلنا: هو لغيرها أحسن، وإن أساءها قمنا عنه، وقلنا: هو لغيرها أسوأ. مسند الدارمي (٤٣٧).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنتُ أرحَلُ إلى الرجل مسيرَة أيامٍ لأسمع منهُ، فأتفقَّد صَلاتَه، فإن وجَدتُه يُحسِنها، أقمتُ عليه، وإنْ أجِدْهُ يُضيِّعُها، رحلت ولم أسمع منه، وقلتُ: هو لِما سواها أضْيَع. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٧٩.

* وقيل **لعامر بن عبد قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠): أتحدِّث نفسك في الصلاة؟ قال: أحدِّثُها بالوقوف بين يدي الله، ومنصرفي. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٣٣.

* وكان **عليّ بن عبد الله بن عباس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) يسجد كل يوم ألف سجدة.[1] الزهد لأبي داود (٣٦٣).

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: يابن آدم وماذا يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك؟. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٤١.

* وعن هشام بن عروة أن أباه **عروة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) كان إذا دخل على أحد من أهل الدنيا فيرى من دنياهم ما يرى رجع إلى منزله فقرأ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٣١-١٣٢]، ويقول: الصلاة الصلاة. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٤٥.

* وكان **سَعيدُ بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٦) إذا فاتَتْه صلاةُ الجماعة بكى. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٢٣.

---

(١) يعني: يصلي كل يوم مائتين وخمسين ركعة.
ولذلك سمّي بالسجاد لكثرة سجوده وصلاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* وقيل له: ما هذا البكاءُ الذي يعرض لك في الصلاة؟ فقال: ما قمتُ إلى صلاة إلا مَثُلَتْ لي جهنمُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٢٣.

* وكان **علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) إذا توضأ يصفرّ، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٦.

* وقال **بكر بن عبد الله المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦): مَن مثلك يابن آدم؟ خلّي بينك وبين المحراب والماء؟ كلما شئت دخلتَ على الله عَزَّوَجَلَّ ليس بينك وبينه ترجمان. صفة الصفوة ٣/ ١٧٦.

* وعن **أبي عبد الرحمن السلمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤) أنه كان يأمرهم أن يحملوه في الطين والمطر إلى المسجد وهو مريض.

ودخلوا عليه وهو يقضي -أي ينزع- في المسجد، فقالوا له: لو تحولت إلى الفراش فإنه أوثر؟ قال: حدثني فلان أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة**». الزهد لابن المبارك (٤٠٠-٤٠١).

* وقال ابنُ أخي **بشر بن منصور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٠): ما رأيت عمي فاتَتهُ التكبيرةُ الأُولى. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٤.

* وقال وكيع: كان **الأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨) قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه قريبًا من سنتين فما رأيته يقضي ركعة. المنتظم ٨/ ١١٣.

* وعن **سعيد بن المُسيِّب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) قال: ما فاتَتْني الصلاةُ في جماعة منذ أربعين سنة. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أذَّن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة. تهذيب الحِلْية ٣٤٣/ ١.

* واشتكى عينه فقالوا له: لو خرجت إلى العقيق فنظرتَ إلى الخُضرة، لوجدت لذلك خِفَّةً، قال: فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٨.

* وكان بعض السلف إذا صلى كأنه يخاطب رجلًا من إقباله على صلاته.[1] مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٢٠٥).

* وعن **عمرو بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٦) قال: كان يقال: الصلاة رأس العبادة. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٤٩.

* وكان **أبو بكر بن عبد الرحمن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) يأمر مولاه يقوده إلى المسجد -وقد كان كُفَّ بصره- فيقوم فيصلي لنفسه فيقرأ بالبقرة. الزهد لأبي داود (٣٥٣).

* وكان الإمام **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩) يطيل الركوع والسجود في ورده، وإذا وقف في الصلاة كأنه خشبة يابسة لا يتحرك منه شيء.

فلما ضرب قيل له: لو خفّفت في هذا قليلًا، فقال: ما ينبغي لأحد أن يعمل لله عملًا إلا حسَّنه، والله تعالى يقول: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧]. ترتيب المدارك (١/ ١٧٠).

* وقال الإمام **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): تخوفتُ أن يكون هذا الزمان لو صليتُ فِي مائة مسجد ما رأيتُ أهل مسجدٍ واحد يُقيمون الصلاة عَلَى

---

(١) وحقيقة المصلي أنه يُخاطب الله تعالى بتلاوة كلامه، وتسبيحه وتكبيره وحمده ودعائه، فينبغي له أنْ يوقن أنّه يُخاطب ربه الذي يراه ويسمعه، فلا يأتي بها ساردا لها بلا روح ولا حماس ولا نشاط.

ما جاء عَنِ النَّبِيّ ﷺ وعن أصحابه رحمة الله عليهم، فاتقوا الله، وانظروا فِي صلاتكم وصلاةِ من يُصلّي معكم. طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٢).

* وسُئِل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنِ الرجل يسمع النفير[١] وتقام الصلاة؟.

قَالَ: يصلي ويخفف.

قَالَ له الرجل: يُخفف الركوع والسجود؟.

قَالَ: لا، ولكن يقرأ سورًا صغارًا، ويتم الركوع والسجود.[٢] طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٢).

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن حظَّك من الإسلام وقَدرَ الإسلام عندك بقدرِ حَظِّك من الصلاة وقَدرها عندك، واحذر أن تلقى الله عَزَّوَجَلَّ ولا قَدرَ للإسلام عندك؛ **فإن قَدرَ الإسلام فِي قلبك كقَدرِ الصلاة فِي قلبك**. طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٥).

* وقال أبو بكر بن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **عاصم بن أبي النجود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٨) إذا صلى ينتصب كأنه عود، وكان يكون يوم الجمعة في المسجد إلى العصر.

وكان عابدًا خيِّرًا، يصلي أبدًا [٣]، ربما أتى حاجة فإذا رأى مسجدًا قال: مِلْ بنا؛ فإنَّ حاجتنا لا تفوت، ثم يَدخل فيصلي.

ودخلتُ على عاصم، وهو في الموت فقرأ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأنعام:٦٢]. معرفة القراء (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

---

(١) أي: نفير ومنادي الجهاد.

(٢) وإذا كان الإمام أحمد لم يرخص لمن سمع النفير بتخفيف الركوع والسجود فكيف بمن يخففهما في حال السّعة والرخاء، وينقرهما على عجل؟

(٣) أي: يديم الصلاة ويُكثر منها.

وفي الأصل: أبدا يصلي، والتصويب من السِّيَر ٥/ ٢٥٩

* وقال **ابن العربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٤٣): صليت المغرب ليلة، ومعنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي الزاهد، فلما سلمنا تمارى رجلان كانا عن يمين أبي عبد الله المغربي وجعل أحدهما يقول للآخر: أسأت صلاتك، ونقَرت نقر الغراب والآخر يقول له: كذبت بل أحسنت وأجملت فقال المعترض لأبي عبد الله الزاهد: ألم يكن إلى جانبك فكيف رأيته يصلي؟

قال أبو عبد الله: لا علم لي به، كنت مشتغلا بنفسي وصلاتي عن الناس وصلاتهم. فخجل الرجل وأُعجب الحاضرون بالقول.

وصدق شيخنا أبو عبد الله الزاهد؛ لو كان لصلاته قدر أو له بها شغل وإقبال بالكلية لما علم من عن يمينه أو عن يساره فضلا عن معرفته كيفية صلاته، وإلا فأحد الرجلين أساء صلاته في حذف صفاتها، واختصار أركانها، وهذا أساء صلاته في الاشتغال بصلاة هذا، حتى ذهب حفظ صلاته وخشوعها. أحكام القرآن ٢٣٦/٣

* وكان **أبو القاسم الجنيد بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧) كثير الصلاة، ثم رأيناه في وقت موته وتقدم إليه الوسادة، فيسجد عليها، فقيل له: ألا روحت عن نفسك؟ فقال: «طريق وصلت به إلى الله عَزَّوَجَلَّ لا أقطعه». الزهد الكبير للبيهقي (٢٩٣).

* وجَاءَتِ امْرَأَةٌ يَوْمًا إِلَى **سَرِيٍّ السّقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١) فَقَالَتْ: إن ابني قد أخذه الحرس، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَبْعَثَ إِلَى صَاحِبِ الشُّرْطَةِ لئلا يضرب، فقام فصلى فطول الصلاة، وجعلت الْمَرْأَةُ تَحْتَرِقُ فِي نَفْسِهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَتِ الْمَرْأَةُ: اللهَ اللهَ فِي وَلَدِي.

فقال لها: إني إنما كنت في حاجتك.

فما قام من مجلسه الذي صلى فيه حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى تِلْكَ الْمَرْأَةِ فَقَالَتْ لها: أبشري، فقد أُطلق ولدك، وها هو في المنزل.[1] البداية والنهاية ١١/ ٨٠.

* وقال البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨): أما تعبُّده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فإنه قلَّ أن سُمِع بمثله؛ لأنه كان قد قطع جل وقته وزمانه فيه، حتى إنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله -تعالى- ما يراد له، لا من أهل ولا من مال.

وكان في ليله متفردًا عن الناس كلهم، خاليًا بربه عَزَّوَجَلَّ ضارعًا، مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم، مكررًا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية، وكان إذا ذهب الليل وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر، يأتي بسنتها قبل إتيانه إليهم، وكان إذا أحرم بالصلاة تكاد تتخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام، فإذا دخل في الصلاة ترتعدُ أعضاؤه حتى يميله يمنة ويسرة، وكان إذا قرأ يمد قراءته مدًّا كما صح في قراءة رسول الله ﷺ، وكان ركوعه وسجوده وانتصابه عنهما من أكمل ما ورد في صلاة الفرض.

فَإِذا فرغ من الصَّلَاة أثنى على الله عَزَّوَجَلَّ هُوَ وَمن حضر بِمَا ورد.. ثمَّ يَدْعُو الله تَعَالَى لَهُ وَلَهُم وللمسلمين.

وَكَانَ غَالب دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ انصرنا وَلَا تنصر علينا، وامكر لنا وَلَا تَمْكُر علينا، واهدنا وَيسر الْهدى لنا، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لَك شاكرين، لَك ذاكرين، لَك أَوَّاهين، لَك مخبتين، إليك راغبين، إليك راهبين، لَك مطاويع، رَبنَا تقبل توباتنا، واغسل حوباتنا، وَثَبت حجَجنَا، واهد قُلُوبنَا، واسلل سخيمة صدورنا.

يفتتحه ويختمه بِالصَّلَاةِ على النَّبِي ﷺ، ثمَّ يشرع فِي الذّكر.

وَكَانَ قد عرفت عَادَته لَا يكلمهُ أَحَدٌ بِغَيْر ضَرُورَة بعد صَلَاة الْفجْر، فَلَا يزَال

(١) كان السلف الصالح يرون أنّ الصلاة من أعظم أسباب سعادتهم وقضاء حوائجهم وإجابة دعواتهم، فلذلك أقبلوا بقلوبهم فيها.

فِي الذّكر يُسْمِع نَفسه، وَرُبمَا يَسْمَع ذكرُه من إِلى جَانِبه، مَعَ كَونه فِي خلال ذَلِك يكثر من تقليب بَصَره نَحْو السَّمَاء، هَكَذَا دأبه حَتَّى ترْتَفع الشَّمْس وَيَزُول وَقت النَّهْي عَن الصَّلَاة.

وَكنت أسْمَع مَا يَتْلُو وَمَا يذكر، فرأيته يقْرَأ الْفَاتِحَة ويكررها، وَيقطع ذَلِك الْوَقْت كُله، أعني من الْفجْر إِلى ارْتِفَاع الشَّمْس فِي تكْرِير تلاوتها. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (٣٦-٣٨).

* وكان الشيخ **عبدالله بن جار الله آل جار الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤١٤) يُبكّر للصلاة ويُطيل الجلوس في المسجد، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يصوم مع ما به من أمراض، ويُصرّ على الصوم حتى إنه يتعب كثيرا من الصوم، ومع ذلك فهو صابر محتسب.

أما قيام الليل فهو من الأمور التي اتصف بها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، مع ما كان به من مرض، يقول ابنه محمد: «لقد اعتاد الوالد أن يقوم كلّ ليلة مبكّرًا لكي يُوتر في الثلث الأخير». علماء نجد (٤/ ٤٧).

ت- فضل قيام الليل وقصص المتهجّدين:

* كان **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلّي، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله، يقول لهم: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ١٣٢﴾ [طه:١٣٢]. الزهد لأبي داود (٩٤).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الشتاء غنيمة العابدين.[١] مصنف ابن أبي شيبة: (٣٤٤٦٨).

* وقام **عثمان بن عفان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) بعد العشاء فقرأ القرآن كلّه في ركعة، لم يصل قبلها ولا بعدها. الزهد لابن المبارك (١٠٠٧).

(١) لأنّ الليل فيه يكون أطول من النهار، والجو في النهار ليس حارًّا، والمؤمن يستغلّ هذه الفرصة والغنيمة العظيمة فيصوم نهاره ولو يوما في الأسبوع، ويقوم ليله ولو نصف ساعة.

* وعن ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ **تميمًا الداري** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) كان يقرأ القرآن في ركعة.

* قال: وقالت امرأة **عثمان** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) حين دخلوا عليه ليقتلوه: إنْ تقتلوه فإنه قد كان يحيي الليل كله بالقرآن في ركعة. الزهد لابن المبارك (١٠٠٩).

* وعن **عبد الله بن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣)، أنه كان إذا دخل الشتاء قال: يا أهل القرآن طال الليل لصلاتكم، وقصر النهار لصيامكم، فاغتنموا. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٢٣.

* وقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كان الرجل في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصّها على النبي ﷺ قال: وكنت غلامًا عزبًا، فكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان، وأرى فيها ناسًا قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر فقال لي: لن تُرعْ، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**»، قال سالم: فكان عبد الله بعد لا ينام من الليل إلا قليلًا. صحيح البخاري (١١٠٥).

* وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا فاتته صلاة العشاء في جماعة، أحيا بقية ليلته. تهذيب الحِلْية ٢١٧/ ١.

* وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يحيي الليل صلاةً، ثم يقول: يا نافع أَسْحَرْنا؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاة، ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول: نعم، فيقعد، ويستغفر، ويدعو حتى يصبح. المعجم الكبير للطبراني: (١٣٠٤٣).

* وعن **أُسَيْد بْن حُضَيْرٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠) أنه بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ[1]، إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى، فقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تطَأَ يَحْيَى، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي، إِذْ جَالَتْ فَرَسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟**»، قلت: لاَ، قَالَ: «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ**». صحيح البخاري (٥٠١٨)، صحيح مسلم (٧٩٦).

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية. مصنف عبدالرزاق: (٤٧٣٥).

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بحسب الرجل من الخيبة أن يبيت ليلته لا يذكر الله حتى يصبح، فيصبح وقد بال الشيطان في أذنه. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٢٨.

* **وقال عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): ركعةٌ بالليل خيرٌ من عشرين بالنهار. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٤٧.

* وعن أبي عثمان النهدي قال: تضيَّفت **أبا هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) سبعًا، فكان هو وامرأته وخادمه يتعقّبون الليل أثلاثًا، يصلي هذا، ثم يوقظ هذا، ويصلي هذا، ثم يوقظ هذا. صحيح البخاري (٥٤٤١).

* وعن عبد الله بن أبي مليكة قال: سافرت مع **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى المدينة، فكان يقوم شطر الليل. الزهد لأبي داود (٢٨٩).

---

(١) هو الموضع الذي يُيَبَّس فيه التمر.

* وقيل **لحسان بن أبي سنان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥١) في مرضه: كيف تجدك؟ قال: بخير إن نجوت من النار، قيل: فما تشتهي؟ قال: ليلةً بعيدةً ما بين الطرفين، أُحيي ما بين طرفيها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٧.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: قيام الليل شرف المؤمنين، وعزهم الاستغناء عما في أيدي الناس. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٤٨.

* وقال له رجل: يا أبا سعيد ما أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من الأعمال؟ قال: ما أعلم شيئًا يتقرب به المتقربون إلى الله أفضل من قيام العبد في جوف الليل إلى الصلاة. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٤٨.

* وقال الشاعر:

تَيقَّظْ مِن مَنامِكَ إنَّ خَيرًا … مِنَ النَّومِ التَّهجُّدُ بالقُرانِ

* وعن بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال كانت **امرأة** متعبدة باليمن، وكانت إذا أمست قالت: يا نفس الليلة ليلتك، لا ليلة لك غيرها، فاجتهدت، وإذا أصبحت قالت: يا نفس اليوم يومك لا يوم لك غيره، فاجتهدت. الزهد لوكيع (٩).

* وعن **عطاء الخرساني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٥) قال: كان يقال: قيام الليل محياة للبدن، ونور في القلب، وضياء في البصر، وقوة في الجوارح، وإن الرجل إذا قام من الليل متهجدًا: أصبح فرحًا يجد لذلك فرحًا في قلبه، وإذا غلبته عيناه فنام عن حزبه: أصبح حزينًا منكسر القلب كأنه قد فقد شيئًا، وقد فقد أعظم الأمور له نفعًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٤٩.

* وقال **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤): قيام الليل يشرف به الوضيع، ويعز به الذليل، وصيام النهار يقطع عن صاحبه الشهوات، وليس للمؤمن راحةٌ دون دخول الجنة. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٥٠.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: بطول التهجد تقر عيون العابدين، وبطول الظمأ تفرح قلوبهم عند لقاء الله. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٥٠.

* وعن **الضحاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥) قال: أدركت أقوامًا يستحيون من الله في سواد هذا الليل أن يناموا من طول الضجعة. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٥٩.

* وقال **الحسن بن صالح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٩): إني لأستحي من الله أن أنام تكلفًا حتى يكون النوم هو الذي يصرعني، وكان يقال له: حية الوادي. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٦٠.

* وعن **أبي إسحاق السبيعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٧) قال: ذهبت الصحة مني وضعفت ودق عظمي، وإني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا البقرة وآل عمران. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٦٦.

* وكان **منصور بن المعتمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢) إذا جاء الليل اتزر إزارًا إن كان صيفًا، وإن كان شتاءً التحف فوق ثيابه، ثم قام إلى محرابه فكأنه خشبة منصوبةٌ حتى يصبح. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧١.

* وعن أم سعيد بن علقمة النخعي قالت: كان بيننا وبين **داود الطائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) حائط قصير أسمع حسه عامة الليل لا يهدأ قالت: وربما سمعته يقول: هَمُّكَ عَطَّل عليَّ الهموم وخالف بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظر إليك أوبق مني الشهوات، وحال بيني وبين اللذات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب.

قالت: وربما ترنم بالآية، فأرى أن جميع نعيم الدنيا جمع في ترنمه. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٨٠.

* وكان **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقوم في شهر رمضان فيقرأ بهم الربع من القرآن، ثم ينصرف، فيقولون: قد خففت بنا الليلة. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٨٣.

* وقالت جارية ابنة لجار **منصور بن عمار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: يا أبه أين الخشبة التي كانت في سطح منصور؟ قال: يا بنية ذاك منصور كان يقوم الليل. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧٢.

* وقال ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قرأت في كتاب أبي جعفر الآدمي بخطه قال: كنت باليمن فإذا **رجل** معه ابنٌ له **شاب**، فقال: إنَّ هذا **أبي** وهو من خير الآباء، وقد يصنع شيئًا أخاف عليه منه، قلت: وأي شيء يصنع؟ قال: لي بقر تأتيني مساءً فأحلبها، ثم آتي أبي وهو في الصلاة فأحب أن يكون عيالي يشربون فضله، ولا أزال قائمًا عليه والإناء في يدي، وهو مقبل على صلاته، فعسى أن لا ينفتل ويقبل عليَّ حتى يطلع الفجر، قلت للشيخ: ما تقول؟ قال: صدق، وأثنى على ابنه، وقال لي: أخبرك بعذري، إذا دخلت في الصلاة، فاستفتحت القرآن ذهب بي مذاهب، وشغلني حتى ما أذكره حتى أصبح.

قال سلامة: فذكرت أمرهما لعبد الله بن مرزوق فقال: هذان يُدفع بهما عن أهل اليمن.

قال: وذكرت أمرهما لابن عيينة فقال: هذان يُدفع بهما عن أهل الدنيا. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٢٢.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: صلوا من الليل، ولو قدر حلب شاة. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٢٨.

* وكان **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) يقوم من الليل فيخفي نفسه، فإذا كان قبيل الصبح رفع صوته. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٣٨.

---

(١) قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الواعظ، البليغ، الصالح، الرباني، أبو السري السلمي، كان عديم النظير في الموعظة والتذكير.

لم أجد وفاة لمنصور، وكأنها في حدود المائتين. السِّيَر (٩/ ٩٣ - ٩٨).

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال (ت: ١١٨): كان يقال: قلما ساهرٌ بالليل منافق. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٤١-٣٤٢.

* وقال **سفيان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا يقومون أول الليل، وينامون آخره. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٩٥.

* وقال **عمر بن ذر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣): لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم ونظروا إلى أهل السَّآمة والغفلة قد سكنوا إلى فرشهم ورجعوا إلى ملاذهم من الضجعة والنوم: قاموا إلى الله فرحين مستبشرين مما قد وهب لهم من خير على السهر وطول التهجد، فاستقبلوا الليل بأبدانهم، وباشروا ظلمته بصفاح وجوههم، فانقضى عنهم الليل وما انقضت لذتهم من التلاوة، ولا ملت أبدانهم من طول العبادة، فأصبح الفريقان وقد ولى عنهم الليل بربحٍ وغبنٍ، أصبح هؤلاء قد ملوا النوم والراحة، وأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل للعبادة، شتان ما بين الفريقين، فأعملوا أنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده، فإنما المغبون من غبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، إنما جُعلا سبيلًا للمؤمنين إلى طاعة ربهم ووبالًا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم فأحيوا أنفسكم فيه فإنما تحيا القلوب بذكر الله تعالى، كم من قائم لله تعالى في هذا الليل وقد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طُول نومه عندما يرى من كرامة الله للعابدين غدًا، فاغتنموا من الساعات والليالي والأيام رحمكم الله. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٣.

* وقال **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩): والله ما رجل تخلى بأهله عروسًا، أقر ما كانت نفسه وآنس ما كان بأشد سرورًا منهم بمناجاته إذا خلوا به. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٣.

* وقال **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١):

إذا مـا الليـل أظلـم كابـدوه	**فيسـفر عنهـم وهـم ركـوع**
أطـار الخـوف نومهـم وقامـوا	**وأهـل الأمـن في الدنيـا هجوع**

ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٤.

* وعن **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) قال: لن يبرح المتهجدون من عرصة القيامة حتى يؤتوا بنجائب من اللؤلؤ قد نفخ فيها الروح فيقال لهم: انطلقوا إلى منازلكم من الجنة ركبانًا، قال: فيركبونها فتطير بهم متعالية، والناس ينظرون إليهم، يقول بعض لبعض: من هؤلاء الذين قد منَّ الله عليهم من بيننا؟ قال: فلا يزالون كذلك حتى ينتهي بهم إلى مساكنهم وأفنيتهم من الجنة. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٥.

* وعن سفيان، قال: كان **محمد بن جحادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) من العابدين وكان يقال: إنه لا ينام من الليل إلا أيسره قال: فرأت امرأة من جيرانه كأن حُللًا فرقت على أهل مسجدهم، فلما انتهى الذي يفرقها إلى محمد بن جحادة دعا بسفطٍ مختوم فأخرج منه حلة خضراء قالت: فلم يقم لها بصري فكساه إياه وقال: هذه لك بطول السهر، قالت تلك المرأة: فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فأتخايلها عليه، يعني الحلة. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٦.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: أدركت الجفاة وهم يقومون الليل. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١٩.

* وقال بعضهم: طول التهجد مهور الحور العين في الجنة. الجامع المنتخب/ ٦٩.

* وكان بعض السلف يحيي الليل بالصلاة ففتر عن ذلك، فأتاه آتٍ في منامه، فقال له: قد كنتَ يا فلان تدأب في الخطبة، فما الذي قصر بك عن ذلك؟ قال:

وما ذلك؟ قال: كنت تقوم من الليل، أو ما علمت أن المتهجِّد إذا قام إلى تهجده، قالت الملائكة: قد قام الخاطب إلى خطبته. الجامع المنتخب/ ٦٩.

* ورأى بعضهم في منامه امرأة لا تشبه نساء الدنيا، فقال لها: من أنتِ؟ قالت: حوراء أَمَةُ الله، فقال لها: زوِّجيني نفسكِ، قالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني، قال: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد. الجامع المنتخب/ ٦٩، ابن أبي الدنيا ١/ ٢٩٦.

* ونام بعض المتهجدين ذات ليلة، فرأى في منامه حوراء، تنشده:

أَتَخْطبُ مِثْلِي وعنِّي تَنَامُ ... ونَوْمُ المحبينَ عنّا حرامُ

لأَنَّا خُلِقْناَ لكلِّ امْرِيءٍ ... كثير الصَّلاة براهُ الصِّيامُ

الجامع المنتخب/ ٦٩.

* وكان لبعض السلف وِرْد من الليل فنام عنه ليلة، فرأى في منامه جارية كأنّ وجهها: القمرُ، ومعها رقّ فيه كتاب مكتوب، فقالت: أتقرأ؟ قال: نعم. فأعطته إياه، ففتحه فإذا فيه مكتوب:

أَلهَتْكَ اللَّذائِذُ والأماني ... عَنِ الفِرْدوْس والظُلَلِ الدَّواني

أتلهو بالكرَى عنْ طِيْب عَيْشٍ ... معَ الخَيرات في غُرَفِ الجِنانِ

تَعيشُ مخلدًا لا موتَ فيهَا ... وتنعم في الجنان مع الحسان

تيقَّظْ مِنْ مَنَامكَ إنَّ خيرًا ... مِنَ النَّومِ التَّهَجُّدُ بالقُرانِ

فاستيقظ قال: فوالله ما ذكرتها إلا ذهب عني النوم. الجامع المنتخب/ ٦٩، ابن أبي الدنيا ١/ ٢٩٥.

* وكان بعض الصالحين له وردٌ فنام عنه، فوقف عليه فتى في منامه، فقال له بصوت محزون:

تيَقَّظْ لِساعَاتٍ مِنَ الليْلِ يا فَتى | لَعَلّك تَحْظى في الجِنَان بحُورِهَا
فَتَنْعَمُ في دارٍ يدُومُ نعيمُها | مُحَمَّدُ فيها والجليلُ يزُورُها
فَقُمْ وتيقَّظْ ساعةً بعدَ ساعَةٍ | عَسَاكَ توفِّي ما بَقى مِنْ مُهورِها

الجامع المنتخب/ ٦٩.

* وكان بعض السلف الصالح كثير التهجد، فبكى شوقًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ ستين سنة، فرأى في منامه كأنه على ضفة نهر يجري بالمسك به شجرُ لؤلؤ ونبت من قضبان الذهب، فإذا بحورٍ مزيناتٍ يقلن بصوت واحد: سبحان المسبح بكل لسان سبحانه، فقال لهن: ما تصنعن هاهنا؟ فقلن:

ذَرَانا إلهُ الناس ربُّ مُحَمّدٍ | لِقَومٍ على الأقدام بالليل قُوَّمُ
يُنَاجُونَ ربَّ العَالَمينَ إلهَهُمْ | وتَسْري همومُ القوم والنَّاسُ نوَّمُ

فقال: بخ بخ لهؤلاء، من هم لقد أقر الله أعينهم بكنّ؟ فقلن: أوما تعرفهم؟! قال: لا، فقلن: بلى! هؤلاء المتهجدون، أصحاب القرآن والسهر. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٦-٣٠٧، الجامع المنتخب/ ٦٩.

* وكان بعض الصالحين ربما نام في تهجده فتوقظه الحوراء في منامه، فيستيقظ بإيقاظها.[1] الجامع المنتخب/ ٦٩.

* وكان **أبو عُبَيْد القاسم بن سلاّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤) يقسم الليل أثلاثًا فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويصنّف الكتب ثلثه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٨٧.

* وعن سُحنون الفقيه قال: كان **عبدالله بن وهب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧) قد قَسَمَ دهْرهُ أثلاثًا ثُلُثًا في الرِّبَاط، وثُلثًا يُعلِّم النَّاس بمصر، وثُلُثًا في الحجِّ، وذكر أنه حجَّ

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومما يُجزَى به المتهجِّد في الليل: كثرةُ الأزواج من الحور العِيْن في الجنة، فإن المتهجد قد ترك لذة النوم بالليل، ولذة التمتع بأزواجه طلبًا لما عند الله عَزَّوَجَلَّ، فعوّضه الله تعالى خيرًا مما تركه، وهو الحور العين في الجنة. الجامع المنتخب/ ٦٩.

ستًّا وثلاثين حجَّة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨١٩.

* وكان **عطاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من البقرة وهو قائم ما يزول منه شيء ولا يتحرك. الزهد لأحمد: ٦٢٥.

* وكان **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) بعد ما سقط شقُّه يُهادى بين رجلين إلى مسجد قومه، وكان أصحاب عبد الله يقولون له: يا أبا يزيد لقد رخَّص الله لك لو صليت في بيتك، فيقول: إنه كما تقولون، ولكني سمعته ينادي: «حيَّ على الفلاح» فمن سمع منكم، فليجِبه ولو زحفًا، ولو حبوًا. صفة الصفوة ٣/ ٤٢.

* وكان **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) إذا قام إلى الصلاة كأنه وَتَدٌ. صفة الصفوة ٣/ ٥٣.

* وقال ميمون بن جابان: ما رأيت **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) ملتفتًا في صلاته قطّ، خفيفةً ولا طويلة، لقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدّتها، وإنه لَفي المسجد في الصلاة فما التفَت. الزهد لابن المبارك (٩٢٠)، صفة الصفوة ٣/ ١٦٩.

* وقال عبد الجبار بن النضر السلمي: حدّثني رجل من آل محمد بن سيرين قال: رأيت **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ رفع رأسه من السجود في المسجد الجامع، فنظرتُ إلى موضع سجوده، كأنه قد صُبّ فيه الماء من كثرة دموعه. صفة الصفوة ٣/ ١٦٩.

* وقال **ثابت البناني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٣): كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعّمت بها عشرين سنة. صفة الصفوة ٣/ ١٨٦.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقوم الليل ويصوم النهار، وكان يقول: ما شيء أجده في قلبي ألذ عندي من قيام الليل. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧٧.

* وعن هشام قال: ما رأيت أحدًا قط أصبر على طول القيام والسهر من **ثابت البناني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، صحبناه مرةً إلى مكة، فكنا إن نزلنا ليلًا فهو قائم يصلي حتى يصبح، وإلا فمتى شئت أن تراه أو تحس به مستيقظًا ونحن نسير إما باكيًا وإما تاليًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧٧.

* وعن واصل بن سليم، قال: صحبت **عطاء بن السائب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) إلى مكة، فكان يختم القرآن في كل ليلتين. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٢٢.

* وعن **ابن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: كابدتُ نفسي أربعين سنةً حتى استقامت. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٠٧.

* وحبس الأسد الناس ليلة في طريق الحج، فدق الناس بعضهم بعضًا، فلما كان السحر ذهب عنهم، فنزل الناس يمينًا وشمالًا فألقوا أنفسهم فناموا، وقام **طاووس بْن كَيْسَانَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦) يصلي، فقال له ابنه: ألا تنام فقد نصبت الليلة؟ فقال طاووس: ومن ينام السحر؟! المنتظم ٧/ ١١٥.

* وعن يحيى بن يمان قال: رأيت **سفيان الثوريّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) يخرج يدور بالليل، وينضح في عينيه الماء، حتى يذهب عنه النعاس. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٠١.

* وقال **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٧): من أطال قيام الليل، هوَّن الله عليه وقوفَ يوم القيامَة.[1] تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٨٣.

* وقال الربيعُ بنُ سُليمان: كانَ **الشافعيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) قد جزَّأ الليل،

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفوائد: للعبد بين يدي الله موقفان؛ موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف قال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ۝٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا ۝٢٧﴾ [الإنسان:٢٦-٢٧].

فثُلُثُه الأول يكتُب، والثاني يُصَلِّي، والثالث ينام.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): أفعالُه الثلاثةُ عبادةٌ بالنيَّة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٤٨.

* وعن إبراهيم بن شماس قال: كنت أعرف **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) وهو غلام يُحيي الليل. صفة الصفوة ٢/ ٦٠٩.

* وقال عبد الله بن **أحمد بن حنبل**: كان أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرأ كل يومٍ سُبعًا، وكان ينام نومةً خفيفة بعد العشاء، ثم يقوم إلى الصباح يُصلي ويدعو. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٢٩.

* وقال المروذي: رأيتُ أبا عبد الله[1] يقوم لِورده قريبًا من نصف الليل حتى يقاربَ السَّحَر، ورأيتُه يركع فيما بينَ المغرب والعشاء. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٣٠.

* وقَالَ عبد الصمد ابن أبي مطر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بِتُّ عند **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فوضع لي صاخرة ماء[2]، فلما أصبحتُ وجدني لم أستعمله، فقال: صاحب حديثٍ لا يكون له وردٌ بالليل؟!.

قلت: مسافر.

قَالَ: وإن كنتَ مسافرًا، حجَّ مَسروق رَحِمَهُ ٱللَّهُ فما نام إلا ساجدًا. طبقات الحنابلة (٢/ ١٠٣).

قال الشَّيخُ تَقيُّ الدِّينِ **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨): فيه أنَّه يُكْرهُ لأهل العلمِ تَركُ قِيامِ اللَّيل، وإن كانُوا مُسافرين. الآداب الشرعية ٢/ ١١٧.

* وكان **أبو عبيد القاسم بن سلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤) قد جزَّأ الليل ثلاثة أجزاء: ثلثًا ينام، وثلثًا يصلي، وثلثًا يطالع الكتب. طبقات الشافعيين (١/ ١٥٤).

---

(١) يعني: أحمد بن حنبل.

(٢) الصاخرة: إناء من خزف.

* وقال أبو الوليد بن أبي الجارود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **البويطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣١) جاري، فما كنت أنتبه ساعة من الليل إلا أسمعه يَقرأ ويُصلي. طبقات الشافعيين (١/ ١٥٩).

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): لَأَهلُ الطاعة في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو بلَهوِهم، ولَولا الليل ما أحببت البقاءَ في الدنيا. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٥.

* وقال محمدُ بن أبي حاتِم: دُعي **محمدُ بن إسماعيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠) إلى بستانِ بعضِ أصحابه، فلما صلَّى بالقومِ الظهر، قام يتطوَّعُ، فلما فرغ من صلاته، رفعَ ذيلَ قميصه، فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئًا؟ فإذا زنبورٌ قد أَبَرَهُ في ستة عشر أو سبعة عشر موضعًا، وقد تورم من ذلك جسدُهُ فقال له بعضُ القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أَبَرَك؟ قال: كنتُ في سورةٍ، فأحببتُ أن أُتِمَّها!!. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٠١٦.

* وعن القاسم بن راشد الشيباني قال: كان **زمعة بن صالح المكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) نازلًا عندنا، وكان له أهل وبنات، وكان يقوم فيصلي ليلًا طويلًا، فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته: أيها الركب المعرسون، أكل هذا الليل ترقدون، ألا تقومون، فترحلون، فيسمع من ها هنا باكٍ، ومن ها هنا داع، ومن ها هنا قارئ، ومن ها هنا متوضئ. فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته: عند الصباح يحمد القوم السُّرى. المنتظم ٢٤٣/ ٨.

* وعن محمد بن إبراهيم قال: رأيت **الجنيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٧) في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار. تهذيب الحِلْية ٣٧٣/ ٣.

* وكَانَ بدر الدِّين **أَبُو مُحَمَّد بن الْخَطِيب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠٠): يقوم اللَّيْل، ويتحرى وَسطه وينام.

ويصوم يَوْمًا وَيفْطر يَوْمًا، وَتارَة يفْطر أَيَّامًا ويصوم مثلهَا، ويواظب على صَوْم الْأَيَّام الثَّلَاثَة.

وَيكثر من تِلَاوَة الْقُرْآن وَالتَّسْبِيح.

وَإِذا خلا وَحده فَلَا ترَاهُ إِلَّا مُصَليا أَو تاليًا أَوْ ذَاكِرًا أَو مَا شَاءَ الله من أَنْوَاع الْخَيْر.[1] طبقات الشافعية (٢/ ٢٢٢).

* وقال الحافظ ابن حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: كان **زين الدين العراقي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠٦): لا يترك قيام الليل، وإذا صلّى الصبح ذكر الله في مجلسه حتى تطلع الشمس، ويصلي الضحى، ولم أر في جميع مشايخي أحسن صلاةً منه.

قال رفيقه الشيخ نور الدين الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ: رأيت النبي ﷺ في النوم وعيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن يمينه والشيخ زين الدين العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ عن يساره. طبقات الشافعية (٢/ ٢٧٣).

* وقال الشيخ **عبدالله البسام** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٢٣): أخبرني بعض خواص الشيخ **صالح بن عبدالله الزغيبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٧٢) أنه كان من العُبَّاد المنقطعين للعبادة، وأنه كان كثير التلاوة، وسمعه مرة في صلاة الليل يقرأ في أول الليل في سورة البقرة، ثم عاد في آخر الليل إلى المسجد فوجده يقرأ في سورة النحل. علماء نجد (٢/ ٤١٩).

* وكان الشيخ **عبدالعزيز بن حمد بن عتيق** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٥٩) يُكثر ويُطيل من قيام الليل والتعبد فيه مع حسن الصوت بتلاوة القرآن، ولما سافر إلى الهند

---

(١) العبادة والإقبال على الله تعالى بالقلب واللسان والبدن من أعظم ثمرات العلم.

وركب السفينة في البحر جعل يقرأ القرآن، فالتفّ حوله أهل المركب يستمعون لقراءته، وكان منهم صاحب المركب، فجعل للشيخ غرفة خاصة ورفع منزلته، وجعل يحضره غالبَ الأوقات للاستماع، ولما وصل إلى الميناء لم يأخذ منه أجرةً إكراما له.

أما طريقته في تهجّده: فكان له وردٌ يقوم به من الليل، يطيل في الصلاة القراءة والركوع والسجود، فكان إذا أتى مضجعه للنوم بعد العشاء الآخرة بدأ بالصلاة، فصلى بعض ورده، ثم نام، فإذا بقي ثلث الليل قام وشرع في الصلاة حتى يُكمل وِرْده، لا يترك ورده لا في الحضر ولا في السفر، حتى إنه بعدما كبرت سنُّه كان في سفر إلى الحج وغيره من الأسفار إذا أدلجوا من الليل وعرّسوا في أثناء الليل -وقت كَسَلِ وعجزِ الأقوياء ورغبتهم في النوم- فلا يكاد رفقاؤُه يتمكَّنون من الاضطجاع للنوم إلا وقد انتصب هذا الشيخ قائما في الصلاة، وأقبل على تلاوة القرآن والتهجّد، كأنه في وقت الراحة والاطمئنان، حتى يُكمل ورده المعتاد، ثم عندما يبقى ثلث الليل إذا هو قد قام إلى صلاته. علماء نجد (٣/ ٢٧١).

ث- فضل صلاة الضحى:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): من فاته ورده من الليل فليصل به في صلاةٍ قبل الظهر[١]، فإنها تَعْدل صلاةَ الليل. الزهد لابن المبارك (٩٨٨).

* وكان **عبد الرحمن بن عوف** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) يصلي قبل الظهر صلاة طويلة، فإذا سمع الأذان شد عليه ثيابه وخرج.[٢] الزهد لابن المبارك (٩٩٠).

* وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ: كان **عبد الرحمن بن عوف** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) وهي صلاة الضُّحى.

(٢) كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطيل في صلاة الضحى، ولا يشعر بدخول وقت النهي -وهو قبل زوال الشمس بعشر دقائق تقريبا إلى زوالها-.

يسبح قبل صلاة الظهر حتى يفيء الفيء أربع ركعات يطيلهن، حتى أقول قد قرأ في بعضهن بسورة البقرة. الزهد لابن المبارك (٩٩١).

* وعن **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: أحبُّ الصلاة إلى أصحابنا بالهاجرة. الزهد لابن المبارك (٩٩٤).

د- شهر رمضان، والصيام:

* خرج علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أول ليلة من شهر رمضان والقناديل تزهر، وكتاب الله يُتلى في المساجد، فقال: نور الله لك يا **عمر بن الخطاب** (ت: ٢٣) في قبرك، كما نورت مساجد الله بالقرآن. قيام الليل للمَرْوَزِي/ ٢١٧.

* وكان **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) وأصحابه إذا صاموا جلسوا في المسجد، قالوا: نطهّر صيامنا. الزهد لهناد (١٢٠٤).

* وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان **أبو طلحة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤) لا يصوم على عهد النبي ﷺ من أجل الغزو، فلما قُبض النبي ﷺ لم أره مفطرا إلا يوم فطر أو أضحى. صحيح البخاري (٢٦٧٣).

* وكان **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) يريد الصوم، فقيل له في ذلك، فقال: إني أعده ليوم شرّه طويل، ثم تلا: (فوقاهم الله شر ذلك اليوم). ابن أبي الدنيا ٦/ ١٣٦.

* وكان **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ يختم القرآن في رمضان في كل ليلة، وينام بين المغرب والعشاء.

وبعضهم يختمه في رمضان في ليلتين، وينام فيما بين المغرب والعشاء. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٦٨، ١/ ٣٣٤.

* وعن **أبي بكر بن أبي مريم** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: سمعت **مشيختنا** يقولون إذا حضر

شهر رمضان: قد حضر مطهِّر، ويقولون: انبسطوا بالنفقة فيه، فإنها تضاعف كالنفقة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، ويقولون: التسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٦٨.

* وقال **محمد ابن الحنفية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠): ليصم سمعك وبصرك ولسانك وبدنك، فلا تجعل يوم فطرك مثل يوم صومك، واتق أذى الخادم. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٧١.

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قال: الصائم في عبادة ما لم يغتب وإن كان نائما على فراشه. الزهد لهناد (١٢٠١).

* وقال مُسبِّح بنُ سعيد: كان **محمدُ بن إسماعيل البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠) يختمُ في رمضان في النهار كُلَّ يومٍ خَتمة ويقومُ بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بخَتْمَة. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٠١٥.

هـ- التهيؤ للعبادة والاستعداد لها:

* اشْتَرَى **تميم الداريّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) رِدَاءً بِأَلْفِ درهمٍ فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ. رواه الطبراني (١٢٤٨)، وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره ٣/ ٤٠٦.

* وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا قام من الليل دعا بسواكه، ثم دعا بأطيب حلة كان لا يلبسها إلا إذا قام من الليل يتهجد. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١١.

* وقال **وكيع بن الجراح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧): من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها، لم يكن وقّرها. تهذيب الحِلْية ١٠٧/ ٣.

* وكان **المغيرة بن حكيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) إذا أراد أن يقوم للتهجد لبس من أحسن ثيابه وتناول من طيب أهله، وكان من المتهجدين. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١١.

* وكان **بعض السلف** يشتري الحلة بمائتين، ويصبغها بدينار، ويخمرها النهار كله، ويقوم فيها الليل كله. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١١.

و- فوائد أخرى:

* قال **عليّ بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): كونوا لقبول العمل أشدَّ همًّا منكم بالعمل؛ ألم تسمعوا الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧] ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٥.

* وعن **محمد بن أبي عميرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وكان من أصحاب رسول الله ﷺ- قال: «لو أن عبدا خرّ على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرما في طاعة الله لحقَّره ذلك اليوم[1]، ولودّ أنه زيد كيما يزداد من الأجر والثواب». الزهد لابن المبارك (٣١).

* وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: لو قيل **لحماد بن سلمة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٧) إنك تموت غدًا، ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا. تهذيب الحِلْية ٣٣٥/ ٢.

* وقيل **للحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): رجلان تفرغ أحدهما للعبادة والآخر يسعى على عياله أيهما أفضل؟ قال: الذي تفرغ للعبادة أفضل.[2] الزهد لأحمد: ٤٦١.

* وسئل **سفيان الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) عن الرجل يصلي أي شيء ينوي بصلاته؟ قال: ينوي أن يناجي ربه.[3] تهذيب الحِلْية ٤٠٢/ ٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): كلام المؤمن حكم، وصمته

---

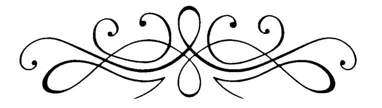
(١) أي: يوم القيامة؛ وذلك لما يرى من أهوال ذلك اليوم، ولما يرى من تقصيره في أعماله، وعِظَم حق الله عليه.

(٢) هذا إذا كان السعي في طلب فضول العيش وما زاد عن الحاجة. أما إذا كان في تحصيل لقمة العيش وسد الجوع: فقد أجمع أهل العلم من السلف الصالح ومن بعدهم على وجوب السعي في طلب الرزق.

(٣) وإذا نوى المصلي بصلاته أنه يناجي ربه: تأدّب في مُخاطبته له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في دعائه وتلاوة كلامه وذكرِه، وأَخْرَج سؤاله له مخرج المحتاج المتلهّف الصادق في سؤاله، وتلا كلام ربّه تلاوةً فيها غاية الأدب والتأني والترتيل، ولم يسرد ما يقول سردًا.
ولم يستعجل في حركات صلاتِه، وفي ركوعِه وسجودِه وجلوسه وحركات انتقالِه.
وبهذا يذوقُ حلاوةَ الصلاة، ويتأمّل ما يقول.

تفكر، ونظره عبرة، وعمله بر، وإذا كنت كذا لم تزل في عبادة. تهذيب الحِلْية ٣/١٦.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): إذا لذّت لك القراءة فلا تركع ولا تسجد، وإذَا لذَّ لك السجود فلا تركع ولا تقرأ، الأمر الذي يفتح لك فيه فالزمه. تهذيب الحِلْية ٣/١٨٩.





القصد في العبادة، والتَّيسيرُ وعدمُ التَّشدّد والتَّنطّع[١]

....

(١) من وصايا أهل الحكمة: اعْمل وأنت راغبٌ مُقبل، ودعه وأنت تحبّه، واعمل عملًا صالحًا دائمًا وإنْ قلّ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السلف يذكرون هذين الأصلين كثيرا -وهما الاقتصاد في الأعمال والاعتصام بالسنة- فإن الشيطان يشمُّ قلب العبد ويختبره: فإذا رأى فيه داعية للبدعة وإعراضا عن كمال الانقياد للسنة: أخرجه عن الاعتصام به. وإن رأى فيه حرصا على السنة وشدة طلب لها: أمره بالاجتهاد والجور على النفس، ومجاوزة حد الاقتصاد فيها قائلا له: إن هذا خير وطاعة، فلا تفتر مع أهل الفتور، ولا تنم مع أهل النوم. ا.هـبتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٣٤٢.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قول بعض الناس: الثواب على قدر المشقة ليس بمستقيم على الإطلاق، كما قد يستدل به طوائف على أنواع من الرهبانيات، والعبادات المبتدعة، التي لم يشرعها اللّه ورسوله من جنس تحريمات المشركين وغيرهم ما أحل اللّه من الطيبات، ومثل التعمق والتنطع الذي ذمه النبي ﷺ، حيث قال: (هلك المتنطعون).

وأما الأجر على قدر الطاعة فقد تكون الطاعة للّه ورسوله في عمل ميسر، كما يسر اللّه على أهل الإسلام: الكلمتين، وهما أفضل الأعمال؛ ولذلك قال النبي ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان اللّه وبحمده، سبحان اللّه العظيم) أخرجاه في الصحيحين.

ولو قيل: الأجر على قدر منفعة العمل، وفائدته؛ لكان صحيحًا..

فأما كونه مشقًّا، فليس هو سببًا لفضل العمل ورجحانه، ولكن قد يكون العمل الفاضل مشقًا، ففضله لمعنى غير مشقته، والصبر عليه مع المشقة يزيد ثوابه وأجره، فيزداد الثواب بالمشقة، كما أن من كان بعده عن البيت في الحج والعمرة أكثر، يكون أجره أعظم من القريب كما قال النبي ﷺ لعائشة في العمرة: (أجرك على قدر نصبك) لأن الأجر على قدر العمل في بعد المسافة، وبالبعد يكثر النصب فيكثر الأجر، وكذلك الجهاد...

ولهذا تجد هؤلاء مع من شابههم من الرهبان يعالجون الأعمال الشاقة الشديدة المتعبة من=

* عن طارق بن شهاب قال: أتيت **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣)، فقلت: لأنظرن كيف صلاته، فكان ينام من الليل ثلثه، وقال: حافظوا على هذه الصلوات المكتوبات فإنهن كفارات لهذه الجراحات ما لم تصب المقتلة[١]، فإذا صلى الناس العشاء كانوا على ثلاثة منازل: منهم من له ولا عليه، ومنهم من عليه ولا له، ومنهم من لا له ولا عليه.

فقلت: من عليه ولا له؟.

فقال: رجل صلى العشاء فاغتنم غفلة الناس وظلمة الليل فركب رأسه في المعاصي، ورجل اغتنم غفلة الناس وظلمة الليل، فركب رأسه فقام يصلي، فذلك له ولا عليه، ورجل نام فذلك لا له ولا عليه.

وإياك والحقحقة[٢]، وعليك بالقصد ودوام.[٣] الزهد لأبي داود (٢٣١).

=أنواع العبادات والزهادات، مع أنه لا فائدة فيها ولا ثمرة لها، ولا منفعة إلا أن يكون شيئًا يسيرًا لا يقاوم العذاب الأليم الذي يجدونه.

ونظير هذا الأصل الفاسد، مدح بعض الجهال بأن يقول: فلان ما نكح ولا ذبح. وهذا مدح الرهبان الذين لا ينكحون ولا يذبحون، وأما الحنفاء فقد قال النبي ﷺ: (لكني أصوم وأفطر وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني). مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٠٧.

(١) يعني الكبائر.

(٢) هو المتعب من السير، وقيل هو أن تُحمل الدابة على ما لا تطيقه.

وهو إشارة إلى الرفق في العبادة. [النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤١٢).

(٣) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في تلبيس إبليس: وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فأكثروا من صلاة الليل، وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض، ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة، أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة، أو يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته، ولقد رأيت شيخًا من المتعبدين يقال له حسين القزويني، يمشي كثيرا من النهار في جامع المنصور، فسألت عن سبب مشيه فقيل لي: لئلا ينام، فقلت: هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل؛ أما الشرع فإن النبي ﷺ قال: «**إن لنفسك عليك حقا، فقم ونم**».... وأما العقل فإن النوم يجدد القوى التي قد كلَّت بالسهر، فمتى دفعه الإنسان وقت=

* وآخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذِّلة(١)، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا(٢)، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال: كل؟ قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال: سلمان قم الآن، فصلَّيَا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كلّ ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**». صحيح البخاري (١٩٦٨).

* وقال **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه (ت: ٣٢): الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة. الزهد لأحمد: ٢٩٣، مسند الدارمي (٢٢٣).

* وقال رضي الله عنه: والذي لا إله إلا هو ما رأيت أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله ﷺ، وما رأيت أحدا كان أشد عليهم [بعده] من أبي بكر رضي الله عنه. مسند الدارمي (١٤٠)، مسند ابن أبي شيبة (٤٢٨) وما بين المعقوفتين منه.

* وكَانَ رضي الله عنه يُذَكِّرُ الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكَّرتنا كل يوم؟ قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أنْ أُمِلَّكم، وإني

=الحاجة إليه أضرّ في بدنه وعقله، فنعوذ بالله من الجهل.

فإن قال قائل: فقد رويتَ لنا أنّ جماعة من السلف كانوا يحيون الليل؟

فالجواب: أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك، وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر في الجماعة، وكانوا يستعينون بالقائلة، مع قلة المطعم، وصح لهم ذلك، ثم لم يبلغنا أن رسول الله ﷺ سهر ليلة لم ينم فيها، فسنته هي المتبوعة. تلبيس إبليس: ١٥٩.

(١) أي: لابسة ثياب البذلة وهي المهنة، أي: تاركة لباس الزينة.

(٢) أي: ومنها زينة المرأة لزوجها، وهو لا يأبه لذلك.

أتخوَّلكم بالموعظة، كما كان النبي ﷺ يتخوَّلنا بها[١]، مخافة السآمة علينا.[٢] صحيح البخاري (١٩٦٨)، صحيح مسلم (٢٨٢١).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا تغالبوا هذا الليل فإنكم لا تطيقونه، فإذا نعس أحدكم فلينصرف إلى فراشه فإنه أسلم له. الزهد لأبي داود (١٤٤).

* وعن **عبد الله بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٥) قال: جمعتُ القرآن، فقرأتُه كلَّه في ليلة، فقال رسول الله ﷺ «**اقرأْهُ في شهر**» قلتُ: يا رسول الله، دعني أستمتع من قُوَّتي وشبابي، قال:«**اقرأه في عشرين**» قلتُ: دعني أستمتع، قال: «**اقرأه في سبع ليال**» قلت: دعني يا رسول الله أستمتع، قال: فأبى. رواه الإمام أحمد (٦٥١٦) وصححه محققوه.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٨): صحَّ أنَّ رسول الله ﷺ نازله إلى ثلاث ليالٍ، ونهاهُ أن يقرأَهُ في أقلَّ من ثلاثٍ وهذا كان في الذي نَزَلَ من القرآن، ثم بعدَ هذا القول نزل ما بقي من القرآن. فأقلُّ مراتب النهي أن تُكْرَهَ تلاوةُ القرآن كُلِّه في أقلَّ من ثلاث، فما فقه ولا تَدَبَّر من تلى في أقلَّ من ذلك، ولو تلا ورتَّلَ في أسبوع، ولازم ذلك، لكان عملًا فاضلًا، فالدين يُسْر، فوالله إن ترتيلَ سُبع القرآن في تهجد قيام الليل مع المحافظة على النوافل الراتبة، والضحى، وتحية المسجد، مع الأذكارِ المأثورة الثابتة والقول عند النوم واليقظة، ودُبُرَ المكتوبة والسحر، مع النَّظَرِ في العلم النافع والاشتغالِ به مخلصًا لله، مع الأمر بالمعروف، وإرشادِ الجاهلِ وتفهيمِه، وزجرِ الفاسق، ونحوِ ذلك، مع أداء الفرائض في جماعةٍ بخشوع وطمأنينة وانكسارٍ وإيمان، مع أداء الواجب، واجتنابِ الكبائر، وكثرةِ الدعاءِ والاستغفار، والصدقة وصلةِ الرحم والتواضع والإخلاصِ في جميع ذلك،

---

(١) يَعنِي: فَيُذكّرهم أيّامًا ويتركهم أيّامًا.

(٢) أي: مخافةَ أنْ تقع منّا السّآمة.

لَشُغْلٌ عظيمٌ جسيم، ولَمَقامُ أصحابِ اليمين وأولياءِ الله المتقين، فإنَّ سائر ذلك مطلوب، فمتى تَشَاغَلَ العابدُ بختمةٍ في كُلِّ يوم، فقد خالف الحنيفيَّة السمحةَ، ولم ينهضْ بأكثر ما ذكرناه ولا تدَبَّر ما يتلوه.

هذا السيدُ العابدُ الصاحبُ كان يقول لما شاخَ: ليتني قبلتُ رُخصةَ رسول الله ﷺ، وكذلك قال عَلَيْهِ السَّلَامُ في الصوم، وما زالَ يناقصُه حتى قال له: «صُمْ يومًا وأفْطِرْ يَوْمًا، صَوْمَ أخي داود عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وكلُّ من لم يَزُمَّ نَفْسَه في تعبُّده وأوراده بالسُّنَّة النبوية، يندمُ ويتَرَهَّبُ ويسوءُ مزاجُهُ، ويفوتُه خيرٌ كثيرٌ من متابعة سُنَّة نبيِّه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، الحريص على نفعهم، وما زال ﷺ مُعلِّمًا للأمة أفضل الأعمال، وآمرًا بهجر التَّبتُّل والرهبانية التي لم يُبْعث بها، فنهى عن سرد الصوم، ونهى عن الوصال، وعن قيام أكثر الليل إلا في العشر الأخير، ونهى عن العُزبة للمستطيع، ونهى عن ترك اللحم إلى غير ذلك من الأوامر والنَّواهي. فالعابدُ بلا معرفةٍ لكثير من ذلك معذور مأجور والعابدُ العالم بالآثار المحمدية، المتجاوز لها مفضولٌ مغرورٌ، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله تعالى أدومُها وإن قلَّ. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٣٩.

* وجاء رجل إلى **أبي أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) فقال: إنه أتاني آتٍ فقال: اعمل مثل عمل أبي أمامة، فقال أبو أمامة: وما عسى أن يبلغ عمل أبي أمامة، أصلي الخمس، وأصوم رمضان، وثلاثة أيام من كل شهر، وإذا صوتت الطير صوت معها، يعني من السحر. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٨.

* وعن عمير بن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ -وكان أدرك أكثر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- قال: ما رأيت قوما أيسر سيرة، ولا أقلّ تشديدا من **أصحاب رسول الله** ﷺ. مسند الدارمي (١٢٨).

* وعن يحيى بن أَكْثَم قال: صَحِبْتُ **وكيعًا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٧) في الحَضَرِ والسَّفَرِ، وكان يَصومُ الدَّهْرَ، ويَخْتِمُ القرآن كُلَّ ليلة.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٧٤٨): هذه عبادةٌ يخضعُ لها، ولكنَّها من مثلِ إمامٍ من الأئمةِ الأثَرية مفضُولةٌ، قد صحَّ نهيُه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن صَومِ الدَّهر، وصحَّ أنَّه نهى أن يُقرأ القرآنُ في أقلَّ من ثلاث، والدِّين يُسرٌ، ومتابعةُ السُّنَّة أولى، فرضي الله عن وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأين مثلُ وكيع؟! ومعَ هذا فكان مُلازِمًا لشُربِ نبيذِ الكوفة الذي يُسِكرُ الإكثارُ منه فكان مُتأولًا في شُربه، ولو تركه تورُّعًا، لكان أولى به، فإنَّ مَنْ تَوقَّى الشُّبهات، فقد استبرأَ لدينِهِ وعِرْضِه، وقد صحَّ النهيُ والتحريمُ للنَّبيذِ المذكور. وليس هذا موضعَ هذه الأمور، وكل أحدٍ يُؤْخَذُ من قوله ويُترك، فلا قُدوةَ في خطأ العالِم، نَعَم، ولا يُوَبَّخُ بما فعله باجتهاد، نسأل الله له المُسَامحة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٠٩.

* وعن أبي عبيدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما رأيت أحدًا أشدّ تلطّفًا للعبادة من **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٩٠). الزهد لابن المبارك (١٠٤٩).

* **وقال بعض الحكماء**: إن لهذه القلوب تنافرًا كتنافر الوحش، فتألّفوها بالاقتصاد في التعليم، والتوسط في التقديم؛ لتحسن طاعتها، ويدوم نشاطها.

* **وقال بعض الحكماء**: إياك ومفارقة الاعتدال؛ فإن المسرف مثل المقصر في الخروج عن الحدّ.

* **وقالت الحكماء**: طالب العلم وعامل البرِّ كآكل الطعام، إن أخذ منه قوتا عصمه، وإن أسرف فيه أبْشَمه.[1].

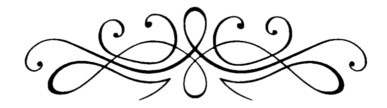
وربما كان فيه منيته، كآخذ الأدوية التي القصد فيها شفاء، ومجاوزة القصد فيها السمّ المميت. أدب الدين (١٠٦، ١١٤).

---

(١) أي: أتْخمه، وقد يُمرضه أو يقتله شدّة الانتفاخ.

* وعن **مخلد بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩١) قال: ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين: ما يبالي بأيهما ظفر: إما غلوًا فيه، وإما تقصيرًا عنه. [(١)] تهذيب الحِلْية ٣/ ٦٣.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١١٠) أنه قال: وضع دين الله دون الغلو وفوق التقصير. الزهد لأحمد: ٤٧٧.



(١) قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أمر الله بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريطٍ وإضاعة، وإما إلى إفراطٍ وغلو، ودين الله وسطٌ بين الجافي عنه والغالي فيه. [مدارج السالكين: ٢/ ٤٦٤].



أ- حال السلف مع القرآن وتعليمه، وأثره عليهم(١):

(١) كان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يهتمون اهتمامًا كبيرًا بفهم وتدبر القرآن، وكم هو من المحزن أن تجد من ملأ أوقاته بالقراءة والمطالعة وحضور الدروس وغيرها، ولا يكون لكتاب الله نصيب من وقته، وحظٌّ من قراءته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أشدها من حسرة، وأعظمها من غبنة، على مَن أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن، ولا باشر قلبَه أسرارُه ومعانيه». بدائع الفوائد: ١/ ١٩٤

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية الذي ملأ الدنيا علمًا ونصحًا وجهادًا، وشغل وقته كلّه بتدبر القرآن والسنة، والنظر في العلوم الشرعية ليستفيد منها، والعلوم البدعية ليردّ على أصحابها ومُحبيها، لمَّا حبس فِي آخر عمره طلب منه أحد طلابه أَنْ يكْتبَ على جَمِيع الْقُرْآن تَفْسِيرًا مُرَتَّبًا على السُّور، فَكتب له تفسير وشرح بعض الْآيَات التي أشكل تَفْسِيرهَا على جماعَة من الْعلمَاء، بعد أنْ أطال في تدبرها وتأملها والنظر فيها، ثم قال: «قد فتح الله عَليّ فِي هَذِه الْمرة من مَعَاني الْقُرْآن، وَمن أُصُول الْعلم بأَشْيَاء كَانَ كثير من الْعلمَاء يتمنونها، وندمت على تَضْييع أَكثر أوقاتي فِي غير مَعَاني الْقُرْآن»!. العقود الدرية: ٤٣- ٤٤

فكيف بمن ضيّع أوقاته باللهو والسهر واللعب؟ بل كيف بمن ضيع أوقاته بغيبة العلماء والدعاة والمصلحين، وانشغل بعيوبهم عن عيوبه؟

وإنّ القرآن لم يُنزل لأجل التلاوة المجردة، بل أنزل لحكم عظيمة، ومقاصد نبيلة، وكثير من الناس يتطلب ختم القرآن دون فهمه وتدبره والعمل به، وليس هذا من فعل السلف الصالح، الذين كان همُّهم فهمَ كلام ربهم، والعمل به.

وقد قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢].

قال القرطبي: «دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤] عَلَى وُجُوبِ التَّدَبُّرِ فِي الْقُرْآنِ لِيُعْرَفَ مَعْنَاهُ». تفسير القرطبي (٦/ ٤٧٧) =

* كان **عمرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) إذا جلس عنده أبو موسى، ربما قال له: ذكِّرنا يا أبا موسى، فيقرأ. مصنف عبدالرزاق (٤١٨٠).

* وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ **عمرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ،

= فقد أوجب القرطبي تدبر القرآن لظاهر الأمر، وكذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية والشوكاني ومحمد رشيد رضا وغيرهم من أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ. يُنظر: فتح القدير: ١/ ٥٦٧، تفسير المنار ٥/ ٢٥٤

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «**آيَاتُهُ سُبْحَانَهُ تُوجِبُ شَيْئَيْنِ:**
أَحَدُهُمَا: فَهْمَهَا وَتَدَبُّرَهَا لِيُعْلَمَ مَا تَضَمَّنَتْهُ.
وَالثَّانِي: عِبَادَتَهُ وَالْخُضُوعَ لَهُ إِذَا سُمِعَتْ.
فَتِلَاوَتُهُ إِيَّاهَا وَسَمَاعُهَا يُوجِبُ هَذَا وَهَذَا، فَلَو سَمِعَهَا السَّامِعُ وَلَمْ يَفْهَمْهَا كَانَ مَذْمُومًا، وَلَو فَهِمَهَا وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا فِيهَا كَانَ مَذْمُومًا، بَل لَا بُدَّ لِكُلِّ أَحَدٍ عِنْدَ سَمَاعِهَا مِن فَهْمِهَا وَالْعَمَلِ بِهَا».
مجموع الفتاوى: (٢٣/ ١٤٧).

وإنّ مَن عَلِم حاجته للقرآن، وفهم كلام الواحد المنان، وعَظُم قدر ربه في قلبه: فلا بد أن يسعى إلى فهم كلامه، ولو تطلب ذلك قراءة تفسير أو أكثر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ فَهْمُ مَعَانِيهِ دُونَ مُجَرَّدِ أَلْفَاظِهِ، فَالْقُرْآنُ أَوْلَى بِذَلِكَ، وَأَيْضًا: فَالْعَادَةُ تَمْنَعُ أَنْ يَقْرَأَ قَوْمٌ كِتَابًا فِي فَنٍّ مِن الْعِلْمِ؛ كَالطِّبِّ وَالْحِسَابِ وَلَا يستشرحوه، فَكَيْفَ بِكَلَامِ اللهِ الَّذِي هُوَ عِصْمَتُهُمْ، وَبِهِ نَجَاتُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ، وَقِيَامُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؟». مجموع الفتاوى: ١٣/ ٣٣٢.

«وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ».[1] صحيح البخاري (٤٦٤٢).

* ولَقِيَ **عُمَرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**». صحيح مسلم (٨١٧).

* وعن **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس فرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلُطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون.

وينبغي لحامل القرآن: أن يكون باكيًا محزونًا حليمًا حكيمًا سِكّيتًا، ولا ينبغي لحامل القرآن: أن يكون جافيًا، ولا غافلًا، ولا سخّابًا، ولا صيّاحًا، ولا حديدًا. مصنف ابن أبي شيبة: (٣٥٥٨٤).

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن هذا القرآن مأدُبة الله**[2]**، فمن دخل فيه فهو آمن**». الزهد لابن المبارك (٧٣٦).

---

(١) أي: إذا سمع آياته التزم أحكامه ووقف عندها ولم يتجاوزها.
وقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا سمعوا نصّ كلام الله تعالى أو كلامِ رسول الله ﷺ وقفوا مع النصّ، وقبلوه وعمِلوا به، ولم يُقَدِّموا على نصوص الكتاب والسنة عقلًا ولا قياسًا، ولا ذوقًا، ولا سياسةً ولا تقليدَ مقلِّد.

(٢) المأدُبة: هي الطعام الذي يصنعه الرجل يدعو إليه الناس.
فشبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير ومنافع. النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٣٠).

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره. الزهد لأحمد: ٢٩٨.

* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن؛ فإن فيه علم الأولين والآخرين.[١] الزهد لابن المبارك (٧٦٣).

* وقال له رجلٌ: إِنِّي لَأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ له: «هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ؟[٢] إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ». صحيح مسلم (٨٢٢).

* وسُئل علي بن أبي طالب عن **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: قرأ القرآن ثم وقف عنده، وكفى به. تهذيب الحِلْية ١١٨/ ١.

* وَعَنِ **ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣) قَالَ: «لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا، وَإِنَّ أَحَدَثَنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ فِيهَا كَمَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمُ الْقُرْآنَ»، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ[٣]». مستدرك الحاكم:

---

(١) «أي: لِيُنَقِّر عنه ويُفكّر في مَعانِيه وتَفْسيره وقراءتِه». النهاية لابن الأثير ١/ ٢٢٩.
وأصله مِنْ ثَارَ الشَّيْءُ يَثُور إِذَا انْتَشَر وارْتَفع.

(٢) أراد: أتَهُذُّ القُرْآن هذًّا فتُسْرع فيه كما تُسْرع في قراءةِ الشِّعْر؟
وإنما أنكر عليه ذلك لأنه -والله أعلم- علم من حاله أنه يُسرع سرعةً تُخِلُّ بترتيل القرآن وتجويده، وفهمه وتدبّره.
وأما من قرأ بالْحَدر -وهُوَ سُرْعةُ الْقراءةِ وتخْفِيفها معَ إقامةِ الْإعْرابِ ومُراعاةِ تَقويمِ اللَّفظِ، وتَمكُّن الْحرُوفِ وَهُوَ ضِدُّ التَّحْقِيق- مع فهمٍ لِمَا يقرأ: فلا بأس به، فقد كان كثير من السلف الصالح يفعلون ذلك لاسيما في رمضان.

(٣) الدَّقَل: هو رديء التمر ويابسه، فتراه لِيُبسه لا يجتمع ويكون منثورا.

(١٠١)[1].

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: لأنَ أقرأ البقرة في ليلة وأتفكّر فيها أحبُّ إلي من أن أقرأ القرآن هذْرمةً[2]. صفة الصفوة ١/ ٣٧٢.

* وقال له رجل: إني رجل في قراءتي وكلامي عجلة، فقال: لأنْ أقرأ البقرة أرتّلها أحبّ إليّ مِن أنْ أقرأ القرآن كلّه. الزهد لابن المبارك (٩٤٣).

* وسمع الناس بالمدائن أن **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) في المسجد، فأتوه فجعلوا يثوبون إليه، حتى اجتمع إليه نحو من ألف، قال: فقام فجعل يقول: اجلسوا اجلسوا، فلما جلسوا فتح سورة يوسف يقرؤها، فجعلوا يتصدعون ويذهبون حتى بقي في نحو من مائة، فغضب وقال: الزخرف من القول أردتم؟ ثم قرأت عليكم كتاب الله فذهبتم! تهذيب الحِلْية ١٦٣/ ١.

* وقال **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): إن البيت ليتسع على أهله، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره؛ إن يقرأ فيه القرآن.

وإن البيت ليضيق على أهله، وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين، ويقل خيره؛ إن لا يقرأ فيه القرآن. مسند الدارمي (٣٣٥٢).

* وعن **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) أنه جمع أهله عند الختم. الزهد لابن المبارك (٧٥٨).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهُم كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْإِيمَانَ ثُمَّ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ.. وَلِهَذَا كَانَ الْإِيمَانُ بِدُونِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ يَنْفَعُ صَاحِبَهُ وَيَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَالْقُرْآنُ بِلَا إيمَانٍ لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ، بَل صَاحِبُهُ مُنَافِقٌ». ا.ه مجموع الفتاوى: (١٥/ ٧١).
وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالدِّينُ الْقَائِمُ بِالْقَلْبِ مِن الْإِيمَانِ عِلْمًا وَحَالًا هُوَ الْأَصْلُ، وَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ هِيَ الْفُرُوعُ، وَهِيَ كَمَالُ الْإِيمَانِ... وقال: وإِنَّ الشَّخْصَيْنِ قَدْ يَتَمَاثَلَانِ فِي الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، بَلْ يَتَفَاضَلَانِ، وَيَكُونُ الْمَفْضُولُ فِيهَا أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِن الْآخَرِ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ فِي الْإِيمَانِ الَّذِي فِي الْقَلْبِ». ا.هـ مجموع الفتاوى: (١٠/ ٣٥٥)، (٧/ ٣٤١).

(٢) الهَذْرَمَةُ: هو السرعة في القراءة والكلامِ والمشْي. لسان العرب، مادة: هذرم.

* وردّد **تميمٌ الداري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت:٤٠) هذه الآية حتى أصبح: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية:٢١].

وفي رواية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١٢٨]. الزهد لوكيع (١٥٠-١٥١).

* وقدم **صعصعة بن ناجية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩) جده الفرزدق على النبي ﷺ، فسمعه يقرأ هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، فقال: حسبي حسبي، لا أبالي أن أسمع غيرها. الزهد لابن المبارك (٧٣).

* وعن سَعْد بْن عُبَيْدَةَ عَنْ **أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤)، عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

قَالَ سَعْد بْن عُبَيْدَةَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، حَتَّى كَانَ الحَجَّاجُ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا.[1] صحيح البخاري (٥٠٢٧).

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ أَنَّ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَ بِهِ عُثْمَانُ فِي أَفْضَلِيَّةِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ حَمَلَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْ قَعَدَ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْقُرْآنَ لِتَحْصِيلِ تِلْكَ الْفَضِيلَةِ.
وبَيْنَ أَوَّلِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ وَآخِرِ وِلَايَةِ الْحَجَّاجِ: اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ سَنَةً إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَبَيْنَ آخِرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ وَأَوَّلِ وِلَايَةِ الْحَجَّاجِ الْعِرَاقَ ثَمَانٍ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى تَعْيِينِ ابْتِدَاءِ إِقْرَاءِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَآخِرِهِ فَاللهُ أَعْلَمُ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ. ا.ه [فتح الباري لابن حجر ٩/ ٦٧-٧٧.
قلت: وقد مكث أبو عبد الرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ يُقرئ القرآن ويُعلّمه على أقلّ تقدير: ثَمَانًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً!
فهنيئًا لمعلّمي القرآن هذه التزكية من النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.
وإذا أُصيب معلمُ القرآن بالفتورِ والملل: فلْيتذكّر أسلافه الذي أفنوا أعمارهم في تعليم الناس كتاب الله تعالى.

* وعن **أبي عبدِ الرحمن السُّلمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أخذنا القرآن عن قومٍ أخبرونا أنَّهم كانوا إذا تعلَّموا عَشرَ آياتٍ لم يجاوزوهُنَّ إلى العَشر الأُخَرِ حتى يعلمُوا ما فيهنّ، فكُنَّا نتعلّم القرآن والعَملَ به، وسيرِثُ القرآنَ بعدنا قوم يشربونَهُ شرب الماء لا يجاوزُ تراقِيَهُم. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٩٥.

* وأقرأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ القرآن في المسجد أربعين سنة. تهذيب الحِلْية ٨٢/ ٢.

* وقال بعض السلف: «من أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن».[١].

* وعن **شقيق بن سلمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) قال: مثل قُرّاء هذا الزمان كغنمٍ ذات صوف، عجاف[٢]، أكلت من الحمض، وشربت من الماء، حتى انتفخت خواصرها، فمرت برجل فأعجبته، فقام إليها فعبط[٣] شاة منها، فإذا هي لا تُنْقي[٤]، ثم عبط أخرى فهي كذلك.[٥] الزهد لابن المبارك (١٩٤).

* وقال **عمر بن ذر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣): من سره أن ينظر إلى يوم القيامة في الدنيا فليقرأ: (إذا الشمس كورت). ابن أبي الدنيا ٦/ ١٣٧.

* وردّد **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) هذه الآية -وهو يؤم الناس في شهر رمضان-: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ﴾ [غافر:٧٠-٧١]، قرأ الآية. الزهد لوكيع (١٥٦).

---

(١) فاعرض نفسك على كتاب الله:
فإذا كنت تحب تلاوته، وتتأثر بمواعظه، وتفعل ما يأمرك به، وتترك ما نهاك عنه: فقدرك عنده عظيم، ومنزلتك عنده رفيعة.
وإن لم تكن كذلك فراجع نفسك وحاسبها قبل أن تُحاسب..

(٢) أي: هزيلة.

(٣) أي: ذبح.

(٤) أي: ليس فيها لحم وشحم.

(٥) فقد كان القرّاء في عهد الصحابة والتابعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ صادقين مخلصين، إذا دُعوا إلى العمل الصالح والخير والبرّ سابقوا وبادروا، وأما من جاء بعدهم فقد حسّن وجمّل كثير منهم ظواهرهم، وقلت عنايتهم ببواطنهم، فضعفت هممهم وعزائمهم.

* وقال **نافع بن أبي نعيم المقرئ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٩): إنَّ هذا القرآن عظيم، جاء من عند عظيم، فإذا قرأتَ فلا تنشغلنّ بغيره، وانظر من تُخاطب. معرفة القراء (١/ ٢٤٤).

* وكان **أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٢) يقوم الليل، فإذا أصبحَ جَلس يقرئ الناس، فيقعُ عليه النوم، فيقول لهم: خذوا الحصا فضعوه بين أصابعي، ثم ضمُّوها، فكانوا يفعلون ذلك. معرفة القراء (١/ ١٧٥).

* وقال له رجل: هنيئًا لك ما أتاك من القرآن، فقال: ذاك إذا أحللتُ حلاله، وحرمتُ حرامه، وعمِلت بما فيه. معرفة القراء (١/ ١٧٥).

* وكان **ابن كثير المقرئ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٢) إذا أراد أن يُقرئ أصحابه جمعهم ووعظهم، ويقول: إنما أفعل هذا حتى تتقدموا إلى تلاوة القرآن بقلوب خاشعة، ونفوس خاضعة، وعيون دامعة. معرفة القراء (١/ ٢٠١).

* ورُوي من غير وجهٍ عن **أبي بكر بن عياش** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٣) أنه مكث أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا سمعتُ مثل هذا عن الرجل يَعظم في عيني وأغبطه، ولكن متابعة السُّنة أرفع.

فقد نهى النبي ﷺ أن يُقرأ القرآن في أقل من ثلاث، وقال: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث».[1].

صدق نبينا ﷺ، فلعل هؤلاء ما بلغهم النهي عن ذلك. معرفة القراء (١/ ٢٨٦).

* وجاء رجل إلى **سليم بن عيسى** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٨) فقال: يا أبا عيسى، جِئتُك لأقرأ عليك بالتَّحقيق، فقال يا ابن أخي، شهدتُ **حمزة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٦)

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣٩٤)، والترمذي (٢٩٤٩)، وأحمد (٦٥٣٥).

وأتاه رجل في مثل هذا فبَكى، وقال: يا ابن أخي إنما التحقيق صون القرآن، فإن صِنتَه فقد حقَّقتَه، هذا هو التحقيق. معرفة القراء (١/ ٣٠٧).

* ولما احتُضر **عبدالله بن إدريس المقرئ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٢) بَكَت بنتُه، فقال لها: لا تبكي، فقد ختمتُ القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة. معرفة القراء (١/ ٣١١).

* وقال **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): عزيز عليّ أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورُهم القرآنَ.[١] الآداب الشرعية ٢/ ١٨.

* وقال **القاضي عبدالله بن طالب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٥): إنما العزُّ لمن كان معه القرآن والعلم، هذا العزيز، وأمَّا من كان معه عزُّ السلطان فليس بعزيزٍ. ترتيب المدارك (٢/ ٣١٦).

* وكان **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقوم من الليل للتهجد، فربما ردد هذه الآية ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧﴾ [الأنعام:٢٧] ويبكي، حتى يذهب ليلٌ طويل، وكان إذا قام للتهجد قام مسرورًا. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٥٧.

* وقال **الفضل الرقاشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): ما تلذذ العابدون ولا استطارت قلوبهم بشيء كحسن الصوت بالقرآن، وكل قلب لا يجيب على حسن الصوت بالقرآن فهو قلب ميت.

وقال الفضل: وأيُّ عينٍ لا تَهْمُل[٢] على حسن الصوت إلا عينُ غافلٍ أو لاهٍ. ابن أبي الدنيا ٣/ ١٨٥.

---

(١) أهل القرآن لا يشعرون بالفقر ولا يتعلّقون بالدنيا، ففي صدورهم أغلى وأنفس ما فيها.
ولا تتراكم عليهم الأحزان والهموم والوساوس، ففي صدورهم الشفاءُ منها.
فمن أكل الهم والحزن قلبه لأجل الدنيا فالقرآن لم يدخل قلبه بعدُ.

(٢) أي: **فاضت دموعًا وسالت.**

* وعن مقاتل بن حيان قال: صليت خلف **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) فقرأ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات:٢٤] فجعل يكررها، لا يستطيع أن يجاوزها. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٥٥.

* وقرأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ [التكاثر:١] فبكى ثم قال ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ [التكاثر:٢] ما أرى المقابر إلا زيارة، ولا بد لمن يزورها أن يرجع إلى الجنة أو إلى النار. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٥٥.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: قَرَّاءُ القرآن ثلاثة: فرجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر، يطلب به ما عند الناس.

وقوم قرؤوا القرآن فحفظوا حروفه، وضيعوا حدوده، استدرجوا به الولاة، واستطالوا به على أهل بلادهم، فتجد أكثر[1] هذا الضرب في حملة القرآن لا أكثرهم الله.

ورجل قرأ القرآن فبكى بما يعلم من دواء القرآن، فوضعه على داء قلبه، فسهر لله وهملت عيناه، تسربلوا الحزن، وارْتَدَوا بالخشوع، وكدُّوا في محاريبهم، فبهم يسقي الله الغيث، وينزل النصر، ويرفع البلاء، والله لهذا الضرب في حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٩٠.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن ههنا قوما إذا استمعوا القرآن بكوا حتى تعلو أصواتهم، فقال الحسن: لم يزل الناس على ذلك يبكون عند الذكر وقراءة القرآن. ابن أبي الدنيا ٣/ ١٩٠.

* وعن عبد الله بن إسماعيل قال: حدثني رجل من قيس يكنى أبا عبد الله، قال: بينا أنا ذات ليلة عند **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقام من الليل يصلي، فلم يزل يردد هذه

---

(١) في الأصل: كثر، ولعل المثبت هو الصواب.

الآية حتى أسحر: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم:٣٤]، فلما أصبح قلنا: يا أبا سعيد لم تكن تجاوز هذه الآية سائر الليلة قال: إن فيها معتبراً، ما أن نرفع طرفًا ولا نرد إلا وقع علينا نعمة، وما لا نعلم من نعم الله أكثر. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٥٧.

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة، فيقول: يا رب، جعلتني في جوفه فأسهرتُ ليله، ومنعتُ جسده من شهوته، ولكل عامل من عمله عُمَالة[1]، فيُوقف له عَزَّوَجَلَّ: فيقول: ابسط يدك، فتُملأ من رضوان الله، فلا يسخط عليه بعدها أبدا.

ويقال له: اقرأ وارقه، فيُرفع بكلّ آية درجة، ويُزاد بكلّ آية درجة. الزهد لابن المبارك (٧٥٥).

* وعن **عامر بن عبد قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٩) قال: ما أبالي ما فاتني من الدنيا بعد آيات في كتاب الله قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾ [هود:٦].

وقوله: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [فاطر:٢]. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧٩.

* وقَالَ **إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢١): مَثَلُ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ تَفْسِيرَهُ كَمَثَلِ قَوْمٍ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ مَلِكِهِمْ لَيْلًا وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِصْبَاحٌ، فَتَدَاخَلَتْهُمْ رَوْعَةٌ وَلَا يَدْرُونَ مَا فِي الْكِتَابِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَعْرِفُ التَّفْسِيرَ كَمَثَلِ رَجُلٍ جَاءَهُمْ بِمِصْبَاحٍ فَقَرَؤوا ما في الكتاب. تفسير القرطبي ١/ ٤٧.

* وعن **أبي الزناد عَبْدِ اللهِ بْنِ ذَكْوَانَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١) قال: كنت أخرج من السحر إلى مسجد رسول الله ﷺ فلا أمر ببيت إلا وفيه قارئ.

---

(١) العُمالة: مُكافأة العامِل وأجرُه.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا ونحن فتيان نريد أن نخرج لحاجة فنقول: موعدكم قيام القراء. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١٠.

* وقيل **لرجل** بطرسوس: ما هنا أحد تستأنس إليه؟ قال: نعم، قيل: فمن؟ فمد يده إلى المصحف ووضعه في حجره، وقال: هذا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٩.

* وقال **فضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): من لم يستأنس بالقرآن؛ فلا آنس الله وحشته. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥١٠.

* وقال بعض السلف: ربما كان المطر وقُرَّاء القرآن من الليل فلا يدرون أي الصوتين أرفع: المطر أو قراءة القرآن. ابن أبي الدنيا ١/ ٣١٠.

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: من قرأ القرآن لم يخرف. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٧١.

* وعن **عبد الملك بن عمير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٣) قال: أبقى الناسِ عقولا: قَرَأَةُ القرآن. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٧١.

* وقال **محمد بن كعب القرضي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨): لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة:١] و﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١﴾ [القارعة:١] لا أزيد عليهما، وأفكر فيهما وأتردّد أحبُّ إلي من أن أهذّ القرآن هذًّا. أو قال: أنثره نثرًا. صفة الصفوة ٢/ ٤٧٤.

* وعن عمر بن **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كنت أمسك على **أبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) المصحف، فمرت مولاة له فكلمها فضحك إليها؛ ثم أقبل يقول: إنا لله إنا لله! حتى ظننت أنه قد حدث شيء، فقلت: ما لك؟ فقال: أما كان لي في القرآن شغل حتى مرت هذه فكلمتها. تهذيب الحِلْية ٤٩٣/ ١.

* وكان **خيثمة بن عبد الرحمن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) يختم القرآن في ثلاث. تهذيب الحِلْية ٦٣/ ٢.

* وكان **ابن محيريز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) يختم القرآن في كل سبع. تهذيب الحِلْية ٢/١٦٩.

* وعن **مكحول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) قال: اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فلست تقرؤه. تهذيب الحِلْية ٢/١٨٠.

* وقال **أبو العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣): كنا نعدّ من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجلُ القرآن، ثم ينام عنه حتى ينساه. صفة الصفوة ٣/١٤٨.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) أنه كان يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة. فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة. تهذيب الحِلْية ١/٤١٠.

* وكان يقال: شر الأمراء أبعدهم من القرَّاء، وشر القرّاء أقربهم من الأمراء. عيون الأخبار ١/٥٦.

* وقال **بعضُ المفسرين** في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦] أحْرِمهُم فَهْم القرآن. عيون الأخبار ٢/٥٣٣.

* وعن **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين. الزهد لأحمد: ٦١٤.

* وعن القاسم بن أبي أيوب قال: سمعت **سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يردد هذه الآية في الصلاة بضعًا وعشرين مرة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١]. الزهد لأحمد: ٦١٤.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إن الصّدّيقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة. صفة الصفوة ٣/٢٠٤.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن

ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض، فإن الله ينزل الغيث من السماء إلى الأرض، فيصيب الحش فتكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسن، فيا حملة القرآن ماذا زرع في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة؟ أين أصحاب سورتين؟ ماذا عملتم فيهما؟. تهذيب الحِلْية ١/٤١٨.

* وقيل لأخت **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت: المصحف، التلاوة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٣٦.

* وقال **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): القرآن بستان العارفين، فأينما حلوا منه حلوا في نزهة. تهذيب الحِلْية ١/٤١٢.

* وقال **نصر بن يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وكان من الحكماء-: يهيج من حب الخلوة: الوحشة من الناس، والاستثقال لكلامهم، والأنس بكلام رب العالمين وهو القرآن الذي جعله الله نورا وشفاء للمؤمنين وحجة ووبالا على المنافقين؛ فاجعله مفزعك الذي إليه تلجأ، وحصنك الذي به تعتصم، وكهفك الذي إليه تأوي، ودليلك الذي به تهتدي، وشعارك ودثارك ومنهجك وسبيلك، وإذا التبست عليك الطرق، واشتبهت عليك الأمور، وصرت في حيرة من أمرك، وضاق بها صدرك؛ فارجع إلى عَجب القرآن الذي لا حيرة فيه، فقف على دلائله من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والتشويق، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية؛ فإنك تخرج من حيرتك، وترجع عن جهالتك، وتأنس بعد وحدتك، وتقوى بعد ضعفك، فليكن دليلك دون المخلوقين تفز مع الفائزين، ولا تَهُذَّه كهذ الشعر، وقف عند عجائبه، وما أشكل عليك فرده إلى عالمه، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٤٤-٥٤٥.

* وعن **زاذان أبي عمر الكندي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) قال: من قرأ القرآن، ليتأكل

به الناس، جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم. تهذيب الحِلْية ٨٥/ ٢.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): كان يقال: يا حملة القرآن لا تتعجلوا منفعة القرآن. تهذيب الحِلْية ٣٧٣/ ٢.

* وقال **عمرو بن مرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٦): أكره أن أمر بمثل في القرآن فلا أعرفه لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣]. تهذيب الحِلْية ١٥٣/ ٢.

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): من قرأ القرآن يُسأل عما يُسأل عنه الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ إلا تبليغ الرسالة. تهذيب الحِلْية ٤٣٢/ ٢.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو، ولا أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى الخلق حاجة، لا إلى الخلفاء فمن دونهم. تهذيب الحِلْية ١٢/ ٣.

* وعن الصلت بن حكيم قال: قرأ لنا قارئ بمكة: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ [ق:١٩]، ونحن على باب **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجعلنا نسمع نشيجه من العلو. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٣٤.

* وعن **وهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) قال: نظرنا في هذا الحديث، فلم نجد شيئًا أرق لهذه القلوب، ولا أشد استجلابًا للحق، من قراءة القرآن لمن تدبره. تهذيب الحِلْية ٣١/ ٣.

* وقيل **لعبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٤): إنا نقرأ بهذه الألحان، فقال: إنما كره لكم منها، إنا أدركنا القراء وهم يؤتون تسمع قراءتهم، وأنتم تُدْعون اليوم كما يدعى المغنون. تهذيب الحِلْية ٣٩/ ٣.

* وقال **بعض السلف**: كنت أقرأ القرآن ولا أجد له حلاوة، فقلت لنفسي: اقرئيه كأنك سمعتِه من رسول الله ﷺ، فجاءت حلاوة قليلة، فقلت لنفسي: اقرئيه كأنك سمعتِه من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حين يخبر به النبي ﷺ، قال: فازدادت الحلاوة، ثم قلت لها: اقرئيه كأنك سمعتِه حين تكلم به قال: فازدادت الحلاوة كلها. تهذيب الحِلْية ٦٩/ ٣.

* وعن **يحيى بن أكثم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤٢) أنه قال: كان المأمون قبل تقلده الخلافة يجلس للنظر، فدخل يهودي حسن الوجه، طيب الرائحة، حسن الثوب، فتكلم فأحسن الكلام، فلما تقوَّض المجلس دعاه المأمون فقال له: اسرائيلي؟ قال: نعم، قال: أسلم حتى أفعل لك وأصنع، فقال: ديني ودين آبائي فلا تكشفني، فتركه، فلما كان بعد سنة جاءنا وهو مسلم فتكلم في الفقه، فأحسن الكلام، فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال: ألست صاحبنا؟ قال: نعم، قال: أي شيء دعاك إلى الإسلام، وقد كنت عرضته عليك فأبيت؟ قال: إني أحسن الخط، فمضيت فكتبت ثلاث نسخ من التوراة، فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة، فبعتها، فاشتُريت، قال: وكتبت ثلاث نسخ من الإنجيل، فزدت فيها ونقصت فأدخلتها إلى البيعة فاشتُريت مني، قال: وعمدت إلى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها إلى الوراقين، فكلما تصفحوها قرؤوا الزيادة والنقصان ورموا بها، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ، فكان سبب إسلامي.

فحججت فرأيت سفيان بن عيينة فحدثته بهذا الحديث فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، قلت: في أي موضع؟ قال: في قوله عَزَّوَجَلَّ في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة:٤٤] فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩]، فحفظه الله تعالى علينا فلم يضع. المنتظم ٥١/ ١٠.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان عبد الملك بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ -أبو نصر التمار- (ت: ١٥٠) ممن أجاب في المحنة، وكان **الإمام أحمد** (ت: ٢٤١) ينهى عن الكتابة عنه ولم يخرج للصلاة عليه، كل ذلك ليعظم أمر القرآن عند الناس. المنتظم ١١/١٣٩.

* وقَالَ **أَبُو عَلِيٍّ الجَرَوِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٧): من لم يردعه القرآن والموت فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع. طبقات الحنابلة (١/ ٣٦٢).

* وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **أبو منصور الخياط** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٩٩) إمامًا بمسجدٍ ببغداد، اعتكف فيه مدة طويلة، يعلم العميان[1] القرآن، لوجه الله تعالى، ويسأل لهم، وينفق عليهم، فختم عليه القرآن خلقٌ كثير، حتى بَلَغَ عدد مَن أقرأهم القرآن من العميان[2] سبعين ألفًا..

وقد زعم بعض الناس[3] أن هذا مستحيل، وأنه مِن سَبقِ القلم، وإنما أراد: سبعين نفسًا، وهذا كلام ساقط؛ فإن أبا منصور قد تواتر عنه إقراء الخلق الكثير في السنين الطويلة.

وهذا أمر مشهور عن أبي منصور، ونحن نرى آحاد المقرئين يختم عليه أكثر من سبعين نفسا.

وإنما كان الشيخ أبو منصور يقرئ هو بنفسه وبأصحابه هذه المدد الطويلة، فاجتمع فيها إقراء هذا العدد الكثير.

قال القاضي أبو الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعته يقول: أول يومٍ جلسَ والدك القاضي الإمام للقضاء واجتمع الناس: حضرت صلاة الظهر فتأخرت وقلت: يا سيدنا

(١) لعله الصبيان.

(٢) لعله الصبيان.

(٣) يعني الذهبي في كتابه: معرفة القراء (٢/ ٨٨١).

نتجمل بالصلاة وراءَك، فَقَالَ لي: تقدَّم يا أبا منصور جمالك صلاتي وراءك.

فغرس لَهُ فِي قلوب العامة والخاصة نباهة وجلالة.(١).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أبو منصور من كبار الصالحين الزاهدين المتعبدين، كان له وردٌ بين العشاءين، يقرأ فيه سُبعًا من القرآن قائمًا وقاعدًا، حتى طعن في السن.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مات وسنُّه سبع وتسعون سنة، ممتعًا بسمعه وبصره وعقله.

وحضر جنازته ما لا يحد من الناس، حتى إن الأشياخ ببغداد كانوا يقولون: ما رأينا جمعًا قط هكذا، لا جمع ابن القزويني، ولا جمع ابن الفرّاء، ولا جمع الشريف أبي جعفر رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.(٢).

وهذه الجموع التي تناهت إليها الكثرة وشغل الناس ذلك اليوم وفيما بعده عن المعاش، فلم يقدر أحد من نقاد الباعة في ذلك الأسبوع على تحصيل نقده.

قال السِّلفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال لي علي بن محمد بن الأيسر العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وكان رجلًا صالحًا-: حضرتُ جنازة الشيخ الأجل أبي منصور بن يوسف وأبي تمام بن أبي موسى القاضي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فلم أر قط خلقًا أكثر ممن حضر جنازة الشيخ أبي منصور.

قال: واستَقبَلَنا يهوديٌّ فرأى كثرة الزحام والخلق، فقال: أشهد أن هذا الدين هو الحق، وأسلم.

ورُئي الشيخ أبو منصور الخياط في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر

---

(١) ما أجمل أن يتخلق الشيوخ والمعلمون بهذه الأخلاق، ويرفعوا من قدر طلابهم، ليغرسوا لهم في العامة والخاصة نباهة وجلالة.

(٢) وهؤلاء من كبار العلماء، وهذا يدل على أن من اشتغل بالقرآن تعلُّمًا وإقراءً؛ رفعه الله وجعل له في قلوب الناس محبةً وودًا، فهنيئًا لمن كان جُلّ وقته في قراءة القرآن وإقرائه.

لي بتعليمي الصبيان[1] **فاتِحةَ الكتاب.**

قال الشيخ أبو منصور: كنت في ابتدائي شافعيًا، وكنت أتفقَّه على القاضي الإمام أبي الطيب الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأسمع الخلاف عليه، فحضرتُ يومًا عند الشيخ أبي الحسن علي بن عمر القزويني الزاهد الصالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأقرأ عليه القرآن، فابتدأت أقرأ عليه القرآن، فقطع علي القراءة مرة أو مرتين، ثم قال: قالوا وقلنا، وقلنا وقالوا، فلا نحن نرجع إليهم، ولا هم يرجعون إلى قولنا، ورجعنا إلى عادتنا، فأيُّ فائدة من هذا؟ ثم كرر عليّ هذا الكلام، فقلت في نفسي: والله ما عنى الشيخ بهذا أحدًا غيري، فتركت الاشتغال بالخلاف، وقرأت مختصر أبي القاسم الخِرقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على رجلٍ كان يُقرئ القرآن.

قال: ورأيت بعد ذلك ما زادني يقينًا، وعلمتُ أن ذلك تثبيتٌ من الله وتعليم؛ لأعرف حقّ نعمة الله عليَّ وأشكره، والله المسؤول الخاتمة بالموت على الإسلام والسُّنّة آمين. ذيل الطبقات (١/ ٢٢٥-٢٣١)، طبقات الحنابلة (٣/ ٤٧٢).

* وكان **أَبُو بكر الخيّاط** المقرئ البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٧) من البكَّائين **عند الذكر**، أثرت الدموع في خديه.

وكان ثقة ديِّنًا، يُقْرَأ عَلَيْهِ القرآن والحديث فِي كل يوم فِي بيته، وفي مسجده، وفي جامع المنصور، ويَكثُر عنده الناس.[2] طبقات الحنابلة (٣/ ٤٣٣)، ذيل الطبقات ١/ ١٨.

* ورُئي **بعض العلماء** بعد موته بنحو من شهر في المنام، وكأن عليه ثيابًا بيضاء شديدة البياض، وعِمامة بيضاء، وهو يمضي إلى الجامع لصلاة الجمعة، فقيل له: إيش لقيت؟ قَالَ لي: عُرضتُ على الله تعالى خمسين مرة، وقال لي:

(١) قال محقق الكتاب: هذا يؤكد أن العبارة السابقة «الصبيان»، لا «العميان».

(٢) بَذَلَ جُلّ وقته في تعليم الكتاب والسنة، وهذا من أعظم الجود وأفضل الأعمال.

إيش عملت؟ فقلت له: قرأت القرآن وأقرأته، قَالَ لي: أنا أتولاك، أنا أتولاك. ذيل الطبقات (٢/ ٢٢).

* وكان **الشيخ إبراهيم بن سعود السياري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٨٠) شجاعا في الحق، غيورا على دينه، كثير الصلاة وتلاوة القرآن.

يقول بعض من سافر معه: لقد قام في ليلة بأربعة عشر جزءًا من القرآن، وكان يُكثر من قراءة القرآن، فكان يختم كلّ أسبوع، وفي رمضان كلّ يوم ختمة. علماء نجد (١/ ٢٧٦-٢٧٧).

ب- من أحوال أهل القرآن:

* قسَم مصعب بن الزبير مالا في قراء أهل الكوفة حين دخل شهر رمضان، فبعث إلى **عبد الرحمن بن معقل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٨) بألفي درهم، فقال له: استعن بها في شهرك هذا، فردها عبد الرحمن بن معقل وقال: لم نقرأ القرآن لهذا. مسند الدارمي (٥٩٤).

* وجاء رسوله إلى **أحد السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين حضره رمضان، بألفي درهم، وقال له: إن الأمير يقرئك السلام، وقال: إنا لم ندع قارئا شريفا، إلا وقد وصل إليه منا معروف، فاستعن بهذين على نفقة شهرك هذا.

فقال: أقرئ الأمير السلام، وقل له: إنا والله ما قرأنا القرآن نريد به الدنيا، ودرهمها. مسند الدارمي (٦٠٥).

* وقال **خلف بن هشام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٩): قدمت الكوفة فصرت إلى سليم بن عيسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٨) فقال: ما أقدمك؟ قلت: أقرأ على أبي بكر بن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣)، فدعا ابنه وكتب معه ورقة إلى أبي بكر لم أدرِ ما كتبَ فيها[1]،

---

(١) لعله كتب فيها ثناء على خلف، وأنه لم يُخلِّف ببغداد أحدًا أقرأ منه.

فأتيناه، [وكان لخَلَفٍ تسع عشرة سنة][1] فقرأ الورقة وصعّد فيّ النظر ثم قال: أنت خَلَف؟ قلت: نعم، قال: أنت لم تخلِّف ببغداد أحدًا أقرأ منك؟ فسَكتُّ، فقال لي: اقعد، هات اقرأ، قلت: عليك؟ قال: نعم، قلت: لا والله، لا أقرأ على من يستصغر رجلًا من حملة القرآن، ثم خرجتُ، فوجه إلى سليم يسأله أن يَردَّني فأبيتُ، ثم نِدمتُ واحتجت[2]، فكتبتُ قراءة عاصم عن يحيى بن آدم عنه.

قلت: لِمَا تفعل حدّة الشباب لصاحبها. معرفة القراء (١/ ٤٢١).

* وقال **أبو الفتح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا نقرأ على أبي عثمان الضرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: بعد ٣١٠)، وكان لا يُقرئ أحدا إلا خمسين آية، فكنت إذا قرأت عليه الخمسين قطع عليّ فقمت، ثم آتيه بعد ذلك فأبتدئ عليه، وأخالف صوتي، وأبدّل حلقي فلا يَفطن لي، وأقرأ خمسين آية أخرى، ففعلت ذلك كثيرًا حتى ختمت عليه ختمة، ففطِن لي وقال: أنت أبو الحلاقيم؟[3] معرفة القراء (١/ ٤٧٧).

* وسأل رجل **ابن مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4] (ت: ٣٢٤): لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفًا يُحْمَل عنه؟ فقال: نحن أحوج إلى أن نُعْمِل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا، أحوج منَّا إلى اختيار حرفٍ يَقْرَأ به مَن بعدنا.

وكان أبو الحسن بن شَنَبُوذ (ت: ٣٢٨) ثقة في نفسه صالحا ديّنا متبحرًا في هذا الشأن، لكنه كان يحطُّ على ابن مجاهد، ويقول: هذا العطشي لم تَغْبَرّ قدماه في طلب العلم، ويُشير إلى سَعة رحلة نفسه، ويصيح بالشاذّ[5]، وأنه -أي ابن

---

(١) ما بين المعكوفين من: السِّيَر (١٠/ ٥٧٩).

(٢) أي: احتجت إلى أن آخذ قراءة عاصم، فلم أتمكن إلا بواسطة، وكان يقدر أن يأخذها من تلميذ عاصم مباشرة، وهو أبو بكر، وهذا من تبعات غضب الطلاب وعدم احتمالهم لأشياخهم.

(٣) انظر إلى همته وحرصه على الإتقان.

(٤) البغدادي العطشي المقرئ، مصنف كتاب القراءات السبعة.

(٥) أي: بالقراءات الشاذة، ويقرأ بها في الصلاة، ولو كانت مخالفة لرسم المصحف، وقد أنكر عليه علماء عصره.

مجاهد- لم يرحل من بغداد، وليس الأمر كذلك، قد حج، وقرأ على قُنبل بمكة.

وهذا خُلقٌ مذموم لا يليق بعالِمٍ.[1] معرفة القراء (٢/ ٥٣٧، ٥٤٨).

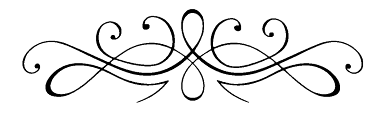
* وُلد **العلامة تاج الدين أبو اليمن** الكندي البغدادي، التاجر المقرئ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، سنة عشرين وخمسمائة، وقرأ القرآن على أبي محمد سبط الخياط، وله نحو من سبع سنين، وهذا نادر.

وأندر منه أنه قرأ بالروايات العشر، وهو ابن عشرة أعوام، وما علمتُ هذا وقع لأحدٍ أصلًا.

وأعجبُ من ذلك أنه عُمِّر الدهر الطويل، وانفرد في الدنيا بعلو الإسناد في القراءات، وعاش بعد أن قرأها بعدة كتب، ثلاثا وثمانين سنة.

وهذا لا نظير له في الإسلام.

توفي تاج الدين الكندي سنة ثلاث عشرة وستمائة. معرفة القراء (٣/ ١١٤١).



(١) انظر إلى تواضع ابن مجاهد، وازدرائه لنفسه، في عدم رغبته أن تكون له قراءة كبقية العشرة، وأن همّه أن يحفظ علم من سبقه، وانظر إلى ترفع ابن شنبوذ -عفا الله عنه- وتنقصه لابن مجاهد، كيف رفع الله ابن مجاهد وأعلى ذكره، ونفع بعلمه، بخلاف ابن شنبوذ.



عناية السلف بالقلب، والحذر من قسوته

أ- ضعف القلب وسرعة تقلبه وتغيره:

* عن **أبي عبيدة بن الجراح** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) قال: مثل قلب المؤمن مثل العصفور يتقلب كل يوم كذا وكذا مرة. مصنف ابن أبي شيبة: (٣٤٦٢٣).

* وعن **أبي موسى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: إنما سمي القلب من تقلبه، ألا وإن القلب مثل ريشة معلقة بشجرة في فضاء من الأرض، تفيؤها الريح ظهرًا لبطن. مصنف ابن أبي شيبة: (٣٤٨١٩).

ب- الحذر من قسوة ومرض القلب، وأسباب ذلك:

* باع **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣)، جملًا فقيل: لو أمسكته فقال: قد كان لنا موافِقا، ولكنه قد أذهب بشعبةٍ من قلبي، فكرهت أن يشتغل قلبي بشيء. الْحلْيَة (٨/ ١٤٨).

* وعن **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: «إِنَّ الْفِتْنَةَ لَتُعْرَضُ عَلَى الْقُلُوبِ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُقِطَ عَلَى قَلْبِهِ نُقَطٌ سُودٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُقِطَ عَلَى قَلْبِهِ نُقْطَةٌ بَيْضَاءُ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْلَمَ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ أَمْ لَا، فَلْيَنْظُرْ: فَإِنْ رَأَى حَرَامًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَلَالًا، أَوْ يَرَى حَلَالًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا فَقَدْ أَصَابَتْهُ الفتنة»[١]. مصنف ابن أبي شيبة: (٣٧٣٤٣).

* وكان **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) يقول: اللهم إني أعوذ بك من تفرقة

---

(١) هذا إذا كان عن هوىً، وأما إذا كان عن علم واتباع للدليل فهذا هو الواجب.

القلب. قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يوضع لي في كل وادٍ مال. الزهد لأبي داود (٢٢٣).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: استعيذوا بالله من خشوع النفاق، قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يُرى الجسد خاشعًا، والقلبُ ليس بخاشع. شعب الإيمان للطبراني (٦٥٦٧).

* وعن **أبي حازم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: إن العبد ليعمل الحسنةَ تسرُّه حين يعملها، وما خلق الله من سيئة هي عليه أضرُّ منها، وإن العبد ليعمل السيئة تسوؤه حين يعملها، وما خلق الله عَزَّوَجَلَّ من حسنة أنفع له منها، وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة يتجبّر فيها، ويرى أن له فضلًا على غيره، ولعل الله عَزَّوَجَلَّ يُحبطها ويحبط معها عملًا كثيرًا، وإن العبد ليعمل السيئة تسوؤه، ولعل الله عَزَّوَجَلَّ يُحدث له فيها وجِلًا، فيلقى الله وإنّ خوفَها لفي جوفه باقٍ.[1] الزهد لهناد (٨٩٧)، صفة الصفوة ٢/ ٤٩٣ واللفظ له.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وحجابهم -أي حجاب أهل الكبائر الظاهرة- أرقُّ من حجاب إخوانهم من أهل الكبائر الباطنة، مع كثرة عباداتهم وزهاداتهم واجتهاداتهم، فكبائر هؤلاء أقرب إلى التوبة من كبائر أولئك، فإنها قد صارت مقامات لهم لا يتحاشون من إظهارها وإخراجها في قَوالب عبادةٍ ومعرفةٍ، فأهل الكبائر الظاهرة أدنى إلى السلامة منهم، وقلوبهم خير من قلوبهم.
فترى أحدَهم أزهد ما يكون، وأعبد ما يكون، وأشده اجتهادا، وهو أبعد ما يكون عن الله.
وأصحاب الكبائر أقرب قلوبًا إلى الله منه، وأدنى منه إلى الإخلاص والخَلاص.
فانظر إلى السَّجاد العبَّاد الزاهد، الذي بين عينيه أثر السجود، كيف أورثه طُغيان عملِه أن أنكر على النبي ﷺ، وأورث أصحابَه احتقار المسلمين، حتى سَلُّوا عليهم سيوفهم، واستباحوا دماءهم.
وانظر إلى الشِّريب السِّكير، الذي كان كثيرًا ما يُؤتى به إلى النبي ﷺ فيَحُدُّه على الشراب، كيف قامت به قوة إيمانه، ويقينه، ومحبته لله ورسوله، وتواضعه، وانكساره لله، حتى نهى رسول الله ﷺ عن لعنه.
فظهر بهذا أن طُغيان المعاصي أسلم عاقِبةً من طُغيان الطاعات. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٤/ ٦٩-٧٢.

* وخرج **سيار بن سلامة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩) إلى البصرة، فقام يصلي إلى سارية في المسجد الجامع، وكان حسنَ الصلاة، عليه ثياب جياد، فرآه مالك بن دينار، فجلس إليه، فسلّم سيار، فقال له مالك: هذه الصلاة وهذه الثياب؟[1] فقال له سيار: هذه ترفعني عندك أو تضعني؟ فقال: تضعك، قال: هذا أردت، ثم قال له: يا مالكُ إني لأحسب ثوبيك هذين قد أنزلاك من نفسك ما لم يُنزلك الله.

فبكى مالك، وقال له: أنت سيار؟ قال: نعم، فعانقه. صفة الصفوة ٣/ ٩.

* وقسم أمير البصرة[2] على أهل البصرة، فبعث إلى **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١)، فقبِل، وأتاه محمد بن واسع، فقال: يا مالك قبلت جوائز السلطان؟ قال: يا أبا بكر سل جلسائي، فقالوا: يا أبا بكر اشترى بها رقابًا فأعتقهم، فقال له محمد بن واسع: أنشدك الله أقلْبك الساعة له على ما كان قبل أنْ يُجيزك؟ قال: اللهم لا، قال: ترى أيّ شيء دخل عليك؟ فقال مالك لجلسائه: إنما يعبد الله مثلُ محمد بن واسع. صفة الصفوة ٣/ ١٩٢.

* وسُئِل **الْحسَنُ البصريّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): ما عقوبة العالم؟

قال: موت القلب.

قيل: وما موت القلب؟.

قال: طلب الدنيا بعمل الآخرة. الآداب الشرعية ٢/ ٣٥.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله لقد أدركت أقوامًا لو شاء أحدهم أن يأخذ هذا المال من حله أخذه، فيقال لهم: ألا تأتون نصيبكم من هذا المال فتأخذونه حلالًا؟ فيقولون: لا، إنا نخشى أن يكون أخذه فسادًا لقلوبنا. الزهد لأحمد: ١٠٤.

* وقال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): ما أسرَّ عبدٌ سريرةَ خير إلا ألبسه الله

---

(١) في الحلية: إني لأرغب بك عن هذا اللباس.

(٢) في البيان والتبيين ١/ ٢٢٨: أنه الحجاج بن يوسف.

رداءها، ولا أسرَّ سريرةَ سوء إلا ألبسه الله رداءها. ترتيب المدارك (١/ ١٨١).

* وعن **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) قال: أربع يُمتن القلب: الذنب على الذنب، وكثرة مثافنة[١] النساء وحديثهن، وملاحاة[٢] الأحمق، تقول له ويقول لك، ومجالسة الموتى، قيل: وما مجالسة الموتى؟ قال: مجالسة كل غني مترف، وسلطان جائر. تهذيب الحِلْية ١/ ٤١٤.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): كم من مستغفر ممقوت وساكتٍ مرحوم، ثم قال يحيى: هذا المستغفر وقلبُه فاجر، وهذا ساكتٌ وقلبُه ذاكِر. الزهد للخطيب (٦٩).

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَفَاوِز الدنيا تُقْطع بالأقدام، ومَفَاوِز الآخرة تُقْطع بالقلوب. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٢.

* وقال أحمد بن أبي الحواريّ: قلت **لأبي سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): إن فلانًا وفلانا لا يقَعان على قلبي[٣] قال: ولا على قلبي، ولكن لعلّنا أُتينا من قلبي وقلبك، فليس فينا خير، وليس نحبُّ الصالحين. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٧.

* وقال **حذيفة المرعشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٧): ما أصيب أحد بمصيبةٍ أعظم من قَسَاوة قلبه. صفة الصفوة ٤/ ٤٧٦.

* وقال بشر بن الحارث: كتب **حذيفة المرعشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى يوسف بن أسباط: يا أخي إني أخاف أن يكون بعض مَحاسننا أضرّ علينا في القيامة من مساوئنا. صفة الصفوة ٤/ ٧٧٤.

* وعن محمد بن عُبادة المعافري قال: كُنَّا عند **أبي شُرَيْح الخزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ

---

(١) الثَّفِنَةُ: ملازمة الشّيءِ الشّيءَ، وثافَنْتُ الرَّجُلَ: هو أنْ تَصْحَبه وتُجَالِسَه.

(٢) أي: منازعة ومخاصَمة.

(٣) أي لا أجد في قلبي محبة لهما.

(ت: ٦٨) فكثرت المسائل، فقال: قد دَرِنَتْ قُلُوبُكم، فقوموا إلى خالد بن حُمَيد المهري استَقِلُّوا قلوبكم، وتعلَّموا هذه الرغائبَ والرقائق فإنها تُجدِّد العبادة، وتورث الزهادة، وتجر الصَّداقة، وأقِلُّوا المسائل، فإنها في غير ما نزل تُقسِّي القلب، وتُورِث العداوة.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): صدق والله، فما الظنُ إذا كانت مسائل الأصول، ولوازم الكلام في معارضة النَّص، فكيف إذا كانت مِن تشكيكات المنطق، وقواعد الحكمة، ودين الأوائل؟!. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٩١.

* وعن **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧) قال: خصلتان تقسِّيان القلب: كثرةُ الكلام، وكثرةُ الأكل. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٩.

ج- نصائح وتوجيهات وقصص في إصلاح القلب وتصحيح النية والصدق مع الله[1]:

جاء ناس من الدهاقين[2] إلى **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢)، فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم، فقال عبد الله: «إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسمًا وأمرضه قلبًا، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلبًا وأمرضه جسمًا، وأيم الله لو مرضتْ قلوبكم وصحَّت أجسامُكم لكنتم أهون على الله من الجُعْلان». صفة الصفوة ١/ ١٩٠.

* وخرج **عبد الله بن سلام** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣) من حائط له بحزمة حطب يحملها، فلما أبصره الناس، قالوا: يا أبا يوسف، قد كان في ولدك وعبيدك من

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأصل صلاح القلب: صلاح إرادته ونيته، فإن لم يصلح ذلك لم يصلح القلب، والقلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد. الاستقامة / ٣٥٠.

(٢) الدّهقان: كلمة فارسيّة مُعرّبة، ومعناها: الرئيس.

يكفيك هذا، قال: أردت أن أجرّب قلبي، هل يُنكر هذا؟ الزهد لابن المبارك (٧٨٢).

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٤): رُبَّ عمل صغير تُكثِّره النية، ورب عمل كثير تُصغِّره النيةُ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٩.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠): عند تصحيح الضمائر تُغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح[1]. صفة الصفوة ٢ / ٤٩٣.

* وقال **جعفر بن حيان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٥): «ملاك هذه الأعمال النيات؛ فإن الرجل يبلغ بنيته ما لا يبلغ بعمله». الزهد لابن المبارك (١٨٩).

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨): إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل، وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجوْر. صفة الصفوة ٢/ ٥٤١.

* وقال **بعض السلف**: من سره أن يَكْمل له عملُه فليُحسن نيته، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يأجر العبد إذا أحسن نيته. الزهد لابن المبارك (١١٧٥).

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧) لرجل: لأعلّمنك كلمة هي خير من الدنيا وما فيها: والله لئن علم الله منك إخراج الآدميين من قلبك حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره، لم تسأله شيئا إلا أعطاك. صفة الصفوة ٢/ ٥٤٦.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): إنّ الأبرار لتغلي قلوبهم بأعمال البرّ، وإن الفجّار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور، والله يرى همومكم، فانظروا ما همومكم رحمكم الله. صفة الصفوة ٣/ ٢٠٤، ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٨٢.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُمَا اللَّهُ قال: كانت العلماء إذا التقوا تواصوا بهذه

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: يشير إلى ما يُفتح عليه، بتيسير الإنابة، والطاعة، ومقامات العارفين. مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٣٤٨).

الكلمات، وإذا غابوا كتب بها بعضهم إلى بعض أنه: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن اهتم بأمر آخرته كفاه الله أمر دنياه. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٧، تهذيب الحِلْية ٩٧/ ٢.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): تقويم الأعمال في تصحيح العزائم. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: دواءُ القلب خمسة أشياء: قراءةُ القرآن بالتفكر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين. صفة الصفوة ٤/ ٣٤١[1].

* وقال رجل **لمورق العجلي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨): إني أشكو إليك قسوة قلبي لا أستطيع الصوم ولا أصلي، فقال له مورق: إن ضعفت عن الخير، فاضعف عن الشر فإني أفرح بالنومة أنامها. تهذيب الحِلْية ٣٧٤/ ١.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٥): إذا كانت الآخرة في القلب جاءَت الدنيا تزحَمها، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تَزْحَمها الآخرة، لأنَّ الآخرة كريمة والدنيا لئيمة. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٣.

* ووقف رجل مرة على **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠) فقال: يا أبا إسحاق، لم حُجبت القلوب عن الله عَزَّوَجَلَّ؟.

قال: لأنها أحبّت ما أبغض الله، أحبت الدنيا ومالت إلى دار الغرور، واللهو، واللعب، فتركت العمل لدارٍ فيها حياة الأبد، في نعيم لا يزول ولا ينفذ، خالدٍ مخلد، في مُلْكٍ سرمد لا نهاية له، ولا انقطاع. الزهد للخطيب (٥٥).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا صارت المعاملة إلى القلب استراحت

---

(١) وكذا قال إبراهيم الخواص رَحِمَهُ اللَّهُ. تهذيب الحِلْية ٤٢١/ ٣.

الجوارح.[1] تهذيب الحِلْية ١٠٢/٣.

* وقال عبد الله ابن **الإمام أحمد** (ت: ٢٤١) رَحِمَهُمَاٱللَّهُ لأبيه يومًا: أوصني يا أبت، فقال: يا بني انوِ الخير، فإنك لا تزال بخيرٍ ما نَويتَ الخير.

قال **ابن مفلح** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٦٣): هذه وصيةٌ عظيمةٌ، سهلةٌ على المسؤول، سهلة الفهم والامتثال على السائل، وفاعلها ثوابه دائم مستمر لدوامها واستمرارها، وهي صادقةٌ على جميع أعمال القلوب المطلوبة شرعًا، سواء تعلقت بالخالق أو بالمخلوق، وأنها يُثاب عليها، ولم أجد في الثواب عليها خلافًا..

فيالها من وصيةٍ ما أشد وقعها، وما أعظم نفعها، فنسأل الله تعالى لنا ولإخواننا المسلمين العمل بها، والتوفيق لها، فمثل هذا تكون وصايا أئمة المسلمين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين. الآداب الشرعية ١/ ٨٨.

* وقيل **للإمام أَحْمَد** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٢٤١): **كيف يرِقّ قلبي؟**.

قَالَ: اُدْخل المقبرة وامسح رأس اليتيم. طبقات الحنابلة (١/ ٨٢).

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): حكى لي تقي الدين المقصاتي رَحِمَهُٱللَّهُ قال: قرأت على شيخنا **موفّق الدّين الكواشي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٦٨٠) تفسيرَه، فَلَمَّا وصلتُ إِلَى سورة «والفجر» منعني من ختْم الكتاب، وقال: أَنَا أجيزه لك، ولا تقول قرأته كلّه على المصنّف؛ يعني أنّ للنّفس فِي ذلك حظًّا.[2] معرفة القراء (٣/ ١٣٦٢).

د- أهمية انصراف القلب إلى الله، وتعلقه به، والثقة به:

* **عن أبي الدرداء** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٢) قال: «لا يزال نفسُ أحدكم شابّة في حبّ

---

(١) فمن اعتنى بصلاح قلبه وصدقِه مع ربّه: خفَّ على الجوارح القيام بالأعمال الصالحة، وتلذّذ القلب والبدن بذلك.

(٢) البعد عن حظوظ النفس من سمات الصادقين المخلصين الموفقين، جعلنا الله منهم.

الشيء ولو الْتقت ترقوتاه من الكبر، إلا الذين امتحن الله قلوبهم للآخرة، وقليل ما هم». الزهد لابن المبارك (٢٤٣).

* ودخل سعد بن أبي وقاص على **سلمان الفارسيّ** (ت: ٣٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يعوده، فبكى سلمان، فقال له سعد: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض، وترد عليه الحوض، فقال سلمان: أما إني ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال: «ليكن بُلْغة[1] أحدكم مثلَ زاد الراكب»، وحولي هذه الأساود.[2].

وإنما حوله إجَّانة[3] أو جفنة[4] أو مطهرة.[5].

فقال له سعد: يا أبا عبد الله اعهد إلينا بعهد نأخذ به بعدك، فقال: يا سعد اذكر الله عند همّك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدكْ إذا قسمت. الزهد لهناد (٥٦٦).

* وعن **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ اللَّهُ قال (ت: ٩٤): من استغنى بالله افتقر إليه الناس. صفة الصفوة ٢/ ٤٣٨.

* وقال **يونس بن عبيد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٩): مالي تَضيع لي الدجاجة فأجدُ لها[6]، وتفوتني الصلاة فلا أجد لها!!. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٠.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: لو أن رجلًا انقطع إلى رجل لعرف ذلك فكيف

---

(١) ما يتبلغ ويتوصل به إلى الشيء المطلوب.

(٢) يريد الشخوص من المتاع الذي كان عنده، وكل شخص من إنسان أو متاع أو غيره سواد. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤١٩)

(٣) إناء يغسل فيه الثياب.

(٤) مائدة.

(٥) إناء التطهير والنظافة.

(٦) أي أحزن لها.

بمن له السموات والأرضون. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٧٠.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): ما أحسن حال من انقطع إلى الله تعالى. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٧٠.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: بقدر ما يصغر الذَّنبُ عندك يَعْظُمُ عند الله، وبقدر ما يَعْظُمُ عندك يصغُر عند الله. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٤.

* وعن شقيق بن إبراهيم قال: كنتُ شاعرًا، فرزقني الله التوبةَ، وخرجتُ من ثلاث مئة ألف درهم، ولبستُ الصُّوف عشرين سنة، ولا أدري أنِّي مُرَاءٍ حتى لقيتُ **عبدَ العزيز بن أبي روَّاد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٩)، فقال: ليس الشأنُ في أكل الشعير ولُبْس الصوفِ، الشأنُ أنْ تَعرِفَ اللهَ بقلبكَ، ولا تُشرِكَ به شيئًا، وأن تَرْضى عن الله، وأن تكونَ بما في يدِ اللهِ أوثقَ مِنك بما في أيدي الناس.[1] السِّيَر ٨/ ٧١.

* وشكاَ رجلٌ إلى قوم ضِيقًا، فقال له بعضهم: شكوتَ مَنْ يَرْحَمُكَ إلى منْ لا يرحَمُك. عيون الأخبار ٣/ ١٨٨.

* وقال **بعضُ المفسّرين** في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [المؤمنون:٧٢]: أي المخلوقُ يرزُقُ فإذا سخِط قطع رِزقَه، والله عَزَّوَجَلَّ يَسْخَط ولا يَقطَعُ[2]. عيون الأخبار ٣/ ١٩٠.

---

(١) كان شقيقٌ يظنّ أنّ الإيمان والصلاح بإصلاح المظهر، فمال إلى الزّهد ولبس الرديء من الثياب، وغفل عن صلاح الباطن الذي لا يطّلع عليه إلا الله تعالى.

(٢) إسنادُ الرزق إلى المخلوق جائز بشرط أن يعتقد أنه سبب، قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [المؤمنون: ٧٢] وَصِيغَةُ التَّفْضِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ نَظَرًا إِلَى أَنَّ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ يَرْزُقُ بَعْضَهُمْ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾ [النساء:٥] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٣]، وَلَا شَكَّ أَنَّ فَضْلَ رِزْقِ اللهِ خَلْقَهُ عَلَى رِزْقِ بَعْضِ خَلْقِهِ بَعْضِهِمْ كَفَضْلِ ذَاتِهِ، وَسَائِرِ صِفَاتِهِ عَلَى ذَوَاتِ خَلْقِهِ، وَصِفَاتِهِمْ. [أضواء البيان: ٥/ ٣٤٣].

* وقال **بعضهم**:

لا تضرعنّ لمخلوقٍ على طمعٍ ... فإنّ ذلك وَهْنٌ منك بالدِّينِ
واسترزِق اللهَ رزقًا من خزائنه ... فإنما هو بين الكافِ والنونِ

عيون الأخبار ٣/ ١٩٠.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): من أشخص بقلبه إلى الله انفتحت ينابيع الحكمة من قلبه وجرت على لسانه. تهذيب الحِلْية ٣/ ٢٥٨.

* وقال **سهل بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨٣): ما من ساعة إلاّ والله عَزَّوَجَلَّ مطّلع على قلوب العباد، فأيّ قلبٍ رأى فيه غيرَه سلّط عليه إبليس. ذم الهوى: ٧٧.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: حرامٌ على قلبٍ أن يشمّ رائحةَ اليَقين وفيه سُكون إلى غير الله، وحرام على قلب أن يَدْخُله النورُ وفيه شيء مما يكره الله عَزَّوَجَلَّ. الزهد للخطيب (٥٩).

* وقال **عبد الجبار بن خالد بن عمران** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨١): من كان في الله همُّه قلّ في الدنيا والآخرة غمّه. ترتيب المدارك (٢/ ٣٧١).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: تركتموه، وأقبل بعضكم على بعض! لو أقبلتم عليه لرأيتم العجائب!. ذم الهوى: ٧٧.

* وقال **بعض الحكماء**: إن الناس سمعوا بالله ولم يعرفوه.

وقال **بعض السلف**: إنما رجع القوم من الطريق قبل الوصول، ولو وصلوا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما رجعوا. المجالسة وجواهر العلم (٤٣).

* وقال **ابن سَمعون** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٨٧): ما سمعتَ قول رسول الله ﷺ: «**إنّ الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة أو تمثال**»؟ فإذا كان الملكُ لا يدخل بيتًا فيه

صورة أو تمثال، فكيف تدخل شواهدُ الحقِّ قلبًا فيه أوصافُ غيرِه منَ البشر؟!.[(١)]

ذم الهوى: ٧٨.

* وقال أَبو بَكْرٍ الأثرم: سمعت **أبا عبد الله الإمام أَحْمَد** رَحِمَهُ اللَّهُ يُسأل عن قول النبي ﷺ: أعوذ بك من الفقر، كيف هذا، وفي الفقر ما فيه من الفضل؟.

فقال: إنما استعاذ النبي ﷺ من فقر القلب[(٢)].

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في قول النبي ﷺ (لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة): إذا كانت الملائكة المخلوقون يمنعها الكلب والصورة عن دخول البيت، فكيف تلج معرفة الله عَزَّوَجَلَّ، ومحبته، وحلاوة ذكره، والأنس بقربه، في قلب ممتلئ بكلاب الشهوات وصورها.

ومن هذا: أن طهارة الثوب الطاهر والبدن إذا كانت شرطًا في صحة الصلاة، والاعتداد بها، فإذا أَخَلَّ بها كانت فاسدة، فكيف إذا كان القلب نجسًا ولم يُطَهِّره صاحبه؟ فكيف يُعْتَدُّ له بصلاته، وإن أسقطت القضاء؟ وهل طهارة الظاهر إلا تكميلا لطهارة الباطن؟.

ومن هذا: أن استقبال القبلة في الصلاة شرط لصحتها، وهي بيت الرب، فتوجُّه المصلي إليها ببدنه وقالَبِه: شرط، فكيف تصح صلاة من لم يتوجه بقلبه إلى رب القبلة والبدن؟ بل وجَّه بدنه إلى البيت ووجْهُ قلبه إلى غير رب البيت. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٢٥٠-٢٥١.

(٢) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: لا ريب أنّ لفظ «الفقر» في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين وتابعيهم لم يكونوا يريدون به نفس طريق الله وفعل ما أمر به وترك ما نُهي عنه، والأخلاق المحمودة ولا نحو ذلك؛ بل الفقر عندهم ضد الغنى.

والفقراء هم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة:٦٠] وفي قوله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٣] وفي قوله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [الحشر:٨] والغني هو الذي لا يحل له أخذ الزكاة أو الذي تجب عليه الزكاة أو ما يشبه ذلك.

لكن لما كان الفقر مظنةَ الزهد طوعًا أو كرهًا؛ صار المتأخرون كثيرا ما يقرنون بالفقر معنى الزهد.

والزهد قد يكون مع الغنى وقد يكون مع الفقر، ففي الأنبياء والسابقين الأولين ممن هو زاهد مع غناه كثير.

والزهد المشروع: ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة، وأما كلُّ ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع. مجموع الفتاوى: (١١/ ٢٧).

* وقال **ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: والله ما أعتمدُ على أني مؤمن بصلاتي وصومي، بل أعتمدُ إذا رأيت قلبي في الشدائد يفزع إليه، وشكري لما أنعم علي.[١] الآداب الشرعية ١/ ١٢٣.

* وقال رجل **لبعض السلف**: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟.

قال: كانوا يعملون يسيرا ويؤجرون كثيرا.

قال: ولم ذاك؟.

قال: لسلامة صدورهم.[٢].

هـ- فوائد أخرى:

* قال **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): والله لقد لان قلبي في الله حتى لهو ألين من الزبد، ولقد اشتد قلبي في الله حتى لهو أشد من الحجر. تهذيب الحِلْية ١/٧١.

* وعن **سلمان الفارسيّ** (ت: ٣٣) قال: مثل القلب والجسد مثل أعمى ومقعد، قال المقعد: إني أرى ثمرة ولا أستطيع أن أقوم إليها فاحملني، فحمله فأكل وأطعمه. تهذيب الحِلْية ١/١٦٤.

* وعن **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ بعبده خيرًا جعل له واعظًا من قلبه يأمره وينهاه. صفة الصفوة ٣/ ١٧٢.

* وعن **أبي قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: ما من أحد يريد خيرًا أو شرًا إلا وجد في قلبه آمرًا وزاجرًا، آمرًا يأمر بالخير وزاجرًا ينهى عن الشر. تهذيب الحِلْية ١/٣٩١.

---

(١) إنّ عبادات الإنسان من صلاة وصيام وذكر ليست دليلا كافيًا على قوة إيمانه، وصدقه وصلاح قلبه، وإنما الدليل الواضح: إذا ألَمّت به شدة أو انفتحت عليه الدنيا كان قلبه متعلقًا بالله عائذًا به في زوال الشدة، وكبح جماح نفسه عن التعلق بزخارف الدنيا والميل إليها.

(٢) حيث سلمت من الكبر والغرور والنفاق والرياء والتعلق بغير الله والحسد والحقد ونحوها من الأمراض.

* وعن **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ جعل قوة المؤمن في قلبه، ولم يجعلها في أعضائه، ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفًا يصوم الهواجر، ويقوم الليل، والشاب يعجز عن ذلك. تهذيب الحِلْية ٤٨٠/ ١.

* وقال **حاتم الأصم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٧): القلوبُ جَوَّالة، فإمَّا أنْ تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الحُشِّ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٦٢.

* وعن **ثابت البناني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٣) قال: نية المؤمن أبلغ من عمله، إن المؤمن ينوي أن يقوم الليل، ويصوم النهار، ويخرج من ماله، فلا تتابعه نفسه على ذلك، فنيته أبلغ من عمله. تهذيب الحِلْية ٤٠٦/ ١.

* وعن **حسان بن عطية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: إن القوم ليكونون في الصلاة الواحدة، وإن بينهم كما بين السماء والأرض، وتفسير ذلك: أن الرجل يكون خاشعا مقبلًا على صلاته، والآخر ساهيًا غافلًا. تهذيب الحِلْية ٢٦٦/ ٢.

* وعن **خالد بن معدان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: ما من عبد إلا وله أربع أعين، عينان في وجهه يبصر بهما أمر دنياه، وعينان في قلبه يبصر بهما ما وعد الله بالغيب، فإذا أراد الله بعبد خيرا فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما ما وعد الله بالغيب -وهما غيب-، فأبصر الغيب بالغيب، وإذا أراد الله بعبد سوى ذلك ترك القلب على ما فيه، وقرأ: ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد:٢٤]. الزهد لأبي داود (٣٩٨).

* وعن **شهر بن حوشب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: إذا حدث الرجل القوم، فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه. تهذيب الحِلْية ٢٦٣/ ٢.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي، لطار فرحًا وحزنًا شوقًا إلى الجنة، أو خوفًا من النار. تهذيب الحِلْية ٣٧٩/ ٢.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بصر العينين من الدنيا، وبصر القلب من الآخرة، وإن الرجل ليبصر بعينه فلا ينتفع ببصره وإذا أبصر بالقلب انتفع. تهذيب الحِلْية ٢/٣٩٩.

* وقال: قال رجل **لمحمد بن النضر الحارثي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٣): أين أعبد الله؟ قال: أصلح سريرتك، واعبده حيث شئت. تهذيب الحِلْية ٥٠/ ٣.

* وسئل **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما كانت أعمال القوم؟ قال: كانت أعمالهم قليلة، وكانت قلوبهم سليمة. تهذيب الحِلْية ١٢٣/ ٢.

* وقال **محمد بن يوسف** (ت: ٣٢٠) لعبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: بلغني أنك جلست تحدث الناس، فقال له: إن أحببت حلفت أن لا أحدث بحديث أبدًا، فقال: حدِّث الناس وعلِّمهم، ولكن انظر إذا اجتمع الناس حولك كيف يكون قلبك؟ تهذيب الحِلْية ٥٥/ ٣.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): واللهِ ما يريد اللهُ منَّا أنْ تيبس جلودنا على عظامنا، ولا يريد منا إلا صدق النية فيما عنده. تهذيب الحِلْية ١٨٦/ ٣.

* وقال **السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١): تصفية العمل من الآفات أشد من العمل.[1] تهذيب الحِلْية ٢٨٧/ ٣.

---

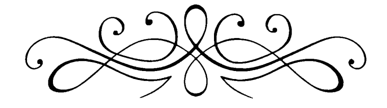
(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلا إله إلا الله، كم في النفوس من عِلل وأغراض وحظوظ، تمنع الأعمال أن تكون لله خالصة، وأن تصل إليه، وإن العبد ليعمل العمل حيث لا يراه بشر ألبته وهو غير خالص لله، ويعمل العمل والعيون قد استدارت عليه نطاقًا وهو خالص لوجه الله، ولا يميز هذا إلا أهل البصائر وأطباء القلوب العالمون بأدوائها وعللها.

فبين العمل وبين القلب مسافة، وفي تلك المسافة: قُطَّاع تمنع وصول العمل إلى القلب، فيكون الرجل كثير العمل وما وصل منه إلى قلبه محبة، ولا خوف، ولا رجاء، ولا زهد في الدنيا، ولا رغبة في الآخرة، ولا نور يفرق به بين أوليائه وأعدائه، وبين الحق والباطل، ولا قوة في أمره، فلو=

* وسئل **بعض السلف**: ما خير ما أعطي العبد؟ قال: فراغ القلب عما لا يعنيه ليتفرغ إلى ما يعنيه. تهذيب الحِلْية ٣/٤٥٤.

* وقال **عبد الجبار بن خالد بن عمران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨١): من أصبح وأمسى وهمه بغير الله مجتمع، لم يُبال الله تعالى في أي وادٍ من أودية الدنيا وقع. ترتيب المدارك (٢/ ٣٧١).

* وقال بعض حكماء العرب: كل إناء يُفَرَّغُ فيه يضيق ويمتلئ إلا القلب؛ فإنه كلما أُفْرِغ فيه اتسع، وهذا من أدل الدلائل على اللطيف الخبير.(١) المجالسة وجواهر العلم (٢٩٤).



= وصل أثر الأعمال إلى قلبه لاستنار وأشرق، ورأى الحق والباطل، وأوجب له ذلك المزيد من الأحوال.

ثم بين القلب وبين الرب مسافة، وعليها قطاع تمنع وصول العمل إليه من كبر، وإعجاب، وإدلال، ورؤية العمل، ونسيان المِنَّة، وعلل خفية لو استقصى في طلبها لرأى العجب العجاب، ومن رحمة الله تعالى سترها على أكثر العمال، إذ لو رأوها وعاينوها: لوقعوا فيما هو أشد منها من اليأس، والقنوط، وترك العمل، وفتور الهمة. ا.هـ بتصرف مدارج السالكين ٢/ ١٤-١٥

(١) ومثل ذلك: الأجهزة الحديثة، فإنها تمتلئ كلما أُفرغ فيها من المعلومات، وأما العقل والقلب فإنه يتسع كلما أُفرغ فيه، فسبحان الله العلي العظيم.



الصدق مع الله[1]

* قال بكر بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنّ أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) لم يَفْضُل الناس بأنه كان أكثرهم صلاة وصومًا، وإنما فَضَلهم بشيء كان في قلبه. الزهد لأبي داود (٥٩).

* وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهادًا من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كانوا أفضل منكم!.

قيل له: بأي شيء؟ قال: إنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم.[2]

(١) قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حقيقة الإخلاص: توحيد المطلوب، وحقيقة الصدق: توحيد الطلب والإرادة، ولا يُثمران إلا بالاستسلام المحض للمتابعة.
فهذه الأركان الثلاثة -وهي الإخلاص والصدق والمتابعة-: هي أركان السير وأصول الطريق التي من لم يَبْنِ عليها سلوكه وسيره فهو مقطوع وإن ظن أنه سائر. مدارج السالكين (٢/ ٩٧)
ولو تأملت فيمن رفعه الله من أهل العلم والفضل لوجدت أن من أعظم أسباب رفعتهم وقبول الناس لهم: صدقهم مع الله تعالى، الذي جرهم إلى أن باعوا أنفسهم وأموالهم وأعراضهم لله تعالى، لا ينتقمون لأنفسهم، ويبذلون أوقاتهم له ولدينه.
وإنّ عملًا يسيرًا يقوم به الصادق في حال مشاهدته منَّةَ الله عليه، وكمالَ افتقاره إليه، وعدمَ استغنائه عنه في ذرةٍ من ذراته، وقد خالط قلبَه حالُ المحبة، والفرح بالله، والأُنس به، والشوق إلى لقائه، وشهود سعة رحمته وحلمه وعفوه، وقد أشرقت على قلبه أنوار الأسماء والصفات: خيرٌ وأفضل وأعظم أجرًا من جبال من الأعمال يقوم بها غيره.

(٢) فأصل وأساس السباق إلى الله بالقلب لا بالبدن.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وممَّا ينبغي أنْ يُعرَف أنَّ الله ليس رضاه أو محبَّته في مجرَّد عَذاب النفس وحملها على المشاقِّ؛ حتى يكونَ العمل كلَّما كان أشقَّ كان أفضل، كما يحسبُ كثيرٌ من الجهال أنَّ الأجر على قدر المشقَّة في كلِّ شيء، لا، ولكن الأجر على قدر منفعة العمل، ومصلحته، وفائدته، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله، فأي العملين كان أحسن، وصاحبه أطوع، وأتبع - كان أفضل؛ فإنَّ الأعمال لا تتفاضَلُ بالكثرة، وإنما تتفاضَلُ بما يحصل في القلوب حالَ العمل. مجموع الفتاوى: ٢٥/ ٢٨٢ =

الزهد لابن المبارك (٤٦٢)، الزهد لأبي داود (١٣٣).

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): إن الصدق يبدو في القلب ضعيفًا، كما يبدو نبات النخلة يبدو غصنًا واحدًا، فإذا نتفها صبي، ذهب أصلها وإن أكلتها عنز ذهب أصلها فتسقى فتنشر، وتسقى فتنشر حتى يكون لها أصل أصيل يوطأ، وظل يستظل به، وثمرة يؤكل منها، كذلك الصدق يبدو في القلب ضعيفًا، فيتفقده صاحبه ويزيده الله تعالى. ويتفقده صاحبه فيزيده الله حتى يجعله الله بركة على نفسه، ويكون كلامه دواء للخاطئين.

ثم يقول: أما رأيتموهم؟ ثم يرجع إلى نفسه، فيقول: بلى! والله لقد رأيناهم؛ الحسنُ، وسعيدُ بن جبير وأشباههم، الرجل منهم يحيي الله بكلامه الفئام من الناس. تهذيب الحِلْية ١/٤١٨.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قولوا لمن لم يكن صادقًا: لا يتعنّى. صفة الصفوة ٣/ ٢٠١.

* وقال **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ٣] قال: «أتاهم والله من أمر الله ما وقَذَهم عن الباطل».[1] الزهد لابن المبارك (٧٥٠).

* وقال أبو زرعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت **لأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟.

= وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهل أراد اللهَ أحدٌ بصدق فلم يُردْه الله؟ الاستقامة ص: ٥٣.
وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنَّ العبد إنما يقطَعُ منازل السير إلى الله بقلبه وهمَّته لا ببدنه، والتَّقوى في الحقيقة تقوى القُلوب لا تقوى الجوارح؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج:٣٢]. الفوائد ص: ١٤١.

(١) معنى وقذهم: سكّنهم، أَي: أنّ المؤمن التقي يبلغ منه الإيمان بالله والخوف منه ومحبته والأنس به مبلغا يَمنعه مِن انتهاك مَا لَا يَحِلّ وَلَا يَجْمل، ويُشغله عن سفاسف الأمور، ويُؤنسه عن الأنس بغيره وبغير ما يُحبه. «تهذيب اللغة» (٩/ ٢٠٣):

فقال لي: يا أبا زرعة لو جُعل الصدق على جرح لبرأ. تاريخ دمشق لابن عساكر (٥/ ٣٢١).

* وقيل **للإمام أَحْمَد بْن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ: بم نال مَن نال ما نال حتى ذُكر به؟.

فقال: **بالصِّدْق**. طبقات الحنابلة (١/ ١٤١).

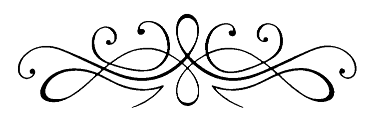
* وذَكَر له رجلٌ **الصدق والإخلاص** فقال: **بهذا ارتفع القوم**.[1] طبقات الحنابلة (١/ ١٤٧).

* وعن **معروف الكرخي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢١٠) قال: ما أكثر الصَّالحين، وما أقل الصّادقين. السِّيَر: ٨/ ٨٧.

* وقال **وكيع بن الجراح** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٧): هذه بضاعة لا يرتفع فيها إلا صادق. تهذيب الحِلْية ١٠٧/ ٣.

* وقال **أبو يعقوب إسحاق بن محمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٣٠): الصِّدْقُ موافقَةُ الحقِّ في السرِّ والعلانية، وحقيقةُ الصدْقِ القولُ بالحقِّ في مواطن الهَلَكَةِ. السِّيَر: ١١/ ٤٦٥.

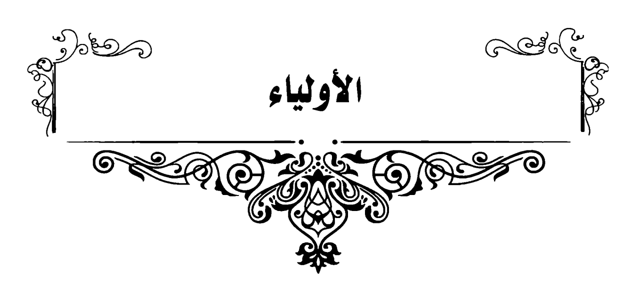
* وقال **أبو سُلَيْمَانَ الداراني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٥): مَنْ صَدَقَ في تَرْكِ شَهْوةٍ ذَهبَ الله بِها مِنْ قلْبِهِ. الزهد للبيهقي (٧٢٧).



(١) الإخلاص: أن يقصد بالعمل وجه الله وحده.

والصدق: أن يبذل وقته وجهده وطاقته في مرضاته.

ومن كان كذلك: كان من الصّدِّيقين الأولياء، ورفعه الله، وبارك فيه وفي علمه ووقته، جعلنا الله منهم.



الأولياء

* عن **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إن من الناس مفاتيح ذكر الله، إذا رُؤوا ذكر الله. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٩٤.

* وعن **عبدالله ابن أبي أوفى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) قال: خيار عباد الله الذين يحبون الله والذين يحببون الله إلى عباده. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٩٤.

* وعن أبي عوانة قال: رأيت **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) يمر في السوق وكبَّر الناس قال خلف: كان محمد بن سيرين قد أعطي هديًا وسمتًا وخشوعًا فكان إذا رأوه ذكروا الله. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٩٥.

* وقال ابن أبي الدنيا: كتب إلي أبو عبد الله محمد بن خلف عن **إسحاق ابن أبي نباتة** رَحِمَهُ اللَّهُ: مكث سنين يؤذن لقومه في مسجد بني عمرو بن سعد، وكان يعلِّم الغلمان الكتاب ولا يأخذ الأجر، ومات قبل أن يحفر الخندق بثلاثين سنة، فلما حفر الخندق وكان بين المقابر ذهب بعض أصحابه يستخرجه، ووقع قبره في الخندق فاستخرجوه كما دفن لم يتغير منه شيء إلا أن الكفن قد جف عليه ويبس والحنوط محطوط عليه، وكان خضيبًا، فرأوا وجهه مكشوفًا وقد فصل الحناء في أطراف لحيته. فمضى المسيب ابن زهير إلى أبي جعفر وهو في قصر أم موسى بنت هشام بن عبد الملك على شاطئ الفرات فأخبره، فركب أبو جعفر في الليل حتى رآه، فأمر به فدفن بالليل؛ لئلا يفتتن الناس. ابن أبي الدنيا ٢/ ٤٠٥.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: وليُّ الله إذا زاد جاهه زاد تواضعه وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده. الحِلْية ١٠/ ٣١٥.



الإخلاص، وذم النفاق والرياء، والخوف منهما[1]

* كتب عمر (ت: ٢٣) إلى أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ يُخْلِصُ نِيَّتَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ يَكْفِهِ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ.

وَمَنْ تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللهُ مِنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ شَانَهُ اللهُ».[2] سنن الدارقطني (٤٤٧٢).

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللهِ الَّتِي لَا تُبَدَّلُ وَسُنَّتُهُ الَّتِي لَا تُحَوَّلُ أَنْ يُلْبِسَ الْمُخْلِصَ مِنْ الْمَهَابَةِ وَالنُّورِ وَالْمَحَبَّةِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ وَإِقْبَالِ قُلُوبِهِمْ إلَيْهِ مَا هُوَ بِحَسَبِ إخْلَاصِهِ وَنِيَّتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِرَبِّهِ، وَيُلْبِسَ الْمُرَائِيَ اللَّابِسَ ثَوْبَيْ الزُّورِ مِنْ الْمَقْتِ وَالْمَهَانَةِ وَالْبِغْضَةِ مَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ، فَالْمُخْلِصُ لَهُ الْمَهَابَةُ وَالْمَحَبَّةُ، وَلِلْآخَرِ الْمَقْتُ وَالْبَغْضَاءُ. إعلام الموقعين ٢/ ٥٢٠.

وينبغي التنبيه إلى أنّ السلف الصالح لا يقصدون بالنهي عن العمل لغير الله: صرف العبادات لغيره فحسب، بل يشمل ذلك حظوظ النفس، فمن انتقم لنفسه وغضب لها فقد عمل لحظِّ نفسِه لا لله، ومن انتظر من الناس الثناء والمدح على عملِه فقد عمل لغير الله، ومن سعى لإشهارِ نفسِه ليكثر متابعوه ومحبُّوه فقد عمل لغير الله.

وتمام الإخلاص والصدق مع الله تعالى: ألا تُريد بقول ولا عمل إلا وجه الله، وهذه منزلة العبوديّة لله، وأكمل الناس منزلة: أعظمهم عبوديّة لله تعالى.

(٢) يشمل ذلك من تزيّن للناس بأقواله أو أحواله وهو في الواقع بخلاف ذلك.

وقد ثبت في صحيح مسلم (١١٠) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «**مَنِ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلاَّ قِلَّةً**»، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: يعنى -والله أعلم-: أَنَّ مَنْ تظاهَرَ بشيء مِنَ الكمال، وتعاطاه، وادَّعَاهُ لنفسه، وليس موصوفًا به، لم يَحْصُلْ له مِنْ ذلك إلاَّ نقيضُ مقصودِهِ، وهو النقص: فإنْ كان المُدَّعَى مالًا، لم يبارَكْ له فيه، أو علمًا أظهَرَ اللهُ تعالى جَهْلَهُ، فاحتقَرَهُ الناس، وقَلَّ مقدارُهُ عندهم.

وكذلك لو ادَّعَى دِينًا أو نَسَبًا أو غَيْرَ ذلك، فضَحَهُ اللهُ، وأظهَرَ باطلَهُ، فقَلَّ مقدارُهُ، وذَلَّ في نفسه، فحصَلَ على نقيضِ قصده، وهذا نحوُ قوله ﷺ: «**المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**».

وفائدةُ الحديث: الزجرُ عن الرياءِ وتعاطيه، ولو كان بأمورِ الدنيا. المفهم ١/ ٣١٥.

* ودُعي **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى وليمةٍ، فلما أكل وخرج قال: وددت أني لم أحضر هذا الطعام، قيل له: لم يا أمير المؤمنين؟ قال: إني أظن صاحبكم لم يعمله إلا رياءً. ابن أبي الدنيا ١/ ١٨٢.

* وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِن أصحابي من لا أراه ولا يراني بعد أن أموت أبدا**»، فبلغ ذلك **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأتاها يشتد فقال لها: أنشدك بالله، أنا منهم؟ قالت: لا، ولن أبرئ بعدك أحدا أبدا. مسند الإمام أحمد (٢٦٥٤٩) وصححه محققوه.

* وعن **حذيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: مر بي **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنا جالس في المسجد، فقال لي: يا حذيفة، إن فلانا قد مات فاشهد، قال: ثم مضى حتى إذا كاد أن يخرج من المسجد، التفت إليّ فرآني وأنا جالس فعرف، فرجع إليّ فقال: يا حذيفة أنشدك بالله أمِن القوم أنا؟ قال: قلت: اللهم لا، ولن أبري أحدا بعدك، قال: فرأيت عيني عمر جادتا.[1] الزهد لوكيع (٤٧٧).

* وقال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): من كان ظاهره أرجح من باطنه: خفَّ ميزانُه يومَ القيامة، ومن كان باطنه أرجح من ظاهره: ثقل ميزانه يوم القيامة. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٧.

* وقال **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): من راءى في الدنيا راءى الله به يوم القيامة، ومن يسمع في الدنيا يسمع الله به يوم القيامة. تهذيب الحِلْية ١/١٢٤.

* وقال **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦): إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانوا يومئذ يُسِرّون واليوم يجهرون. صحيح البخاري (٧١١٣).

---

(١) أي: سالتا من الدموع فرحًا؛ حيث لم يذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ضمن المنافقين الذين أخبر بأسمائهم حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* وقال له رجل: أخشى أن أكونَ منافقًا، فقال: لو كنتَ مُنافقًا لم تخشَ. عيون الأخبار ٧٣٩/ ٢.

* وقال أناس **لابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣): إنا ندخل على سلطاننا، فنقول لهم خلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم، قال: كنا نعدّها نفاقًا. صحيح البخاري (٧١٧٨).

* وعن أبي العالية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٣) قال: قال لي **أصحاب محمد** ﷺ: لا تعمل لغير الله فيكِلَك الله عَزَّوَجَلَّ إلى مَن عملت له. صفة الصفوة ٣/ ١٤٨.

* وقال الوليد بن مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: سألتُ الأوزاعيَّ وسعيدَ بن عبد العزيز وابن جريج رَحِمَهُمُ اللَّهُ: لم طلبتم العلم؟ كلهم يقول: لنفسي، غير أن **ابن جريج** (ت: ١٥٠) فإنه قال: طلبتُه للناس.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٨): ما أحسنَ الصدق! واليوم تسأل الفقيه الغبي: لم طلبت العلم؟ فيبادر ويقول: طلبته لله، ويكذب إنما طلبه للدنيا، ويا قِلَّةَ ما عرف منه. السِّيَر ١/ ٤٥.

* وقال **مجاهد** رَحِمَهُمَا اللَّهُ (ت: ١٠٤): طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نيَّة، ثم رَزَق الله بعدُ فيه النيَّة. مسند الدارمي (٣٧١).

* وقال **أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنى** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٩): كان يُقال: إن الرَّجل يطلبُ العلمَ لغير الله فيأبَى عليه العِلمُ حتى يكون لله.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم يطلبه أولًا والحاملُ له حبُّ العلم، وحبُّ إزالة الجهل عنه، وحب الوظائف، ونحوُ ذلك. ولم يكن عَلِمَ وجوب الإخلاص فيه ولا صِدْقَ النية فإذا عَلِمَ حاسبَ نفسَه وخاف من وَبَالِ قصدِه فتجيئُه النِّية الصَّالحة كلُّها أو بعضها وقد يتوبُ من نيته الفاسدة ويندمُ. وعلامة ذلك أنه يُقْصِر

من الدعاوى وحبِّ المناظرة ومِن قصد التَّكثُّر بعلمه ويُزري على نفسه فإن تكثَّر بعلمه أو قال: أنا أعلمُ مِن فلان فبعدًا له. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٧٢.

* وقال **هشام الدَّستُوائي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٢): والله ما أستطيع أن أقول: إني ذهبتُ يومًا قطُّ أطلبُ الحديث أُريدُ به وجهَ الله عَزَّوَجَلَّ.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: واللهِ ولا أنا، فقد كان السَّلَفُ يطلبون العلم لله فَنَبلوا، وصاروا أئمةً يُقتدى بهم، وطلبه قومٌ منهم أولًا لا لله، وحصَّلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرَّهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطَّريق، كما قال مُجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبيرُ نِيَّة، ثم رزق الله النيةَ بعدُ، وبعضهم يقولُ: طلبنا هذا العلم لغير الله فأبى أن يكونَ إلا لله، فهذا أيضًا حسن، ثم نشروه بِنِيَّةٍ صالحة.

وقومٌ طلبوه بِنيَّة فاسدة لأجل الدُّنيا وليُثْنَى عليهم فلهم ما نووا، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من غَزا ينوي عِقالًا فلهُ ما نَوَى». وترى هذا الضرب لم يستضيؤوا بنورِ العلم ولا لهم وقعٌ في النُّفوس، ولا لِعلمهم كبيرُ نتيجة من العمل، وإنما العالِمُ من يخشى الله تعالى.

وقومٌ نالوا العلم ووُلُوا به المناصِبَ، فظلموا، وتركوا التَّقيُّد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش، فتبًّا لهم، فما هؤلاء بعلماء.

وبعضهم لم يتَّق الله في علمه، بل ركب الحيل، وأفتى بالرُّخص وروى الشَّاذَّ من الأخبار، وبعضهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث، فَهَتكَه الله، وذهب علمه، وصار زاده إلى النار. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٨٧.

* وعن **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٩٠) قال: كلّ ما لا يُبْتغى به وجْهُ الله عَزَّوَجَلَّ يضمحلّ. صفة الصفوة ٣/ ٤١.

* وعن **أبي الجوزاء** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٢) قال: نقل الحجارة أهون على المنافق من قراءة القرآن. تهذيب الحِلْية ١/ ٤٥٩.

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦) قال: من ابتغى شيئًا من العلم يبتغي به وجه الله عَزَّوَجَلَّ آتاه الله منه ما يكفيه.[1] مسند الدارمي (٢٧٣).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ أقرب الناس من الرياء آمنهم له. تهذيب الحِلْية ٢٧٨/ ٢.

* وقال **مطرّف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): إن أقبح ما طُلب به الدنيا عمل الآخرة. صفة الصفوة ٣/ ١٥٩.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصحة النية. تهذيب الحِلْية ٣٥٩/ ١.

* وعن **الربيع بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) قال: علامة الدين الإخلاص لله، وعلامةُ العلم خشية الله. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٤.

* وقيل **لعطاء السليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦): ما الحذر؟ قال: الاتقاء على العمل ألا يكون لله. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٧.

* وعن **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: لا تكن وليًا لله في العلانية وعدوه في السرّ. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٨.

* وقال **بعض السلف**: إنّ المؤمن تلقاه الزمانَ بعد الزمان بأمر واحد، ووجه واحد، ونصيحة واحدة، وإنما يبدّل المنافق، يُشاكل كلّ قوم[2]، ويسعى مع كلّ ريح.

---

(١) فيجد في العلم الذي تعلّمه ابتغاء وجه الله ما يكفيه في إصلاح قلبه، وتحسين أخلاقه، ونفع الناس في التأليف والخطابة والدعوة، وأما من طلب العلم لجمع المسائل ويستمتع بحضور الدروس أو بالقراءة فهو على خير، ولكنه لن يجد كفايته، ولن يكون العلم مُؤثِّرًا تأثيرًا كبيرًا على سلوكه وإيمانِه وتمكّنِه من العلم والتأليف ونفع الناس نفعًا كبيرًا.

(٢) أي: يُوافق كلّ قوم على ما هم عليه من خير أو شرّ.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١): يا معشر المسترين: اعلموا أن عند الله مسألةً فاضحةً؛ قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر:٩٢-٩٣]. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٨.

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قال: اجتمع إليّ أصحاب محمد ﷺ فقالوا: يا أبا العالية، لا تعمل عملًا تريدُ به غير الله فيجعل الله ثوابك على من أردت. ابن أبي الدنيا ١/ ١٨٢.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): والله ما أصبحَ ولا أمسَى مؤمن إلا وهو يخاف النفاق عَلَى نفسه. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٢).

* وكان شاب يقرأ عند **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان يعجبه صوته فقال: يا أبا سعيد إني قد رزقت هذا الصوت وإني أقوم من الليل فيجيء الشيطان فيقول: إنما تريد أن تُسَمِّع، فقال الحسن: نيتك حين تقوم من فراشك. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٢.

* وقيل **للإمام مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩): شغلت نفسك بهذا الكتاب، وقد شاركك فيه الناس وعملوا أمثاله.

فقال: لتعلمنّ ما أريد به وجه الله تعالى.(١) ترتيب المدارك (١/ ١٨٩).

---

(١) وقد اندثرت تلك الموطآت ولم يبق إلا موطأ الإمام مالك، وأجمع الأكابر من أهل العلم على جلالته، واعتنوا به اعتناء منقطع النظير، حتى قال عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما نعرف كتابًا في الإسلام بعد كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أصح من موطأ مالك)، وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما كتاب بعد كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أنفع من موطأ مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

قال ابن خلدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمته: (وتلقت الأمة هذا الكتاب بالقبول في مشارق الأرض ومغاربها).

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السِّيَر: (وإن للموطأ لوقعًا في النفوس، ومهابة في القلوب لا يوازنها شيء)، وقال في موضع آخر: (وما زال العلماء قديما وحديثا لهم أتم اعتناء برواية «الموطأ» ومعرفته، وتحصيله).

وقد صنفت موطآت كثيرة في زمن الإمام مالك، ولكن لم يكتب الله لها الدوام والقبول كما كتب له.

* وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيت **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فرأيته من الخاشعين، وإنما رفعه الله بسريرة بينه وبينه، وذلك أني كثيرًا ما كنت أسمعه يقول: من أحبَّ أن يفتح له فرجة في قلبه وينجو من غمرات الموت وأهوال يوم القيامة؛ فليكن في عمله في السر أكثر منه في العلانية.

قال ابن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان أكثر عبادة مالك في السر بالليل والنهار حيث لا يراه أحد. ترتيب المدارك (١/ ١٧٠، ١٧٢).

* وقال معروف **الكرخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): رأيتُ **أَحْمَد بن حنبل** (ت: ٢٤١) فتى عليه آثار النسك، سمعتُه يقول كلامًا جمع فيه الخير، سمعتُه يقول: **مَن عَلِم أنه إذا مات نُسي أحسن ولم يُسِئ**. طبقات الحنابلة (٢/ ٤٧٨).

* وكَانَ **ابْن بشار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٣) يفتتح مجلسه إذا أراد أن يتكلم بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝٧٩﴾ [هود:٧٩]، فقام إِلَيْهِ رجل فَقَالَ لَهُ: رضي الله عنك، وما الَّذِي تريد؟ فَقَالَ لَهُ: **هُوَ يعلم أني ما أُريد فِي الدنيا والآخرة سِواه**. طبقات الحنابلة (٣/ ١١٣).

* وعن **عبد الرحمن بن شريح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٧) قال: من قام إلى شيء من الخير لا يريد به إلا الله ثم عرض له من يريد أن يرائيه بذلك أعطاه الله بالأصل، ووضع عنه الفرع، ومن قام إلى شيء من الخير لا يريد به إلا المراءاة، ثم فكر أو بدا له فجعل آخر ذلك لله: أعطاه الله الفرع ووضع عنه الأصل. ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٢.

* وعن أحمد بن عاصم قال: التقى **سفيان الثوري** (ت: ١٦١) **وفضيل بن عياض** (ت: ١٨٧) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ فتذاكرا فبكيا، فقال سفيان: إني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة، قال له فضيل: ترجو؟ لكني أخاف أن

يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤما، أليس نظرت إلى أحسن ما عندك فتزينت به لي وتزينت لك به؟ فبكى سفيان حتى علا نحيبه ثم قال: أحييتني أحياك الله. تهذيب الحِلْية ٢/٤٠٤.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار أحبُّ إلي من أن أطلبها بالعبادة. صفة الصفوة ٢/ ٥٤٦.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن يطلب الرجل الدنيا بأقبح ما تطلب به، أحسن من أن يطلب بأحسن ما تطلب به الآخرة. تهذيب الحِلْية ٣/١٧.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو قيل لك: يا مُرائي، غَضِبْتَ، وشقَّ عليك، وعسى ما قيل لك حق، تَزَّينتَ للدنيا وتصنَّعتَ، وقصّرتَ ثيابك، وحسنتَ سمتك، وكففتَ أذاك حتى يُقال: أبو فلان عابدٌ، ما أحسنَ سمْتَه فيكرمونك وينظرونك، ويقصدونك ويهدون إليك، مثل الدرهم السُّتُّوق[1] لا يعرفه كلُّ أحد فإذا قُشر، قُشر عن نحاس. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٨.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تكن مرائيًا وأنت لا تشعر، تصنعت وتهيأت حتى عرفك الناس فقالوا: هو رجل صالح فأكرموك، وقضوا لك الحوايج، ووسعوا لك في المجلس، وإنما عرفوك بالله. لولا ذلك لهنت عليهم كما هان عليهم الفاسق لم يكرموه ولم يقضوه ولم يوسعوا له المجلس. تهذيب الحِلْية ٣/١٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المؤمن قليل الكلام، كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل. تهذيب الحِلْية ٣/١٦.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧]: أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن

(١) قال في الحاشية: هو الرديء الزيف الذي لا خير فيه.

خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة. تهذيب الحِلْية ١٤/ ٣.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تركُ العملِ من أجل الناس رياءٌ، والعملُ من أجل الناس شِرْكٌ، والإخلاصُ أن يعافِيَكَ الله عنهما.[1] تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٤.

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٤): لو أن رجلين اصطحبا في الطريق فأراد أحدهما أن يصلي ركعتين، فتركهما لأجل صاحبه، كان ذلك رياء، وإن صلاهما من أجل صاحبه فهو شرك. تهذيب الحِلْية ٤٠/ ٣.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من سفلة الناس؟ قال: من يأكل بدينه. تهذيب الحِلْية ٣٩/ ٣.

* وقال **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩): إياكم والرياء؛ فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلَّته. تهذيب الحِلْية ٣٩٥/ ١.

* وعن عبد الرحمن بن مَهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كنتُ أجلسُ يومَ الجمعة، فإذا كثر الناسُ فرحتُ، وإذا قلُّوا حزنتُ، فسألتُ **بِشْرَ بنَ منصور** (ت: ١٨٠)، فقال: هذا مجلسُ سَوْءٍ، فلا تَعُدْ إليه، فما عُدتُ إليه.[2] تهذيب السِّيَر ٢/ ٨١٧.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أراد بعلمه وجه الله أقبل الله عليه بوجهه،

---

(١) تركُ العمل خوفًا من قول الناس إنه مراء: هو عين الرياء، فلولا حبُّه لمدحهم وخوفه من ذمهم: لَمَا الْتفت إليهم، وخاف من سوء ظنّهم، فماله ولقولهم؟! قالوا: إنه مراء أو قالوا: إنه مخلص؟ أما إذا ترك العمل خوفًا من أن يكون مرائيًا به: فهو خطأ، وموافقة لمراد الشيطان، لكنه لا يُطلَق على فاعلِه أنه مراءٍ؛ لأنَّ الرياء هو فعل العمل الصالح أو تحسينه لأجل الناس، والله أعلم.

(٢) قد يشعر بهذا بعض الدعاة وطلاب العلم، فإذا دُعي أحدهم إلى مُحاضرة أو درس وكان الحضور كثيرًا فرح، وإذا كان قليلا حزن، وربما انقطع عن الدرس في المستقبل، وهذا يدل على ضعف الإخلاص، وعدم سلامة القلب من حظوظ النفس، والمؤمن يبحث عما يُرضي الله، وينشر علمه ويدعو إلى الله تعالى، ولا يُهمه قلَّ الحضور أو كثروا.

وأقبل بقلوب العباد إليه، ومن عمل لغير الله تعالى صرف عنه وجهه، وصرف بقلوب العباد عنه. تهذيب الحِلْية ١/٤٥١.

* وقال **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩): تعلَّموا النية فإنها أبلغ من العمل. تهذيب الحِلْية ١/٤٥٦.

* وقال **شقيق البلخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٠): مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وهو يخاف أن يحمل شوكًا، ومثل المنافق كمثل رجل زرع شوكًا وهو يطمع أن يحصد تمرًا، هيهات هيهات. تهذيب الحِلْية ٢/٥٠٢.

* وعن **أبي سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥) أنه قال: أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله أنْ يطَّلع على قلبك وأنت لا تريد مِن الدنيا والآخرة غيره.[١] تهذيب الحِلْية ٣/١٨٢.

* وقيلَ **لِأَحْمَدَ بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١): الرَّجُلُ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَرَى قَوْمًا فَيُحْسِنُ صَلَاتَهُ؟ يَعْنِي الرِّيَاءَ.

---

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذه منزلة لا يبلغها إلا من وفقه الله، واشتغل على تهذيب نفسِه وتنقيتِها من حظوظ النفس وأمراض القلب.

ولو تفرغ المؤمن -وخاصة طالب العلم- خمس سنين في إصلاح قلبِه وتخليصِه من الأمراض والشوائب: لَمَا كان كثيرًا، ولكانت هذه السنوات القليلةُ بركةً عليه وعلى ما تبقّى من عمره، ورفعةً في درجاتِه.

والسبيل إلى ذلك:

١- تدبّر القرآن وفهمُه والعزيمةُ على العمل بجميع ما فيه.

٢- قراءة الصحيحين قراءةً مُتأنِّية، فينظر إلى أخلاق النبي ﷺ وإلى عباداتِه وسيرتِه، ويُطبق كلّ ما قرأ بقدر استطاعتِه.

٣- قراءة كتب السلف الصالح وأهل العلم التي تعتني بصلاح القلب، وقد ذكرتُها في مصادر هذا الكتاب.

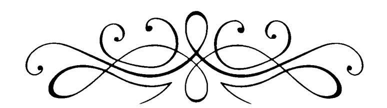
٤- المبادرةُ بإصلاح عباداتِه الظاهرة والباطنة، والعناية بصلاح سريرتِه، وسلامةِ قلبِه، والإكثار من التفكر في عظمة الله وآياتِه وأسمائه وصفاتِه.

قَالَ: لَا، تِلْكَ بَرَكَةُ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ.[1] الفروع لابن مفلح (٢/ ٢٩٨).

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن رجلًا قال: يا رسول الله إني أعمل العمل أسره فيطلع عليه فيعجبني؟[2].

فقال: لَمَّا أسرّ العمل فأظهر الله عَزَّوَجَلَّ له الثناء الحسن فأعجبه، فلم يعبْ ذلك أنَّ الرجل يعجبه أن يُقال فيه الخير.

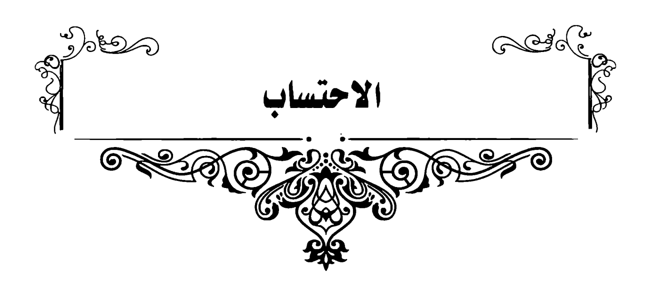
قال **إسحاق بن راهويه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلما اطّلع عليه فأعجبه، فإذا كان ذلك منه ليَقتدي به الناس، وليُذْكر بخير، صار له أجرُ سرِّه وأجرُ ما نوى مِن اقتداء الناس به، وذكرِهم إياه بخير.[3] مسائل الكوسج (٢/ ٦٦٦).



(١) هذا الفهم العميق للإمام أحمد قلّ من يتنبّه له، ويتبادر إلى أذهان كثير من طلاب العلم فضلا عن عامة الناس أنَّ فعل هذا الرجل من الرياء، والمسلم لا يثاب على عملٍ مشوب.
وإنما مقصود الإمام أحمد -والله أعلم- أنّ الرجل حينما يدخل المسجد فيرى حرص الناس على صلاتهم يُؤَثِّر ذلك عليه من حيث يشعر أو لا يشعر، فيحرص على حسن صلاته، لا قصدًا منه بمراءاتهم، بل لبركة المسلم على أخيه.

(٢) روى ابن ماجه في سننه (٤٢٢٦) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «قال الرجل: يا رسول الله إني أعمل العمل، فيطلع عليه، فيعجبني، قال: لك أجران أجر السر وأجر العلانية».
ورواه الترمذي في سننه (٢٣٨٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) قال ابن القيم: لا بأس أنْ يُعجِب الإنسانُ ما قيل عنه من الخير إذا كان مقصده في عمله اللهُ؛ لأن النبي ﷺ قال: «**المؤمن تسره حسنة**». بدائع الفوائد ٤/ ١٤٦١-١٤٦٢.



الاحتساب

* قال **معاذ بن جبلٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨): أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. صحيح البخاري (٤٣٤١).

* وعن الطفيل بن أبي كعب أنه كان يأتي **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمرّ عبد الله بن عمر على صاحب بيعة، ولا مسكين، ولا أحد إلا وسلم عليه.

فقلت: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس؟.

قال: إنما نغدو من أجل السلام، فسلّم على من لقيت. تهذيب الحِلْية ١/٢٢١.

* ومَرّ أصحاب نجدة الحروري[1] على إبل **لابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فاستاقوها، فجاء راعيها فقال: يا أبا عبد الرحمن، احتسب الإبل.

قال: ويحك وما لها؟ قال: مر بها أصحاب نجدة فذهبوا بها.

قال: كيف ذهبوا بالإبل وتركوك؟ قال: قد كانوا ذهبوا بي معها، ولكن انفلت.

قال: وما حملك على أن تركتهم وجئتني؟ قال: كنتَ أحبَّ إليّ منهم.

قال: آلله الذي لا إله إلا هو، لأنا أحب إليك؟ قال: فحلف له.

قال: فإني أحتسبك معها، فأعتقه.

---

(١) من الخوارج.

فمكث ما مكث، فأتاه آت، فقال: هل لك في ناقتك الفلانية، وسماها، ها هي تباع في السوق؟.

قال: أرِني ردائي، فلما وضعه عليه وقام: جلس ووضع ردائه، فقال: دعها قد كنت احتسبتها. الزهد لأبي داود (٢٦٨).

* وعاد **مكحولٌ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) رجلا مريضا فقال له: أتراك مرابطًا العام؟ قال: كيف تسألني عن هذا، وأنا على ذي الحال؟ قال: وما عليك أن تنوي ذاك، فإن شفاك الله مضيت لوجهك، وإن حال بينك وبينه أجل كتب لك نيتك. تهذيب الحِلْية ٢/١٨١.

* وكان **جابر بن زيد أبو الشعثاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣) لا يماكس في ثلاث: في الكراء إلى مكة، وفي الرقبة يشتريها للعتق، وفي الأضحية.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يماكس في كل شيء يَتقرَّب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحِلْية ١/٤٦١.

* وعن **زُبَيد بن الحارث اليامي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٢) قال: يسرني أن يكون لي في كل شيء نية حتى في الأكل والنوم. الزهد لابن المبارك (٦٤).

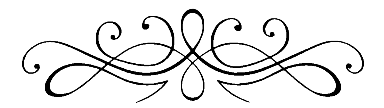
* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: ما ضربت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي، حتى أنظر: على طاعة أو على معصية، فإن كانت طاعة تقدمت، وإن كانت معصية تأخرت. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٣١.

* وعن **عبد الرحمن بن مَهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: لولا أَنِّي أَكْرَهُ أن يُعصى الله، لتمنَّيتُ ألا يبقى أحدٌ في المِصْرِ إلاَّ اغْتابني! أيُّ شيءٍ أهنأُ من حَسنةٍ يجدُها الرجلُ في صحيفَتِه لم يَعْمَلْ بها؟!. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨١٧.

* وقال **محمد بن الفضل البلخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٩): ما خطوت منذ أربعين

سنة خطوة لغير الله عَزَّوَجَلَّ.[١] جامع العلوم والحكم / ١٠٠-١٠١.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): من عمل شيئًا من أنواع الخير بلا نية، أجزأته النية الأولى، حين اختار الإسلام على الأديان كلها؛ لأن هذا العمل من سنن الإسلام، ومن شعائر الإسلام. تهذيب الحِلْية ٣/ ١٩٣.



(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهؤلاء القوم لما صلحت قلوبهم، فلم يبق فيها إرادة لغير الله، صلحت جوارحهم فلم تتحرك إلا لله عَزَّوَجَلَّ وبما فيه مرضاته، والله أعلم. جامع العلوم والحكم / ١٠٠-١٠١.



رفعة الله للمؤمنين والصالحين

* قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): كان أبو بكر سيدنا وأعتق **بلالًا** (ت: ٢٠) سيدنا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. صحيح البخاري: (٣٧٥٤).

* وعن الحسن قال: حضر بابَ **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سهيل بن عمرو، والحارثُ وبلال، وتلك الموالي الذين شهدوا بدرًا، فخرج آذِن عمر فأذن لهم، وترك هؤلاء. فقال أبو سفيان: لم أر كاليوم قطّ، يأذَنُ لهؤلاء العبيد، ونحن على بابه لا يلتفت إلينا؟ فقال سهيل بن عمرو، وكان رجلًا عاقلًا: أيها القوم إني والله لقد أرى الذي في وجوهكم، إن كنتم غضابًا فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القوم ودُعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دُعوا يوم القيامة وتركتم؟ أما والله لما سبقوكم إليه من الفضل مما لا تروْن أشدُّ عليكم فوتًا من بابكم هذا الذي كنتم تنافسونهم عليه، قال: ونفض ثوبه وانطلق.

قال **الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): وصدق والله سهيل، لا يجعل الله عبدًا أسرع إليه كعبدٍ أبطأ عنه. صفة الصفوة ١/ ٣٥٩.

* وحجّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافةَ، فاجتهد أن يستلم الحجَر فلم يمكنه قال: وجاء **علي بن الحسين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥)، فوقف له الناس، وتنحَّوْا حتى استلم، فقال الناس لهشام: مَن هذا؟ قال: لا أعرفه.

فقال الفرزدق: لكني أعرِفه، هذا علي بن الحسين.

هـذا ابـنُ خَيـر عبـادِ الله كلِّهـم ... هـذا التقـيُّ النقـيُّ الطاهـرُ العلَـمُ
هـذا الـذي تعـرفُ البطحـاءُ وطأتَـه ... والبيـتُ يعرِفـه والحِـلُّ والحَـرَمُ
يـكاد يُمسـكه عرفـانَ راحتِـه ... رُكْـنُ الحطيـم إذا مـا جـاء يَسـتلمُ
إذا رأتـه قريـشٌ قـال قائلهـا ... إلـى مـكارم هـذا ينتهـي الكـرَمُ
إن عُـدَّ أهـل التُّقـى كانـوا أئمتَهـم ... أو قيل من خير أهل الأرض؟ قيل: هـمُ
هـذا ابـنُ فاطمـةٍ إن كنـت جاهلَـه ... بجـدّه أنبيـاء اللهِ قـد خُتِمـوا
وليـس قولُـك: مَـن هـذا؟ بضائـره ... العُرْبُ تَعرف من أنكرت والعجَمُ
يُغضـي حيـاءً ويُغضـى مِـن مَهابتـه ... ولا يُكلَّـم إلاّ حيـنَ يَبتسـمُ

تهذيب السِّيَر ٢/ ٤٥٠.

* وقدم هارون الرشيد الرّقة فانْجَفَل الناس خلف **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١) وتقطَّعت النِّعال وارْتَفَعَتْ الغبرة، وأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برجٍ من قصر الخشب، فلما رأت الناس قالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قدِم الرّقة يقال له: عبد الله بن المبارك.

فقالت: هذا والله الملْك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرَطٍ وأعوان. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٦.

* ودخل **سالم بن عبد الله** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٦) على سُليمان بن عبد الملك، وعلى سالم ثيابٌ غليظة رثَّة فلم يزل سليمان يُرحِّب به، ويرفعُه حتى أقعده معه على سريره، وعمر بن عبد العزيز في المجلس، فقال له رجل من أُخريات الناس: ما استطاع خالُكَ أن يلبَسَ ثيابًا فاخرةً أحسنَ مِن هذه، يدخل فيها على أمير المؤمنين؟ قال: وعلى المتكلم ثيابٌ سَرِيَّةٌ، لها قيمة، فقال له عُمر: ما رأيتُ هذه الثيابَ التي على خالي وضَعَتهُ في مكانك، ولا رأيتُ ثيابَك هذه رفعتك إلى مكان خالي ذاك. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٣٢.



كرامات العلماء والصالحين وحفظ الله لهم

* عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط عينا سرية، وأمر عليها **عاصم بن ثابت** الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٤) فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدْأة(١)؛ بين عسفان ومكة؛ ذُكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مئة رجل رام، فاقتصوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه، لجؤوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم، فقالوا: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدا.

فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم، أما أنا، فلا أنزل على ذمة كافر: اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب، وزيد بن الدثنة ورجل آخر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم، فربطوهم بها، قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة، يريد القتلى، فجروه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب، وزيد بن الدثنة، حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر؛ فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف خبيبا، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته، فدرج بُنيّ لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة

(١) الهدأة: موضع.

عرفها خبيب. فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك، قالت: والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب، فوالله لقد وجدته يوما يأكل قِطفا من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبا.

فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل، قال لهم **خبيب** (ت: ٤): دعوني أصلي ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت: اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحدا.

وقال:

فلست أبالي حين أقتل مسلما　　على أي جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ　　يبارك على أوصال شِلْو ممزع

وكان خبيب هو سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة.

وبعث ناسٌ من قريش إلى عاصم بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حدثوا أنه قتل أن يؤتوا بشيء منه يعرف، وكان قتل رجلا من عظمائهم، فبعث الله لعاصم مثل الظُلّة من الدّبَر[1] فحمته من رسلهم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئا. صحيح البخاري (٣٩٨٩).

* وعن **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) قال: إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل المريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه، فإذا اشتهى ما يضره منعه وقال لا تقربه، فإنك إن أتيته أهلكك، فلا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه، وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة مما قد فضل به غيره من العيش، فيمنعه الله عَزَّوَجَلَّ إياه، ويحجزه حتى يتوفاه، فيدخله الجنة. صفة الصفوة ١/ ٢٥٨.

* وقال **حذيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦): إن الله تعالى ليحمي المؤمن من الدنيا،

---

(١) الظلة: السحاب، والدبر: النحل.

كما يحمي أهل المريض مريضهم الطعام. تهذيب الحِلْية ٢٠٦/١.

* وقال **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى ييسّر له، فينظر الله إليه فيقول للملائكة: اصرفوه عنه، فإني إن يسّرته له أدخلته النار فيصرفه الله عنه، فيظلُ يتطير، يقول: سبقني فلان، دهاني فلان، وما هو إلا فضل الله عز جل. الجامع المنتخب/ ١٤٠.

* وقَالَ **عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢): قَدْ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ، حَتَّى اكْتَوَيْتُ، فَتُرِكْتُ، ثُمَّ تَرَكْتُ الْكَيَّ فَعَادَ».[1] صحيح مسلم (١٢٢٦).

* وأرسل الأسود بن قيس العنسي إلى **أبي مسلم الخولاني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢) فقال له: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فتشهد أني رسول الله قال: ما أسمع، قال: فأمر بنار عظيمة فأججت، فطرح فيها أبو مسلم فلم تضره، فقال له أهل مملكته: إن تركت هذا في بلادك أفسدها عليك. فأمره بالرحيل، فقدم المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر، فقام إلى سارية من سواري المسجد يصلي، فبصر به عمر ابن الخطاب فقال: من أين الرجل؟ فال: من اليمن، قال: فما فعل عدو الله بصاحبنا الذي حرقه بالنار فلم تضره؟ فقال: ذاك عبدالله بن ثوب.

قال: نشدتك بالله أنك هو؟ قال: اللهم نعم، فقبَّل ما بين عينيه، ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر، وقال: الحمد الله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد ﷺ مَنْ فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن عَلَيْهِ السَّلَامُ. المنتظم ٣٣١/ ٥.

---

(١) كانت بعمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بواسير، فكان صابرًا مُحتسبًا، وكانت الملائكة تسلم عليه إكرامًا له واحترامًا، فاكتوى، فانقطع سلامهم عليه، ثم ترك الكيّ فعاد سلامُهم عليه.

* وعن **محمد بن كعب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٨) قال: من قرأ القرآن مُتّع بعقله، وإن بلَغ مائتي سنة. صفة الصفوة ٢/ ٤٧٣.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): مَن أحسن عِبادَةَ الله في شبيبته لقّاه الله الحكمة في سِنِّه، وذلك قولُه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص:١٤]. عيون الأخبار ٥٢٠ / ٢.

* وعن **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: إن الله ليصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته، والدويرات التي حوله ما دام فيهم. الزهد لابن المبارك (٣١٤)، صفة الصفوة ٣/ ٤٨٠.

* وعن **صلة بن أشيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٠) قال: كنت أسير على دابة بهذه الأهواز إذ جعت جوعًا شديدًا فلم أجد أحدًا يبيعني طعامًا، وجعلت أتحرج أن أصيب من أحد من الطريق شيئًا، قال: فبينا أنا أسير أدعو ربي عَزَّوَجَلَّ وأستطعمه إذ سمعت وجْبة[1] خلفي، فالتفت فإذا أنا بمنديل أبيض، فنزلت عن دابتي فأخذت الثوب فإذا فيه دَوْخَلة[2] من رطب في زمان ليس في الأرض رطبة، فأكلت منه، فلم آكل رطبا قط أطيب منه، وشربت من الماء. الزهد لأحمد: ٣٦٨، الزهد لابن المبارك (٨١٤).

* وعن **خيثمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠) قال: طوبى للمؤمن كيف يحفظ في ذريته من بعده. تهذيب الحِلْية ٦٤/ ٢.

* وعن **عُبيد الله بن أبي جعفرٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦) قال: غزونا القُسْطَنْطِينِيَّة فَكُسِر بنا مركبُنا، فألقانا الموجُ على خشبةٍ في البحر، وكنا خمسةً أو سِتة فأنبت الله

---

(١) أي: وقعة.

(٢) أي ثوب رقيق.

لنا بعَدَدِنا ورقة لِكل رجل منا، فكنا نمصُّها فتُشبِعنا وتَروينا، فإذا أمسينا، أنبت الله لنا مكانها. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٢٥.

* وجمعتِ الرِّحلةُ بين **ابنِ جرير** (ت: ٣١٦)، **وابن خُزَيْمة** (ت: ٣١١)، **ومحمد بن نصر المَرْوزي** (ت: ٢٩٤)، **ومحمدِ بن هارون الرُّوياني** (ت: ٣٠٧) رَحِمَهُمُ اللَّهُ بمصر، فأرملوا ولم يبْقَ عندهم ما يقوتُهم، وأضَرَّ بهم الجوع فاجتمعوا ليلةً في منزلٍ كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيُهم على أن يستهموا ويضربوا القُرعة، فمن خرجت عليه القُرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على ابن خزيمة، فقال لأصحابه أمهلوني حتى أصلِّيَ صلاة الخِيرَة، فاندفع في الصَّلاة، فإذا هم بالشُّموع وخصيٍّ من قبل والي مصر يدقُّ الباب، ففتحوا، فقال: أيُّكم محمدُ ابنُ نصر؟ فقيل: هو ذا، فأخرج صرَّة فيها خمسون دينارًا، فَدَفعها إليه، ثم قال: وأيُّكم محمد بنُ جرير؟ فأعطاه خمسين دينارًا، وكذلك للرُّوياني، وابنُ خزيمة، ثم قال: إن الأميرَ كان قائلًا [1] بالأمس، فرأى في المنام أنَّ المحامد جياع قد طَوَوْا كشحهم، فأنفذَ إليكم هذه الصُّرَرَ، وأقسمَ عليكم: إذا نفدَت فابعثوا إليَّ أحدَكَم. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٥٠.

* وعن **محمد بن نصر** رَحِمَهُ اللَّهُ قال: خرجت من مصر، ومعي جارية لي فركبت البحر أريد مكة فغرقت وذهبت مني ألفا جزء، وصرت إلى جزيرة أنا وجاريتي، قال: فما رأينا فيها أحدًا، قال: وأخذني العطش فلم أقدر على الماء وأجهدت فوضعت رأسي على فخذ جاريتي مستسلمًا للموت، فإذا رجل قد جاءني ومعه كوز، فقال لي: هاه، فأخذت وشربت وسقيت الجارية ثم مضى، فما أدري من أين جاء ولا أين ذهب. المنتظم ١٣/ ٥٥.

---

(١) قال في الحاشية: أي: نائمًا في القائلة، وهي نصف النهار.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أبو نصر المروزي إمامًا في القراءات، وله فيها المصنفات، وسافر في ذلك كثيرا، واتفق له أنه غرق في البحر في بعض أسفاره، فبينما الموج يرفعه ويضعه إذ نظر إلى الشمس قد زالت فنوى الوضوء، وانغمس في الماء ثم صعد فإذا خشبة فركبها وصلى عليها ورزقه الله السلامة ببركة الصلاة، وعاش بعد ذلك دهرا. البداية والنهاية ١٢/ ٢١٣.

* وكان **أبو الطيب الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٠) قد جاوز المائة سنة وهو ممتَّع بعقله وقوته، فوثب يومًا من سفينة كان فيها إلى الأرض وثبة شديدة، فعوتب على ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر. الجامع المنتخب/ ١٣١.

* وعن أبي علي الروذباري قال: كان سبب دخولي مصر، حكاية **بنان بن محمد البغدادي الزاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٦)، وذلك أنه أَمر ابن طولون بالمعروف، فأمر أن يُلقى بين يدي السبع، فجعل السبع يشمه ولا يضره، فلما أُخرج من بين يدي السبع قيل له: ما الذي كان في قلبك حين شمك السبع؟ قال: كنت أتفكر في اختلاف الناس في سؤر السباع ولعابها.[1] تهذيب الحِلْية ٣/ ٤١٨.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: استدعى **علي بن محمد بن الفرات** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٢) يومًا ببعض الكتاب، فقال له: ويحك! إن نيتي فيك سيئة، وإني في كل وقت أريد أن أقبض عليك، وأصادرك مالك، فأراك في المنام تمنعني برغيف، وقد رأيتك في المنام من ليالٍ، وإني أريد القبض عليك، فجعلت تمتنع مني، فأمرت

---

(١) الذي في السير: أن بنانًا الحمّال قام إلى وزير خمارويه -صاحب مصر- وكان نَصرَانِيًّا، فأنزله عن مركوبه وقال: لا تركب الخيلَ، كما هو مأخوذ عليكم في الذِّمَّة، فأمر خمارويه بأن يُؤخذ ويُوضع بين يدي سَبُع، فطُرِح، فبقي ليلةً، ثم جاؤوا والسَّبُعُ يلحَسُه وهو مستقبل القِبْلَة، فأطلقَهُ خُمارويه واعتذر إليه. تهذيب السِّيَر ٣/ ١١٦٩.

جندي أن يقاتلوك، فجعلوا كلما ضربوك بشيء من سهام وغيرها تتقي الضرب برغيف في يدك فلا يصل إليك شيء، فأعلمني ما قصة هذا الرغيف.

فقال: أيها الوزير إن أمي منذ كنت صغيرا، كل ليلة تضع تحت وسادتي رغيفا، فإذا أصبحت تصدقت به عني، فلم يزل كذلك دأبها حتى ماتت فلما ماتت، فعلت أنا ذلك مع نفسي فكل ليلة أضع تحت وسادتي رغيفا، ثم أصبح أتصدق به، فعجب الوزير من ذلك، وقال: والله لا ينالك مني بعد اليوم سوءً أبدا، ولقد حسنت نيتي فيك وقد أحببتك. البداية والنهاية ١١/ ٢٢٤.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بلغني عن قاضي القضاة علي بن الحسين الزينبي أنه حكى أن الحريقَ وقع في دارهم، فأحرق ما فيها إلا كتابًا كان فيه شيء بخطِّ **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) قال: ولما وقع الغرق ببغداد في سنة ٥٥٤، وغرقت كتبي، سَلِم لي مجلدٌ فيه ورقتان بخطِّ الإمام.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): وكذا استفاض وثبت أن الغرق الكائن بعد العشرين وسبع مئة ببغداد عامَ[1] على مقابرِ مقبرةِ أحمد، وأن الماء دخل في الدهليز عُلُوَّ ذِراع، ووقف بقُدرة الله، وبقيت الحصرُ حول قبر الإمام بغُبارها، وكان ذلك آية. تهذيب السِّيَر ٢/ ٩٣١.

* وقَالَ أحمد بْن أبي عبيد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت فِي الدار يوم المحنة، وأنا أنظر إلى **أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ والسوط قد أخذ كتفيه، وعليه سراويل فيه خيط، فانقطع الخيط، ونزل السراويل، فلحظته وقد حرك شفتيه، فعاد السراويل كما كان، فقمت إليه وسألته عَنْ ذلك، فقال لي: لما انقطع الخيط قلت: اللهم إلهي وسيدي أوقَفْتَني هذا الموقف فلا تهتكني عَلَى رؤوس الخلائق، فعاد السراويل كما كان. طبقات الحنابلة (١/ ٢١٦).

---

(١) أي: طفَا.

* وحكى ابن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن رجلًا جاء إلى **سهل التستري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٣) فقال له: بلغني أنك تمشي على الماء، فادعُ الله لي، قال: لا أدعو لك حتى تذهب إلى فلانٍ الملاح، فتسأله عن خبري يوم كذا.

فمضى وسأله، قال: إنه صعد هنالك فتوضأ للصلاة على النهر، فزهِق فغرق، واضطرب بثيابه، فتراميت عليه، فأخرجته، وقد كاد يهلك.

فرجع الرجل إلى سهلٍ فأخبره، فقال له سهل: أما بعدَ هذا فأدعو لك، فدعا له.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا من سهلٍ فضلٌ كثير، وتواضع، واعتراف.[1] ترتيب المدارك (٤/ ١٩).

* ومن العجائب أن **عبد الرحيم بن أبي القاسم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٤) اعتُقل لسانه في آخر عمره عن الكلام إلّا عن الذّكر، فكان يتكلم بآي القرآن. طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٩٩).

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): قَفَلْت في صحبة أمير المؤمنين المقتفي من الكوفة بعد وداع الحاج، فشاهدنا في الطريق برَدا كبارا قد وقع أمامنا- وكان الجماعة يأكلون منه- فلم أستطبه على الريق، فلما نزلنا الخيام وأمسينا وحضر العشاء وأكلنا الطعام ذكرت ذلك البرَد وودت أن لو كان الآن منه شيء، وأظن أني دعوت الله عَزَّوَجَلَّ أن يأتينا منه شيء، فما كان إلا لحظة والسحاب همى[2]، وإذا البرَد فيه كثير، وشرع الغلمان وجمعوا منه شيئا كثيرا، وجاءوا به، فأكلت منه حتى تركته، وحمدت الله عَزَّوَجَلَّ على إجابة الدعاء، وإعطائه لما خطر في النفس. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٨).

---

(١) وهكذا ينبغي أن يحرص المسلم على دفع ما يُشاع عنه من كرامات، واجتهادات في الطاعات، حتى لا يُصاب بالغرور والفتنة.

(٢) همى السحاب يهمى: سال.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت جالسا في سطح أصلي على النبي ﷺ، وعيناي مغمضتان، فرأيت كاتبا يكتب في قرطاس أبيض بمداد أسود ما أذكره، وكلما قلت: اللهم صل على محمد: كتبَ الكاتب: اللهم صل على محمد.

فقلت لنفسي: افتح عينك وانظر بها، ففتحت عيني، فخطف عن يميني حتى نظرت بياض ثوبه. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٩).

* وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): قال لي تقي الدين المقصاتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: غِبت عن الشَّيْخ **موفّق الدّين الكواشي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٨٠) سنةً ونصفًا، فَجئتُ ودققت الباب، وكان قد أضرّ، فجاء ليفتح فقَالَ: مَن ذا، أبو بكر؟ فاعتقدتُها له كرامةً. معرفة القراء (٣/ ١٣٦٢).

* وقال البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جرى بيني وَبَين بعض الْفُضَلَاء مُنَازعَة فِي عدَّة مسَائِل وَطَالَ كلامنا فِيهَا، وَجَعَلنَا نقطع الْكَلَام فِي كل مَسْأَلَة بِأَن نرْجِع إلى **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨)، وَمَا يرجحه من القَوْل فِيهَا.

ثمَّ إن الشَّيْخ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حضر، فَلَمَّا هممنا بسؤاله عَن ذَلِك سبقنَا هُوَ وَشرع يذكر لنا مَسْأَلَة مَسْأَلَة كَمَا كُنَّا فِيهِ، وَجعل يذكر غَالب مَا أوردناه فِي كل مسأله، وَيذكر أقوال الْعلمَاء، ثمَّ يرجح مِنْهَا مَا يرجحه الدَّلِيل، حَتَّى أَتَى على آخر مَا أردنَا أن نَسْأَلهُ عَنهُ، فَبَقيت أَنا وصاحبي وَمن حَضرنَا أَولا مبهوتين متعجبين مِمَّا كاشفنا بِهِ وأظهره الله عَلَيْهِ مِمَّا كَانَ فِي خواطرنا.

وَكنت فِي خلال الأيام الَّتِي صحبته فِيهَا إِذا بحَثَ مسألةً يحضر لي إِيرَاد، فَمَا يستتم خاطري بِهِ حَتَّى يشرع فيورده، وَيذكر الْجَواب من عدَّة وُجُوه.

وحَدثني الشَّيْخ الصَّالح المقرئ أَحْمد بن الحريمي أَنه سَافر إلى دمشق، قَالَ: فاتفق أني لما قدمتها لم يكن معي شيء من النَّفَقَة الْبَتَّة، وأنا لَا أعرف أحدا من

أَهلهَا، فَجعلت أَمْشِي فِي زقاق مِنْهَا كالحائر، فَإِذا بشيخ قد أقبل نحوي مسرعا، فَسلم وهش فِي وَجْهي وَوضع فِي يَدي صرة فِيهَا دَرَاهِم صَالِحَة، وَقَالَ لي: أنفق هَذِه الْآن واخْل خاطرك مِمَّا أنت فِيهِ، فَإِن الله لَا يضيعك، ثمَّ رد على أَثَره كَأَنَّهُ مَا جَاءَ إِلَّا من أَجلي، فدعوت لَهُ وفرحت بذلك.

وَقلت لبَعض من رَأَيْته من النَّاس: من هَذَا الشَّيْخ؟.

فَقَالَ: وكأنك لَا تعرفه! هَذَا ابْن تَيْمِية، لي مُدَّة طَوِيلَة لم أره اجتاز بِهَذَا الدَّرْب.

وَكَانَ جلّ قصدي من سَفَرِي إِلى دمشق لقاءه، فتحققت أَن الله أظهره عَليّ وعَلى حَالي، فَمَا احتجت بعْدهَا إِلى أحد مُدَّة إقامتي بِدِمَشْق، بل فتح الله عَليّ من حَيْثُ لَا أحتسب.

وَمن أظهر كراماته أَنه مَا سُمع بِأحد عَادَاهُ أَوْ غض مِنْهُ إِلَّا وابتُلي بعدة بلايا غالبها فِي دينه، وَهَذَا ظَاهر مَشْهُور لَا يحْتَاج فِيهِ إِلى شرح صفته. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (٥٦-٦٣).

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد شاهدت من فراسة **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمورا عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم، ووقائع فراسته تستدعي سفرا ضخما.

أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تكسر، وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام، وأن كلب الجيش وحدته في الأموال.

وهذا قبل أن يهمّ التتار بالحركة.

ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام:

أن الدائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين. وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا، فيقال له: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا.

وسمعته يقول ذلك، قال: فلما أكثروا علي قلت: لا تكثروا، كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ أنهم مهزومون في هذه الكرة، وأن النصر لجيوش الإسلام.

قال: وأطْمَعْت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو.

ولما طلب إلى الديار المصرية، وأريد قتله -بعدما أنضجت له القدور، وقلبت له الأمور- اجتمع أصحابه لوداعه، وقالوا: قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك، فقال: والله لا يصلون إلى ذلك أبدا، قالوا: أفتحبس؟ قال: نعم، ويطول حبسي، ثم أخرج وأتكلم بالسنة على رءوس الناس، سمعته يقول ذلك.

ولما تولى عدوه الملقب بالجاشنكير الملك أخبروه بذلك، وقالوا: الآن بلغ مراده منك، فسجد لله شكرا وأطال، فقيل له: ما سبب هذه السجدة؟ فقال: هذا بداية ذلّه ومفارقة عزه من الآن، وقُرب زوال أمره، فقيل: متى هذا؟ فقال: لا تربط خيول الجند على القرط حتى تغلب دولته، فوقع الأمر مثل ما أخبر به، سمعت ذلك منه.

وقال مرة: يدخل علي أصحابي وغيرهم، فأرى في وجوههم وأعينهم أمورا لا أذكرها لهم.

فقلت له -أو غيري-: لو أخبرتهم؟ فقال: أتريدون أن أكون معرِّفًا كمعرّف الولاة؟.

وقلت له يوما: لو عاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح.

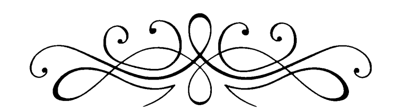
فقال: لا تصبرون معي على ذلك جمعة، أو قال: شهرا.

وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه، ولم ينطق به لساني.

وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل، ولم يعين أوقاتها، وقد رأيت بعضها، وأنا أنتظر بقيتها.

وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته. مدارج السالكين (٢/ ٤٥٨-٤٥٩).

* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٣): حدثني والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان الشيخ **سليمان بن عليّ بن مقبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠٤) مع أعماله القضائية قائما بفلاحة بستانهم في قريتهم، فدخل القرية ذات ليلة لصوصٌ ليسرقوا ما يجدونه، فرأوا إبل الشيخ التي يسقي عليها نخله وزرعه، فلما قربوا منها عموا عنها، وصاروا لا يبصرونها، فلما بعدوا عنها رأوها، ولما قربوا منها لم يروها، وهكذا حتى مضى هزيع من الليل، فلما يئسوا من سرقتها دخلوا مسجد القرية وناموا، حتى جاءت صلاة الصبح وصلّوا مع الناس ودخلوا البستان الذي فيه الإبل التي حاولوا سرقتها، فعلموا أنها إبل الشيخ سليمان وبستانه، فجاؤوا إليه وأخبروه بقصتهم، فقال: إني قد قرأت وردي على نفسي وأهلي ومالي، فتابوا على يديه. علماء نجد (٢/ ٣١٢).





الفرج بعد الشدة

* عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن **وليدة**[1] كانت سوداء لحي من العرب فأعتقوها، فكانت معهم، قالت: فخرجت صبية لهم عليها وشاح أحمر من سيور، قالت: فوضعته أو وقع منها، فمرت به حُديَّاة[2] وهو ملقى فحسبته لحما، فخطفته، قالت: فالتمسوه فلم يجدوه، قالت: فاتهموني به، قالت: فطفقوا يفتشون حتى فتشوا قبلها، قالت: والله إني لقائمة معهم إذ مرت الحدياة فألقته، قالت: فوقع بينهم، قالت: فقلت: هذا الذي اتهمتموني به زعمتم وأنا منه بريئة وهو ذا هو، قالت: فجاءت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت، فكانت تأتيني فتحدث عندي، قالت: فلا تجلس عندي مجلسا إلا قالت:

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا ألا إنه من بلدة الكفر أنجاني.

قالت عائشة: فقلت لها: ما شأنك لا تقعدين معي مقعدا إلا قلت هذا؟ قالت: فحدثتني بهذا الحديث.[3] صحيح البخاري (٤٣٩).

---

(١) هي الفتاة الصغيرة.

(٢) طائر يقال له: الحدأة.

(٣) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري: **الوشاح**: قيل: أنه ضرب من الحلي، **وجمعه**: وشح، **ومنه**: توشح بالثوب واتشح به، **والظاهر**: أنه كان شيئا من لباس المرأة الذي تتوشح به، وفيه حلي وسيور حمر. والله أعلم.

والحدياة: الحدأة. والرواية المشهورة: حدياة بضم الحاء وتشديد الياء، وقيل: إن الصواب: حديأة بتخفيف الياء وبعدها همزة، وهو تصغير حدأة.

وفي الحديث: دليل على أن الله تعالى قد يفرج كربات المكروبين ويخرق لهم العوائد وإن كانوا =

* وحاصر **هارون الرشيد** (ت: ١٩٣) أمير المؤمنين حصنًا، فإذا سهم قد جاء ليس له نصل، حتى وقع بين يديه مكتوب عليه:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب.

فقال **هارون**: اكتبوا عليه ورُدُّوه:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب.

فافتتح الحصن بعد ذلك بيومين أو ثلاثة، فكان الرجل صاحب السهم ممن خُلِّص، وكان مأسورًا محبوسًا فيه سنتين. ابن أبي الدنيا ٢/ ١٣٣.

* وقال **بعضهم**:

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ ... وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنَت الْمَكَارِهُ وَاطْمَأَنَّتْ ... وَأَرْسَتْ فِي أَماكِنِها الْخُطُوبُ
وَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ الضُّرِّ وَجْهًا ... وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْك غَوْثٌ ... يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وإِنْ تَنَاهَتْ ... فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ

ابن أبي الدنيا ٢/ ١٣٥.

* وقال **بعضهم**:

ألم تر أن ربك ليس تُحصى ... أياديه الحديثة والقديمة

= كفارا، كما روي أن جيشا من المسلمين حاصروا حصنا من الكفار، فعطش الكفار واشتد بهم العطش، فجأروا إلى الله يسألونه أن يسقيهم، فجاءت سحابة فمطرت على حصنهم حتى شربوا فارتحل عنهم المسلمون.

وقد ذكرها ابن أبي الدنيا بإسناده في (كتاب: مجابي الدعوة).

فإن كان الكافر مظلوما كهذه المرأة فهو أقرب إلى تفريج كربته وإجابة دعوته، فإن دعوة المظلوم قد تجاب من الكافر، كما ورد في أحاديث مرفوعة متعددة؛ فإن عدل الله يسمع المؤمن والكافر، والبر والفاجر.

وظاهر هذا الحديث: يدل على أن هذه المرأة إنما أسلمت بعد قصة الوشاح.

تسل عن الهموم فليس شيء يقيم وما همومك بالمقيمة
لعل الله ينظر بعد هذا إليك بنظرة منه رحيمة

ابن أبي الدنيا ٢/ ١٣٦.

* وأُتي زياد برجل فأمر به ليقتل، فلما أحس الرجل بالموت قال: ائذنوا لي أتوضأ وأصلي ركعتين فأموت على توبة، لعلي أنجو من عذاب الله، فقال زياد: دعوه فليتوضأ وليصل ما بدا له، فتوضأ وصلى كأحسن ما يكون، فلما قضى صلاته أُتي به ليُقتل، فقال له زياد: هل استقبلت التوبة؟ قال: إيْ والذي لا إله غيره، فخلّى سبيله. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٤.

* وقَالَ بَعضُ الشُّعراء:

هُمُومُك بالْعَيْشِ مَقْرونَةٌ فَما تَقْطَعُ الْعَيشَ إلَّا بِهَمّ
إذا تَمَّ أمْرٌ بَدا نَقْصُهُ تَرقَّبْ زَوالًا إذا قِيل تَمّ

أدب الدين (٣٩١).

* وقَالَ أَبُو بكر النجاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٤٨): ضقتُ وقتا من الزمان فمضيت إلى إبراهيم الحربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥) فذكرت لَهُ قصتي، فَقَالَ: اعلم أنني ضِقتُ يومًا حتى لم يَبق معي إلا قيراط[1]، فقالت الزوجة: فَتِّش كتبك وانظر ما لا تحتاج إِلَيْهِ فَبِعه، فلما صلّيتُ العشاء الآخرة جلست فِي الدهليز أكتب، إذ طرق الباب طارقٌ فقلت: من هَذَا؟ فَقَالَ: كلِّمني، ففتحت الباب فقال لي: أطفئ السراج، فطفيتها فدخل الدهليز فوضع فِيهِ كارة[2]، وَقَالَ لي: اعلم أننا أصلحنا للصبيان طعاما فأحببْنا أن يكون لك وللصبيان فِيهِ نصيب، وهذا أيضا شيء آخر فوضعه إلى جانب الكارة، وَقَالَ: تَصْرفه فِي حاجتك، وأنا لا أعرف الرجل، وتركني

(١) قال ابن الأثير: القيراط: جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عُشره في أكثر البلاد.
(٢) الكارة: مقدار كبير من الثياب أو من الأمتعة.

وانصرف، فدعوت الزوجة وقلت لها: أسرجي، فأسرجت، وجاءت، وَإِذا فِي الكارة منديل لَهُ قيمة، وفيه خمسون وَسَطًا، فِي كل وسط لون من الطعام، وإلى جانب الكارة كيس فِيهِ ألف دينار.

قَالَ النجاد: فقمتُ من عنده، فبينما أنا أمشي إذ لقيتني عجوز من جيراننا فقالت لي: يا أَحْمَد، فأجبتها، فقالت: ما لك مَغموم؟ فأخبرتها، فقالت لي: اعلم أن أمك أعطتني قبل موتها ثلاثمائة درهم، فقالت لي: أخبئي هذِهِ عندك، فَإِذَا رأيتِ ابْني مضيقًا مغمومًا فأعطيه إياها، فتعالَ معي حتى أُعطيك إياها، فمضيتُ معها فدَفَعَتها إليّ.[(1)] طبقات الحنابلة (٣/ ١٧-١٨).

* وذكر أَبُو علي بن شَوكة قَالَ: اجتمعنا جماعة من الفُقَهاء فدخلنا عَلَى **القاضي أَبي علي بن أَبِي موسى الهاشمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٢٨)، فذكرنا لَهُ فقرنا

(١) جاء الفرج لهما بعدما يئسا من الخلق، واشتد الكرب، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا اشتد الكرب وعظم الخطب كان الفرج حينئذٍ قريبًا في الغالب.
قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠] وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].
وأخبر عن يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنَّه لم ييأس من لقاء يوسف، وقال لإخوته: ﴿ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [يوسف: ٨٧] وقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ﴾ [يوسف: ٨٣].
ومن لطائف أسرار اقتران الفرج باشتداد الكرب: أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى: وُجِدَ الإياسُ من كشفه من جهة المخلوق ووقع التعلق بالخالق وحده، ومن انقطع عن التعلق بالخلائق وتعلَّق بالخالق استجاب الله له وكشف عنه؛ فإن التوكل هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين، كما قال الإمام أحمد، واستدل عليه بقول إبراهيم لما عَرض له جبريل في الهواء وقال: ألك حاجة؟ فَقَالَ: أما إليك فلا!.
والتوكل من أعظم الأسباب التي تُطلب بها الحوائج، فإن الله يكفي مَن توكل عليه، كما قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٣].
قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا لأعطاك مولاك كل ما تريد. [مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ١٧٣)].

وشِدَّة ضُرِّنا، فَقَالَ لنا: اصبروا فإن الله سيرزقكم ويوسع عليكم، وأحدثكم فِي مثل هَذَا بما تطيب به قلوبكم، أذكر سنةً من السنين وقد ضاق بي الأمر شيء عظيم، حتى بِعت رَحْلَ داري، ونفدَ جميعه، ونقضت الطبقة الوسطى من داري وبعتُ أخشابها، وتَقَوَّتُّ بثمنِها، وقعدتُ فِي البيت فلم أَخرج، وبقيت سنةً، فلما كَانَ بعد سنةٍ قالت لي المرأة: الباب يدُق، فقلتُ لها: افتحي الباب، فدخل رجل فسلَّم علي، فلما رأى حالي لم يجلس حتى أنشدني وهو قائم:

ليس من شدة تصيبك إلا ... سوف تمضي وسوف تُكشَف كشفا

لا يضقْ ذرعك الرحيب فإن النـ ... ـار يعلو لهيبها ثُمَّ تُطفا

قد رأينا من كان أشفى على الهلا ... ك فوافت نجاتُه حِينَ أشفى

ثُمَّ خرج عني ولم يقعد، فتفاءلتُ بقوله، فلم يخرج اليوم عني حتى جاءني رسول القادر بالله ومعه ثياب ودنانير وبَغلة بمركب، ثُمَّ قَالَ لي: أَجِب أمير المؤمنين، وسَلَّم إليَّ الدنانير والثياب والبَغلة، فغيَّرت عن حالي، ودخلتُ الحمّام وصِرتُ إلى القادر بالله، فرَدَّ إليَّ قضاء الكوفة وأعمالها، وأَثْرى حالي أو كما قَالَ. طبقات الحنابلة (٣/ ٣٣٩-٣٤٠).

* وأنشد **أبو العباس ثعلب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩١):

رُبَ ريحٍ لأناسٍ عَصَفَتْ ... ثمَ ما إنْ لبثت أن رَكَدتْ

وكذاك الدَّهرُ في أفعاله ... قَدمٌ زلَّتْ وأُخرى ثبتتْ

ذيل الطبقات (١/ ١٥٣).

* وقال **الشاعر**:

عواقب مَكْرُوه الْأُمُور خِيَار ... وَأَيَّام سوءٍ لَا تدوم قصارُ

وَلَيْسَ بباق بؤسها وَنَعِيمهَا ... إِذا كرّ ليل ثمَّ كرّ نَهَار

الفرج بعد الشدة للتنوخي (١/ ٢٩٤).

* وحبس بعض الملوك رجلا ثم غفل عنه إلى أنْ مضى عليه زمان، فقال للموكَّل به: قل له: إنّ كلّ يوم يمضي من نعيمك يمضي من بؤسي، والأمر قريب، والحَكَم اللهُ عَزَّوَجَلَّ. عيون الأخبار (٢/ ٤٠٥).

* وقال الشاعر:

كـمْ نِعْمَـةٍ لا تَسْـتقِلُّ بِشُـكرها ... لِلَّـهِ في طَـيِّ الْمَـكارهِ كامِنـهْ

* وَقَالَ الآخر:

إذا بُلِيـتَ فَثِـقْ بِـاللهِ وارْضَ بـهِ ... إنَّ الَّـذِي يَكْشِـفُ الْبَلْـوَى هُـوَ اللهُ

إذا قَضَـى اللهُ فاسْتَسْـلِمْ لِقُدْرَتِـهِ ... مـا لِامْـرِئٍ حِيلَـةٌ فِيمـا قضَـى اللهُ

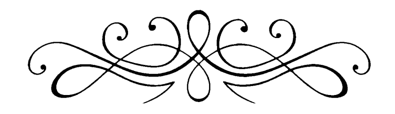
الْيـأْسُ يَقْطَـعُ أَحْيانًـا بِصاحِبِـهِ ... لا تَيْأَسَـنَّ فـإنَّ الْفَـارج اللهُ

* وَقَالَ الآخر:

وإذا الأمـور تعـذّرت ثـم الْتـوَتْ ... هبَـطَ القضـاء مـن السـماء فحلّهـا

فاصبـر لهـا ولعلّهـا أنْ تنْجلـي ... وعسى الـذي عقَـد الأمـور يَحُلُّهـا

أدب الدين (٤٨١-٤٨٢).



التخفي وكتمان الأعمال الصالحة(١)



....

(١) انقسم السلف الصالح في مسألة الشهرة من عدمها، **وإظهار الأعمال الصالحة أو كتمانها إلى ثلاثة أقسام:**

قسم يفضِّل الخمول وعدم الظهور أبدا، وأدّى ذلك ببعضهم إلى كتم العلم وعدم القيام بالدعوة إلى الله بحجة كراهة الشهرة.

وقسمٌ لا يرى الخمول وعدم الظهور أبدًا، وربما أدّى ذلك إلى تشتّت القلب وحبّه للثناء والمدح.
وقد بالغ بعضهم في إظهار صالح أعماله، وربما أذاع ذلك عبر وسائل التواصل، ولا شك أنّ هذا يدعو إلى الرياء ويُفسد صفاء الإخلاص والصدق مع الله تعالى.

وقسمٌ يرى الخمول وعدم الظهور بلا تكلُّف، لكنه لا يفضل الشهرة والذكر ولا يكرهه، ويحرص على نفع الناس بالعلم والدعوة والنصيحة.

وهذا هو الصواب، وهو الوسط، وهو ما عليه أكثر أهل العلم.

فإذا كانت في إظهار العمال مصلحة: فالمشروع الإظهار، وإذا لم يكن مصلحة: فالمشروع الإخفاء.

وقد كان النبي ﷺ يعمل أعمالًا في السرّ، كقيام الليل، ولا يتكلّف إخفاءها، فقد كان يصلي معه بعض الصحابة أحيانًا.

وقد أثنى الله تعالى على من يُظهر العمل الصالح فقال: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١] قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي فنعم شيء هي، وهذا مدح لها موصوفة بكونها ظاهرة بادية، فلا يتوهم مبديها بطلان أثره وثوابه فيمنعه ذلك من إخراجها، وينتظر بها الإخفاءَ فتفوت أو تعترضه الموانع ويحال بينه وبين قلبه، أو بينه وبين إخراجها، فلا يؤخّر صدقة العلانية بعد حضور وقتها إلى وقت السرّ، وهذه كانت حال الصحابة.

ثم قال: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، فأخبر أن إعطاءَها للفقير في خفيةٍ خير للمنفق من إظهارها وإعلانها. =

أ- الحرص على الخمول وعدم البروز والظهور[1]:

* عن **بريدة بن الحصيب** (ت: ٦٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شهدتُ خيبر، وكنتُ فيمن صعد الثُّلمة، فقاتلتُ حتى رُئي مكاني، وعليَّ ثوبٌ أحمر، فما أعلم أني ركبتُ في الإسلام ذنبًا أعظمَ عليَّ منه -أي الشهرة-.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٨): بلى، جُهَّال زماننا يعدُّون اليومَ مثلَ هذا الفعل من أعظم الجهاد، وبكلِّ حالٍ فالأعمالُ بالنيّات، ولعل بريدةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بازدرائه على نفسه، يصيرُ له عملُه طاعةً وجهادًا! وكذلك يقعُ في العمل الصالح، رُبَّما افتخر به الغِرُّ ونَوَّهَ به، فيتحولُ إلى ديوان الرياء قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣]. تهذيب السِّيَر ١/ ٢٩١.

* وكَانَ **عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ **أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ** (ت: ١٨)؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،

= وتأمل تقييده تعالى الإخفاءَ بإيتاءِ الفقراءِ خاصة، ولم يقل: وإن تُخفوها فهو خير لكم، فإنَّ من الصدقة ما لا يمكن إخفاؤه؛ كتجهيز جيش، وبناءِ قنطرة، وإجراءِ نهر، أو غير ذلك. طريق الهجرتين / ٥٥٦.

(١) البروز والشهرة من أعمال الباطن لا الظاهر، ومن أعمال القلوب لا الجوارح.
فليس من البروز والشهرة نشر العلم والخير بنيّة خالصة؛ لأنه إبراز للعلم والخير لا للنفس، والمذموم: إبراز النفس وشهرتُها، فالحذر من مداخل الشيطان.
فقد يكون الرجل متّصفًا بصفة البروز والشهرة المذمومة إذا كان مُحبًّا لها، ولو لم يشتهر؛ لعدم تمكّنه من ذلك.
ومن علامات ذلك: أنه يُحب من يُثني عليه ولو بغير حق، ويكره من ينقده ولو بحق.
وقد يكون الرجل المشهور، الذي عرفه الخاص والعام: غيرَ متصفٍ بصفة البروز والشهرة المذمومة إذا لم يكن مُحبًّا لها لذاتها، بل لقصد نشر العلم والخير والنفع للناس.

يَقُولُ: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**» فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ.[1] صحيح مسلم: ٢٥٤٢.

* وعن خالد بن دريك قال: كانت في **ابن محيريز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) خصلتان ما كانتا في أحد ممن أدركت من هذه الأمة: كان أبعد الناس أن يسكت عن حق، بعد أن يتبين له حتى يتكلم فيه، غضب من غضب ورضي من رضي، وكان من أحرص الناس أن يكتم من نفسه أحسن ما عنده.[2] تهذيب الحِلْية ٢/١٧٠.

---

(١) قال العلماء: أَيْ ضِعَافِهِمْ وَأَخْلَاطِهِمُ الَّذِينَ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، وَهَذَا مِنْ إِيثَارِ الْخُمُولِ وَكَتْمِ حَالِهِ.
الذي جعل أويسًا بهذه المنزلة الرفيعة، والمكانة العظيمة، التي جعلتِ النبيَّ ﷺ يُوصي عمرَ الفاروق: ما تحلَّى به مِن أخلاقٍ وخِصالٍ عظيمة، ومن أهمّها: صلاحُ سريرته، وبُعده عن الشهرة والبروز، ورغبته أن يكون مع ضعفاء الناس وأوساطهم.
ففي صحيح مسلم، أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ.
قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ يَحْتَقِرُهُ وَيَسْتَهْزِئُ بِهِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يُخْفِي حَاله، وَيَكْتُمُ السِّرَّ الَّذِي بَيْنه وَبَيْن الله عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَظْهَر مِنْهُ شَيْءٌ يَدُلّ لِذَلِكَ، وَهَذِهِ طَرِيق الْعَارِفِينَ، وَخَوَاصّ الْأَوْلِيَاء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. ا.هـ
فأويسٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكن من خير الناس لأنه أعلمُهم أو أعبدُهم، فهناك من هو أعلم منه بكثير، بل لحرصِه على صلاحِ قلبه، وعدم انتقامه لمن يُؤذيه، وبعدِه عن حظوظ نفسه.

(٢) قال العلامة القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَيْسَ مِنَ الرِّيَاءِ قَصْدُ اشْتِهَارِ النَّفْسِ بِالْعِلْمِ لِطَلَبِ الِاقْتِدَاءِ، بَلْ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ؛ فَإِنَّهُ سَعْى فِي تَكْثِيرِ الطَّاعَاتِ، وَتَقْلِيلِ الْمُخَالَفَاتِ، وَكَذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝٨٤﴾ [الشعراء:٨٤] قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ: يَقْتَدِي بِي مَنْ بَعْدِي». الذخيرة: ١/ ٤٩
قلت: مع ضرورةِ مُجاهدةِ النفسِ في التجرد من حظوظها وأهوائها، فإن الشيطان يغزوها من كلّ جانب.

* وكان **بشر بن منصور** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٠) يصلي يومًا فأطال الصلاة، ورأى رجلًا ينظر إليه ففطن له بشر، فقال للرجل: لا يعجبك ما رأيت مني، فإن إبليس قد عبد الله مع الملائكة كذا وكذا. تهذيب الحِلْية ٢/٣٣١.

* وذُكر **لمسلم بن يسار** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٩) قلّة التفاته في الصلاة، فقال: وما يدريكم أين قلبي؟. صفة الصفوة ٣/ ١٦٩.

* وعن الأعمش قال: كان **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦) يتوقى الشهرة، فكان لا يجلس إلى الأسطوانة، وكان إذا سئل عن مسألة لم يزد عن جواب مسألته، فأقول له في الشيء يسأل عنه، أليس فيه كذا وكذا؟ فيقول: إنه لم يسألني عن هذا. تهذيب الحِلْية ٢/ ٨٩.

* وقال **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ: إنْ كانوا ليكْرَهون إذا اجتمعوا أن يُخرج الرجل أحسن ما عنده.[1] الزهد لابن المبارك (١٣٣).

* ودخل عليه رجلٌ وهو يقرأ في المصحف فغطّاه، وقال: لا يرى هذا أني أقرأ فيه كلّ ساعة. الزهد لوكيع (٣١٧).

* وقيل **لعلقمة بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢): ألا تغشى هذا المسجد فتجلس وتفتي الناس؟.

فقال: تريدون أن يطأ الناس عقبي ويقولون: هذا علقمة بن قيس؟!![2] الزهد لابن المبارك (١٠٨٣).

* وقال **أيوب السختياني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): ذُكرت وما أحب أن أُذكر. صفة

---

(١) وهذا من أشق ما يكون على النفس، ولكنه يسيرٌ على من كان صادقًا مع الله تعالى، مُعتنيًا بصلاح قلبِه، مُتخلِّصًا من حظوظ نفسِه.

(٢) السلف الصالح كانوا يهربون من الشهرة ولو بالخير، ومن التصدّر إلا عند الاضطرار والحاجة، وبعض الناس يسعى سعيا حثيثا للتصدر.

الصفوة ٣/ ٢١٠.

* وعن **إبراهيم بن أدهم** (ت: ١٧٠) **وأيوب السختياني** رَحِمَهُمَاٱللَّهُ قالا: ما صدق اللهَ عبدٌ أحبَّ الشُّهرة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٠٨، ٢/ ٦٢٥.

قال **الذهبي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): علامةُ المخلص الذي قد يحبُّ شهرةً، ولا يشعُرُ بها، أنه إذا عُوتِبَ في ذلك، لا يحرَدُ ولا يُبرِّئ نفسه، بل يعترِفُ، ويقول: رَحِمَ اللهُ مَنْ أهدى إليَّ عيوبي، ولا يكن معجبًا بنفسه، لا يشعرُ بعيوبها، بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإن هذا داءٌ مُزمِن. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٠٨.

* وقال **سفيان الثوري** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٦١): أحب أن أعرف الناس ولا يعرفوني. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٢٩.

* وقال الحسن: كنت مع **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٨٤) يومًا فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزَحَموه ودفعوه فلما خرج قال لي: ما العيش إلاّ هكذا - يعني: حيث لم نُعْرَف ولم نُوقَّر- . صفة الصفوة ٤/ ٣٧٢.

* وقال عبدة بن سليمان المروزي: كنا سريَّةً مع **ابن المبارك** رَحِمَهُٱللَّهُ في بلاد الروم، فصادفنا العدوّ، فلما التقى الصفَّان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البِراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعةً فطعنَه فقتله فازدحم إليه الناسُ، فنظرتُ فإذا هو عبد الله بن المبارك، وإذا هو يكتُم وجهه بكُمِّه، فأخذت بطرف كمه فمددتُه، فإذا هو هو، فقال: وأنتَ يا أبا عمرو ممن يُشَنِّع علينا! تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٦٧.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٨٧): من أحبَّ أن يُذكَرَ لم يذكر، ومن كره أن يُذكر ذُكِرَ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٧٧.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن قدرت أن لا تُعرف فافعل، وما عليك إن لم يُثْن عليك، وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس إذا كنت عند الله محمودًا؟ تهذيب الحِلْية ٧/ ٣.

* وعن **سُحنون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤٠) قال: كان بعضُ من مضى يُريد أن يتكلَّم بالكلمة ولو تكلَّم بها لا انتفع بها خلقٌ كثير، فيحبسها، ولا يتكلَّم بها مخافةَ المباهاة. تهذيب السِّيَر ٣/ ٩٨٣.

* وكان **أبو العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام فتركهم. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٧٩.

* وقال **بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٧): لا أعلم رجلًا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح. تهذيب الحِلْية ٩٤/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس. تهذيب الحِلْية ٩٤/ ٣.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إن كان الرجل ليكون فقيهًا جالسًا مع القوم فيرى بعض القوم أن به عِيًّا وما به من عيٍّ إلا كراهية أن يشتهر. الزهد لأحمد: ٤٤٦.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يَشْعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فَقُه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزُّوَّر وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواما ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سرٍّ فيكون علانية أبدا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم عَزَّوَجَلَّ، وذلك أنّ الله تعالى عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾

[الأعراف:٥٥]، وذلك أن الله تعالى ذكر عبدا صالحا فرضي قوله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم:٣]. تفسير الطبري (١٢/ ٤٨٥).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): لوددت أن الخلق يتعلمون مني ولا يُنْسَب إليّ منه شيء. صفة الصفوة ٢/ ٥٥٣.

* وعن **أبي بكر بن عياش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) قال: أدنى نفع السكوت السلامةُ، وكفى به عافية.

وأدنى ضرر المنطق الشهرةُ، وكفى بها بليَّة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٨٧.

* وعن **حسان بن عطية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: صلاة الرجل عند أهله من عمل السرّ.[١] تهذيب الحِلْية ٢/٢٦٦.

* وقال ابن الْمَبْرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُخبرت عن القاضي علاء الدين بن اللحام أنه قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر لنا مرة الشيخ -يعني **الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٥)- مسألة فأطنب فيها، فعجبتُ من ذلك، ومِن إتقانه لها، فوقعت بعد ذلك بمحضرٍ من أرباب المذاهب وغيرهم، فلم يتكلَّم فيها الكلمة الواحدة، فلما قام قلت له: أليس قد تكلمت فيها بذلك الكلام؟.

قال: إنما أتكلم بما أرجو ثوابه، وقد خفت من الكلام في هذا المجلس. الجوهر المنضد: ٥٢.

ب- كتمان الأعمال الصالحة:

* قال **الزبير بن العوام** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦): من استطاع أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل. الزهد لأبي داود (١٢٢).

---

(١) وكذلك صومه وجميع طاعاته؛ لأن أهل بيته يقتدون به، فإذا أظهر أعماله لهم اقتدوا به وتأثروا به.

* وبكى **حذيفة بن اليمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) في صلاته، فلما فرغ التفت فإذا رجل خلفه، فقال: لا تُعلمن هذا أحدًا. المنتظم ١٠٦/ ٥.

* وقال **عبدالله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) إذا كان يومُ صوم أحدكم فليصبح دهينًا مترجّلا.[١] الزهد لأحمد: ٢٩٢، صحيح البخاري موقوفا.

* وعَنْ **أَبِي مُوسَى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قالَ: خرجنا مع النبي ﷺ في غزوةٍ ونحن ستةُ نفر، بيننا بعير نعتقبه[٢]، فنَقِبت[٣] أقدامنا، ونقِبت قدماي، وسقطتْ أظفاري، وكنا نلفُّ على أرجلنا الخِرق، فسُمّيت غزوة ذات الرقاع؛ لما كنا نعصب[٤] من الخرق على أرجلنا.

* وأتى **أبو أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي في سجوده، ويدعو ربه، فقال أبو أمامة: أنت أنت، لو كان هذا في بيتك. الزهد لابن المبارك (١٥٠).

* وكان **عمرو بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٦) إذا حضرته الرِّقّة يحول وجهه إلى الحائط، ويقول لجلسائه: ما هذا الزكام. صفة الصفوة ٣/ ٨٧.

* وكان **أيوب السختياني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) يقوم الليل يُخفي ذلك، فإذا كان قبيل الصبح رفع صوته، كأنه إنما قام تلك الساعة. صفة الصفوة ٣/ ٢١٠.

* وكان رَحِمَهُ اللَّهُ ربما حُدِّث بالحديث فيرِقّ، فيلتفت فيمتخط ويقول: ما أشد الزكام. صفة الصفوة ٣/ ٢١١.

* وكان في قميصه رَحِمَهُ اللَّهُ بعضُ التذييل، فقيل له، فقال: الشهرةُ اليوم في التَّشمير. تهذيب السِّيَر ٢/ ٢٦٢.

---

(١) لئلا يرى الناس أنه صائم.

(٢) أي: نركبه بالتناوب.

(٣) أي: تشققت.

(٤) أي: نلف ونشدّ.

* وكان **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) إذا رقَّ فخاف أن يظهر ذلك منه قام، وربما أخذ في حديث آخر. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٠١.

* وكان **حسان بن أبي سنان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥١) يحضر مسجد مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإذا تكلم مالك بكى حسان حتى يبل ما بين يديه، لا يُسمع له صوت. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٠٢.

* وقال **محمد بن واسع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): لقد أدركت رجالًا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالًا يقوم أحدهم في الصف، فتسيل دموعه على خده، ولا يشعر به الذي إلى جانبه. تهذيب الحِلْية ٤١٢/ ١.

* وكان عمل **الربيع بن خثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٩٠) كله سرًّا، كان يجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه. المنتظم ٨-٩/ ٦.

* وكان **أبو وائل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) إذا صلى في بيته ينشج نشيجًا، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله. تهذيب الحِلْية ٥٩/ ٢.

* وعن الأعمش قال: كنت عند **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٦)، وهو يقرأ في المصحف، واستأذن عليه رجل، فغطّى المصحف، وقال: لا يرى هذا أنني أقرأ فيه كلّ ساعة. صفة الصفوة ٣/ ٥٩.

* وكان **عبد الرحمن بن أبي ليلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٣) يصلي، فإذا دخل الداخل نام على فراشه. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٩٤.

* وعن **أبي حازم** (ت: ١٤٠) **وبشر بن الحارث** (ت: ٢٢٧) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ قالا: اكتُم حسناتِك، كما تكتم سيئاتِك.[1] تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٣٧، ٢/ ٨٨٦.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إظهار الحال للناس عند الصادقين: حمق وعجز، وهو من حظوظ النفس والشيطان، وأهل الصدق والعزم لها أستر وأكتم من أرباب الكنوز من الأموال لأموالهم. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٢٩٠. =

* وكان **منصور بن المعتمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢) إذا صلى الغداة أظهر النشاط لأصحابه فيحدثهم ويكثر إليهم، ولعله إنما بات قائمًا على أطرافه كل ذلك ليخفي عليهم العمل. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٧٢.

* وعن **عبد الله بن داوود الخُريبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٣) قال: كانوا يستَحبُّون أن يكون للرجل خبيئةٌ من عملٍ صالحٍ لا تَعلَم به زوجته ولا غيرُها. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٢٧.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام. الزهد لأحمد: ٤٤٨.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا ابن آدم إن لك قولًا وعملًا، وسرًا وعلاني، وعملك أولى بك من قولك، وسرك أولى بك من علانيتك. الزهد لأحمد: ٤٧٦.

* وعن الربيع بن صبيح قال: كنا عند **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فوعظ فانتحب رجل فقال الحسن: أما والله ليسألنك الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة: ما أردت بهذا؟ الزهد لأحمد: ٤٥٩.

* وبكى رجلٌ إلى جنب **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: قد كان أحدهم يبكي إلى جنب صاحبه فما يعلم به. ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٩.

* وقال ابن نافع: كان في آل الزبير رجلٌ يشتم **عبدالله بن مصعب بن ثابت** رَحِمَهُ ٱللَّهُ

= وقد فصّل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة فقال: كَمْ مِن صَاحِبِ قَلْبٍ وَجَمْعِيَّةٍ وَحَالٍ مَعَ اللهِ تَعَالَى قَد تَحَدَّثَ بِهَا وَأَخْبَرَ بِهَا فَسَلَبَهُ إِيَّاهَا الأَغْيَارُ؛ وَلِهَذَا يُوصِي الْعَارِفُونَ وَالشُّيُوخُ بِحِفْظِ السِّرِّ مَعَ اللهِ تَعَالَى، وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَالْقَوْمُ أَعْظَمُ شَيْئًا كِتْمَانًا لِأَحْوَالِهِمْ مَعَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمَا وَهَبَ اللهُ لهم مِن مَحَبَّتِهِ وَالأُنْسِ بِهِ وَجَمْعِيَّةِ الْقَلْبِ عليه، وَلَا سِيَّمَا لِلْمُهْتَدِي والسَّالِكِ.

فَإِذَا تَمَكَّنَ أَحَدُهُم وَقَوِيَ وَثَبَتَتْ أُصُولُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ، الَّتِي أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ فِي قَلْبِهِ، -بِحَيْثُ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ مِن الْعَوَاصِفِ، فَإِنَّهُ إِذَا أَبْدَى حَالَهُ مَعَ اللهِ تَعَالَى لِيُقْتَدَى بِهِ وَيُؤْتَمَّ بِهِ-: لَمْ يُبَالِ. مجموع الفتاوى (١٥/ ١٨).

قلت: أي: لم يُبال بكتمان حاله وإظهاره للمصلحة الراجحة، كأنْ يُقتدى به في ذلك.

(ت: ١٨٤)، لا يضعه من فيه، فكان عبدالله بن مصعب يدفع في كل هلال[1] دينارين ويأمرني أن أعطيه إياها، ويقول: لا أحب أن يعلم أني وصلته، فلما مات عبدالله بن مصعب استبطأني[2] فأخبرته فعاد يدعو له.[3] ترتيب المدارك (١/ ٤٠٤).

* وحضر **عيسى بن دينار** (ت: ٢١٢) ويحيى بن يحيى (ت: ٢٣٤) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ جنازة، فلما صلى عليها أقبل الناس على عيسى وحَفُّوا به، قال له يحيى: ما أشك أنَّ الذي ألقى الله لك في قلوب الناس لخبيئةٍ صالحة عند الله. ترتيب المدارك (٢/ ١٢٨).

* وقال سحنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الذِّكرُ لرباح بن يزيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلما مات صار **لبُهلول بن راشد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣)، وما ذلك إلا من خبيئةٍ كانت له. ترتيب المدارك (١/ ٣٦٨).

ج- الحذر من تصنع الزهد والخمول وصالحِ الأعمال:

* عن علقمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كنا عند **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢)، فأُتي بشراب، فقال: ناولوا القوم، فقالوا: نحن صيام، فقال: «لكني لست بصائم، ثم قرأ: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٢٧]. الزهد لابن المبارك (١١٠٤).

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): كن محبًّا للخمول كراهية الشهرة، ولا تظهر من نفسك أنك تحبّ الخمول فترفَع نفسك، فإنَّ دعواك الزهد من نفسك هو خروجك من الزهد؛ لأنّك تجرّ إلى نفْسك الثناء والمدْحة. صفة الصفوة ٤/ ٣٧٢.

* وقال **أيوب السَّختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): ليتَّق الله رجلٌ، فإن زهد فلا يَجْعَلَنَّ زُهدَه عذابًا على الناسِ، فلأَن يُخْفيَ الرجلُ زهدَهُ خيرٌ من أنْ يُعلِنه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٢٦.

---

(١) أي: في كل شهر.

(٢) الذي كان يشتمه.

(٣) ما أعظم سلامة قلبه، وكرم أخلاقه.

د- حال بعض السلف الذين يرون إظهار الأعمال الصالحة[1]:

(١) إن المتأمل في سيرة نبينا الكريم محمد ﷺ يرى أنّه كان لا يتقصد إخفاء العمل الصالح، وإن أخفى عملا من الأعمال الصالحة لم يكن دافعُه -والله أعلم- الخوفَ من الرياء، بل ليكون أقرب إلى جمعيّة قلبه على الله تعالى، واشتماله على جميع حواسه وأعضائه بلا منازعٍ ولا مشتت، إلى غير ذلك من المقاصد الشريفة الكثيرة.

فكان ﷺ يصلي النوافل أحيانًا ببعض أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبحضرتهم.

و حين أصبح يومًا ولم يجد ما يأكله في بيته قال: «فإني إذن صائم»، وحين أصبح يوما فقالت إحدى زوجاته: يا رسول الله، أهدي لنا حَيْس -وهو التمر مع السمن والأقط- فقال: «أرينيه، فلقد أصبحت صائما» فأكل. رواه مسلم (١١٥٤).

فأخبر عن عزمه على الصيام حينما لم يجد طعامًا، وعن قطع صومه حينما وجد ما يأكل.

وقال ﷺ: «**وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخَب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم**». متفق عليه.

قال أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية والقرطبي وابن عثيمين رَحِمَهُمُ اللَّهُ: يقول ذلك بلسانه، في صيام الفرض والنفل.

وسأل ﷺ يومًا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن عبادات عمِلوها لله، فقال: «من أصبح منكم اليوم صائما؟» فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينا» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضا» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة**». رواه مسلم (١٠٢٨).

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصر.

وقد يقول قائل: إنما أظهر تلك الطاعات والقربات ليُقتدى به.

فيقال: وهو كذلك للاقتداء به بالعمل الصالح والاقتداء به بعدم الحرج والحساسية المفرطة من إظهار العمل الصالح والطاعة ما دام أنّ باعثه وجه الله وابتغاء مرضاته.

وقد أدّت المبالغة في إخفاء عمل الطاعات إلى عدة محاذير:

منها: تجفيف منابع القدوة الصالحة، حتى إن بعضهم يُخفي صيام وصلاة النافلة حتى عن أهله وذريته، فحرم نفسه من أن يكون قدوة صالحة وحرم أهله وذريته من الاقتداء به وتنشيط هممهم.

ومن المحاذير: الإصابة بالتحسس والوسواس من الرياء، حتى وصل الحال ببعض الناس إلى ترك العمل خوفًا من الرياء، والشك في إخلاصهم بأعمال عملوها وظهرت للناس، وسبب ذلك أن إبليس يأتيهم وقد لبس عباءة الناصح، واعتم بعمامة الورع، فيقذف في قلوبهم ترك العمل الصالح خشية الوقوع في الرياء، ولو تفطنوا لعلموا أنه نصب لهم حبلا من حبائله، وتلبيسة من تلابيسه، فإن طاوعوه ظفر منهم بترك العمل الصالح، نعوذ بالله منه ومن حبائله.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ينبغي للإنسان أن يُبْعد عن نفسه مسألة الرياء في العبادات؛ لأن مسألة الرياء إذا انفتحت للإنسان لعب به الشيطان. =

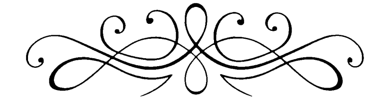
* قال **أبو مسلم الخولاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢): ما عملتُ عملًا أبالي مَن رآه إلا أن يخلو الرجل بأهله أو يقضي حاجة غائطٍ. صفة الصفوة ٤/ ٤٢٨.

* وكان **عبد الله بن غالب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٦) إذا أصبح يقول: لقد رزقني الله البارحة خيرًا، قرأت كذا، وصليت كذا، وذكرت كذا، وفعلت كذا.

فيقال له: يا أبا فراس: إن مثلك لا يقول مثل هذا!.

فيقول إن الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى:١١] وأنتم تقولون: لا تحدث بنعمة -. تهذيب الحِلْية ٣٨٤/ ١.

* وقدم **سعيد بن إياس الجُريري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤) من سفر فأتاه إخوانه يسلمون عليه فجعل يخبرهم بما أبلاه الله في سفره مما يحب وصرف عنه مما يكره وتكلم في ذلك فأحسن وأبلغ وقال: إنه كان يقال: إن من الشكر تعداد النعم. الزهد لأحمد: ٦١٠.



= والله -سبحانه- مدح الذين ينفقون أموالهم سرًّا وعلانية حسب الحال قد يكون السر أفضل وقد تكون العلانية أفضل. ا.ه الشرح الممتع (٦/ ٤٣٣).

فلا ينبغي المبالغة في إخفاء العمل الصالح خوفًا من الرياء.



بر الوالدين وصلة الرحم

* قال **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): تعلّموا أنسابكم لتصلوا أرحامكم. الزهد لهناد (٩٩٦).

* وقال **عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥): كان عمر يمنع أَقْرِباءه ابتغاء وجه الله، وأنا أُعطِي قَرَاباتي لوجه الله، ولن يُرى مثلُ عمَر. عيون الأخبار ٣/ ٨٨.

* وإنما منع **أويسَ بن عامر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨) أنْ يَقْدَم على رسول الله ﷺ برُّه بأمه. تهذيب الحِلْية ٣٠٠/ ١.

* وقيل **لعليّ بن الحسين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤): أنت من أبَرِّ الناس ولا نراك تؤاكِل أمّك قال: أخاف أن تسيرَ يدي إلى ما قد سبقتْ عينُها إليه فأكونَ قد عَقَقْتُها. عيون الأخبار ٣/ ١٠١.

* وقيل **لعمرَ بن ذرّ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٣): كيف كان بِرّ ابنك بك؟ قال: ما مشيتُ نهارًا قط إلا مشى خلفي، ولا ليلًا إلا مشى أمامي، ولا رَقِيَ سطحًا وأنا تحته. عيون الأخبار ٣/ ١٠١.

* وقال المأمون: لم أر أحدًا أبرَّ من **الفضل بن يحيى** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٢) بأبيه، بلغ من برّه به أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخَّن وهما في السجن، فمنعهما السجّان من إدخال الحطب في ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مَضْجَعه إلى قُمْقُم كان يُسَخّن فيه الماءُ، فملأه ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائمًا وهو في يده حتى أصبح. عيون الأخبار ٣/ ١٠٢.

* وقال **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): بات عمر، يعني: أخاه، يصلي وبتّ أغمز رجْل أمي، وما أحب أنّ ليلتي بليلته. صفة الصفوة ٢/ ٤٨٠.

* وكان **محمد سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كلّه تخشّعًا لها. صفة الصفوة ٣/ ١٧٣.

* ودخل عليه رجلٌ وهو عند أمه، فقال: ما شأن محمد؟ يشتكي شيئًا؟ فقالوا: لا ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه. صفة الصفوة ٣/ ١٧٣.

* وعن محمد بن عمر بن حرب، قال لنا بعض أصحابنا عن **ابن عون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠): أنه نادته أمه فأجابها فعلا صوتُه صوتَها، فأعتق رقبتيْن. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٢.

* وعن **عُروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: ما بَرَّ والدَهُ من شَدَّ الطرف إليه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٢٨.

* وقال **بُندار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٢): أردتُ الخروجَ -يعني: الرحلة- فمنعتني أُمِّي، فأطعتُها، فبُورك لي فيه. تهذيب السِّيَر ٣/ ٩٨٩.

* وقال أبو إسحاق الفزاري لعبد الله بن المبارك رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: يا أبا عبد الرحمن كان **رجل** من أصحابنا جَمع من العلم أكثر مما جمعتَ وجمعتُ، فاحتُضر فشهَّدُّته، فقلت له: قل: لا إله إلا الله، فيقول: لا أستطيع أن أقولها!، ثم تكلم فيتكلم، قال ذلك مرتين، فلم يزل على ذلك حتى مات!، قال: فسألت عنه فقيل: كان عاقا بوالديه، فظننت أنه حُرم كلمةَ الإخلاص لعقوقه بوالديه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٦٠.

* وعن الأشجعي قال: استسقت أم **مسعر بن كِدام** (ت: ١٥٥) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ ماء منه في بعض الليل، فذهب فجاء بقربةِ ماءٍ، فوجدها قد غلبها النوم، فثبت بالشربة على يديه حتى أصبح. تهذيب الحِلْية ٢/٤٢٣.

* وعن أبي بكر بن عياش قال: ربما كنت مع **منصور بن المِعتمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢) في منزله جالسًا، فتصيح به أمه، وكانت فظة غليظة، فتقول: يا منصور يريدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى عليه؟! وهو واضع لحيته على صدره ما يرفع طرفه إليها. تهذيب الحِلْية ٢/ ١٣٦.

* وقال **ابن محيريز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): من مشى بين يدي أبيه فقد عقه، إلا أن يمشي فيميط له الأذى عن طريقة، ومن دعا أباه باسمه أو كنيته فقد عقه، إلا أن يقول: يا أبت. تهذيب الحِلْية ٢/ ١٦٨.

* وكان **أبو العباس أحمد بن علي الأَبّار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٠) من أزهد الناس، استأذن أُمَّه في الرحلة إلى قُتَيْبَة، فلم تأذن له، ثم ماتت، فخرج إلى خراسان، ثم وصل إلى بلخ وقد مات قُتَيْبَة، فكانوا يُعزُّونه على هذا، فقال: هذا ثمرةُ العلم، إني اخترتُ رضى الوالدة. تهذيب السِّيَر ٢/ ١١٠١.

* وقال **الشاعر** لابنه:

غَذَوْتُكَ مَوْلودًا وعُلْتُكَ يافِعًا ... تُعَلُّ بما أَجْني عليك وتُنْهَلُ

إذا ليلةٌ نالتك بالشكو لم أَبِتْ ... لشكواكَ إلاّ ساهرًا أَتَمَلْمَلُ

كأنّي أنا المطروقُ دونك بالذي ... طُرِقْتَ به دوني وعينيَ تَهْمُلُ

فلمّا بلغتَ الوقت في العدّة التي ... إليها جَرَى ما أبتغِيه وآمُلُ

جَعَلْتَ جَزَائي منك جَبْهًا وغِلْظَةً ... كأنكَ أنتَ المنعمُ المتفضِّلُ

فليتكَ إذ لم تَرْعَ حقَّ أُبُوَّتي ... كما يفعل الجارُ المجاورُ تَفْعَلُ

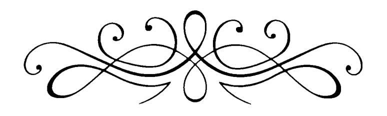
عيون الأخبار ٣/ ٩٠.

* وسأل رجل **ابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: إن أمي لم تزل تقول: تزوج حتى تزوجت، فالآن قالت لي: طلقها، فقال: إن كنت عملت عمل البر كله وبقي هذا

عليك فطلقها، وإن كنت تطلقها وتأخذ إلى مشاغبة أمك فتضرَّ بها فلا تطلقها. تهذيب الحِلْية ٩٥/ ٣.

* وقال **الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): برّ الوالدين كفارةٌ للكبائر. الآداب الشرعية ١/ ٤٦٣.

* وكان **سليم الرازي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٤٧) في صِغَره بالري وله نحو عشر سنين، فحضر بعض الشيوخ وهو يلَقِّن[1]، فقال لي: تقدّم فاقرأ، فجهدتُ أن أقرأ الفاتحة، فلم أقدر على ذلك لانغلاق لساني، فقال لي: لك والدة؟ قلت: نعم، قال: قل لها تدعو لك أن يرزقك الله قراءة القرآن والعلم، قلت: نعم، **فرجعتُ فسألتها الدعاء،** فدَعت لي، ثم إني كبرت، ودخلت بغداد، وقرأتُ بها العربية والفقه، وعُدت إلى الري، فبينا أنا في الجامع أقابل مختصر المزني، وإذا الشيخ قد حَضَر، وسلَّم علينا وهو لا يَعرفني، فسمع مقابلتنا وهو لا يعلم ما نقول، ثم قال: متى يُتَعَلَّم مثل هذا؟ فأردتُ أن أقول: إن كانت لك والدة قل لها تدعو لك، فاستحييت منه. طبقات الشافعيين (١/ ٣٥٥-٣٥٦).



(١) أي: يُلقِّن الأطفال القرآن.



حال السلف مع الفتن والمحن[1]

أ- حالهم مع فتن المصائب والأمراض، والصبر عليها[2]:

* قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): وجدنا خير عيشنا الصبر. صحيح البخاري معلّقا في بَاب: الصَّبْرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، الزهد لوكيع (١٩٨).

* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا كان الرجل مقصرا في العمل ابتُلي بالهم ليكفَّر عنه. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٩٢.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: كما أن الله نهى نبيه أن يصيبه حزن أو ضيق ممن لم يدخل في الإسلام في أول الأمر، فكذلك في آخره، فالمؤمن منهي أن يحزن عليهم أو يكون في ضيق من مكرهم.
وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام جزع وكل وناح كما ينوح أهل المصائب وهو منهي عن هذا؛ بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن العاقبة للتقوى، وأن ما يصيبه فهو بذنوبه، فليصبر إنّ وعد الله حق، وليستغفر لذنبه وليسبح بحمد ربه بالعشي والإبكار. مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٩٥).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن يُنزل بهم الشدة والضر وما يُلْجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين ويرجونه لا يرجون أحدا سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه وحلاوة الإيمان وذوق طعمه والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف، أو الجدب، أو حصول اليسر وزوال العسر في المعيشة؛ فإن ذلك لذَّات بدنية ونعم دنيوية، قد يحصل للكافر منها أعظم مما يحصل للمؤمن.
وأما ما يحصل لأهل التوحيد المخلصين لله الدين فأعظم من أن يُعبَّر عن كنهه مقال، أو يستحضر تفصيله بال، ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه. مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣٣)

* وقال **علي بن أبي طالب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٤٠): ألا إنّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس باد الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٣.

* وقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

إنِّـي رَأَيْـت وَفِـي الْأَيَّـامِ تَجْرِبَـةٌ ... لِلصَّبْـرِ عَاقِبَـةً مَحْمُـودَةَ الْأَثَـرِ

وَقَـلَّ مَـنْ جَـدَّ فِـي شَـيْءٍ تَطَلَّبَـهُ ... وَاسْتَشْـعَرَ الصَّبْـرَ إلَّا فَـازَ بِالظَّفَـرِ

الآداب الشرعية ٢/ ١٢٣.

* وعطاء بن أبي رباح رَحِمَهُٱللَّهُ قال: قال لي ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ألا أريك **امرأة** من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ، قالت: إني أُصرع وإني أتكشّف، فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» قالت: أصبر، قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها. صحيح البخاري (٥٦٥٢)، صحيح مسلم (٢٥٧٦) واللفظ له.

* وعن **سعد بن أبي وقاص** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٦٠) قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ، وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى يضع أحدنا كما تضع الشاة. صحيح البخاري (٣٧٢٨).

* وعن سعيد بن وهب قال: دخلت مع **سلمان الفارسي** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٣) على صديق له من كندة نعوده، فقال له سلمان: إن الله عَزَّوَجَلَّ يبتلي عبده المؤمن بالبلاء، ثم يعافيه فيكون كفارةً لما مضى، فَيستعتِب[1] فيما بقي، وإن الله عَزَّوَجَلَّ يبتلي عبده الفاجر بالبلاء، ثم يعافيه فيكون كالبعير عَقَله[2] أهله، ثم أطلقوه فلا يدري فيم عقلوه، ولا فيم أطلقوه حين أطلقوه؟. صفة الصفوة ١/ ٢٦٠.

---

(١) أي يرجع عن الإساءة ويتوب.

(٢) أي: ربَطه وشدَّه أهلُه.

* وابتلي **عمران بن حصين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) في جسده، فقال: ما أراه إلا بذنب، وما يعفو الله أكثر، وتلا (ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم). ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٩٣.

* وقال **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) في قوله: «إنما أموالكم وأولادكم فتنة»: ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مُضِلات الفتن.(١) تفسير الطبري ١٣/ ٤٨٧.

* ومرض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعاده عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: ما تشتكي؟ قال: ذُنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمةَ ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيبُ أمرضني قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجةَ لي فيه. تهذيب السِّيَر ١/ ١٩٧.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سلوا الله العافية فلستم بعُبّاد بلاء، إن كان الرجل من قبلكم ليُسأل الكلمة فيأباها، حتى يوضع المنشار على رأسه، فيشق بنصفين وما يعطِيها. الزهد لهناد (٤٤٠).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله. الزهد لوكيع (٢٠٣).

* وقال رجل **لعائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨): أنه بلغني أنك تقولين: إذا مرض المسلم كتب له عمله الذي كان يعمل من آخر مرضه، فقالت: ليس هكذا قلت، إنما قلت: يكتب له أحسن عمله مع آخر مرضه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٥٢.

* وقال **عبد الرحمن بن عوف** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نصبر. رواه الترمذي وحسّنه (٢٤٦٤).

* وقال بعضهم: فتنة الضراء يصبر عليها البر والفاجر، ولا يصبر عَلَى فتنة السراء إلا صِدِّيق.

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: يشير إلى أنه لا يستعاذ من المال والولد، وهما فتنة. الجامع المنتخب/ ١٠٤.

* وقال **النعمان بن بشير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): إن الهلكة كل الهلكة أن تعمل بالسيئات في زمن البلاء. البداية والنهاية ٩/ ٣٧.

* ومرض **كعب الأحبار** (ت: ٣٢) فعاده رهط من أهل دمشق، فقالوا كيف تجدك يا أبا إسحاق؟ قال: بخير، جسد أُخذ بذنبه، إن شاء ربه عذبه، وإن شاء رحمه، وإن بعثه بعثه خلقا جديدا لا ذنب له. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٣٧.

* ولما ابتلي الإمام **أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) بفتنة الضراء صبر ولم يجزع، وقال: كانت زيادة في إيماني، فلما ابتلي بفتنة السراء جزع وخشي أن يكون نقصًا في دينه. المنتخب من رسائل ابن رجب: ٨٠.

* وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يصلي بعبدالرزاق فَسَهى يومًا فِي صلاته، فسأله عبدالرزاق فأخبره أنه لم يَطعَم شيئًا مُنذ ثلاث. طبقات الحنابلة (١/ ٢٥٨).

* وقال **الشاعر**:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وتَجَلَّدِ ... واعْلَمْ بأَنَّ الْمَرْءَ غَير مُخَلّدِ

واصْبِرْ كَما صَبَرَ الْكِرامُ فإنَّها ... نُوَبٌ[1] تَنُوبُ الْيومَ تُكْشَفُ في غدِ

فإذا ذَكَرْتَ مُصِيبةً تَشجى[2] بِهَا ... فَاذْكُرْ مُصابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحمَّدِ

وقال **الآخر**:

إذا أنْتَ لَمْ تَسْلُ اصطبارا وحِسبة ... سلوت على الأيَّامِ مِثْلَ الْبهائِمِ

المجالسة وجواهر العلم (١٣٢).

* ودخلوا على **ربيعة بن الحارث** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧) يعودونه وهو ثقيل، فقال: إنه من كان في مثل حالي هذه ملأت الآخرة قلبه، وكانت الدنيا أصغر في عينه من ذباب. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٣٩.

---

(١) أي: مصائب.

(٢) أي: تحزن.

* وقال **أعرابي**: الحمد لله الذي لا يحمد على المكروه غيره. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٩١.

* ودخلوا على **رجل** من أفاضل أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأهلُه يقول له: نفسي فداؤك، ما نطعمك؟ ما نسقيك؟، فأجابها بصوت ضعيف: بليت وطالت الضجعة، والله ما يسرني أن الله نقصني منه قلامة ظفر. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٧٩.

* وقال **شُرَيح القاضي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٨): إنِّي لأصاب المُصيبة، فأحمَدُ الله عليها أربعَ مرَّات، أحمدُ إذ لَم يكُن أعظم منها، وأحمَدُ إذ رزقَني الصَّبْر عليها، وأحمدُ إذ وفَّقني للاسترجاع لِماَ أرجو مِن الثواب، وأحمَدُ إذ لم يجعلْها في ديني.[1] تهذيب السِّيَر ١/ ٤٥٧.

* وعن **طلق بن حبيب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٢) قال: مكتوب في الإنجيل: يا ابن آدم إذا ظُلمت فاصبر؛ فإن لك ناصرًا خيرًا منك لنفسك ناصرًا. تهذيب الحِلْية ٤٥٣/ ١.

* وقال **الشاعر**:

وإني إذا لـم أَلْـزم الصّبـر طائعـا ... فـلا بـد منـه مكرهـا غيـرَ طائـع

أدب الدين (٢٧٣).

* ولما وقعت الأكلة في رجل **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ اللَّهُ، قيل له: ألا ندعو لك

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **والحمد على الضراء يوجبه مشهدان**:

أحدهما: علم العبد بأن اللّه ـ سبحانه ـ مستوجب لذلك، مستحق له لنفسه، فإنه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء، وهو العليم الحكيم، الخبير الرحيم.

والثاني: علمه بأن اختيار اللّه لعبده المؤمن، خير من اختياره لنفسه، كما روى مسلم في صحيحه، وغيره عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لا يقضي اللّه للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**». مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٩.

طبيبا؟ قال: إن شئتم، فجاء الطبيب، فقال: اسقيك شرابا يزول فيه عقلك، فقال: امض لشأنك، ما ظننت أن خلقًا يشرب شرابا يزول فيه عقله، حتى لا يعرف ربه، قال: فوضع المنشار على ركبته اليسرى ونحن حوله، فما سمعنا له حسا، فلما قطعها أخذها بيده، وقال: اللهم إنك تعلم أني لم أنقلها إلى معصية لك قط، وجعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت، وما ترك جزْءه بالقرآن تلك الليلة.

وأُصيب بابن له في ذلك السفر، دخل اصطبل دواب من الليل ليبول فركضته بغلة فقتلته، وكان من أحب ولده إليه، ولم يُسمع من عروة في ذلك كلمة، حتى رجع، فلما كان بوادي القرى قال: (لقينا من سفرنا هذا نصبا) اللهم كان لي بنون سبعة فأخذت منهم واحدا وبقيت ستة، وكانت لي أطراف أربعة فأخذت مني طرفا وبقيت لي ثلاث، وأيمك لئن ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت، فلما قدم المدينة جاء رجل من قومه فقال: يا أبا عبد الله، والله ما كنا نحتاج أن نسابق بك، ولا أن نصارع بك، ولكنا كنا نحتاج إلى رأيك، والأنس بك، فأما ما أُصبت به فهو أمر ذخره الله لك، وأما ما كنا نحب أن يبقى لنا منك فقد بقي. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٦٠-٢٦٣.

* وسُئل **ربيعة بن أبي عبد الرحمن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦): ما منتهى الصبر؟ قال: أن يكون يوم تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه. تهذيب الحِلْية ٥٣٤/ ١.

* وقال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): ما من أعمال البر شيْء إلا دونه عقَبَةٌ، فإنْ صبرَ صاحبها أفْضَتْ إلى رَوْح، وإن جزَع رجَع. صفة الصفوة ٣/ ١٩٧.

* وقال **بعضهم**:

إن الأمـور إذا انسـدّت مَسَـالِكُها ... فالصبرُ يفتحُ منها كلَّ مـا ارتُتِجَـا

أخلقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمنِ القرعِ للأبواب أن يلجَا
لا تيأسنّ وإن طالتْ مطالبةٌ إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترى فرجاَ

عيون الأخبار ٣/ ١٢٢.

* وعن **علي بن الحسين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) قال: إن الجسد إذا لم يمرض أشر، ولا خير في جسد يأشر. تهذيب الحِلْية ٤٨٣/١.

* وحَبَسَ السلطانُ ابنَ أخي **مُطرِّف بن الشخير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥) فلبِس مُطرِّفٌ خُلْقان ثيابه، وأخذ عُكَّازًا وقال: أستكين لربِّي لعلّه أن يُشفِّعني في ابن أخي. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٧٦.

* وقال **أبو حازم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠): كلّ نعمة لا تقرّب من الله عَزَّوَجَلَّ فهي بليّة. صفة الصفوة ٢/ ٤٨٩.

* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): على قناطر الفِتن جاوزوا إلى خزائن المِنَن. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠.

* وقال أحمد بن أبي الحَواريّ: قال لي **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٥): من أيّ وجه أزالَ العاقلُ اللاَّئمةَ عمّن أساءَ إليه؟ قلت: لا أدري قال: من أنه قد علم أن الله تعالى هو الذي ابتلاه به. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٢.

* وعن **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: إن الرجل ليظلمني فأَرحمه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٨٠.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ما من عبد وهب الله له صبراً على الأذى، وصبرًا على البلاء، وصبرًا على المصائب، إلا وقد أوتي أفضل ما أوتيه أحد بعد الإيمان بالله. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤.

* ولما أُدخل سجن الحجاج رأى قومًا مقرنين في الأغلال يقومون جميعًا

ويقعدون جميعًا، فقال: يا أهل بلاء الله في نعمته، ويا أهل نعمته في بلائه، إن الله قد رآكم أهلًا أن يختبركم، فأروه أهلًا أن تصبروا له. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٧.

* وعن **طاووس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦) قال: لم يجهد البلاء من لم يتول اليتامى، أو يكون قاضيًا بين الناس في أموالهم، أو أميرًا على رقابهم. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣١.

* وعن **أبي سعيد الخراز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٧) قال: العافية سترت البر والفاجر، فإذا جاءت البلوى يتبين عندها الرجال.(١) المنتظم ١٢/ ٢٨٢.

* وكان رجل بالبصرة من بني سعد، وكان قائدًا من قواد عبيد الله بن زياد فسقط عن السطح، فانكسرت رجلاه، فدخل عليه **أبو قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤) يعوده، فقال له: أرجو أن تكون لك خيرة، فقال له: يا أبا قلابة وأيّ خيرٍ في كسْر رجليّ جميعًا؟ فقال: ما ستر الله عليك أكثر.

فلما كان بعد ثلاث ورد عليه كتاب من ابن زياد: أن يخرج فيقاتل الحسين، فقال للرسول: قد أصابني ما ترى، فما كان إلا سبعًا حتى وافى الخبر بقتل الحسين، فقال الرجل: رحم اللهُ أبا قلابة لقد صدق، إنه كان خِيرة لي. صفة الصفوة ٣/ ٦٨.

* وقال **بعضهم**:

كَـمْ مِـنْ يـدٍ لا يُسْـتَقلُّ بشـكرها ... للهِ فِي ظِـلِّ المـّكارِهِ كامِنـهْ

عيون الأخبار ٣/ ٥٧ .

* وقال **محمودُ الورّاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢١):

يُمَثِّـلُ ذُو اللُّـبِ فِـي نَفْسـهِ ... مَصائِبَـهُ قَبـلَ أنْ تَنْـزِلا

فـإنْ نَزلَـتْ بَغْتـةً لَـم تَرُعْـهُ ... لِمَـا كانَ في نَفْسـهِ مَثَّـلا

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْفِتَنُ إِنَّمَا يُعْرَفُ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ إِذَا أَدْبَرَتْ. فَأَمَّا إِذَا أَقْبَلَتْ فَإِنَّهَا تُزَيِّنُ، وَيُظَنُّ أَنَّ فِيهَا خَيْرًا، فَإِذَا ذَاقَ النَّاسُ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ وَالْمَرَارَةِ وَالْبَلَاءِ، صَارَ ذَلِكَ مُبَيِّنًا لَهُمْ مَضَرَّتَهَا، وَوَاعِظًا لَهُمْ أَنْ يَعُودُوا فِي مِثْلِهَا. منهاج السنة ٤/ ٤٠٩.

وذُو الْجَهـلِ يأْمَـنُ أيَّامَـهُ ويَنْسى مَصارِعَ منْ قدْ خلا

عيون الأخبار ٣/ ٥٨.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو كان الصبر من الرجال لكان كريمًا.[1] ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٣.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كانوا يرجون في حمى ليلة كفارة لما مضى من الذنوب. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٣٢.

* وعن ثابت قال: انطلقنا مع **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى صفوان بن محرز نعوده، فخرج إلينا ابنه، فقال: هو مبطون لا تستطيعون ان تدخلوا عليه، فقال الحسن: إن يُؤخذ اليوم من لحمه ودمه فيؤجر فيه خير من أن يأكله التراب. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٣٨.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ذكر الوجع، فقال: أما والله ما هو بشر أيام المسلم، أيامٌ ذكر فيها ما نسي من معاده، وكُفر بها عنه خطاياه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٠.

* وعاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجلا في مرض، فقال له: إنا إن لم نؤجر إلا فيما نحب قلَّ أجرنا، وإن الله كريم يبتلي العبد وهو كاره، فيعطيه عليه الأجر العظيم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٠.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عليه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤.

* وعن **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) قال: الصبر صبران: الصبر على المصيبة حسن، وأفضل من ذلك الصبر عن المعاصي. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤.

---

(١) قالَ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قولِه تَعالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٤]: فَمَن أُعْطِيَ الصَّبْرَ وَالْيَقِينَ: جَعَلَهُ اللهُ إمَامًا فِي الدِّينِ. مجموع الفتاوى (٦/ ٢١٥).

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما نال أحد شيئًا من جسيم الخير، نبيٍّ فمن دونه إلا بالصبر. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤.

* وعن **ابن عون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) قال: كل عمل له ثواب يُعرف إلا الصبر، قال الله ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠]. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٢.

* وقال **الشاعر**:

والحادثات وإن أصابك بؤسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها

أدب الدين (٢٣٢).

* وكان **صالح المري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٢) يدعو: اللهم ارزقنا صبرًا على طاعتك، وارزقنا صبراً عن معصيتك، وارزقنا صبراً عند عزائم الأمور. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٥.

* وقيل **لعبد الله أبي يحيى البطال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣): ما الشجاعة؟ قال: صبر ساعة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٠.

* وقال **الشاعر**:

إذا لم تسامح في الأمور تعقدت عليك فسامح واخْرجِ العسر باليسر

فلم أر أوفى للبلاء من التقى ولم أر للمكروه أشفى من الصبر

ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٠.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصَّبر اليوم عن معاصي الله خيرٌ من الصَّبر على الأغلال في نار جهنم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٠.

* وصدق **القائل**:

إنّي رأيتُ وفي الأيامِ تجربةٌ للصَّبرِ عاقبةً محمودةَ الأثرِ

وقلَّ منْ جدَّ في أمرٍ يحاولهُ واستصحبَ الصَّبرَ إلاَّ فازَ بالظَّفرِ

العقد الفريد: ١/ ٢٠١.

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): الصبر صبران: فاللئام أصبر أجساما، والكرام أصبر نفوسا.

وليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون الرجل قوي الجسد على الكد والعمل؛ لأن هذا من صفات الحمير، ولكن أن يكون للنفس غلوبا، وللأمور متحمّلا. أدب الدين (٤٦٢)، الأدب الكبير (١٠٤).

* وتلا **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) هذه الآية ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان:٢٠]، فقال: جعل بعضكم لبعض فتنة فاصبروا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٨.

* وعن **سعيد بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٦) قال: إذا رأيت أمرًا لا تستطيع غيره فاصبر وانتظر فرج الله. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٨.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جعل الله رأس أمور العباد العقل، ودليلهم العلم، وسائقهم العمل، ومقويهم على ذلك الصبر. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٨.

* وقال أبو عبد الرحمن المغازلي: دخلت على **رجل** مبتلى بالحجاز، فقلت: كيف تجدك؟.

قال: أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به، وأجد نعمه علي أكثر من أن أحصيها.

فقلت: أتجد لما أنت فيه ألمًا شديدًا؟.

فبكى، ثم قال: سَلا بنفسي عن ألم ما بي: ما وعد عليه سيدي أهلَ الصبر من كمال الأجور في شدة يوم عسير.

إني لأحسب أن لأهل الصبر عند الله غدًا في القيامة مقامًا شريفًا، لا يتقدمه من ثواب الأعمال شيء إلا ما كان من الرضا عن الله جل وعز. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤.

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: سب رجل **رجلًا** من الصدر الأول،

فقام الرجل وهو يمسح العرق عن وجهه، وهو يتلو ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى:٤٣].

قال الحسن: عَقَلها والله وفهمها، إذ ضيعها الجاهلون!. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٧.

* وقال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١): من صبر فما أقل ما يصبر، ومن جزع فما أقل ما يتمتع. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٣.

* وقال العسولي العابد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت مع **عبدالله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غزاةٍ في ليلة ذات برد ومطر، فبكى، فقلت: أتبكي من مثل هذا؟ فقال: إنما أبكي على ليال سلفت ليس فيها مثل هذا من الشِّدة لنُؤْجَر عليها. ترتيب المدارك (١/ ٣٣٩).

* وقال أبو العباس المبرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: توفيت والدة **القاضي إسماعيل بن إسحاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠)، فركبت إليه أعزّيه، وأتوجّع له، فألفيت عنده الجلّة من بني هاشم، والفقهاء، والعدول، وميسوري بغداد، ورأيت من ولَهِه ما أبداه، ولم يقدر على ستره، وكلٌّ يعزيه، وقد كاد لا يسلُو.

فلما رأيت ذلك منه ابتدأت بعد التسليم فأنشدته:

لعمري لئن غال ريب الزما ... ن فينا لقد غال نفسًا حبيبه

ولكنّ علمي بما في الثوا ... ب عن المصيبة ينسي المصيبه

فتفهم كلامي، واستحسنه، ودعا بدواة وكتبه، ورأيت بعدُ قد انبسط وجهه، وزال عنه ما كان فيه من تلك الكآبة، وشدة الجزع. ترتيب المدارك (٢/ ٢٨٣).

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعطي الصابرون الصلاة من الله عليهم، والرحمة منه لهم، فمن ذا الذي يدرك فضلهم إلا من كان منهم؟ هنيئًا للصابرين ما أرفع درجتهم، وأعلى هناك منازلهم، والله ما نال القوم ذلك إلا بمنِّه وتوفيقه،

فله الحمد على ما أعطى من فضله وأسدى من نعمه، وله الحمد كثيرًا علينا وعلى جميع خلقه، فهو الغني فلا يمنعه نائل، وهو الكريم فلا يحفيه سائل، وهو الحميد فلا يبلغ مدحه قائل، ونحن عباده، فمن بين مخذول حرم طاعته فلم يصبر عن معصيته، ومِن بين مطيع وفقه لمرضاته وصبره عن الدنيا وما فيها من معصيته، ثم غمرنا بعد ذلك بتفضله فقال ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] فنحن نرجو أن ننالها بتفضله وإن لم نكن من أهلها بسوء أعمالنا القبيحة، واسوأتاه من كريم يكرمك وأنت متعرض لما يكره صباحًا ومساءً. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٣.

* وقال **بعضهم**:

ولَسْتَ بِغَالِبِ الشَّهَوَاتِ حَتَّى ... تُعدَّ لَهُنَّ صَبْرًا واحْتِسَابَا
فكُلُّ مُصيبَةٍ عَظُمَتْ وجَلَّتْ ... تَخفُّ إذا رَجوْتَ لَها ثَوَابَا

* وقال **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨): الصبر من الإيمان بمنزلة اليدين من الجسد، من لم يكن صابرًا على البلاء لم يكن شاكرًا على النعماء، ولو كان الصبر رجلًا لكان كريمًا جميلًا. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٩.

* وعن ليث قال: أخبرت **طلحةَ بن مصرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) عن طاووس رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يكره الأنين، فما سُمع له أنين في مرضه حتى مات!. ابن أبي الدنيا ٤/ ٦٣.

* وكتب **ابنُ السَّمَّاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣) إلى الرشيد يعزيه بابن له: أما بعدُ، فإن استطعتَ أن يكون شكرُك لله حينَ قَبضه أكثرَ من شكرِك له حينَ وهبه، فإنَّه حينَ قبضه أحرز لك هِبتَه، ولو سلِم لم تَسْلَم من فِتْنتِه؛ أرأيتَ حزنَك على ذهابه وتلهُّفَك لِفراقه! أرضِيتَ الدارَ لنفسك فترْضَاها لابنك! أمّا هو فقد خلَص من الكدر، وبقيتَ أنت معلَّقًا بالخطَر.

واعلم أن المصيبةَ مصيبتان إن جزِعْتَ، وإنما هي واحدة إن صبَرت، فلا تجمعِ الأمرين على نفسِك. عيون الأخبار ٣/ ٥٩.

* واشتكى بعضُ أهل **أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) فَجزع عليه، ثم أُخبِر بموته فسُرِّيَ عنه؛ فقيل له في ذلك، فقال: ندعو اللهَ فيما نحبّ، فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما أَحَبّ. عيون الأخبار ٣/ ٦٢.

* وعن **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠١) قال: ما أحب أن تهون علي سكرات الموت لأنها أخر ما يكفر به عن المسلم. تهذيب الحِلْية ٢٢٩/ ٢.

* وكان **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤) إذا حدث كأنما يقرأ سورة من القرآن، وكان فصيحًا، فمرض مرضًا شديدًا فقال: اللهم إن كان هذا لك رضى فزد.

فبلغ ذلك **إدريس الخولاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠)، فبعث إليه يا أبا عبد الله**!** لست أنا ولا أنت من رجال البلاء، فبعث إليه: يا أبا عمرو**!** ادع الله لي بالعافية. تهذيب الحِلْية ١٣٢/ ٣.

* وقال **ذو النون أبو الفيض المصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦): البلاء ملح المؤمن، إذا عدم البلاء فسد حاله. تهذيب الحِلْية ٢٣٤/ ٣.

* ولما دُعيَ **مالكٌ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩)، وسُمعَ منه، وقُبل قولُه، حُسد، وبَغَوه بكل شيء، فلما وَلِي جعفُر بن سليمان المدينة، سَعَوا به إليه، وكَثُروا عليه عنده، وقالوا: لا يَرى أيمانَ بيعتكم هذه بشيء، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت ابن الأحنف في طلاق المُكرَه: أنه لا يجوز عنده، فغضب جعفرُ، فدعا بمالك، فاحتجَّ عليه بما رُفعَ إليه عنه، فأمر بتجريده، وضَرْبِه بالسّياط، وجُبِذَتْ يَدُه حتى انخلعتْ مِن كتفه، وارتُكبَ منه أمرٌ عظيم، فوالله ما زال مالك بعدُ في رِفعة وعُلُوٍّ.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): هذا ثمرةُ المحنة المحمودَة، أنها ترفعُ العبدَ

عند المؤمنين، وبكل حال فهي بما كسبت أيدينا، ويعفو الله عن كثير: «**وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**»، وقال النبي ﷺ: «**كل قضاء المؤمن خير له**» وقال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد:٣١]، وأنزل تعالى في وقعة أحد قوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران:١٦٥] وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى:٣٠]. فالمؤمن إذا امْتُحِنَ صَبَر واتَّعظَ، واستغفر ولم يتشاغل بذمِّ من انتقم منه، فالله حَكَمٌ مُقسِطٌ، ثم يَحمَدُ اللهَ على سلامة دينه، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهونُ وخيرٌ له. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٣٠.

* وقال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٩٨): لولا أن الله طأطأ من ابن آدم بثلاث، ما أطاقه شيء، وإنهن لفيه، الفقر، والمرض، والموت. تهذيب الحِلْية ٢/ ٤٢٩.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): إذا أحب الله عبدًا أكثر غمه، وإذا أبغض الله عبدًا أوسع عليه دنياه. تهذيب الحِلْية ٨/ ٣.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في رمضان من سنة تسع عشرة ومائتين امتحن المعتصم **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) فضربه بين يديه بعد أن حبسه مدة، ووطن أحمد نفسه على القتل، فقيل له: إن عرضت على القتل تجيب؟ قال: لا، ولقيه خالد الحداد فشجعه، وقال له: إني ضربت في غير الله فصبرت، فاصبر أنت إن ضربت في الله عَزَّوَجَلَّ، وكان خالد يُضرب المثل بصبره، فقال له المتوكل: ما بلغ من جَلَدك؟ فقال: أُملئ لي جراب عقارب، ثم أدخل يدي فيه، وإنه ليؤلمني ما يؤلمك، وأجد لآخر سوط من الألم ما أجد لأول سوط، ولو وضعت في فمي خرقة وأنا أضرب لاحترقت من حرارة ما يخرج من جوفي، ولكني وطنت نفسي

على الصبر، فقال له الفتح: ويحك مع هذا اللسان والعقل، ما يدعوك إلى ما أنت فيه من الباطل؟ قال: أحب الرئاسة. المنتظم **٤٢-٤٣**/ ١١.

* وقال أبو عمرو الكندي: أغارت الروم على جَواميس **لبشير الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ نحوًا من أربعمائة جاموس، فركبتُ معه أنا وابن له، فلقينا عَبيدَهُ الذين كانَتْ مَعَهُم الجواميس معهم عِصِيُّهم، فقالوا: يا مولانا ذهبت الجواميس فقال: وأنتم أيْضًا اذهبوا معها، فأنتم أحرار لوجهِ الله تعالى، فقال له ابنه: يا أبهْ أفقَرتنا قال: إنّ ربّي اختَبرني فأردتُ أن أزيده.[1] صفة الصفوة ٤/ ٤٥١.

* وقال الأصمعي: شهدت **صالح المُرِّيَّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٢)، عَزَّى رجلًا، فقال: لئن كانت مصيبتُك بابنك لم تُحْدِثْ لك موعظةً في نفسك، فهي هيِّنة في جنب مصيبتك بنفسك، فإيَّاها فَابْكِ. تهذيب السِّيَر ٢/ ٧٢٥.

* وضرب رجلٌ **أحد الصالحين** فشجَّ رأسه، قال: فسألت الله له الجنة.

قيل: كيف وقد ظلمك؟ فقال: علمت أنني أؤجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر. إحياء علوم الدين ١/ ٩٣٣.

* وقتل **للمعافى بن عمران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٤) ابنان في وقعة الموصل، فجاء إخوانه يعزونه من الغد، فقال لهم: إن كنتم جئتم لتعزوني فلا تعزوني، ولكن هنئوني، فهنّوه، فما برحوا حتى غدّاهم وغلفهم بالغالية. المنتظم١٠١/ ٩.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سئل **أبو عثمان الواعظ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٩٨): أي أعمالك أرجى عندك؟ فقال: إني لما ترعرعت وأنا بالري وكانوا يريدونني على

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر: أنّ الكرب إذا اشتدّ وعظم وتناهى، حصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين، وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]. جامع العلوم والحكم / ٢٦٤.

التزويج فأمتنع، فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان، قد أحببتك حبًا أذهب نومي وقراري، وأنا أسألك بمقلب القلوب، وأتوسل به إليك لما تزوجتني. فقلتُ: ألك والد؟ قالت: نعم فأحضرته، فاستدعى بالشهود فتزوجتها، فلما خلوت بها إذا هي عوراء، عرجاء، مشوهة الخلق، فقلتُ: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي. وكان أهل بيتي يلومونني على تزويجي بها، فكنت أزيدها برا وإكراما، وربما احتبستني عندها، ومنعتني من الحضور إلى بعض المجالس، وكأني في بعض أوقاتي على الجمر، وأنا لا أبدي لها من ذلك شيئا، فمكثت كذلك خمس عشرة سنة، فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي. البداية والنهاية١١/ ١٨٨.

* وكان بعضهم إذا فتح له في الدعاء عند الشدائد لم يحب تعجيل إجابته خشية أن ينقطع عما فتح له.[1] الجامع المنتخب/ ٢١٠.

---

(١) ذكر ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيئًا من لطائف البلايا **وفوائدها وحكمها:**

منها: تكفير الخطايا بها، والثواب على الصبر عليها، وهل يثاب على البلايا بنفسه؟ فيه اختلاف بين العلماء.

ومنها: تذكير العبد بذنوبه فربما تاب ورجع منها إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

ومنها: زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها.

ومنها: انكساره لله عَزَّوَجَلَّ وذله له، وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين.

ومنها: أنها توجب للعبد الرجوع بقلبه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد البلاء، وقد ذم الله من لا يستكين له عند الشدائد، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون:٧٩].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام:٤٢].

ومنها: أن البلاء يوصل إلى قلبه لذة الصبر عليه أو الرضا به، وذلك مقام عظيم جدًّا، وقد تقدمت الإشارة إلى فضل ذلك وشرفه.

ومنها: أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى مخلوق ويوجب له الإقبال على الخالق وحده. =

* ودخلوا على **أحد السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد رفسته بغلة فكسرت رجله فقال: لولا مصائب الدنيا لقدمنا على الله مفاليس. تهذيب الحِلْية ٣١٦/ ٣.

* وقال **أبو العباس بن عطاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٠٩): القلب إذا اشتاق إلى الجنة أسرعت إليه هدايا الجنة، وهي المكروه؛ لأن المكاره هدايا الجنة إلى أبدان الصادقين. تهذيب الحِلْية ٤٠١/ ٣.

* وقال **إبراهيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٥): ما شكوتُ إلى أمي ولا إلى أختي ولا إلى امرأتي ولا إلى بناتي حُمَّى قط وجدتها، الرجلُ هو الذي يدخل غَمَّه عَلَى نفسه ولا يغمّ عياله، وكان بي شقيقةٌ[1] خمسًا وأربعين سنة، ما أخبرتُ بها أحدًا قط، ولي عشرون سنة أُبْصر بفردِ عين، ما أخبرت بها أحدًا قط، وأفنيت من عمري ثلاثين سنة برغيفين، إن جاءتني بهما أمي أو أختي أكلت، وإلا بقيت جائعًا عطشانًا إلى الليلة الثانية، وأفنيت ثلاثين سنة من عمري برغيف فِي اليوم والليلة، إن جاءتني به امرأتي أو إحدى بناتي أكلته، وإلا بقيت جائعًا عطشانا إلى الليلة الأخرى. طبقات الحنابلة (١/ ٢١٩).

* وقال **بعضهم**:

ومن قلَّ فيما يتَّقيه اصطباره ... فقد قلَّ فيما يَرْتَجيه نصيبُه

طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ١٧٢).

= وقد حكى الله عن المشركين إخلاص الدعاء له عند الشدائد فكيف بالمؤمن؟!
فالبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه، وذلك أعلى المقامات وأشرف الدرجات.
ومنها: أن المؤمن إذا استبطأ الفرج وييئس منه ولا سيما بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم يظهر له أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللائمة ويقول لها: إنما أتيت من قبلك ولو كان فيك خير لأجبت.
وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه ليس بأهل لإجابة دعائه فلذلك يسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله، على قدر الكسر يكون الجبر. الجامع المنتخب/ ٢١٠ - ٢١٣.

(١) ألمٌ يصيب نصف الرأس ونصف الوجه.

* وقال **ابن أبي يعلى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦١٦) في قول ﷺ: «**مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذىً يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ**»[1]: إذا كان البارئ عَزَّوَجَلَّ يَصبر عَلَى ما يقول فِيهِ الجاحدون والمشركون، مَعَ قُدرتِه عَلى إهلاكِهم وإفنائهم ومنعهم مما يتفوَّهون به؛ لِما سَبَقَ في علمه من الإملاء لهم ليزدادوا إثما، والأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ قد صَبَروا عَلَى ما أُوذوا به، والصالحون قد تأسَّوا بهم فِي ذَلِكَ: **فالواحد مِنّا -مَعَ علمه بتقصيره فِي كل معنى- لا ينبغي لَهُ أن يَقلق لكلمة تسوؤُه**، وَإِذَا كَانَ القيام بالذّبِّ عن أهل الحق دينًا واحتسابًا، فالصبر عَلَى ما يُصيبه هُوَ من تمام الاحتساب، وقد جاء فِي الحديث: «إن الرجل ليُعطى كتابه يوم القيامة منشورًا، فينظر فِيهِ حسنات لم يَعملها فيقول: يا رب أيُّ شيءٍ هَذَا؟ فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تَشعر».[2]
طبقات الحنابلة (٣/ ٣٩٧).

* وذكر **أبو شامة** (ت: ٦٦٥) أنه جرت له محنة سنة خمس وستين وست مائة، وهو أنه دخل عليه رجلان جليلان في صورة مستفتيين، ثم تناولاه ضربًا إلى أن عيل[3] صَبره، ولم يغثه أحد، ولكن ألهمه الله الصبر واللُّطف، وقيل له: اجتمِع بولاة الأمر، فقلت: أنا قد فوَّضتُ أمري إلى الله وهو يكفينا، وقلتُ في ذلك:

قلت لمن قال ألا تشتكي ... ما قد جرى فهو عظيم جليل
يقيض الله تعالى لنا ... مَن يأخذ الحق ويشفي الغليل

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤)، واللفظ له، وقد أثبته بدلًا من اللفظ الذي ساقه المؤلف.

(٢) قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (كتاب الصبر والشكر): أخرجه أَبُو مَنْصُور الديلمي فِي مُسْند الفردوس وفيه ابن لهيعة.

(٣) أي غلب، يقال: عالني يعولني إذا غلبني.

إذا توكلنا عليه كفى ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

طبقات الشافعيين (٢/ ٣٣٤).

* وقال **أبو حيان الأندلسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٥).

عِداي لهم فضل عليّ ومنّة ... فلا أذهب الرحمن عنّي الأعاديا

همُ بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ... وهمْ نافسوني فاكتسبت المعاليا

طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢٩١).

ب- موقفهم من قتال الفتنة، وتوجيههم فيها[1]:

* عن سليمان بن صرد قال: دخلتُ على **عليٍّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠)، فاستبطأني في حربه[2]، فجعلتُ أعدهُ بطولِ الحرب، فجعل ذلك يسوؤه، فلقيتُ الحسن بن على رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فذكرتُ ذلك له فقال: لا يغرَّنَّك ذلك منه، فلقد رأيتُه حين أخذتِ السيوفُ مأخذها من الرجالِ يبغون من يبغُون يقول: يا حسن، ليتني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة. ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٥٤.

* وأَجْلَسَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ طَلْحَةَ يَوْمَ الْجَمَلِ فَمَسَحَ التُّرَابَ عَنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ الْتَفَتَ

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عامةُ الفتن التي وقعت من أعظم أسبابها: قلة **الصبر؛ إذ الفتنة لها سببان:**

أ- إما ضعف العلم.

ب- وإما ضعف الصبر.

فإن الجهل والظلم أصل الشر، وفاعل الشر إنما يفعله لجهله بأنه شر، وتكون نفسه تريده، فبالعلم يزول الجهل، وبالصبر يحبس الهوى والشهوة فتزول تلك الفتنة. الفروع لابن مفلح: (١٠/ ١٨١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين تبين له أنه ما دخل فيها أحدٌ فحمد عاقبة دخوله؛ لِمَا يحصل له من الضرر في دينه ودنياه، ولهذا كانت من باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به. منهاج السنة: ٤/ ٤١٠.

(٢) أي: وجَدني بَطيئًا في حربه وقتاله.

إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: «وَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ هَذَا بِثَلَاثِينَ سَنَةً». مستدرك الحاكم (٥٥٩٧).

* وقَالَ يَوْمَ الْجَمَلِ لَمَّا رَأَى الْقَتْلَى وَالرُّؤوسُ تَنْدُرُ: «يَا حَسَنُ، أَيُّ خَيرٍ يُرْجَى بَعْدَ هَذَا»، قَالَ: نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا قَبْلَ أَنْ نَدْخُلَ فِيهِ.[1] مستدرك الحاكم (٥٥٩٨).

* وعن عبدالله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت **لعثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) يوم الدار: قاتلهم الله، فوالله لقد أحلَّ الله لك قتالهم، فقال: لا، والله لا أقاتلهم أبدًا، فدخلوا عليه فقتلوه وهو صائم.

وكان عثمان أمر عبد الله بن الزبير على الدار فقال عثمان: من كانت لي عليه طاعة فليطع عبد الله بن الزبير.[2] الزهد لأحمد: ٢٤٦.

* وقيل **لسعد بن أبي وقاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): ألا تقاتل فإنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك؟ فقال: لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان، يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد. تهذيب الحِلْية ٩٥/ ١.

* ولَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ **سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٤) إِلَى الرَّبَذَةِ[3]، وَتزَوَّجَ هُنَاكَ امْرَأَةً، وَوَلَدَتْ لَهُ أَوْلَادًا، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا، حَتَّى قَبْلَ أَنْ

(١) لو يستطيعُ أحدٌ أنْ يتخلّص من الفتنة إذا وقعت، أو يسلم منها أو يُخمدها لقوّته أو حنكتِه أو كثرةِ أعوانِه: لاستطاع ذلك الصحابةُ وهم خير الناس دينا وعقلا وحكمةً وعلمًا، ولكنّ الفتنة إذا حلّت ببلد أو بقوم أخذت تصول وتجول وتموج ولا يسلم منها إلا من اعتزلها.
والعاقل لا يسعى في تأجيج الفتن، وتأليب الناس على وليّ الأمرِ المسلم.

(٢) خاطر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفسِه لأجل حقن دماء المسلمين، فشتان بينه وبين بعض الطغاة من الحكام الذين قتلوا وشرّدوا الملايين من شعوبهم، لا لأجل حقن دماء أنفسِهم، بل لأجل الحفاظ على مناصبهم وكراسيّهم!

(٣) هو مَوْضِع بِالْبادِيَةِ بَيْنَ مَكَّة والْمَدِينَة.

يَمُوتَ بِلَيَالٍ، فَنَزَلَ المَدِينَةَ. صحيح البخاري (٧٠٨٧).

* وعن **حذيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: إياكم والفتن، لا يشخص إليها أحد، فوالله ما شخص فيها أحد إلا نسفته، كما ينسف السيل الدمن، إنها مُشَبِّهَة مُقْبلة، حتى يقول الجاهل: هذه تشبه، وتَبِيْنُ مدبرة. فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم، وكسروا سيوفكم، وقطعوا أوتاركم. مُستدرك الحاكم: ٨٣٨٥، وصحَّحه الذهبي.

* وعن **عبد الله بن عمر** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (ت: ٧٣) قال: إنما كان مثلنا في هذه الفتنة كمثل قوم كانوا يسيرون على جادة يعرفونها، فبينما هم كذلك، إذ غشيتهم سحابة وظلمة، فأخذ بعضهم يمينا وشمالًا فأخطأ الطريق، وأقمنا حيث أدركنا ذلك، حتى جلى الله ذلك عنا، فأبصرنا طريقنا الأول، فعرفناه وأخذنا فيه، وإنما هؤلاء فتيان قريش، يقتتلون على هذا السلطان، وعلى هذه الدنيا، ما أبالي أن يكون لي ما يقتل بعضهم بعضا بنعلي هاتين الجرداوين. تهذيب الحِلْية ٢٢٠/ ١.

* وأَتَاهُ رَجُلاَنِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالاَ: إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ، وَصَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ؟ فَقَالَ «يَمْنَعُنِي أَنَّ اللهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي» فَقَالاَ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[1] [الأنفال: ٣٩]، فَقَالَ: «قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ[2]، وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللهِ». صحيح البخاري (٤٥١٣).

وفي رواية: «إِنَّمَا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ يُقَاتِلُ المُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ فِي دِينِهِمْ

---

(١) يُرِيد أَنْ يَحْتَجّ بِالْآيَةِ عَلَى مَشْرُوعِيَّة الْقِتَال فِي الْفِتْنَة وَأَنَّ فِيهَا الرَّدّ عَلَى مَنْ تَرَكَ ذَلِكَ كَابْنِ عُمَر. وَحَاصِل جَوَاب اِبْن عُمَر لَهُ أَنَّ الضَّمِير فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾ لِلْكُفَّارِ، فَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقِتَالِ الْكَافِرِينَ حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ يُفْتَن عَنْ دِين الْإِسْلَام وَيَرْتَدّ إِلَى الْكُفْر. [فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٦٠].

(٢) أَيْ لَمْ يَبْقَ فِتْنَة أَيْ مِنْ أَحَد مِنْ الْكُفَّار لِأَحَدٍ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ. [فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٦٠].

فِتْنَةً، وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمُلْكِ».[1] صحيح البخاري (٤٦٥١).

* وقيل له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زمن ابن الزبير والخوارج: أتصلي مع هؤلاء، ومع هؤلاء وبعضهم يقتل بعضا؟ قال: من قال: حي على الصلاة أجبته، ومن قال: حي على الفلاح أجبته، ومن قال: حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت: لا!. تهذيب الحِلْية ٢٢٠/١.

* وقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ الَّتِي لاَ مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا: سَفْكَ الدَّمِ الحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ». صحيح البخاري (٦٨٦٣).

* وقالت **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨): لوددتُ أني كنتُ غصنًا رطبًا وأني لم أَسِرْ في هذا الأمر، تعني يومَ الجمل. ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٥٧.

* وعن حَرْمَلَةَ مَوْلَى أُسَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: أَرْسَلَنِي **أُسَامَةُ بن زيدٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩)[2]: إِلَى عَلِيِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠)[3]: وَقَالَ: إِنَّهُ سَيَسْأَلُكَ الآنَ فَيَقُولُ: مَا خَلَّفَ صَاحِبَكَ؟[4] فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ: «لَوْ كُنْتَ فِي شِدْقِ........................

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ فِي طَلَب الْمُلْك، يُشِير إِلَى مَا وَقَعَ بَيْنَ مَرْوَان ثُمَّ عَبْد الْمَلِك اِبْنه وَبَيْنَ اِبْن الزُّبَيْر وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَكَانَ رَأْي اِبْن عُمَر تَرْك الْقِتَال فِي الْفِتْنَة وَلَوْ ظَهَرَ أَنَّ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ مُحِقَّة وَالْأُخْرَى مُبْطِلَة، وَقِيلَ: الْفِتْنَة مُخْتَصَّة بِمَا إِذَا وَقَعَ الْقِتَال بِسَبَبِ التَّغَالُب فِي طَلَب الْمُلْك، وَأَمَّا إِذَا عُلِمَتْ الْبَاغِيَة فَلَا تُسَمَّى فِتْنَة وَتَجِب مُقَاتَلَتهَا حَتَّى تَرْجِع إِلَى الطَّاعَة، وَهَذَا قَوْل: الْجُمْهُور. ١٣/ ٦٠»

(٢) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ مِنْ الْمَدِينَة.

(٣) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ بِالْكُوفَةِ، لَمْ يَذْكُر مَضْمُون الرِّسَالَة وَلَكِنْ دَلَّ مَضْمُون قَوْله « فَلَمْ يُعْطِنِي شَيْئًا « عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَرْسَلَهُ يَسْأَل عَلِيًّا شَيْئًا مِنْ الْمَال.

(٤) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا هَيَّأَهُ أُسَامَة اِعْتِذَارًا عَنْ تَخَلُّفه عَنْ عَلِيّ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يُنْكِر عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، وَلَا سِيَّمَا مِثْل أُسَامَة الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْل الْبَيْت، فَاعْتَذَرَ بِأَنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّف ضَنًّا مِنْهُ بِنَفْسِهِ عَنْ عَلِيّ وَلَا كَرَاهَة لَهُ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي أَشَدّ الْأَمَاكِن هَوْلًا لَأَحَبَّ أَنْ يَكُون مَعَهُ فِيهِ وَيُوَاسِيه بِنَفْسِهِ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا تَخَلَّفَ لِأَجْلِ كَرَاهِيَته فِي قِتَال الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْله: «وَلَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَهُ».

الأَسَدِ[١] لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِيهِ، وَلَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَهُ».[٢] صحيح البخاري (٧١١٠).

* وقالَ سَهلُ بنُ حُنَيفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٨): يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل، ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ.[٣] صحيح البخاري (٣١٨١)، صحيح مسلم (١٧٨٥).

* وعن يسير بن عمرو: أن أبا مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٢) لما قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ احتجب في بيته، فدخلت عليه فسألته فقال: عليك بالجماعة، فإن

---

(١) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ جَانِب فَمه مِنْ دَاخِل، وَهُوَ كِنَايَة عَن الْمُوَافَقَة حَتَّى فِي حَالَة الْمَوْت، لِأَنَّ الَّذِي يَفْتَرِسهُ الْأَسَد بِحَيْثُ يَجْعَلهُ فِي شِدْقه فِي عِدَاد مَنْ هَلَكَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَالَ: لَوْ وَصَلْت إِلَى هَذَا الْمَقَام لَأَحْبَبْت أَنْ أَكُون مَعَك فِيهِ مُوَاسِيًا لَك بِنَفْسِي.
يُنظر: فتح الباري ١٣/ ٨٥-٨٦.

(٢) فيه أن الصحابة لا يُحابون ولا يُجاملون في الحق، ولو كان الطالب منهم من أحب الناس إليهم، فأسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يمتثل ما طلبه منه عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصارحه بأنه لا يرى ذلك، معَ قوله بأنه يُحبه، فالمحبة لا تعني الموافقة في كل شيء، فقد يختلف الصديق مع صديقه في الرأي، وقد لا يُطاوعه في بعض الأمور، وهذ لا يعني أنه قليل الشأن عنده.
وفيه أنّ الخلاف بينهم لا يصل إلى حدّ القطيعة، فكلّ واحد منهما فعل ما لا يُحبّ صاحبُه، ومع ذلك بقيا إخوةً في الدين.

(٣) اتَّهِمُوا رأْيكُم على دِينكُمْ» أي لَا تَعملُوا فِي أَمْر الدِّين بالرَّأيِ الْمُجَرَّد الَّذي لَا يَسْتَنِد إلى أصل مِن الدِّين. فتح الباري ١٣/ ٣٥٢

وعظ سَهلُ بنُ حُنَيفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس أن لا يقاتلوا في معركة صفين، التي وقعت بين جماعتين مسلمتين، وأن يتهموا رأيهم في هذا القتال؛ لأن كلا منهما يقاتل عن رأي رآه، واجتهاد اجْتهده، فهو يحذرهم من هذا القتال؛ لأنه قتال الإخوة في الإسلام، وكان سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متَّهما بالتقصير في القتال، فأخبرهم أنه لا يقصر في نصرة الجماعة المسلمة، كما لم يقصر يوم الحديبية، إذ لو استطاع أن ينصر أبا جندل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لنصره، حين جاء من مكة مسلما يجر قيوده، وكان قد عُذِّب على الإسلام، فرده رسول الله ﷺ لأنه جاء بعد عقد الصلح مع قريش. شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا على صحيح البخاري.

الله لن يجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة، واصبر حتى يستريح برٌّ، ويُستراح من فاجر. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٢.

* وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: عَنْ خَلَفِ بْنِ حَوْشَبٍ[١]: كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ عِنْدَ الفِتَنِ[٢]، قَالَ امْرُؤُ القَيْسِ[٣]:

الحَـرْبُ أَوَّلُ مَـا تَكُـونُ فَتِيَّـةً[٤]   تَسْـعَى بِزِينَتِهَـا لِـكُلِّ جَهُـولِ

حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ[٥] وَشَبَّ ضِرَامُهَا[٦]   وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ[٧]

شَمْطَاءَ[٨] يُنْكَرُ لَوْنُهَا[٩] وَتَغَيَّرَتْ   مَكْرُوهَـةً لِلشَّـمِّ وَالتَّقْبِيلِ[١٠]

* وقال **مطرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٥): إنَّ الفتنة ليست تأتي تهدي الناس، ولكن إنما تأتي تقارع المؤمن عن دينه، ولأن يقول الله لم لا قَتَلت فلانًا؟ أحب إليّ من أن يقول: لم قتلت فلانًا. تهذيب الحِلْية ٣٦٢/ ١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن آخُذ بالثِّقة في القعود أحبُّ إليَّ مِن أن ألتمس فضل

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خَلَف كَانَ مِنْ أَهْل الْكُوفَة رَوَى عَنْ جَمَاعَة مِنْ كِبَار التَّابِعِينَ وَأَدْرَكَ بَعْض الصَّحَابَة لَكِنْ لَمْ أَجِد لَهُ رِوَايَة عَنْ صَحَابِيّ، وَكَانَ عَابِدًا.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ عِنْدَ نُزُولهَا.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْمَحْفُوظ أَنَّ الْأَبْيَات الْمَذْكُورَة لِعَمْرِو بْن مَعْدِ يكَرِب الزُّبَيْدِيّ كَمَا جَزَمَ بِهِ أَبُو الْعَبَّاس الْمُبَرِّد فِي الْكَامِل، وَبِذَلِك جَزَمَ السُّهَيْلِيُّ فِي « الرَّوْض ».

(٤) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ شَابَّة.

(٥) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كِنَايَة عَنْ هَيَجَانهَا.

(٦) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شَبَّتْ الْحَرْب إِذَا اتَّقَدَتْ وَضِرَامهَا: أَيْ اِشْتِعَالهَا.

(٧) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْمَعْنَى أَنَّهَا صَارَتْ لَا يَرْغَب أَحَد فِي تَزْوِيجهَا.

(٨) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هُوَ وَصْف الْعَجُوز، وَالشَّمْط اِخْتِلَاط الشَّعْر الْأَبْيَض بِالشَّعْرِ الْأَسْوَد.

(٩) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ يُبَدَّل حُسْنهَا بِقُبْحٍ.

(١٠) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَصِف فَاهَا بِالْبَخْرِ مُبَالَغَة فِي التَّنْفِير مِنْهَا.

يُنظر: فتح الباري ١٣/ ٦٠-٦٣

الجهاد بالتغرير.[1] تهذيب السِّيَر ١/ ٤٧٥.

* وقيل ليزيد بن العلاء: ما كان يصنع **مطرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا هاج في الناس هيج؟ قال: كان يلزم قعر بيته ولا يأتي لهم صفا ولا جماعة، حتى تنجلي عما انجلت. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٤٣.

* وقال ابن الجوزي: رأى **طلحة بن مصرّف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢) رجلًا يضحك فقال له: أما إنك تضحك ضحك من لم يحضر الجماجم[2]، فقيل له: وشهدت الجماجم؟، فقال: نعم ورميت فيها بسهم وليت يدي قطعت ولم أرم فيها. المنتظم ٢٤٥-٢٤٦/ ٦.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) قد لقي جماعة من الصحابة، وكان من العلماء المتعبدين، وكان حسن الخشوع في الصلاة، فوقع مرة إلى جانبه حريق فما شعر به حتى طفئ.

وكان أرفع عند الناس من الحسن البصري حتى خرج مع ابن الأشعث فوضعه ذلك.

وكان يقول: ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح، فقال له قائل: فكيف بمن رآك واقفًا في الصف وقال: هذا مسلم بن يسار، ما وقف هذا الموقف إلا وهو على الحق فقاتل فقتل، فبكى بكاء شديدًا. المنتظم ٦٢/ ٧.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله: من الابتلاء والمحن ما يتعرض به المرء للفتنة، صار في الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك بأنه يطلب السَّلامة من الفتنة. الاستقامة / ٤٩٩.

(٢) هي معركة وقعت بين الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن الأشعث سَنَة ثِنْتَيْنِ وَثَمَانِينَ، فَانتصر عليه الحجاج، وَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وقُتل من الفريقين خلقٌ كثير.

* وقيل **للأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨) أيام زيد بن علي(١): لو خرجت؟ قال: ويلكم والله ما أعرف أحدًا أجعل عرضي دونه، فكيف أجعل ديني دونه. تهذيب الحِلْية ٢/ ١٣٩.

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣) قال: لما كان قتال علي ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كنت رجلًا شابًا فتهيأت، ولبست سلاحي ثم أتيت القوم فإذا صفان لا يُرى طرفاهما، فتلوت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء:٩٣]، فرجعت وتركتهم. تهذيب الحِلْية ١/ ٣٦٧.

* وعن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) قال: إياكم والتكلف والتنطع والغلو والإعجاب بالأنفس، تواضعوا لله عَزَّوَجَلَّ لعل الله يرفعكم، قد رأينا والله أقوامًا يسرعون إلى الفتن، وينزعون فيها، وأمسك أقوام عن ذلك، هيبة لله ومخافة منه. فلما انكشفت إذا الذين أمسكوا أطيب نفسًا، وأثلج صدورًا، وأخف ظهورًا، من الذين أسرعوا إليها وينزعون فيها، وصارت أعمال أولئك حزازات على قلوبهم كلما ذكروها.

وايم الله! لو أن الناس يعرفون من الفتنة إذا أقبلت، كما يعرفون منها إذا أدبرت، لعقل فيها جيل من الناس كثير، والله ما بعثت فتنة قط إلا في شبهة وريبة إذا شبت، رأيت صاحب الدنيا لها يفرح ولها يحزن، ولها يرضى ولها يسخط، ووالله لئن تشَبَّث بالدنيا وحَدَب عليها، ليوشك أن تلفظه وتقضي منه.(٢) تهذيب

---

(١) ابن الحسين بن علي بن أبي طالب. خرج على هشام بن عبد الملك سنة: ١٢١، وقتل بالكوفة حيث بايعوه على القتال معه، ثم رفضوه لمَّا رأوه يتولى أبا بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. المنتظم ٧/ ٢٠٧.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وغالب من يتعرض للمحن والابتلاء ليرتفع بها ينخفض بها، لعدم ثباته في المحن، بخلاف من ابتلاه الحق ابتداءً، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ [آل عمران:١٤٣]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصف:٢]. =

الحِلْية ٩ ٤٠٩/ ١.

* وعن **إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦) قال: كانوا يقولون ويرجون إذا لقي الله الرجل المسلم وهو نقي الكف من الدم أن يتجاوز الله عنه ويغفر له ما سوى ذلك من ذنوبه. تهذيب الحِلْية ٩١/ ٢.

* وقال **الإمام أَحْمَد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): **يأتي عَلَى المؤمن زمانٌ إن استطاع أن يكون حِلْسًا فليفعل**، قيل: ما الحلس؟[١] **قَالَ: قطعةُ مِسْح[٢] فِي البيت مُلقى.**[٣] طبقات الحنابلة (٢/ ١٠٨).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: الفتنة: إذا لم يكن إمامٌ يقوم بأمر المسلمين.[٤] طبقات الحنابلة (٢/ ٣٣٩).

* وكان **طالوت بن عبد الجبار**[٥] رَحِمَهُ اللَّهُ ممن استخفى من أعلام فقهاء قرطبة، في ثورة أهل قرطبة على أميرهم الحكم بن هشام[٦]، وظفر بهم، وهو صاحب

= وقال النبي ﷺ: **(يا عبد الرحمن! لا تسأل الإمارة، فإنَّك إن أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها)**. وقال: **(إذا سمعتم بالطاعون ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منها)**. الاستقامة: ٣٦٢-٣٦٣

(١) هو كساءٌ يُبْسَطُ في البيتِ تَحْتَ كريم الْمَتَاع، وَيُقَال: هُوَ حلْس بَيته لَا يبرحه.

(٢) المِسْحُ: ثَوْبٌ من الشَّعرِ غليظٌ.

(٣) وهذا في زمان الفتن.

(٤) أي: الفتنة الكبرى أنْ يبقى الناس بلا إمام يقوم بمصالحهم، وتُصان دماؤهم، وتُحفظ أعراضهم.

(٥) المعافري الأندلسي، دخل مصر، وحج، ولقي الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، وعاد إلى قرطبة. نفح الطيب ٢/ ٦٣٩.

(٦) هو الحكم بن هشام بن الداخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم الأموي، أمير الأندلس، بويع بالملك عند موت أبيه سنة ثمانين ومائة.

وكان من جبابرة الملوك، وفساقهم، ومتمرِّديهم، وكان فارسا، شجاعا، فاتكا، ذا دهاء، وحزم، وعتو، وظلم، تملك سبعا وعشرين سنة.

وكان في أول أمره على سيرة حميدة، تلا فيها أباه، ثم تغير، وتجاهر بالمعاصي. =

القصة المشهورة المضروب بها المثل في الوفاء بالذمة.

وكان طالوت قد استخفى خوفًا على نفسه عند رجل من اليهود من جيرانه وثق به، فتقبله أحسن قبول، ومكث عنده بأفضل حال حولًا، حتى طفئت الثائرة وظن الفقيه أنه أملّ اليهودي، وكانت بينه وبين أبي البسّام الوزير وصِلْةٌ حنّ بها إليه، رجاء الأخذ له الأمان.

فساء اليهودي تحوّله عنه، ونصحه.. فقصد الوزير خفية بين العشاءين، فأظهر القبول، وسأله أين كان قبل، فأخبره، فصوّب رأيه في انتقاله إليه، ووعده الشفاعة له، وبادر بالركوب في وقته، وقد وكَّل به من يحرسه، فقال للأمير: هذا طالوت رأس المنافقين عندي، قد أظفرك الله له.

قال: قم فعجّل به، ووثب فجلس على كرسي بباب مجلسه يتوقد غيظًا عليه، فلم يلبث أنْ أدخل طالوت عليه، فجعل يتقرَّعه بذنوبه، ويقول: طالوت!

= مات ست ومائتين، وله ثلاث وخمسون سنة.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كثرت العلماء بالأندلس في دولة الحكم بن هشام، حتى قيل: إنه كان بقرطبة أربعة آلاف مُتَزَيِّيْنَ بزي العلماء، فلما أراد الله فناءهم عزّ عليهم انتهاك الحكم للحرمات، وائتمروا ليخلعوه، ثم جيشوا لقتاله، وجرت بالأندلس فتنة عظيمة على الإسلام وأهله، فلا قوة إلا بالله. السِّيَر (٧/ ٢٨٠).

لقد جرت في الأمة فتن بسبب الخروج على الحاكم المسلم أدت إلى سفك الدماء، واختلال الأمن، وضعف المسلمين واضطرابهم وخوفهم، نعوذ بالله من ذلك، ولذلك اتفق العلماء على تحريم الخروج على الحاكم المسلم الذي يقيم الصلاة مهما ظلم وفسق، قَالَ الإمام أَحْمَد بن حنبل إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع تسعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار عَلَى أن السنة التي توفي عنها رَسُول اللهِ ﷺ.. ثم ذكر منها: والصبر تحت لواء السلطان عَلَى ما كان فيه من عدل أو جور، وأن لا نخرج عَلَى الأمراء بالسيف وإن جاروا. طبقات الحنابلة (١/ ١٣٠)

وقال سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السنّة: الصبر على الولاة وإن جاروا وإن ظلموا. ترتيب المدارك (٢/ ١٨٤).

والنقل عن أهل العلم أكثر من أن يُحصر.

الحمد الله الذي أظفرني بك، ويحك! أخبرني، لو أن أباك أو ابنك قعد مقعدي بهذا القصر، أكانا يزيدانك من البر والإكرام على ما فعلته أنا بك؟ هل رددتُ قط حاجة لك أو لغيرك؟ ألم أشاركك في حلوك ومرِّك؟ ألم أعُدْك مرات في علاَّتك؟ ألم أشاركك في حزنك على زوجتك؟ ومشيت في جنازتها؟ وانصرفت معك كذلك إلى منزلك؟ وغير شيء من التوقير فعلته بك؟.

ما حملك على ما قابلتَ به إجمالي؟ ولم ترض مني إلا بخلع سلطاني، والسعي لسفك دمي، واستباحة حرمتي؟.

فقال له طالوت: ما أجد لي في هذا الوقت مقالًا أنجى من صدقك، أبغضتك لله وحده، فلم ينفعك عندي كلُّ ما صنعتَه، هي حظوظ دنياك.

فسرِّي عن الأمير وسكن غيظه، وملئ عليه رقّة.

فقال: والله لقد أحضرتك، وما في الدنيا عذابٌ إلا وقد عرَضْتُه أختار بعضه لك، وقد حيل بيني وبينك، فأنا أُعْلمك أنَّ الذي أبغضتني له صرفني عنك، فانصرف في أمان الله تعالى، وانصرف حيث شئت، وارفع إليّ حاجتك، فلن تعدم فيّ برًّا ما بقيت، فيا ليت الذي كان لم يكن.

فقال له طالوت: صدقت، فلو لم يكن كان خيرًا لك، ولا مرد لأمر الله.

فلم يزل طالوت لديه بعدُ مبرورًا إلى أن توفي عن قريب، فأسى له الحكم، وحضر جنازته، وأثنى عليه به بصدقه.

وسأل الحكم طالوتًا بعد أن أمَّنه في ذلك المجلس: كيف ظفر بك صاحبك الوزير؟.

قال: أنا أظفرتُه بنفسي عن ثقة، لوصلة بيني وبينه، ليشفع لي عندك، فكان منه ما رأيت.

فقال له: فأين كان مثواك قبل؟.

فأخبره بخبر اليهودي.

فقال الحكم للوزير: سوءةً لك، رجلٌ في أعداء الملة حفظ لهذا الشيخ محله في الدين والعلم، فأخطر بنفسه فيه، وناقضت أنت ذلك وهو من خيار أهل ملّتك، وأردت أن تزيدنا فيما نحن قائمون عليه في سوء الانتقام؟.

أخرج عني قبّحك الله، ولا تُرني وجهًا ووفَّر أرزاقه، وطويت في بيت الوزارة فراشه، فسقط آخر الدهر، وذهب عقبه، وما زالوا في ارتكاس وخمول. ترتيب المدارك (١/ ٥٣٢-٥٣٣).

* وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: امتحن **البُهلول بن راشد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣) على يد العكيّ أمير القيروان، وقيل له: إنه يقع في سلطانك، وضُعِّف عنده أمره[1]، فأمر به، فتحاشد الناس معه، فزاده ذلك حنقًا عليه، وأَخرج إليهم الأجناد ففضُّوهم، وأمر بتجريده وضربه بالسياط، ورمى جماعة أنفسهم فضُربوا، وضُرب هو نحو العشرين وحبَسَه، وكان عندما همّ به وسيق لقيه قوم متلثِّمون فشاوروه في القيام عليه وتخليصه فجعل يقول: لا، لا.

قال أبو زرجونة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت عند بهلول بعد ضربه إذ سمعت بكاء رجل داخل من الباب، وإذا ابن فروخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فجلس أمامه، يبكي، فقال له بهلول: ما أبكاك يا أبا عمر؟ قال: أبكي لظهر ضرب بغير حق، فقال: قضاء وقدر.

وندم العكي بعد ذلك، وقال للقاضي ابن غانم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل تستطيع أن ترينيه؟ فقال: أما على أن يأتيك فلا، ولكن أستدعيه أنا واستشرف أنت من حيث تراه، ففعل.

---

(١) أي: قللوا من شأنه ومكانته، واحتقروه، فلذلك تجرأ عليه.

فلما بصر به جعل يقول: تبارك الله، كأنه سفيان الثوري في شأنه، فعن قريب عزل العكي أسوأ عزل.

قال البهلول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقمت ثلاثين سنة أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض وهو السميع العليم، فنسيتها يومي مع العكي، فابتُليت.

وذكر أن العكي وجه إليه ثيابًا وكيسًا، فلم يقبل ذلك، فلما أبى سأله أن يحلّله فقال له: ما حَلَلْت يدي من العقالين حتى جعلتك في حل.[١] ترتيب المدارك (١/ ٣٧٣-٣٧٤).

* وقال **القاضي عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٤٤): كان أهل السنة بالقيروان أيام بني عبيد في حالة شديدة من الاهتضام والتستر، كأنهم ذِمّة، تجري عليهم في أكثر الأيام محن شديدة.

ولما أظهر بنو عبيد أمرهم، ونصَّبوا حسينًا الأعمى السبّاب -لعنه الله تعالى- في الأسواق للسبّ بأسجاعٍ لُقِّنها، تُوُصِّل منها إلى سبّ النبي ﷺ، في ألفاظ حفظها، كقوله لعنه الله: العنوا الغار وما وعى، والكساء وما حوى، وغير ذلك، وعلقت رؤوس الأكباش والحمر، على أبواب الحوانيت، عليها قراطيس معلقة، مكتوب فيها أسماء الصحابة: اشتد الأمر على أهل السنة، فمن تكلم أو تحرك قُتل ومثّل به، وذلك في أيام الثالث من بني عبيد، وهو إسماعيل الملقب بالمنصور[٢] -لعنه الله تعالى- سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

(١) الصادقون لا يحملون في قلوبهم الأحقاد على إخوانهم المسلمين ولو نالهم ما نالهم من الأذى والظلم.

(٢) هو أبو طاهر إسماعيل، بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي صاحب المغرب وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوما. =

وكان في قبائل زناتة رجل منهم يكنى بأبي يزيد، وكان يتحلّى بنسك عظيم، وقومه له على طاعة عظيمة، ويَتَمَذْهَبُ بمذهب الخوارج، فقام على بني عبيد، والناسُ يتمنَّون قائمًا عليهم، فتحرَّك الناسُ لقيامه، واستجابوا له، وفتح البلاد، ودخل القيروان، وفرّ إسماعيل إلى مدينة المهدية، فنفر الناس مع أبي يزيد إلى حربه، وخرج بهم فقهاء القيروان، وصلحاؤهم، ورأوا أن الخروج معه متعيّن، لكُفرهم؛ إذ هو مِن أهل القبلة، وقد وجدوه يقاتلوهم معهم، وكذلك كان أبو إسحاق السَّبَائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول -ويشير بيده إلى أصحاب أبي يزيد-: هؤلاء من أهل القبلة لقتالهم، وهؤلاء ليسوا من أهل القبلة -يريد بني عبيد-، فعلينا الخروج مع هذا الذي من أهل القبلة لقتالهم، فإن ظفرنا بهم لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد، والله يسلط عليه إمامًا عادلًا يخرجه عنَّا.

فخرج الناس مع أبي يزيد لجهادهم، فرزقوا الظفر بهم، وحصروهم في مدينة المهدية.

فلما رأى أبو يزيد ذلك ولم يشكّ في غلبته أظهر ما أكنّه من الخارجية.

فقال لأصحابه: إذا لقيتم القوم فانكشفوا عن علماء القيروان، حتى يتمكن أعداؤهم منهم، فقتلوا منهم من أراد الله سعادته، ورزقه الشهادة، في خمسة وثلاثين رجلًا من الفقهاء والصالحين، وذلك في رجب سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

ففارق الناسُ أبا يزيد، وظهر منه نكران وفسوق، فانقلب الناس كلّهم عليه، وانكسرت شوكتُه.[1] ترتيب المدارك (٣/ ٢٦٨-٢٧١).

= وقد عهد بالأمر إلى المعز الفاطمي الذي بعث مولاه جوهر القائد فبنى له القاهرة المتاخمة لمصر، واتخذ له فيها دار الملك. البداية والنهاية (١١/ ٢٥٦).

(١) في هذا درس وعبرة لأهل السنة، ألا يدخلوا مع الخوارج في نصرة عدوهم؛ لأن الخوارج يتوصلون بهم إلى مآربهم، ومتى تمكنوا استأصلوهم وساموهم سوء العذاب، كما حدث هذا=

ج- حالهم مع فتن الشهوات والنساء[1]:

* عن **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) قال: إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وستبتلون بفتنة السراء، وإن أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسوّرن الذهب، ولبسن ريط[2] الشام، وعَصْب اليمن[3]، فأَتْعبن الغني، وكلّفن الفقير ما لا يجد. الزهد لابن المبارك (٧٣٤).

* وقال **سعيد بن المسيّب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤): ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قِبَل النساء.

وقال -وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبتْ إحدى عينيه وهو يعشو

=في الشام والعراق، حيث كانت دولة للخوارج، واغترّ بهم كثير ممن قلّه نصيبه من العلم فالتحق بهم لقتال الروافض والمشركين، وبعد أن تمكنوا فتكوا بأهل السنة، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، إلى أن أراح الله المسلمين من شرهم.

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان من سنة النبي ﷺ وسنة خلفائه: التمييز بين الرجال والنساء، والمتأهلين والعزاب، فكان المندوب في الصلاة أن يكون الرجال في مقدم المسجد والنساء في مؤخره.

وقال النبي ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»، وقال: «**يا معشر النساء لا ترفعن رؤوسكن حتى يرفع الرجال رؤوسهم من ضيق الأُزر**»، وكان إذا سلم لبث هُنيهة هو والرجال لينصرف النساء؛ أولا لئلا يختلط الرجال والنساء، وكذلك يوم العيد كان النساء يصلين في ناحية، فكان إذا قضى الصلاة خطب الرجال، ثم ذهب فخطب النساء فوعظهن وحثهن على الصدقة..

وكذلك لما قدم المهاجرون المدينة كان العزاب ينزلون دارا معروفة لهم، متميزة عن دور المتأهلين، فلا ينزل العزب بين المتأهلين، وهذا كله لأن اختلاط أحد المصنفين بالآخر سبب الفتنة، فالرجال إذا اختلطوا بالنساء كان بمنزلة اختلاط النار والحطب، وكذلك العزب بين الآهلين فيه فتنة لعدم ما يمنعه، فإن الفتنة تكون لوجود المقتضي وعدم المانع. الاستقامة: ٢٦١-٢٦٢.

(٢) هو الثوب الرقيق اللين.

(٣) العَصْبُ: ضربٌ من بُرود اليمن. الصحاح: (١/ ١٨٢).

بالأخرى-: ما من شيء أخوف عندي من النساء. صفة الصفوة ٢/ ٤٣٨.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما بعث الله نبيا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٤٠.

* وعنه قال: إذا رأيتم الرجل يلحّ بالنظر إلى غلام أمرد فاتهموه. ذم الهوى: ٩٧.

* وعن **عطاء بن أبي رباح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: لو ائتمنت على بيت مال لكنتُ أمينًا، ولا آمن نفسي على أمة شوهاء.

* قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ففي الحديث: «**ألاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامْرأةٍ، فإنَّ ثالِثَهُما الشَّيطانُ**». تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٨٣.

* وخرج **حسان بن أبي سنان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥١) يوم العيد، فلما رجع قالت له امرأته: كم امرأة حسنة قد رأيت اليوم؟ فلما أكثرت قال: ويحك ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك. المنتظم ١٥٢/ ٨.

* وقال **حسّان بن عطِية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): ما أَتِيتْ أُمّةٌ قط إلاّ من قِبَل نسائهم.[1] ذم الهوى: ١٣٤.

* وقال **الحسن بن صالح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٩): سمعت أن الشيطان قال للمرأة: أنت نصف جندي، وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطئ، وأنت موضع سري، وأنت رسولي في حاجتي. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٣٩.

* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يقال: لا يَبِيت الرجل في بيت مع المرد. ذم الهوى: ٩٧.

---

(١) أي: ما ذلّت أمّة، وافتقرت، وكثرت فيها الفتن، وتسلّط عليها عدوّها إلا بسبب تبرّج نسائها وترفهنّ وافتتان الرجال بهنّ.

* وعن **ميمون بن مهران** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٧) قال: ثلاث لا تبلونّ نفسك بهنّ، لا تدخل على السلطان وإن قلت: آمره بطاعة الله، ولا تدخل على امرأة وإن قلت: أعلمها كتاب الله، ولا تصغين بسمعك لذي هوى، فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه؟ تهذيب الحِلْية ٢/٥٤.

* وكان **سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) لا يَدَع أمردا يجالسه.[(١)] ذم الهوى: ٩٨.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما بعث الله عَزَّوَجَلَّ نبيًّا إلاّ وقد تخوّف عليه الفتنة من النساء. ذم الهوى: ١٣٥.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلِهَذَا كَانَ النَّظَرُ الَّذِي قَد يُفْضِي إِلَى الْفِتْنَةِ مُحَرَّمًا إِلَّا إِذَا كَانَ لِحَاجَةٍ رَاجِحَةٍ؛ مِثْل نَظَرِ الْخَاطِبِ وَالطَّبِيبِ وَغَيْرِهِمَا فَإِنَّهُ يُبَاحُ النَّظَرُ لِلْحَاجَةِ مَعَ عَدَمِ الشَّهْوَة.
وَأَمَّا النَّظَرُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى مَحَلِّ الْفِتْنَةِ فَلَا يَجُوزُ.
وَمَن كَرَّرَ النَّظَرَ إِلَى الْأَمْرَدِ وَنَحْوِهِ وَأَدَامَهُ وَقَالَ: إِنِّي لَا أَنْظُرُ لِشَهْوَةٍ كَذَبَ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُن لَهُ دَاعٍ يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى النَّظَرِ لَمْ يَكُن النَّظَرُ إِلَّا لِمَا يَحْصُلُ فِي الْقَلْبِ مِن اللَّذَّةِ بِذَلِكَ.
وَأَمَّا نَظَرُ الْفَجْأَةِ فَهُوَ عَفْوٌ إِذَا صَرَفَ بَصَرَهُ..
وَلِهَذَا يُقَالُ: إِنَّ غَضَّ الْبَصَرِ عَن الصُّورَةِ الَّتِي يُنْهَى عَن النَّظَرِ إِلَيْهَا: كَالْمَرْأَةِ وَالْأَمْرَدِ الْحَسَنِ يُورِثُ ذَلِكَ **ثَلَاثَ فَوَائِدَ جَلِيلَةِ الْقَدْرِ:**
إحداها: حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ وَلَذَّتُهُ، الَّتِي هِيَ أَحْلَى وَأَطْيَبُ مِمَّا تَرَكَهُ لِلَّهِ، فَإِنَّ مَن تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ..
وَأَمَّا الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ فِي غَضِّ الْبَصَرِ: فَهُوَ نُورُ الْقَلْبِ وَالْفِرَاسَةِ قَالَ تَعَالَى عَن قَوْمِ لُوطٍ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر:٧٢] فَالتَّعَلُّقُ بِالصُّوَرِ يُوجِبُ فَسَادَ الْعَقْلِ وَعَمَى الْبَصِيرَةِ وَسُكْرَ الْقَلْبِ بَل جُنُونَهُ..
وَذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ آيَةَ النُّورِ عَقِيبَ آيَاتِ غَضِّ الْبَصَرِ فَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥].
الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: قُوَّةُ الْقَلْبِ وَثَبَاتُهُ وَشَجَاعَتُهُ، فَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ سُلْطَانَ الْبَصِيرَةِ مَعَ سُلْطَانِ الْحُجَّةِ.. وَلِهَذَا يُوجَدُ فِي الْمُتَّبِعِ هَوَاهُ مَن ذُلِّ النَّفْسِ وَضَعْفِهَا وَمَهَانَتِهَا مَا جَعَلَهُ اللهُ لِمَن عَصَاهُ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ الْعِزَّةَ لِمَن أَطَاعَهُ وَالذِّلَّةَ لِمَن عَصَاهُ. مجموع الفتاوى (١٥/ ٤١٧- ٤٢٦).

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ائتمنِّي على بيتٍ مملوء مالًا، ولا تأتمِنِّي على جارية سوداء لا تحلّ لي. ذم الهوى: ١٣٥.

* وجاءته امرأة فقالت: إنِّي أريد أن أسألك عن شيء، فقال لها: أجيفي الباب ثم تكلّمي من وراء الباب. ذم الهوى: ١٣٥.

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): اعلم أنّ من أوقع الأمور في الدِّين، وأنهكها للجسد، وأتْلفها للمال، وأضرّها بالعقل، وأزْراها للمروءة، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار: الغرامَ بالنساء.

ومن البلاء على المغرم بهن، أنه لا ينفك يأْجِم[١] ما عنده، وتطْمح[٢] عيناه إلى ما ليس عنده منهن.

إنما النساء أشباه، وما يُرى في العيون والقلوب من فضل مجْهولاتهن على معروفاتهنّ باطلٌ وخدعة.

بل كثير مما يَرْغب عنه الراغب[٣] مما عنده: أفضل مما تتوق إليه نفسه منهن.

وإنما الْمُرْتَغب عما في رحله[٤] منهن إلى ما في رحال الناس: كالْمُرْتَغب عن طعام بيته إلى ما في بيوت الناس، بل النساء بالنساء أشْبه من الطعام بالطعام، وما في رحال الناس من الأطعمة أشدّ تفاضلًا وتفاوتًا مما في رحالهم من النساء.

ومن العجب أن الرجل الذي لا بأس في لبّه ورأيه يرى المرأة من بعيد مُتلفّفة في ثيابها، فيصوَّر لها في قلبه الحُسن والجمال، حتى تعْلَق بها نفسُه من غير رؤية، ولا خبرِ مُخبر، ثم لعلّه يهجم منها على أقبح القبح، فلا يعظه ذلك، ولا يقطعه

---

(١) أي: يكره ويمَلّ.

(٢) أي: تمتدّ.

(٣) أي: يتركه ويزهَد فيه.

(٤) الرحل: أراد به المثوى، والمنزل، وارْتغب عنه: لم يرده.

عن أمثالها، ولا يزال مشغوفًا بما لم يذق، حتى لو لم يبق في الأرض غير امرأة واحدة لظن لها شأنًا غير شأن ما ذاق، وهذا هو الحمق والشقاء والسفه. الأدب الكبير (١١٠-١١٢).

* وجاء رجل إلى أبي عبدالله **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) ومعه غلام حسن الوجه، فقال له: من هذا؟ قَالَ: ابني، فقال أَحْمَد: لا تجئ به معك مرة أخرى، فلما قام قيل: أيَّد الله الشيخ، رجلٌ مستور وابنه أفضل منه، فقال أَحْمَد: عَلَى هذا رأَيْنا أشياخنا، وبه خبَّرونا عَنْ أسلافهم.[١] طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٣).

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا عبد الله بن المبارك -وكان عاقلًا- عن **أشياخ أهل الشام** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، قالوا: من أعطى أسباب الفتنة من نفسه أولًا لم ينجُ آخرًا وإن كان جاهدًا.[٢] ذم الهوى: ١٤٤.

* وكانت امرأة جميلة بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها في المرآة، فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه لا يفتتن به، قال: نعم، قالت: ومن؟ قال **عبيد بن عمير** (ت: ٧٧)، قالت: فأذن لي فيه فلأفتننه، قال: قد أذنت لك.

فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام، فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: استتري يا أمة الله، قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري، قال: إني سائلك عن شيء، فإن أنت صدقت نظرت في أمرك، قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك قال: أخبريني، لو أن ملك الموت أتاك ليقبض

(١) ومقصود الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ألا يَسمح بمخالطة الأحداث والمردان والغِلمان الحِسان للأشياخ، فإنها فتنة لهم، هَلَكَ فيها أقوام كبعض المتصوفة، ففيها شهوةٌ كشهوة النساء.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فما استعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانه. عدة الصابرين / ٨٦.

روحك كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا قال: صدقت، فلو أدخلت قبرك فأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، فلو أن الناس أعطوا كتبهم فلا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أو بشمالك، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، فلو أردتِ الممرّ على الصراط فلا تدرين تنجين أم لا تنجين، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا قال: صدقت، فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفِّينَ أم تَثْقُلين، أيسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقتِ، فاتق الله يا أمة الله، فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك.

فرجعت إلى زوجها، قال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون.

فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة.

فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي كانت لي في كل ليلة عروسًا، فصيرها راهبة. المنتظم ١٩٧-١٩٨/ ٦.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حكى السِّبط عن **الأشرف موسى بن العادل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣٥) قال: كنت يومًا بهذه المنظرة من خلاط[1] إذ دخل الخادم، فقال: بالباب امرأة تستأذن، فدخلت فإذا صورة لم أر أحسن منها، وإذا هي ابنة الملك الذي كان بخلاط قبلي، فذَكَرَت أن الحاجب عليًا قد استحوذ على قرية لها، وأنها قد احتاجت إلى بيوت الكِراء، وأنها إنما تتقوت من عمل النقوش للنساء، فأمرْتُ بردّ ضيعتها إليها، وأمرت لها بدار تسكنها، وقد كنت قمت لها حين دخلت، وأجلستها بين يدي، وأمرتها بستر وجهها حين أسفرت عنه، ومعها عجوزٌ، فحين

(١) هي البلدة العامرة المشهورة، ذات الخيرات الواسعة، والثمار اليانعة، وهي وسط أرمينية الوسطى. معجم البلدان (٢/ ٣٨٠).

قضيْت شغلها قلت لها: انهضي على اسم الله تعالى. فقالت العجوز: إنما جاءت لتحظى بخدمتك هذه الليلة. فقلت: معاذ الله، لا يكون هذا. واستحضرت في ذهني ابنتي ربما يصيبها نظير ما أصاب هذه، فقامت وهي تقول: سترك الله مثل ما سترتني. وقلت لها: مهما كان لك من حاجة فانهيها إلي أقضِها لك. فدعت لي وانصرفت. فقالت لي نفسي: ففي الحلال مندوحة عن الحرام، فتزوَّجْها. فقلت: والله لا كان هذا أبدًا، أين الحياء والكرم والمروءة؟!.

ولما توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رآه بعض الناس وعليه ثياب خضر وهو يطير مع جماعة من الصالحين، فقال له: ما هذا وقد كنت تعاني الشراب في الدنيا، فقال: ذاك البدن الذي كنا نفعل به ذاك عندكم، وهذه الروح التي كنا نحب بها هؤلاء فهي معهم، ولقد صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال رسول الله ﷺ «**المرء مع من أحب**». البداية والنهاية ١٣/ ٢٢٨-٢٢٩.

* وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): احذروا مصارع العقول عند التهاب الشهوات. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٨).

د- ذكر بعض القصص في العشق والحب، وما قيل في ذلك[1]:

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن قال قائل: فكيف يتخلص مِن هذا مَن قد نشب فيه؟

قيل له: بالعزم القوي في هجران ما يؤذي والتدرج في ترك ما لا يؤمن أذاه، وهذا يفتقر إلى صبر ومجاهدة، **يهونهما سبعة أشياء:**

أحدها: التفكر في أن الإنسان لم يخلق للهوى، وإنما هيئ للنظر في العواقب والعمل للآجل.

ويدل على هذا أن البهيمة تصيب من لذة المطعم والمشرب والمَنْكح ما لا يناله الإنسان، مع عيش هني خال عن فِكرٍ وهمٍّ، ولهذا تُساق إلى مَنْحَرِها وهي منهمكة على شهواتها، لفقدان العلم بالعواقب. والآدمي لا ينال ما تناله لقوَّة الفكر الشاغل، والهمّ الواغل، وضعف الآلة المستعملة.

فلو كان نيل المشتَهَى فضيلة لما بُخِسَ حظّ الآدميّ الشريف منه، وزيد حظ البهائم، وفي توفير حظّ الآدمي من العقْل وبَخْسِ حظه من الهوى، ما يكفي في فضل هذا وذمّ ذلك. =

....

= **والثاني:** أن يُفكِّر في عواقب الهوى، فكم قد أفات من فضيلة، وكم قد أَوْقَعَ في رذيلة، وكم من مطْعَم قد أوقع في مرض، وكم من زلّةٍ أو جبتِ انكِسار جاهٍ وقبح ذِكْر مع إثم! غير أنّ صاحب الهوى لا يرى إلاّ الهوى!
فأقرب الأشياء شبهًا به من في المَدْبغَةِ، فإنّه لا يجد ريحها حتى يخرج فيعلم أينَ كان.
والثالث: أن يتصوّرَ العاقلُ انقضاء غرضه من هواه، ثم يتصورَ الأذى الحاصلَ عَقِيب اللّذة، فإنّه يراه يُرْبِي على الهوى أضعافًا.
وَالرَّابِعُ: أَنْ يَتَصَوَّرَ ذَلِكَ فِي حَقِّ غَيْرِهِ ثُمَّ يَتَلَمَّحَ عَاقِبَتَهُ بفكره فَإِنَّهُ سير مَا يَعْلَمُ بِهِ عَيْبَهُ إِذَا وَقَفَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ.
والخامس: أن يتدبّر عزَّ الغلبةِ وذلّ القهر، فإنّه ما مِن أحدٍ غلَب هواه إلاّ أحسّ بقوةِ عزّ، وما من أحد غلبه هواه إلاّ وجد في نفسه ذلّ القهر.
والسادس: أن يتفكَّرَ في فائدةِ المخالفة للهوى، من اكتساب الذِّكْرِ الجميل في الدنيا، وسلامة النفس والعرض، والأجْر في الآخرة. ثم يعكس، فيتفكر لو وافق هواه، في حصولِ عكس ذلك على الأبد، وليفرض لهاتَيْن الحالَتَيْن حالتيْ آدم ويوسف عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، في لذّة هذا، وصبر هذا.
والسابع: أن يتفكر فيما يطلبه من اللذات؛ فإنه سيخبره العقل أنه ليس بشيء، وإنما عين الهوى عمياء.
ويا أيها الأخ النصوح: أحضر لي قلبك عند هذه الكلمات، وقل لي بالله عليك: أين لذة آدم التي قضاها، من هَمَّةِ يوسف التي ما أمضاها، مَنْ كان يكون يوسف لو نال تلك اللذة؟، فلما تركها وصبر عنها بمجاهدة ساعة صار من قد عرفت. ا.هـ بتصرف. ذم الهوى: ٢٩ - ٣٠.
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: مَن أَصَابَهُ جُرْحٌ مَسْمُومٌ فَعَلَيْهِ بِمَا يُخْرِجُ السُّمَّ، وَيُبْرِئُ الْجُرْحَ بِالتِّرْيَاقِ وَالْمَرْهَم، **وَذَلِكَ بِأُمُورٍ:**
مِنْهَا: أَنْ يَتَزَوَّجَ أَو يَتَسَرَّى؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّمَا مَعَهَا مِثْلُ مَا مَعَهَا**»، وَهَذَا مِمَّا يُنْقِصُ الشَّهْوَةَ وَيُضْعِفُ الْعِشْقَ.
الثَّانِي: أَنْ يُدَاوِمَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَقْتَ السَّحَرِ، وَتَكُونُ صَلَاتُهُ بِحُضُورِ قَلْبٍ وَخُشُوعٍ، وَلْيُكْثِرْ مِن الدُّعَاءِ بِقَوْلِهِ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك، يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قَلْبِي إلَى طَاعَتِك وَطَاعَةِ رَسُولِك»، فَإِنَّهُ مَتَى أَدْمَنَ الدُّعَاءَ وَالتَّضَرُّعَ لِلَّهِ صَرَفَ قَلْبَهُ عَن ذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف:٢٤].
الثَّالِثُ: أَنْ يَبْعُدَ عَن مَسْكَنِ هَذَا الشَّخْصِ وَالِاجْتِمَاعِ بِمَن يَجْتَمِعُ بِهِ؛ بِحَيْثُ لَا يَسْمَعُ لَهُ خَبَرًا، وَلَا يَقَعُ لَهُ عَلَى عَيْنٍ وَلَا أَثَرٍ؛ فَإِنَّ الْبُعْدَ جَفَا، وَمَتَى قَلَّ الذِّكْرُ ضَعُفَ الْأَثَرُ فِي الْقَلْبِ. مجموع الفتاوى (٣٢/ ٥-٦).

* عن عِكْرمة قال: إنّا لَمَعَ **عبد الله بن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) عشيّةَ عرفة إذ أقبل فتية يحمِلون فتى من بني عُذْرة قد بلي بدنُه، وكانت له حلاوة وجمال، حتى وَقَفُوه بين يديه، ثم قالوا: استشفِ لهذا يا ابن عمّ رسول الله ﷺ. فقال: وما به؟ فترنَّم الفتى بصوتٍ ضعيف لا يتبين وهو يقول:

بنا من جَوَى الأحْزانِ والحُبِّ لوعةٌ ... تكادُ لها نفس الشّفيق تذوبُ

ولكنما أبقَى حشاشةَ مُعْولٍ ... على ما به عود هناك صَلِيبُ

وما عَجَبٌ موتُ المُحِبِّين في الهوى ... ولكن بقاء العاشِقين عَجيبُ

ثم شهَق شهقة فمات قال عكرمة: فما زال ابن عباس بقية يومه يتعوّذ بالله من الحبّ!. ذم الهوى: ٣٣٤.

* وقال **بعضهم**:

وما في الأرض أَشْقَى من محب ... وإن وجَد الهوى عذْبَ المَذاقِ

تراه باكيًا في كل حين ... مخافَة فُرقةٍ أو لاشتياقِ

فيبكي إن نأوا شوقا إليهم ... ويبكي إن دنوا خوفَ الفراقِ

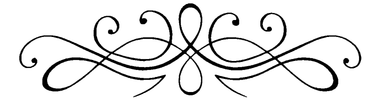
فتسخن عينه عند التنائي ... وتسخنُ عينه عند التلاقي

ذم الهوى: ٣٩٢.

* وقال **ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٩٧): حدثني بعض إخواني عن صديق له، أنّه عشق امرأةً كانت في نهاية الحسن والجمال، وأنّه كان يخاطر بنفسه ليجتمع بها قال: فقال لي يومًا: والله لو اجتمعتُ بها ثم قُدِّمْتُ فضرِبَتْ عُنقي ما باليت. ثمّ إنّه تزوّجها، فمضى عليه قليل ثم طلّقها قال: فمررتُ يومًا أنا وهو في بعض الطريق بحَمْأة[1] مُنْتِنة، فقال لي: يا فلان، والله إنّ فلانة اليوم أقبحُ عندي حالًا من

(١) أي: طين أسود مُنْتن.

هذه الحمأة!.[1] ذم الهوى: ٤٢٩.



(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبهذا السبب يعرض الإنسان عن زوجته ويؤثر عليها الأجنبية، وقد تكون الزوجة أحسن. والسبب في ذلك أنّ عيوب الأجنبية لم تبِنْ له وقد تكشفها المُخالطة، ولهذا إذا خالط هذه المحبوبة الجديدة وكشفتْ له المُخالَطةُ ما كان مستورًا، ملّ وطلب أُخرَى إلى ما لا نهاية له.

ولهذا المعنى الذي أشرتُ إليه شكا خَلْق من العُشّاق معشوقهم، وملّوهم وأعرضوا عنهم، وما كان السبب إلاّ أنّ المخالطة أظهرَت المعايب الآدمية، فنفَروا عنهم ومضى ما مضى منَ القلق ووهن الجاه مجّانًا! ذم الهوى: ٤٢٦ - ٤٢٧



عيادة المريض

* قال **علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): ليس من مسلم يعود مسلما إلا شايعه سبعون ألف ملك، وجُعل في خَرفة الجنة. الزهد لابن المبارك (٦٨٢).

* وعن **أبي العالية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٣) أنه دخل عليه غالب القطان يعوده، فلم يلبث إلا يسيرا حتى قام، فقال أبو العالية: ما أرفق العرب، لا تطيل الجلوس عند المريض، فإن المريض قد تبدو له حاجة فيستحي من جلسائه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٢.

* وقال **بكر بن عبد الله المزني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨): المريض يعاد، والصحيح يزار. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٢.

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: عيادة حمقى القراء: أشد على أهل المريض من مريضهم، يجيئون في غير وقت العيادة، ويطيلون الجلوس. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٣.

* وقال **طاووس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦): خير العيادة أخفها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٢.

* وعن عبد الله بن أبي صالح قال: دخل عليَّ **طاووس** رَحِمَهُ اللَّهُ وأنا مريض، فقلت: يا أبا عبد الرحمن أدع لي، قال: أدع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٤.

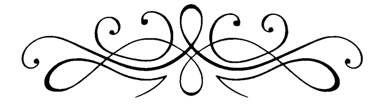
* وقال **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: من تمام العيادة: أن تضع يدك على المريض. ابن أبي الدنيا ٤/ ٢٤٤.

* وقال **الشاعر**:

عليك بإقلال الزيارة إنّها ... إذا كثرت صارت إلى الهجر مَسلكا

ألم تر أنّ الغيث يُسأم دائما ... ويُسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

أدب الدين (٢٨٦).



موقف السلف من الحاجات الضرورية والكمالية



أ- موقف السلف من العمل والسعي في طلب الرزق[1]:

* قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان **أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) من أَتْجَر قريش حتى دخل في الإمارة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٣.

---

(١) قال العلامة ابن عبد البرّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمَالُ الْمَذْمُومُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ هُوَ الْمَطْلُوبُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ وَالْمَأْخُوذُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَالْآثَارُ الْوَارِدَةُ بِذَمِّ الْمَالِ: فَوَجْهُ ذَلِكَ كُلِّهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ فِي الْمَالِ الْمُكْتَسَبِ مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ وَلَمْ يُبِحْهَا، وَفِي كُلِّ مَالٍ مَا لَمْ يُطِعِ اللهَ جَامِعُهُ فِي كَسْبِهِ، وَعَصَى رَبَّهُ مِنْ أَجَلِهِ وَبِسَبَبِهِ، وَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ وَغَضَبِهِ، وَلَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللهِ وَفَرَائِضَهُ فِيهِ وَمِنْهُ، فَذَلِكَ هُوَ الْمَالُ الْمَذْمُومُ وَالْكَسْبُ الْمَشْئُومُ.
وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْمَالُ مُكْتَسَبًا مِنْ وَجْهِ مَا أَبَاحَ اللهُ، وَتَأَدَّتْ مِنْهُ حُقُوقُهُ، وَتَقَرَّبَ فِيهِ إِلَيْهِ بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ وَمَرْضَاتِهِ: فَذَلِكَ الْمَالُ مَحْمُودٌ مَمْدُوحٌ كَاسِبُهُ وَمُنْفِقُهُ، لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ، وَلَا يُخَالِفُ فِيهِ إِلَّا مَنْ جَهِلَ أَمْرَ اللهِ، وَقَدْ أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَى إِنْفَاقِ الْمَالِ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَمُحَالٌ أَنْ يُنْفِقَ مَا لَا يَكْتَسِبُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٢] الْآيَةَ، وَقَالَ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢].
جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧١١

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مدارج السالكين (١/ ٤٦٣): الأصل هو قطع علائق الباطن، فمتى قطعها لم تضره علائق الظاهر. فمتى كان المال في يدك وليس في قلبك: لم يضرك ولو كثر، ومتى كان في قلبك: ضرك ولو لم يكن في يدك منه شيء.

قيل لسفيان الثوري: أيكون ذو المال زاهدًا؟ قال: نعم إن كان إذا زيد في ماله شكر، وإن نقص شكر وصبر. ولهذا كان الصحابة أزهد الأمة مع ما بأيديهم من الأموال.

وإنما يُحمد قطع العلائق الظاهرة في موضعين: حيث يخاف منها ضررا في دينه أو حيث لا يكون فيها مصلحة راجحة.

* وكان **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) إذا أتاه رجل من العرب قال له: مالك لا تتجر؟ كان **أبو بكر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تاجر قريش. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥١.

* وعن **عمر بن الخطاب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٢٣) قال: ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ مِيتة أموتها بعد القتل في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ أحب إلي من أن أموت بين شعبتي رَحْل أضرب في الأرض، أبتغي من فضل الله عَزَّوَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٠.

* وقال أيضا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٧٥.

* وعن الحسن قال: بينما **عمر بن الخطاب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يمشي ذات يوم في نفرٍ من أصحابه، إذا صبية في السوق يطرحها الريح لوجهها من ضعفها، فقال عمر: يا بؤس هذا من يعرف هذه؟ قال له عبد لله: أو ما تعرفها! هذه إحدى بناتك! قال: وأي بناتي؟ قال: بنت عبد الله بن عمر، قال: فما بلغ بها ما أرى من الضيعة؟ قال: إمساكك ما عندك، قال: إمساكي ما عندي عنها يمنعك أن تطلب لبناتك ما تطلب الأقوام! أما والله ما لك عندي إلا سهمك من المسلمين، وسعك أو عجز عنك، بيني وبينكم كتاب الله. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٢٩.

* ولما كان زمن **عمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فكثر المال، وحدثت الأعطية، وكف الناس عن طلب المعيشة، قال عمر: أيها الناس أصلحوا معايشكم؛ فإن فيها صلاحا لكم، وصلة لغيركم. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤١٦.

* وكان الرجل تُنْتَجُ فرسُه فينحرها ويقول: أنا أعيش حتى أركب هذا؟.

فجاءهم كتابُ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وفيه: أصلحوا ما رزقكم الله. الأدب المفرد (٤٧٨) وصححه الألباني.

* وعن الزهري قال: تصدق **عبد الرحمن بن عوف** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٢) على

عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألف، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة. تهذيب الحِلْية ١/٩٧.

* وعن **سلمان الفارسي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) قال: إني لأحب أن آكل من كدّ يدي. تهذيب الحِلْية ١٦١/ ١.

* ومرّ **سلمان الفارسي** على رجل في السوق وقد اشترى وسقا من طعام، فقال له: يا أبا عبد الله، تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟.

فقال: إنّ النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت وتفرغت للعبادة وأيس منها الوسواس. تهذيب الحِلْية ١٦٦/ ١ ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٢٢.

* وكانت غلَّةُ **طلحة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤) كل يوم ألفًا وافيًا، وكان يسمى طلحة الفياض. تهذيب الحِلْية ٩١/ ١.

* وكان **سعد بن عبادة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥) يدعو: اللهم هب لي حمدًا ومجدًا، لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم لا يصلحني القليل، ولا أصلح عليه. المنتظم ١٩٩/ ٤، ابن أبي الدنيا ٧/ ٤١٣.

* وقال **الزبير بن العوام** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦): إن المال فيه صنائع المعروف، وصلة الرحم، والنفقة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، وعون على حسن الخلق، وفيه مع ذلك شرف الدنيا ولذتها.[1] ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٢٥.

* وعن **قيس بن عاصم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٧) أنه أوصى بنيه قال: عليكم بالمال

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد.. بل متى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء. تلبيس إبليس: ٢٠٣.

واصطناعه، فإنه منبهة للكريم، ويستغني به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس، فإنه آخر كسب الرجل. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٤٧.

* وكان **أصحاب رسول الله** ﷺ يتجرون في بحر الروم، منهم **طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٤.

* وقال **سعيد بن المسيِّب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤): لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله، يعطي منه حقه، ويصل به رحمه، ويكف به وجهه عن الناس. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٨٨، ابن أبي الدنيا ٧/ ٤١٣.

* ولَمَّا مات ترك ألفين أو ثلاثة آلاف دينار، وقال: ما تركتها إلا لأصون بها ديني وحسبي. تهذيب الحِلْية ٣٤٨/ ١.

* وقال **بعض الحكماء**: ليس من الرغبة في الدنيا اكتساب ما يصون العرض فيها. أدب الدين (٢١٤).

* وقيل **لعبد الله بن ذكوان** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): لِمَ تُحبُّ الدراهم وهي تُدنيك من الدنيا؟ فقال: إنها وإن أدنتني منها، فقد صانتني عنها. السِّيَر ٦/ ١٦٣.

* وعن حنظلة قال: رأيت **سالم بن عبد الله بن عمر** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦) يخرج إلى السوق، فيشتري حوائج نفسه. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٥.

* وكانوا يدخلون على **علقمة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢)، وهو يقرع غنمه ويحلب ويعلف. تهذيب الحِلْية ٣٠٧/ ١.

* وقال مسلم: لقيني **معاوية بن قرّة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠)، وأنا جاءٍ من الكلأ، فقال لي: ما صنعت؟ فقلت: اشتريت لأهلي كذا وكذا قال: وأصبت مِن حلال؟ قلت: نعم قال: لأن أغدو فيما غدوتَ به أحبّ إليّ من أن أقوم الليل وأصوم النهار. صفة الصفوة ٣/ ١٨٢، ابن أبي الدنيا ٨/ ٩١.

* وقال سهيل بن علي: كنت أجالس **خير بن نعيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧)، فرأيته يتجر في الزيت، فقلت له: وأنت أيضًا تتجر؟ فضرب بيده على كتفي، ثم قال: انتظر حتى تجوع ببطن غيرك، فقلت في نفسي: كيف يجوع الإنسان ببطن غيره، فلما بليت بالعيال إذا أنا أجوع ببطونهم. المنتظم ١٧ / ٨.

* وعن **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) أنه قال: لا أرى لصاحب عشرة آلاف درهم أن يدع الكسب، فإنه إن لم يفعل لم آمن أن لا يعطف على جاره، ولا يوسع على عياله. المنتظم ٦١/ ٩.

* وقيل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أتجر في البحر؟ قال: اتجر في البر والبحر، واستغن عن الناس. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٥.

* وقال **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١): الزم سوقك فإنك لا تزال كريمًا على إخوانك ما لم تحتج إليهم. تهذيب الحِلْية ٤٣٤/ ١.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أعلم أن عيالي يحتاجون إلى جُرْزة بقل ما قعدت معكم. [(١)] ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٤.

* وعن **إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠) قال: المسألة مسألتان، مسألة على أبواب الناس، ومسألة يقول الرجل: ألزم المسجد وأصلي وأصوم وأعبد الله، فمن جاءني بشيء قبلته، فهذه شر المسألتين، وهذا قد ألحف في المسألة. تهذيب الحِلْية ٤٨٠/ ٢.

---

(١) هذا هو فهم السلف الصالح رحمهم الله تعالى، وقد حاد عن طريقتهم بعض من ينتسب للزهد والتصوف، فتركوا السعي في طلب الرزق لهم ولأولادهم بدعوى التوكل أو بدعوى الرضا بقضاء الله، مثل ما رَوَى أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٩٢) أنّ بنتًا لبعض المتصوفة عريت، فقيل له: ألا تطلب من يكسوها؟ فقال: لا، أدعها حتى يرى الله عَزَّوَجَلَّ عريها وصبري عليها!!
فهذا عجز وكسل لا توكُّل، والمؤمن مأمورٌ بأنْ يسعى في الأرض لطلب الرزق، ولا يجوز أنْ يرى أولاده في فقر ثم لا يسعى في سدّ جوعهم، وستر عوراتهم.

* وقال **أبو قلابة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤): الْزَمْ سُوقَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْغِنَى مُعَافَاةٌ. جامع معمر بن راشد (٢١٠٢١).

* وعن **أبي وائل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢) قال: الدرهم من تجارة أحب إلي من عشرةٍ من عطايا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٤.

* ولقي رجل **أحد السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأرض الحبشة معه تجارة، فقال له: ما الذي بلغ بك ها هنا؟!، أكلُّ هذا طلبٌ للدنيا، وحرص عليها؟!.

فقال له: يا هذا: إن الذي حملني على هذا: كراهة الحاجة إلى مثلك. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٦.

* وقال **محمد بن المنكدر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٠): نِعْم العون على تقوى الله عَزَّوَجَلَّ الغِنى. صفة الصفوة ٢/ ٢٨٠، ابن أبي الدنيا ٧/ ٤١٥.

* وقال **سُفْيَان الثَّوْرِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١): المال في هذا الزمان سلاح المؤمن. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٢٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها، أحب إليّ من أن أحتاج إلى الناس. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣٦٩.

* وجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله تمسك هذه الدنانير؟ فقال: اسكت، لولا هذه الدنانير لتمَنْدل بنا هؤلاء الملوك.[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من كان في يده من هذه شيء فليصلحه، فإنه زمان من احتاج كان أول ما يبذل دينه.

وجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الحج، قال: لا تصحب من يكرم عليك، فإن ساويته في النفقة أضرّ بك، وإن تفضل عليك استذلك. تهذيب الحِلْية ٢/ ٣٦٩.

---

(١) تمندل بالمنديل: مسَح به وجهَه أو غيرَه.

ويشير سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنه لولا الغنى لتذللوا للملوك.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عليك بعمل الأبطال، الكسب من الحلال، والإنفاق على العيال. تهذيب الحِلْية ٣٧٠/ ٢، ابن أبي الدنيا ٨/ ٢١.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): إن المؤمن أخذ عن الله أدبًا حسنًا إذا وسع عليه أوسع وإذا أمسك عليه أمسك. الزهد لأحمد: ٤٥٧.

* وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس من حبك الدنيا طلبك ما يصلحك فيها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٢٠.

* وكان يقال: الحفظ للمال في غير بخل من لطيف نعماء الله عَزَّوَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤١٩.

* وقيل **لبعض الحكماء**: العلماء أفضل أم الأغنياء؟ فقال: العلماء، فقيل له: فما بال العلماء بأبواب الأغنياء أكثر من الأغنياء بأبواب العلماء؟! قال: لمعرفة العلماء بفضل الغِنى[1] وجهل الأغنياء بفضل العلم. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٢١.

* وقال **بعض الحكماء**: من أصلح ماله فقد صان الأكرَمَين: الدين والعرض.

وقيل في منثور الحكم: من استغنى كرُم على أهله.

وكان يقال: الدراهم مراهم؛ لأنها تُداوي كلّ جرح، ويطيب بها كل صلح.

أدب الدين (٣٥٠-٣٥١).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

يـا لَهْـف نفسـيْ علـى مـالٍ أفرِّقـه ... على المقلِّين من أهل المروءات

إنَّ اعتذاريْ إلى من جاء يسألني ... ماليس عنديْ لمن إحدى المصيبات

ديوان الشافعي (٥٦).

* ولما خرج **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة، فأكرى نفسَه من بعض الجمّالين، إلى أن وافى صنعاء، وقد كان أصحابه

---

(١) في الأصل: العلماء، والمثبت هو الذي يتناسب مع السياق.

عرَضوا عليه المواساة، فلم يقبل من أحد شيئًا. صفة الصفوة ٢/ ٦٠٦.

* وكان كثيرًا ما يقول في دُبُر الصلاة: اللهم كما صنتَ وجْهي عن السجود لغيرك صُنه عن المسألة لغيرك. صفة الصفوة ٢/ ٦١٠.

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

لِمَنْ تَطْلُبُ الدّنْيا إذا لم تُرِدْ بها　　سُرُورَ مُحِبٍّ أوْ مَساءَةَ مُجرِمِ[1]

ديوان المتنبي (٢٤٢).

وقال **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠): لولا عموم فقراء الناس ما استغنوا؛ فإن الإنسان لما افتقر احتال فسافر لجلب الثياب والمطاعم والأدوية والحطب وغير ذلك، فانتفع بذلك المقيم، فلو أن الناس استغنوا عن الكسب لافتقروا، لكنهم لما افتقروا تم الغناء. ذيل الطبقات (٢/ ١٦٨).

ب- موقف السلف من اللباس والمتاع[2]:

* قال **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): إذا وسّع الله فأوْسِعوا. صحيح البخاري (٣٦٥).

---

(١) كأنه يخاطب نفسه أو صاحبه فيقول: إن المال إنما يراد به أن تسر الودود، وترغم أنف الحسود، فإذا لم ترد هذين فلماذا تطلب المال؟! وأي معنى في طلب الجاه وحسن الحال؟!

(٢) كان بعض السلف يلبس الرديء من الثياب، وبعضهم يلبس أجود الثياب، وبعضهم يلزم لبسًا معيّنا كالصوف، والصواب: أن يلبس الإنسان ما وجد، ولا يتكلّف ما فقد، قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر اختلاف السلف في اللبس: وأما النبي ﷺ فكان يلبس ما وجد، فتارة يلبس لباس الأغنياء من حلل اليمن وثياب الشام ونحوها، وتارة يلبس لباس المساكين، فيلبس جُبَّة من صوف أحيانًا، وأحيانًا يتَّزر بعباءة ويهنُؤ إبل الصدقة بيده -يعني أنَّه يطليها بيده ويُصلحها- كما يفعل أرباب الإبل بها. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب: ٤/ ٦٨-٦٩.

تنبيه: روى أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧) أن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأى على عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا درعًا جديدًا أعجبها، فقال: إن الله ليس بناظر إليك!! أما علمت أن العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته ربه عَزَّوَجَلَّ حتى يفارق تلك الزينة.

وهذا الأثر لا يصح، فيه: إسحاق بن بشر، وهو كذاب كما قرره أئمة الحديث والجرح والتعديل.

وإذا لبس المسلم لباسًا جديدا وأعجبه واستحسنه فإنه لا يُلام على ذلك.

* وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: رأيت بين كتفي **عمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أربع رِقاع. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٨٧.

* وقال الأحنف بن قيس رَحِمَهُٱللَّهُ: ما كذبت منذ أسلمت إلا مرة واحدة، فإن **عمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سألني عن ثوب: بكم أخذته؟ فأسقطت ثُلُثي ثمنه، فقال: إن رداءك هذا لحسن لولا كثرة ثمنه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٠.

* وعُوتب **علي** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٤٠) في لبسه فقال: إنّ لَبوسي هذا أبعدُ من الكبر، وأجدرُ أنْ يَقتدي بي المسلم. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٨٩.

* وعن قَزَعَة قال: رأيتُ على **ابن عمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٧٣) ثيابًا خشنةً فقلتُ له: إني قد أتيتُكَ بثوب ليِّنٍ مما يصنع بخراسان، وتقرّ عيناي أنْ أراه عليكَ قال: أرنيه، فَلَمَسَه، وقال: أحرير هذا؟ قلت: لا، إنه من قُطْن قال: إني أخاف أن ألبَسَه، أخافُ أن أكون مختالًا فخورًا، والله لا يُحبُ كُلَّ مختالٍ فخور.

قال **الذهبي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): كلُّ لباسٍ أوجد في المرء خُيَلاء وفخرًا فتركه مُتَعيِّن ولو كان من غير ذهبٍ ولا حرير، فإنا نرى الشابَّ يلبَسُ الفَرَجية[1] الصوف بفَرْوٍ من أثمان أربع مئة درهم ونحوها، والكِبْرُ والخُيَلاء على مشيته ظاهر، فإنْ نصحته ولُمتَه برفقٍ كابَرَ وقال: ما فيّ خُيلاء ولا فخرٌ، وهذا السيد ابنُ عمر يخافُ ذلك على نفسه، وكذلك ترى الفقيهَ المترف إذا لِيمَ في تفصيلِ فَرَجية تحت كعبيه، وقيل له: قد قال النبيُّ ﷺ: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**»، يقول: إنما قال هذا فيمن جَرَّ إزاره خُيلاء، وأنا لا أفعلُ خُيَلاء، فتراه يُكابِرُ، ويُبَرِّئ نفسَه، ويعمَدُ إلى نصٍّ مُستَقِلٍّ عام فيخصُّهُ بحديث آخر مُستَقِلٍّ بمعنى الخُيلاء، ويتَرخصُ بقول الصِّدِّيق: إنه يا رسول الله يسترخي إزاري، فقال: «**لستَ يا أبابكر**

(١) قال في الحاشية: الفرجية: ثوب واسع طويل الأكمام، يُتخذ من قطن أو حرير أو صوف.

ممن يفعله خُيَلاء»، فقلنا: أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يكن يُشدُّ إزاره مَسْدُولًا على كعبيه أولًا، بل كانَ يَشُدُّهُ فوق الكعب، ثم فيما بعد يسترخي. تهذيب السِّيَر ١/ ٣٧٢.

* ودخل **عبد الله بن الزبير** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٧٣) على امرأته بنت الحسن، فرأى ثلاثة فرش في بيته، فقال: «هذا لي، وهذا لابنة الحسن، وهذا للشيطان، فأخرجوه».[1] الزهد لابن المبارك (٧١٢).

* وعن حنظلة بن أبي سفيان: قال: رأيت **سالم بن عبد الله** رَحِمَهُٱللَّهُ عيه (ت: ١٠٦) إزارٌ ثمنه أربعة، وقميصٌ ثمنه خمسة وهو موسر. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٠.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٦١) قال: كانوا يكرهون الشهرتين: الثياب الجياد التي يَشتهر فيها ويرفع الناس فيها أبصارهم، والثياب الرديئة التي يُحتقرُ فيها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩١.

* ودخل مسلمة بن عبد الملك على **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٠١) يعوده فقال لأخته فاطمة: إني أرى أمير المؤمنين قد أصبح باريا فلو غيرتم ثيابه، فسكتت عنه، ثم أعاد عليها فقالت: والله ما لِأمير المؤمنين قميص غيره. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩١.

* وقال **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُٱللَّهُ لجلسائه: رأيتموني أخرت الصلاة! إنما ذاك ثيابي غُسِلت فانتظرت جفوفها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩١.

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: الْبس من الثياب ما لا يزدريك فيه السفهاء، ولا يعيبه عليك العلماء. تهذيب الحِلْية ١١٥/ ٢.

* وقال غيلان: كان **مُطَرِّف بن الشخير** رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٩٥) يلبس البرانس،

---

(١) هذا محمول على أنَّ بيته غير مهيّأ لمبيت الضيف عنده؛ لصغره أو لغير ذلك من الأسباب، وأما من يأتيه الضيوف وينامون عنده أحيانا فلا بأس بزيادة الفُرش في البيت.

ويلبس المطارف، ويركب الخيل، ويغشى السلطان، غير أنك كنت إذا أفضيتَ إليه أفضيت إلى قُرّة عَين. صفة الصفوة ٣/ ١٥٧.

* وقال **أبو العالية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٣): زارني رجل وعليه ثياب صوف، فقلت: هذا زي الرهبان، إن المسلمين إذا تزاوروا تجملوا. تهذيب الحِلْية ٣٦٧/ ١.

* وعن **مسلم بن يسار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٩) قال: إذا لبست ثوبًا فظننت أنك في ذلك الثوب أفضل مما في غيره؛ فبئس الثوب هو لك. تهذيب الحِلْية ٣٩٥/ ١.

* وقال **ابن السَّمّاك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٣) لأصحاب الصوف: والله إن كان لباسُكم هذا موافقًا لسرائركم لقد أحببتم أن يطَّلع الناسُ عليها، وإن كان مخالفًا لها فقد هلكتم. عيون الأخبار ٣٤٨ / ١.

* وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: ما أعلم أني رأيت أحدًا أنظف ثوبًا، ولا أشدّ تَعاهُدًا لنفسه في شاربه، وشَعر رأسه، وشَعر بدَنه ولا أنقى ثوبًا، وأشدَّه بياضاً من **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١). صفة الصفوة ٢/ ٦٦.

ج- موقف السلف من بعض العلوم غير الشرعية:

* قال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): لا أعلم علمًا بعد الحلال والحرام أنبلَ من الطبِّ، إلا أنّ أهل الكتاب قد غلبونا عليه. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٥٠.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتلهَّفُ على ما ضَيَّعَ المسلمون من الطِّبِّ، ويقول ضيَّعوا ثلثَ العلم، ووكَلُوه إلى اليهود والنصارى. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٥٠.

د- موقف السلف من النكاح:

* عن **طاووس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٦) قال: لا يتِمُّ نُسكُ الشَّابِّ حتى يتزوج. تهذيب السِّيَر ١/ ٥٧٩.

* وعن إبراهيم بن مَيْسرةَ قال: قال لي **طاوُوس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَتَنْكِحَنّ أو لأَقُولَنّ

لك ما قال **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) لأبي الزوائِدِ: ما يَمنَعُكَ من النكاح إلا عجزٌ أو فجور. عيون الأخبار ٤/ ٣٠٩.

هـ- موقف السلف من بناء البيوت والقصور:

* عن عبد الله الرومي قال: دخلتُ على **أم طلق**، فرأيت سقف بيتها قصيرًا، فقلت لها: يا أم طلق، ما لي أرى سقف بيتك قصيرًا؟ قالت: إن **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) كتب إلينا: لا تطيلوا بناءكم، فإنه من شر أيامكم. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٦٤.

* وعن قيس بن أبي حازم قال: دخلنا على **خباب بن الأرت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٧) نعوده وقد اكتوى سبع كيات، فقال: إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا، وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعا إلا التراب[1]، ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به، ثم أتيناه مرة أخرى وهو يبني حائطا له فقال: إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب -يعنى البنيان-.[2] صحيح البخاري (٥٦٧٢).

* وقال **سعد بن أبي وقاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): ثلاثة سعادة، وثلاثة شقاوة، فأما السعادة: فامرأة صالحة مواتية، ودابة تضعك من أصحابك حيث أحببت، ومسكن واسع كثير المرافق، وأما الشقاوة: فامرأة سيئة الخلق، ودابة سوء، إن أردت أن تلحق أصحابك أتعبتك، وإن تركتها خلَّفتك عن أصحابك، ومسكن ضيق قليل المرافق. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٦٧.

---

(١) أي الإنفاق في البنيان

(٢) قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعنى الحديث أن من بنى ما يكنه ولا غنى به عنه فلا يدخل في معنى الحديث بل هو مما يؤجر فيه، وإنما أراد خباب من بنى ما يفضل عنه ولا يضطر إليه فذلك الذى لا يؤجر عليه لأنه من التكاثر الملْهي لأهله. شرح صحيح البخاري ٩/ ٣٨٩.

* وعن **إبراهيم التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: إن الرجل إذا كان له مال، فمنع حقه، سُلِّط على أن يُنفقه في الماء والطين، وإن العبد ليؤجر في نفقته كلها إلا فيما يجعله في البناء والطين. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٥٤.

* وابتنى ملِكٌ من الملوك قصرًا وقال: انظروا من عاب منه شيئًا فأصلحوه وأعطُوه درهمين، وكان فيمن أتاهم رجل فقال: في هذا القصر عيبان اثنان، قالوا: وما هما؟.

قال: ما كنت أخبر بهما إلا الملِك، فأدخل عليه فقال: ما هذان العيبان؟ قال: يموت الملك ويخرب القصر!.

قال: صدقت، ثم أقبل على نفسه. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٦٨.

و- الموازنة بين أعمال الدنيا وأعمال الآخرة:

* عن عمر بن قيس قال: كنت إذا نظرت إلى **عبد الله بن الزبير** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) في أمر دنياه قلت: هذا رجل لم يرد الله طرفة عين، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت: هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين. تهذيب الحِلْية ١/ ٢٥٣.

* وقال **عبد الله بن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣): احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤١٢.

* وعن **كعب الأحبار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢) أنه كان يقول: اعمل عمل العبد الذي لا يرى أنه يموت إلا هرمًا، واحذر حذر المرء الذي يرى أنه يموت غدًا. تهذيب الحِلْية ٢٥٣/ ٢.

* وقالت أم عباد: كنا نسمع بكاء **ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) بالليل وضحكه بالنهار. صفة الصفوة ٣/ ١٧٥.

* وعن **بلال بن سعد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٠) قال: أدركتهم يشتدون بين الأغراض،

ويضحك بعضهم إلى بعض، فإذا كان الليل كانوا رهبانًا. الزهد لأحمد: ٣٧٠.

* وكان **ضمرة بن حبيب** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠) إذا قام إلى الصلاة قلت: هذا أزهد الناس في الدنيا، فإذا عمل للدنيا قلت: هذا أرغب الناس في الدنيا. تهذيب الحِلْية ٢٧٥/ ٢.

* وعن **سعيد بن إياس الجُريري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤) قال: كانوا يجعلون أول نهارهم لقضاء حوائجهم، وإصلاح معايشهم، وآخر النهار لعبادة ربهم وصلاتهم. تهذيب الحِلْية ٣١٥/ ٢.

* وعن **معاوية بن قرّة** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠) قال: مَن يدلّني على بكّاءٍ بالليل بسّام بالنهار؟. صفة الصفوة ٣/ ١٨١.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): ليس من حبك الدنيا: طلبك ما يصلحك فيها، ومِن زهدك فيها: ترك الحاجة يسدها عنك تركها، ومن أحب الدنيا وسرته: ذهب خوف الآخرة من قلبه. ابن أبي الدنيا ٥/ ٩٠.

* وعن **سفيان الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) قال: كان من دعائهم: اللهم زهدنا في الدنيا، ووسع علينا منها، ولا تُزْوِها عنا فترُغِّبنا فيها. ابن أبي الدنيا ٥/ ٩٤.

ز- الاقتصاد وعدم الإسراف[1]:

* قال **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): ما رأيت تبذيرا إلا وإلى جانبه حق يضيع. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٧٩.

* وسئل **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) عن الإسراف؟ فقال: الإنفاق

(١) قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي الشَّهَوَاتِ زَائِدًا عَلَى الْحَاجَاتِ، وَعَرَّضَهُ بِذَلِكَ لِلنَّفَادِ فَهُوَ مُبَذِّر، وَمَنْ أَنْفَقَ رِبْحَ مَالِهِ فِي شَهَوَاتِهِ، أَوْ غَلَّتَهُ، وَحَفِظَ الْأَصْلَ أَوْ الرَّقَبَةَ، فَلَيْسَ بِمُبَذِّرٍ، وَمَنْ أَنْفَقَ دِرْهَمًا فِي حَرَام فَهُوَ مُبَذِّرٌ يُحْجَرُ عَلَيْهِ فِي نَفَقَةِ دِرْهَم فِي الْحَرَام، وَلَا يُحْجَرُ عَلَيْهِ بِبَذْلِهِ فِي الشَّهَوَاتِ، إِلَّا إِذَا خِيفَ عَلَيْهِ النَّفَادُ. أحكام القرآن: ٣/ ١٤٧.

في غير حق. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٧٨.

* وكان يقال: حسن التدبير: مفتاح الرشد، وباب السلامة: الاقتصاد. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٤٧.

* وكان يقال: الاقتصاد في كل شيء حسن حتى في المشي والقعود. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٤٨.

* وكان يقال: فقير مُسدَّد أفضل من غني مسرف، وما كثر مال رجل قط إلا أحدث كبرا، وما قل إلا زال عنه ما هو فيه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٤٨.

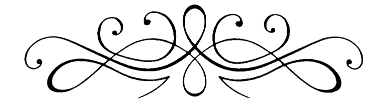
ي- فوائد أخرى:

* قال **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): من اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يُصب فيه فليتحول إلى غيره. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٥.

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: إذا لم يُرزق أحدكم في البلد فليتجر إلى بلدٍ غيره. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٥٥.

* وقال **أبو العالية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٣): إذا اشتريت شيئا فاشتر من أجوده. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٦٤.

* وعن **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) أنه كان لا يرى بالمكايسة والمماكسة في البيع والشراء بأسا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٦٥.





موقف السلف من المال

أ- ذم تعلق القلب بالمال[١]:

* قُدِم على **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) بمال في ولايته فجعل يتصفحه وينظر إليه، فهملت عيناه دموعا فبكى، فقال له عبد الرحمن بن عوف: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن هذا لمن مواطن الشكر، فقال عمر: إن هذا المال والله ما أُعطيه قوم إلا أُلقي بينهم العداوة والبغضاء. الزهد لابن المبارك (٧١٧)، ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٠٢ واللفظ له.

* وعن **أبي ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ذو الدرهمين أشد حسابًا من ذي الدرهم. الزهد لأحمد: ٢٧٥.

* وقال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إن عادًا أُهلكت بكذا وكذا، وإن ثمودًا أُهلكت بكذا وكذا، إنّ هلاككم أنتم في هذا -يعني المال-. الزهد لهناد (٦٨٢).

* وعن **أبي موسى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: إنما أهلك من كان

---

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: المال ظل زائل وعارية مسترجَعة، وليس في كثرته فضيلة، ولو كانت فيه فضيلة لخص الله به من اصطفاه لرسالته، واجتباه لنبوته، وقد كان أكثر أنبياء الله تعالى -مع ما خصهم الله به من كرامته وفضلهم على سائر خلقه- فقراءَ لا يجدون بُلْغة، ولا يقدرون على شيء، حتى صاروا في الفقر مثلا، فقال البحتري:

فقرٌ كفقر الأنبياء وغربةٌ ... وصبابةٌ ليس البلاءُ بواحد

أدب الدين (٧٩-٨٠)

قبلكم هذا الدينار وهذا الدرهم وهما مهلكاكم. الزهد لهناد (٦٨٣).

* وعن **العلاء بن زياد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) قال: رأيتُ الناسَ في النَّوم، يتبعون شيئًا فتبعتُه، فإذا عجوزٌ كبيرةٌ هتماء عوراء، عليها من كُلِّ حِلية وزينة، فقلتُ: ما أنتِ؟ قالت: أنا الدنيا. فقلتُ: أسأل الله أن يُبغِّضَك إليَّ، قالت: نعم، إن أبغضت الدراهم. تهذيب السِّيَر ١/ ٤٧٨.

* وقال **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): والله لقد أدركت أقوامًا وإن كان أحدهم ليرث المال العظيم قال: وإنه والله لمجهود شديد الجهد قال: فيقول لأخيه: يا أخي إني قد علمت أن ذا ميراث وهو حلال ولكني أخاف أن يفسد علي قلبي وعملي فهو لك لا حاجة لي فيه قال: فلا يرزأ منه شيئًا أبدًا، قال: وهو والله مجهود شديد الجهد. الزهد لأحمد: ٤٤٤.

* وكان يحلِفُ بالله: ما أعزَّ أحدٌ الدِّرهم إلاَّ أذلَّهُ الله. تهذيب السِّيَر ٢/ ٥٦١.

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: يُوقف ابن آدم يوم القيامة كأنه بَذَج[1]، فيقول الله تعالى: ابن آدم أين ما خولتك؟ فيقول: أي رب قد وفرته وثمرته، وتركته أوفر ما كان.[2] الزهد لأسد بن موسى (٦٧).

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤):

إنَّ الذي رُزق اليسار فلم ينل ... أجرًا ولا حمدًا لغير مُوَفَّق

ديوان الشافعي: ١٢.

---

(١) هو الصغير من الضأن.

(٢) المعنى: يقف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة من أغناه الله ووسّع له في رزقه لكنه بخل بماله ولم ينفقه في سبيل الله، يقف ذليلا حقيرا كأنه صغير الضأن، فيقول الله له: ما صنعت فيما أعطيتك من المال والمتاع؟ فيقول: يا رب جمعته وثمّرته وتمتّعت به، فارْجعني آتك به كلّه، فيقول له: ما قدمت منه؟ فلا يجيب!

فيا خيبة مَن ملّكه الله المال ولم يؤدّ حقّ الله فيه.

* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

يَجْني الغِنى لِلِّئَامِ لَوْ عَقَلُوا ... ما لَيس يَجني عَلَيهِمُ العُدُمُ[1]

هُمُ لأمْوالِهِمْ ولَسْنَ لَهُمْ ... والعارُ يَبقَى والجُرْحُ يَلْتَئِمُ[2]

* وقال:

ومَنْ يُنفِقِ السّاعاتِ في جمعِ مالِهِ ... مَخافَةَ فَقْرٍ فالذي فَعَلَ الفَقْرُ

ديوان المتنبي (٩٩، ٢٢٦).

وقال أبو نواس (ت: ١٩٩).

أنت للمال إذا أمسكته ... وإذا أنفقته فالمال لك

عيون الأخبار ٣/ ١٨٣.

ب- الحرص على وفاء الدَّين:

* عن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: من مات وعليه دين حُوسب به يوم القيامة، فيُؤخذ من حسناته، فيُجعل في حسنات غريمه، فإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحب الدين، فيُجعل على الغريم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٤٥.

ج- إبقاء شيءٍ من المال للورثة[3]:

* مرض **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) فذُكر له الوصية فقال: أما مالي فالله

---

(١) يقول: يجلب الغنى على اللئيم ما لا يجلب عليه الفقر؛ لأن اللئيم إذا صار غنيًّا يبخل فيُذم، وإذا كان فقيرًا لم يذمه أحد. معجز أحمد (٧٨).

(٢) يقول: اللئام مملوكون لأموالهم لأنهم يتْعبون في حفظها وجمعها ومنعها.

ثم ذكر: أنَّ العار أبقى من الجرح، لأن جرح السيف يلتئم ولا يبقى بقاء جرح العار الذي لا يزول. شرح ديوان المتنبي للواحدي (٧٧).

(٣) روى ابن أبي الدنيا (٧/ ٤٩٥) أنّ ميراثَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي اقتسمه ورثته: سبعون ألفا. وهذا لا يصح، فقد ثبت في صحيح البخاري (٣٧٠٠) أنه قَالَ لابنه قبل موته: انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، فقَالَ له: إِنْ وَفَى لَهُ مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.. وهذا يدلّ على أنه لم يكن له مالٌ ليُوفّي منه دَينه.

أعلم ما كنت أفعل فيه، وأما رباعي وأرضي فإني لا أحب أن يشارك ولدي فيها أحدٌ. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٦.

* وترك **ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) سبعين ألفا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٥.

* وكان جميع مال **الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) خمسين ألف ألف. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٥.

* وصُولحت امرأة **عبد الرحمن بن عوف** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) على ثمنها، ثلث الثمن: بثلاثمائة وثمانين ألفا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٦.

* وعن **عامر بن عبد قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠) قال: ما من مال أعظم أجرا من مالٍ تركه الرجل لولده يغنيهم عن الناس. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٦.

* ومات **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) وترك عشرة آلاف. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٦.

د- ذم الفقر:

* عن **عبد الله بن أبي أوفى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٦) قال: الفقر الموت الأكبر. ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٩٦.

* وقال **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): جهد البلاء: أن تحتاجوا إلى ما في أيدي الناس فيمنعوكم. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠٣.

* وعن **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: جهد البلاء: كثرة العيال وقلة الشيء. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠٣.

* وعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) قال: دعيت إلى عرس، فأتيتهم في ثيابي هذه، فردني البواب، فرجعت وأبدلت ثيابي ثم جئت فدخلت، قال: فأرسل كمه، فقال: كل، كل! فقيل له: سبحان الله الكم يأكل! غفر الله لك، فقال: إنما دُعيَتْ ثيابي هذه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠٨.

* وقال حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠):

رُبَ حِلم أزرى به عدم المال ... وجهلٌ غطى عليه النعيم

ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠١.

* وقال الشاعر:

يجيء الناسُ كلَّ غنيٍّ قوم ... ويُبْخَل بالسلام على الفقير

ويُوسَع للغنيِّ إذا رأوه ... ويُحيا بالتحية كالأمير

ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠١.

* وقال آخر:

إذا قل مال العبد قل صفاؤه ... وضاقت عليه أرضه وسماؤه

وأصبح لا يدري وإن كان حازما ... أَقُدَّامه خيرا له أو وراؤُه

ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠٢.

* وقال آخر:

إذا قل مال المرء قل صديقه ... وضاق به عما يريد طريقه

ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠٢.

* وقال آخر:

ألم تر أن الفقير يُهجر بيته ... وأن الغني يُهدى له ويُزار

ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٠٤.

* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

فلا مجد في الدّنيا لمن قلّ ماله ... ولا مال في الدّنيا لمن قلّ مجده[١]

ديوان المتنبي (٧١).

---

(١) يعني: كما لا يقوم المجد من دون المال، كذلك المال لا ينفع إلا مع المجد، فمن له المال بلا مجد فهو بمنزلة الفقير الذي لا مال له.



تقديم الأولويات

* عن عبد الرحمن بن يزيد قال: ما رأيت فقيهًا قط أقل صومًا من **عبد الله ابن مسعود** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢)، فقيل له: لم لا تصوم؟ قال: إني أختار الصلاة على الصوم، فإذا صمت ضعفت عن الصلاة. صفة الصفوة ١/ ٨٥.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: لأن أعوُل أهلَ بيتٍ من المسلمين شهرًا أو جمعةً أو ما شاء الله، أحبّ إلي من حجّة بعد حجة، ولَطَبَقٌ بدانقٍ أهديه إلى أخٍ لي في الله أحبّ إلي من دينارٍ أنفقه في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ. صفة الصفوة ١/ ٣٧٣.

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): كنتُ تاجرًا قبل المَبْعث، فلما جاء الإسلامُ، جمعتُ التِّجارةَ والعِبادةَ، فلم يجتمعا، فتركتُ التجارة، ولزمتُ العبادة.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٤٨): الأفضل جَمْعُ الأمرين مع الجهاد، وهذا الذي قاله هو طريقُ جماعة من السَّلفِ والصوفية، ولا ريبَ أن أمزجة الناس تختلفُ في ذلك، فبعضُهم يَقوى على الجمع، كالصِّدِّيق، وعبدِ الرحمن بن عوفَ، وكما كان ابنُ المبارك.

وبعضُهم يَعجِزُ، ويقتصِرُ على العبادة، وبعضُهم يقوى في بدايته، ثم يَعجِزُ، وبالعكس، وكلٌّ سائغ. ولكن لابُدَّ من النهضة بحقوق الزَّوجَة والعيال. تهذيب السِّيَر ١/ ٢٦٩.

* وقيل **لمالك بن أنس** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٩): ما تقول في طلب العلم؟ قال:

حسَن جميل، ولكن انظر إلى الذي يلزَمك مِن حينِ تُصبح إلى حين تمسي فالزمْه. صفة الصفوة ٢/ ٥٠٤.

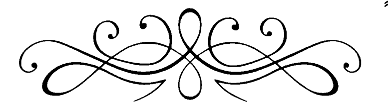
* وقال **يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥٨): الكيّس من عمال الله يلهج بتقويم الفرائض، والجاهل يُعْنى بطلب الفضائل. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لست آمركم بترك الدنيا، آمركم بترك الذنوب، ترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة، وأنتم إلى إقامة الفريضة أحْوج منكم إلى الحسنات والفضائل. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٥.

* وقال **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): كل من كان في شيء من التطوع يلذُّ به فجاء وقت فريضة فلم يقطع وقتُها لذَّةَ التطوع فهو في تطوعه مخدوع.[1] تهذيب الحِلْية ٣/ ١٩٢.

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هنا مسألةٌ مُختلف فيها: هل طَلَبُ العلم أفضلُ، أو صلاةُ النَّافلة والتلاوة والذِّكر؟ فأما من كان مخلصًا لله في طلب العلم، وذهنُه جيد، فالعلم أولى، ولكن مع حَظٍّ من صلاة وتَعَبُّدٍ، فإن رأيته مُجِدًّا في طلب العلم لا حظَّ له في القُربات، فهذا كسلان مهين، وليس هو بصادق في حسن نيته.

وأما من كان طلبُه الحديث والفقه محبَّةً نفسانية[2]: فالعبادة في حقه أفضل، بل ما بينهما أفْعلُ تفضيلٍ، وهذا تقسيمٌ في الجملة. تهذيب السِّيَر ٢/ ٦٩٠.



(١) كمن يكون في القراءة وطلب العلم، فيؤذّن المؤذن ويُدعى إلى صلاة الفرض فيتأخر لانهماكه بالقراءة.

(٢) أي: تميل نفسُه إلى طلب العلم والقراءة وحضور دروس العلم، ويُحب ذلك ويهواه، ولكنه ليس جادًّا مُفرّغًا وقته لطلب العلم والحفظ وجردّ الكتب وبحث المسائل، فكثرةُ العبادة في حقّ هؤلاء أفضل وأنفع لهم، بل ما بينهما أفْعلُ تفضيلٍ كما قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



حسن الخلق(١)

* عن أم الدرداء قالت: بات **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) الليلة يصلي فجعل يبكي ويقول: «اللهم أحسنت خَلْقي فأحسن خُلُقي»، حتى أصبح، فقلت: يا أبا الدرداء ما كان دعاؤك منذ الليلة إلا في حسن الخلق؟.

قال: يا أم الدرداء، إنّ العبد المسلم يَحْسُن خُلُقه حتى يُدْخله حسنُ خلقه الجنة، ويَسُوء خُلُقه حتى يُدْخله سوء خلقه النار. الزهد لأحمد: ٢٦٤.

* وعن أبي إدريس الخولاني رَحِمَهُ اللَّهُ قال: سمعت **أبا الدرداء** يحلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأيم الله ما سمعته يحلف قبلها: ما عمل آدمي عملا خيرا من مشي إلى صلاة، ومن خُلُق جائز، ومن صلاح ذات البين. الزهد لابن المبارك (٦٩٠).

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ومدار حسن الخلق مع الحَقِّ ومع الخلق على حرفين ذكرهما عبد القادر الكيلاني فقال: كن مع الحق بلا خلق، ومع الخلق بلا نفس.
فتأمَّل ما أجَلَّ هاتين الكلمتين مع اختصارهما، وما أجمعهما لقواعد السلوك ولكل خُلق جميل؟، وفساد الخُلق إنما ينشأ من توسط الخَلق بينك وبين الله تعالى، وتوسط النفس بينك وبين خلقه، فمتى عزلت الخَلق حال كونك مع الله تعالى، وعزلت النفس حال كونك مع الخَلق: فقد فزت بكل ما أشار إليه القوم، وشمروا إليه وحاموا حوله، والله المستعان. مدارج السالكين ٣/ ١٠٧.
وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: بَين العَبْد وَبَين الله وَالْجنَّة قنطرةٌ تُقطع بخطوتين: خطْوَة عَن نَفسه، وخطوة عَن الْخلق، فَيُسْقط نَفسه ويلغيها فِيمَا بَينه وَبَين النَّاس، وَيُسْقط النَّاس ويلغيهم فِيمَا بَينه وَبَين الله، فَلَا يلْتَفت إِلَّا إِلَى من دلَّه على الله وعَلى الطَّرِيق الموصلةِ إِلَيْهِ. الفوائد/ ٥٥.
وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: حسن الخلق له خاصيةٌ في فرح النفس، لا يعرف ذلك حقَّ معرفته إلا المجرِّبون. انتصار الحق ص: ٤٦.

* وكان **ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) من أمزح الناس وأضحكه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٣٠.

* وسئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال. جامع معمر بن راشد (٢٠٩٧٦).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البر شيء هين: وجه طليق وكلام لين. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٠٠.

* وعن **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسيا؛ ذلك لأن الله عز و جل يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦].[1] ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٦.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لو قال لي فرعون خيرًا: لرددت عليه. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٧.

* وعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) أنه كان يقول: من لم ير أن كلامه من عمله، وأن خلقه من دينه: هلك وهو لا يشعر. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢١.

* وعن معاذ بن سعيد قال: كنا عند **عطاء بن أبي رباح** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٠) فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر في حديثه، فقال عطاء: سبحان الله، ما هذه الأخلاق؟! إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به، فأريه أني لا أحسن منه شيئًا. المنتظم ٧/ ١٦٥.

* وعن **عطاء** رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]: قال: للناس كلهم، المشرك وغيره. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٦.

---

(١) اخْتَلَفَ العلماء فِي وُجُوبِ الرّدّ عَلَى اليهود والنصارى، فَالْجُمْهُورُ عَلَى وُجُوبِهِ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُوَ الصَّوَابُ. (زاد المعاد ٢/ ٣٨٨).

* وقال **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢): أو لا أخبركم بأدوأ الداء: اللسان البذيء، والخلق الدنيء. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢١٢.

* وقال **عكرمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٥): لكل شيء أساس وأساس الإسلام: الخلق الحسن. صفة الصفوة ٢/ ٤٥٥.

* وقال حماد بن زيد: ما رأيت رجلًا قطّ أشدّ تبسمًا في وجوه الرجال من **أيوب السختياني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣١). صفة الصفوة ٣/ ٢١١.

* وقال **بعض الحكماء**: الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوانح. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٧.

* وعن **سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٦) قال: إنه ليعجبني من القُرَّاء كلُّ سهل طَلِق مضحاك، فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس، كأنه يمنُّ عليك، فلا أكثر الله في القُرَّاء مثله. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٣٠.

* وكان **محمد بن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) يضحك حتى تدمع عيناه.

* وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب ضحك ومزاح. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٣١.

* وقال **بعض الحكماء**: كل كلام لا يُوتِغ دينك[1]، ولا يُسخط ربك، إلا أنك ترضي به جليسك: فلا تكن به عليه بخيلا، فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٧.

* وعطس نصراني طبيب عند **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠) فقال له: رحمك الله، فقيل له: إنه نصراني؟ فقال: إن رحمة الله على العالمين. ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٨.

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٣٩٢/ ١.

---

(١) يُفسده.

لَعَمْـرُكَ مـا ضاقـت بـلادٌ بأهلهـا ... ولكـنّ أخـلاقَ الرجـال تَضِيـقُ

* وعن **عون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٣) أنه كان يقول: المؤمن موالف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤْلف. تهذيب الحِلْية ٩٨/ ٢.

* وسَفِهَ رجل على **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فسكت عنه، وقال: يا أخي لو نقَصْتَني كلّ نقْص لم تَنتقصْني كنَقصي عندي، ثم قال: سفِهَ رجلٌ على **إسحاق بن راهويه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٣٨) فاحتمله وقال: لأيِّ شيءٍ تَعلَّمنا العِلْم؟. صفة الصفوة ٤/ ٢٦٣.

* وقال قَبِيْصة: كان **سُفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦١) مَزَّاحًا، كنت أتأخر خلفه، مخافةَ أن يحيِّرني بمُزاحه. تهذيب السِّيَر ١/ ٦٩٩.

* وقَالَ حِرمي بْن يُونُسَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أتيتُ **أبا عبدالله - الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١)- فسألتُه عَنْ حديث فقال: نعم، حتى أُخرجه لك، قال: فلمَّا كان في نصف النهار إذا رجل يدق عَلِيّ الباب، فخرجت فإذا أَبُوعبدالله! فقلت: حاجة؟ قَالَ: نعم، قلت: تدخل، قَالَ: نعم، فدخل فأخرج إليَّ رُقعة فيها أحاديث فقرأها عَلِيّ، ثم أبرد[١] عندي ومضى.[٢] طبقات الحنابلة (١/ ٤٠٣-٤٠٤).

* وقال **لقمان** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لابنه: يا بُنَيَّ! لِتكُن كَلمتكَ طيبةً، ووجهك منبسطًا، تكن أحبَّ إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة.[٣] الجامع المنتخب/ ٦٦.

* وسئل بعضهم عن حسن الخلق فقال: بذل الندى، وكف الأذى.[٤] الجامع المنتخب/ ٦٧.

---

(١) أي: أقام عندي حتى دخل وقت البرد (المساء).

(٢) هذا من أدبه وتواضعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث يأتي بنفسه إلى هذا الطالب، ويدخل بيته ويحدثه، ويطيب خاطره بمكثه عنده بعض الوقت.

(٣) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وربما كان معاملة الناس بالقول الحسن أحب إليهم من إطعام الطعام والإحسان بإعطاء المال. الجامع المنتخب/ ٦٦.

(٤) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الوصف المذكور في القرآن أكمل من هذه؛ لأنه وصفهم ببذل الندى، واحتمال الأذى. الجامع المنتخب/ ٦٧.

* ورئي بعضُ السّلف في المنام، فسئل عن بعض إخوانه الصالحين، فقال: وأين ذلك، رُفع في الجنة بحسن خلقه. الجامع المنتخب / ٦٧ .

* وقال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الضحكُ اليسيرُ والتبسُّمُ أفضلُ وعدم ذلك من مشايخ العلم على قسمين:

أحدهما: يكونُ فاضلًا لمن تركَهُ أدبًا وخوفًا من الله، وحُزنًا على نفسه المسكينة.

والثاني: مذمومٌ لمن فعله حمقًا وكبرًا وتصنُّعًا، كما أَنَّ من أكثر الضحكَ استخفَّ به، ولا ريبَ أن الضحكَ في الشباب أخفُّ منه وأعذرُ في الشيوخ.

وأما التبسم وطلاقةُ الوجه فأرفعُ من ذلك كلِّه، قال النبيُّ ﷺ: «**تبسُّمكَ في وجه أخيك صدقةٌ**» وقال جريرٌ: «ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسَّم» فهذا هو خلقُ الإسلام، فأعلى المقامات من كان بَكَّاءً بالليل، بَسَّامًا بالنهار.

بقي هنا شيءٌ: ينبغي لمن كان ضحوكًا بسَّامًا أن يقَصِّر من ذلك، ويلوم نفسَه حتى لا تمجَّهُ الأنفس، وينبغي لمن كان عبوسًا مُنقبضًا أن يتبسَّم، ويُحسِّن خلقَه، ويمقتَ نفسَه على رداءة خُلُقِه، وكل انحرافٍ عن الاعتدال فَمَذمومٌ، ولابدَّ للنفسِ من مجاهدة وتأديب. تهذيب السِّيَر ١/ ٨٥٨.

* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٣/ ١٩٧ .

ومـا ابـنُ آدمَ إلاّ ذكـرُ صالحـةٍ ... أو ذكـرُ سيِّئةٍ يَسـرِي بهـا الكَلِـمُ

أمـا سـمعتَ بدهـرٍ بـاد أمّتُـه ... جاءت بأخبارهـا مـن بعدهـا أمَـمُ

* وقال الوزيرُ أبو الفرج يعقوبُ بنُ يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال لي الأستاذ كافور (ت ٣٥٧)[1]: اجتمِع بالقاضي **أبي الطاهر محمد الذهلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٦٧)،

---

(١) كافور أبو المسك الإخشيدي صاحب مصر، الخادم، الأستاذ.

فسلِّم عليه وقل له: إنه بلغني أنَّك تنبسط مع جلسائِك، وهذا الانبساطُ يُقِلُّ هَيْبَةَ الحكم، فأعلمتُه بذلك، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قل للأستاذ: لستُ ذا مالٍ أفيضُ به على جلسائي، فلا أقلَّ من خُلقي، فأخبرتُ الأستاذ، فقال: لا تعاوِدْهُ. تهذيب السِّيَر ٣/ ١٢٨٨.

* وكان **أبو عبد الله بن المهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٩) يصلي الصلوات في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها، فأقيمت الصلاة يومًا، فقال أعرابي: يا أمير المؤمنين، لست على طهر وقد رغبت إلى الله في الصلاة خلفك فأمر هؤلاء ينتظروني، فقال: انتظروه رحمكم الله، ودخل المحراب ووقف إلى أن قيل له: قد جاء الرجل، فكبر فتعجب الناس من سماحة أخلاقه. المنتظم ٨/ ٢١٤.

* وقال **بعضهم**:

وما اكتسب المحامدَ طالِبوها — بمثل البشْر والوجه الطَّليق

عيون الأخبار ١/ ٧٨.

* وقال **بعضهم**:

لا تسأَلِ المرءَ عن خلائقه — في وجههِ شاهدٌ من الخَبرِ

عيون الأخبار ٣/ ١٥٧.

* وقال زهير بن عباد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما كنت أقول **لمالك بن أنس** (ت: ١٧٩): رحمك الله إلا قال: وأنت رحمك الله.

وإذا قلت له: عافاك الله قال: وأنت عافاك الله.

حُسْنُ أدب.

قالوا: كان أحسن الناس خُلُقًا مع أهله وولده، ويقول: في ذلك مرضاة لربك.

قال عبدالله بن عبد الحكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هيَّأ **مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوة للطلبة،

وكنت فيهم، فمضينا معه إلى داره، فلما دلنا الدار قال: هذا المستراح، وهذا الماء، ثم دخلنا البيت، فلم يدخل معنا، ودخل بعد ذلك فأتانا بالطعام.

فلما خرج الناس سألته عما رأيت، قال: أما إعلامي لكم بالمستراح والماء فإنما دعوتكم لأبركم، ولعل أحدكم يصيبه بول أو غيره فلا يدري أين يذهب فيَصِل إليه الضرر، وأما تَركي الدخول معكم في البيت فلعلي أقول: هاهنا أبا فلان اجلس، وهاهنا أبا فلان اجلس، وقد أنسى بعضكم فيظن ذلك نقصًا فيه، فتركتُكم حتى أخذتم مجالسكم ودخلتُ عليكم.[١] ترتيب المدارك (١/ ١٠٦).

* وقال **الشاعر**:

قد يمكث الناس دهرًا ليس بينهمُ ... ودٌّ فيزرعه التَّسليم واللَّطَفُ[٢]

* وسُئل **حكيم**: من أدَّبك؟ قال: نظرت إلى جهل الجاهل فاجْتنبته.[٣] المجالسة وجواهر العلم (٤٥٠).

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): حقٌّ على العاقل أن يتخذ مرآتين؛ فينظر من إحداهما في مساوئ نفسه، فيتصاغر بها، ويصلح ما استطاع منها، وينظر في الأخرى في محاسن الناس، فيأخذ ما استطاع منها.[٤] الأدب الصغير (٣٧).

---

(١) انظر إلى إكرامه واحترامه لطلابه، وأدبه الرفيع معهم، حيث عاملهم معاملة الأصحاب لا الطلاب.

(٢) اللَّطَفُ: البِرُّ والتَّكْرِمةُ. العين (٧/ ٤٢٩)

(٣) العاقل يستفيد من سيِّئ الأخلاق أكثر من استفادته من حَسَن الأخلاق؛ لأنّ تصرّفاته معه أو مع غيره أكبر منفّر له عن سوء أخلاقه، التي تكون ماثلةً أمامه دائمًا، وكأنها تقول له: إياك أنْ تكون مثله، وأنْ تُعامل الناس كما يُعاملهم.

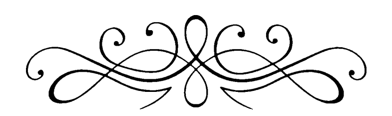
فكم للناس -محسنهم أو مسيئهم- من فضل وخيرٍ على غيرهم بصورةٍ مُباشرة أو غير مباشرة، إذا أحسنوا استثمار المواقف، ورغبوا في اكتساب الأخلاق الحسنة، وهجرِ الأخلاق السيئة.

(٤) ومتى فعل ذلك تواضع وانشغل بعيوبه عن عيوب الناس، واستفاد من محاسن الناس وآدابهم وأخلاقهم، فصلح أمره، وإذا كان العكس: تكبر وازدرى الآخرين واحتقرهم.

* وقال **أبو إسحاق الشيرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٧٦): كنت نائمًا ببغداد، فرأيت رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقلت: يا رسول الله، بلَغني عنك أحاديث كثيرة عن ناقلي الأخبار، فأريد أن أسمع منك خبرًا أشرُفُ به في الدنيا، وأجعله ذخيرة للآخرة، فقال: قل عني: «من أراد السَّلامة فليطلبها في سلامة غيره».

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا المنام عليه لوائح الصدق، ولِمَا رواه في المنام شاهد في الصحيح، وهو قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[1]، أي: من أراد أن يَسلم فليَسلم الناس منه؛ فإنّ الجزاء من جنس العمل. طبقات الشافعيين (٢/ ٣٩).

* وقَالَ **ابْنُ عَقِيلٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥١٣) قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]: شهد الحقّ للنبيّ ﷺ [أنه] لولا تخلّقه للخلق الجميل لانفضوا عنه، ولم يقنع بِالْمُعْجِزِ[2] في تحصيلهم، [فـ]لا تقْنع أنت بالعُلوم وتظن أنها كافية في حَوْشِ الناس إلى الدين، بل حُسْنُ ذلك وجلُّه بالأخلاق الجميلة. الآداب الشرعية ٢/ ٨٠[3].



(١) رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤١).

(٢) وهو القرآن.

(٣) ما بين المعكوفتين زيادة يقتضيها السياق.



* قال **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): من ساء خُلقه عذَّب نفسه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٧٧.

* وقال **بعض السلف**: الْحَسَنُ الْخُلُق: ذو قرابة عند الأجانب، والسَّيِّءُ الخلق: أجنبيٌّ عند أهله.(١) المستطرف/ ١٦٥.

* وعن **أبي حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠) قال: السيّءُ الخُلُق أشقى الناس به نفسُهُ التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخُلُ بيته، وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه، فرقًا منه، وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه لَيَراه فينزو على الجدار، حتى إن قِطَّه ليفرّ منه. تهذيب السِّيَر ١/ ٦٣٧.

* وقال عَمرو بنُ زرارة النَّيْسابوري: صحبتُ **إسماعيل بنَ عُلَيَّة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) أربع عشرة سنة، فما رأيتُهُ تبسَّم فيها.

قال **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٨): ما في هذا مدح، ولكنه مُؤذِنٌ بخشيةٍ وحُزن. تهذيب السِّيَر ٢/ ٨٠٣.

* وقال **عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨): ليتق الرجل دناءة الأخلاق كما يتقي الحرام. تهذيب الحِلْية ٣٣٠/ ٢.

* ودخل رجلٌ من الزهاد على **هارون الرشيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٣) يومًا، فقال:

(١) هذا من أفضل ما قيل في مدح حَسَنِ الخُلُق وذمِّ سيِّئ الخلق.

يا هارون، اتق الله، فأخذه فخلا به، وقال: يا هذا أنصفني، أنا شرٌّ أم فرعون؟ قال: بل فرعون، قال: فأنت خير أم موسى؟ قال: بل موسى، قال: أفما تعلم أن الله تعالى لما بعثه وأخاه إليه قال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه:٤٤] وقد جبهتني بأغلظ الألفاظ، فلا بأدب الله تأدبت، ولا بأخلاق الصالحين أخذت قال: أخطأت وأنا أستغفر الله، فقال: غفر الله لك، وأمر له بعشرين ألف درهم، فأبى أن يأخذها. المنتظم ٣٢٨/ ٨.

* وكَانَ **أَبُو الحسين بن المنادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٦) صلب الدِّين، خشن الطريقة، شرس الأخلاق، فلذلك لم تَنتشر الرواية عَنْهُ.[١] طبقات الحنابلة (٣/ ٧).

* وترجم ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لأحد العلماء** وقال: تفقه عَلى التقي بن العز، ومهر فِي المذهب، وعُني بالسُّنة، وجمع فِيهَا.. وَكَانَ صاحب جرأة، وتحرق عَلَى الأشعرية، فرموه بالتَّجسيم.

قَالَ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: قلَّ من سمع منه؛ لأنَّه كان فِيهِ زعارَّة.[٣].

وكان **كثيرَ الدَّعَاوي، قليل العِلم**.[٤] ذيل الطبقات (٤/ ١٥٦).

---

(١) وكثيرا ما يُحرم العالم من انتفاع طلاب العلم خاصة والناس عامة به بسبب سوء خُلُقه، وشراسة طبعه، وعدم احتماله وصبره، وقد مات عِلمه في حياته، فكيف بعد مماته؟ نعوذُ بالله من سوء الخلق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعظم الناس انتفاعًا ونفعًا بعلمه: الحليم.

وأقلّ الناس نفعًا وانتفاعًا بعلمه من لا حلم له؛ فإن الطّيش والحدّة والعنف هي أضداد الحلم، وهي آفة العلم المانعة من الانتفاع به، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وهذا غاية الحلم: أن يعفو عن جانيهم على حقّه، ويستغفر لمسيئهم فيما بينه وبين الله، ويتألف قلوبهم بالمشاورة، ولا يفعل هذا إلا أحكم الناس وأرحمهم. مجموع رسائل ومسائل ابن القيم ص: ١٠٠.

(٢) نقلته بتمامه من كتابه تاريخ الإسلام (١٥/ ٣٧٤)؛ لأنه أتمّ.

(٣) الزَّعارَّة: الضيق وشراسة الخُلُق.

(٤) سوء الخلق، وقلة العلم، والشراسة مع الخصم: ثلاثة أمراض هي من أعظم أسباب ضيق=

* وقال الشاعر:

إذا الْمرْءُ لَمْ يَدْنَسْ منَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ فَكُــلُّ رِداءٍ يَرْتَديـــهِ جَميــلُ

المجالسة وجواهر العلم (٢٥٧).

* وقال الآخر:

إذَا أَعْجَبَتْـك خِصَـالُ امْـرِئٍ فَكُنْـهُ يَكُـنْ مِنْـك مـا يُعْجِبُـكْ

فليسَ علـى الْمَجـدِ والْمَكْرُمـاتِ إذا جِئْتهـا حاجِـبٌ يَحْجبُـكْ

أدب الدين (٥٨٢).

* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): اعلم أنَّ المستشار ليس بكفيل، وأنّ الرأي ليس بمضمون، بل الرأي كلُّه غرر[١]؛ لأن أمور الدنيا ليس شيءٌ منها بثقة، ولأنه ليس من أمرها شيء يدركه الحازم إلا وقد يدركه العاجز، بل ربما أعْيا الَحزَمة ما أمكن العَجَزة.

فإذا أشار عليك صاحبك برأي، ثم لم تجد عاقبته على ما كنت تأمل: فلا تجعل ذلك عليه ذنبًا، ولا تُلْزمه لومًا وعذلًا، بأن تقول: أنت فعلت هذا بي، وأنت أمرتني، ولولا أنت لم أفعل، ولا جرم لا أطيعك في شيء بعدها، فإن هذا كله ضجر ولؤم وخفّة.

فإن كنت أنت المشير فعمل برأيك أو تركه فبدا صوابك: فلا تمنّن به، ولا تكثرن ذكره إن كان فيه نجاح، ولا تلمه عليه إن كان قد استبان في تركه ضررٌ، بأن تقول: ألم أقل لك: افعل هذا، فإن هذا مجانب لأدب الحكماء. الأدب الكبير (١٢١-١٢٢).

=الصدر، والعداوة والفرقة، وقلة التوفيق والبركة.

وقد وُجد في هذا الزمان من اجتمعت فيهم هذا المصائب الثلاثة، فكثر شرّهم، وعمّ ضررهم، ومُحقت بركتهم، نعوذ بالله من الخذلان.

(١) أي: عُرْضةٌ للخداع والجهالة.



الحلم، والعفو، والصفح، وذم الغضب وعلاجه(١)

....

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد عشر مشهدًا للعبد فيما يصيبه من أذى الخَلْق وجنايتهم **عليه منها:**

أحدها: مشهد القَدَر، وأن ما جرى عليه: بمشيئة الله وقضائه وقدره، فيراه كالتأذي بالحر والبرد، والمرض والألم، وهبوب الرياح، وانقطاع الأمطار؛ فإن الكل أوجبته مشيئة الله.

المشهد الثاني: مشهد الصبر. فيشهده ويشهد وجوبه، وحسن عاقبته، وجزاء أهله، وما يترتب عليه من الغِبطة والسرور، ويُخَلِّصه من ندامة المُقابَلة والانتقام، فما انتقم أحدٌ لنفسه قط إلا أعقبه ذلك ندامة، ويعلم أنه إن لم يصبر اختيارا على هذا وهو محمود، صبر اضطرارا على أكبر منه وهو مذموم.

المشهد الثالث: مشهد العفو والصفح والحلم. فإنه متى شهد ذلك وفضْله وحلاوته وعِزته: لم يَعْدل عنه، فإنه ما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا كما صح ذلك عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعُلم بالتجربة والوجود. وما انتقم أحدٌ لنفسه إلا ذلَّ.

المشهد الرابع: مشهد الرضا. وهو فوق مشهد العفو والصفح، وهذا لا يكون إلا للنفوس المطمئنة.

المشهد الخامس: مشهد الإحسان. وهو أرفع مما قبله، وهو أن يقابل إساءة المسيء إليه بالإحسان، فيحسن إليه كلما أساء هو إليه. ويُهَوِّن هذا عليه عِلْمه بأنه قد ربح عليه، وأنه قد أهدى إليه حسناته ومحاها من صحيفته وأثبتها في صحيفة من أساء إليه، فينبغي لك أن تشكره وتحسن إليه بما لا نسبة له إلى ما أحسن به إليك.

ويهونه عليك أيضا: علمك بأن الجزاء من جنس العمل. فإن كان هذا عملك في إساءة المخلوق إليك، عفوت عنه وأحسنت إليه، مع حاجتك وضعفك وفقرك وذُلِّك، فهكذا يفعل المحسن القادر العزيز الغني بك في إساءتك، يقابلها بما قابلت به إساءة عبده إليك، فهذا لابد منه، وشاهده في السنة من وجوه كثيرة لمن تأملها.

المشهد السادس: مشهد السلامة وبَرْد القلب. وهذا مشهد شريف جدًا لمن عرفه وذاق حلاوته، وهو أن لا يشتغل قلبُه وسِرُّه بما ناله من الأذى وطلب الثأر، وشفاء نفسه، بل يُفرغ قلبه من =

= ذلك، ويرى أن سلامته وبَرْده وخُلُوَّه منه أنفع له وألذُّ وأطيب وأعون على مصالحه، فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده وخير له منه فيكون بذلك مغبونا.

المشهد السابع: مشهد الأمن. فإنه إذا ترك المقابلة والانتقام: أَمِن ما هو شرٌّ من ذلك.

المشهد الثامن: مشهد الجهاد. وهو أن يشهد تولد أذى الناس له من جهاده في سبيل الله، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإقامة دين الله، وإعلاء كلماته.

وصاحب هذا المقام: قد اشترى اللهُ منه نفسَه ومالَه وعرضَه بأعظم الثمن، فإن أراد أن يُسلَّم إليه الثمن فليسلِّم هو السلعة ليستحق ثمنها، فلا حق له على من آذاه ولا شيء له قِبَله إن كان قد رضي بعقد هذا التبايع، فإنه قد وجب أجره على الله.

فمن قام لله حتى أوذي في الله: حَرَّم الله عليه الانتقام، كما قال لقمان لابنه ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان:١٧].

المشهد التاسع: مشهد النعمة. **وذلك من وجوه:**

أحدها: أن يشهد نعمة الله عليه في أن جعله مظلومًا يترقب النصر ولم يجعله ظالما يترقب المَقْت والأَخْذ، فلو خُيِّر العاقل بين الحالتين ولابد من إحداهما لاختار أن يكون مظلوما.

ومنها: أن يشهد نعمة الله في التكفير بذلك من خطاياه.

ومنها: أن يشهد كون تلك البليّة أهون وأسهل من غيرها، فإنه ما من مِحنة إلا وفوقها ما هو أقوى منها وأمَرّ، فإن لم يكن فوقها محنة في البدن والمال فلينظر إلى سلامة دينه وإسلامه وتوحيده، وأن كلَّ مصيبة دون مصيبة الدين فهيِّنة، وأنها في الحقيقة نعمة، والمصيبة الحقيقية: مصيبة الدين.

ومنها: توفية أجرها وثوابها يوم الفقر والفاقة، وفي بعض الآثار: أنه يتمنى أناس يوم القيامة لو أن جلودهم كانت تُقرَض بالمقاريض لِما يرون من ثواب أهل البلاء.

هذا، وإن العبد ليشتدُّ فرحه يوم القيامة بما له قِبَلَ الناس من الحقوق في المال والنفس والعرض، فالعاقل يَعُدُّ هذا ذُخرًا ليوم الفقر والفاقة، ولا يُبطله بالانتقام الذي لا يُجدي عليه شيئا.

المشهد العاشر: مشهد الأُسْوة. وهو مشهد شريف لطيف جدا، فإن العاقل اللَّبيب يرضا أن يكون له أسوة برُسُل الله وأنبيائه وأوليائه، وخاصته من خلقه؛ فإنهم أشد الخلق امتحانا بالناس، وأذى الناس إليهم أسرع من السيل في الحدور.

المشهد الحادي عشر: مشهد التوحيد. وهو أَجَلُّ المشاهد وأرفعُها، فإذا امتلأ قلبه بمحبة الله، والإخلاص له، ومعاملته وإيثار مرضاته، والتقرب إليه، وقُرَّة العين به، والإنس به، واطْمَأن إليه، وسكن إليه، واشتاق إلى لقائه، واتخذه وليًا دون من سواه، بحيث فوَّض إليه أموره كلها، ورضي به وبأقضيته: فإنه لا يبقى في قلبه مُتَّسع لشهود أذى الناس له ألبتة، فضلًا عن أن يشتغل قلبه وفكره وسِرُّه بتطلب الانتقام والمقابلة؛ فهذا لا يكون إلا من قلب ليس فيه ما يغنيه عن ذلك، ويعوضه منه، فهو قلب جائع غير شبعان. ا.هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٩٥-١٠٢.

* قال **عليّ بن أبي طالب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٤٠): أوّلُ عِوَضِ الحليم مِنْ حِلمِه أنّ الناسَ أنصارُه على الجَهُول. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٩.

* وجاء رجل إلى **سلمان الفارسي** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٣) فقال: يا أبا عبد الله أوصني، قال: لا تغضب، قال: أمرتني أن لا أغضب وإنه ليغشاني ما لا أملك، قال: فإن غضبت فاملك لسانك ويدك. جامع العلوم والحكم / ١٩٣.

* وارتكب خَادِمه خطأً فقَالَ له: لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ الْقِصَاصَ لَأَوْجَعْتُكَ. الأدب المفرد (١٨٢).[١].

* وقال **أبو الدرداء** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٣٢): منْ يُتبعْ نَفسَهُ كُلَّ ما يَرى في النَّاس: يَطُلْ حُزْنه ولا يُشْفَ غَيظُه. مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٦٣٥).

* ووشى رجلٌ من أهل الكوفة **بعمار بن ياسر** (ت: ٣٧) إلى عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: فقال له عمار: إن كنت كاذبًا فأكثر الله مالك وولدك وجعلك مُوَطَّأ العَقِبَين.[٢] الزهد لأحمد: ٢٢٩، الزهد لأبي داود (٢٤٠):

* وشتم رجلٌ **الحسنَ بن علي** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٥٠) وأَربَى عليه، فقال له: أمّا أنتَ فما أبقيتَ شيئًا، وما يعلم الله أكثرُ. عيون الأخبار ١/٣٣١.

* وقال **معاوية** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٦٠): يا بني أمية قارعوا قريشًا بالحلم، فوالله إن كنت لألقى الرجل في الجاهلية يوسعني شتمًا، وأوسعه حلمًا، فأرجع وهو لي صديق أستنجده فينجدني، وأُثيره فيثور معي، وما [وَضَعَ][٣] الحلمُ عن شريفٍ شرَفه[٤]، ولا زاده إلا كرمًا. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٩-٤٠.

---

(١) صححه الألبانيّ.

(٢) أي: كثير الأتباع.

(٣) في الأصل: دفع! والتصويب من البداية والنهاية، طبعة: الفكر (٨/ ١٣٦).

(٤) فالحلم لا يضع من قدر الشريف، بل يزيده شرفًا وسُؤددًا باتفاق العقلاء.

* وقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٠.

* وقال **عمرو بن العاص** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت: ٤٣): إني لأصبر على الكلمة لهي أشد عليّ من القبض على الجمر، ما يحملني على الصبر عليها إلا التخوف من أخرى شر منها. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٨.

* وقال أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**»، فطلع رجل من الأنصار، فلما كان الغد، قال النبي ﷺ، مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله ابن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فقال: إني لاحَيت[1] أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت؟ قال: نعم، قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئا، غير أنه إذا تعارّ[2] وتقلب على فراشه ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وكبر، حتى يقوم لصلاة الفجر.

قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحقر عمله، قلت: يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ، فقال: ما هو إلا ما رأيت.

---

(١) أي: خاصمت.

(٢) أي: أرِق وتقلّب في فراشه ليلا.

قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق. مسند أحمد (١٢٦٩٧) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، الزهد لابن المبارك (٦٩٤).

* وقال **الأحنف بن قيس** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): لستُ بحليم ولكنِّي أتحالم. السِّيَر ٥/ ٤٣.

* وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: إنّ من السؤدد الصبرَ على الذل، وكفى بالحلم ناصرًا. المنتظم ٦/٩٥.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ لم يصبر على كلمةٍ سَمِعَ كلماتٍ، ورُبَّ غيظٍ قد تجرّعتُه مَخَافَةَ ما هو أشدُّ منه. عيون الأخبار ٣٢٨ / ١.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: لقد اختلفنا إلى **قيسِ بن عاصم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٧) في الحِلْم كما نَخْتَلِفُ إلى الفقهاء في الفقه. عيون الأخبار ٣٣١/ ١.

* وشتمه رجلٌ وجعل يتبعُه حتى بلغ حَيَّه، فقال الأحنف: يا هذا إن كان بقِي في نفسك شيء فهاتِه وانصِرْف لاَ يَسمَعْكَ بعضُ سُفَهائنا فتَلْقَى ما تكْرهُ. عيون الأخبار ٣٣١/ ١.

* وجاء رجل فشتمه فسكتَ عنه، وأعاد فسكت، فقال: والهَفْاه! ما يمنعُه مِنْ أن يَرُدَّ عليّ إلاّ هَوَانِي عليه. عيون الأخبار ٣٢٦/ ١.

* وصدق **القائل**:

أَوَكُلَّما طَنَّ الذُّبابُ طَرَدْتُهُ ... إنَّ الذُّبابَ إذًا علَيَّ كَرِيمُ

أدب الدين (٤٠٤).

* وقال **بعض العلماء**: لا سمير كالعلم، ولا ظهير كالحلم. أدب الدين (١٤٣).

* وقال **بعض البلغاء**: ما ذبّ عن الأعراض كالصفح والإعراض. أدب الدين (٤٠٢).

* وقالَ **بَعضُ الشُّعراءِ**:

وفِي الْحِلْمِ رَدْعٌ لِلسَّفِيهِ عَن الأذى ... وفِي الْخُرْقِ[١] إغْراءٌ فلَا تَكُ أخْرَقَا

فَتَنْدَمَ إذْ لا تَنْفعَنْكَ نَدامَةٌ ... كما نَدِمَ الْمَغْبُونُ لَمَّا تفَرَّقَا

أدب الدين (٤٠٧).

* وقال **المتنبي** (ت: ٣٥٤):

تَرَفَّقْ أيّهَا المَوْلى عَلَيهِمْ ... فإنّ الرّفْقَ بِالجاني عِتَابُ[٢]

وقال:

وأحلم عن خلّي وأعلم أنّه ... متى أجزه حلمًا عن الجهل يندم[٣]

وإن بذل الإنسان لي جود عابسٍ ... جزيت بجود التّارك المتبسّم[٤]

ديوان المتنبي (١٥، ٢٤١).

* وعن معمر قال: صك رجل ابنًا **لقتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨)، فاستعدى عليه عند بلال بن أبي بردة فلم يلتفت إليه، فشكاه إلى خالد القسري، فكتب إليه: إنك لم تنصف أبا الخطاب، فدعاه ودعا وجوه أهل البصرة يتشفعون إليه فأبى أن

(١) الْخُرْق: الْجَهْلُ والحُمقُ.

(٢) يقول: أرفق بهم وإن جنوا، فإن من رفق بمن جنى عليه: كان ذلك الرفق عتابا؛ وذلك أن الرفق بالجاني والصفح عنه يجعله عبدا لك، كما قال: وما قتل الأحرارَ كالعفو عنهم. شرح ديوان المتنبي للعكبري (١/ ٧٩)

(٣) يقول: إذا جهل علي خليلي حلمت، وعلمت أني إذا قابلته بالحلم، ندم على ما بدر منه وعاد إلى الوصل.

(٤) يقول: إذا شاب الإنسان جوده بالعبوس، جدت له بترك نواله، وتركته وقابلت عبوسه بالتبسم. معجز أحمد (٣٨٦).

يشفعهم، فقال له: صكه كما صكك، فقال لابنه: يا بني احسر عن ذراعيك وارفع يديك وشد قال: فحسر عن ذراعيه ورفع يديه، فأمسك قتادة يده وقال: قد وهبناه لله؛ فإنه كان يقال: لا عفو إلا بعد قدرة. تهذيب الحِلْية ٤٠٩/١.

* وقال **يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٩): لا يعجبك حلم امرئ حتى يغضب، ولا أمانته حتى يطمع. تهذيب الحِلْية ٤٥٥/١.

* وقال **الشاعر** عن رجل:

صَفُوحٌ عنِ الإجْرامِ حتَّى كأنَّهُ ... مِن العفْوِ لم يَعرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجرِما
ولَيْسَ يُبالي أنْ يكُونَ به الأذَى ... إذَا ما الأذَى بالكُرْهِ لم يَغْشَ مُسْلما

المجالسة وجواهر العلم (٢٩٤).

* وجاء رجل إلى **علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) فقال له: إن فلانًا قد آذاك، ووقع فيك قال: فانطلق بنا إليه، فانطلق معه، وهو يرى أنه سينتصر لنفسه فلما أتاه قال: يا هذا إن كان ما قلتَ فيّ حقًا فغفر الله لي، وإن كان ما قلتَ فيّ باطلًا فغفَر الله لك. صفة الصفوة ٤٤٨/٢.

* وكان بين حسَنٍ وبين **علي بن الحسين** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ بعضُ الأمر، فجاء حسَن بن حسَن إلى علي بن الحسين، وهو مع أصحابه في المسجد، فما ترك شيئًا إلا قاله له، وعليٌّ ساكت، فانصرف حسَن، فلما كان في الليل أتاه في منزله، فقرَع عليه بابه، فخرج إليه، فقال له علي: يا أخي إن كنت صادقًا فيما قلتَ لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذبًا فغفَر الله لك، السلام عليكم، وولّى، فاتّبعه حسن، فالتزمه مِن خلفه، وبكى حتى رثى له، ثم قال: لا جَرم لا عُدت في أمرٍ تكرهه، فقال علي: وأنت في حِلٍّ مما قلتَ لي. صفة الصفوة ٤٤٨/٢.

* وكان **علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ خارجًا من المسجد، فلقيه رجل فسبّه،

فثارت إليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلًا على الرجل، ثم أقبل على الرجل، فقال: ما سُتِر عنك من أمرنا أكثر، ألكَ حاجة نعينك عليها؟ فاستحْيا الرجل، فألقى عليه خَمِيصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول ﷺ. صفة الصفوة ٢/ ٤٥١.

* وكان عند **علي بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قومٌ، فاستعجل خادمٌ له بشِواء كان له في التنّور، فأقبل به الخادم مسرعًا وسقط السَّفُّود[1] من يده على بُنيٍّ لعلي أسفلَ الدّرجة، فأصاب رأسه فقتله، فقال علي للغلام: أنت حرٌّ، لم تعمده، وأخذ في جهاز ابنه. صفة الصفوة ٢/ ٤٥١.

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كتَبَ الوليدُ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ بأن يُوقِفَ هشامَ بنَ إسماعيلَ للناسِ عندَ دارِ مروانَ، وكان سيِّئَ الرَّأْيِ فيه؛ لأنه أساءَ إلى النَاسِ بالمدينةِ في مدَّةِ وِلايتِه عليهم، وكانت نحوًا مِن أربع سنينَ، ولاسيَّما إلى **سعيد بنِ المسيَّبِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٤) وإلى **عليِّ بنِ الحسينِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨) وأهلِ بيتِه، فلمَّا أُوقفَ للنّاسِ قال هشامُ: ما أخافُ إلاَّ مِن سعيدٍ وعليِّ بنِ الحسينِ.

فقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ لابنِه ومَوالِيه: لا يَعرِضْ منكم أحدُ لهذا الرجلِ، فإنّي تركتُ ذلك لله وللرَّحم، وأمَّا كلامُه فلا أكلِّمُه أبدًا.

وأمَّا عليُّ بنُ الحسينِ فإنَّه مرَّ به وهو موقوفٌ عند دارِ مَروانَ فلم يَتَعرَّضْ له، وكان قد تقدَّم إلىَ خاصَّته أنْ لا يَعرِض لَه أحدٌ منهم، فلمّا اجتاز به عليُّ بنُ الحسينِ، وتجاوَزَه، ناداه هشامُ بنُ إسماعيل، فقال:(اللهُ أعلَمُ حيثُ يجعلُ رِسالته). البداية والنهاية ٩/٢٢٤.

* وكان يقال: إياك وعِزَّةَ الغضب فإنها مُصيِّرتُك إلى ذلّ الاعتذار. عيون الأخبار ١/ ٣٣٥.

---

(١) هي الحديدة التي يُشْوى بها اللحم.

* وقال **بعض الأدباء**: غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.

وقال **بعض الحكماء**: إذا سكتَّ عن الجاهل فقد أوسعته جوابا وأوجعته عقابا.

وقال **بعض الشعراء**:

وَلَلْكفُّ عن شتمِ اللئيم تكرمًا أضرُّ له من شتمه حين يَشْتُم

أدب الدين (٤٠٨).

* وقال **بعض السلف**: «الْمُؤْمِنُ لَا يَنْتَصِرُ لِنَفْسِهِ، يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، فَهُوَ مُلْجَمٌ».[1] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخَلَّال: ٢٩.

* وشكا رجل إلى **أبي مسلم الخولاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٢) ما يلقى من الناس من الأذى، فقال له أبو مسلم: إنك إنْ تُنافر الناس ينافروك[2]، وإن تتركهم لا يتركوك، وإن تفر منهم يدركوك.

قال: فما أصنع؟.

قال: هب عرضك ليوم فقرك، وخذ شيئًا من لا شيء - يعني الدنيا.[3] الزهد لأبي داود (٣٨٤).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رسول الله ﷺ ما انتقمَ لنفسِه قَطُّ، فإذا كان هذا خير خلق الله وأكرمهم على الله لم يكن ينتقم لنفسه مع أنَّ أذاه أذًى لله ويتعلق به حقوق الدين، ونفسه أشرف الأنفس، وأزكاها، وأبرها وأبعدها من كل خُلقٍ مذموم، وأحقها بكل خُلقٍ جميل، ومع هذا فلم يكن ينتقم لها، فكيف ينتقم أحدُنا لنفسه التي هو أعلم بها وبما فيها من العيوب والشرور، بل الرجل العارف لا تساوي نفسه عنده أن ينتقم لها، ولا قدر لها عنده يوجب عليه انتصاره لها. جامع المسائل: ١/ ١٧١.

(٢) أي: إذا خاصمتهم خصموك، وإذا حاكمتهم غلبوك.
والمُنافَرَة: المُفاخَرَة، يُقَال: نافَرْتُ الرجلَ مُنافرَةً: إذا قاضَيْتَه.

(٣) أي: خذ الأجر والحسنات من الدنيا التي لا تسوى عند الله جناح بعوضة.

تنبيه: جاء هذا الأثر في صفة الصفوة ١/ ٣٠١، وموسوعة ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢١ منسوبًا إلى أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والأصوب أنه لأبي مسلم.

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الناس ورقًا لا شوك فيه، وأنتم اليوم شوك لا ورق فيه، إن ساببتهم سابوك، وإن نافرتهم نافروك، وإن تركتهم لم يتركوك. الزهد لأبي داود (٣٨٤).

* وقال بعضهم:

لا ترجعن إلى السفيه خطابه	إلا جواب تحية حياكها
فمتى تحركه تحركْ جيفة	تزداد نتْنًا إن أردت حراكها

ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٦.

* وقال **خالد بن صفوان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثلاثة يُعرفُونَ عند ثلاثةٍ: الحَلِيمُ عند الغَضَب.. تهذيب السِّيَر ٦/ ٦٤٣.

* وقال **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): رُبَّ كلمة ذُلٍّ احتملتها أورثْتني عزًّا طويلًا. صفة الصفوة ٢/ ٤٤١.

* وقال **ابن المُقَفَّع** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٤): اعلم أنك لا تصيبُ الغلبةَ إلا بالاجتهاد والفضل، وأنّ قلة الإعداد لمدافعة الطبائع المتطلّعة هو الاستسلام لها.

فإنه ليس أحدٌ من الناس إلا وفيه منْ كلِّ طبيعةِ سوء غريزةٌ، وإنما التفاضل بين الناس في مغالبة طبائع السوء.

فأما أن يَسْلم أحدٌ من أن تكون فيه تلك الغرائز: فليس في ذلك مطمع.

إلا أنّ الرجل القوي إذا كابرها بالقمع لها[١] كلما تطلّعت: لم يلبث أن يميتها، حتى كأنها ليست فيه، وهي في ذلك كامنة كمون النار في العود، فإذا وجدت قادحًا[٢] من علّة، أو غفلة اسْتَوْرَت[٣]، كما تستوري النار عند القدح، ثم لا يبدأ

---

(١) أي: قهرها بالقهر والإرغام والإذلال.

(٢) القادح: الذي يقدح بالزند أي يروم إخراج ناره.

(٣) أي:: اتَّقدت واستعرت.

ضرّها إلا بصاحبها، كما لا تبدأ النارُ إلا بعُودها الذي كانت فيه. الأدب الكبير (١٠٣-١٠٤).

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أنك ستُبلى من أقوام بسَفه، وأنَّ سفه السفيه سيُطْلِع لك منك حقدًا، فإن عارضته أو كافأته بالسفه فكأنك قد رضيت ما أتى به، فاجتنب أن تحتذي مثاله، فإن كان ذلك عندك مذمومًا فحقّق ذمك إياه بترك معارضته، فأما أن تذمَّه وتمتثله[1] فليس ذلك لك سدادًا. الأدب الكبير (١١٦).

* وصدق **الشاعر**:

ليست الأحْلام في حال الرّضا إنما الأحلام في حال الغضب

وكان **الشعبي** رَحِمَهُ اللَّهُ من أوْلع الناس بهذا البيت. أدب الدين (٤٠٩)، تهذيب الحِلْية ١١٧/ ٢.

* وقال **الخليل بن أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠): كان يقال: من أساء فأحسنَ إليه: حصل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته. ابن أبي الدنيا ٢/ ٤٥.

* وعن **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: أفضل أخلاق المسلمين العفو. الزهد لابن المبارك (٦٥٢).

* وقال **بكر بن عبد الله** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨): ما عليك أن تُنزل الناس منزلة أهل البيت، فتنزل من كان أكبر منك منزلة أبيك، وتنزل من كان منهم قرينك منزلة أخيك، وتنزل من كان أصغر منك منزلة ولدك، فأي هؤلاء تحب أن يُهتَك سترُه؟. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٨.

* ودخل رجل على **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١)، فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه، ويقع فيه، فقال له عمر: إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هي، خير

---

(١) أي: تسلك طريقه.

لك من أن تلقاه وقد انتقصتها.[1] ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٥.

* وجاء رجل إلى **بعض السلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: إن فلانا يقع فيك، قال: أقرئه السلام، وأعلمه أنه قد هيَّجني على الاستغفار. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٥.

* وقال **الشاعر**:

ولَرُبَّما ابْتَسمَ الْوَقورُ منَ الأذى ... وضَمِيرُهُ منْ حَرِّهِ يتأوَّهُ

المجالسة وجواهر العلم (٤١٨).

* وعن **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠) قال: المؤمن حليم لا يجهل، وإن جُهل عليه حليم لا يظلم، وإن ظُلم غفر لا يقطع، وإن قُطع وصل لا يبخل، وإن بُخل عليه صبر. ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٥.

---

(١) ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ينبغي على من ظُلم وأُوذي أن يصبر ويحتسب، وأنه بصبره ينال الرفعة والأجر، وأنه لا يجوز أن يجور ويظلم على من جار عليه وآذاه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلاما نفيسا: ولكن المُصيب العادل: عليه أن يصبر على جهل الجهول وظلمه إن كان غير متأوِّل -أي أن الذي ظلم كان غير متأوِّلٍ، أي أنه معتقدٌ أنه على غير حق، وقد تقصَّد الظلم والجور-، وأما إن كان ذاك أيضا متأولا -أي أن الذي ظلم كان متأوِّلا، أي أنه معتقدٌ أنه على حق، وليس قصده الظلم والجور-: فخطؤه مغفور له، وهو فيما يصيب به من أذى بقوله أو فعله له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له، وذلك محنة وابتلاء في حق ذلك المظلوم، فإذا صبر على ذلك واتقى الله: كانت العاقبة له، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠].

وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران:١٨٦].

فأمر سبحانه بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى، وذلك تنبيه على الصبر على أذى المؤمنين بعضهم لبعض، متأولين كانوا أو غير متأولين.

وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

فنهى أن يَحمل المؤمنين بُغضُهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم، فكيف إذا كان البُغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالما له. الاستقامة: ٥٦

* وقال بعضهم:

لا يبلغ المجد أقوام وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مسفرة لا عفو ذل ولكن عفو أحلام

ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٦.

* وقال بعضهم:

وليس يتمُّ الحلمُ للمرء راضيًا إذا هو عند السُّخطِ لم يتحلّم
كما لا يتمُّ الجود للمرء مُثريًا إذا هو لاقى العسر لم يتجشّم

ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٧.

* وقال **أسماء بن خارجة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٢): ما شتمت أحدًا قط؛ لأن الذي يشتمني أحد رجلين: كريم كانت منه زلة وهفوة، فأنا أحق من غفرها، وأخذ الفضل فيها، أو لئيمٌ فلم أكن لأجعل عرضي له غرضا.

وكان يتمثل:

وأغفر عوراء الكريم وأعر ض عن شتم اللئيم تكرما

ابن أبي الدنيا ٢/ ٧٦.

* ولما سُيِّر **عامر بن عبد الله بن عبد قيس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٠)[(١)] شيَّعه إخوانه فقال: إني داع فأمنوا، قالوا: هات فقد كنا نشتهي هذا منك، قال: اللهم من وشى بي وكذب عليّ وأخرجني من مصري، وفرق بيني وبين إخواني، اللهم أكثر ماله وولده، وأصحّ جسمه وأطل عمره. تهذيب الحِلْية ٣٠٣/ ١.

* وكان رجلٌ يقع في **عمر بن ذر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٥٣) ويشتمه، فلقيه عمر بن ذر فقال: يا هذا لا تفرط في شتمنا وأبقِ للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله

---

(١) طلب الأمير منه أن يُغادر بلده بسبب وشاية كاذبة.

فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه. تهذيب الحِلْية ١٥٧/ ٢.

* وسُرِق **للربيع بن خيثم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٠) فرس[1]، فقال أهل مجلسه: ادع الله عليه، قال: بل أدع الله له؛ اللهم إن كان غنيًّا فأقبل بقلبه، وإن كان فقيرًا فأغنه. تهذيب الحِلْية ٣١١/ ١.

* وأمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نَذر إن أمكنه الله منه ليفعلنّ به وليفعلن، فقال له **رَجَاء بن حَيْوة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٢): قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العفو. عيون الأخبار ١٤١/ ١.

* وعن **رجاء بن حيوة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: الحلم أرفع من العقل؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ تسمى به. الزهد لأحمد: ٣٩٦.

* ولما سُمَّ **عمر بن عبد العزيز** (ت: ١٠١) قال للخادم الذي سمه: لم سممتني؟ قال: أعطاني فلان ألف دينار على أن أسُمّك، قال: أين الدنانير؟ قال: هي ها هنا، فأتى بها فوضعها في بيت مال المسلمين، وقال للخادم: اذهب، ولم يعاقبه. المنتظم ٧٠/ ٧.

* وجاءه رجل كان واجدًا عليه، فقال: لولا أني غضبان لعاقبتُك، وكان إذا أراد أن يعاقب رجلًا حبسه ثلاثة أيام، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه، كراهةَ أن يَعْجَل عليه في أول غضبه. عيون الأخبار ٣٣٤ / ١.

* وأسمعه رجلٌ كلامًا فقال له: أردتَ أن يستفِزّني الشيطانُ بعِزِّ السلطان فأنالَ منك اليوم ما تناله منّي غدًا، انصرفْ رحمك الله. شعب الإيمان (٨٣٢٤).

* وعن إبراهيم بن أبي عَبْلة قال: غضب **عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوما على رجل غضبًا شديدًا فبعث إليه فأتى به فجرده ومده في الحبال ثم دعا بالسياط حتى

---

(١) أُعْطِي به عشرين ألفا. صفة الصفوة ٣/ ٤١.

إذا قلنا: هو ضاربه قال: خلوا سبيله، أما إني لولا أني غضبان لسُؤْته، قال: وتلا هذه الآية: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤]. الزهد لأحمد: ٥٠٤.

* وغضب يومًا فقال له ابنه **عبد الملك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠): أنت يا أمير المؤمنين مع ما أعطاك الله وفضلك به تغضب هذا الغضب؟ فقال له: أو ما تغضب يا عبد الملك؟ فقال له عبد الملك: وما يغني عني سعة جوفي إذا لم أُرَدِّدْ فيه الغضب حتى لا يظهر؟ جامع العلوم والحكم / ١٩٢.

* **وكان ابن عون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٦٠) لا يغضب، فإذا أغضبه الرجل قال: بارك الله فيك. تهذيب الحِلْية ٤٤٣/ ١.

* وقال **الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٠): أربع من كنّ فيه عصمه الله من الشيطان، وحرمه على النار: من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة والشهوة والغضب.[١] جامع العلوم والحكم / ١٩٣.

* والعرب تقول: احْلُمْ تَسُدْ. عيون الأخبار ٣٢٦/ ١.

* وعن **الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: كان **عيسى ابن مريم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول:

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذه الأربع التي ذكرها الحسن هي مبدأ الشرّ كله، فإن الرغبة في الشيء هي ميل النفس إليه لاعتقاد نفعه، فمن حصل له رغبة في شيء، حملته تلك الرغبة على طلب ذلك الشيء من كل وجه يظنّه موصلًا إليه، وقد يكون كثير منها محرمًا، وقد يكون ذلك الشيء المرغوب فيه محرّمًا. والرهبة: هي الخوف من الشيء، وإذا خاف الإنسان من شيء تسبب في دفعه عنه بكلّ طريق يظنّه دافعًا له، وقد يكون كثير منها محرّمًا. والشهوة: هي ميل النفس إلى ما يلائمها وتلتذّ به، وقد تميل كثيرًا إلى ما هو محرّم كالزنا والسرقة وشرب الخمر، بل وإلى الكفر والسحر والنفاق والبدع. والغضب: هو غليان دم القلب طلبًا لدفع المؤذي عند خشية وقوعه، أو طلبًا للانتقام ممن حصل منه الأذى بعد وقوعه، وينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرمة كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال المحرّمة كالقذف والسبّ والفحش، وربما ارتقى إلى درجة الكفر. جامع العلوم والحكم / ١٩٣-١٩٤.

إن الإحسان ليس أن تحسن إلى من أحسن إليك، إنما تلك مكافأة بالمعروف، ولكن الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك. الزهد لأحمد: ١٣٩.

* وقال بعض الشعراء:

إني لأُعْرِضُ عن أشياء أسمعُها حتى يقولَ رجالٌ إنّ بي حُمُقَا

أَخْشَى جوابَ سفيهٍ لا حياء له فَسْلٍ وظنَّ أناسٍ أَنه صدَقَا

عيون الأخبار ٣٢٨/١.

* وقال **أكثم بن صيفيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩): العِزُّ والغلبةُ للحِلم. عيون الأخبار ٣٢٨/١.

* وقال **جعفر بن محمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): الغضب مفتاح كلّ شرّ.[١] جامع العلوم والحكم/ ١٩١.

* وقيل **لابن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١) اجمع لنا حسن الخلق في كلمة، قال: ترك الغضب. جامع العلوم والحكم/ ١٩١.

* وقال **الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨٧): إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلًا فقل: يا أخي اعف عنه، فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله عَزَّوَجَلَّ، قل: فإن كنت تحسن تنتصر مِثلًا بمثل وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه باب أوسع، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله،

---

(١) عندما ترى مِن أحدٍ ما تكره: فتذكر وصية الله لنبيه ﷺ: «**ولا يستخفنك الذين لا يوقنون**» أي: لا يحملنك أعداؤُك على الخفّة والقلق وترك الصبر.

والخفيف يهتزّ ويضطرب عند أدنى تأثير ومكدّر، وخاصةً إذا رأى العاقل عنادَ من يرشده إلى الصلاح، وذلك مما يستفزّ غضب الحليم، فيكون خفيف العقل قليل الصبر.

والجاهل يعتقد أنّ ذلك لا يكون إلا من مهانةٍ وخَوَر، ولقد قال الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى: «وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا».

وصاحب العفو ينام الليل على فراشه، وصاحب الانتصار يقلب الأمور. تهذيب الحِلْية ٢٨/ ٣.

* وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حسناتك من عدوك أكثر منها من صديقك، قيل: وكيف ذاك يا أبا علي؟ قال: إن صديقك إذا ذُكرت بين يديه قال: عافاه الله، وعدوك إذا ذُكرت بين يديه يغتابك الليل والنهار، وإنما يدفع المسكين حسناته إليك، فلا ترض إذا ذُكر بين يديك أن تقول: اللهم أهلكه، لا، بل ادع الله: اللهم أصلحه، اللهم راجع به، ويكون الله يعطيك أجر ما دعوت به، فإنه من قال لرجل: اللهم أهلكه فقد أعطى الشيطان سؤاله؛ لأن الشيطان إنما يدور على هلاك الخلق. تهذيب الحِلْية ١٦/ ٣.

* وقال بعضُهم:

لن يُدرِكَ المجدَ أقوامٌ وإن كَرُمُوا ... حتَّى يذِلُّوا وإن عَزُّوا لأقوام

ويُشْتَمُوا فَتَرَى الألْوانَ مُشْرِقَةً ... لاَ صَفْح ذُلٍّ ولكِن صَفْح أَحْلاَمِ

عيون الأخبار ٣٣١/ ١.

* وأغلظَ عبدٌ لسيده فقال: إني أَصْبِرُ لهذا الغلامِ على ما تَرُونَ لأَرُوضَ نَفسِي بذلك، فإذا صَبَرْتُ للمملوك على المكروه كانَتْ لغير المملوك أصبرَ. عيون الأخبار ٣٣٢ / ١.

* وجاء رجل إلى **وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤) فقال: إني مررت بفلان وهو يشتمك!.

فغضب وقال: ما وجد الشيطان رسولًا غيرك، فما برحَ حتى جاءه ذلك الشاتم فسلَّم على وهبٍ فرد عليه ومد يده وصافحه وأجلسه إلى جنبه. المنتظم ١٤٢/ ٧.

* وقال أحمد بن أبي الحَواريّ: قال لي **أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٥): من أيّ وجه أزالَ العاقلُ الْلاَّئمةَ عمّن أساءَ إليه؟ قلت: لا أدري قال: من أنه قد علم أن الله تعالى هو الذي ابتلاه به. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٢.

* وعن عبد الله بن البواب أنه قال: كان **المأمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢١٨) يحلم حتى يغيظنا، وإنه في بعض الأوقات جلس يستاك على دجلة من وراء ستر ونحن قيام بين يديه، فمرّ ملاّح وهو يقول بأعلا صوته: أتظنون أن هذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه!؟ قال: فوالله ما زاد على أن تبسم، وقال: ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل!؟ المنتظم ٦٤/ ١٠.

* وقال **المأمون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنا والله أستلذ العفو حتى أخاف أن لا أؤجر عليه، ولو علم الناس مقدار محبتي للعفو لتقربوا إليّ بالذنوب. المنتظم ٦٥/ ١٠.

* ومات بعض كبار قرطبة، فمشى **أحمد بن بقيّ بن مخلد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٤) إلى داره، وقال لبعض مَن ماشاه: لقد كان يُؤذيني في حياته، وهو اليوم أحوجُ إلى أن أصبر عليه، فأُشهدك أنه في حلٍّ مما فعل. ترتيب المدارك (٣/ ١٧٠).

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قالوا: كان **أبو بكر النحوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٧) الملقب بالوجيه لا يغضب قط، فتراهن جماعة مع واحد أنه إن أغضبه كان له كذا وكذا، فجاء إليه فسأله عن مسألة في العربية فأجابه فيها بالجواب، فقال له السائل: أخطأت أيها الشيخ، فأعاد عليه الجواب بعبارة أخرى، فقال: كذبت، وما أراك إلا قد نسيت النحو، فقال الوجيه: أيها الرجل فلعلك لم تفهم ما أقول لك، فقال بلى، ولكنك تخطيء في الجواب، فقال له، فقل أنت ما عندك لنستفيد منك، فأغلظ له السائل في القول، فتبسم ضاحكًا، وقال له: إن كنت راهنت فقد غُلبت، وإنما مثلك مثل البقّة ـ يعني الناموسة ـ سقطت على ظهر الفيل فلما أرادت أن

تطير قالت له: استمسك فإني أحب أن أطير، فقال لها الفيل: ما أحسستُ بك حين سقطتِ فما أحتاج أن أستمسكِ إذا طرت. البداية والنهاية ١٣/ ١٤٤.

* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: بعث بُجْكم الأمير (ت: ٣٢٩) إلى **سنان بن ثابت** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١٣) الطبيب بعد موت الراضي، وسأله أن ينحدر إليه إلى واسط، فانحدر إليه فأكرمه، وقال له: إني أريد أن أعتمد عليك في تدبير بدني: وفي أمر آخر هو أحب إليّ من أمر بدني وهو أمر أخلاقي لثقتي بعقلك ودينك فقد غمتني غلبة الغضب والغيظ، وإفراطهما فيّ حتى أخرج إلى ما أندم عليه عند سكونهما من ضرب وقتل، وأنا أسالك أن تتفقد لي ما أعمله فإذا وقفت لي على عيب لم تحتشم أن تصدقني عنه، وتنبهني عليه، ثم ترشدني إلى علاجه.

فقال له: السمع والطاعة، أنا أفعل ذلك، ولكن يسمع الأمير مني بالعاجل جملة علاج ما أنكره من نفسه إلى أن آتي بالتفصيل في أوقاته، اعلم أيها الأمير أنك قد أصبحت وليس فوق يدك يدٌ لأحد من المخلوقين، وأنك مالك لكل ما تريده قادر على أن تفعله أي وقت أردته، لا يتهيأ لأحد من المخلوقين منعك منه، ولا أن يحول بينك وبين ما تهواه، أي وقت أردت، واعلم أن الغيظ والغضب يحدث في الإنسان سكرًا أشد من سكر النبيذ بكثير، فكما أن الإنسان يفعل في وقت السكر من النبيذ ما لا يعقل به ولا يذكره إذا صحا، ويندم عليه إذا حُدِّثَ به، ويستحيي منه، كذلك يحدث له في وقت السكر من الغيظ بل أشد.[1].

(١) سبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها، وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن فوقها.
والغضب يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه، والحزن يتحرك من خارج الجسد إلى داخله.
فلذلك قتل الحزن ولم يقتل الغضب؛ لبروز الغضب وكمون الحزن.
وصار الحادث عن الغضب السطوة والانتقام لبروزه، والحادث عن الحزن المرض والأسقام لكمُونه.
ولذلك أفضى الحزن إلى الموت ولم يفض إليه الغضب، فهذا فرق ما بين الحزن والغضب.
أدب الدين (٤١٢).

فإذا ابتدأ بك الغضب، فضع في نفسك أن تؤخر العقوبة إلى غد، واثقًا بأن ما تريد أن تعمله في الوقت لا يفوتك عمله، فإنك إذا بت ليلتك سكنت فورة غضبك، وقد قيل: أصحُّ ما يكون الإنسان رأيًا إذا استدبر ليله واستقبل نهاره.

فإذا صحوت من غضبك فتأمل الأمر الذي أغضبك، وقدِّم أمر الله عَزَّوَجَلَّ أولًا، والخوف منه، وترك التعرض لسخطه، واشف غيظك بما لا يؤثمك، فقد قيل: «ما شفى غيظه مَنْ أثم»، واذكر قدرة الله عليك، فإنك تحتاج إلى رحمته وإلى أخذه بيدك في أوقات شدائدك، فكما تحب أن يغفر لك، كذلك غيرك يحب أن تعفو عنه، واذكر أي ليلة بات المذنب قلقًا لخوفه منك، وما يتوقعه من عقوبتك، واعرف مقدار ما يصل إليه من السرور بزوال الرعب عنه، ومقدار الثواب الذي يحصل لك بذلك، واذكر قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢] وإنما يشتد عليك ذلك مرتين أو ثلاثًا، ثم تصير عادة لك وخلقًا.

فابتدأ بُجْكم فعمل بما قال له، ورفق بالرعية.[1] المنتظم ١٠-١٢/ ١٤.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤):

وأقلل عتابًا فما فيه مَن ... يُعاتَب حين يحقُّ العتاب

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذ سبني نذلٌ تزايدتُ رفعةً ... وما العيبُ إلا أن أكونَ مساببُه

ولو لم تكن نفسي عليَ عزيزةً ... لمكنتُها من كلِ نذلٍ تحاربُه

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخاطبني السفيه بكل قبحٍ ... فأكره أن أكون له مجيبا

---

(١) من توفيق الله للإنسان أن يبحث عن ناصح أمين حكيم، يستشيره في شؤونه، ويُوقفه على عيوبه، ويرشده إلى الصواب في أموره.

يزيد سفاهةً فأزيد حلمًا كعودٍ زاده الإحراق طيبا

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخيرٌ من إجابته السكوت

فإنْ كلمتَه فرجَّت عنه وإنْ خلَّيته كمَدًا يموت

* وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قالوا سكتَّ وقد خوصمتَ قلتُ لهم إنَّ الجوابَ لبابِ الشرِّ مفتاحُ

والصمَّتُ عن جاهلٍ أو أحمقٍ شرفٌ وفيه أيضًا لصونِ العرضِ إصلاحُ

أما تَرَى الأُسْدَ تُخْشى وهْي صَامِتة والكلبُ يخْسَى لعمري وهو نبَّاحُ

ديوان الشافعي (٣٨، ٤٢، ٤٣، ٥٤، ٦٧).

* وقد امْتُحن الإمام **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) فِي أَيَّام الْمَأْمُونِ ثُمَّ الْمُعْتَصِمِ ثُمَّ الْوَاثِقِ بسبب القرآن العظيم، وَناله الكثير من الأذى، وأُودِعَ السِّجْنَ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ شَهْرًا، وضُرب أكثر من ثَلَاثِينَ سَوْطًا، لَكِنْ كَانَ ضَرْبًا مُبَرِّحًا شَدِيدًا جِدًّا.

وأُغْمِيَ عَلَيه وَذَهَبَ عَقْله مِرَارًا خلال الضرب.

وَجَعَلَ كُلَّ مَنْ سَعَى فِي أَمْرِهِ فِي حِلٍّ إِلَّا أَهْلَ الْبِدْعَةِ، وَكَانَ يَتْلُو فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النُّور: ٢٢]، وَيَقُولُ: مَاذَا يَنْفَعُكَ أَنْ يُعَذَّبَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ بسببك؟ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشُّورَى: ٤٠] وَيُنَادَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ»، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا.

البداية والنهاية: ١١/ ٤٥-٤٧.

* وقال **بعض السلف**: العافية عَشرة أجزاء، تسعة منها في التغافل.

فنُقل كلامه **لأحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) فقال: العافية عَشرة أجزاء،

كلها في التغافل. الآداب الشرعية ٢/ ١٤.

* وقال **الأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٨): التغافل يطفئ شرًّا كثيرًا. شعب الإيمان ٦/ ٣٤٧.

* وقال **الشاعر** في هذا المعنى:

ليس الغبيّ بسيد في قومه ... لكنَّ سيّد قومه المتغابي

* وأحلّ **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١) مَن حضر ضرْبَه، وكلَّ من شايع فيه، والمعتصم، وقال: لولا أن ابن أبي دُؤاد داعية لأحْلَلْتُه. صفة الصفوة ٢/ ٦١٢.

* وكان رجلٌ يعرِّض بالقاضي **محمد بن بشير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٨)، حتى بلغ ذلك ابن بشير، فقال له: إنَّ الشر لا يعجز عنه أحد، وإنَّ الخير لا يناله إلا أهل الصبر الجميل، فاقصُر عما بلغني عنك فإنه أجمل بك. ترتيب المدارك (١/ ٥١٧).

* وجاء رجل يومًا يقودُ **عاصمَ بن أبي النجود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٧)[1] فوقع وقعة شديدة، فما كَهَرَهُ[2]، ولا قال له شيئًا. معرفة القراء (١/ ٢٠٧).

* وشهد **سعيد بن سليمان** (ت: ١٨٩) عند سليمان بن عمران الطلحي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ وهو قاضٍ فردَّ شهادته.

فلما وُلي سعيدٌ شهد عنده ابنُ عمران، فنظر في شهادته ففكر قليلًا ثم قال لكاتبه: أَجِز شهادته؛ فإن المؤمن لا يشفي غيظه.[3] ترتيب المدارك (١/ ٣٢٩)، المنتظم ٩/ ١٦٧.

---

(١) وكان أعمى.

(٢) أي: نهره.

(٣) الإنصاف والعفو وعدم التشفّي والانتقام للنفس ابتغاء وجه الله من أخلاق الصّدّيقين الأولياء، والعقلاء الحكماء، جعلنا الله منهم.

* وقال محمد بن محبوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا عند **القاضي عبدالله بن طالب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٥) يومًا، فخاطبه بعض أهل مجلسه بخطابٍ خشن لا يخاطَبُ مثلُه بمثله، فنظر بعضهم إلى بعض، وتمادى ابن طالب في مكالمته كأنه ما سمع مكروهًا، فلما قام الرجل قال لنا ابن طالب: رأيت نظر بعضكم إلى بعض، وقلت في نفسي: رجلٌ قصَدَني، يؤدِّي الذي يجب من حقِّي، هفَا عليّ، أصول عليه بسلطاني؟ هذا من اللؤم.[1] ترتيب المدارك (٢/ ٣١٥).

* ودخل يوما تُركيّ على **الوزير ابن هبيرة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠) فقال لحاجبه: أما قلت لك: أعْط هذا عشرين دينارًا، وكذا من الطعام، وقل له: لا يحضر ههنا؟ فقال: قد أعطيناه، قَالَ: عُدْ وأعطه، وقل له: لا يحضر، ثم التفت إلى الجماعة، وقال: لا شك أنكم ترتابون بسبب هذا؟ فقالوا: نعم، فقال: هذا كان شِحْنة[2] في القرى، فقتل قتيلٌ قريبًا من قريتنا، فأخذ مشايخ القرى وأخذني مع الجماعة، وأمشاني مع الفرس، وبالغ في أذاي وأوثقني، ثم أخذَ من كل واحد شيئا وأطلقه، ثم قَالَ لي: أي شيء معك؟ قلت: ما معي شيءٌ، فانْتَهرني، وقال: اذهب.

فأنا لا أريد اليوم أذاه، وأُبغِض رؤيته. ذيل الطبقات (٢/ ١١٣ - ١٦٩).

* وقال **بعضهم**:

لما عفوتُ ولم أحقد على أحدٍ	**أرحتُ نفسيَ مِن همِّ العداوات**
إني أحيّيْ عدويْ عند رؤيته	**لأدفع الشرّ عنّي بالتحيّات**
وأُظهِر البشر للإنسان أبغضه	**كأنه قد حَشَى قلبي محبات**

(١) صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنّ الذي يستعمل منصبه وسلطته للانتقام على من أخطأ في حقّه أو أبغضه لأسباب شخصيّة: إنسان قليل الأدب، سفيه، دنيء، ضعيف الدين، قليل العلم، نعوذ بالله من هذه الصفة الدنيئة، والخلّة الرديئة.

(٢) الشّحنة: هو الذي يتولى أمر الشرطة في القرى وغيرها.

ولست أَسْلم ممن لستُ أعرفه ... فكيف أسلم من أهل المودّات

الناس داءٌ وداء الناس قُرْبهم ... وفي الجفاء بهم قطع الأُخوات

فجامِل الناس وأَجْمل مااستطعت وكن ... أصمّ أبكم أعمى ذا تقيات

الآداب الشرعية ١/ ٥١.

* وقال ابن القلانسي: سمعت الشيخ **تقيَّ الدين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨) يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا في ذلك الشباك الذي جلسا فيه، وأن السلطانَ استفتى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشْنكير، وأنهم قاموا عليك وآذوْك أنت أيضًا! وأخذ يحُثُّه بذلك على أن يفتيه في قتل بعضهم-وإنما كان حنقُه عليهم بسبب ما كانوا سعوا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير- ففهم الشيخ مراد السلطانِ، فأخذ في تعظيم القضاةِ والعلماء، وينكرُ أنْ ينال أحدًا منهم سوءٌ، وقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم. فقال له: إنهم قد آذوك؛ وأرادوا قتْلَك مرارًا، فقال الشيخُ: من آذاني فهو في حِلٍّ، ومن آذى الله ورسوله فاللهُ ينتقمُ منه، وأنا لا أنتصر لنفسي، وما زال به حتى حلُم عنهم وصفح.

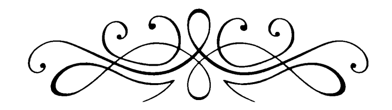
قال: وكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول: ما رأينا مثل ابنِ تَيْميَّةَ، حرَّضْنا عليه، فلم نَقْدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجَجَ عنا. البداية والنهاية ١٤/ ١٢٩.

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه. وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم.

وجئت يوما مبشرا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني

وتَنكَّر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام، فسروا به ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه. مدارج السالكين ٣/ ١٣٩.

* وكان الشيخ المقرئ الفقيه النحويّ **عبدالله بن عائض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٢٢) سليم الصدر، طيب القلب، جمّ التواضع، فمع ما ناله من أذيّةِ أعدائه وتعرُّضهم له، فإنه يقول: لم أبِت ليلةً وفي قلبي حقد على أحد. علماء نجد (٤/ ١٤٢).





مداراة الناس[1]

* قال **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إنّا لَنَكْشِرُ في وجوه أقوام، ونضحك إليهم، وإنّ قلوبنا لَتلعَنُهُمْ. عيون الأخبار ٣/ ٢٧، ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٢.

* وقال **محمد ابن الحنفية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨١): ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد بدًّا من معاشرته، حتى يجعل الله له فرجًا ومخرجًا. تهذيب الحِلْية ١/٥٠٤.

* وعن الأصمعي قال: لما حضرت جدي **علي بن الأصمع** رَحِمَهُ اللَّهُ الوفاة، جمع بنيه فقال: أي بَنِيَّ عاشروا الناس معاشرةً إن عشتم حنُّوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٥.

* وعن **عروة بن الزبير** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: مكتوب في الحكمة: لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطا، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٦.

* وكان يقال: إذا بلغك عن أخيك ما تكره فالقه بما يحب؛ فإنك تقضمه جمرته وهو لا يشعر. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٦.

* وكان **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩) أشد الناس مدارةً للناس وتركَ ما لا يعنيه. ترتيب المدارك (١/ ١٠٥).

---

(١) المداراة: هي بذلُ الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين، وهي مباحة ومستحسنةٌ في بعض الأحوال، والمداهنة المذمومة المحرمة: هي بذل الدين لصلاح الدنيا.

* وقال **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): سياسة الناس أشد من سياسة الدواب. طبقات الشافعيين (١/ ٦٤).

* وقال **أبو سليمان الخطابي** (ت: ٣٨٨):

ما دمتَ حيًّا فدار الناس كلَّهم ... فإنما أنتَ في دار المداراة

من يَدْر دارى ومن لم يَدْر سوف يُرَى ... عما قليل نديمًا للندامات

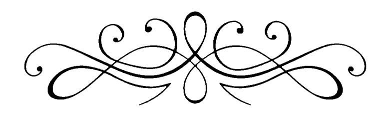
الآداب الشرعية ١/ ٥٢.

* وقال **زهير بن أبي سلمى** (ت: ٣ قبل الهجرة):

ومن لم يصانع في أمور كثيرة ... يضرَّسْ بأنياب ويوطأْ بِمَنْسِم (١)

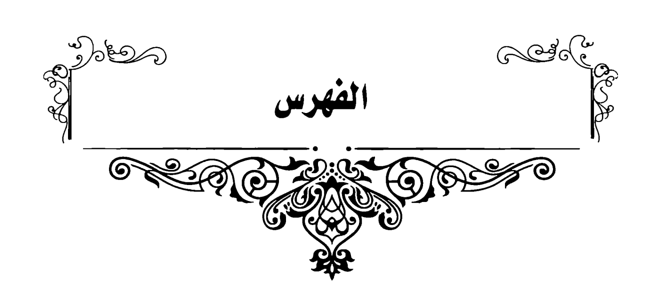
[شرح المعلقات السبع للزوزني (١٤٩)].

* وشكا رجل إلى **مخلد بن الحسين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩١) رجلًا من أهل الكوفة، فقال: أين أنت عن المداراة، فإني أداري، حتى أداري هذه -جارية حبشية تغربل شعير الفرس له-. تهذيب الحِلْية ٣/ ٦٣.



---

(١) المنسم: خف البعير.


الفهرس

دار ابن الجوزي 8428146
9 786038 245781